

طبعة ثانية مزيّدة و منقّحة



✧ الأستاذ المحقق محمد هادي معرفة ✧

الجزء الثاني التفسير والمفسرون

في ثوبه القشيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



التفسير والمفسرون

في توكيد القسبي

لجزء الثاني

طبعة ثانية مزيدة ومنقحة

تأليف

الأستاذ المحقق الشيخ محمد هادي معرفة

معرفة، محمد هادي

التفسير و المفسرون في ثوبه القشيب / تأليف محمد هادي معرفة. - مشهد:
الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية ١٤٢٦ ق. = ١٣٨٤ ش.

ISBN 964-7673-14-0 (جلد دوم)

٢ ج

ISBN 2 Vol set 964-7673-12-4

عربي.

كتابنامه.

١. تفسير - - فن. ٢. مفسران. الف. دانشگاه علوم اسلامی رضوی.

ب. عنوان.

٢٩٧/١٧١

BP ٩١/٥/٣٦

٣٧٧-١٣٧٦٩/٧٨

کتابخانه ملی ایران



- الكتاب: التفسير و المفسرون في ثوبه القشيب / ج ٢
- المؤلف: الأستاذ المحقق الشيخ محمد هادي معرفة
- التنقيح: قسم النشر
- تصميم الغلاف: محمد حجة احمدی زر
- الناشر: الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية
- العدد: ٣٠٠٠ نسخة
- الطبعة الثانية: ١٤٢٦ ق. = ١٣٨٤ ش.
- الطبع: مؤسسة الطبع و النشر في الأستانة الرضوية المقدسة
- سعر الدورة: ٦٠٠٠٠ ريال

جميع الحقوق محفوظة للناشر

شكر و تقدير

و يجدر بنا أن نقدر خدمات فنيّة و علميّة قام بها كلّ من أصحاب الفضيلة: علي جلايان اكبرنيا، محمّد سعيد رضواني و عبد الله غلامي، في إنجاز هذا المشروع الضخم و ساهموا في مراجعته و إخراجاته الفنيّة و إعداد فهارسه و تنضيد حروفه المطبعية بالحاسب الإلكتروني و غيرها، في قسم الدراسات القرآنيّة في الجامعة الرضويّة. فنقدّم لهم جزيل شكرنا المتواصل و نبتهل إلى الله أن يوفّق الجميع لخدمة الدين و لا سيّما أساسه القويم القرآن الكريم إنّه تعالى وليّ التوفيق.

الجامعة الرضويّة للعلوم الإسلاميّة

(قسم البحوث)

التفسير و المفسرون

في لونه الفسب

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ
لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ

بحث مستوف بشؤون التفسير:

نشأته و تطوره و ألوانه

مع عرض شامل لأشهر المفسرين

و تحليل كامل لأهم كتب التفسير

المرحلة السادسة

التفسير في عهد التدوين

النمط الأول

التفسير بالمأثور

﴿ أنحاء التفسير بالمأثور

١. تفسير القرآن بالقرآن

٢. تفسير القرآن بالسنة

٣. تفسير القرآن بقول الصحابي

٤. تفسير القرآن بقول التابعي

﴿ آفات التفسير بالمأثور

١. ضعف الأسانيد

٢. الوضع في التفسير

٣. الاسرائيليات

﴿ أهم كتب التفسير بالمأثور

1998年12月

1998年12月

1998年12月

التفسير في عهد التدوين

كان التفسير في عهد نشوئه إنَّما يُتَلَقَّى شفاهاً و يُحَفَظ في الصدور، ثمَّ يتناقل نقلَ الحديث يدأ بيد. هكذا كان التفسير على عهد الرسالة، و على عهد الصحابة و التابعين الأول. أمَّا في عهد تابعي التابعين، فجُعِل يُضَبَط و يُبَيَّن في الدفاتر و الألواح؛ و بذلك بدأ عهد تدوين التفسير إلى جنب كتابة الحديث، و ذلك في أواسط القرن الثاني؛ حيث راج تدوين الأحاديث المأثورة عن السلف.

و لعلَّ أوَّل من سجَّل التفسير في الدفاتر و الألواح هو مجاهد بن جبر، تُوفِّي سنة (١٠١ هـ). يقول ابن أبي مليكة: «رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، و معه ألواحه. فيقول له ابن عباس: اكتب. قال: حتَّى سأله عن التفسير كلَّه^١. و كان أعلم الناس بالتفسير. قال الفضل بن ميمون: «سمعت مجاهداً يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرَّات»^٢.

و له تفسير متقطَّع و مرَّتَّب على السور، من سورة البقرة إلى نهاية القرآن. يرويه عنه أبو يسار عبد الله بن أبي نجيج الثقفي الكوفي، تُوفِّي سنة (١٣١ هـ) و قد صحَّحه الأئمة و اعتمده أرباب الحديث، و قد طُبِع أخيراً في باكستان سنة (١٣٦٧ هـ) حسبما تقدَّم في

٢. تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ١٠، ص ٤٣.

١. راجع: تفسير الطبري، ج ١، ص ٣١.

ترجمته.

و يذكر ابن حجر عند ترجمته لعطاء بن دينار المصري - وكان من ثقات المصريين، تُوفِّي سنة (١٢٦ هـ) - أن له تفسيراً يرويه عن سعيد بن جبير، قُتل سنة (٩٥ هـ) وكان في صحيفة. قال: ولا دلالة أنه سمع من سعيد بن جبير. وعن أبي حاتم أنه أخذه من الديوان؛ وذلك أن عبد الملك بن مروان، تُوفِّي سنة (٨٦ هـ) سأل سعيداً أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بهذا التفسير. فوجده عطاء بن دينار في الديوان، فأخذه، فأرسله عن سعيد^١.

فهذا صريح في أن سعيد بن جبير جمع تفسير القرآن في كتاب، وهذا الكتاب أخذه عطاء بن دينار. وبما أن سعيد بن جبير قُتل سنة (٩٥ هـ) ولا شك أن تأليفه هذا كان قبل موت عبد الملك سنة (٨٦ هـ)، فهذا التفسير قد كُتِب ودُوّن قبل هذا الحين.

و يذكر ابن خلكان: أن عمرو بن عبيد - شيخ المعتزلة، تُوفِّي سنة (١٤٤ هـ) - كتب تفسيراً للقرآن عن الحسن البصري المتوفِّي سنة (١١٦ هـ)^٢.

ولابن جريج، توفِّي سنة (١٥٠ هـ) تفسير كبير في ثلاثة أجزاء، يرويه بواسطة عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس، توفِّي سنة (٦٨ هـ)، و يرويه عنه محمد بن ثور. وقد صحَّحته الأئمة^٣. و ذكر أحمد بن حنبل: أنه أول من صنَّف الكتب^٤.

وأما هذه التفاسير ممَّا كُتِب على الألواح أو في صحائف ذلك العهد كثير، كانت تقتضيه طبيعة الأخذ والتلقِّي ذلك الحين، وقد قلَّ الاعتماد على الحفظ والضبط في الصدور.

غير أن هذه التفاسير كانت مقتصرة على نقل المعاني وروايتها عن التابعين والأصحاب، و بُنِيَتْها في الدفاتر خشية الضياع، ولم يكن التفسير قد توسَّع، أو دخله الاجتهاد في شكل ملحوظ.

١. تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ١٩٨-١٩٩، رقم ٣٨٢.

٢. وفیات الأعيان لابن خلكان، ج ٣، ص ٤٦٢، رقم ٥٠٣.

٣. الإيقان في علوم القرآن للسيوطي، ج ٤، ص ٢٠٨.

٤. تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٤٠٣-٤٠٤.



ولعلّ أوّل من توسّع في التفسير وضمّ إلى جانب المعاني جوانب أخرى، ولا سيّما التعرّض لأدب القرآن و ذكر خصائص اللغة، و اجتهد في ذلك، هو أبو زكريّا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة (٢٠٧هـ).

يذكر ابن النديم في الفهرست أنّ أبا العباس ثعلب قال: كان السبب في إملاء كتاب الفراء في معاني القرآن، أنّ عمر بن بكير كان من أصحابه، و كان منقطعاً إلى الحسن بن سهل. فكتب إلى الفراء: أنّ الأمير الحسن بن سهل، ربّما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن، فلا يحضرني فيه جواب. فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً، أو تجعل في ذلك كتاباً، أرجع إليه فعلت. فقال الفراء لأصحابه: اجتمعوا حتّى أملي عليكم كتاباً في القرآن، و جعل لهم يوماً، فلما حضروا خرج إليهم، و كان في المسجد رجل يؤذّن و يقرأ بالناس في الصلاة. فالتفت إليه الفراء، فقال له: اقرأ بفاتحة الكتاب نفسّها، ثمّ نوفي الكتاب كلّه. فقرأ الرجل و يفسّر الفراء. قال أبو العباس: لم يعمل أحد قبله مثله، و لا أحسب أنّ أحداً يزيد عليه^١.

و لا شك أنّ تفسير الفراء هذا هو أوّل تفسير تعرّض لآيات القرآن آية آية، حسب ترتيب المصحف و فسرها على التتابع، و توسّع فيه. و كانت التفاسير قبله تقتصر على تفسير المشكل، و بصورة متقطّعة، غير مستوعبة لجميع الآيات على التتابع. و قد جنح إلى هذا الرأي الأستاذ أحمد أمين المصريّ في ضحى الإسلام^٢.

و على أيّ تقدير، فإنّ ذلك يعدّ أوّل بذرة عُرسَت للتفسير المدوّن بشكل رتيب. فقد كان القرن الثاني من بدايته إلى نهايته، عهد تطوّر التفسير، من مرحلة تناقله بالحفظ إلى مرحلة كتابته بالثبوت. كما أخذ بالتوسّع و الشمول أيضاً بعد ما كان مقتصرّاً على النقل بالمأثور.

٢. ضحى الإسلام لأحمد أمين، ج ٢، ص ١٤٠-١٤١.

١. الفهرست لابن النديم، ص ١٠٥.

وإزداد في القرن الثالث فما بعد، في الأخذ في التوّع، وتلوّنه بألوان العلوم والمعارف والثقافات التي كانت دراجة في تلك العصور.

تدرّج التفسير وتلوّنه

وفي هذا الدور أخذ التفسير يخطو من مرحلة إلى أخرى ويزداد توسّعاً وتنوعاً. فقد انتقل من دور التفسير بالمأثور إلى دور الاجتهاد العقليّ، وإعمال النظر والرأي، واستنباط معاني القرآن الكريم في ضوء الأدب - أولاً - ثمّ في ضوء أنواع العلوم والمعارف التي كان ذلك العهد أهلاً بها، مضافاً إليه بعض النظرات الفلسفيّة الكلاميّة، ممّا نشأ على يد أرباب الكلام و ذوي النزعات المذهبيّة العقائديّة، وكانت متنوّعة ذلك العهد. كلّ ذلك أثر في التفسير، وزاد في حجمه، كما جعله على أنواع وأشكال مختلفة.

فمنهم من اقتصر على أسلوب السلف بالاكْتفاء بالتفسير بالمأثور من أقوال الصحابة وكبار التابعين، ومنهم من زاد عليه بالتوسّع في اللغة والأدب، ومنهم من تجاوز إلى معارف آخر من فلسفة وكلام؛ وبذلك تلوّن التفسير حسب ألوان الثقافات الموجودة آنذاك.

ولكلّ من هذه الألوان والأنحاء التفسيرية مميّزاته ومشخصاته، بها يمتاز كل نوع من التفسير عن سائر الأنواع، ومنهم من جمع بين هذه الألوان أو بعضها؛ فكانت تفسيرات جامعة تتعرّض لمختلف أبعاد التفسير، كاللغة والأدب والكلام، إلى جنب المأثور من الأحاديث الواردة ونقل الأقوال. وقد كثرت في العهد المتأخّر هذا النمط الجامع من التفسير، كما قد زاد عليه المتأخرون جوانب الشؤون الاجتماعيّة والسياسيّة التي تعرّض لها القرآن، وبسطوا القول فيها حسب حاجة الزمن.

وهكذا تدرّج التفسير، واتّجهت الكتب المؤلّفة فيه اتّجاهات متنوّعة وتحكّمت الاصطلاحات العلميّة والعقائد المذهبيّة في عبارات القرآن الكريم، فظهرت آثار الثقافة الفلسفيّة والعلميّة للمسلمين في تفسير القرآن، كما ظهرت آثار العرفان الصوفيّ، و آثار

النحل والأهواء فيه ظهوراً جلياً.

وذلك أن كل من برع في فنّ من فنون العلم والأدب، يكاد يقتصر تفسيره على الفنّ الذي برع فيه. فالنحويّ تراه لا همّ له إلا الإعراب، وذكر ما يحتمل في ذلك من أوجه. وتراه ينقل مسائل النحو وفروعه وخلافاته، وذلك كالزجاج، والواحديّ في البسيط، وأبي حيان في البحر المحيط.

و صاحب العلوم العقلية تراه يُعني في تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، كما يذكر شُبههم والردّ عليها، وذلك كالفخر الرازيّ في كتابه مفاتيح الغيب. و صاحب الفقه تراه قد عنى بتقريره الأدلّة للفروع الفقهيّة، والردّ على من يخالف مذهبه، وذلك كالجصاص والقرطبيّ وأمثالهما كثير.

و صاحب التاريخ ليس له شغل إلا القصص، وذكر أخبار السلف، ما صحّ منها وما لم يصحّ، وذلك كالنعلبيّ والخازن وغيرهما.

وأصحاب المذاهب الكلامية إنما يحاولون تأويل الظواهر إلى ما يتفق ومذاهبهم في الكلام، ويقصرون الكلام في تفاسيرهم على هذا الجانب؛ حيث يتوسعون فيه، وذلك كالرمانيّ والجبائنيّ، والقاضي عبد الجبار، والزمخشريّ والطوسيّ.

وأرباب التصوّف والعرفان الصوفيّ إنما يتجهون بكل اتّجاهاتهم إلى ناحية تزكية الروح وتطهير النفس، والترقّع بها إلى ذروة الأخلاق الحميدة، كما يحاولون في استخراج المعاني الإشارية - حسبما يزعمون - من الآيات القرآنية بما يتفق مع مشاربهم، ويتناسب مع رياضاتهم ومواجيدهم في عرفان الذات. ومن هؤلاء ابن عربيّ، وأبو عبد الرحمان السلميّ، والقشيريّ في لطائف الإشارات، والفيض الكاشانيّ في أكثر مواضع تفسيره.

وهكذا فسّر كلّ صاحب فنّ أو مذهب بما يتناسب مع فنّه أو يشهد لمذهبه. وقد استمرت هذه النزعة العلميّة والعقائدية، وراجت في فترة غير قصيرة رواجاً عظيماً، كما راجت في عصر متأخّر تفسيرات يحاول أهلها أن يحلوا آيات القرآن كلّ العلوم ما ظهر منها وما لم يظهر، كأنّ هذا فيما يبدو وجه وجه إعجاز القرآن وصلاحيته، لأنّ يتمشّي

مع الزمن، فيما زعموا.

أما في عصرنا الحاضر فقد راج اللون الأدبي الاجتماعي على التفسير، و وجدت بعض محاولات علمية، في كثير منها تكلف باهت و غلو ظاهر، و سنتكلم عن مختلف هذه الألوان، بما وسع لنا المقال إن شاء الله.

كان التفسير في اجتيازه تلك المراحل و تطوره مع سير الزمان، قد وجدت له ألوان و ظهرت أشكال، أشرنا إليها. غير أن هذه الأشكال و الألوان لم تنزل مستمرة، و دام وجودها في كل عصر من الأعصار. و من ثم فإن المفسرين لم يزالوا يتنوعون في التفسير، و تظهر على أيديهم أنواع من التفسير، حسب مختلف براعاتهم في الفنون و العلوم، و تخصصاتهم في أنحاء المعارف و الثقافات؛ و بذلك نستطيع أن ننوع التفسير منذ عهد تدوينه فإلى الآن، إلى أنواع مختلفة:

و لقد كان التفسير في بدء نشوئه متقطعاً و مترتباً حسب ترتيب السور و الآيات. كان المفسر يراجع شيخه في مواضع من القرآن، كان قد أشكل عليه فهمه، فيسأله عنه و يسجله في دفتره، مبتدئاً من أول القرآن إلى آخره. هذا هو نمط التفسير المأثور عن السلف، المحفوظ بعضه إلى اليوم، كتفسير مجاهد و غيره.

فأول نوع من التفسير الذي جاء إلى الوجود هو «التفسير بالمأثور» و متقطعاً، و لكن مرتباً حسب ترتيب السور و الآيات. ثم بعده أخذ في تشكل أكثر و انسجام أبلغ، مضافاً إليه بعض التوسع و التنوع، كما عرفت.

و لكن ظهر إلى جنب هذا النوع من التفسير الرتيب، نوع آخر تعرض للجوانب الفقهيّة أو اللغويّة فقط، تاركاً جوانبه الأخر، و هذا نوع من «التفسير الموضوعي» الذي ظهر إلى عالم الوجود، من أول يومه و لا يزال.

فهذه كتب آيات الأحكام، و كتب غريب القرآن، هي تفاسير موضوعية، مقتصرة على جانب فهم الأحكام، و استنباط فروع المسائل من القرآن، و هكذا تفسير ما ورد في القرآن من غريب الألفاظ.

و هكذا تنوع التفسير من أول يومه إلى تفسير رتيب و تفسير موضوعي، غير أن التفسير الرتيب كان مقتصرأ في الأكثر على المأثور من الأقوال والآثار، و الموضوعي على الفقه و اللغة فحسب. و زاد المتأخرون جانب الناسخ و المنسوخ في القرآن، و أسباب النزول، و غيرهما من مواضع قرآنية، أفردوا لها كتباً تبحث عنها بالخصوص.



و التفسير الرتيب مذ نشأ، نشأ على نمطين: تفسير بمجرد المأثور من الآراء و الأقوال، و تفسير اجتهاديّ معتمد على الرأي و النظر و الاستدلال. و من هذا النمط الثاني التفاسير التي غلب عليها اللون المذهبيّ أو الكلاميّ أو الصوفيّ العرفانيّ - و هو من التفسير الباطنيّ في مصطلحهم - و كذلك اللغويّ و الأدبيّ و ما شاكل. و هناك من جمع بين هذه الأبعاد المتنوعة، فجاء تفسيره جامعاً لمختلف الجوانب التي تعرّض لها المفسرون المتخصّصون. و قد شاع هذا النمط الجامع من التفسير في العصور المتأخّرة، فكانت تفاسير جامعة بين النظر و النقل، مضافاً إليه جانب أدب القرآن، أمثال تفسير أبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ - من أكبر علماء القرن السادس - و بحقّ أسمى تفسيره بـ «مجمع البيان»؛ حيث كان من أحسن التفاسير و أجمعهنّ لمختلف جوانب القرآن الكريم. و هكذا تفسير أبي عبدالله محمّد بن أحمد القرطبيّ - من علماء القرن السابع - المسمّى بـ «الجامع لأحكام القرآن»، فإنّه تفسير جامع نافع، و غيرهما كثير، و سنتعرّض لها.

و أمّا التفاسير المعتمدة على مجرد النقل فأقدمها من حيث البسط و الشمول تفسير جامع البيان تأليف أبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ المتوفّي سنة (٣١٠ هـ)، ثمّ الدرّ المنثور لجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطيّ المتوفّي سنة (٩١١ هـ)، و بعدهما تفسير نور الثقلين لعبد عليّ بن جمعة العروسيّ الحويزيّ المتوفّي سنة (١٠٩١ هـ). و البرهان في تفسير القرآن للسيّد هاشم بن سليمان البحرانيّ التولبيّ الكتكانيّ المتوفّي سنة (١١٠٩ هـ)، و هذان اقتصرا على المأثور عن أنمة أهل البيت عليهم السلام. و قد زاد عليهما و بسط الكلام في هذا النوع من التفسير المولى صالح البرغانيّ القزوينيّ المتوفّي سنة

(١٢٩٤هـ.)، له تفسير كبير معتمد على المأثور من أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

* * *

وأما المناهج التفسيرية التي يسلكها المفسر و يتّجه نحوها في تفسيره للآيات القرآنية، فتختلف حسب اختلاف اتجاهات المفسرين و أذواقهم، و أيضاً حسب معطياتهم و مواهبهم في العلوم و المعارف و أنحاء الثقافات، فمنهم من لا يعدو النقل، معتقداً أن لا سبيل للعقل في تفسير كلامه تعالى، و منهم من أجاز للعقل التدخل فيه، و يرى للرأي و النظر و الاجتهاد مجالاً واسعاً في التفسير؛ حيث قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^١ و قوله تعالى: ﴿وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^٢ فللتدبر في القرآن، و التفكير حول آياته و مفاهيمه مجال واسع، قد فتح القرآن ذاته أبوابه بمصراعين. غير أن بعضهم أسرف في التعقل، و ربّما التحق بالتوهم المتكلف فيه.

و على أيّ تقدير، فالمنهج الذي انتهجه المفسرون إما تقليدي أو اجتهادي. و قد عرفنا سبيل التقليدي و اعتماده على المأثور من الآراء و الأقوال، إمّا مع شيء من البيان و التوضيح، كما سلكه أبو جعفر الطبري، أو مجرد النقل من غير نظر و بيان، كالذي انتهجه جلال الدين السيوطي و السيّد البحراني.

و أما النظري الاجتهادي فمعتّمه إمّا مجرد الرأي الخاص حسب عقيدته و مذهبه، فهذا كأكثر تفاسير أهل الباطن. أو مجموعة مصادر التفسير من المنقول و المعقول، و هذا هو الشائع من التفاسير المعتمدة الدارجة بين المسلمين، منذ العهد الأول و لا يزال. و لنذكر هذين النمطين من التفسير، اللذين بُدئ بهما منذ أول يومه، و نذكر شيئاً من مقوماتهما و آفاتهما.

* * *

النمط الأول: التفسير بالمأثور

أنحاء التفسير بالمأثور

يعتمد التفسير النقلّي أو التفسير بالمأثور، على ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل أولاً، ثمّ على ما نُقل عن المعصوم: النبي ﷺ أو الأئمة من عترته الطيبين الطيّبين، وبعده على المأثور من الصحابة الأخيار والتابعين لهم بإحسان، ممّا جاء بياناً وتوضيحاً لجوانب أُبهمت من القرآن.

وكان إدراج ما روي عن التابعين في التفسير بالمأثور، من جهة أنّ أقدم كتب التفسير بالمأثور كتفسير ابن جرير وغيره، اعتمد على أقوال التابعين وآرائهم في التفسير، على نحو اعتماده على المأثور من المعصوم. فتراهم قد أردفوا ما نُقل عن التابعين إلى جنب المنقول عن الصحابة، بل إلى جنب أحاديث الرسول ﷺ و سائر الأئمة الطيّبين.

ولنتكلّم عن أنحاء التفسير بالمأثور، ومقدار صحّته، ومدى اعتباره، في عالم التفسير:

١. تفسير القرآن بالقرآن

لا شك أنّ اتقن مصدر لتبيين القرآن هو القرآن نفسه؛ لأنّه ينطق بعضه ببعض، ويشهد

بعضه على بعض^١ - كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - حيث ما جاء منه مبهماً في موضع منه، قد جاء مفصلاً و مبيّناً في موضع آخر، بل وفي القرآن تبيان لكل شيء جاء مبهماً في الشريعة، فلأن يكون تبيانا لنفسه أولى. و من ذلك جاء قولهم: «القرآن يفسر بعضه بعضاً» كلام معروف.

و تفسير القرآن بالقرآن على نمطين: منه ما أبهم في موضع و بيّن في موضع آخر - فكان أحدهما متناسباً مع الآخر تناسباً معنوياً أو لفظياً - كما في قوله تعالى: ﴿خَمَّ وَالكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾^٢ و قد جاء تبيين هذه الليلة المباركة بليلة القدر في سورة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^٣ و قد بيّن في سورة البقرة أنها واقعة في شهر رمضان: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^٤.

فقد تبيّن من مجموع ذلك: أنّ القرآن نزل في ليلة مباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان.

و من ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ﴾^٥ ما هذه الحيلولة و كيف هي، و هو تهديد لاذع بأولئك الزائفين المتمرّدين عن الشريعة و الدين.

و هذا الإبهام يرتفع عند مراجعة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^٦. فعرفنا أنها نسيان الذات، فالذي يجعل من شريعة الله وراء ظهره، إنّما حرّم نفسه و نسي حظّه، فقد تاه في غياهب ضلالة الجهل و العمى.

و هكذا قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَ اللَّهُ يَحْكُمُ لِمُعْتَبَرٍ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^٧ ما هو المقصود من «الأرض» هنا في هذه الآية، و كيف يقع

١. نهج البلاغة، خ ١٣٣، ص ١٩٢ (صبحي صالح). ٢. الدخان (٤٤): ٣-١.

٣. القدر (٩٧): ١. ٤. البقرة (٢): ١٨٥.

٥. الأنفال (٨): ٢٤. ٦. الحشر (٥٩): ١٩.

٧. الرعد (١٣): ٤١.

نقصانها؟

أما الأرض فالمقصود منها هو العُمران منها، وليس المراد هي الكرة الأرضية. ويشهد لذلك قوله تعالى بشأن المحاربين المفسدين في الأرض: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْعَمُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَمْ خِزِي فِي الدُّنْيَا وَلَمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^١. فإن النفي من الأرض، يراد به الإبعاد عن العُمران ليظلَّ حيراناً بين البراري والقفار.

أما كيف يقع النقصان؟ فقد فسره الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وكذا ولده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: بفقد العلماء، وأنَّ عمارة الأرض سوف تزول وتندثر عند ذهاب علمائها وخيار أهلها، وهكذا ورد تفسير الآية بذلك عن ابن عباس^٢.

* * *

ومن هذا النمط أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^٣.
ما هذه الأمانة التي كان الإنسان صالحاً لحملها، دون سائر المخلوق؟
فجاءت آية أخرى تفسرها بالخلافة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^٤.

ثم ما هذه الخلافة التي منحت للإنسان، وحُظي بها هذا المخلوق دون سائر الخلق؟
كانت آية ثالثة تفسر الخلافة بقدرة الإبداع وإمكان التصرف في ساحة الوجود: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾^٥ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^٦ فقدرة الإنسان التسخيرية وإمكان تصرفه في عالم الوجود، علوه وسُفله،

١. المائدة (٥): ٣٣.

٢. راجع: البرهان في تفسير القرآن للبحراني، ج ٢، ص ٣٠١-٣٠٢.

٣. البقرة (٢): ٣٠.

٤. الأحزاب (٣٣): ٧٢.

٥. الجاثية (٤٥): ١٣.

٦. لقمان (٣١): ٢٠.

هي قدرته الإبداعية التي تمثل قدرة الله الحاكمة على عالم الوجود بذاته المقدسة. فجاءت كل آية تفسر أختها، والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

و النمط الآخر من تفسير القرآن بالقرآن، كان ما جاء فيه البيان غير مرتبط ظاهراً لا معنوياً و لا لفظياً مع موضع الإيهام من الآية الأخرى، سوى إمكان الاستشهاد بها لرفع ذلك الإيهام.

مثال ذلك، آية السرقة؛ حيث أبهم فيها موضع قطع اليد، فقد بين الإمام أبو جعفر محمد ابن عليّ الجواد عليه السلام أنه من موضع الأشجاع (مفصل أصول الأصابع) مستشهداً لذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^١ حيث إن السارق إنما جنى على نفسه؛ فتعود عقوبته إلى ما يمسه من الأعضاء، وبما أن مواضع السجود لله تعالى، لا يشركه فيها أحد، وراحة الكف من مواضع السجود لله، فلا موضع للقطع فيها^٢.

و مثال آخر قوله تعالى - في سورة الحمد -: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. ما هذا الصراط الذي يتهل الإنسان ليله ونهاره إلى الله لأن يهديه إليه.. بل و يطلبه النبي والأئمة و سائر الناس على سواه..

و قد فسر بتفاسير أغلبها لا يلتزم و هذا الشمول في الطلب الحثيث نحوه..

و من ثم تفسيره - بما يتفق و هذا الشمول- هو طلب الاهتداء إلى الحق في جميع شؤون الحياة، إن مادية أو معنوية. و ذلك أن الإنسان في مزاوالات حياته اليومية قد يصطدم - و ربما كان أكثرية - مع متشابكات الأمور، فلا يدري المخلص و يظل حائراً لا يهتدي إلى سبيل النجاح...

غير أنه تعالى - لطفاً بعباده المؤمنين- سوف يخرجهم من الظلمات إلى النور و يهديهم إلى منجى الحياة و سعادة المال.. ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^٣. نعم، من شملته عناية ربانية، و غطته ولاية الله الكبرى، فإنه سوف لا يبقى في ظلمات

٢. راجع: تفسير العائني، ج ١، ص ٣١٩-٣٢٠.

١. الجن (٧٢): ١٨.

٣. البقرة (٢): ٢٥٧.

الحياة، ما دامت العناية الإلهية ترافقه عبر مسيرة الحياة.. فجاءت آية تنطق آية أخرى وإن كانت من غير لفظها.



و جميع الآيات التي بظاهرها التشبيه، يفسرها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^١ حيث إنَّها تنفي التشبيه على الإطلاق، فلا بدَّ هناك في آيات التشبيه من تأويل صحيح، يوضحه العقل السليم.

٢. تفسير القرآن بالسنة

لا شك أن مجموعة أحكام الشريعة وفروع مسائلها، جاءت تفاصيل عمَّا أبهم في القرآن وأجمل من عموم وإطلاق. وهكذا ما ورد في لسان المعصوم وفعله و تقريره، بياناً لمختلف أبعاد الشريعة، هي بيانات عمَّا جاء في القرآن من رؤوس الأحكام والأخلاق والآداب.

قال الله تعالى مخاطباً نبيَّه الكريم: ﴿وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^٢. فقد كانت وظيفة النبيِّ الأساسيّة هي بيان وتبيين ما جاء في الذكر الحكيم، وكلّ ما صدر عنه في بيان أبعاد الشريعة، فإنَّما هو تفسير للقرآن الكريم.

هذا فضلاً عمَّا سُئل عن معاني القرآن، حيثما أبهم على الصحابة، فبيَّنه لهم في شرح وتبيين، على ما أسلفنا في الكلام عن التفسير المأثور عن النبيِّ ﷺ. وهكذا ما ورد عن أئمة أهل البيت تفسيراً لما أبهم أو تفصيلاً لما أجمل في القرآن الكريم. وقد تكلمنا عن دور أهل البيت في التفسير في فصل خاصّ.

٣. تفسير القرآن بقول الصحابيِّ

ونحن قد تكلمنا عن قيمة تفسير الصحابيِّ الذي تربّى في أحضان الرسالة، وقد أخذ

العلم مباشرة من منهله العذب السائغ، وكان ممن تفقه على يده الكريمة، و تحت هديه وإرشاده المستقيم ﷺ فلا بد أنهم - أي صحابته الأخيار - أقرب الناس فهماً إلى معاني القرآن الحكيمة، وأهداهم إلى معالمه الرشيدة.

هذا ابن مسعود يقول: «كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات، لم يجاوزهنّ حتّى يعلم معانيهنّ والعمل بهنّ»^١.

وهذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «وإنما هو تعلّم من ذي علم... عِلْمَ عِلْمِهِ اللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعْيَهُ صَدْرِي وَتَضَطَّمَّ عَلَيْهِ جِوَانِحِي»^٢.

إلى غير ذلك من تصريحات تنبؤك عن مدى حرصه ﷺ على تعليم صحابته وتثقيفهم الثقافة الإسلامية القرآنية الكاملة.

٤. تفسير القرآن بقول التابعي

لا شك أنّ التابعين هم أمسّ جانباً بأحاديث الرسول ﷺ والعلماء من صحابته الأخيار، وكانوا أقرب فهماً لمعاني القرآن الكريم؛ حيث قُرِبهم بأصول معاني اللغة الفصحى غير المتحوّرة، الباقية على صفوها الأوّل، كما كانت الحوادث والوقائع المقترنة بنزول الآيات، والموجبة أحياناً للنزول، كانت تلك الحوادث والأسباب والموجبات في متناولهم القريب، كما كان باب الفهم والسؤال لديهم مفتوحاً، وبالتالي كان باب العلم بأسباب النزول وفهم معاني القرآن والسؤال عن مواضع الإيهام فيه منفتحاً لهم بمصرعين، الأمر الذي لم يحظ بها من تأخّر من أرباب التفسير.

هذا، ومع ذلك إنّما نعتبر قول التابعي شاهداً ومؤيداً، وليس حجّة على الإطلاق، كما كان حديث المعصوم عليه السلام حجّة برأسه، أو قول الصحابي بالنسبة وفي الغالب الأكثر حجّة معتبرة، فإنّما يقع قول التابعي في الدرجة الثالثة من الاعتبار، وليس على إطلاقه.



موضع الحديث من التفسير

وإذ بلغ البحث بنا إلى مصادر حديثية لفهم معاني القرآن، وهي أحاديث مأثورة عن النبي وعترة - صلوات الله عليهم - وعن صحابته الأجلاء والتابعين لهم بإحسان، فيجدر بنا النظر فيما قاله الأصوليون، بشأن حجية أخبار الآحاد، والتي لم تبلغ مبلغ التواتر أو الاستفاضة، فهل هي حجة فيما لا سبيل إلى التعبد فيه كأصول المعارف، ويلحق بها الأحداث التاريخية، وكذا في مجال التفسير؛ حيث المطلوب فيه هو الفهم، وهو أمر وجداني لا مجال للتعبد فيه؟

نعم، إن كانت حجية الخبر الواحد مستندة إلى دليل التعبد به، ومن غير أو يوجب علماً - عرفياً - فهذا لا يُجدي نفعاً في باب التفسير وما شاكله، مما لا مجال للتعبد فيه؛ إذ لا تعبد في فهم، كما لا تعبد في شك أو وهم، فضلاً عن التعبد في يقين. وإنما التعبد فيما كان المطلوب هو العمل، وهو يخص باب التكاليف والأحكام، دون الوجدانيات والمعتقدات. قال الشيخ أبو جعفر الطوسي: ولا يجوز لأحد أن يقلد أحداً منهم (المفسرين القدامى والمتأخرين) بل ينبغي أن يرجع إلى الأدلة الصحيحة، إما العقلية أو الشرعية، من إجماع أو نقل متواتر عن من يجب اتباع قوله، ولا يقبل في ذلك خبر واحد، خاصة إذا كان [المجال] مما طريقتة العلم. ومتى كان التأويل يحتاج إلى شاهد من اللغة، فلا يقبل من الشاهد إلا ما كان معلوماً بين أهل اللغة شائعاً بينهم. وأما طريقة الآحاد من الروايات الشاردة والألفاظ النادرة، فإنه لا يقطع بذلك ولا يجعل شاهداً على كتاب الله، وينبغي أن يتوقف فيه!

والأصل في ذلك ما ذكره الشيخ أبو عبد الله المفيد بشأن الروايات في باب الاعتقاديات، من أن حجيتها إنما هي من باب التعبد بها، ولا تعبد فيما سبيله العلم المبني على الفهم والعلم دون الظن والاحتمال. ذكر ذلك مكرراً في كتابه تصحيح

الاعتقاد رداً على أبي جعفر الصدوق، حيث اعتمد في أصول المعتقدات على روايات لا تعدو أخبار آحاد لا توجب علماً ولا عملاً^١.

لكنه ﷺ إنما أنكر على الصدوق اعتماده آحاد الأخبار من غير تمحيص ولا تمييز بين الصحيح والسقيم، وليس مطلقاً الأخذ بالخبر الواحد إذا كان وجيهاً معلوم الوجهة! قال في مسألة الإرادة والمشيئة - بعد أن ذكر كلام الصدوق -: الذي ذكره الشيخ أبو جعفر ﷺ في هذا الباب لا يتحصّل، ومعانيه تختلف وتتناقض. والسبب في ذلك أنه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة ولم يكن ممن يرى النظر فيميّز بين الحقّ منها والباطل ويعمل على ما يوجب الحجّة. ومن عوّل في مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرواة كانت حاله في الضعف ما وصفناه...^٢.

وقال في مسألة القضاء والقدر - بعد أن ذكر كلام الصدوق في النهي عن الخوض فيها -: عوّل أبو جعفر في هذا الباب على أحاديث شواذ لها وجه يعرفها العلماء متى صحّت وثبت إسنادها، ولم يقل فيه قولاً محصّلاً. وقد كان ينبغي له - لعلّ لم يكن يعرف للقضاء [الإلهي] معنى - أن يهمل الكلام فيه...^٣.

إذن لم ينكر الشيخ المفيد جواز التعويل على أخبار الآحاد بصورة مطلقة، وإنما أنكر التعويل عليها من غير تمحيص ولا تقويم، ولا سيّما لمن لم يكن من أهل!

ومن ثمّ نراه هو قد اعتمد الكثير من أخبار الآحاد في نفس الكتاب وغيره حيث وجدها صالحة للاعتماد... وهكذا نرى أبا المعالي علم الهدى السيّد المرتضى ﷺ إنما أنكر على الجمهور اعتمادهم أخبار الآحاد من غير رويّة ولا مبالاة^٤. أمّا الخبر إذا كان ذا

١. راجع بالخصوص: قوله عن حديث نزول القرآن جملة واحدة إلى البيت المعمور (مصنّات المفيد، ج ٥، ص ١٢٣).

٢. المصدر نفسه، ص ٥٤.

٣. المصدر نفسه، ص ٤٩.

٤. راجع: الذريعة إلى أصول الشريعة للمرتضى، ج ٢، ص ٥١٧-٥٥٥؛ وسائل الشرف المرتضى (رسالة في إبطال العمل بأخبار الآحاد)، المجموعة الأولى، الفصل الثاني من أجوبة المسائل الثبائيات، ص ٢١-٢٩، المجموعة الثالثة.

مسألة ٤٨، ص ٣٠٩.

مستند وثيق و كان راويه مَن يوثق به و لم يكن ما ضمَّته مما يرفضه العقل أو يخالف ظاهر الكتاب، فهذا ممَّا لا مساعٍ للمنع من الأخذ به و العمل عليه، نظير الإخبار عن الحوادث و البلدان، و قد اعتمد الأصحاب رواية الثقة في الشرائع و الأحكام، و طريقتهم هذه معروفة و حجة معتبرة، كما ذكره الشيخ في كتابه عدة الأصول^١.

و للشيخ نجم الدين أبي القاسم المحقِّق الحلِّي صاحب كتاب شرائع الإسلام تحقيق لطيف عن مذهب السيِّد و الشيخ و ينتهي إلى ما ذكره الشيخ في نهاية المطاف^٢.

و على ما ذكره هؤلاء الأعلام مشي سيِّدنا الأستاذ الإمام الخوئي رحمته الله و مِن قَبْلِهِ شيخه المحقِّق النائيني رحمته الله و أن ما نفاه السيِّد و تبعه الشيخ من عدم اعتبار أخبار الآحاد، إمَّا هو في الأخبار الضعيفة الإسناد أو الموهونة، لا التي رواها الثقات الأتبات من الرجال..

قال سيِّدنا الأستاذ: إنَّ للخبر الواحد مصطلحين، أحدهما: مقابل المتواتر أو المحفوف بقرائن قطعية. و الثاني: الضعيف الموهون. و لا يبعد أن يكون محطَّ الإجماع على عدم الحجِّيَّة، الذي ادَّعاه السيِّد و تبعه الشيخ و غيرهما، هو الخبر الواحد بالمعنى الثاني. فدعواهم الإجماع على رفض الحجِّيَّة لا تتنافى مع عملهم بالأخبار، حيث محطَّ الإجماع هو المعنى الثاني، و المعمول به هو الخبر بالمعنى الأوَّل..

قال: و الشاهد على ذلك أنَّ الشيخ، الذي ادَّعى الإجماع على حجِّيَّة خبر الواحد^٣، كثيرًا ما يقول - في كتاب الاستبصار، في مقام الاعتذار عن عدم العمل بخبر -: إمَّا لم نعمل به لأنَّه خبر واحد^٤. و المراد هو المعنى الثاني. و إلا فخير الثقة العدل عنده حجة مسلَّمة^٥. و قد كان دأبه و كذا السيِّد و الشيخ المفيد و غيرهم من علمائنا الأعلام هو العمل بخبر الثقة الثبوت.

١. راجع: هذه الأصول للطوسي، ج ١، ص ٣٦٧، ٣٣٦.

٢. راجع: معارج الأصول للحلِّي، ص ١٤٠-١٤٨. ٣. راجع: هذه الأصول، ج ١، ص ٣٣٧-٣٣٨.

٤. راجع على سبيل المثال: الاستبصار للشيخ الطوسي، ج ١، ص ٣٥-٣٦، ح ٩٦.

٥. الهداية في الأصول للصفهاني، ج ٣، ص ١٧٥؛ مصباح الأصول للبهسودي، ج ١، ص ١٤٩.

و قد تواتر عن الأئمة الراشدين عليهم السلام لزوم الأخذ بما يرويه عنهم الثقات: جاء في التوقيع الذي خرج على يد القاسم بن العلاء: «فإنه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يؤدّيه عنّا ثقتان، قد عرفوا بأننا نفاوضهم سرّنا ونحملهم إيّاه إليهم^١.. وهكذا روايات أخرى ذكرها أبو جعفر الكليني^٢.

و روى ثقة الإسلام الكليني بإسناده الصحيح إلى أحمد بن إسحاق.

قال: سألت أبا الحسن الهادي عليه السلام: من أعامل، و عنّ آخذ، و قول من أقبل؟ فقال: العُمريّ تقتي، فما أدّى إليك عنّي فعنيّ يؤدّي، و ما قال لك عنّي فعنيّ يقول. فاسمع له و أطع، فإنّه الثقة المأمون.

و أيضاً قال: إنّه سأل أبا محمّد العسكريّ عن مثل ذلك؟ فقال: العُمريّ و ابنه ثقتان، فما أدّى إليك عنّي فعنيّ يؤدّيان، و ما قال لك فعنيّ يقولان، فاسمع لهما و أطعهما، فإنّهما الثقتان المأمونان^٣.

و العُمريّ و ابنه هما: عثمان بن سعيد العمريّ و ابنه محمّد بن عثمان، كانا النائبين الأوّل و الثاني من النواب الأربعة في الناحية المقدّسة على عهد الغيبة الصغرى.

على أنّ دأب علمائنا الأعلام على الأخذ برواية الثقة الثبت الأمين، معروف معهود لا غبار عليه، كما ذكره الشيخ في العُدّة، حتّى و لم يشترطوا كونه إمامياً بعد إحراز كونه صدوقاً في حديثه أميناً في روايته. و هذا هو مذهب أصحابنا أجمع من غير خلاف.

و هكذا المعهود من دأبهم الأخذ برواية الثقة الثبت، في مختلف شؤون الدين، في المعارف و الأحكام و التاريخ و التفسير جميعاً و من غير فرق.



نعم، هناك من أخذ من كلام المفيد، بأن لا تعبد في غير التكليف، مستنداً لرفض

١. رجال الكافي: ج ٢، ص ٨١٦ في ترجمة أحمد بن هلال العبرثاني، رقم ١٠٢٠.

٢. راجع: الكافي الشريف، ج ١، ص ٣٢٩-٣٣٠.

٣. الكافي الشريف، ج ١، ص ٣٢٩-٣٣٠، كتاب الحجّة، باب تسمية من رآه، رقم ١.

حجّية خبر الواحد في مجال التفسير، حيث المطلوب فيه هو فهم المعاني، وهو من باب العلم ولا مساس له بالعمل فيما سوى آيات الأحكام.

وبذلك فسّر كثير من الأصوليين الحجّية التعبّدية في باب الأمارات والدلائل الظنيّة، ومنها خبر الواحد، بالتجنّز والتعدّر تعبّداً، ولا مجال له في غير التكاليف.

ومن ثمّ قالوا - في مسألة الإخبار مع الوساطة - بضرورة كون المُخبر به ذا أثر شرعيّ حتّى يشمل له دليل الحجّية التعبّدية^٢.

وهكذا ذهب العلامة الطباطبائيّ إلى عدم حجّية خبر الواحد في باب التفسير، استناداً إلى ما ذكره علماء الأصول. قال: الذي استقرّ عليه النظر اليوم في المسألة، أنّ الخبر إذا كان متواتراً أو محفوظاً بقرينة قطعية فهو حجة، وأمّا غير ذلك فلا حجّية فيه، ما سوى الأخبار الواردة بشأن الأحكام الشرعية الفرعية، إذا كان الخبر موثوق الصدور.. قال: وذلك أنّ الحجّية الشرعية (التعبّدية) من الاعتبار العقلانية، فتتبع وجود أثر شرعيّ في المورد ليقبل الجعل والاعتبار الشرعيّ. أمّا القضايا التاريخية والأمور الاعتقادية، فلا معنى لجعل الحجّية فيها، لعدم أثر شرعيّ.. قال: ولا معنى لحكم الشارع بكون غير العلم علماً وإلزام المكلفين بالتعبّد به^٣.

وهذا الذي نفاه أخيراً، قد أثبتته سيّدنا الأستاذ الخوئيّ ومن قبله شيخه المحقّق النائينيّ وغيرهما من أعلام الأصوليين.

أمّا المحقّق النائينيّ فإنّه يرى من تفسير الحجّية في باب الأمارات هو: اعتبار كاشفيّتها وجعلها دلائل علميّة، حسب اعتبار العقلاء عرفياً، وليس تعبّدياً محضاً. إنّه يرى في باب الطرق والأمارات، أنّ المجعول (الذي تعلق به الاعتبار والحجّية) هو نفس الكاشفيّة

١. راجع: كفاية الأصول للمحقّق الخراسانيّ، ج ١، ص ٢٧٧.

٢. راجع: أجود الشفريات للإمام الخوئيّ، تقريراً لمباحث المحقّق النائينيّ، ج ٢، ص ١٠٥؛ كفاية الأصول، ج ١، ص ٢٩٧.

٣. راجع: الميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائيّ، ج ١٠، ص ٣٦٥-٣٦٦، ج ٣، ص ٨٧-٨٨، ج ٦، ص ٥٩، ج ١٢، ص ٢٧٨؛ كتابه قرآن در اسلام، ص ٧٠.

و الوسطية في الإثبات، فالمجموع هو الطريقة التامة أي تتميم الكشف، حسب مصطلحهم^١ و هكذا جاء في تقارير سيدنا الأستاذ لمحاضرات شيخه النائيني حرفاً بحرف^٢.

قال سيدنا الأستاذ عند كلامه عن أصول التفسير و تبين مواضع أئمة الدين من التفسير: «لا شبهة في ثبوت قولهم عليه السلام إذا دلّ عليه طريق قطعي لا شك فيه... و هل يثبت بطريق ظنيّ دلّ على اعتباره دليل قطعيّ؟ فيه كلام بين الأعلام:

و قد يشكل في حجّية خبر الواحد الثقة إذا ورد عن المعصومين في تفسير الكتاب، و وجه الإشكال في ذلك: أنّ معنى الحجّية التي ثبتت لخبر الواحد و لغيره من الأدلة الظنيّة، هو وجوب ترتيب الآثار عليه عملاً.. و هذا المعنى لا يتحقّق إلا إذا كان مؤدّي الخبر حكماً شرعياً أو موضوعاً لحكم شرعيّ، و هذا المعنى مفقود في رواية التفسير.

قال: و هذا الإشكال خلاف التحقيق، فإنّنا قد أوضحنا في مباحث الأصول: أنّ معنى الحجّية في الأمانة (الناظرة إلى الواقع، أي التي كان لها جهة كاشفيّة) هو جعلها علماً تعبدياً، في حكم الشارع (أي اعتبر الظنّ الحاصل منها بمنزلة العلم) فيصبح الطريق (الظنيّ) المعتبر فرداً من أفراد العلم، لكنّه تعبداً لا وجداناً. فيترتب عليه جميع ما يترتب على القطع (العلم) من آثار. فيصحّ الإخبار على طبقه كما يصحّ الإخبار طبق العلم الوجدانيّ و لا يكون قولاً بغير علم»^٣.

و عليه فلا فرق في ذلك بين الأخبار المتكفّلة لبيان حكم شرعيّ أو غيره، كما في التفسير بل و سائر شؤون الدين.

و قال - في مباحثه عن حجّية الظنّ -: إن كان الظنّ متعلّقاً بما يجب التباني و عقد القلب عليه و التسليم و الانقياد له، كتفاصيل البرزخ و تفاصيل المعاد و وقائع يوم القيامة و تفاصيل الصراط و الميزان و نحو ذلك ممّا لا تجب معرفته، و إنّما الواجب عقد القلب

١. راجع: فوائد الأصول للمحقّق الكاظمي، تقريراً لمباحث المحقّق النائيني، ج ٣، ص ١٨٠-١٨١.

٢. راجع: البيان للإمام الخوني، ص ٤٢١.

٣. أجود التقريرات، ج ٢، ص ١٠٥.

عليه والانقياد له على تقدير إخبار النبي ﷺ، فإن كان المتعلق بهذه الأمور من الظنون الخاصة (الثابتة حجيتها بغير دليل الانسداد) فهو حجة، بمعنى أنه لا مانع من الالتزام بمتعلقه و عقد القلب عليه، لأنه ثابت بالتعبد الشرعي. بلا فرق بين أن تكون الحجية بمعنى جعل الطريقة - كما اخترناه - أو بمعنى جعل المنجزية و المعدرية - كما اختاره صاحب الكفاية...

و أما الظنّ المتعلق بالأمر التكوينية أو التاريخية، كالظنّ بأنّ تحت الأرض كذا أو فوق السماء كذا، و الظنّ بأحوال أهل القرون الماضية و كيفية حياتهم و نحو ذلك، فإن كان الظنّ من الظنون الخاصة، فلا بدّ من التفصيل بين مسلكنا و مسلك صاحب الكفاية، فإنه على مسلكنا من أنّ معنى الحجية جعل غير العلم علماً بالتعبد، يكون الظنّ المذكور حجة، باعتبار أثر واحد و هو جواز الإخبار بمتعلقه. فإذا قام ظنّ خاصّ على قضية تاريخية أو تكوينية، جاز لنا الإخبار بتلك القضية، بمقتضى حجة الظنّ المذكور، لأنّ جواز الإخبار عن الشيء منوط بالعلم به، و قد علمنا به بالتعبد الشرعي. و هذا بخلاف مسلك صاحب الكفاية... إذ لا أثر شرعياً للموجودات الخارجية أو القضايا التاريخية ليكون الظنّ منجزاً أو معدراً بالنسبة إليه. و أما جواز الإخبار عن شيء فهو فرع العلم به، و المفروض حصول العلم - ولو عن تعبد شرعي - كما تبيننا!

و هذا الذي ذكره سيّدنا الأستاذ - طاب ثراه - في غاية الدقّة و الإتقان، غير أنّ هنا التفاتة يجدر التنبيه لها، و تعود إلى جانب قوله بالتعبد في حجة الأمارات، كما جاء في كلام سائر المشايخ العظام من اعتبارهم حجة خبر الواحد من باب التعبد به شرعياً... و لتسائل: هل هناك تعبد - في منح هذه الحجية لخبر الثقة العدل - أم هي مرافقة مع العرف العام (أعراف العقلاء)؟

و الذي يبدو لنا: أنّ حجة خبر الواحد (الجامع لشرائط الاعتبار) لم تكن مستندة إلى

دليل تَعَبْدِيّ (بأن تَعَبَدْنَا الشارع به) وإِنَّمَا هي سيرة عقلانيّة مشى عليها عرفهم العامّ وجرى معهم الشارع الحكيم في مرافقة رشيدة! فلا تَعَبَدَ هناك - إطلاقاً - كي يلتبس ترتّب أثر عمليّ عليه أو يكون الشارع استهدفه تكليفيّاً! وإِنَّمَا هي مساورة مع أعراف العقلاء في مناهجهم لتنظيم الحياة العامّة، وكان إخبار الثقة الضابط هو أحد أسباب العلم عندهم، فأمضاه الشارع وواكبهم في هذا المنهج الحكيم. وما ورد من آيات وروايات بشأن اعتبار خبر الثقة الأمين، إِنَّمَا هي شواهد على هذا الإمضاء والمرافقة، وفي الحقيقة إنّه إرشاد إلى ذلك الاعتبار العامّ، وليس مجرد تكليف بالتعبّد محضاً..

إذن فلا تَعَبَدَ - بشأن اعتبار خبر الثقة - إطلاقاً، وإِنَّمَا هي مساورة مع العرف العامّ، في الاعتماد على خبر الثقة باعتباره مفيداً للعلم حسب المتعارف وليس مجرد الظنّ غير الموجب للاطمينان... و من ثمّ يرتّبون عليه آثار العلم الوجدانيّ، اللَّهُمَّ إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ بعض دلائل الاتّهام^١، وهكذا اعتبر الشارع مخبر الثقة باعتباره مشياً عقلاً و طريقاً اطمئنانياً ينبغي الركون إليه في الشرعيّات إطلاقاً، كما اعتمده العقلاء في سائر شؤونهم في الحياة من غير فرق، فلا تَعَبَدَ هناك وإِنَّمَا هو ركون إلى عماد وثيق.

١. و هكذا استثنى الشارع إخبار الفاسق: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَلْيَقُ يُدَبِّحُ كَثِيرًا﴾ (الحجرات (٤٩): ٦).

آفات التفسير بالمأثور

علمنا أن التفسير النقلّي يشمل ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن، وما كان تفسيراً للقرآن بالسنة، وما كان موقوفاً على الصحابة، أو المرويّ عن التابعين. أما تفسير القرآن بالقرآن بعد وضوح الدلالة، أو بما ثبت من السنة الصحيحة فذلك ممّا لا خلاف فيه ولا شكّ يعتره؛ لأنّه من أحسن الطرق إلى فهم معاني كلامه تعالى، وأمتها وأتقنها.

وأما ما أضيف إلى النبيّ ﷺ أو إلى أحد الأئمة الأطهار، وكان في سنده ضعف أو في متنه وهن، فذلك مردود غير مقبول، مادام لم تصحّ نسبته إلى المعصوم.

وأما تفسير القرآن بالمرويّ عن الصحابة والتابعين، فقد تسرّب إليه الخلل، وتطرّق إليه الضعف والوهن الكثير، إلى حدّ كاد يُفقدنا الثقة بكلّ ما روي من ذلك - كما قال الأستاذ الذهبي^١ - حيث وفرة أسباب الضعف والوهن في ذلك الخضمّ من المرويّات، في كتب التفسير المعزّوة إلى الصحابة والتابعين. وقد خلط سليمها بسقيمها؛ بحيث خفي وجه الصواب.

ولقد كانت كثرة المرويّ من ذلك كثرةً جاوزت الحدّ، وبخاصّة ما إذا وجدنا التناقض وتضارب الأقوال، وكثيراً ما تضادّ ما نُسب إلى شخص واحد، كالمرويّات عن ابن

عبّاس، كان ذلك من أكبر عوامل زوال الثقة بها أو بالأكثرية الساحقة منها، الأمر الذي يستدعي التثبت لديها، وإمعان النظر والبحث و التمحيص.

هذا الإمام أحمد بن حنبل يصرّح بأنه لم يثبت في التفسير شيء. يقول: ثلاث كتب لا أصل لها: المغازي، و الملاحم، و التفسير. قال المحققون من أصحابه: مراده أنّ الغالب أنّه ليس لها أسانيد صحاح متصلة^١.

و هذا الإمام محمد بن إدريس الشافعي يقول: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلاّ شبيه بمائة حديث^٢. مراده: عدم صحّة الإسناد إليه في الكثير من الروايات عنه. و هذا الكلام، وإن كان مبالغاً فيه، إلاّ أنّه يدلّنا على مبلغ ما دخل في التفسير النقليّ من الروايات المكذوبة المصطنعة، فضلاً عن الضعاف و المراسيل.

و على أيّ تقدير فأسباب الوهن في التفسير النقليّ تعود إلى الأمور الثلاثة التالية:
أولاً: ضعف الأسانيد و إرسالها أو حذفها رأساً؛ ممّا يوجب القرح في التفسير بالمأثور.

و ثانياً: كثرة الوضع و الدسّ و التزوير في الحديث و التفسير، بما أوجب زوال الثقة به.
و ثالثاً: وفرة الإسرائيليات في التفسير و التاريخ بما شوّه وجه التفسير.
و لتتكلّم عن هذه الأمور الثلاثة في شيء من التوضيح:

١. ضعف الأسانيد

ممّا أوجب الوهن في وجه التفسير النقليّ، ضعف الأسانيد بكثرة المجاهيل أو ضعف الحال أو الإرسال أو حذف الإسناد رأساً، و ما إلى ذلك ممّا يوجب ضعف الطريق في الحديث المأثور.

هذا إذا كنّا نرافق علماء الأصول -أصول الفقه- في أساليبهم في توثيق الأسانيد أو تضعيفها، و جرينا معهم على غرار ما يجري في فقه الأحكام، و ملاحظة شرائط

استنباطها من دلائل الكتاب و السنة. فإن كانت الشرائط هناك تجري هنا - في باب التفسير - أيضاً، كانت نفس الأساليب واجبة الاتباع، غير أن باب التفسير يختلف عن الفقه اختلافاً في الجذور.

الفقه: استنباط أحكام و تكاليف ترجع إلى عمل المكلفين، إما فعلاً أو تركاً، إلزاماً أو رجحاناً. فلا بد للفقهاء من أن يستوثق في الاستنباط، و يبني الفروع على أصول متينة. والاستيثاق و الاطمئنان إنما يحصلان بحصول الظنّ الغالب المعبر شرعاً و عقلاً؛ فيجب عليه أتباعه، و إن لم يحصل له القطع و اليقين؛ لأنّ ظنّه هذا حجة معتبرة.

أما التفسير - و كذا التاريخ - فليس الأمر كذلك؛ حيث طريق الاستيثاق و الحجية تختلف أساليبه عن أساليب الفقه. إذ لا حجة تعبدية هنا، كما كانت حجة تعبدية هناك. فإن دليل التعبد قاصر الشمول هنا؛ إذ لا عمل يوجب التعبد فيه. إنما هو عقيدة و ركون نفس، إن حصلت أسبابه حصل، و إلا فلا، و لا معنى للتعبد في العقيدة و الرأي أو في وقوع حادثة أو عدم وقوعها.

مثلاً: لا معنى للتعبد بأن تفسير الآية الفلانية كذا؛ إذ التفسير: كشف القناع عن وجه اللفظ المبهم، فإن ارتفع الإبهام و انكشف المعنى، أصبح موضع القبول و الإذعان به، و إن لم يرتفع الإبهام، فلا موضع للقبول و الإذعان تعبداً محضاً.

و هذا نظير الأحداث التاريخية، إنما يُدعى بها إذا حصل الاطمئنان الشخصي بوقوعها من أي سبب كان، و لا يمكن التعبد بوقوع حدث تاريخي إطلاقاً.

و هذا معنى قولهم: لا اعتبار بالخبر الواحد في باب التفسير و التاريخ و العقائد؛ إذ لا يوجب علماً و لا عملاً، حيث المطلوب في هذه الأبواب هو العلم، الذي لا يحصل بخبر الواحد بمجردّه، كما لا عمل - فعلاً أو تركاً - هنا، كي يستدعي الخبر الواحد التعبد به. و من ثمّ اختصّ باب التعبد في اعتبار الخبر الواحد بالفقه؛ حيث العمل هناك محضاً.

إذن فما قيمة الحديث - الخبر الواحد - في باب التفسير و كذا التاريخ؟ الأمر الذي يجب الإمعان فيه: قيمة الخبر الواحد في باب التفسير و التاريخ إنما هي بملاحظة المتن

الوارد فيه، دون مجرد السند. فإن كان مضمون الخبر - وهو محتوى الحديث الوارد - ما يعالج دفع مشكلة إيهام في الأمر، فنفس المتن شاهد على صدقه، وإلا فلا دليل على التعبد به.

فالحديث المأثور عن الرسول ﷺ أو عن أحد الأئمة عليهم السلام أو أحد الصحابة العلماء أو التابعين الكبار، إن كان يزيد في معرفة أو يرفع من إيهام في اللفظ أو المعنى فهو شاهد صدقه؛ ذلك أنهم أعرّف بمواضع النزول وأقرب تناولاً فيه؛ حيث قرب عهدهم به، أو أنهم حضروا الحادثة فنقلوها.

و للعقلاء طريقتهم في قبول خبر الثقة بل من لم يظهر فسقه علانية فيعتمدونه؛ وعليه جاء قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^١، فقد أقرّ العقلاء على قبولهم للنبأ ما لم يكن الآتي به متجاهراً بالفسق، ممن لا يتورّع الكذب، ولا يخاف الله في سرّه وعلانيته.

فمن عُرف بالصدق والأمانة قُبِلَ نبؤه، ومن عُرف بالكذب والخيانة تُرِكَ، ومن كان مجهولاً تَرَيَّنَا، فإن ظهرت منه دلائل الصدق قبلناه وإلا رفضناه.

إذن فشرط قبول الخبر احتفاهه بقرائن الصدق: من وجوده في أصل معتبر، وكون الراوي معروفاً بالصدق والأمانة، وعلى الأقلّ غير معروف بالكذب والخيانة، وسلامة المتن واستقامته، ممّا يزيد علماً أو يزيل شكاً. وأن لا يخالف معقولاً أو منقولاً ثابتاً في الدين والشريعة، الأمر الذي إذا توقّف في حديث أوجب الاطمئنان به وإمكان ركون النفس إليه؛ وعليه فلا يضرّه حتّى الإرسال في السند إن وجدت سائر شرائط القبول.

٢. الوضع في التفسير

كان الوضع و التزوير من أهمّ أسباب الوهن في التفسير المأثور. فقد كانت الدواعي متوفرة للدسّ و الاختلاق في المأثور من التفسير، إلى جنب الوضع في الحديث، فهناك

أسباب سياسية وأخرى مذهبية وكلامية، وربما عاطفية، كانت عن قصور النظر لا عن سوء نية. والعمدة أن القرآن كان المحور الأساسي الذي يدور عليه رحى الدين والسياسة والسلوك آنذاك، فلا بد لكل منتحلي مسلك من المسالك أن يتشبهت بعري القرآن، ويجعل من آياته الكريمة وسيلة ناجعة، لبلوغ أهدافه إن خيراً وإن شراً، الأمر الذي جعل من سوق الكذب والتزوير في التفسير والحديث رائجة ذلك العهد.

وقد بُدئ ذلك على يد معاوية، حيث كان يجعل الجعائل على وضع الحديث أو قلبه تمشية لسياسته الغاشمة ذلك الحين^١، وراج ذلك طول عهد الأمويين وبعدهم العباسيين؛ حيث أخذ بالتوسّع والاطراد.

قال الأستاذ الذهبي: وكان مبدأ ظهور الوضع في سنة إحدى وأربعين بعد وفاة الإمام أمير المؤمنين حين اختلف المسلمون سياسياً، وتفرّقوا شيعاً، ووجد من أهل البدع والأهواء من روجوا لبدعهم وتعصّبوا لأهوائهم. ودخل في الإسلام من تبطن الكفر والتحف الإسلام بقصد الكيد له وتضليل أهله. فوضعوا ما وضعوا من روايات باطلة ليصلوا بها إلى أغراضهم السيئة ورجباتهم الخبيثة^٢.

قال الأستاذ أبو رية: وقد أجمع الباحثون والعلماء المحققون، على أن نشأة الاختراع في الرواية ووضع الحديث على رسول الله ﷺ إنما كان في أواخر عهد عثمان وبعد الفتنة التي أودت بحياته، ثم اشتدّ الاختراع واستفاض بعد مبايعة الإمام أمير المؤمنين ﷺ فإنه ما كاد المسلمون يبايعونه بيعة تامّة، حتى ذرّ قرنُ الشيطان الأموي ليغتصب الخلافة من صاحبها، ويجعلها حكماً أمويّاً. وقد كان وأسفاه!^٣

وفي ذلك يقول الإمام الشيخ محمد عبده: وتوالت الأحداث بعد الفتنة الكبرى، ونقض بعض المبايعين للخليفة الرابع الإمام أمير المؤمنين ﷺ ما عقدوا، وكانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الأمويين! غير أن بناء الجماعة قد انصدع،

١. راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٦٣. و سيأتي ذلك عند الكلام عن الوضع للسياسة.

٢. أضواء على السنة المحمدية لأبي رية، ص ١١٨.

٣. التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٥٨.

وانفصمت عرى الوحدة بينهم، وتفرقت بهم المذاهب في الخلافة، وأخذت الأحزاب في تأييد آرائهم، كلّ ينصر رأيه على رأى خصمه بالقول والعمل، وكانت نشأة الاختراع في الرواية والتأويل، وغلاكلّ قبيل^١.

أهم أسباب الوضع

ذكروا لوضع الحديث و الكذب على رسول الله ﷺ و على أصحابه الخيار و الأئمة الأظهر أسباباً كثيرة، نأتي على أهمّها:

١. ما وضعه الزنادقة اللابسون لباس الإسلام غشاً و نفاقاً، و قصدهم بذلك إفساد الدين و إيقاع الخلاف و الافتراق بين المسلمين. قال حمّاد بن زيد: وضعت الزنادقة أربعة آلاف حديث. قال أبو ريّة: هذا بحسب ما وصل إليه علمه و اختباره في كشف كذبها، و إلاّ فقد أكثر الزنادقة من وضع الأحاديث في أعداد هائلة. فهذا عبد الكريم بن أبي العوجاء - و كان خال معن بن زائدة و ربيب حمّاد بن سلمة، و كان يدسّ الأحاديث في كتب حمّاد - فلما أخذ و أتى به إلى محمّد بن سليمان بن عليّ، فأمر بضرب عنقه لزندقته، فلما أيقن بالقتل قال: و الله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرمّ فيها الحلال و أحلّ فيها الحرام. و لقد فطرتكم في يوم صومكم و صومتمكم في يوم فطركم. فهذا زنديق واحد يضع أربعة آلاف حديث، فكيف بغيره و هم كثيرون. و أيضاً روى حمّاد بن زيد عن جعفر بن سليمان، قال: سمعت المهديّ يقول: أقرّ عندي رجل من الزنادقة أنّه وضع أربع مائة حديث، فهي تجول في أيدي الناس.

كما روى ابن الجوزيّ بإسناده إلى حمّاد بن زيد، يقول: وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ أربعة عشر ألف حديث^٢.

و أخرج جلال الدين السيوطيّ بإسناده إلى ابن مبارك، أنّه قال بشأن حديث فضائل

١. رسالة التوحيد للشيخ محمّد عبده، ص ٧-٨ (ط ١).

٢. الموضوعات لابن الجوزيّ، ج ١، ص ٣٧-٣٨.

٣. أضواء على السنة المحمّدية، ص ١٢١.

السور المعزوة إلى أبي بن كعب: أظنّ الزنادقة وضعته^١؛ وذلك تشويهاً لسمعة القرآن الكريمة.

و ذكر ابن الجوزي أنّ جماعة من الكذّابين ندموا على كذبهم و تنصّلوا من ذلك. فقد حدّث عن أبي شيبة، قال: كنت أطوف بالبيت و رجل من قدامي يقول: اللهم اغفر لي، و ما أراك تفعل! فقلت: يا هذا قنوطك أكثر من ذنبك؟! فقال: دعني، فقلت: أخبرني، فقال: إنّي كذبت على رسول الله ﷺ خمسين حديثاً، و طارت في الناس، ما أقدر أن أردّ منها شيئاً و قال ابن لهيعة: دخلت على شيخ و هو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: وضعت أربع مائة حديث أدرجتها إدراجاً مع الناس، فلا أدري كيف أصنع؟!^٢

* * *

٢. الوضع لنصرة المذاهب في أصول الدين و فروعه. فإنّ المذاهب و الآراء لمّا تشعبت، جعل كلّ فريق يستفرغ ما بوسعه لإثبات مذهبه و دعم عقيدته، لا سيّما بعد ما فُتح باب المجادلة و المناظرة في المذاهب و الآراء. و لم يكن المقصود من ذلك إلاّ إفحام الجانب الآخر مهما بلغ ثمن ذلك، و لو بالحطّ من كرامة الدين.

فقد روى ابن الجوزي بإسناده إلى الدارقطني عن أبي حاتم ابن حبان، قال: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت محمّد بن أحمد بن الجنيد يقول: سمعت عبد الله بن يزيد المعريّ يقول عن رجل من أهل البدع رجع عن بدعته، فجعل يقول: انظروا هذا الحديث ممّن تأخذونه، فإنّا كنّا إذا رأينا رأياً جعلنا له حديثاً.

و بإسناده إلى ابن لهيعة قال: سمعت شيخاً من الخوارج تاب و رجع، و هو يقول: إنّ هذه الأحاديث دين، فانظروا ممّن تأخذون دينكم، فإنّا كنّا إذا هويتنا أمراً صيرناه حديثاً. و عن آخر، قال: كنّا إذا اجتمعنا استحسنا شيئاً جعلناه حديثاً^٣.

قال أبو ريّة: و ليس الوضع لنصرة المذاهب محصوراً في المبتدعة و أهل المذاهب في

١. اللانز المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ج ١، ص ٢٢٧؛ راجع: الموضوعات، ج ١، ص ٢٤١.

٢. المصدر نفسه، ص ٣٨-٣٩.

٣. الموضوعات، ج ١، ص ٤٩.

الأصول، بل إن من أهل السنة المختلفين في الفروع من وضع أحاديث كثيرة لنصرة مذهبه أو تعظيم إمامه.

من ذلك ما رواه الأحناف، قدحاً في الشافعيّ ومدحاً لأبي حنيفة، بإسناد رفعوه إلى أبي هريرة عن النبي ﷺ: «يكون في أمّتي رجل يقال له: محمّد بن إدريس، أضّرّ على أمّتي من إيليس. و يكون في أمّتي رجل يقال له: أبو حنيفة، هو سراج أمّتي».

وقد رواه الخطيب مقتصراً على ما ذكروه في أبي حنيفة، وقال: موضوع وضعه محمّد ابن سعيد المروزيّ البورقيّ، وهكذا حدّث به في بلاد خراسان ثم حدّث به في العراق، وزاد فيه: «و سيكون في أمّتي رجل يقال له: محمّد بن إدريس، فتنته أضّرّ على أمّتي من فتنة إيليس».

قال أبو ريّة: وهذا الإفك ممّا لا يحتاج إلى بيان بطلانه، ومع هذا تجد فقهاء الأحناف المعترين يذكرون في كتبهم الفقهيّة شقّ الحديث الذي يصف أبا حنيفة بأنّه سراج الأئمة ويسكنون إليه، بل يستدلّون به على تعظيم إمامهم على سائر الأئمة.

الأمر الذي اضطرّ الشافعيّة إزاء ذلك أن يضعوا في إمامهم حديثاً يفضّلونه على كلّ إمام، وهذا نصّه: «أكرموا قريشاً فإنّ عالمها يملأ طباق الأرض علماً». وأنصار الإمام مالك لم يلبثوا أن وضعوا في إمامهم هذا الحديث: «يخرج الناس من المشرق إلى المغرب، فلا يجدون أعلم من عالم أهل المدينة». وأحاديث مشابهة وضعوها بهذا الشأن.



هذا فضلاً عن الدسّ والتزوير في الأحاديث لنصرة المذهب.

هذا أبو العباس القرطبيّ - في شرح صحيح مسلم - يقول: أجاز بعض فقهاء أهل الرأي، نسبة الحكم الذي دلّ عليه القياس الجليّ إلى رسول الله ﷺ نسبةً قوليّة. فيقولون في ذلك: قال رسول الله ﷺ: كذا وكذا؛ ولهذا نرى كتبهم مشحونة بأحاديث تشهد متونها

١. أضواء على السنة المحمديّة، ص ١٢٢؛ راجع: الغدير للعلامة الأميني، ج ٥، ص ٢٧٧-٢٨٨ (تجد فصلاً مشعباً بهذه المدسوسات من المناقب و المعكرات).

بأنها موضوعة؛ لأنها تشبه فتاوى الفقهاء، و لا تليق بجزالة كلام سيّد المرسلين، كما لا يقيمون لها أسناداً.

قال أبو شامة في مختصر كتابه المؤمل: ممّا يفعله شيوخ الفقه في الأحاديث النبوية والآثار المروية، كثرة استدلالهم بالأحاديث الضعيفة على ما يذهبون إليه، نصرة لقولهم، و ينقصون في ألفاظ الحديث، و تارة يزيدون فيه. قال: و ما أكثره في كتب أبي المعالي و صاحبه أبي حامد^١.



٣. شدة الترهيب و زيادة الترغيب لأجل هداية الناس. فقد تساهل الوعّاظ و علماء الأخلاق في تصحيح ما يروونه بهذا الشأن، و ربّما تنازل بعضهم فأجاز الاختلاق في ذلك، مادام الغرض هو هداية الناس، و ليس إغواءهم. فقد كان الوضع لله، و برّر بعضهم ذلك بأنّه إنّما كذب لرسول الله و لم يكذب عليه.

يقول أبو رية عن العباد و الصوفية: إنّ رجعت عليهم الأكاذيب و حدّثوا عن غير معرفة و لا بصيرة، فيجب أن لا يعتمد على الأحاديث التي حشيت بها كتب الوعظ و الرقائق و التصوّف، من غير بيان تخريجها و درجتها. و لا يختصّ هذا الحكم بالكتب التي لا يعرف لمؤلّفها قدم في العلم، ككتاب نزهة المجالس المملوء بالأكاذيب في الحديث و غيره. بل إنّ كتب أئمة العلماء ككتاب الإحياء للغزاليّ لا تخلو من الموضوعات الكثيرة^٢. قلت: و هكذا بعض كتب الوعظ و الإرشاد عندنا، ككتاب الأنوار النعمانية للسيّد نعمة الله الجزائريّ، مملوء بالأكاذيب و المخاريق، و مثله كتاب خزائن الجواهر للشيخ علي أكبر النهاوندي فيه من المخاريق الطامّات. و أيضاً كتب المقاتل و المراثي من المتأخّرين، ككتاب محرق القلوب للمولى مهديّ النراقيّ، و كتاب أسرار الشهادة لآقا بن عابد الدربنديّ المملوء بالأكاذيب و الطامّات. و أمثال هذه الكتب كثير مع الأسف، كتبها أيدي

١. أضواء على السنة المحمدية، ص ١٢٢؛ (المختصر، ص ٢١).

٢. أضواء على السنة المحمدية، ص ١٢٢-١٢٣.

أناس ضعاف العقول، ممن تساهلوا في أمر الدين، و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا،
سامحهم الله.

أخرج ابن الجوزي بإسناده إلى محمود بن غيلان قال: سمعت مؤملاً يقول: حدثني
شيخ بفضائل سور القرآن الذي يُروى عن أبي بن كعب. فقلت للشيخ: من حدثك؟ قال:
حدثني رجل بالمدائن و هو حي، فصرت إليه. فقال: حدثني شيخ بواسط و هو حي،
فصرت إليه. فقال: حدثني شيخ بالبصرة، فصرت إليه. فقال: حدثني شيخ بعبادان، فصرت
إليه. فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً فإذا فيه قوم من المتصوفة و معهم شيخ. فقال: هذا الشيخ
حدثني. فقلت: يا شيخ من حدثك؟ فقال: لم يحدثني أحد، و لكننا رأينا الناس قد رغبوا
عن القرآن، فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا وجوههم إلى القرآن^١.

و من ثم قال يحيى بن سعيد القطان: لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث.
و أوله مسلم بأنه يجري الكذب على لسانهم و لا يتعمدون الكذب^٢.

قال القرطبي في التذكار لا التفات لما وضعه الواضعون و اختلقه المختلقون من
الأحاديث الكاذبة و الأخبار الباطلة في فضل سور القرآن، و غير ذلك من فضائل
الأعمال، و قد ارتكبتها جماعة كثيرة وضعوا الحديث حسبة - كما زعموا - يدعون الناس
إلى فضائل الأعمال، كما روي عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي و محمد بن
عكاشة الكرمانى، و أحمد بن عبد الله الجويباري، و غيرهم. قيل لأبي عصمة: من أين لك
عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: إنني رأيت الناس قد
أعرضوا عن القرآن و اشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة و مغازي محمد بن إسحاق، فوضعت هذا
الحديث حسبة!

و قال: قد ذكر الحاكم و غيره من شيوخ المحدثين: أن رجلاً من الزهاد انتدب في وضع
أحاديث في فضل القرآن و سوره. فقيل له: لِمَ فعلت هذا؟ فقال: رأيت الناس زهدوا في

١. الموضوعات، ج ١، ص ٢٤١؛ اللئالي المصنوعة، ج ١، ص ٢٢٧-٢٢٨.

٢. صحيح مسلم (المقدمة): الحديث، ج ١، ص ١٣-١٤، رقم ٤٠.

القرآن فأحببت أن أرغبهم فيه! فقيل له: فإن النبي ﷺ قال: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». فقال: أنا ما كذبت عليه، إنما كذبت له.

قال تحذيراً من الأحاديث الموضوعة: وأعظمهم ضرراً، قوم منسوبون إلى الزهد، وضعوا الحديث حسبة! فيما زعموا، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم وركوناً إليهم، فضلوا وأضلوا.

وهذا ميسرة بن عبد ربّه - كان كذاباً وضاعاً - وضع في فضل قزوين أربعين حديثاً. قال أبو زرعة: كان يقول: إني أحتسب في ذلك. وقال ابن الطباع: قلت لميسرة: من أين جئت بهذه الأحاديث: «من قرأ كذا فله كذا»؟ قال: وضعته أرغب الناس فيه. وقد وصفه جماعة بالزهد.

وهكذا كان الحسن - الراوي عن المسيّب بن واضح - ممن يضع الحديث حسبةً.

وكان نعيم بن حماد يضع الحديث في تقوية السنّة^١.

وكان الهيثم الطائي يقوم عامّة الليل بالصلاة، فإذا أصبح يجلس ويكذب، وأمثاله

كثير من الزهاد كانوا من الوضّاعين حسبة لله فيما زعموا^٢.

قال ابن الجوزي: منهم قوم وضعوا الأحاديث في الترغيب والترهيب؛ ليحثوا الناس

بزعهم على الخير ويزجروهم عن الشرّ. وهذا تعاطٍ على الشريعة، ومضمون فعلهم أن

الشريعة ناقصة تحتاج إلى تتمّة، فقد أتمناها. ثم أسند إلى أبي عبد الله النهاوندي، قال:

قلت لغلام خليل: هذه الأحاديث التي تحدّث بها من الرقائق؟ فقال: وضعناها لترقق بها

قلوب العامة. وكان غلام خليل هذا يتزهدّ ويهجن شهوات الدنيا ويتقوّت البقاء

تصوّفاً. وغلقت أسواق بغداد يوم موته^٣.

١. التذكار للطبري، ص ١٥٥-١٥٦. (الغدير، ج ٥، ص ٢٧٥-٢٧٦)؛ راجع: تفسير القرطبي (المقدمة)، ج ١، ص ٧٨.

٢. راجع: الغدير، ج ٥، ص ٢٦٨ و ٢٦٩.

٣. وقد أفرّد العلامة الأميني فصلاً أورد أسماءهم فيه (المصدر نفسه، ص ٢٧٥-٢٧٧).

٤. الموضوعات، ج ١، ص ٣٩-٤٠.



٤. وضع الحديث تزلفاً لدى الأمراء. كان بعض ضعفاء النفوس من المحدثين الضعيفي الإيمان يتزلفون لدى الأمراء و السلاطين، بوضع أحاديث تروقههم، أو تشيد من شناعاتهم في السياسة و الحكم.

كان الرشيد يعجبه الحمام و اللهب، فأهدي إليه حمام، و عنده أبو البخترى القاضي^١، فقال: روى أبو هريرة عن النبي أنه قال: لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح. فزاد جناح. و قد وضعها تزلفاً لدى الرشيد، فأعطاه جائزة سنينة. و لما خرج قال الرشيد: والله لقد علمت أنه كذاب، و أمر بالحمام أن يذبح. فقيل له: و ما ذنب الحمام؟ قال: من أجله كُذِبَ على رسول الله ﷺ^٢. و حكى ابن الجوزي نظير هذه القصة لغياث بن إبراهيم بمحضر المهدي العبّاسي^٣.

و هكذا حدث الرشيد: أن جعفر بن محمد حدثه عن أبيه: أن جبرائيل نزل على النبي ﷺ و عليه قباء أسود و منطقة. و إنما قال ذلك؛ لأن ذلك كان شعار العبّاسيين. فدخل يحيى بن معين، فقال له: كذبت يا عدوّ الله، و قال للشرطيّة خذوه... فقال فيه المعافي التميمي:

ويل و عول لأبى البخترى إذا توافى الناس في المحشر

من قوله الزور و إعلانه بالكذب في الناس على جعفر

إلى آخر الأبيات، و هي مشهورة. و لما بلغ ابن المهديّ موته قال: الحمد لله الذي أراح المسلمين منه^٤.

و روى ابن الجوزي عن زكريّا بن يحيى الساجي، قال: بلغني أن أبا البخترى دخل

١. أبو البخترى، و هب بن و هب، انتقل من المدينة إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، فولاه القضاء بعسكر المهدي (المحلة المعروفة بالرصافة بالجانب الشرقي من بغداد) ثم عزله و ولّاه القضاء بمدينة الرسول ﷺ بعد بكار بن عبد الله الزبيري، و جعل إليه ولاية حربها، مع القضاء. ثم عزله، فقدم بغداد و أقام بها إلى أن هلك سنة (٢٠٠ هـ).

٢. راجع: تفسير القرطبي (المقدمة)، ج ١، ص ٧٩-٨٠.

٣. لسان الميزان لابن حجر، ج ٦، ص ٢٣٣.

٤. الموضوعات، ج ١، ص ٤٢.

على الرشيد - وهو قاض - و هارون إذ ذاك يطير الحمام، فقال: هل تحفظ في هذا شيئاً؟ فقال: حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: «إن النبي ﷺ كان يطير الحمام». فقال هارون: أخرج عني. ثم قال: لولا أنه رجل من قريش لعزلته.

قال ابن الجوزي: هذا الحديث من عمل أبي البخري، واسمه وهب بن وهب. كان من كبار الوضّاعين^١.

و روى حديث القباء الأسود، قال: لما قدم الرشيد المدينة أعظم أن يرقى منبر النبي ﷺ في قباء أسود و منطقة. فقال أبو البخري: «حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال: نزل جبرئيل على النبي ﷺ و عليه قباء أسود و منطقة، محتجراً فيها بخنجر».

قال يحيى بن معين: وقفت على حلقة أبي البخري و هو يحدث بهذا الحديث، مسنداً عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر. فقلت له: كذبت يا عدوّ الله، على رسول الله. قال: فأخذني الشُرط. فقلت: هذا يزعم أنّ رسول ربّ العالمين نزل على النبي و عليه قباء. فقالوا لي: هذا والله قاصّ كذاب. و أفرجوا عني^٢.

و الأحاديث في أولاد العباس و ملكهم، و لا سيّما الزيّ العبّاسيّ الذي تزيّتا به جبرائيل، كثيرة، أوردها ابن الجوزي في موضوعاته و فنّدها خير تفنيد فراجع^٣.



٥. الوضع نزولاً مع سياسة الطغاة. كان معاوية أوّل من وضع سياسته على وضع الأحاديث و قلبها، تمشياً مع أهدافه المرتدلة، في التغلّب على واقع الإسلام الرفيع. قال الأستاذ أبو ريّة: لا بدّ لنا أن نكشف عن ناحية خطيرة من نواحي الوضع في الحديث، كان لها أثر بعيد في الحياة الإسلاميّة، و لا يزال هذا الأثر يعمل عمله في الأفكار العفنة و العقول المتخلّفة و النفوس المتعصّبة. ذلك أن السياسة قد دخلت في هذا الأمر، و أثرت فيه تأثيراً بالغاً، فسخرته ليؤيّدتها في حكمها، و جعلته من أقوى الدعائم لإقامة

١. الموضوعات، ج ٣، ص ١٢.

٢. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠-٣٧.

٣. المصدر نفسه، ص ٤٧-٤٨.

بنائها.

وقد علا موج هذا الوضع السياسي و طفا ماؤه في عهد معاوية الذي أعان عليه و ساعده بنفوذه و ماله، فلم يقف وُضَاع الحديث عند بيان فضله و الإشادة بذكره، بل أمعنوا في مناصرته، و التعصّب له، حتّى رفَعوا مقام الشام الذي يحكمه إلى درجة لم تبلغها مدينة الرسول ﷺ و لا البلد الحرام الذي ولد فيه. و أسرفوا في ذلك إسرافاً كثيراً، و أكثروا حتّى أُلْفَت في ذلك مصنّفات!

و ذكر ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر الإسكافي: أن معاوية وضع قوماً من الصحابة و قوماً من التابعين، على رواية أخبار قبيحة في عليّ ؑ تقتضي الطعن فيه و البراءة منه، و جعل لهم على ذلك جُعلاً يُرَغَب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه. منهم: أبو هريرة، و عمرو بن العاص، و المغيرة بن شعبة، و من التابعين عروة بن الزبير.

روى الزهري أنّ عروة بن الزبير حدّثه، قال: حدّثتني عائشة، قالت: كنت عند رسول الله ﷺ إذ أقبل العباس و عليّ. فقال: يا عائشة، إن هذين يموتان على غير ملّتي - أو قال - غير ديني.

و في حديث آخر عنه، قال: حدّثتني عائشة، قالت: كنت عند النبي ﷺ إذ أقبل العباس و عليّ، فقال: يا عائشة، إن سرّك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار، فانظري إلى هذين قد طلعا.

و أما عمرو بن العاص فقد أخرج عنه البخاريّ و مسلم بإسناد متّصل إليه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء. إنّما وليّ الله و صالح المؤمنين». و أمّا أبو هريرة فروي عنه الحديث الذي معناه: أن عليّاً ؑ خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله ﷺ فأسخطه، فخطب، و قال: لاها الله، لا تجتمع ابنة وليّ الله و ابنة عدوّ الله أبي جهل، إنّ فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها. فإن كان عليّ يريد ابنة أبي جهل

فليفارق ابنتي، وليفعل ما يريد.

و أيضاً روى أبو جعفر عن الأعمش قال: لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة^١، جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلته مراراً، وقال: يا أهل العراق، أتزعمون أنني أكذب على الله وعلى رسوله^٢ وأحرق نفسي بالنار! والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَرَمًا، وَإِنَّ حَرَمِي بِالْمَدِينَةِ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ. فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، وأشهد أن علياً أحدث فيها. فلما بلغ معاوية قوله أجازاه وأكرمه وولاه إمارة المدينة^٣.

و أيضاً روى عن شيخه أبي جعفر: أن معاوية بذل لسرة بن جندب -الرجل الوقح- مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُجِيبُ الْفَسَادَ»^٤ وأن الآية الأخرى نزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ»^٥ فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاث مائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربع مائة ألف قبل، وروى ذلك^٦.

نعم، كان معاوية يرى لنفسه ما يضاهاه به علياً في مثل مقامه ومرتبته، ومن ثم كان

١. هو العام الذي نزل فيه الإمام السبط الأكبر عن الحكم لمعاوية الطاغية، حقناً لدماء المسلمين سنة (٤١ هـ).
وسمّوه عام الجماعة. قال أبو رتبة: وهو في الحقيقة كان عام الضربة (أضواء على هسة المحنكية -سألمش- ص ٢١٦).

٢. قال أبو رتبة: يبدو من هذا القول أن كذب أبي هريرة على النبي كان قد أشتهر من أول يومه حتى عمه الأفاق. لأنه قال ذلك وهو بالعراق، وأن الناس جميعاً كانوا يتحدثون عن هذا الكذب في كل مكان. قلت: وقد كان معروفاً بالكذب قبل ذلك. روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج ٤، ص ٦٧-٦٨). أن عمر ضربه باندرة. وقال له: قد أكثرت من الرواية وأخبرك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ.

٣. راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٦٣-٦٨.

٤. البقرة (٢): ٢٠٧.

٥. البقرة (٢): ٢٠٤-٢٠٥.

٦. شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٣.

يحاول الانتشال من مقامه الوضع ليتسنى له المقابلة مع مثل أمير المؤمنين عليه السلام فكان يجعل الجعائل للوضع في تفضيله و تفضيل بلاده التي كان يحكمها، و حاضرة ملكه، كان يجهد جهده في ذلك.

قال أبو رية: و معاوية - كما هو معروف - أسلم هو و أبوه يوم فتح مكة، فهو بذلك من الطلقاء. و كان كذلك من المؤلفة قلوبهم الذين كانوا يأخذون ثمناً لإسلامهم. و هو الذي هدم مبدأ الخلافة الرشيدة في الإسلام، فلم تقم لها من بعده إلى اليوم قائمة. و قد اتخذ دمشق حاضرةً لملكه، و قد وضعوا فيه و في تفضيل الشام أحاديث نسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نذكر منها: ما أخرجه الترمذي أن النبي قال لمعاوية: اللهم اجعله هادياً مهدياً. و في حديث آخر أن النبي قال: اللهم علّمه الكتاب و الحساب و قه العذاب - و هناك زيادة: - و أدخله الجنة.

و على كثرة ما جاء في فضائل معاوية من أحاديث لا أصل لها، فإن إسحاق بن راهويه و هو الإمام الكبير و شيخ البخاري قد قال: إنه لم يصح في فضائل معاوية شيء^١. و للعلامة الأميني هنا مقال ضاف بشأن المغالاة في فضائل معاوية، و قد أردفها بما ورد في دمه من أحاديث صحاح لا مغمز في إسنادها، جعلنا في غنى عن الكلام فيه هنا، فراجع^٢.

و هكذا ذكر الأستاذ أبو رية: أن إشادة كهان اليهود - يريد كعباً و أذنا به - إلى أن ملك النبي سيكون بالشام إنما هو لأمر خبي في أنفسهم. و قد تبين أن الشام ما كان لينال من الإشادة بذكره و الثناء عليه، إلا لقيام دولة بني أمية فيه، تلك الدولة التي قلبت الحكم من خلافة عادلة إلى ملك عضوض، و التي تحت كنفها و في أيامها نشأت الفرق الإسلامية التي فتت في عضد الدولة الإسلامية و مزقتها تمزيقاً، و استفاض فيها وضع الحديث. فكان جديراً بكهنة اليهود أن ينتهزوا هذه الفرصة و ينفخوا في نار الفتنة، و يمدّوها

٢. الغدير، ج ١٠، ص ١٣٨، فما بعد.

١. أضواء على السنة المحمدية، ص ١٢٨.

بجيوش الأكاذيب والكيد. وكان من هذه الأكاذيب أن بالغوا في مدح الشام وأهله، وأن الخير كل الخير فيه، والشّر كل الشّر في غيره^١.

وَمَا قَالَ هُوَ لَاءِ الْكُهْنَةِ بِهَذَا الشَّانِ: إِنَّ مُلْكَ النَّبِيِّ سَيَكُونُ بِالشَّامِ، رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - تَلْمِيزُ كَعْبٍ - مَرْفُوعاً: الْخِلَافَةُ بِالْمَدِينَةِ وَالْمُلْكُ بِالشَّامِ. وَعَنْ كَعْبٍ: أَهْلُ الشَّامِ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ يَنْتَقِمُ اللَّهُ بِهِمْ مَعَنَ عِصَاهِ.

وَمِنْ حَدِيثٍ: سَتَفْتَحُ عَلَيْكُمْ الشَّامَ، فَإِذَا خُيِّرْتُمُ الْمَنَازِلَ فِيهَا فَلِعَلَّكُمْ بِمَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: «دَمَشَقٌ» - وَهِيَ حَاضِرَةُ الْأُمُويِّينَ - فَإِنَّهَا مَعْقَلُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَلْحَمِ، وَفَسْطَاطُهَا مِنْهَا بِأَرْضِ يُقَالُ لَهَا: «الْعَوْطَةُ».

وَقَدْ جَعَلُوا دَمَشَقَ هَذِهِ، هِيَ الرَّبُوعَةُ الَّتِي ذَكَرْتُمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿وَآيِنَاهَا إِلَى رَبُوعَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾^٢ وَذَلِكَ فِي حَدِيثِ مَرْفُوعٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَوَقَدْ جَعَلَهَا أَبُو هُرَيْرَةَ مِنْ مَدَائِنِ الْجَنَّةِ أَيْضاً فِي حَدِيثٍ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ هَذَا نَصُّهُ: «أَرْبَعُ مَدَائِنَ مِنْ مَدَائِنِ الْجَنَّةِ: مَكَّةُ، وَالْمَدِينَةُ، وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَدَمَشَقٌ»^٣.

وَهَكَذَا نَرَى مَعَاوِيَةَ الَّذِي تَعَلَّمَ مِنْ كَعْبٍ كَيْفَ يَضَعُ الْحَدِيثَ، يَصِفُ نَفْسَهُ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَعَدَهُ بِأَنَّهُ سَيَلِي الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ. قَالَ فِي خُطْبَتِهِ لَمَّا عَادَ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ بَيْعَةِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَنَةَ (٤١ هـ): «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّكَ سَتَلِي الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي، فَاخْتَرِ الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ، فَإِنَّ فِيهَا الْأَبْدَالَ»^٤ قَالَ أَبُو رِيَّةَ: وَمَا كَادَ

١. أضواء على السنة المحمدية، ص ١٧٠.

٢. المؤمنون (٢٣): ٥٠.

٣. أضواء على السنة المحمدية، ص ١٢٩.

٤. شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٢. والأبدال، جمع بَدَلٌ أَوْ بَدَلٌ بِمَعْنَى الْخَلْفِ أَوْ الْكَرِيمِ وَالشَّرِيفِ، عُنْوَانٌ يُبَدَلُ عَلَى فَنَةِ خَاصَّةٍ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ ذَوِي مَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ. وَإِذَا مَضَى أَحَدُهُمْ إِلَى جِوَارِ رَبِّهِ خَلَفَهُ آخَرٌ مِثْلَهُ. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: هُمُ الْأَوْلِيَاءُ وَالْمُبَادِلُ الْوَاحِدُ يَبْدُلُ كَجَمَلٍ وَأَحْمَالٍ، وَبَدَلٌ كَجَمَلٍ وَأَحْمَالٍ. سَمَّوْا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَلَّمَا مَاتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَبْدَلُ بِآخَرَ... (النهاية لابن أثير، حرف الباء)

وَفِي حَدِيثِ خَالِدِ بْنِ الْهَيْثَمِ الْفَارَسِيِّ عَنِ الرَّضَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَأَلَهُ عَمَّا يَقُولُ النَّاسُ: إِنَّ فِي الْأَرْضِ أَبْدَالَ: فَمَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: صَدَقُوا؛ الْأَبْدَالُ الْأَوْصِيَاءُ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ يَبْدُلُ فِي الْأَرْضِ بَدَلَ الْأَنْبِيَاءِ - أَيْ خَلَفَهُمْ - إِذْ رَفَعَ الْأَنْبِيَاءَ وَخَتَمَهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ (راجع: سفينة البحار، للشيخ عباس القمي، حرف الباء).

معاوية يذكر أنّ الشام أرض الأبدال إلّا و ظهرت أحاديث مرفوعة عن هؤلاء الأبدال و قد أوردتها السيوطي في الجامع الصغير^١.

و بذلك نكشف عن جانب خطير من كيد الدهاء اليهودي للمسلمين و دينهم و ملكهم. ذلك أنّهم لم يكتفوا بما قالوه في الشام بل زادوا على ذلك بأن جعلوا الطائفة الظاهرة على الحقّ تكون في الشام كذلك، و حتّى نزول عيسى الذي قالوا عنه: سيكون بأرضه.

فقد جاء في الصحيحين: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقّ لا يضرهم من خذلهم و لا من خالفهم، حتّى يأتي أمر الله و هم كذلك. روى البخاري: هم بالشام^٢. و في رواية أبي أمامة الباهلي: أنّهم لما سألوا النبيّ قال: بيت المقدس و أكناف بيت المقدس^٣. و في مسلم عن أبي هريرة: أنّ النبيّ قال: لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحقّ حتّى تقوم الساعة. قال أحمد و غيره: هم أهل الشام.

و في كشف الخفاء: أنّ كعب الأبحار قال: أهل الشام سيف من سيوف الله، ينتقم الله بهم من العصاة.

قال أبو ريّة: و لعلّ العصاة هنا هم الذين لا ينضون تحت لواء معاوية، و يتبعون غيره. و غيره هو الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب^٤.

نعم، و جد أهل الحقد على الإسلام في معاوية و الشام أرضيّة خصبة لبذر النفاق و التفريق بين كلمة المسلمين، فعادوا عليّاً^٥ حيث وجدوه المنال الأتمّ لحقيقة الإسلام الناصعة، و أفرغوا عداؤهم له و للإسلام، في قالب الثناء على معاوية و الشام بلد الأبدال،

١. أضواء على السنة المحمدية، ص ١٣٠-١٣١.

٢. جامع البخاري، ج ٤، ص ٢٥٢.

٣. نهاية الإرب للنويري، ج ١، ص ٣٣٣.

٤. أضواء على السنة المحمدية، ص ١٧٠-١٧١. و من طريف ما يُذكر هنا: أنّ رجلاً لقي كعب الأبحار فسلم عليه و دعا له. فسأله كعب: من هو؟ فقال: من أهل الشام. قال: لعلك من الجند الذين يدخلون الجثة منهم سبعون ألفاً بغير حساب. قال الرجل: و من هم؟ قال: أهل دمشق. قال: لست منهم. قال: فليلك من الجند الذين ينظر الله إليهم في كلّ يوم مرتين، قال: و من هم؟ قال: أهل فلسطين. قال الرجل: أنا منهم. و في لفظ: قال: لعلك من الجند الذين يشفع شهدهم بسبعين، قال: و من هم؟ قال: أهل حمص (تاريخ دمشق لابن عساكر، ج ١، ص ٥٧). قال أبو ريّة: و حمص هذه هي البلدة التي دفن فيها جثمان كعب.

فيما اختلقوه.

أخرج ابن الجوزي من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سألت أبي ما تقول في عليّ و معاوية؟ فأطرق، ثم قال: أيش أقول فيهما، أن عليّاً عليه السلام كان كثير الأعداء، ففتّش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل - يريد معاوية - قد حاربه و قاتله فأطروه، كيداً منهم لعليّ عليه السلام ^١.

قال ابن حجر: فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل ممّا لا أصل له. قال: وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة، ليس فيها ما يصحّ من طريق الإسناد. وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما ^٢.

و من طريق الأمر، أن البخاري في كتاب الفضائل نراه عنون الباب الذي خصّه بمعاوية، بقوله: «باب ذكر معاوية»، و لم يجرأ أن يعنونه بلفظة «الفضائل» كما في سائر الأبواب، و بالفعل لم يأت فيه شيئاً مذكوراً ^٣، و هكذا ابن الجوزي ^٤ و غيره. و من ثمّ قال ابن حجر في الشرح: عبّر البخاري في هذه الترجمة بقوله «ذكر» و لم يقل: «فضيلة» و لا «منقبة»، لكون «الفضيلة» لا تؤخذ من حديث الباب ^٥، أي لا تستفاد فضيلة من الحديث الذي ذكره تحت هذه الترجمة، و قد عرفت أنه لم يصحّ فيه حديث.

و روى الذهبي قال: سئل النسائي - و هو بدمشق - عن فضائل معاوية، فقال: ألا يرضى رأساً برأس، حتّى يُفضّل؟! قال الذهبي: فما زالوا يدافعونه حتّى أخرج من المسجد، و حمل إلى مكة، فتوفي بها ^٦.



و هكذا استمرّ الحال بعد معاوية ما دامت السلطة الأمويّة قائمة. فهذا هشام بن عبد

٢. فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر، ج ٧، ص ٨١.

٤. الموضوعات، ج ٢، ص ١٥.

١. الموضوعات، ج ٢، ص ٢٤.

٣. جامع البخاري، ج ٥، ص ٣٥.

٥. فتح الباري، ج ٧، ص ٨١.

٦. سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ١٣٢. و هو الذي روى حديث «اللهم لا تُشعب بطنه»، ص ١٢٩.

الملك نراه يفرض على أتباعه و متلمّقيه من علماء ذلك العصر أن يرووا أن الآية: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ نزلت في عليّ عليه السلام فأقرّوه على ذلك^١.



٦. الوضع نزولاً مع رغبة العامّة، و رغبة فيما بأيديهم من حطام الدنيا. و هذه مهنة القصاصين، يقصّون على الناس القصص و الأساطير البائدة و يحدثونهم الغرائب و العجائب، ليستدرّوا ما لديهم من نقود و إعانات و فضول طعام.

و قد كان وضع الحديث لإرضاء الناس و ابتغاء القبول عندهم، و استمالتهم لحضور مجالسهم الوعظيّة، و توسيع حلقاتهم، أمراً رائجاً و لا يزال.

قال القرطبيّ في مقدّمة تفسيره: منهم (من الوضّاع و الكذّابين) قوم من السّؤال و المُكديّن، يقفون في الأسواق و المساجد، فيضعون على رسول الله صلى الله عليه وآله أحاديث بأسانيد صحاح قد حفظوها، فيذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد^٢.

قال ابن الجوزي: هناك قوم شقّ عليهم الحفظ، فضربوا نقد الوقت، و ربّما رأوا أن الحفظ معروف، فأتوا بما يغرب ممّا يحصل مقصودهم، فهؤلاء قسمان، أحدهما: القصاص، و معظم البلاء منهم يجري؛ لأنّهم يزيدون أحاديث تتقف و ترقّق، و الصحاح يقلّ فيها هذا. ثمّ إنّ الحفظ يشقّ عليهم و يتفقّ عدم الدين، و من يحضرهم جهال، فيقولون. و لقد حكى لي فقيهان ثقتان عن بعض قصاص زماننا و كان يظهر النسك و التخشّع، أنّه حكى لهما، قال: يوم عاشوراء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من فعل اليوم كذا فله كذا، و من فعل كذا فله كذا، إلى آخر المجلس. فقالا له: و من أين حفظت هذه الأحاديث؟ فقال: والله ما حفظتها، و لا أعرّفها، بل في وقتي قتلها.

قال: و لا جرم كان القصاص شديدي النعير، ساقطي الجاه، لا يلتفت الناس إليهم، فلا

١. النور (٢٤): ١١.

٢. الموضوعات في الآثار و الأخبار لهاشم معروف الحسنی، ص ١٣٧ و ١٩٩.

٣. تفسير القرطبي، ج ١، ص ٧٩.

لهم دنيا ولا آخرة. وقد صنّف بعض قصاص زماننا كتاباً فذكر فيه: «أن الحسن والحسين دخلا على عمر بن الخطّاب وهو مشغول، فلما فرغ من شغله رفع رأسه فرآهما، فقام فقبلهما، وهب لكل واحد منهما ألفاً، وقال: اجعلاني في حلّ، فما عرفت دخولكما، فرجعا وشكراه بين يدي أبيهما عليّ عليه السلام. فقال عليّ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عمر ابن الخطّاب نور في الإسلام وسراج لأهل الجنّة. فرجعا فحدّثاه. فدعا بدواة وقرطاس وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، حدّثني سيّدا شباب أهل الجنّة عن أبيهما المرتضى عن جدّهما المصطفى أنّه قال: عمر نور الإسلام في الدنيا وسراج أهل الجنّة في الجنّة. وأوصى أن تُجعل في كفنه على صدره، فوُضع. فلما أصبحوا وجدوه على قبره، وفيه: صدق الحسن والحسين وصدق أبوهما وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله: عمر نور الإسلام وسراج أهل الجنّة».

قال ابن الجوزيّ: والعجب بهذا الذي بلغت به الوقاحة إلى أن يضيف مثل هذا. وما كفاه حتّى عرضه على كبار الفقهاء، فكتبوا عليه تصويب ذلك التصنيف. فلا هو عرف أنّ مثل هذا محال ولا هم عرفوا. وهذا جهل متوقّر، علم به أنّه من أجهل الجهال الذين ما شمّوا ريح النقل، ولعلّه قد سمعه من بعض الطرقيين^١.

قال الإمام أحمد بن حنبل: أكذب الناس السوّال والقصاص.

وعن أبي قلابة: ما أمات العلم إلا القصاص.

وكان أبو عبد الرحمان يقول: اتّقوا القصاص^٢.

* * *

وكان الذي أحدث القصص - في المساجد - هو معاوية بن أبي سفيان. فقد أخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن نافع وغيره من أهل العلم، قالوا: إنّما القصص محدث أحدثه معاوية حين كانت الفتنة^٣.

٢. أضواء على السنة المحنّدة، ص ١٢٤.

١. الموضوعات، ج ١، ص ٤٤-٤٥.

٣. المصدر نفسه.

لكن سيوافيك في قصة الإسرائيليات أنّ القصص في المساجد، حدث في أواخر عهد عمر، حين استجازه تميم الداريّ فأجازه أن يقصّ قائماً في مسجد المدينة^١. وهكذا استمرّ على عهد عثمان، حتّى كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي طرد القصاص من المساجد على عهده^٢، الأمر الذي قد أصرّ معاوية على تدوامه في المساجد، منذ أن أجازه عمر بن الخطّاب.

وكان الذي أشاع القصّ في المساجد هو كعب الأحبار؛ حيث انتهب الفرصة أيام الفتنة لبثّ مخاريقه بين المسلمين كيداً بالإسلام؛ وذلك أن وجد من سياسة معاوية إمكان إشاعة أساطيره بين الناس.

كان كعب قد توعدّه عمر بالنفي إلى أرض القردة إذا هو روى إسرائيليّاته أو ما كان يلصقه بالنبيّ صلى الله عليه وآله من أحاديث خرافة (ستوافيك في حقل الإسرائيليات). فلم يجد كعب تلقاء هذا التهديد مناصاً من أن يذعن في غيظ و موجدة، ثم أخذ يسعى في الخفاء لكي يحقّق أغراضه التي أسلم من أجلها. قال أبو ريّة: وما لبث أن أُتيحت له فرصة المؤامرة التي دبّرتها جمعيّة سرّيّة لقتل عمر، فاشترك هو فيها، ونفخ في نارها.

فلما خلا له الجوّ بقتله، أطلق العنان لنفسه لكي يبتّ ما شاء الكيد اليهوديّ أن يبتّ من الخرافات الإسرائيليات التي تشوّه بهاء الدين، يعاونه في ذلك تلاميذه الكبار أمثال: عبد الله بن عمرو بن العاص، و عبد الله بن عمر بن الخطّاب، وأبي هريرة.

و قد درس هذا الكاهن اليهوديّ في ملامح معاوية تحقيق أهدافه وإمكان رواج إسرائيليّاته، فلم يدع تلك الفرصة، و اغتتمها منذ عهد عثمان.

ذلك أنّه لما اشتعلت نيران الفتنة في زمن عثمان و اشتدّ زفيرها، حتّى التهمت عثمان فقتلته و هو في بيته، لم يدع هذا الكاهن الماكر هذه الفرصة تمرّ دون أن يبتهلها، بل أسرع ينفخ في نارها، و يسهم بكيده اليهوديّ فيها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. و قد كان من كيده

في هذه الفتنة أن أرهص بيهوديته بأن الخلافة بعد عثمان ستكون لمعاوية.

فقد روى وكيع عن الأعمش عن أبي صالح: أن الحادي كان يحدو بعثمان يقول:

إِنَّ الْأَمِيرَ بَعْدَهُ عَلِيٌّ وَفِي الزَّبِيرِ خَلْقٌ رَضِيٌّ^١

فقال كعب: بل هو صاحب البغلة الشهباء - يعني معاوية - وكان يراه يركب بغلة، فبلغ ذلك معاوية فأتاه، فقال: يا أبا إسحاق ما تقول هذا؟ وهاهنا عليّ و الزبير وأصحاب محمّد! قال: أنت صاحبها - لعلّه أردف ذلك بقوله: إني وجدت ذلك في التوراة - كما هي عادته.

وقدّر معاوية هذه اليد الجليلة لكعب، وأخذ يغمره بإفضاله.

وقد عُرف من تاريخ هذا الكاهن أنه تحوّل إلى الشام في عهد عثمان، وعاش تحت كنف معاوية، فاستصفاه معاوية لنفسه وجعله من خالصته، لكي يروي من أكاذيبه وإسرائيلياته ما شاء أن يروي في قصصه؛ لتأييده، وتثبيت قوائم دولته.

وقد ذكر ابن حجر العسقلاني بأن معاوية هو الذي أمر كعباً بأن يقصّ في الشام^٢. وهو الذي بثّ أحاديث تفضيل الشام وأهلها، سواء بنفسه أو على يد تلامذته.

أقسام الرّواة

قسّم ابن الجوزي الرواة الذين وقع في حديثهم الموضوع والكذب والمقلوب إلى

خمسة أقسام:

القسم الأول: قوم غلب عليهم الزهد والتّقشّف، فتغلّفوا عن الحفظ والتمييز. ومنهم

من ضاعت كتبه أو احترقت أو دفنها، ثمّ حدّث من حفظه فغلط. فهؤلاء تارة يرفعون المرسل، وتارة يسندون الموقوف، وتارة يقلبون الإسناد، وتارة يدخلون حديثاً في حديث.

١. النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم للمقريزي، ص ٥١.

٢. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ج ٣، ص ٣١٦؛ راجع: أضواء على السنة المحمّدية، ص ١٧٩-١٨١.

و القسم الثاني: قوم لم يعانوا على النقل، فكثرت خطاؤهم و فحش، على نحو ما جرى للقسم الأول.

و القسم الثالث: قوم ثقات لكنهم اختلطت عقولهم في آخر أعمارهم، فخلطوا في الرواية.

و القسم الرابع: قوم متفقلون، فمنهم من كان يُلقن فيتلقن، و منهم من يروي حديثاً فيظنّ أنه سمعه و لم يسمعه، أو يظنّ جواز إسناد ما لم يسمع. و قد قيل لبعضهم: هذه الصحيفة سماعك؟ فقال: لا، و لكن مات الذي رواها فرويتها مكانه. و منهم من كان بعض أولاده يضع له الحديث، فيدوّن و لا يعلم.

و القسم الخامس: قوم تعمّدوا الكذب، و هؤلاء على ثلاثة أصناف:

الصف الأول: قوم رووا الخطأ من غير أن يعلموا أنه خطأ. فلما عرفوا وجه الصواب أنفوا أن يرجعوا، فأصروا على خطائهم، أنفة أن ينسبوا إلى غلط.

و الصف الثاني: قوم رووا عن كذابين و عن ضعفاء يعلمونهم، لكنهم دلّسوا في أسمائهم. فالكذب من أولئك المجروحين، و الخطأ القبيح من هؤلاء المدلّسين.

و الصف الثالث: قوم تعمّدوا الكذب الصريح.

و هؤلاء، منهم الزنادقة، وضعوا الحديث قصداً إلى إفساد الشريعة، و إيقاع الشك في قلوب العامة، و التلاعب بالدين، أمثال: ابن أبي العوجاء و وضع أربعة آلاف حديث. و غيره ممن وضعوا كميات كبيرة، أحلّوا بها الحرام و حرّموا بها الحلال.

و منهم، أصحاب العصبية الجاهلة، كانوا يضعون الحديث نصرة لمذهبهم، و سؤل لهم الشيطان أن ذلك جائز.

و منهم، أهل التصوّف و التقشّف، وضعوا الحديث في الترغيب و التهيب، ليحثّوا الناس -بزعمهم- على فعل الخير و ترك الشرّ، و هذا تعاطف على الشريعة، و مضمون فعلهم أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى تتمّة فقد أتمّوها.

و منهم، قوم استجازوا وضع الأسانيد لكلّ كلام حسن، فقد حدّث محمد بن خالد عن

أبيه قال: سمعت محمد بن سعيد يقول: لا بأس إذا كان الكلام حسناً أن تضع له إسناداً. ومنهم قوم وضعوا الحديث تزلفاً إلى سلطان أو نبلاً إلى نوال، كما وضع غياث بن إبراهيم حديث «لا سبق إلا في نصل أو خفّ أو حافر أو جناح» تزلفاً إلى المهديّ، وكان يحبّ الحمام.

ومنهم من كان يضع الحديث جواباً لسائليه ليحظى منزلة رفيعة لديه. ومنهم من كان يضع الحديث لقدح أو مدح في أناس لأغراض مختلفة، كالأحاديث الموضوعية في قدح ومدح الشافعيّ وأبي حنيفة.

ومنهم من كان يضع الغريب من الحديث، استجلاباً لأنظار العامة، كما كان يفعله القصاص؛ ومعظم البلاء منهم يجري، لأنهم يزيدون أحاديث تنقف وترقق، والصاح يقبل فيها هذا. لا جرم كان القصاص شديدي التعير ساقطي الجاه، لا التفات إليهم، ليست لهم دنيا ولا آخرة.

ومن هؤلاء القصاص شحاذون، يضعون الحديث ويسندونه إلى من شاؤوا، ولا سيما من كان معروفاً لدى العامة بالجاه والقبول.

قال جعفر بن محمد الطيالسي: صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة. فقام بين أيديهم قصاص، فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، قالوا: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، خلق الله كل كلمة منها طيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان...» وأخذ في قصّة نحو عشرين ورقة. فجعل أحمد ينظر إلى يحيى، ويحيى ينظر إلى أحمد، فقال له: أنت حدثته بهذا؟ فقال: والله ما سمعت بهذا إلا الساعة، فلما فرغ من قصصه وأخذ القطيعات، ثمّ قعد ينتظر بقيتها، أشار إليه يحيى بيده أن تعال، فجاء متوهماً النوال. فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. فقال: أنا يحيى وهذا أحمد، ما سمعنا بهذا قطّ في حديث رسول الله ﷺ فإن كان لا بدّ والكذب فعلى غيرنا! فقال له: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم.

قال: لم أزل أسمع أنّ يحيى بن معين أحق، ما تحقّقه إلا الساعة. قال له يحيى: كيف علمت أنّي أحق؟ قال: كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما. قد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل و يحيى بن معين. فوضع أحمد كتمه على وجهه، وقال: دعه يقوم. فقام كالمستهزىء بهما^١.

أقطاب الرّواعين

قال الحافظ أبو عبد الرحمان النسائي - صاحب السنن -: الكذّابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله ﷺ أربعة: ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقديّ ببغداد، ومقاتل ابن سليمان بخراسان، ومحمّد بن سعيد بالشام، يعرف بالمصلوب^٢.

أمّا ابن أبي يحيى، فهو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن أبي يحيى، واسمه سمعان الأسلميّ المدنيّ. روى عن الزهريّ و يحيى بن سعيد الأنصاريّ، و روى عنه الثوريّ والإمام الشافعيّ. رُمي بالقدر والتشيع والكذب قال ابن عديّ: لم أجد لإبراهيم حديثاً منكرًا إلاّ عن شيوخ يُحتملون. وقد حدّث عنه ابن جريج و الثوريّ و الكبار. له كتاب صنّفه في المسانيد أسماء الموطأ أضعاف موطأ مالك، وأحاديثه كثيرة، رواه عنه الشافعيّ بمصر، و كان يُكنّى عنه. و في مسند الشافعيّ عنه أحاديث، و كان يقول عنه: لأنّ يخزّ إبراهيم من بعد، أحبّ إليّ من أن يكذب، و كان ثقة في الحديث. و قال أبو أحمد بن عديّ: سألت أحمد بن محمّد بن سعيد - يعني ابن عقدة - فقلت له: تعلم أحدًا أحسن القول في إبراهيم غير الشافعيّ؟ فقال: نعم، حدثنا أحمد بن يحيى الأوديّ، قال: سمعت حمدان بن الأصهبانيّ، قلت: أتدين بحديث إبراهيم بن أبي يحيى؟ قال: نعم. ثمّ قال لي أحمد بن محمّد بن سعيد: نظرت في حديث إبراهيم كثيرًا و ليس بمنكر الحديث. قال ابن عديّ: وهذا الذي قاله، كما قال. و قد نظرت أنا أيضًا في حديثه الكثير فلم أجد فيه منكرًا إلاّ عن

١. الموضوعات، ج ١، ص ٣٥-٤٦.

٢. ملحق كتابه في الضعفاء و المتروكين للنسائيّ، ص ١٢٣. غير أنّ أغلب من ذكرهم بزّءاء من هذه النسبة على ما سنذكر.

شيوخ يُحتملون، وإِنَّمَا رُوِيَ المنكر من قبل الرواي عنه أو من قبل شيخه. قال: وهو من جملة من يكتب حديثه.

نعم، يقال: إِنَّ الرجل كان يقع في بعض السلف، و من ثم اتُّهم و رُمي بالاعتزال تارة، وبالرفض و التشيع أخرى^١.

في حين أَنَّ الرجل مستقيم لا بأس به، ولا مغمز فيه سوى جانب إخلاصه لأهل البيت و صحبته للأئمة من ذرِّيَةِ الرسول ﷺ، و قد عدّه الشيخ أبو جعفر الطوسي من رجال الإمامين الباقر و الصادق ﷺ. قال: إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى أبو إسحاق مولى أسلم، مدنيّ. روى عن أبي جعفر و أبي عبد الله ﷺ، و كان خاصاً بحدِيثنا، و العامة تضعفه لذلك. ذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه في أسباب تضعيفه عن بعض الناس، أَنَّهُ سمعه ينال من الأوّلين. و ذكر بعض ثقات العامة أَن كتب الواقديّ سائرهما - أي جميعهما - إِنَّمَا هي كتب إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، نقلها الواقديّ و ادّعاها، و لم نعرف منها شيئاً منسوباً إلى إبراهيم. و له كتاب موبّ في الحلال و الحرام عن جعفر بن محمد ﷺ، و للشيخ إليه طريق^٢.



و الواقديّ هو: محمد بن عمر بن واقد الأسلميّ، مولاهم الواقديّ المدنيّ القاضي، صاحب التصانيف و المغازي، العلامة الإمام أبو عبد الله، أحد أوعية العلم على ضعفه. سمع من صغار التابعين، فمن بعدهم بالحجاز و الشام و غير ذلك. و قد اتَّفقوا على تضعيفه غير جماعة، فوثقوه كإبراهيم الحربيّ، قال: الواقديّ أمين الناس على أهل الإسلام، كان أعلم الناس بأمر الإسلام. و قال إبراهيم بن جابر الفقيه: سمعت أبا بكر الصغانيّ - و ذكر الواقديّ - فقال: والله لولا أَنَّهُ عندي ثقة ما حدّثت عنه، قد حدّث عنه أبو بكر بن أبي شيبة، و أبو عبيد، و غيرهما. و لإبراهيم الحربيّ شهادة أخرى قال: سمعت مصعب بن عبد الله

١. راجع: سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٤٥٠، رقم ١١٩: تهذيب التهذيب، ج ١، ص ١٥٨، رقم ٢٨٤.

٢. راجع: الفهرست للشيخ الطوسي، ص ١٦، رقم ٢٤.

يقول: الواقدي ثقة مأمون. و سُئل معن بن عيسى عن الواقدي، فقال: أنا أسأل عن الواقدي؟! الواقدي يُسأل عني! قال الذهبي: و سألت ابن نمير عنه فقال: أما حديثه ها هنا فمستور، و أما حديث أهل المدينة، فهم أعلم به. و عن يزيد بن هارون: الواقدي ثقة. الحري قال: سمعت أبا عبد الله يقول: الواقدي ثقة.

و تجاه ذلك من ضعفه: قال يحيى بن معين: أغرب الواقدي على رسول الله ﷺ عشرين ألف حديث. و قال يونس بن عبد الأعلى: قال لي الشافعي: كُتِبَ الواقدي كَذِبًا. و عن ابن معين: ليس الواقدي بشيء. و قال مرة: لا يُكْتَبُ حديثه. و عن أحمد بن حنبل: الواقدي كَذَّاب.

قال الذهبي: و قد تقرر أنّ الواقدي ضعيف، يُحتاج إليه في الغزوات و التاريخ، أما في الفرائض فلا ينبغي أن يُذكر. فهذه الكتب الستة و مسند أحمد، نراهم يترخصون في إخراج أحاديث أناس ضعفاء، بل و متروكين، و مع هذا لا يُخرجون للواقدي شيئاً. قال: مع أنّ وزنه عندي مع ضعفه أنه يُكْتَبُ حديثه و يُروى، لأنّي لا أتهمه بالوضع، و قول من أهدر فيه مجازفة من بعض الوجوه^١.

قلت: و هذا المنهج الذي انتهجه الذهبي هو الأرجح في النظر؛ لأنّ الرجل رجل التاريخ و السير و المغازي، و ليس من رجال الفقه و الحديث و التفسير. و العمدّة أنّه لم يكن ممتنّ يضع و إن خلط الغثّ بالسمين و الخرز بالدر الثمين، شأن سائر أرباب التاريخ و السير كابن جرير و ابن الاثير و أبي الفداء و غيرهم من أعلام التاريخ. ولد سنة (١٣٠ هـ)، و مات سنة (٢١٧ هـ). ببغداد، و هو قاض بعسكر المهديّ من قبل المأمون.



و مقاتل بن سليمان بن بشير الخراسانيّ الروزيّ. أصله من بلخ و انتقل إلى البصرة، و دخل بغداد و حدّث بها. و كان مشهوراً بتفسير كتاب الله، و له تفسير معروف. أخذ العلم

١. سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٤٥٤-٤٦٩، رقم ١٧٢؛ تاريخ بغداد للخطيب البغداديّ، ج ٣، ص ٢١٣ و غيرهما من أمّهات كتب التراجم.

عن مجاهد و عطاء و الضحّاك و غيرهم من كبار التابعين. و كان من العلماء الأجلّاء. قال الإمام الشافعي: الناس كلّهم عيال على مقاتل بن سليمان في التفسير. و كان تفسيره هذا موضع إعجاب العلماء من أوّل يومه، و قد اتّهمه من لا خلاق له حسداً عليه. قال إبراهيم الحربيّ و قد سئل ما بال الناس يطعنون عليه؟ فقال: حسداً منهم له. و له حديث عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله يدلّ على رفيع منزلته لدى أئمة أهل البيت عليهم السلام. و قد عدّه الشيخ أبو جعفر الطوسيّ من أصحاب الباقر و الصادق عليهم السلام. و قد أتينا على ترجمته - و أنّ الرجل صالح لا مغمز فيه - عند الكلام عن الطرق إلى ابن عباس^١ توفيّ سنة (١٥٠ هـ).

و أمّا محمّد بن سعيد المصلوب، فهو من أهل دمشق، أنّهم بالزندقة فصلبه أبو جعفر. وهو الذي وضع الحديث المرويّ من طريقه، عن حميد عن أنس مرفوعاً: «أنا خاتم النبيّين، لا نبيّ بعدي، إلّا أن يشاء الله» فقد وضع و افترى هذا الاستثناء، تأييداً لمذهبه في الزندقة^٢. ثمّ أخذ يدّعي النبوة^٣. و كان يضع الحديث و يضع الأسانيد. قال: لا بأس إذا كان الكلام حسناً أن تضع له إسناداً. و عن أحمد بن حنبل قال: عمداً، كان يضع الحديث^٤.



و قال ابن الجوزي: و الكذّابون و الوضّاعون خلق كثير، قد جمعت أسماءهم في كتاب الضعفاء و المتروكين. و كان من كبار الكذّابين: وهب بن وهب القاضي، و محمّد بن السائب الكلبيّ^٥، و محمّد بن سعيد الشاميّ المصلوب، و أبو داود النخعيّ، و إسحاق بن نجيح الملقبيّ، و غياث بن إبراهيم النخعيّ، و المغيرة بن سعيد الكوفيّ، و أحمد بن عبد الله الجويباري، و مأمون بن أحمد الهرويّ، و محمّد بن عكاشة الكرمانيّ، و محمّد بن القاسم

١. راجع: تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ١٦٠-١٦٩؛ وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٥٥، رقم ٧٣٣ و غيرهما من أمّهات التراجم.

٢. تفسير القرطبي، ج ١، ص ٧٨.

٣. ميزان الاعتدال للذهبيّ، ج ٣، ص ٥٦١، رقم ٧٥٩٢.

٤. و سنذكر أنّه لا مغمز فيه.

الكانكاني.

و روى بإسناده عن أبي عبد الله محمد بن العباس الضبيّ، قال: سمعت سهل بن السريّ يقول: قد وضع أحمد بن عبد الله الجويباريّ، و محمد بن عكاشة الكرمانيّ، و محمد بن تميم الفارابيّ، على رسول الله ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث^١.

* * *

و للعلامة الأمينيّ فهرس بأسماء الكذابين ممّن كان يكذب على رسول الله ﷺ صريحاً من غير أن يتورّع. أورده في كتابه القيمّ الغدير بعنوان «سلسلة الكذابين والوضّاعين»^٢ ذكر فيها الأهمّ ممّن كان يضع الحديث، و نحن نقتطف منها نماذج:

١. إبراهيم بن الفضل الأصبهانيّ أبو منصور توفّي سنة (٥٣٠ هـ). أحد الحفاظ كذّاب.

كان يقف في سوق أصفهان و يروي من حفظه بسنده، و كان يضع في الحال. قال معمر: رأيت في السوق و قد روى مناكير بأسانيد الصحاح، و كنت أتأمله مفرطاً أظنّ أنّ الشيطان تبدّى على صورته.

٢. إبراهيم بن هدبة البصريّ، كذّاب خبيث حدّث بالأباطيل و وضع على أنس. كان رقاصاً بالبصرة يدعى إلى العرائس فيرقص لهم، و كان يشرب المسكر. بقى إلى سنة (٥٢٠ هـ).

٣. أحمد بن الحسن بن أبان البصريّ من كبار شيوخ الطبرانيّ، كان كذّاباً دجّالاً يضع الحديث على الثقات.

٤. أحمد بن داود، ابن أخت عبد الرزّاق، من أكذب الناس، عامّة أحاديثه مناكير.

٥. أحمد بن عبد الله الشيبانيّ أبو عليّ الجويباريّ، كذّاب، يضع الحديث، دجّال. قال

البيهقيّ: إنّي أعرفه حقّ المعرفة بوضع الأحاديث على رسول الله ﷺ فقد وضع عليه أكثر من ألف حديث. و سمعت الحاكم يقول: هذا كذّاب خبيث، وضع كثيراً في فضائل

الأعمال، لا تحلّ رواية حديثه بوجه. وقال ابن حبان: دجال من الدجاجة، روى عن الأئمة ألاف أحاديث، ما حدّثوا بشيء منها.

٦. أحمد بن عبد الله بن محمد أبو الحسن البكري، كذاب دجال واضع القصص التي لم تكن قطّ، فما أجهله وأقلّ حياءه. قاله الذهبي في ميزان الاعتدال.

٧. أحمد بن عبد الله أبو عبد الرحمان الفاريانيّ. كان وضاعاً مشهوراً.

٨. أحمد بن محمد بن محمد أبو الفتح الغزاليّ الطوسيّ الواعظ المفوه المتوفّي سنة (٥٢٠ هـ)، أخو أبي حامد، كان يضع، والغالب على كلامه التخليط والأحاديث الموضوعية، وكان يتعصّب لإبليس ويعذره.

٩. أحمد بن محمد بن الصلت، وضاع، لم يكن في الكذابين أقلّ حياءً منه.

١٠. أحمد بن محمد بن غالب الباهليّ أبو عبد الله المتوفّي سنة (٢٧٥ هـ)، غلام

الخليل، من كبار الزهاد ببغداد، كذاب وضاع، وكان دجالاً.

١١. إسحاق بن بشر البخاريّ أبو حذيفة المتوفّي سنة (٢٠٦ هـ)، قد أجمعوا على أنّه

كذاب يضع الحديث.

١٢. إسحاق بن ناصح، من أكذب الناس، يحدث عن النبيّ عن ابن سيرين، برأى

أبي حنيفة.

١٣. إسحاق بن نجيح الملقب بالأزديّ، دجال، أكذب الناس، عدوّ الله، رجل سوء،

خبيث، كان يضع الحديث.

١٤. إسحاق بن وهب الطهرمسيّ، كذاب متروك، كان يضع صراحاً.

١٥. إسماعيل بن عليّ بن المثنى الواعظ الأستر آباديّ المتوفّي (٤٤٨ هـ)، كذاب ابن

كذاب، كان يقصّ و يكذب، يركّب المتن الموضوعية على الأسانيد الصحيحة.

١٦. بشير بن نعيم البصريّ المتوفّي (٢٣٨ هـ)، كان ركناً من أركان الكذب، كذاب يضع

الحديث.

١٧. الحسن بن عليّ الأهوازيّ أبو عليّ المتوفّي سنة (٤٤٦ هـ)، كذاب في الحديث

و القراءه، كان من أكذب الناس، صنّف كتاباً أتى بالموضوعات و الفضائح.

١٨. الحسن بن عليّ أبو عليّ النخعيّ المعروف بأبي الأشنان. قال ابن عدّي: رأسته ببغداد يكذب كذباً فاحشاً و يحدث عن قوم لم يرهم، و كان يلزق أحاديث قوم تفرّدوا به، على قوم ليس عندهم.

١٩. الحسن بن عليّ بن زكريّا أبو سعيد العدويّ البصريّ، شيخ قليل الحياء كذاب أفك، يضع الحديث على رسول الله ﷺ و يسرق الحديث، و يلزقه على قوم آخرين، و يحدث عن قوم لا يعرفون، و عامة أحاديثه إلا القليل موضوعات، يتيقّن أنه هو الذي وضعه. كذاب على رسول الله ﷺ يقول عليه ما لم يقله. قال ابن حبان: لعله قد حدّث عن الثقات بالأشياء الموضوعه، ما يزيد على ألف حديث.

٢٠. الحسن بن عماره بن المضرب أبو محمّد الكوفيّ المتوفّي سنة (١٥٣ هـ)، فقيه كبير كذاب ساقط متروك، و كان يضع الحديث. قال شعبه: من أراد أن ينظر إلى أكذب اناس فليتنظر إلى الحسن بن عماره.

٢١. الحسين بن حميد بن ربيع الكوفيّ الخزاز المتوفّي (٢٨٢ هـ)، كذاب ابن كذاب ابن كذاب.

٢٢. الحسين بن محمّد البزريّ المتوفّي سنة (٤٢٣ هـ)، كذاب، أحد المشايخ الأربعة الكذابين ببغداد.

٢٣. حماد بن عمر النصيبيّ. قال يحيى بن معين: إنه من المعروفين بالكذب و وضع الحديث.

٢٤. داود بن المحبّر أبو سليمان البصريّ نزيل بغداد، و المتوفّي بها (٢٠٦ هـ)، كذاب وضاع على الثقات، صاحب مناكير، متروك الحديث.

٢٥. ربيع بن محمود الماردنيّ المتوفّي (٦٥٢ هـ)، دجال مفتر ادّعى الصحبه و التعمير توفّي سنة (٥٩٩ هـ).

٢٦. زكريّا بن يحيى المصريّ أبو يحيى الوكّار المتوفّي (٢٥٤ هـ)، كذاب من الكذابين

الكبار، وكان فقيهاً صاحب حلقة. و من الصلحاء و العباد و الفقهاء.

٢٧. سليمان بن داود البصريّ أبو أيّوب المعروف بالشاذكونيّ المتوفّي (٢٣٤ هـ)، أحد الحفاظ، كذّاب خبيث، كان يضع الحديث في الوقت، و كان يتعاطى المسكر و يتماجن.
 ٢٨. سليمان بن عمرو أبو داود النخعيّ. كان أكذب الناس على رسول الله ﷺ معروف بوضع الحديث، و كان رجلاً صالحاً في الظاهر، إلا أنه كان يضع الحديث ضعاً. قال الخطيب: كان يبغداد رجال يكذبون و يضعون، منهم أبو داود النخعيّ. و قال الحاكم: لست أشكّ في وضعه الحديث على تقشّفه و كثرة عبادته.

٢٩. صالح بن بشير أبو بشر المرّيّ البصريّ، قاصّ كذّاب، متروك الحديث.

٣٠. عامر بن صالح حفيد الزبير بن العوام، كذّاب خبيث، عدوّ الله.

٣١. عبد الله بن الحارث الصنعانيّ، شيخ دجال يضع الحديث ضعاً، حدّث عن عبد الرزّاق بنسخة كلّها موضوعة.

٣٢. عبد الله بن عبد الرحمان الكلبيّ الأسميّ، من أكذب خلق الله، روى بالأباطيل.

٣٣. عبد الله بن علّان بن رزين الخزاعيّ الواسطيّ، كان كذّاباً، كثير الكذب و التزوير.

٣٤. عبد المنعم بن إدريس اليمانيّ المتوفّي (٢٢٨ هـ)، قصاص كذّاب خبيث، يضع

الحديث.

٣٥. كثير بن عبد الله بن عمرو المزنيّ المدنيّ، ركن من أركان الكذب.

٣٦. محمّد بن شجاع أبو عبد الله الثلجيّ الحنفيّ المتوفّي (٢٦٦ هـ)، فقيه العراق في وقته، كان كذّاباً، يضع الحديث في التشبيه. احتال في إبطال الحديث عن رسول الله، و ردّه نصرة لأبي حنيفة و رأيه.

٣٧. محمّد بن محمّد بن عبد الرحمان أبو الفتح الخشاب، كان يُضرب به المثل في الكذب

و التخيلات و وضعها، و كان منهمكاً على الشرب. قال فيه إبراهيم بن عثمان العربيّ:

أوصاه أن ينحت الأخشاب والدّه فلم يطقه و أضحى ينحت الكذبا

٣٨. نوح بن مريم أبو عصمة المروزيّ المتوفّي (١٧٣ هـ)، شيخ كذّاب، كان يضع

الحديث. وضع حديث فضائل القرآن الطويل.

٣٩. هناد بن ابراهيم النسفي، كذاب وضاع، راوية للموضوعات والبلايا. توفي سنة (٤٦٥ هـ).

٤٠. وهب بن وهب القاضي أبو البخترى القرشي المدني، أكذب الناس. توفي سنة (٢٠٠ هـ). كذاب خبيث، دجال عدو الله، كان يضع الحديث وضعاً. وكان عامّة الليل يضع الحديث. قال فيه سويد بن عمرو بن الزبير:

إنّا وجدنا ابن وهب حدّثنا
عن النبي أضاع الدين والورعا
يروى أحاديث من إفك مجمعة
أفّ لوهب و ما روّى و ما جمعا
إلى آخر آيات.

قال ابن عدي: أبو البخترى من الكذابين الوضاعين، وكان يجمع في كلّ حديث يرويه أسانيد من جسارته على الكذب، و وضعه على الثقات.

٤١. يحيى بن هاشم الغساني السمسار أبو زكريا، كذاب، دجال هذه الأمة كان يضع الحديث ويسرقه.

٤٢. أبو المغيرة شيخ، من أكذب الناس وأخبثهم.

* * *

فهؤلاء أكثر من أربعين شيخاً من كبار المحدثين الوضاعين، المعروفين بالكذب والاختلاق، اخترناهم من سبع مائة شيخ كذاب، أوردتهم العلامة الأميني في الغدير. ولعلك تستغرب هذا العدد الهائل من الكذابين على رسول الله ﷺ حيث عدم المبالاة في الفرية في الدين. ولكن لا غرابة فيمن سوّلت له نفسه وأنساه الشيطان ذكر ربّه. فهؤلاء ممن استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِأَبْطِلُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ صدق الله العلي العظيم.

و بعد، فهذا غييض من فيض، احتمله سيل الكذابين ممن اجترأوا على الله واجترحوا السيئات، فشوهوا وجه الحديث عن رسول الله ﷺ. ولقد صدق حيث قوله في خطبته في حجة الوداع: «قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر. فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوه، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به»^١.

فقد زالت النقطة بكتب الحديث من أهل الحشو، مع هذا الخِصَم من الموضوعات المدسوسة في الحديث والتفسير.

أنحاء الموضوعات

كانت الأكاذيب تتنوع حسب تنوع الأسباب الداعية للكذب والاختلاق، فهناك كذب سياسي و آخر تحمس مذهبي أو تعصب جاهلي أو تزلف لدى أمير أو رغبة في جاه أو استمالة للعامّة؛ لغرض استدرار ما لديهم من نقود وقطيعات، وما أشبه ذلك. وقد تكفّلت الكتب المخصّصة لبيان الموضوعات كلّ هذه الجوانب، ورَتَّبَها في فصول وأبواب، ونحن نورد من ذلك أمثلة نموذجية:

فمما وضعت يد السياسة الغاشمة، ما رواه داود بن عقّان عن أنس مرفوعاً: «الأمناء سبعة: اللّوح، والقلم، وإسرافيل، وميكائيل، وجبرائيل، ومحمّد، و معاوية». و داود هذا من الوضّاعين. قال الذهبي: روى عن أنس بنسخة موضوعة. وقال ابن حبان: كان يدور بخراسان ويضع على أنس^٢.

و ذكره ابن كثير في تاريخه (٨: ١٢٠) قال: هذا أنكر من الأحاديث التي قبله، وأضعف إسناداً.

و عن وائلة مرفوعاً: «أنّ الله اتّمن على وحيه جبريل وأنا و معاوية. و كاد أن يبعث معاوية نبياً من كثرة علمه و اتّمانه على كلام ربّي. يغفر الله لمعاوية ذنوبه، و وقاه حسابه،

و علمه كتابه، و جعله هادياً مهدياً، و هدى به».

قال الحاكم: سئل أحمد بن عمر الدمشقي - و كان عالماً بحديث الشام - عن هذا الحديث، فأنكره جداً. أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣٢٢:٧)¹.

* * *

و ممّا وضع تزلفاً لدى الأمراء ما أخرجه الخطيب في تاريخه (٤٨٣:١٣) قال: لمّا قدم الرشيد المدينة، أعظم أن يرقى منبر النبي ﷺ في قباء أسود و منطقة، فقال أبو البخترى: حدّثني جعفر بن محمّد الصادق عن أبيه قال: نزل جبريل على النبي ﷺ و عليه قباء و منطقة، مخنجرأ فيها بخنجر، و في ذلك قال المعافيّ التيميّ:

و يبل و عول لأبي البختريّ	إذا نوى للناس في المحشر
من قوله الزور و إعلانه	بالكذب في الناس على جعفر
و الله ما جالسه ساعة	للفقه في بدو و لا محضر
و لا رآه الناس في دهره	يمرّ بين القبر و المنبر
يا قاتل الله ابن و هب لقد	أعلن بالزور و بالمنكر
يزعم أنّ المصطفى أحمدا	أتاه جبريل التقيّ السريّ
عليه خفّ و قبا أسود	مخنجرأ في الحقو بالخنجر ٢

* * *

ممّا وضع في الفضائل ما أخرجه الخطيب في تاريخه (٩٧:٢) عن أنس قال: لمّا نزلت سورة التّين على رسول الله ﷺ فرح لنا فرحاً شديداً حتّى بان لنا شدة فرحه، فسألنا ابن عباس - بعد ذلك - عن تفسيرها، فقال: أمّا «التّين» فبلاد الشام، «و الزّيتون» فبلاد فلسطين، «و طور سينين» فطور سينا الذي كلّم الله موسى، «و هذا البلد الأمين» فبلد مكة، «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» محمّد، «ثمّ ردّدناه أسفل سافلين» عبّاد اللّات

والعزّي، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أبو بكر و عمر، ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ عثمان، ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ يَا دِينَ﴾ عليّ، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ بعثك فيهم و جمعهم على التقوى.

قال الخطيب: هذا الحديث بهذا الإسناد باطل، لا أصل له يصح فيما نعلم. و ذكر الذهبي في ميزان الاعتدال (٣: ٣٢) أَنَّ الْعَلَّةَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ بِيَّانٍ فَقَدْ رَوَاهُ بِقَلَّةٍ حَيَاءٍ مِنْ اللَّهِ، وَ هَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمَوْضُوعَاتِ^١.

و روى القرطبي في تفسيره مرسلًا رفعه إلى أبيي بن كعب، قال: قرأت على رسول الله ﷺ ﴿وَالصَّبرِ﴾. ثم قلت: ما تفسيرها يا نبي الله؟ قال: ﴿وَالصَّبرِ﴾ قسم من الله أقسم ربكم بأخر النهار، ﴿وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُ خَاسِرٍ﴾ أبو جهل، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أبو بكر، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ عمر، ﴿وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ عثمان، ﴿وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عليّ^٢.

و روى الصفوري في نزهة المجالس قال: قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَ تَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^٣؛ إذا كان يوم القيامة تنصب كراسي من ياقوت أحمر، فيجلس أبو بكر على كرسي، و عمر على كرسي، و عثمان على كرسي، و عليّ على كرسي، ثم يأمر الله الكراسي فتطير بهم إلى تحت العرش، فتسبل عليهم خيمة من ياقوتة بيضاء. ثم يؤتى بأربع كاسات، فأبو بكر يسقي عمر، و عمر يسقي عثمان، و عثمان يسقي عليّ، و عليّ يسقي أبا بكر، ثم يأمر الله جهنم أن تتمخض بأمواجها، فتتذف الروافض على ساحلها، فيكشف الله عن أبصارهم، ينظرون إلى منازل أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: هؤلاء الذين سعد الناس بمتابعتهم و شقينا نحن بمخالفتهم، ثم يُردّون إلى جهنم بحسرة و ندامة^٤.

٢. تفسير القرطبي، ج ٢٠، ص ١٨٠.

١. المصدر نفسه، ص ٣٢٠.

٣. الحجر (١٥): ٤٧.

٤. نزهة المجالس للصفوري، ج ٢، ص ٢١٧؛ راجع: أسباب النزول للواحدي، ص ٢٠٧. و للعلامة الأميني هنا تفنيد لاذع، فراجع: الغدير، ج ١٠، ص ١٣٤-١٣٦.

و أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَرْحَامِ وَدُثْرُ نَجْمِي بِأَعْيُنِنَا﴾ قال: إن نوحاً لما عمل السفينة جاءه جبرئيل بأربعة مسامير مكتوب على كل مسمار «ع»: عين عبد الله، وهو أبو بكر، وعين عمر، وعين عثمان، وعين عليّ، فجرت السفينة ببركتهم^١.
أورد ابن الجوزي بإسناده إلى ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ جاء العباس إلى عليّ، فقال له: قم بنا إلى رسول الله ﷺ، فسألاه عن ذلك. فقال: يا عمّ، إن الله جعل أبا بكر خليفتي عن دين الله ووحيه، فاسمعوا له تفلحوا، وأطيعوا ترشدوا.
وفي حديث آخر: فأطيعوه بعدي تهتدوا، واقتدوا به ترشدوا. قال ابن عباس: ففعلوا فرشدوا.

قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصحّ، ومدار الطريقتين على عمر بن إبراهيم، وهو الكرديّ. قال: الدارقطنيّ: كان كذاباً يضع الحديث.
قال: هكذا روى أبو بكر الجوزقيّ من حديث أبي سعيد عن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: لما عُرج بي إلى السماء، قلت: اللهم اجعل الخليفة من بعدي عليّ بن أبي طالب، فارتجت السماوات، و هتف بي الملائكة من كلّ جانب: يا محمد اقرأ ﴿وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^٢ قد شاء الله أن يكون من بعدك أبو بكر الصديق.
قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، وضعه يوسف بن جعفر، وكان يضع الحديث^٤.

* * *

و مما وضع في المجون و الدجل ما رواه أبو صالح عمرو بن خليف الخناويّ، بإسناد وضعه عن ابن عباس، قال: قال النبيّ ﷺ: أدخلت الجنة فرأيت فيها ذنباً، فقلت: أذنب في الجنة؟! قال: إني أكلت ابن شرطيّ. قال ابن عباس: هذا وإنما أكل ابنه، فلو أكله رُفع في عليّين^٥. قال الأميني: لبت ابن عباس كان يُفصح عن أنّه لو كان أكل مدير الشرطة أين كان

١. نزهة المجالس، ج ٢، ص ٢١٤.

١. الفجر (٥٤): ١٣.

٢. الموضوعات، ج ١، ص ٣١٥-٣١٦.

٣. الإنسان (٧٦): ٣٠.

٤. لسان الميزان لابن حجر، ج ٤، ص ٣٦٣، رقم ١٠٦١.

يُرفع؟! وقد عدّ ذلك من خزايات الخناوي.

وروى محمد بن يزيد بإسناده عن أبي منظور - وكانت له صحبة - قال: لما فتح الله على نبيّه خيبر أصابه من سهمه أربعة أزواج نعال، وأربعة خفاف، وعشرة أواق ذهب وفضّة، وحمار أسود. قال: فكلم النبي ﷺ الحمار، فقال له: ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب، أخرج من نسل جدّي ستون حماراً كلّهم لم يركبه إلا نبي، ولم يبق من نسل جدّي غيري ولا من الأنبياء غيرك، أتوقّع أن تركبني، وقد كنت لرجل من اليهود كنت أعرّبه عمداً. فقال النبي ﷺ: قد سميتك يعفوراً، يا يعفور، أتشتهي الإناث؟ قال: لا. وكان النبي يركبه في حاجة، فإذا نزل بعث به إلى باب الرجل، فيأتي الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار أو ما إليه أن أجب رسول الله ﷺ، فلما قبض رسول الله ﷺ جاء إلى بئر كانت لأبي الهيثم ابن التيهان فتردّي فيها فصارت قبراً له، جزعاً منه على رسول الله ﷺ.

قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، فلعن الله واضعه، فإنّه لم يقصد إلاّ القدح في الإسلام والاستهزاء به. قال أبو حاتم ابن حبان: لا أصل لهذا الحديث، وإسناده ليس بشيء، ولا يجوز الاحتجاج بمحمد بن يزيد.



ومما وضع شيئاً على مقام النبوة، حديث القضيب المشوق:

روى أبو جعفر الصدوق في أماليه بإسناد فيه ضعف، رفعه إلى ابن عباس، قال: لما مرض رسول الله ﷺ قال لبلال: هلمّ عليّ بالناس. فاجتمع الناس، فخرج رسول الله ﷺ متعصباً بعمامته، متوكياً على قوسه حتّى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «معاشر أصحابي، أيّ نبيّ كنت لكم، ألم أجاهد بين أظهركم، ألم تُكسّر رباعيّتي، ألم يُعفر جيبيني، ألم تسلّ الدماء على حرّ وجهي حتّى كنفنت لحيتي، ألم أكابد الشدّة

و الجهد مع جهال قومي، ألم أربط حجر المجاعة على بطني؟

قالوا: بلى يا رسول الله، لقد كنت لله صابراً و على منكر بلاء الله ناهياً، فجزاك الله عناً أفضل الجزاء. قال: و أنتم فجزاكم الله. ثم قال: إن ربِّي ﷻ حكم، و أقسم أن لا يجوزه ظلم ظالم، فناشدتكم بالله، أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة إلا قام فليقتص منه. فالقصاص في دار الدنيا أحب إلي من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة و الأنبياء. فقام إليه رجل من أقصى القوم، يقال له: سودة بن قيس. فقال له: فذاك أبي و أمي يا رسول الله ﷺ أنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك و أنت على ناقتك العضاء، و بيدك القضيب الممشوق، فرفعت القضيب و أنت تريد الراحلة فأصاب بطني، فلا أدري عمداً أو خطأ؟ فقال النبي ﷺ: معاذ الله أن أكون تعمّدت.

ثم قال: يا بلال، قم إلى منزل فاطمة فائتني بالقضيب الممشوق. فخرج بلال، و هو ينادي في سكك المدينة، معاشر الناس، من ذا الذي يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة، فهذا محمد ﷺ يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة. و طرق بلال الباب على فاطمة رضي الله عنها و هو يقول: يا فاطمة قومي فوالدك يريد القضيب الممشوق. فأقبلت فاطمة و هي تقول: يا بلال، و ما يصنع والدي بالقضيب، و ليس هذا يوم القضيب! فقال بلال: يا فاطمة، أما علمت أنّ والدك قد صعد المنبر و هو يودّع أهل الدين و الدنيا، فصاحت فاطمة و قالت: وا غمّاه لغمّك يا أبتاه، من للفقراء و المساكين و ابن السبيل يا حبيب الله و حبيب القلوب. ثم ناولت بلالاً القضيب، فخرج حتّى ناوله رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: أين الشيخ؟ فقال الشيخ: ها أنا ذا يا رسول الله ﷺ بأبي أنت و أمي. فقال: تعال، فاقصص مني حتّى ترضى. فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله، فكشف عن بطنه. فقال الشيخ: بأبي أنت و أمي يا رسول الله ﷺ أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك؟ فأذن له، فقال: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله من النار يوم النار.

فقال رسول الله ﷺ: يا سودة بن قيس، أ تعفو أم تقتص؟ فقال: بل أعفو يا رسول

الله ﷺ. فقال: اللهم اعف عن سودة بن قيس كما عفى عن نبيك محمد^١.

ورواه ابن شهر آشوب في كتاب المناقب مرسلًا^٢.

ورجال إسناد الصدوق في هذا الحديث أكثرهم مجاهيل أو ضعاف، فضلاً عن عدم استقامة المتن على أصول المذهب؛ إذ لا يشرع القصاص في غير العمد، كما لا قصاص في الضرب بالعصا. ولعلّ واضح هذا الحديث غفل عن مباني شريعة القصاص في الإسلام، أو لعله أراد الحطّ من سيّد الأنبياء، في حادثة وضعها على خلاف الشريعة.

* * *

هذا، و سودة بن قيس، مجهول في زمرة أصحاب رسول الله، لم يأت له ذكر في التراجم. نعم، ذكر ابن حجر ما يقارب هذه القصة بشأن سودة بن غزية الأنصاريّ تارة، وبشأن سواد بن عمرو أخرى، وذكر القصة في يوم بدر. كان ﷺ يعدّل الصفوف وفي يده قِدْحٌ (هو السهم قبل أن يراش) فمرّ بسواد بن غزية فطعن في بطنه، فقال: أوجعتني فأقذني، فكشف عن بطنه، فاعتنقه وقبّل بطنه، فدعا له بخير. قال أبو عمر: رويت هذه القصة لسواد بن عمرو. قال ابن حجر: لا يمتنع التعدّد، لا سيّما مع اختلاف السبب. روى عبد الرزّاق عن ابن جريج عن الإمام جعفر بن محمد عن أبيه: أن النبي ﷺ كان يتخطّى بعرجون فأصاب به سواد بن غزية، فذكر القصة، وعن معمر عن رجل عن الحسن نحوه. لكن قال: فأصاب به سودة بن عمرو، وكان يصيب من الخلوف فيها النبي ﷺ، وفيها: فلقية ذات يوم ومع جريدة فطعنه في بطنه، فقال: أقذني يا رسول الله؟ فكشف عن بطنه فقال له: اقتصّ. فألقى الجريدة وطفق يقبّله. قال الحسن: حجه الإسلام^٣.

* * *

و القصة - كما رواه أبو جعفر الصدوق - رواها ابن الجوزيّ بإسناده إلى أبي نعيم الأصبهانيّ، أسنده إلى وهب بن منبه عن جابر بن عبد الله و ابن عباس وذكر القصة بطولها

١. الأملانيّ لأبي جعفر الصدوق، ص ٥٦٧-٥٦٨، المجلس ٩٢، الحديث رقم ٦ (ط نجف).

٢. المناقب لابن شهر آشوب، ج ١، ص ٢٣٤-٢٣٥. ٣. الإصطبة، ج ٢، ص ٩٥-٩٦، رقم ٣٥٨٢.

لكن جاء بدل سودة بن قيس، رجل يقال له: «عكاشة» والقصة أطول مما ذكره الصدوق، وعلى الغرائب أشمل.

قال ابن الجوزي بعد سردها بكمالها: هذا حديث موضوع، كافأ الله من وضعه وقيح من يشين الشريعة بمثل هذا التخليط البارد، والكلام الذي لا يليق بالرسول ﷺ ولا بالصحابة، والمتهم به: عبد المنعم بن إدريس. قال أحمد بن حنبل: كان يكذب على وهب. وقال يحيى: كذاب خبيث^١.

وهكذا ذكر جلال الدين السيوطي القصة في الموضوعات^٢.



٣. الإسرائيليات

إسرائيليات: جمع إسرائيلية، وهي قصة أو أسطورة تُروى عن مصدر إسرائيلي، سواء أكان عن كتاب أو شخص، تنتهي إليه سلسلة إسناد القصة.

والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو لقب يعقوب النبي ﷺ، وإليه تُنسب اليهود، فيقال: بنو إسرائيل، سواء أكانوا منسوبين إليه بالنسب، أو بالإيمان. فكل من آمن باليهودية فهو إسرائيلي، سواء أكان منتسباً إلى أحد الأسباط أم لم يكن^٣.

واللفظة عبرية تعطي معنى: الغلبة على الله؛ حيث القصة الأسطورية في مصارعة يعقوب مع الله ليلة كاملة، وغلَبته عليه عند الصباح^٤.

و«إسرا» بمعنى الغلبة، و«ئيل» بمعنى القدرة الكاملة، لقب الإله، وتلقب به الأصنام أيضاً^٥. فمعنى «إسرائيل»: الغالب على القدرة الكاملة، وهو الله تعالى - في زعمهم -، وقد

١. الموضوعات، ج ١، ص ٢٠١-٢٩٥.

٢. اللئالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعية، ج ١، ص ٢٧٧-٢٨٢.

٣. صرح بهذا التعميم جيمس هاكس في قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٣.

٤. راجع: سفر التكوين، إصحاح ٣٢، عدد ٢٥ «فقال له الله: ما اسمك؟ قال: يعقوب. فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس و قدرت».

٥. قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٣ و ١٤٢.

أصبح لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم؛ لأنّه صار مع الله و غلب عليه. و لفظ «إسرائيليات» وإن كان بظاهره يدلّ على القِصص الذي يُروى أصلاً عن مصادر يهوديّة، يستعمله علماء التفسير و الحديث، و يطلقونه على ما هو أوسع و أشمل من القِصص اليهوديّة. فهو في إصطلاحهم يدلّ على كل ما تطرّق إلى التفسير و الحديث و التاريخ من أساطير قديمة، منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهوديّ أو نصرانيّ أو غيرهما، بل توسّع بعض المفسّرين و المحدثين فعدّوا من الإسرائيليات ما دسّه أعداء الإسلام من اليهود و غيرهم على التفسير و الحديث، من أخبار لا أصل لها حتّى في مصدر قديم. و إنّما هي من صنع أعداء الإسلام، صنعوها بخبث نيّة و سوء طويّة، ثمّ دسّوها على التفسير و الحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين.

و إنّما أُطلق لفظ الإسرائيليات على كلّ ذلك، من باب التغليب للّون اليهوديّ على غيره؛ لأنّ غالب ما يُروى من هذه الخرافات و الأباطيل، يرجع في أصله إلى مصدر يهوديّ؛ و لأنّهم الفئة التي كانت العرب الأوائل و كذا المسلمون في العهد الأوّل يرجعون إليها في الأغلب الأكثر. و اليهود قوم بُهت، و هم أشدّ الناس عداوةً و بغضاً للإسلام و المسلمين، كما قال سبحانه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾^١. و اليهود كانوا أكثر أهل الكتاب صلة بالمسلمين. و ثقافتهم كانت أوسع من ثقافات غيرهم، و حيلهم التي يصلون بها إلى تشويه جمال الإسلام كانت ماكرةً خادعةً، و كان لهم نصيب كبير في هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات الدخيلة. فمن أجل هذا كلّه، غلب اللّون اليهوديّ على غيره من ألوان الدخيل على التفسير و الحديث، و أُطلق عليه كلّه لفظ «الإسرائيليات».

الإسرائيليات في التفسير و الحديث

كانت العرب منذ أوّل يومها تزعم من أهل الكتاب، و لا سيّما اليهود القاطنين بين

أظهرهم، أهل دين و ثقافة و معرفة بشؤون الحياة، و من ثم كانوا يراجعونهم فيما تتوق إليه نفوسهم في معرفة شؤون الخليفة و تواريخ الأمم السالفة و الأنبياء و ما إلى ذلك. و هكذا بعد ظهور الإسلام كانوا يفضلون مراجعة أهل الكتاب في معرفة شؤون الإسلام و الدعوة. و لا سيّما و قد حدا بهم القرآن إلى مسائله أهل الذكر و الكتاب. قال تعالى مخاطباً لهم: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُعْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^١. و هذا من باب ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^٢.

المخاطب، و إن كان هو النبي ﷺ لكن المقصود غيره ممن شك في رسالته، فليراجعوا أهل الكتاب في معرفة سمات نبي الإسلام. و هذا كان في إبان الدعوة؛ حيث كان يُرجى الصدق من أهل الكتاب.

و هكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^٣.

و قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبُرِ﴾^٤.

و قوله: ﴿وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ...﴾^٥. إلى غيرها من آيات، تخاطب المشركين، فيما لو ارتابوا في صحة ما جاء به القرآن، أن يراجعوا أهل الكتاب.

و قد حسب بعض المسلمين الأوائل، أن ذلك تجويز لهم أيضاً في مراجعة اليهود، فيسألوهم عن بعض شؤون الشريعة، و لا سيّما في أصول معارفها و شؤون الخليفة و تاريخ الأنبياء.

٢. يس (٣٦): ٢٢.

١. يونس (١٠): ٩٤.

٤. النحل (١٦): ٤٣.

٣. الأنبياء (٢١): ٧.

٥. الإسراء (١٧): ١٠١.



لكن الأمر لم يستمر على ذلك حتى جاء النهي الصريح عن مراجعة أهل الكتاب؛ وذلك بعد أن عُرف منهم الخبث و اللّؤم في تضليل المسلمين، و تشويه سمعة الإسلام، و تضعيف العقائد.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^١.

﴿بَطَانَةٌ﴾: ما يستبطنه الإنسان من ثيابه التي تلي جسده، أي لا تتخذوا أصحاب سرٍّ من غيركم.

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾، أي لا يقصرون في إفساد ذهنيّاتكم عن الإسلام، و منه الخبل؛ فساد العقل. و رجل مخبّل: فاسد الرأي.

﴿وَدُوا مَا عَنِتُّمْ﴾، أي كانت غاية جهدهم إيقاع العنت بكم. و العنت: المشقة الروحية، و القلق الفكريّ.



و من ثمّ أصدر النبي ﷺ نهيهِ الصريح عن مراجعة أهل الكتاب، بما أنّهم لا يُخلصون النصيحة للمسلمين، و لا يأبهون إن حقاً قالوا أو باطلاً، ما دامت الغاية هي إيقاع الفساد و العنت بين المؤمنين.

فقد أخرج أحمد في مسنده و كذا ابن أبي شيبة و البرّان من حديث مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، قال: إنّ عمر بن الخطّاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه (و في نسخة أحمد: فقرأه النبيّ) فغضب، فقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطّاب؟! و الذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية. لا تسألوهم

عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو يباطل فتصدقوا به. والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني^١.

المتهوك: الذي خاس عقله، فترد في الأمور من غير روية ولا تعقل، كالمتهور غير المبالي.

وهذا اللحن من الخطاب غاية في الاستنكار على صنيع قبيح لا يليق بشأن إنسان عاقل متدبر بصير. فقد وئح عليه السلام عمر في صنيعه هذا، وأنه راجع اليهود في بعض مسائله، وهذا الإسلام ناصع جلي بين يديه يُجيب على جميع مسائل الإنسان في الحياة، لا إيهام فيه ولا قصور.

فقد أبان عليه السلام أن نبي الله موسى عليه السلام لو أدرك هذا الزمان، لكان الواجب نبذ ما لديه، والأخذ بما جاء به نبي الإسلام، فكيف بالمسلمين يراجعون اليهود في مخاريق قديمة العهد، لا وزن لها ولا اعتبار، وأنها مزيج أباطيل قد يوجد في طيها بعض الحقيقة، مما لا يمكن الوثوق من صحتها، ما دامت ضائعة بين الأباطيل.

* * *

وقد عقد البخاري في صحيحه باباً عنونه بقول النبي عليه السلام: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء»^٢. وذكر فيه حديث معاوية عن كعب الأحبار: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب. قوله: «نبلو عليه الكذب»، أي نختبره فنجد في أخباره كذباً. هذا الحديث قاله معاوية عندما حجّ في خلافته^٣.

وروى بإسناده عن أبي هريرة، قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية

١. مسند أحمد، ج ٣، ص ٣٨٧؛ راجع: فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٨١. قال ابن حجر: رجاله موثوقون إلا أن في مجالده ضعفاً... غير أن البخاري قال: إنه صدوق. وقال يعقوب بن سفيان: تكلم الناس فيه وهو صدوق. قال ابن عدي: له عن الشعبي عن جابر أحاديث صالحة. قلت: وهذا الحديث من هذا الطريق الصالح. راجع: تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٤١٤٠.

٢. جامع البخاري، ج ٩، ص ١٣٦ و راجع: ج ٣، ص ٢٣٧.

٣. راجع: فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٨٢.

ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»^١.
أقول: ويل تلك الفئة من المنتحلين بالإسلام، يتركون القرآن العربيّ الفصيح، ويستمعون إلى سفاسف عبرية يفسرها ذوو الأحقاد من أهل الكتاب.
وهذا كان في أخريات حياة النبي ﷺ حيث كان أبو هريرة^٢ ممن يستمع إلى مثل تلك السفاسف، فجاء النهي، والأمر بالإقتناع بما جاء به القرآن.
وروى حديث ابن عباس في الاستنكار لمراجعة بعض المسلمين لأهل الكتاب، وسنذكره.

* * *

هذا، ومع ذلك كان من المسلمين من لم ينته عن مراجعة أهل الكتاب أو النظر في كتبهم ورسائلهم، بُغية الحصول على مطالب كان يزعم افتقادها في أحاديث المسلمين. وقد راجت هذه العادة الجاهلية - التي كانت تضعف حيناً وتقوى حيناً آخر - بعد وفاة النبي ﷺ حيث انسدّ على كثير من الناس باب علم الله المتمثل في شخصية الرسول ﷺ متغافلين عن خلفائه العلماء أبواب علومه الفياضة، ولا سيما باب علم النبي عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ومن كان على حذوه كابن عباس وابن مسعود وأضرابهما، فتركوا السبيل السويّ ولجأوا إلى معوج الطريق.

هذا ابن عباس يناديهم فيقول: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل على رسول الله أحدث^٣، تقرأونه محضاً لم يُسبَّ^٤. وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيّروه وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً

١. جامع البخاري، ج ٩، ص ١٣٦.

٢. لأنّ أبا هريرة أسلم بعد فتح خيبر سنة سبع من الهجرة.

٣. في نسخة: «أحدث الأخبار بالله».

٤. لم يُسبَّ: من الشوب وهو الخلط، أي لم يشبه شيء، كتابة عن عدم الدرس فيه والتحريف، كما كان عليه كتب السالفين.

قليلاً. ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساء لتهم. لا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم^١.

* * *

وكان من الآثار السيئة التي خلقتها مراجعة أهل الكتاب رغم نهى النبي عنها أن خلطت الأكاذيب الإسرائيلية بالتفسير والحديث الوارد عن النبي والخيار من صحابته الأجلاء، فشوهت وجه التفسير، فضلاً عن التاريخ والحديث. وسوف نذكر نماذج من هذا التشويه، ولا سيما في التفسير بالمأثور.

قال ابن خلدون: و صار التفسير على صنفين: تفسير نقلي مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي، وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين، وقد جمع المتقدمون في ذلك وأزوعوا، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود. والسبب في ذلك: أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداءة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تشوق إليه النفوس البشرية، في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإتاما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود، ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الجدثان والملاحم وأمثال ذلك. وهؤلاء مثل كعب الأحبار وهب بن منبه وعبدالله بن سلام وأمثالهم، فامتلت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم. وتساهل المفسرون في مثل ذلك، وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها - كما

١. المصدر نفسه، ج ٩، ص ١٣٦ و ج ٣، ص ٢٣٧. وفي الموضوعين بعض الاختلاف في لفظ الحديث.

قلنا- عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية و لا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بعد صيتهم و عظمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدين و الملة، فتلقيت بالقبول من يومئذ!

هل تجوز مراجعة أهل الكتاب؟

و هل هناك ما يبزر مراجعة أهل الكتاب؟

زعم الكثير من الكتاب المتأخرين - تبريراً لمواقف لفييف من الصحابة الذين صمدوا على الرجوع إليهم، و لا سيما مسلمة أهل الكتاب- أنّ هناك دلائل على الجواز، إمّا في زمن متأخر عن المنع الذي كان في ابتداء الأمر، أو في شؤون لا تمس أحكام الشريعة في مثل القصص و التواريخ، أو فيما لم تمسه يد التحريف و قد توافق مع ما جاء به القرآن الكريم، أو نحو ذلك.

هذا ابن تيمية يذكر عن السدي الكبير (هو أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمان الكوفي توفي سنة ١٢٧ هـ.) أنّه كان في بعض الأحيان ينقل ما يحكى من أقاويل أهل الكتاب، التي أباحها - فيما زعم - رسول الله ﷺ حيث قال: بلغوا عني ولو آية، و حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج، و من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار^٢، رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص. و لهذا كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين^٣ من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما، بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك^٤.

قال: و لكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة

أقسام:

١. المقدمة لابن خلدون، ص ٤٣٩-٤٤٠، آخر الفصل الخامس فيما ذكره بشأن التفسير.

٢. رواه البخاري في باب ما ذكر عن بني إسرائيل من كتاب الأنبياء، ج ٤، ص ٢٠٧.

٣. الزاملة: هي الملقفة، و ربما كانت حمل بعير، و قد فسر أبو شهبة الزاملتين بحمل بعيرين (الإسرائيليات

و الموضوعات، ص ٩٢). ٤. سنأتي على تفسير هذا الحديث بغير ما فهمه هؤلاء.

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدنا مما يشهد له بالصدق.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلانؤمن به ولا نكذبه، وتجاوز حكايته، لما تقدم^١. وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ولهذا اختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً، في مثل أسماء أهل الكهف وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ودينهم. ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز^٢.

ويستدلّ الذهبيّ لجواز مراجعة أهل الكتاب والنقل عنهم فيما لا يخالف الشريعة بآيات، زعم دلالتها على إباحة الرجوع إليهم، قال:

وإذا نحن نظرنا في القرآن الكريم، وجدنا من آياته البينات ما يدعو نبيّ الإسلام وجماعة المسلمين إلى أن يرجعوا إلى علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى ليسألوهم عن بعض الحقائق التي جاءت في كتبهم، وجاء بها الإسلام فأنكروها، أو أغفلوها، ليقم عليهم الحجّة، ولعلّهم يهتدون.

ومن هذه الآيات الدالّة على إباحة رجوع النبيّ ﷺ ومن تبع دينه من المسلمين إلى أهل الكتاب قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَتْلُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^٣، وقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^٤، وقوله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾^٥. قال: ومعناه: واسأل أممهم وعلماء دينهم. قال الفراء مبيّناً وجه المجاز في الآية: هم إنّما يخبرونه عن كتب الرسل، فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء ﷺ، وقوله: ﴿وَاسْأَلْهُم عَنِ الْقِرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً

١. من عدم تصديقهم ولا تكذيبهم فيما يحكونه. ذكر ذلك في ص ١٩ من رسالته.

٢. مقدمة في أصول التفسير، ص ٤٥-٤٦، (المطبعة السلفية)؛ راجع: تفسير ابن كثير (المقدمة)، ج ١، ص ٤.

٣. يونس (١٠): ٩٤.

٤. الأنبياء (٢١): ٧؛ التحل (١٦): ٤٣.

٥. الزخرف (٤٣): ٤٥.

البحر»، و قوله: «فَأَسْأَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ»، و قوله: «سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةِ بَيْتِنَا»^١.

قال: كل ما تقدّم من أمر الله لنبيّه ﷺ بسؤال أهل الكتاب، يدلّ على جواز الرجوع إليهم، ولكن لا في كلّ شيء، بل فيما لم تصل له يد التحريف والتبديل من الحقائق التي تصدّق القرآن وتلزم المعاندين منهم و من غيرهم الحجّة^٢.

قال: و على هذا فما جاء موافقاً لما في شرعنا تجوز روايته، و عليه تحمل الآيات الدالّة على إباحة الرجوع إلى أهل الكتاب، و عليه أيضاً يُحمل قوله ﷺ: «حدّثوا عن بني إسرائيل و لا حرج»؛ إذ المعنى: حدّثوا عنهم بما تعلمون صدقة.

و أمّا ما جاء مخالفاً لما في شرعنا أو كان لا يصدّقه العقل، فلا تجوز روايته؛ لأنّ حديث الإباحة لا يتناول ما كان كذباً. و أمّا ما سكت عنه شرعنا، و لم يكن ما يشهد لصدقه و لا لكذبه و كان محتملاً، فحكمه أن نتوقّف في قبوله فلا نصدّقه و لا نكذّبه؛ و على هذا يُحمل قول النبيّ ﷺ: «لا تصدّقوا أهل الكتاب و لا تكذّبوهم». أمّا روايته فجازر على أنّها مجرد حكاية لما عندهم؛ لأنّها تدخل في عموم الإباحة المفهومة، من قوله ﷺ: «حدّثوا عن بني إسرائيل و لا حرج»^٣.

و أضاف قائلاً: ما ثبت من أنّ بعض الصحابة كأبي هريرة و ابن عبّاس، كانوا يراجعون بعض من أسلم من أهل الكتاب، يسألونهم عمّا في كتبهم، و ما روي من أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما، لا يعارض ما رواه البخاريّ من إنكار ابن عبّاس على من يسأل أهل الكتاب.

و لا ما رواه عبد الرزّاق في مسنده عن ابن مسعود من نهيّه عن سؤال أهل الكتاب بقوله: «لا تسألوا أهل الكتاب، فإنّهم لن يهدوكم و قد أضلّوا أنفسهم».

و لا ما رواه أحمد من إنكار الرسول ﷺ على عمر لما أتاه بكتاب أصابه من بعض

١. الإسرائيليات في التفسير و الحديث، الذهبي، ص ٦٠-٦١؛ الأعراف (٧): ١٦٣؛ الإسراء (١٧): ١٠١؛ البقرة (٢): ٢١١.

٢. المصدر نفسه، ص ٦٤-٦٥.

٣. المصدر نفسه، ص ٦٣.

أهل الكتاب بقوله: «أُمَّتُهُمْ كَوْنٌ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ».

قال: «نعم لا تعارض بين هذا و ذلك؛ لأنّ صحابة الرسول ﷺ كانوا أعرف الناس بأُمور دينهم، و كان لهم منهج سديد و معيار دقيق في قبول ما يُلقى إليهم من الإسرائيليات، ما كانوا يرجعون إليهم في كلّ شيء، و إنّما كانوا يرجعون إليهم لمعرفة بعض جزئيات الحوادث و الأخبار.

قال: أمّا إنكار الرسول ﷺ و إنكار الصحابة على من كان يرجع إليهم، فقد كان في مبدأ الإسلام و قبل استقرار الأحكام، مخافة التشويش على عقائدهم و أفكارهم.^١
قال ابن حجر: «و كأنّ النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية و القواعد الدينية خشية الفتنة. ثمّ لمّا زال المحذور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار»^٢.

مناقشة دلائل الجواز

غير أنّ هذه الدلائل غير وافية بإثبات المطلوب، و لاهي تُبرّر مراجعة أهل الكتاب في شيء من تفسير القرآن الحكيم أو تاريخ الأنبياء ﷺ.

ذلك لأنّ اليهود الذين جاوروا العرب كانوا أهل بادية مثلهم - كما قال ابن خلدون - لا علم لهم و لا تحقيق بمعرفة الصحيح من الأخبار، سوى ما شاع لديهم من أخبار عاميّة ممّا لا يمكن الوثوق بها. أمّا علماءهم فكانوا أهل دجل و تزوير، كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم - كما حكى عنهم القرآن - و يزوّرون الحديث و يقولون: هذا من عند الله، و ما هو من عند الله، ليشتروا به ثمنًا قليلًا، بُغية حطام الدنيا الرذيلة.

و من ثمّ كان المنع من ذلك شديدًا كما عرفت في مناهي النبيّ و أصحابه الكبار عن ذلك، و لم يدلّ على جوازه شيء من الأخبار و الآثار.

أمّا الآيات التي زعموها مبيحةً لذلك، فالاستدلال بها عقيم؛ لأنّها من باب «إيّاك أعني

و اسمعي يا جارة». كان الخطاب في ظاهره مع النبي ﷺ غير أن المقصود غيره من المتشككين في أمر الرسالة، وليسوا هم المسلمين أيضاً، بل الكفار والمنافقون هم المقصودون، بدليل صدر الآية وذيها: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^١.

والعجب من الذهبي كيف يزعم أن هذه الآية جاءت رخصة للنبي في مراجعة أهل الكتاب؟! أو هل يشك النبي فيما أنزل إليه؟! أو هل يمتري النبي في صدق رسالته كي يؤمر بالانتهاه منه؟!

لا شك أن المقصود غيره من الذين كانوا يتشككون في صدق رسالته، ولقد كان المرجع الوحيد الذي يمكن أولئك المتشككين اللجوء إليه هم «أهل الكتاب» الذين جاوروهم، وليس النبي ﷺ بمقصود البتة، ولا المسلمون المعتقدون بصحة الرسالة. وهكذا قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾^٢ خطاب محض موجّه إلى العرب الجاهليين.



أما حديث «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فهو كناية عن التوسّع في تفضيع شأنهم؛ حيث كلّ ما حدّثته عنهم من رذائل وفضائح فهو حق لا مرية فيه؛ حيث توسّعهم في ارتكاب الآثام وركوبهم جميع القبائح المحتملة بشأنهم، كما جاء في المثل: «حدّث عن البحر ولا حرج» كناية عن التوسّع في الأمر، وأنه كلّ ما قلت عنه فهو صحيح. ومنه قولهم بشأن معنى بن زائدة الشيبانيّ وكان من أجواد العرب: «حدّث عن معن ولا حرج»، كناية عن توسّعه في المكرمات، فكلّ ما حدّثت عنه من فضيلة، فهو صدق واقع^٣. فهذا تعبير كنائيّ عن مطلق التوسّع في أمر إن شيئاً أو زيناً، وليس المقصود التحدّث، بمعنى الرواية والنقل عنهم.

٢. النحل (١٦): ٤٣.

١. بونس (١٠): ٩٤.

٣. راجع: مجمع الأمثال للميداني، ج ١، ص ٢٠٧، رقم ١١٠٣؛ فرائد الأدب للأب لوبس معلوف.

ويتأيّد هذا المعنى، بما ورد في لفظ أحمد:

«تحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فإنكم لا تحدّثون عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه»،^١ أي كلّ ما حدّثت عنهم من فضيحة أو رذيلة شائنة، فهو صدق؛ لأنهم أوسع فضاحةً وأكثر رذالةً ممّا يُحتمل بشأنهم.

و في لفظه الآخر:

«حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، وحدّثوا عني ولا تكذبوا».^٢

ففي هذه المقارنة بين التوسّع في الحديث عن بني إسرائيل، والتقيّد لدى الحديث عن رسول الله ﷺ دلالة واضحة على صدق الحديث عنهم مهما كان الحديث، أما عند التحدّث عن رسول الله ﷺ فيجب تحري الصدق، ولئلا يكون كذباً عليه. فإنّه من كذب عليه متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار.

الرأي الحاسم

لا شك أنّ سبر التاريخ ودراسة أحوال الماضين عبرة وعظة لمن اعتبر به وأخذ من متقلّباته متّعظاً له: فيم ربحوا وفيم سبوا!

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^٣.

والتاريخ كتاب العبر لمن أمعن وتدبّر، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أوليس لكم في آثار الأوّلين مُزدَجِر، وفي آباءكم الماضين تبصرة ومُعْتَبَر؟!»^٤.

نعم، كانت دراسة التاريخ ضرورة تربويّة للأجيال، وليؤخذ من تجارب الماضين مشاعل وهاجة لإنارة درب الباقيين، فلا تتكرّر التجربة إذا كانت عنيفة، ولا يعيد التاريخ بمرارتها الأولى، ومن جرّب المجرّب حلّت به الندامة..

وهذا القرآن الكريم يويّخ أهل العمه والترف ممّن سايروا آباءهم من غير دراية... قال

٢. المصدر نفسه، ص ٥٦.

١. مسند أحمد، ج ٣، ص ١٣.

٤. نهج البلاغة، الخطبة: ٩٩.

٣. يونس (١٠): ١٤.

تعالى - ناكراً عنهم هذا:-

﴿قَالَ مُتَرَفُوها إِنَّا وَجَدنا آباءنا على أُمَّةٍ وَإِنَّا على آثارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾^١.

﴿قالوا بل نتبع ما ألّفنا على آباءنا أَوْ لَوْ كان آباؤُهُم لا يَعْقِلُونَ شيئاً ولا يَهْتَدُونَ﴾^٢.

و هكذا وبخ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذا الإغفال وإعفاء تجارب السلف التي قاسها الآباء، قال مؤرخاً هذه الشنعة: «وإنما تسيرون في أثر بين وتتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم»^٣.

إذن فلتكن دراسة التاريخ موضع عظة واعتبار، إذا كانت عن تدبر وإمعان، وبعيدة عن كلّ تعصب مقيت.. الأمر الذي أغفله أحفاد إسرائيل وأذناهم..

* * *

و عليه فالقول الحاسم بشأن مراجعة كتابات السلف من يونان ورومان ومصر واليهود وحتى الفرس والهنود، هو الجواز بل اللزوم، بعد كونها ضرورة لازدهار حضارة الأجيال.. غير أنّ هذه المراجعة لا بدّ أن تكون عن دراسة واعية وتحقيق وإمعان، وبعيدة عن تعصبات أعمى تقليدية يمقتها العقل الرشيد.

و الأمر بشأن مراجعة الكتب الدينية القديمة - وقد أحاط بها هالة من خرافات بائدة - أدعى للحذر والاحتياط، ولا سيّما لو أريد العثور على حقائق وحياتية احتضنها تلكم الكتب وفي طيّها الشيء الكثير.. فلا بدّ من التحري والتدقيق دون التسرع والاسترسال..

ونتيجة على ذلك كانت مراجعة كتب السلف - مهما كانت - ضرورة ثقافية وحياتية شاملة.. أمّا الاستسلام محضاً فلا، وأمّا التحري والتحقيق فنعم..

هذا هو القول الفصل في مراجعة كتب الأسلاف إذا كانت عن وعي وإمعان.. والله من وراء القصد..

٢. البقرة (٢): ١٧٠.

١. الزخرف (٤٣): ٢٣.

٣. نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٣.

أقطاب الروايات الإسرائيلية

عندما نتصفح كتب السير و التفاسير و أخبار الملاحم، نجد أن أكثرية ما يُروى من الإسرائيليات تكاد تدور على أقطاب سبعة، كانوا هم الأساس لشياع الأساطير الإسرائيلية بين المسلمين.

وهم: عبد الله بن سلام، و تميم بن أوس الداري، و كعب الأحبار، و عبد الله بن عمرو ابن العاص، و أبو هريرة، و وهب بن منبه، و محمد بن كعب القرظي، و أضافوا ثامناً هو ابن جريج على ما سنذكر.

و إليك إلمامة قصيرة بحياة هؤلاء الأقطاب:

١. عبد الله بن سلام

اسمه الحصين بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، حليف النوازل من الخزرج، و هم بنو عوف، كان حبراً من أبحار اليهود، فأسلم عند مقدم النبي ﷺ المدينة، و قيل: قبل وفاته بستين، فسماه النبي ﷺ عبد الله. قال ابن حجر: و كان من بني قينقاع^١.

قيل: إنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني قد قرأت القرآن و التوراة. فقال: «اقرأ بهذا ليلة، و بهذا ليلة». قال الإمام شمس الدين الذهبي: إسناده ضعيف^٢. لأن الراوي له هو إبراهيم ابن أبي يحيى الأسلمي، و هو متروك الحديث. و بعضهم اتهمه. قال الأستاذ شعيب الأرناؤوط: فالحديث ضعيف جداً، بل يكاد يكون موضوعاً، فإنه مخالف لحديث جابر بن عبد الله الأنصاري: أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال ﷺ: «أمتهوكون كما تهوكت اليهود و النصارى؟ لقد جنتكم بها بيضاء نقية. و لو كان موسى حياً لما وسعه إلا أتباعي». قال: و هو حديث حسن^٣.

٢. سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤١٨-٤١٩.

١. الإصابة، ج ٢، ص ٣٢٠.

٣. هامش سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤١٩؛ أخرج الحديث عن «مجمع الزوائد» ج ١، ص ١٧٣-١٧٤.

كان عبد الله بن سلام ممن يحوك الأحاديث ليستجلب أنظار العامة و يرفع بمنزلته لديهم، من ذلك ما حاكه حول صفة رسول الله ﷺ في التوراة، كان يُعليها على العامة تزلفاً إليهم. فكان يذكر من أوصاف الرسول الراهنة، ويقول: وجدتُها كذلك في التوراة^١، وكان يدّعي أنه أعلم اليهود وأخبرهم بكتب السالفين^٢.
وقد حكيت حوله أحاديث في فضله و نبله، غير أنها ضعيفة الإسناد موهونة. توفي بالمدينة سنة (٤٣ هـ).

٢. تميم بن أوس الداري

هو أبو رقية، تميم بن أوس بن حارثة أو خارثة الداري، اللخمي الفلسطيني. والدار: بطن من لحم، فخدم من يعرب بن قحطان. مات سنة (٤٠ هـ).

وفد تميم وأخوه نعيم في وفد كانوا عشرة نفر من بني الدار على رسول الله ﷺ بعد منصرفه من تبوك سنة (٩ هـ). فأسلما وكانا نصرانيّين. قال أبو نعيم: كان تميم راهب عصره وعابد فلسطين. يقال: إن النبي ﷺ أخذ عنه قصّة «الجساسة» والدجال، فحدّث عنه بذلك على المنبر، فكان ذلك منقبةً له^٣.

والتمس من النبي ﷺ أن يهب له قريتين من قرى فلسطين، إن فتح الله عليه الشام. قال: كانت لنا جيرة من الروم، ولهم قريتان يقال لإحدهما: حَبْرَى والأخرى بيت عينون، فإن فتح الله عليك الشام فهما لي. قال ﷺ فهما لك. وكتب له كتاباً. فلما قام أبو بكر بالأمر أعطاه ذلك^٤. وقيل: إنّه جاء بالكتاب إلى عمر فقال: أنا شاهد ذلك فأضاه. وذكر الليث أن النبي ﷺ قال له: «ليس لك أن تبع» فجعلها وقفا عليه. قال ابن جرير:

١. أوردها ابن سعد في الطبقات، ج ١، ص ٨٧، س ١٤ (ط ليدن).

٢. الإصابة، ج ٢، ص ٣٢١؛ سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤١٦.

٣. والجساسة: دابة - فيما زعمه هذا الراهب النصراني - كان رآها في جزيرة من البحر كانت تجس الأخبار للدجال. أوردها مسلم في الفتن و أشراف الساعة (ج ٨، ص ٢٠٣) وأحمد في مسنده، ج ٦، ص ٣٧٣-٣٧٤ والطبراني وغيرهم، وسنذكر قصتها.

٤. الإصابة، ج ١، ص ١٨٣-١٨٤؛ طبقات ابن سعد، ج ١، ق ٢، ص ٧٥.

فهي في أيدي أهله إلى اليوم^١. أخرجه أبو عبيد من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه^٢.

وقد بالغ أصحاب التراجم بشأنه وذكروا له كرامات و مناقب، منها قصة مدافعتة النار حتى أطفأها، كما ذكره ابن حجر، قال: له قصة مع عمر فيها كرامة واضحة لتميم و تعظيم كثير من عمر له^٣ - فذكرها في ترجمة معاوية بن حرملة^٤ - وهي كما ذكره الذهبي: أن معاوية بن حرملة - صهر مسيلمة الكذاب و الذي ارتد معه - جاء إلى المدينة تائباً، فلبث في المسجد لا يؤوي و لا يطعم شيئاً. قال فأتيت عمر، فقلت: تائب من قبل أن تقدر عليه. قال: من أنت؟ قلت: معاوية بن حرملة. قال: اذهب إلى خير المؤمنين، فأنزل عليه.

قال [معاوية]: و كان تميم الداري إذا صلى ضرب بيديه على من على يمينه و شماله فذهب برجلين، فصليت إلى جنبه. فأخذني، فأوتينا بطعام. فبينما نحن ذات ليلة: إذ خرجت نار بالحرة، فجاء عمر إلى تميم يستنجده، فقال: قم إلى هذه النار. فقال: يا أمير المؤمنين: و من أنا! و ما أنا، و ما تخشى أن يبلغ من أمري! يستصغر نفسه.

فلم يزل به عمر حتى قام معه، و تبعتهما. فانطلقا إلى النار. فجعل تميم يحوشها (أي يدفعها إلى الداخل) بيده حتى دخلت الشعب، و دخل تميم خلفها. فجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم ير! قالها ثلاثاً. قال: فخرج و لم تضره النار^٥.

قال الذهبي: هذه القصة سمعها عفان من حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي العلاء عن ابن حرملة. قال: و ابن حرملة لا يعرف.

قلت: قد أهمل معاوية بن حرملة في كتب ترجمة الرجال.



و هذا الكاهن المسيحي - الذي بقيت معه نزعتة المسيحية (الرهينة) إلى ما بعد

٢. الأموال لأبي عبيد بن سلام، ص ٣٤٩-٣٥٠.

١. سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٢-٤٤٣.

٣. الإصابية، ج ١، ص ١٨٤، في ترجمة تميم الداري.

٥. سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٦-٤٤٧.

٤. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٩٧.

إسلامه- هو أول من سنَّ القصَّ في المسجد، و تكاد تتفق الروايات على أنه أول قاصٍّ في الإسلام^١. و ذلك كان على عهد عمر بن الخطَّاب، و لعله في أواخر ولايته. روى الزهري عن السائب بن يزيد، قال: أول من قصَّ تميم الداري، استأذن عمر، فأذن له فقصَّ قائماً^٢. و روى عن ابن شهاب، أن أول من قصَّ في مسجد رسول الله ﷺ تميم الداري، استأذن عمر أن يذكر الناس فأبى عليه، حتَّى كان آخر ولايته فأذن له أن يذكر الناس في يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر. و استأذن تميم عثمان بن عفَّان فأذن له أن يذكر يومين في الجمعة، فكان تميم يفعل ذلك.

قال أحمد أمين: و قد نما القصص بسرعة؛ لآفته يتفق و ميول العامة، و أكثر القصص من الكذب حتَّى رووا أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طردهم من المساجد^٣. و أما قصة «الجساسة»، فقد ذكر مسلم في كتاب الفتن و أشراف الساعة من صحيحه، بإسناده عن الحسين بن ذكوان عن ابن بريدة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس، و كانت من المهاجرات الأول، قالت: سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ فكانت في صفِّ النساء التي تلي ظهور القوم. قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر و هو يضحك، فقال: ليلزم كلَّ إنسان مصلاه، ثم قال: أتدرون لم جمعتمكم؟ قالوا: الله و رسوله أعلم. قال: إنِّي والله ما جمعتمكم لرغبة و لا رهبة، و لكن جمعتمكم لأنَّ تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء و بايع و أسلم، و حدَّثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال. حدَّثني أنه ركب في سفينة بحريَّة مع ثلاثين رجلاً من لحم و جدام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرقأوا إلى جزيرة في البحر حتَّى مغرب الشمس. فجلسوا في أقرب (جمع قارب و هو الزورق) السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقبهم دابة أهل بكثير الشعر لا يدرون ما قبَّله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: وملك ما أنت؟ فقالت: أنا

٢. سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٧.

١. كما قال أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ١٥٩.

٤. غليظ الشعر.

٣. فجر الإسلام، ص ١٦٠-١٥٩.

الجساسة^١ قالوا: و ما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير (الدير هو القصر) فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال (أي الداري): لما سمّت لنا رجلاً قَرْنَا (أي فزعنا) منها أن تكون (أي الدابة) شيطانة. قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظمُ إنسان رأيناه قطّ خلقاً، وأشدّه وثاقاً، مجموعةٌ يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحدديد. قلنا: ويحك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب. فقصُّوا عليه قصّتهم، فقال: أخبروني عن نخل بيسان^٢! قلنا: عن أيّ شأنها تستخبر؟ قال: أسألُكم عن نخلها هل تثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما أنه يوشك أن لا تثمر. قال: أخبروني عن بُحيرة الطبرية! قلنا: عن أيّ شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما أن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زُغَر^٣. قالوا: عن أيّ شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء، و هل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، و أهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبيّ الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكّة و نزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم، فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب و أطاعوه. قال: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما أن ذلك خير لهم أن يطيعوه، و إنّي أخبركم عنّي: إنّي أنا المسيح^٤، و إنّي أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلاّ هبطتها في أربعين ليلة، غير مكّة و طيبة، فهما محرّمتان عليّ كلتاهما، كلّما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً^٥ يصدني عنها، و أنّ على كلّ نقب منها ملائكة يحرسونها.

قالت: قال رسول الله ﷺ و طعن بمخصرته في المنبر: هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة،

١. في الهامش: سميت جساسة لتجسسها الأخبار للدجال. قال صاحب التحفة: هي دابة الأرض التي تخرج في آخر الزمان. راجع: شرح النووي، ج ١٨، ص ٧٨.
٢. بيسان، مدينة بالأردن بالغور الشامي، و هي بين حوران و فلسطين. يقال عنها: إنها لسان الأرض و بها عين يقال: إنها من الجنة فيها ملوحة بسيرة (معجم البلدان، ج ١، ص ٥٢٧).
٣. على وزان زُغَر: بلدة في الجانب القبليّ من الشام.
٤. أي المسيح الدجال الذي زعموا أنه يخرج في آخر الزمان.
٥. أي مسلولا.

يعني المدينة^١.



هذه القصة على غرابتها في سندها ضعف؛ لأنها رويت بطريقتين: مسلم في «الصحیح»، وأحمد في «المسند». وكلاهما ينتهي إلى عامر الشعبي، غير أن الذي يروي عن الشعبي في المسند، هو مجالد بن سعيد، وكان يكذب في الحديث. قال عمرو بن علي: سمعت يحيى بن سعيد يقول لبعض أصحابه: أين تذهب؟ قال: إلى وهب بن جرير أكتب السيرة عن أبيه عن مجالد بن سعيد! قال: تكتب كذباً كثيراً، لو شئت أن يجعلها إلى مجالد كلها عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله، فعل. وقال أبو طالب عن أحمد: ليس بشيء. يرفع حديثاً كثيراً لا يرفعه الناس. وقال الدوري عن ابن معين: لا يُحتج بحديثه. وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: ضعيف واهي الحديث. كان يحيى بن سعيد يقول: لو أردت أن يرفع لي مجالد حديثه كله رفعه، إلى غيرها من شهادات بضعفه في الحديث، ورفع الحديث لمكان ضعفه^٢. وقال محمد بن حبان: كان رذية الحفظ يقلب الأسانيد و يرفع المراسيل، لا يجوز الاحتجاج به^٣.

وفي مسند مسلم وقع: ابن بريدة عن الشعبي. وابن بريدة هذا هو عبد الله بن بريدة أخو سليمان. قال البزار: فحيث أبهم علقمة و محارب و محمد و كذا الأعمش عند ابن حجر فالمراد: سليمان بن بريدة. وأما من عدا هؤلاء حيث أبهموا فهو عبد الله بن بريدة^٤ - كما هنا - لأن الذي أبهم في إسناد مسلم هو الحسين بن ذكوان. و عبد الله بن بريدة هذا، قد ضعف حديثه أحمد، وكانوا يرجحون أخاه سليمان عليه. قال إبراھيم: له عن أبيه أحاديث منكورة. و تعجب من الحاكم كيف زعم أن سند حديثه من رواية الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أصح الأسانيد لأهل مرو^٥.

١. صحیح مسلم، ج ٨، ص ٢٠٣-٢٠٥. و رواه أحمد في المسند، ج ٦، ص ٣٧٣، باختلاف يسير.

٢. تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٤٠. ٣. كتاب المجروحين و الضعفاء، ج ٣، ص ١٠.

٤. راجع: تهذيب التهذيب - الكنى، ج ١٢، ص ٢٨٦. ٥. المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٥٨.

٣. كعب الأخبار

هو كعب بن ماتع الحميري من آل ذي رُعين أو من آل ذي الكلاع^١. و يكتنى أباً إسحاق، من كبار أخبار اليهود، كان أبوه كاهناً، و ورث الكهانة من أبيه. ولد قبل الهجرة باثنتين و سبعين سنة، و أسلم بعد وفاة النبي ﷺ في أوائل خلافة عمر. و هلك أيام عثمان سنة (٣٢هـ). فقد عاش (١٠٤) سنة.

كان من أهل اليمن - من يهودها - فهاجر إلى المدينة عندما أسلم، ثم تحول إلى الشام، فاستصفاه معاوية و جعله من مستشاريه، لما زعم فيه من كثرة العلم^٢. و هو الذي أمره أن يقص في بلاد الشام؛ و بذلك أصبح أقدم الإخباريين في موضوع الأحاديث اليهودية المتسربة إلى الإسلام. و بواسطة كعب و ابن منبّه و سواهما من اليهود الذين أسلموا تسربت إلى الحديث طائفة من أقاصيص التلمود - الإسرائيلية - و ما لبثت هذه الروايات أن أصبحت جزءاً من الأخبار التفسيرية و التاريخية في حياة المسلمين.

افتخر هذا الكاهن لإسلامه سبباً عجيباً ليتسلل به إلى عقول المسلمين و قلوبهم. فقد أخرج ابن سعد بإسناد صحيح - حسبما ذكره أبو رية - عن سعيد بن المسيب قال: قال العباس بن عبد المطلب لكعب: ما منعك أن تسلم على عهد رسول الله ﷺ و أبي بكر، حتى أسلمت الآن على عهد عمر؟

فقال: إن أبي كتب لي كتاباً من التوراة و دفعه إليّ، و قال: اعمل بهذا. و ختم على سائر

١. و ربما رجّح الثاني، لما رواه الطبراني من طريق يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عوف بن مالك، أنه دخل المسجد بتوكفاً على ذي الكلاع، و كعب يقض على الناس، فقال عوف لذي الكلاع: ألا تنهى ابن أخيك هذا عما يفعل؟ قيل: إنه نهاه و ذكره بحديث عن رسول الله ﷺ: «لا يقض على الناس إلا أمير أو مأمور أو متكلف محتال» فأمسك كعب عن الفصص حتى أمره معاوية، فصار يقض بعد ذلك (الإصابة، ج ٣، ص ٣١٥-٣١٦).

٢. قال معاوية في وصف علمه: ألا إن كعب الأخبار أحد العلماء، إن كان عنده علم كالنمار و إن كنا فيه لمفترطين. و الذي يدل على مبلغ علمه الموهوم ما قاله هو لقيس بن خرخشة القيسي: ما من شبر في الأرض إلا و هو مكتوب في التوراة التي أنزل الله على موسى، ما يكون عليه و ما يخرج منه إلى يوم القيامة، يعني أنه يعلم بذلك (راجع: تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٤٣٩؛ الاستيعاب في ترجمة قيس بن خرخشة، هامش الإصابة، ج ٣، ص ٢٤٣).

كتبه، وأخذ عليّ بحق الوالد على ولده أن لا أفضّ الخاتم. فلما كان الآن، ورأيت الإسلام يظهر ولم أر بأساً، قالت لي نفسي: لعلّ أباك غيّب عنك علماً كتمك، فلو قرأته. ففضضتُ الخاتم، فقرأته، فوجدتُ فيه صفة محمّد وأُمَّته. فجنّت الآن مسلماً. فوالى العباس^١. قلت: ولا يخفى ما في هذا التبرير من تفاهة إن لم يكن في طيّها سفاهة تصحبها خباثة.

وكان عمر يكرهه ويُسِيء الظنّ به، لما كان قد أفسد في الحديث وأشاع الأكاذيب. قال له يوماً وقد أحضره: لتتركن الأحاديث أو لألحقنك بأرض القردة^٢، يعني أرض اليهود التي هي أصله. وروى أهل السير أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان يذمّه، ويقول عنه: إنّ كعب الأخبار لكذّاب. وقد كان منحرفاً عن عليّ عليه السلام، كما ذكره ابن أبي الحديد^٣.



و من سخافاته ما رُوي عن سعد الجاريّ مولى عمر، قال: إنّ عمر دعا أمّ كلثوم - وكانت تحته - فوجدها تبكي. فقال لها: ما يُبكيك؟ فقالت: هذا اليهوديّ - تعني كعباً - يقول: إنّك على باب من أبواب جهنّم! فقال عمر: ما شاء الله، والله إنّّي لأرجو أن يكون ربّي خلقني سعيداً. ثمّ أرسل إلى كعب فدعاه، فلما جاءه قال: يا أمير المؤمنين لا تعجل عليّ، والذي نفسي بيده، لا ينسلخ ذو الحجّة حتّى تدخل الجنّة.

فقال عمر: أيّ شيء هذا، مرّة في الجنّة و مرّة في النار؟!

فقال: يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده، إنّنا لنجدك في كتاب الله - يعني به التوراة - على باب من أبواب جهنّم، تمنع الناس أن يقفوا فيها. فإذا متّ لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة^٤.

١. طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ٢، ص ١٥٦؛ الإصابة، ج ٣، ص ٣١٦؛ أضواء على السنة المحمّدية، ص ١٤٧-١٤٨.

٢. أخرجه أبو زرعة الدمشقيّ في تاريخه، ج ١، ص ٥٤٤. راجع: هامش سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٩٠. ورواه ابن

كثير في البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٠٨، ط السعادة (راجع: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص ٩٦).

٣. طبقات ابن سعد، ج ٣، ق ١، ص ٢٤٠، ص ١٢-٤.

٤. شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٧.

و يروي الطبري أنه جاء إلى عمر قبل مقتله بثلاثة أيام، و قال له: اعهد، فإنك ميت في ثلاثة أيام. قال: و ما يدريك؟ قال: أجد في كتاب الله ﷻ في التوراة! قال عمر: إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم، لا، و لكن أجد صفتك و حليتك، و أنه قد فني أجلك^١.

قال أحمد أمين تعقيباً على هذه القصة: و هذه القصة إن صحّت دلّت على و قوف كعب على مكيدة قتل عمر، ثمّ وضعها هو في هذه الصبغة الإسرائيلية. كما تدلنا على مقدار اختلاقه فيما ينقل^٢.

و هكذا ذكر أبو ريّة: و ممّن اشترك في مؤامرة قتل عمر، و كان له أثر كبير في تدبيرها كعب الأخبار. و هذا لا يمتري فيه أحد إلاّ الجهلاء^٣.

و ذكر ابن سعد أن كعباً كان يقول: كان في بني إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرنا عمر، و إذا ذكرنا عمر ذكرناه. و كان إلى جنبه نبيّ يوحى إليه. فأوحى الله إلى النبيّ أن يقول له: اعهد عهدك و اكتب و صيكتك فإنك ميت إلى ثلاثة أيام، فأخبره النبيّ بذلك. فلمّا كان في اليوم الثالث وقع بين الجدر و بين السرير؛ ثمّ جاء إلى ربّه فقال: اللهمّ إن كنت تعلم أنّي كنت أعدل في الحكم، و إذا اختلفت الأمور اتّبعْتُ هواك و كنت و كنت، فزدني في عمري حتّى يكبر طفلي و تربو أمّتي. فأوحى الله إلى النبيّ أنّه قد قال كذا و كذا، و قد صدق، و قد زدته في عمره خمس عشرة سنة، ففي ذلك ما يكبر طفله و تربو أمّته.

فلمّا طعن عمر قال كعب: لئن سألت عمر ربّه ليقينّه الله. فأخبر بذلك عمر، فقال عمر: اللهمّ، اقبضني إليك غير عاجز و لا ملوم^٤.

و ذكر أيضاً: لمّا طعن عمر، جاء كعب فجعل يبكي بالبواب، و يقول: والله لو أنّ أمير

١. جاء في تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٦٤ (مطبعة الاستقامة) حوادث سنة (٢٣): أنّ عمر كان لا يحسّ ألماً و لا رجماً حتّى كان من الغد جاءه كعب فقال: يا أمير المؤمنين ذهب و بقي يومان. ثمّ جاءه من غد الغد فقال: ذهب يومان و بقي يوم و ليلة، و هي لك إلى صبيحتها. فلمّا كان الصبح خرج إلى الصلاة فطمعنه أبو لؤلؤة.

٢. فجر الإسلام، ص ١٦١.

٣. أضواء على السنة المحمدية، ص ١٥٥.

٤. طبقات ابن سعد، ج ٣، ق ١، ص ٢٥٧، س ١٢٠.

المؤمنين يقسم على الله أن يؤخّره لأخّره. فدخل ابن عبّاس عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا كعب يقول كذا وكذا! قال: إذن والله لا أسأله. ثم قال: ويلّ لي ولأمتي إن لم يغفر الله لي! ومن ثمّ كان ما يحكيه كعب عن الكتب القديمة، ليس بحجّة عند أحد من أهل العلم والتحقيق، ولم يشته أهل الحديث الأوائل. قال شعيب الأرناؤوط: وأخطأ من زعم أنّه خرّج له البخاريّ ومسلم، فإنّهما لم يسندا من طريقه شيئاً من الحديث. وإنّما جرى ذكره في الصحيحين عرضاً. قال: ولم يُؤثّر عن أحد من المتقدّمين توثيق كعب إلا أنّ بعض الصحابة - يعني معاوية - أثنى عليه بالعلم^١.

وقد سمعت قول معاوية - صديقه الوفيّ - بشأنه، حينما حجّ في خلافته: إن كان من أصدق هؤلاء المحدّثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنّا مع ذلك لنسبلو عليه الكذب^٢.

قال ابن حجر: وروى عنه من الصحابة عبد الله بن عمر و عبد الله بن الزبير وأبو هريرة ومعاوية^٣، وذكر ابن عبّاس أيضاً. لكنّا قد فنّدنا ذلك بتفصيل. وفي الطبقات: أن تبيّع ابن امرأة كعب حمل من كعب علماً كثيراً^٤.

قال أحمد أمين: وأما كعب الأخبار فيهوديّ من اليمن، ومن أكبر من تسرّبت منهم أخبار اليهود إلى المسلمين. وقد أخذ عنه اثنان، هما أكبر من نشر علمه: ابن عبّاس! وأبو هريرة. وما نُقل عنه يدلّ على علمه الواسع بالثقافة اليهوديّة وأساطيرها. جاء في الطبقات الكبرى حكاية عن رجل دخل المسجد فإذا عامر بن عبد الله بن عبد قيس جالس إلى كتب وبينها سفر من أسفار التوراة وكعب يقرأ. وقد لاحظ بعض الباحثين أن بعض الثقات كابن قتيبة والنووي لا يروي عنه أبداً. وابن جرير يروي عنه قليلاً^٥.

١. المصدر نفسه، ص ٢٦٢، س ١٩.

٢. سير أعلام النبلاء - الهامش، ج ٣، ص ٤٩٠. ومعاوية هو الذي أثنى عليه بالعلم. راجع: فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٨٢.

٣. راجع: فتح الباري (الهامش)، ج ١٣، ص ٢٨٢. ٤. الإصبغة، ج ٣، ص ٣١٦.

٥. طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ٢، ص ١٦٠، س ١٠. ٦. فجر الإسلام، ص ١٦٠-١٦١.

قال الذهبي بعد نقل كلام أحمد أمين: وهذا يدلنا على أن كعباً كان لا يزال بعد إسلامه يرجع إلى التوراة و التعاليم الإسرائيلية^١.

قلت: أما رواية ابن عباس عن كعب فشيء موضوع، ولم تثبت روايته عنه، وهو الناقم على مراجعي أهل الكتاب على ما أسلفنا. نعم، كان أبو هريرة لقلّة بضاعته كثيراً ما يراجع أهل الكتاب، و لا سيّما كعباً، كان يُعدّ شيخه و مرشده في هذا الطريق. و كان أبو هريرة أكثر من نشر عن كعب و أفاض بمعلوماته الجمّة عن مثله.

قال الأستاذ أبو رية - و نعم ما قال -: «إنّ كعباً أظهر الإسلام خداعاً، و طوى قلبه على يهوديته، و أنّه سلّط قوّة دهائه على سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه و يُنيمه، ليلقّنه كلّ ما يريد أن يبيّنه في الدين الإسلاميّ من خرافات و أوهام. و أنّه قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتّى جعل يردّد كلامه بالنصّ، و يجعله حديثاً مرفوعاً^٢.

قال: و قد استطاع هذا اليهودي أن يدسّ من الخرافات و الأوهام و الأكاذيب في الدين، ما امتلأت به كتب التفسير و الحديث و التاريخ، فشوّهتها و أدخلت الشكّ إليها. و ما زالت تُمدّنا بأضرارها^٣.

٤. عبد الله بن عمرو بن العاص

قيل: كان اسمه العاص فغيّره رسول الله ﷺ و سمّاه عبد الله. أسلم قبل أبيه عمرو، و عمرو أسلم قبل الفتح سنة ثمان. ولد قبل الهجرة بسبع سنين، و مات سنة (٦٥ هـ). فقد عاش (٧٢) سنة.

هو أوّل من أشاع الإسرائيليات بعد وفاة النبي ﷺ زعم أنّه أصاب يوم اليرموك^٤

١. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٨٨.

٢. الإسرائيليات في التفسير و الحديث للذهبي، ص ٩٥. قال أبو رية: يرجع إلى كتابنا مشيخ المغيرة، ليعلم كيف اتصل أبو هريرة بكعب الأخبار، و كيف وقع في فخّه (أضواء على السنة المحمّدية، ص ١٦٤).

٣. أضواء على السنة المحمّدية، ص ١٦٤.

٤. يرموك: واد بناحية الشام كانت به حرب بين المسلمين و الروم في أواخر أيام أبي بكر. و كان عبد الله بصحبة أبيه في تلك الحرب؛ حيث أصاب زاملتين من كتب اليهود فيما زعم.

زاملتين^١ من كتب اليهود، فكان يحدث منهما. و يبرّر ذلك بما رواه عن رسول الله ﷺ من قوله: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج». رواه البخاري بإسناده عنه^٢. هكذا فهم من هذا الحديث، جواز الرواية عنهم، حسبما ذكره ابن تيمية^٣.

وأضاف إليه حديثاً آخر اختلقه بهذا الشأن، قال: رأيت فيما يرى النائم كأنّ في إحدى إصبعي سمناً وفي الأخرى عسلاً فأنا ألعقهما. فلمّا أصبحت ذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: تقرأ الكتابين، التوراة و الفرقان. و من ثمّ كان يقرأهما^٤.

و كانت له صحيفة يسمّيها الصادقة زعم أنّه كتبها من أحاديث الرسول ﷺ عن إجازته له في كتابتها. قال: استأذنت النبي ﷺ في كتاب ما سمعت منه فأذن لي فكتبته. فكان يسمّي صحيفته تلك الصادقة.

قال مجاهد: رأيت عنده صحيفة فسألته عنها، فقال: هذه الصادقة، فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد^٥.

روى البخاري بإسناده إلى همام بن منبه عن أخيه وهب، قال: سمعت أبا هريرة يقول: ما من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه منّي إلّا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنّه كان يكتب ولا أكتب^٦.

و لقد كان ضعيف الرأي وهن السلوك، كان قد صحب أباه في الوقوف مع معاوية في وقعة صفين، في حين أنّه كان يعلم أنّهم كانوا هم الفئة الباغية على ما وصفهم بها رسول الله ﷺ و قد اعتذر لذلك بأنّه كان لوصية رسول الله ﷺ إيّاه أن يتابع أباه عمرو بن

١. الزاملة: الملقّبة، من زمّل الشيء، بثوبه أو في ثوبه: لقّه. و ربّما كانت حمل بعير، و هكذا عبّر عنها ابن حجر (فتح الباري، ج ١، ص ١٨٤)، قال: إنّ عبد الله كان قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها و يحدث منها، و من ثمّ تجبّب الأخذ عنه كثير من أنمة التابعين. و عبّر عنها أبو شهبة: بحمل بعيرين (الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير، ص ٥٤).

٢. جامع البخاري، ج ٤، ص ٢٠٧. ٣. مقلّعة في أصول التفسير، ص ٤٥.

٤. سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٨٦؛ مسند أحمد، ج ٢، ص ٢٢٢؛ حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ١، ص ٢٨٦.

٥. طبقات ابن سعد، ج ٢، ق ٢، ص ١٢٥.

٦. جامع البخاري، ج ١، ص ٣٩، باب كتابة العلم؛ راجع: فتح الباري، ج ١، ص ١٨٤.

العاص. و قد نسي قوله تعالى: ﴿وَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لَا يَهْتَدُونَ﴾^١. و كذا قوله تعالى: ﴿وَ إِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾^٢.
و مع ذلك نراه قد تابع أباه في ضلال كان يعلمه.

أخرج ابن سعد عن الغنوي، قال: بينا نحن عند معاوية؛ إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمّار، يقول كل واحد منهما؛ أنا قتلته. فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية». فقال معاوية: ألا تغني عنّا مجنونك يا عمرو^٣ فما بالك معنا؟! قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: أطع أباك حيّاً و لا تعصه. و أنا معكم و لست أقاتل^٤.

٥. أبو هريرة

أمّا أبو هريرة فقد اختلف في اسمه^٥، كما لم يُعرف أصله و نسبه و نشأته، و لا شيء من تاريخه قبل إسلامه، غير ما ذكر هو عن نفسه، من أنّه كان يلعب بهرّة صغيرة، و أنّه كان مُعدماً فقيراً خامل الذكر، يخدم الناس على شبع بطنه. قال: كنت أرعى غنم أهلي، و كانت لي هرّة صغيرة، فكنّت أضعها بالليل في شجرة، و إذا كان النهار ذهبت بها معي فلعبت بها، فكنّوني «أبا هريرة». قال: نشأت يتيماً و هاجرت مسكيناً، و كنت أجيئاً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني و عقبه رجلي، فكنّت أخدم إذا نزلوا، و أخدم إذا ركبوا.

١. البقرة (٢): ١٧٠.

٢. لقمان (٣١): ١٥.

٣. هكذا في النسخ، و علّمه: مجنونك، هو المزاح في وقاحة.

٤. و هكذا أخرج ابن سعد عن عبد الله بن الحارث، قال: إنّي لأسير مع معاوية في منصرفه عن صفين بينه و بين عمرو بن العاص. فقال عبد الله: يا أبة، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: ويحك يا ابن سمية، تقتلك الفئة الباغية. فقال عمرو لمعاوية: ألا تسمع ما يقول هذا! فقال معاوية: ما تزال تأتينا بهنّة ندحض بها في بولك. أنحن قتلناه؟! إنّا قتلنا الذين جاؤوا به!! (طبقات ابن سعد، ج ٣، ق ١، ص ١٨٠-١٨١).

٥. ذكر الحاكم في المستدرج (ج ٣، ص ٥٠٧) أنّ اسمه في الجاهلية عبد شمس بن صخر ثم غيره النبي ﷺ إلى عبد الرحمان و قبل عبد الله. مات سنة (٥٧ هـ).

قدم أبو هريرة بعد أن تخطى الثلاثين من عمره، وكان النبي ﷺ حينذاك في غزوة خيبر التي وقعت عام (٧) من الهجرة، قال ابن سعد: قدم الدوسيون فيهم أبو هريرة ورسول الله ﷺ بخيبر فكلّم رسول الله ﷺ أصحابه في أن يشركوا أبا هريرة في الغنيمة، ففعلوا. ولفقره اتّخذ سبيله إلى الصُّفّة (موضع مظلل في موخّرة مسجد النبي من الناحية الشماليّة). قال أبو الفداء: وأهل الصُّفّة أناس فقراء لا منازل لهم ولا عشاير، ينامون في المسجد و يظّلون فيه. وكانت صُفّة المسجد متواهم، فُتسبوا إليها. وكان إذا تعسّى رسول الله ﷺ يدعو منهم طائفة يتعشّون معه، ويفرّق منهم طائفة على الصحابة ليعشّوهم.

روى مسلم عنه، قال: كنت رجلاً مسكيناً أخدم رسول الله ﷺ على ملاء بطني. وفي رواية: كنت ألزم رسول الله ﷺ على ملاء بطني. وكان أكولاً، إذا كان يُطعم في بيت أحد الصحابة، كان بعضهم ينفر منه.

وروى البخاريّ عنه، قال: أستقرئ الرجل الآية وهي معي، كي ينقلب بي فيطعمني. وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته. وروى الترمذيّ عنه: وكنت إذا سألت جعفر عن آية لم يجبني حتّى يذهب بي إلى منزله. قال أبو ريّة: ومن أجل هذا كان جعفر في رأي أبي هريرة أفضل الصحابة جميعاً، فقدّمه على أبي بكر وعمر وعليّ و عثمان وغيرهم من كبار الصحابة.

فقد أخرج الترمذيّ والحاكم بإسناد صحيح عن أبي هريرة: ما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا وطيّ التراب، بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب. كان أبو هريرة يُلقّب بشيخ المضيرة (طعام يطبخ باللبن المَصْر، أي الحامض) وقد نالت هذه المضيرة من عناية العلماء والكتّاب والشعراء ما لم ينله مثلها من أصناف المآكل والحلويات. وظلّوا يتندرون بها ويغمزون أبا هريرة قروناً طويلة من أجلها.

قال الثعالبي، و كان أبو هريرة تُعجبه المضية جداً، فيأكل مع معاوية، فإذا حضرت الصلاة صلى خلف عليّ عليه السلام، فإذا قيل له في ذلك، قال: مضرة معاوية أدمم و أطيب، و الصلاة خلف عليّ أفضل و أتمّ. و من كلامه: ما شممت رائحة أطيب من رائحة الخبز الحارّ، و ما رأيت فارساً أحسن من زيد على تمرّ^١.

* * *

و-قد أخذ العلماء على أبي هريرة كثرة حديثه عن النبيّ صلى الله عليه وآله مع قلّة صحبته و قلّة بضاعته حينذاك، و من ثمّ رموه بالتدليس و الاختلاق. كان يسمع الحديث من أحد الصحابة ثمّ يدلّس، فيرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله.

و كان كثيراً ما يسمع الحديث من أهل الكتاب و لا سيّما كعب الأحبار، فيسنده إلى النبيّ أو أحد كبار صحابته تدليساً و تمويهاً على العامّة.

فقد روى مسلم عن بسر بن سعيد، قال: اتّقوا الله و تحفّظوا من الحديث. فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله و يحدّث عن كعب الأحبار، ثمّ يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه وآله عن كعب، و حديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله. و في رواية: يجعل ما قاله كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله و ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله عن كعب. فاتّقوا الله و تحفّظوا في الحديث.

و قال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلّس، أي يروي ما سمعه من كعب و ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله و لا يميّز هذا من هذا. و قال ابن قتيبة: و كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله كذا، و إنّما سمعه من الثقة عنده فحكاه. و كانت عائشة أشدهم إنكاراً على أبي هريرة. و ممّن اتّهم أبا هريرة بالكذب عمر و عثمان و عليّ و غيرهم، فكما قال الأستاذ الرافعي: «كان أوّل راوية اتّهم في الإسلام»^٢.

و الحديث بشأن تدليس أبي هريرة و إنكار الصحابة عليه ذو شجون، عرضه بتفصيل

الأستاذ أبو ريّة في كتابيه: شيخ المضيرة، والأضواء. وكان هذا العرض القصير مستقى منه^١.

* * *

أخذ أبو هريرة عن كعب الأخبار الشئ الكثير، غير أن السّيء الذي كان يرتكبه، إسناده ما سمعه من كعب إلى رسول الله ﷺ كما نوهنا عنه.

قال أبو ريّة: ذكر علماء الحديث في باب «رواية الصحابة عن التابعين، أو رواية الأكاير عن الأصاغر» إنّ أبا هريرة والعبادلة^٢ و معاوية وأنس وغيرهم، قد رووا عن كعب الأخبار اليهودي الذي أظهر الإسلام خداعاً، وطوى قلبه على يهوديته.

قال: ويبدو أنّ أبا هريرة كان أكثر الصحابة انخداعاً به، وثقة فيه، ورواية عنه وعن إخوانه، من سائر أهل الكتاب. ويتبين من الاستقراء أنّ كعب الأخبار قد سلط قوّة دهانه على سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه، وينيمه ليلقنه كلّ ما يريد أن يبيته في الدين الإسلامي، من خرافات وأوهام. وكان له في ذلك أساليب غريبة وطرق عجيبة.

فقد روى الذهبي في طبقات الحفاظ في ترجمة أبي هريرة أنّ كعباً قال فيه - أي في أبي هريرة -: ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة، أعلم بما فيها من أبي هريرة!!

فانظر مبلغ دهاء هذا الكاهن ومكره بأبي هريرة، الذي يتجلّى في درس تاريخه أنّه كان رجلاً فيه غفلة و غرّة؛ إذ من أين يعلم أبو هريرة ما في التوراة وهو لا يعرفها، ولو عرفها لما استطاع أن يقرأها.

ومما يدلّك على أنّ هذا الحبر الداهية قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتّى جعله يردّد كلام هذا الكاهن بالنصّ، ويجعله حديثاً مرفوعاً إلى النبي، ما نورد لك شيئاً منه.

روى البزار عن أبي هريرة: أنّ النبي ﷺ قال: إنّ الشمس والقمر ثوران في النار يوم

١. راجع: أضواء على السنة المحمدية، ص ٢٠٢-٢٠٦.

٢. هم: عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، غير أنّ الأخير مكذوب عليه، وقد فصلنا الكلام فيه.

القيامة!! فقال الحسن: و ما ذنبهما؟ فقال: أُحدّثك عن رسول الله، و تقول: ما ذنبهما؟! و هذا الكلام نفسه قد قاله كعب بنصّه، فقد روى أبو يعلى الموصليّ، قال كعب: يُجاء بالشمس و القمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران، فيُقتذقان في جهنّم، يراهما من عبدهما^١.

و روى الحاكم في «المستدرک» و الطبرانيّ - و رجاله رجال الصحيح - عن أبي هريرة: أنّ النبيّ قال: إنّ الله أذن لي أن أُحدّث عن ديك رجلاه في الأرض و عنقه مثبتة تحت العرش، و هو يقول: سبحانك ما أعظم شأنك! قال: فيرد عليه ما يعلم ذلك من حلف بي كاذباً.

و هذا الكلام من قول كعب، و نصّه: أنّ الله ديكاً عنقه تحت العرش و برائته في أسفل الأرض، فإذا صاح صاححت الديكة، فيقول: سبحان القدّوس الملّك الرحمان لا إله غيره^٢. و روى أبو هريرة: أنّ رسول الله قال: النيل و سيحان و جيحان و الفرات من أنهار الجنّة، و هذا القول نفسه قاله كعب: أربعة أنهار الجنّة وضعها الله في الدنيا: فالنيل نهر العسل في الجنّة، و الفرات نهر الخمر في الجنّة، و سيحان نهر الماء في الجنّة، و جيحان نهر اللبن في الجنّة^٣.

و قال ابن كثير في تفسيره: إنّ حديث أبي هريرة في يأجوج و مأجوج، و نصّه - كما رواه أحمد - عن أبي هريرة: أنّ يأجوج و مأجوج ليحفرون السدّ كلّ يوم حتّى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذين عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعودون... و قد روى أحمد هذا الحديث عن كعب، قال ابن كثير: لعلّ أبا هريرة تلقّاه من كعب، فإنّه كثيراً ما كان يجالس كعباً و يحدثه^٤. و يبيّن في مواضع كثيرة من تفسيره ما أخذه أبو هريرة من كعب. و في الصحيحين من حديث أبي هريرة: أنّ الله خلق آدم على صورته. و هذا الكلام قد جاء في الإصحاح الأوّل من التوراة (العهد القديم) و نصّه هناك: «و خلق الله الإنسان على

١. حياة الحيوان للدميريّ، ج ١، ص ٢٥٧.

٢. نهاية الإرب، ج ١٠، ص ٢٢٠.

٣. أضواء على السنّة المحمديّة، ص ٢٠٨.

٤. تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٠٤-١٠٥.

صورته، على صورة الله خلقه»^١.

وروى مسلم عن أبي هريرة: أخذ رسول الله ﷺ بيدي! فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبتَّ فيها الدوابَّ يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة. وقد روى هذا الحديث أحمد والنسائي أيضاً عن أبي هريرة.

قال البخاريّ وابن كثير وغيرهما: إنَّ أبا هريرة قد تلقَّى هذا الحديث عن كعب الأحبار؛ لأنه يخالف نصَّ القرآن في أنَّه خلق السماوات والأرض في ستة أيَّام^٢.

قال أبو ريِّة: وقد بلغ من دهاء كعب واستغلاله لسذاجة أبي هريرة وغفلته، أن كان يلقِّنه ما يريد بثَّه في الدين الإسلاميّ من خرافات وتُرّهات، حتَّى إذا رواها أبو هريرة عاد هو فصدق أبا هريرة، وذلك ليؤكِّد هذه الإسرائيليَّات، وليمكِّن لها في عقول المسلمين، كأنَّ الخبر جاء عن أبي هريرة، وهو في الحقيقة عن كعب الأحبار.

وإليك مثلاً ما رواه أحمد عن أبي هريرة أنَّ رسول الله قال: «إنَّ في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلِّها مائة عام، اقرأوا إن شئتم: وظلٌّ ممدود»^٣.

ولم يكذب أبو هريرة يروي هذا الحديث حتَّى أسرع كعب، فقال: صدق والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمَّد، لو أنَّ رجلاً ركب حقةً أو جذعة ثمَّ دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتَّى يسقط هرماءً! وهكذا كانا - كعب وأبو هريرة - يتعاونان على نشر مثل هذه الخرافات. ومن العجيب أن يروي مثل هذا الخبر الغريب أيضاً وهب بن منبّه في أثر غريب، فيرجع إليه من أرادته^٤.

١. قال أبو ريِّة: من روايات هذا الحديث: وطول آدم ستون ذراعاً. وقد انتقد هذا الحديث ابن حجر في فتح الباري، قال: وبشكل على هذا من الآن، الأثار للأمم السالفة كديار عاد و ثمود، فإنَّ مساكنهم تدلُّ على أنَّ قاماتهم لم تكن مفرطة في الطول، على حسب ما يقتضيه الترتيب الذي ذكره أبو هريرة. وأنكر مالك هذا الحديث (أضواء على السنة المحمديَّة، ص ٢٠٨-٢٠٩ بالهامش).

٢. المصدر نفسه، ص ٢١٠.

٣. المصدر نفسه، ص ٢٠٧-٢١٠.

٤. راجع: تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٥١٣-٥١٤.

هلك أبو هريرة سنة (٥٩ هـ). عن (٨٠) سنة بقصره بالعقيق، و حُمل إلى المدينة و دُفن بالبقيع، و صلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، و كان أميراً على المدينة تكريماً له. و لما كتب الوليد إلى عمّه معاوية ينعى إليه أبا هريرة، أرسل إليه معاوية: «انظر من ترك، و ادفع إلى وراثته عشرة آلاف درهم، و أحسن جوارهم، و افعل إليهم معروفاً».

قال أبو ريرة: و هكذا يترادف ردهم له حتى بعد وفاته^١.

قال السيد رشيد رضا بشأن أبي هريرة: كان إسلامه في سنة (٧ هـ)، فصحب رسول الله ثلاث سنين و نيافاً، فأكثر أحاديثه لم يسمعها من النبي. و إنما سمعها من الصحابة و التابعين. فإذا كان جميع الصحابة عدولاً في الرواية - كما يقول جمهور المحدثين - فالتابعون ليسوا كذلك، و قد ثبت أنه كان يسمع من كعب الأخبار، و أكثر أحاديثه عنه، على أنه صرح بالسمع من النبي، في حديث «خلق الله التربة يوم السبت» و قد جزموا بأن هذا الحديث أخذه عن كعب. و كان يُكثر في أحاديثه النقل بالمعنى و الإرسال - أي لا يذكر اسم الصحابي الذي سمع منه - و رواية الحديث بالمعنى كانت مثاراً لمشكلات كثيرة. كما أنه انفرد بأحاديث كثيرة، كان بعضها موضع الإنكار أو مظنته لغرابة موضوعها، كأحاديث الفتن و الإخبار ببعض المغيبات، إلى غيرها من علل ذكرها أهل النقد في الحديث^٢.

٦. وهب بن منبه

هو وهب بن منبه بن كامل اليمانيّ الصنعانيّ. و قال أحمد بن حنبل: كان من أبناء فارس. قيل: إن منبهاً من خراسان من أهل هراة، أخرجه كسرى من هراة إلى اليمن، فأسلم في عهد النبيّ و حسن إسلامه فسكن ولده في اليمن، و كان وهب بن منبه يختلف إلى هراة

١. المصدر نفسه، ص ٢١٨.

٢. مجلة المنار، ج ١٩، ص ٩٧ (أضواء على السنة المحمدية، ص ٢١٨-٢١٩).

و يتفق أمرها. كان يقول: قرأت بضعة و سبعين كتاباً من كتب الأنبياء. ولد سنة (٣٤ هـ). ومات سنة (١١٠ هـ). قيل: ضربه يوسف بن عمر حتى مات^١.
وقد أكثر من سرد الإسرائيليات، ونسب إليه قصص كثيرة، كانت مثاراً للنيل منه والظعن عليه، حتى رُمي بالكذب والتدليس، وإفساد عقول المسلمين.

٧. محمد بن كعب القرظي

هو محمد بن كعب بن سليم القرظي، كان أبوه من سبى قريظة، من أولاد كهنة اليهود. وُلد سنة (٣٩ هـ) ومات سنة (١١٧ هـ). كان يقصّ في المسجد، فسقط عليه السقف، فمات هو وجماعة معه^٢.
فقد كان من القصاصين، يقصّون على الناس عن كتب السلف وأساطيرهم، وفيها كان حتفه.

٨. ابن جريج

ابن جريج، عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج. من أصل رومي نصراني (٨٠-١٥٠ هـ). هو أوّل من صنّف الكتاب بالحجاز. واعتمده الأئمة في الحديث و التفسير حسبما تقدّم عند الكلام عن الطرق إلى ابن عباس: الطريق الخامس، وذكرنا ثناء العلماء عليه وأنه أحد الأعلام الثقات.

غير أن الأستاذ الذهبي عدّه من أقطاب الإسرائيليات وزعم أن أكثر ما يروى بشأن النصارى في التفسير، مأثور عنه...^٣

لكنّ الإسرائيليّة بما تحملها هذه الكلمة من وهن- لم تُعهد من ابن جريج، كما لم يُعهد منه ما يوهن شأنه في التحديث، مع توثيق الأجلّاء له، وقد وصفوه بسيد أهل الحجاز! فراجع..

٢. المصدر نفسه، ج ٩، ص ٤٢٠-٤٢٢.

١. تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ١٦٦-١٦٨.

٣. التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٩٨.

مبدأ نشر الإسرائيليات

قد عرفت منع النبي ﷺ من مراجعة أهل الكتاب، منعه البات، حتى الاستساخ من كتبهم فضلاً عن الرجوع إلى أقاويلهم. و من ثم لم يكن يجرأ أحد من الصحابة أن يراجع أهل الكتاب أو يأخذ عنهم شيئاً من الأخبار، وذلك ما دام النبي على قيد الحياة. و في حديث عمر الأنفي، لما زجره النبي ﷺ على استساخه عن كتب القوم، قام وقال متندماً على ما فرط منه: «رضيت بالله رباً، و بالإسلام ديناً، و بك رسولاً!». و هكذا انتهج المسلمون منهجاً سليماً عن شوب أكار أهل الكتاب، مدة حياته ﷺ، و مدة أيام أبي بكر، و طرفاً من أيام عمر.

ثم لما توسعت رقعة الإسلام و فاضت بلاد المسلمين بكثرة الوافدين، و فيهم الأجانب عن روح الإسلام، ممن لا معرفة له بأصول الشريعة، نرى أن هذا السد المنيع قد أزيل، و جعلت أكاذيب أهل الكتاب تتسرب بين المسلمين، و لم تزل تتوسع دائرتها مع توسع البلاد.

هذا كعب الأخبار، أتى بخزعبلاته في هذا العهد، و أبدى عبد الله بن عمرو بن العاص بمفترياتة عن زاملتيه أيضاً في هذا العهد، كما كظ أبو هريرة بمخاريقه في هذا الدور المتأخر عن حياة الرسول. و هكذا نرى عمر بن الخطاب قد أذن لتميم بن أوس الداري أن

١. حدّث عمر عن نفسه، قال: انتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديم، فقال لي رسول الله ﷺ: ما هذا في يدك يا عمر؟ قلت: كتاب نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا، فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنانه، ثم نودي بالصلاة جامعة، فقال: يا أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم و خواتيمه، و اختصر لي اختصاراً. و لقد أتيتكم بها بيضاء نقيّة، فلا تهوؤا، و لا يغرنكم المتهوؤون. فقمّت و قلت: رضيت بالله رباً و بالإسلام ديناً و بك نبياً (تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٦٧).

و روى أحمد بإسناده عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك! قال: فتغيّر وجه رسول الله ﷺ. قال عبد الله بن ثابت: فقلت لعمر: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ، فقال عمر: رضينا بالله تعالى رباً، و بالإسلام ديناً، و بمحمد ﷺ رسولاً. قال: فسرى عن النبي ﷺ و قال: والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم أتبعتموه و تركتموني لزللتم، إنكم حظي من الأمم و أنا حظكم من النبيين (مسند أحمد، ج ٤، ص ٢٦٥-٢٦٦).

يقصّ قصصه قائماً في المسجد النبوي، علانيةً على رؤوس الأشهاد في هذا العهد، كما أصاح بأذنيه لمخاريق كعب. يقول ابن كثير بعد ما ساق الروايات في أن الذبيح هو إسحاق: وهذه الأقوال كلّها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنه لما أسلم في الدولة العمريّة جعل يحدث عمر عن كتبه قديماً، فربّما استمع له عمر، فترخّص الناس في استماع ما عنده، ونقلوا ما عنده عنه، غثّها وسمينها، وليس لهذه الأمّة حاجة إلى حرف واحد ممّا عنده.^٢

فقد كان العقد الثاني بعد وفاة الرسول ﷺ عهد رواج القصص الأسطوريّة والإسرائيليات، حسبما قال الدكتور أبو شهبّة: إنّ بدعة القصص قد حدثت في آخر عهد الفاروق: عمر بن الخطّاب.^٣



وهل كان هناك نكير على هذا الفعل؟

كان عمر بين حين وآخر يشدّد النكير على هذا الصنيع، ولكن من غير تداوم عليه، فكان هناك -رغم تشديد عمر- أناس يقومون بنسخ أو ترجمة كتب العهد القديم، والتحديث عنها بين المسلمين، أمّا المراجعة إلى أهل الكتاب والقصص على الناس فقد تعارف و شاع ذلك العهد.

أخرج الحافظ أبو يعلي الموصلي عن خالد بن عرفة، قال: كنت جالساً عند عمر، إذ أتني برجل مسكنه السوس^٤. فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم. قال: وأنت النازل بالسوس؟ قال: نعم. فضربه بقناةٍ معه. فقال الرجل: مالي يا أمير المؤمنين؟! فقال له عمر: اجلس، فجلس، فقرأ عليه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ

٢. راجع: تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٧.

١. سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٧.

٣. الإسرائيليات والموضوعات، ص ٨٩.

٤. سوس: مدينة شوش التي بها قبر دانيال، من أرض خوزستان.

وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ^١، فقرأها عليه ثلاثاً و ضربه ثلاثاً. فقال له الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال؟ قال: مُرني بأمرك أتبعه، قال: انطلق فاشحُ بالحميم و الصوف الأبيض، ثم لا تقرأ و لا تُقرئه أحداً من الناس، فلئن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لأنهكتك عقوبةً.

ثم قال له عمر: اجلس، فجلس بين يديه، فقال: انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديم. فقال لي رسول الله ﷺ: ما هذا في يدك يا عمر؟! قلت: كتاب نسخته ليزداد به علماً إلى علمنا، فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه، ثم نودي بالصلاة جامعةً، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم؟، السلاح السلاح. فجاؤوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ، فقال: «يا أيها الناس إنني قد أوتيت جوامع الكلم و خواتيمه، و اختصر لي اختصاراً، و لقد أتيتكم بها بيضاء نقيةً، فلا تهوؤوا و لا يغرنكم المتهوؤون». قال عمر: فقممت و قلت: رضيت بالله رباً و بالإسلام ديناً و بك رسولاً، ثم نزل رسول الله ﷺ.

و يقرب من ذلك ما أخرجه الحافظ أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي عن جبير بن نصير، حدثهم، قال: إن رجلين كانا بحمص في خلافة عمر، فأرسل إليهما في من أرسل من أهل حمص، و كانا قد اكتتبا من اليهود صلاصة^٢، فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين، يقولون: إن رضيها لنا أمير المؤمنين ازددنا فيها رغبة، و إن نهانا عنها رفضناها. فلما قدما عليه قالوا: إننا بأرض أهل الكتاب، و إننا نسمع منهم كلاماً تقشع منه جلودنا، أفأخذ منه أو نترك؟ فقال: لعلكما كتبتما منه شيئاً! فقالوا: لا. قال عمر: سأحدثكما:

انطلقت في حياة النبي ﷺ حتى أتيت خيبر، فوجدت يهودياً يقول قولاً أعجبني، فقلت: هل أنت مكتبي ممّا تقول؟ قال: نعم، فأتيت بأديم فأخذ يملي عليّ حتى كتبت في الأكرع^٣. فلما رجعت، قلت: يا نبي الله - و أخبرته - قال: انتني به. فانطلقت أرغب عن

٢. صلاصة: جمع صلاصة هي الصحيفة.

١. يوسف (١٢): ٣-١.

٣. الأكرع: جمع الكرع: مقدم عظم الساق، و المقصود: العظام الرقيقة.

الشيء رجاء أن أكون جئت رسول الله ﷺ ببعض ما يحبّ. فلما أتيت به قال: اجلس اقرأ عليّ. فقرأت ساعة، ثم نظرت إلى وجه رسول الله ﷺ فإذا هو يتلون. فتحيرت من الفرق^١، فما استطعت أن أجزيه منه حرفاً. فلما رأى الذي بي رفعه^٢ ثم جعل يتبعه رسماً رسماً فيمحوه بريقه، وهو يقول: لا تتبعوا هؤلاء فإنهم قد هوكوا وتهوكوا^٣، حتى محاه عن آخره حرفاً حرفاً.

قال عمر: فلو علمت أنكما كتبتما شيئاً جعلتكما نكالا لهذه الأمة. قالوا: والله ما نكتب منه شيئاً أبداً. فخرجا بصلاصفتهما، فحفرا لها، فلم يألوا أن يُعمقا، ودفناها، فكان آخر العهد منها^٤.

* * *

ولكن هل أثر تشديد عمر في الحدّ عن مراجعة أهل الكتاب؟
إنه لم يشدّد على مراجعتهم، وإنما شدّد على الكتابة من كتبهم كما شدّد على كتابة الحديث. ومن ثمّ نراه قد أجاز للداري أن يقصّ على الناس، كما شاع القصّ في مسجد النبي ﷺ فضلاً عن سائر المساجد ذلك العهد.
وهكذا سار على منهجه في إجازة القصّ في المساجد، من جاء بعده من الخلفاء. وأصبح ذلك مرسوماً إسلامياً فيما بعد، كما حتّ عليه معاوية في إجازته لكعب أن يقصّ على الناس حسبما عرفت.

* * *

وبعد، فإنّ عصر الصحابة وهي الفترة بين وفاة النبي ﷺ وظهور التابعين في عرصة الفتيا والتفسير كان عصر نشوء الإسرائيليات وتسربها في التفسير والحديث، فضلاً عن التاريخ، ذلك أنّ غالبية الشؤون التاريخية كانت ممّا يرجع عهدها إلى تاريخ الأمم الماضية والأنبياء الماضين، وكان المرجع الوحيد لدى العرب حينذاك لمعرفة أحوالهم

٢. أي أخذه مني.

١. الفرق: الفرع.

٣. الهوك: الحمق.

٤. راجع: فسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٦٧-٤٦٨.

و توارىخهم هي التوراة و أهل الكتاب، فكانوا يراجعونهم و يأخذون عنهم بهذا الشأن. قال الأستاذ الذهبي: نستطيع أن نقول: إن دخول الإسرائيليات في التفسير، أمر يرجع إلى عهد الصحابة، و ذلك نظراً لاتفاق القرآن مع التوراة و الإنجيل في ذكر بعض المسائل^١ مع فارق واحد، هو الإيجاز في القرآن و البسط و الإطناب في التوراة و الإنجيل. و لقد كان الرجوع إلى أهل الكتاب، مصدراً من مصادر التفسير عند الصحابة^٢. فكان الصحابي إذا مرّ على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلاً إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها و لم يتعرّض له، فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا في الإسلام، و حملوا إلى أهله ما معهم من ثقافة دينية، فألقوا إليهم ما ألقوا من الأخبار و القصص^٣.

و نحن إذ نصادق الذهبي في أنّ الصحابة - على وجه الإجمال - كانوا يراجعون أهل الكتاب، فيما أبهم عليهم من قصص القرآن، و كان أولئك يلقون إليهم ما كان لديهم من قصص و أساطير.

لكن لا نصادقه في حكمه ذلك على الصحابة على وجه العموم؛ إذ كان علماء الصحابة يأبون الرجوع إلى غيرهم من ذوي المعلومات الكاسدة، بل كانوا يستنكرون من يراجعهم في قليل أو كثير؛ حيث وفرة المعلومات الصحيحة لدى علماء الأصحاب الكبار. و قد كان مستقاهم مسائل الرسول ﷺ مهبط الوحي و معدن علوم الأوّلين و الآخرين، فلم يدعوا صغيرة و لا كبيرة إلا سألوا عنها الرسول الكريم.

هذا ابن عباس حبر الأئمة و ترجمان القرآن ينادي برفع صوته: هلاً من مستفهم أو مستعلم. و يستنكر على أولئك الذين يراجعون أهل الكتاب و لديهم الرصيد الأوفر من

١. للأستاذ عبد الوهاب النجار في «قصص الأنبياء» محاولة في استخراج قصص القرآن من التوراة، و مقارنة بين ما جاء في القرآن بصورة موجزة، و جاءت في التوراة (المهد القديم) مبسطة.

٢. لا نصادقه في هذا الرأي، و إنما كان يراجع أهل الكتاب من قَلت بضاعته من الأصحاب.

٣. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٦٩.

ذخائر العلوم. فقد كان ابن عباس يُسيء الظن بأهل الكتاب حتى المسلمة منهم.

روى البخاري بإسناده إلى ابن عباس، كان يقول:

«يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيِّه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرأونه لم يُشَبَّ^١. وقد حدّثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا هو من عند الله ليشتروا به تمناً قليلاً. أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قطّ يسألكم عن الذي أنزل عليكم»^٢. وهذا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، سفظ العلم و باب مدينة علم الرسول، وكذا عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وأمثالهم من أوعية العلم، لم يُحتمل بشأنهم الرجوع إلى كتابي قطّ. وهذا معلوم بالضرورة من التاريخ.

* * *

نعم، إنّما كان يراجع أهل الكتاب من الأصحاب، من لا بضاعة له ولا سابقة علم، أمثال عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر بن الخطّاب، وأبي هريرة وأضرابهم، من المفلسين المعوزين.

وقد سمعت مراجعة عبد الله بن عمرو بن العاص إلى أهل الكتاب ولا سيّما زاملتيه اللتين زعم أنّه عثر عليهما في واقعة اليرموك، وكذا أبو هريرة تربية كعب الأحبار. وقد ذكر أصحاب التراجم: أنّ عبد الله بن عمر بن الخطّاب كان ممن نشر علم كعب، وكان راوية له.

هذا عماد الدين ابن كثير عند كلامه عن قصّة هاروت وماروت يحكم بوضع هذه القصّة، وأنّ منشأها روايات إسرائيلية تدور حول ما نقله عبد الله بن عمر بن الخطّاب عن كعب الأحبار، وهي ممّا ألصقها زنادقة أهل الكتاب بالإسلام، وأنّ روايات الرفع إلى

١. لم يُشَبَّ، أي كان محفوظاً عن الدس فيه، فهو كلام الله الخالص، من غير أن نشره يد التدليس.

٢. راجع: جامع البخاري، ج ٩، ص ٢٢٧ (باب لا يُسأل أهل الشرك عن الشهادة) و ج ٣، ص ١٣٦ (باب لا تسألوا أهل الكتاب).

النبي ﷺ غريبة جداً، قال:

«و أقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار لا عن النبي ﷺ كما قال عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار. وهكذا روى ابن جرير بإسناده إلى سالم أنه سمع ابن عمر يحدث عن كعب الأحبار»^١.

وهذا أبو هريرة يراجع كعباً وابن سلام بشأن معرفة الساعة في يوم الجمعة، لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي، يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه - كما في الحديث عن رسول الله ﷺ -^٢. فيسألها عنها: أهي في جمعة بخصوصها، وأي ساعة من ساعاتها؟ فيجيبه كعب بأنها في جمعة واحدة من السنة. وعندما يعترض عليه أبو هريرة نظراً لإطلاق كلامه ﷺ نرى كعباً يراجع التوراة، فيعود ويقول: الصواب مع أبي هريرة... وهكذا يجيبه ابن سلام بأنها آخر ساعة من يوم الجمعة... فيرد عليه أبو هريرة بأن النبي ﷺ نهى عن الصلاة فيها، فكيف وهو يدعو في صلاته حينذاك؟! فيقول له ابن سلام: «من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة...»^٣.

* * *

وهكذا تداومت مراجعة كتب العهدين وأهل الكتاب على عهد التابعين و تابعي التابعين ومن بعدهم، على أثر تساهل السلف في ذلك، وصارت مهنة القصص على الناس عادة مألوفة بين المسلمين على طول التاريخ. فقد كانت هناك فئة تقصّ بالمساجد، وتذكر الناس بمواعظها وترغبهم وترهبهم. ولما كان هؤلاء - على أمثال أسلافهم المعوزين - ليسوا أهل علم ودراية، وكان غرضهم

١. تفسير ابن كثير، ج ١، ص ١٢٨؛ راجع: البداية والنهاية، ج ١، ص ٣٧؛ تفسير الطبري، ج ١، ص ٣٦٣ (حيث يحدث ابن عمر عن كعب صريحاً).

٢. جامع البخاري، ج ٢، ص ١٦.

٣. إرشاد الساري للقسطلاني في شرحه لحديث الساعة، ج ٢، ص ١٩٠؛ راجع: التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٧٠-١٧١؛ الإسرائيليات والموضوعات، ص ١٠٣-١٠٤. ولابن حجر إشارة إلى ذلك في فتح الباري، ج ١، ص ٣٤٥.

استمالة العوام، فجعلوا يختلقون القصص والأساطير الخرافية، وروجوا الأباطيل. وفي هذا الكثير من الإسرائيليات وخرافات العامية، ما يتصادم مع العقيدة الإسلامية، وقد تلقفها الناس منهم؛ لأن من طبيعة العوام الميل إلى العجائب والغرائب.

يقول ابن قتيبة بشأن القصاصين وشعوذتهم:

إنهم يميلون وجه العوام إليهم، ويستدرّون ما عندهم بالمناكير والأكاذيب من الأحاديث. ومن شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجيباً خارجاً عن فطر العقول، أو كان رقيقاً يحزن القلوب. فإن ذكر الجنة قال: فيها الحوراء من مسك أو زعفران، وعجيزتها ميل في ميل، وبيوت الله وليه قصرًا من لؤلؤة بيضاء، فيها سبعون ألف مقصورة، في كل مقصورة سبعون ألف قبة، ولا يزال هكذا في السبعين ألفاً، لا يتحوّل عنها^١.

ومن هؤلاء القصاص، من كان يبتغي الشهرة والجاه بين الناس. ومنهم، من كان يقصد التعيش والارتزاق. ومنهم، من كان سيئ النية خبيث الطوية، يقصد الإفساد في عقائد الناس، وربما حجب جمال القرآن وتشويه سمعة الإسلام، بما يأتي من تفاسير باطلة وخرافات تتنافى مع العقول.

قال أبو شهبه: وقد حدثت بدعة القص في آخر عهد عمر، وفيما بعد صارت حرفة، ودخل فيه من لا خلاق له في العلم، وقد ساعدهم على الإختلاق، أنهم لم يكونوا من أهل الحديث والحفظ، وغالب من يحضرهم جهال. فجالوا وصالوا في هذا الميدان وأتوا بما لا يقضي منه العجب^٢.

ويظهر أنه اتخذ القصص أداةً سياسية وراء ستار التذكير والترهيب، يستعين بها أرباب السياسات في دعم سياساتهم وتوجيه العامة نحوها، كالتي نشاهدها. وقد حدثت في عهد معاوية، وهو أول من أبدع مزج السياسة بالوعظ الإرشادي، ومن ثم ارتفع شأن القصص حتى أصبح عملاً رسمياً يعهد إلى رجال رسميين يُعطون عليه أجرًا. وفي كتاب

القضاء للكندي أنّ كثيراً من القضاة كانوا يعيّنون قُصّاصاً أيضاً. وأوّل من قصّ بمصر سليمان بن عتر التُّجيبّي في سنة (٣٨ هـ)، و جمع له القضاء و القصص، ثمّ عزل عن القضاء و أفرد بالقصص.

و هكذا أمر معاوية - في هذا الوقت - رجالاً يقصّون في المساجد بعد صلاة الصبح و بعد المغرب، يدعون له و لأهل و لآيته كلّ صباح و مساء.

و صورة القصص: أن يجلس القاصّ في المسجد و حوله الناس، فيذكّرهم الله و يقصّ عليهم حكايات و أحاديث و قصصاً عن الأمم السالفة، و أساطير و نحو ذلك، و لا يتحرّون الصدق ما دام الغرض هو الترغيب و الترهيب و التوجيه الخاصّ، مهما كانت الوسيلة، جرياً مع قاعدة «الغاية تُبرّر الوسيلة».

قال الليث بن سعد: هما قصصان: قصص العامّة و قصص الخاصّة. فأما قصص العامّة فهو الذي يجتمع إليه النفر من الناس يعظّمهم و يذكّرهم. فذلك مكروه لمن فعله و لمن استمعه. و أما قصص الخاصّة فهو الذي جعله معاوية، و لى رجالاً على القصص، فإذا سلّم من صلاة الصبح جلس و ذكر الله و حمده و مجّده و صلّى على النبيّ، و دعا للخليفة و لأهل و لآيته و حشمه و جنوده، و دعا على أهل حربيه و على المشركين كافّة^١.

و قد نما القصص بسرعة؛ لأنّه كان يتفق و ميول العامّة، فضلاً عن اتّفاقها مع الاتّجاهات السياسيّة الظالمة في الأغلب. و قد أكثرت القصّاص من الأكاذيب و الافتعالات، يصحبها كثير من التّهّم و الافتراءات، فأتوا بالطامات الكبرى و ضلالات.

و قد عدّ الغزاليّ ذلك من منكرات المساجد المحرّمة و المبتدعات الباطلة، قال: فلا يجوز حضور مجلسه، إلّا على قصد إظهار الرّدّ عليه، فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة، قال الله تعالى لنبيّه: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾^٢.

١. الخطط المغربيّة، ج ٣، ص ١٩٩. منشورات دار العرفان، مطبعة الساحل الجنوبيّ - شبّاح - لبنان؛ فجر الاسلام، ص ١٦٠.

٢. إحياء العلوم لأبي حامد الغزاليّ، ج ٢، ص ٣٣١ (ط ١٩٣٩). الأنعام (٦): ٦٨.

و قد عرفت أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طردهم من المساجد^١.
 و من صفاقاتهم في ذلك، ما روي أنّه صَلَّى أحمد بن حنبل، و يحيى بن معين بمسجد
 الرصافة. فقام بين أيديهم قاصّ، فقال: حدّثنا أحمد بن حنبل و يحيى بن معين، قالوا:
 حدّثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قال: لا إله
 إلّا الله خلق الله من كلّ كلمة طيراً منقاره من ذهب و ريشه من مرجان...» و أخذ في قصّة
 نحواً من عشرين ورقة.

فجعل أحمد ينظر إلى يحيى، و يحيى ينظر إلى أحمد، يسأل أحدهما الآخر: هل أنت
 حدّثته بهذا؟! قال: والله ما سمعت بهذا إلّا هذه الساعة.

فلمّا انتهى الخطيب القاصّ أشار إليه يحيى، فجاء متوهماً نوالاً، فقال له: من حدّثك
 بهذا؟ قال: أحمد بن حنبل و يحيى بن معين. فقال يحيى: أنا يحيى بن معين و هذا أحمد بن
 حنبل، ما سمعنا بهذا قطّ في حديث رسول الله. فإن كان و لا بدّ من الكذب فعلى غيرنا.
 فقال القاصّ: لم أزل أسمع أنّ يحيى بن معين و أحمد بن حنبل أحماق، ما تحقّقته إلّا
 السّاعة. فقال له يحيى: و كيف؟ قال: كأنّه ليس في الدنيا أحمد بن حنبل و يحيى بن معين
 غيركما. لقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل و يحيى بن معين!! فما كان منهما إلّا أن
 رضيا من النقاش بالسلامة^٢.

و من يدري، فلعلّهما لو أطالا معه القول، لناهما ما نال الشعبيّ، فقد دخل مسجداً، فإذا
 رجل عظيم اللحية، و حوله أناس يحدثهم، و هو يقول: إنّ الله خلق صورين، في كلّ صور
 نفختان. قال: فخفت صلاتي، ثمّ قلت له: اتّق الله يا شيخ، إنّ الله لم يخلق إلّا صوراً
 واحداً. فقال لي: يا فاجر، أنا يحدثني فلان و فلان، و تردّ عليّ! ثمّ رفع نعله و ضربني،
 فتتابع القوم عليّ ضرباً. فوالله ما أقلعوا عني حتّى قلت لهم: إنّ الله خلق ثلاثين صوراً في
 كلّ صور نفختان!!^٣.

٢. راجع: تفسير القرطبي، ج ١، ص ٧٩.

١. فجر الإسلام، ص ١٥٩، ١٦٠.

٣. الإسرائيليات و الموضوعات، ص ٩٠.

و هكذا كان القصاص مصدر شرّاً و بلاءٍ على الإسلام و المسلمين.

أقسام الإسرائيليات

قسّم الأستاذ الذهبي، الإسرائيليات تقسيمات ثلاثة:

١. تقسيمها إلى صحيح أو ضعيف أو موضوع.
 ٢. و إلى موافقتها لما في شريعتنا أو مخالفتها أو مسكوت عنها.
 ٣. و إلى ما يتعلّق بالعقائد أو بالأحكام أو بالمواعظ و الحوادث و العبر.
- و أخيراً حكم عليها بأنّها متداخلة، يمكن إرجاع بعضها إلى بعض، كما يمكن أن ندخلها تحت الأقسام الثلاثة التالية: مقبول، و مردود، و متردّد فيه بين القبول و الردّ.
- فالأحسن تقسيمها - حسب تقسيم الدكتور أبي شهبه- إلى موافق لما في شرعنا، و مخالف، و مسكوت عنه^٢.

و تقسيم آخر أيضاً لعلّه أولى: إمّا منقول بالحكاية شفاهاً - و هو الأكثر مروياً عن كعب الأخبار و ابن سلام و ابن منبّه و أمثالهم- أو موجود بالفعل في كتب العهدين الموجودة بأيدينا اليوم، و هذا كأكثر ما ينقله أئمة الهدى، و لا سيّما الإمام أبو الحسن الرضا عليه السلام احتجاجاً على أهل الكتاب، و ليس اعتقاداً بمضمونه.

ثمّ إنّ المنقول شفاهاً أو الموجود عيناً إمّا موافق لشرعنا أو مخالف أو مسكوت عنه. و لكلّ حكمه الخاصّ، نوجزه فيما يلي:

أمّا المنقولات الشفاهيّة، حسبما يحكيه أمثال كعب و ابن سلام و غيرهما، فجلبها إن لم نقل كلّها، موضوع مختلق، لا أساس له، و إمّا مصدرها شائعات عاميّة أسطوريّة، أو أكاذيب افتعلها مثل كعب و ابن سلام، أو عبد الله بن عمرو و أضرابهم؛ إذ لم نجد في المرويات عن هؤلاء ما يمكن الوثوق إليه. فهي بمجموعتها مردودة عندنا، حسبما تقتضيه قواعد النقد و التمهيص.

إننا نسيء الظنّ بأمثال هؤلاء ممّن لم يُخلصوا الولاء للإسلام و لم يحضوا النصح للمسلمين، كما لا نتق بصحّة معلوماتهم غير الصادرة عن تحقيق رصين، سوى الاعتماد على الشائعات العاميّة المبتذلة إن لم تكن مفتعلة. إننا نجد في طيّات كلامهم بعض الخبث و اللؤم المتّخذ تجاه موضع الإسلام القويم، و ربّما كان حقدًا على ظهور الإسلام و غلبة المسلمين. فحاولوا التشويه من سمعة الإسلام و التزعرع من عقائد المسلمين.

هذا هو الطابع العامّ الذي يتّسم به وجه الإسرائيليات على وجه العموم.

قال الأستاذ أحمد أمين: و أمّا كعب الأخبار أو كعب بن ماتع اليهودي، كان من اليمن، و كان من أكبر من تسرّبت منهم أخبار اليهود إلى المسلمين، و كان كلّ تعاليمه - على ما وصل إلينا - شفوئية، و ما تُقل عنه يدلّ على علمه الواسع بالثقافة اليهودية و أساطيرها. قال: و نرى أنّ هذا القصص هو الذي أدخل على المسلمين كثيرًا من أساطير الأمم الأخرى كاليهودية و النصرانية، كما كان بابًا دخل منه على الحديث كذب كثير، و أفسد التاريخ بما تسرّب منه من حكاية وقائع و حوادث مزيفة، أتعبت الناقد و أضاعت معالم الحقّ^١.

و هكذا قال ابن خلدون فيما سبق من كلامه: فإنّما يسألون أهل الكتاب قبلهم، و هم أهل التوراة من اليهود و من تبع دينهم من النصارى. و أهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، و لا يعرفون من ذلك إلّا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، و معظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلمّا أسلموا بقوا على ما كان عندهم، و هؤلاء مثل كعب الأخبار و وهب بن منبّه و عبدالله بن سلام و أمثالهم، فامتلات التفاسير من المنقولات عندهم، و هي أخبار موقوفة عليهم. و تساهل المفسّرون في مثل ذلك و ملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات، و أصلها - كما قلنا - عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، و لا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك^٢.



فعلى ما ذكره العلامة ابن خلدون تكون جلّ المنقولات عن هؤلاء الكتّابيين، لا وثوق بها؛ حيث مصدرها الشيع القومى، و لكلّ قوم أساطيرها المسطرة في تاريخ حياتها، يحكونها و ينقلونها يدأ بيد، و هذا التنقل حصل فيها التحريف و التبديل الكثير، بما ألحقها بالخرافات و الأوهام، و هؤلاء أصحاب القوميات المختلفة، دخلوا في الإسلام و معهم ثقافتهم و تاريخهم، أتوا بها و بثوها بين المسلمين.

قال الأستاذ أحمد أمين: إن كثيراً من الشعوب المختلفة ذوات التواريخ دخلت في الإسلام، فأخذوا يدخلون تاريخ أممهم و يبتونهم بين المسلمين، إماما عصبية لقومهم أو نحو ذلك. فكثير من اليهود أسلموا و معهم ما يعلمون من تاريخ اليهودية و أخبار الحوادث، حسبما روت التوراة و شروحها، فأخذوا يحدثون المسلمين بها، و هؤلاء ربطوها بتفسير القرآن أحياناً، و بتاريخ الأمم الأخرى أحياناً. إن شئت فاقراً ما في الجزء الأول من تاريخ الطبري تجد منه الشيء الكثير، مثل ما أسند عن عبد الله بن سلام، أنه تعالى بدأ بالخلق يوم الأحد، و فرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة، فخلق فيها آدم على عجل^١ - حسبما جاء في التوراة - و كثير من هذا النوع روي حول ما ورد في القرآن من قصص الأنبياء.

كذلك كان للفرس تاريخ، و كان لهم أساطير، فلما أسلموا رووا تاريخهم و رووا أساطيرهم، و كذلك فعل النصارى. فكانت هذه الروايات و الأساطير عن الأمم المختلفة مبنوثة بين المسلمين، و مصدرأ من مصادر الحركة التاريخية عندهم^٢.

وعليه فنشط على جميع ما ينقل عن أهل الكتاب فيما يمس تفسير القرآن أو تاريخ الأنبياء إذا كان نقلاً بالشفاه و ليس مستنداً إلى نصّ كتاب قديم معتمد؛ حيث مصدرها الشيع العام، و لا اعتبار به أصلاً. و سنورد أمثلة لإسرائيليات دخلت على الإسلام، و كان مصدرها الشيع و الأسطورية.

١. تاريخ الطبري، ج ١، ص ٣٢، مطبعة استقامة مصر، ١٣٥٨.

٢. فجر الإسلام، ص ١٥٧.



ولعلك تقول: بعض ما نقل عن أهل الكتاب كان مصدره النقل من الكتاب، إما يكتبونه منه أو ينقلونه عنه، كما في زاملتي عبد الله بن عمرو بن العاص، كان ينقل من كتب زعم العثر عليها في واقعة يرموك. وكما في نسخة عمر بن الخطاب التي جاء بها إلى النبي، اكتتبها من كتب اليهود فيما حسب.

لكن لا يذهب عليك أن لا وثوق بنقلهم ولو عن كتاب، مادام الدسّ والتزوير شيمة يهودية جُبلوا عليها من قديم كانوا ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي من عند أنفسهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ كذباً وزوراً ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمناً قليلاً﴾^١.

وهذا هو الذي فهمه ابن عباس منذ أول يومه فحذّر الأخذ عنهم بتاتاً، قائلاً: وقد حدّثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيّروا بأيديهم الكتاب، فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم^٢.

أما المراجعة إلى كتب السلف و توار يخهم من يونان أو فرس أو الهند أو اليهود أو غيرهم، فإنّ ذلك شيء آخر، يجب العمل فيه وفق سنن النقد و التمهيص، و على مناهج السير و التحقيق، حسب المتعارف المعهود.

أما التوراة، ففيها من الغثّ و السمين الشيء الكثير، و هو الكتاب الوحيد الذي احتوى على تاريخ الأنبياء و أممهم فيما سلف، مصحوباً بالأساطير و الخرافات، شأن سائر كتب التاريخ القديمة. و التوراة كتاب تاريخ، قبل أن يكون كتاباً سماوياً، و إنّما سمّيت بالتوراة، لاحتوائها على تعاليم اليهود، و التي جاء بها موسى من شرائع وقعت موضع الدسّ و التحريف، و من ثمّ فالمراجعة إليها بحاجة إلى نقد و تحقيق، و ليس أخذاً برأسه. و في العهد القديم جاءت تفاصيل الحوادث ممّا أوجز بها القرآن و طواها في سرد قضايا قصار، أخذاً بمواضع عبرها دون بيان التفصيل، فتجاوز المراجعة إلى تلکم

التفاصيل لرفع بعض المبهمات في القضايا القرآنية، ولكن على حذر تامّ وفق التفصيل التالي:

فالموجود في كتب السلف - فيما يمَسّ المسائل القرآنية - إمّا موافق مع شرعنا في أصول مبانيه وفي الفروع، أو مخالف أو مسكوت عنه. فالمخالف منبوذ لا محالة، لأنّ ما خالف شريعة الله فهو كذب باطل، وأمّا المسكوت عنه فالأخذ به وتركه سواء، شأن سائر أحداث التاريخ. وإليك أمثلة على ذلك:

١. أمثلة على الموافقة

(أ) جاء في المزامير، المزمور (٣٧) عدد (١٠):

«أَمَّا الْوُدْعَاءُ فِيرِثُونَ الْأَرْضَ وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلَامَةِ».

وفي عدد (٢٢): «لَأَنَّ الْمُبَارِكِينَ مِنْهُ يَرِثُونَ الْأَرْضَ وَالْمَلْعُونِينَ مِنْهُ يَقْطَعُونَ».

وفي عدد (٢٩): «الصَّادِقُونَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الْأَبَدِ».

وجاء تصديق ذلك في القرآن، في قوله تعالى، في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي

الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^١.

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ حيث البشارة في مزامير داود (الزبور) جاءت بعد مواعظ

وتذكير.

(ب) وجاء في سفر التثنية إصحاح (٣٢) ع (٣) وصيّة جامعة لنبيّ الله موسى ﷺ جاء

فيها وصف الربّ تعالى بالعدل والحكمة والعظمة، على ما جاء به القرآن الكريم.

يقول فيها: «إِنِّي بِاسْمِ الرَّبِّ أَنْادِي، أَعْطُوا عِظْمَةَ لِإِهْنَا، هُوَ الصَّخْرُ الْكَامِلُ صَنِيعُهُ^٢، إِنَّ

جَمِيعَ سَبْلِهِ عَدْلٌ، إِلَهَ أَمَانَةٍ لَا جُورَ فِيهِ، صَدِيقٌ وَعَادِلٌ هُوَ».

١. الأنبياء (٢١): ١٠٥.

٢. الصخر هنا: كناية عن الحجر الأساسي، فيه القوة والصلاة.

(ج) و جاء في لاويين إصحاح (١٢) ع (٤) شريعة الختان، كما هو في الإسلام: «و في اليوم الثامن يُخْتَن لحم عُرْلته». و العُرْلَة: القُلْفَة، و هي جلدة عضو التناسل.
 (د) و في سفر التثنية إصحاح (١٤) ع (٨) جاء تحريم لحم الخنزير، لأنّه نجس لا يجتَرّ. «... و الخنزير، لأنّه يشقّ الظلف، لكنّه لا يجتَرّ، فهو نجس لكم».

٢. أمثلة على المخالفة

و الأمثلة على مخالفة ما جاء في التوراة الموجودة مع ما في القرآن فهي كثيرة جداً، فضلاً عن مخالفته للفترة و العقل الرشيد، على ما فصلناه في مباحثنا عن الإعجاز التشريعيّ للقرآن، و مقارنة بعض ما جاء فيه، مع ما في كتب العهدين^١.
 إنك تجد في كتب العهدين مخالفات كثيرة مع شريعة العقل فضلاً عن شريعة السماء، فمثلاً تجد فيها ما يتناقى و مقام عصمة الأنبياء ما يذهلك:

ففي سفر التكوين (إصحاح ١٩، ع ٣١-٣٧): أن ابنتي لوط سقتا أباهما الخمر فاضطجعتا معه.

و في الملوك الأوّل (إصحاح ١١): أن سليمان عبّد أوثاناً، نزولاً إلى رغبة نسائه.
 و في الخروج (إصحاح ٣٢، ع ٢١-٢٤): أن هارون هو الذي صنع العجل و ليس السامريّ.

كما تفرض التوراة عقوبة اليهائم (الخروج، إصحاح ٢١، ع ٢٨).
 و نجاسة من مسّ ميتاً إلى سبعة أيّام (سفر العدد، إصحاح ١٩، ع ١١-١٦).
 و أمثالها كثير.

٣. أمثلة على المسكوت عنه

و الأمثلة على المسكوت عنه في شرعنا على ما جاء في كتب السالفين أيضاً كثيرة في

كثير، كان شأنها شأن سائر الأحداث التاريخية التي جاءت في الكتب القديمة.
ولعلّ الحديث الوارد: «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم»^١ ناظر إلى هذا النوع
من المسكوت عنه في شرعنا، لا نعلم صدقه عن كذبه؛ لأنهم خلطوا الحقّ بالباطل. فلو
صدّقناه فلعلّه الباطل، أو كذّبناه فلعلّه الحقّ. قال ﷺ: «فيخبروكم بحقّ فتكذّبوا به،
أو يباطل فتصدّقوا به»^٢.

وهكذا قال عبد الله بن مسعود:

«لا تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم - أي لن يخلصوا لكم النصح - وقد أضلّوا
أنفسهم، فتكذّبوا بحقّ أو تصدّقوا بباطل»^٣.

و عليه فيجب الحذر فيما لم نجد صدقه و لا كذبه في المأثور من شرعنا الإسلامي
و يلزم إجراء قواعد النقد و التمحيص - التنبّهت - فيما وجدناه في كتب القوم من آثار
و أخبار.

هذه قصّة يوسف عليه السلام جاءت مواضع عبرها في القرآن و ترك الباقي، و قد تعرّض
لتفاصيلها العهد القديم. و هكذا سائر قصص الأنبياء، و فيها الغثّ و السمين.

نماذج من إسرائيليّات مبثوثة في التفسير

سبق القول بأنّ في التفسير من الإسرائيليات طامات و ظلمات، أصبحت مثاراً للشكّ
و الطعن و التقوّل على الإسلام و مقدّساته. و يرجع أكثر اللوم على الأوائل الذين زجّوا
بتلكم الأساطير اليهوديّة و غيرها في التفسير و الحديث و التاريخ، و هكذا تساهل أهل
الحديث في جمع و ثبت تلكم الإسرائيليات في كتبهم، أمثال أبي جعفر الطبريّ، و جلال
الدين السيوطيّ، و أضرابهما من أرباب كتب التفسير بالمأثور.

و قد أخذ على تفسير ابن جرير، أنّه يذكر الروايات من غير بيان و تمييز بين صحيحها

٢. مسند أحمد، ج ٣، ص ٣٨٧.

١. جامع البخاري، ج ٩، ص ١٣٦.

٣. فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٥٩.

وسقيهما، ولعله كان يحسب أن ذكر السند - ولو لم ينص على درجة الرواية قوة و ضعفاً - يخلي المؤلف عن المؤاخذة والتبعات. و تفسيره هذا مشحون بالروايات الواهية والمنكرة والموضوعات والإسرائيليات، و ذلك فيما يذكره في الملاحم والفتن و في قصص الأنبياء، و حتى في مثل قصص نبيينا ﷺ كما في قصة زينب بنت جحش، على ما يروها القصاص والمبطلون، و أمثالها كثير.

كما أخذ على تفسير الدرّ المتثور، أنه و إن عَزَى الروايات إلى مُخرجيها، لكن لم يبيّن منزلتها من الصحة و الضعف أو الوضع، و ليس كلّ قارئ يمكنه معرفة ذلك بمجرد ذكر السند أو المصدر المخرج منه، و لا سيّما في عصورنا المتأخّرة. و لعلّه أيضاً من المحدثين الذين يرون أنّ إيراد السند أو المخرج يخلي من العهدة و التبعة. و في الكتاب إسرائيليّات و بلايا كثيرة، و لا سيّما في قصص الأنبياء، و ذلك مثل ما ذكره في قصة هاروت و ماروت، و في قصة الذبيح و أنّه إسحاق، و في قصة يوسف، و في قصة داود، و سليمان، و في قصة إلياس. و أسرف في ذكر المرويّات في بلاء أيّوب. و معظمها ممّا لا يصحّ و لا يثبت، و إنّما هو من الإسرائيليات التي سردها بنو إسرائيل و أكاذيبهم على الأنبياء. و هذان التفسيران هما الأساس لبثّ و نشر الإسرائيليات، فيما تأخّر من كتب التفسير. و سنعرض منها نماذج:

١. الإسرائيليات في قصة هاروت و ماروت^١

روى السيوطي في الدرّ المتثور، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ﴾^٢ روايات كثيرة و قصصاً عجيبية، رويت عن ابن عمر، و ابن مسعود، و ابن عبّاس، و مجاهد، و كعب، و الربيع، و السديّ. رواها ابن جرير الطبري في تفسيره، و ابن مردويه، و الحاكم، و ابن المنذر، و ابن أبي الدنيا، و البيهقيّ، و الخطيب في تفاسيرهم

١. تركنا القلم هنا بيد الدكتور محمد بن محمد أبي شهبه في كتابه «الإسرائيليات و الموضوعات»، فقد استوفى هذا الجانب استيفاءً كاملاً و استقصى الإسرائيليات بشكل رتيب، و من ثمّ فقد اقتبسنا ممّا ذكره، مع شيء من التصرف أحياناً. راجع: كتابه، ص ١٥٩-٣٠٥. ٢. البقرة (٢): ١٠٢.

وكتبهم^١.

و خلاصتها: أنه لما وقع الناس من بني آدم فيما وقعوا فيه من المعاصي و الكفر بالله، قالت الملائكة في السماء: أي ربّ، هذا العالم إنّما خلقتهم لعبادتك، و طاعتك، و قد ركبوا الكفر، و قتل النفس الحرام، و أكل المال الحرام، و السرقة، و الزنى، و شرب الخمر، فجعلوا يدعون عليهم، و لا يُعذرونهم، فقليل لهم: إنهم في غيب، فلم يعذروهم. و في بعض الروايات: أن الله قال لهم: لو كنتم مكانهم لعلمتم مثل أعمالهم، قالوا: سبحانك، ما كان ينبغي لنا. و في رواية: قالوا: لا، فقليل لهم: اختاروا منكم ملكين أمرهما بأمري، و أنّهاما عن معصيتي. فاختاروا هاروت و ماروت، فأهبطا إلى الأرض، و ركبت فيهما الشهوة، و أمر أن يعبد الله، و لا يشركا به شيئاً، و نُهيا عن قتل النفس الحرام، و أكل المال الحرام، و السرقة، و الزنى و شرب الخمر. فلبثا على ذلك في الأرض زماناً، يحكمان بين الناس بالحق، و ذلك في زمان إدريس. و في ذلك الزمان امرأة حُسنها في سائر الناس كحُسن الزهرة في سائر الكواكب و أنّها أتت إليهما فخضعا لها بالقول، و أنّهما راوداها عن نفسها، فأبت إلا أن يكونا على أمرها و دينها، و أنّهما سألاها عن دينها، فأخرجت لهما صنماً، فقالا: لا حاجة لنا في عبادة هذا. فذهبا فصبوا ما شاء الله، ثم أتيا عليها، فخضعا لها بالقول، و راوداها فأبت إلا أن يكونا على دينها، و أن يعبد الصنم الذي تعبد، فأبيا، فلما رأتهما قد أبيا أن يعبد الصنم، قالت لهما: اختارا إحدى الخلال الثلاث: إمّا أن تعبدا هذا الصنم، أو تقتلا النفس، أو تشربا هذا الخمر. فقالا: كلّ هذا لا ينبغي، و أهون الثلاثة شرب الخمر، و سقتهما الخمر، حتى إذا أخذت الخمر فيهما وقعا بها. فمرّ بهما إنسان، و هما في ذلك، فخشيا أن يُفشي عليهما، فقتلاه، فلما أن ذهب عنهما السكر، عرفا ما قد وقعا فيه من الخطيئة، و أراد أن يصعدا إلى السماء، فلم يستطيعا. و كشف الغطاء فيما بينهما، و بين أهل السماء، فنظرت الملائكة إلى ما قد وقعا فيه من الذنوب، و عرفوا أنّ من كان في غيب فهو

١. الدرّ المنثور، ج ١، ص ١٠٣-٩٧؛ تفسير ابن جرير، ج ١، ص ٣٦٧-٣٦٢ (ط بولاق).

أقلّ خشية؛ فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض. فلما وقعا فيما وقعا فيه من الخطيئة، قيل لهما: اختارا عذاب الدنيا، أو عذاب الآخرة، فقالا: أما عذاب الدنيا فينقطع، ويذهب وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له، فاختارا عذاب الدنيا، فجُعلا ببابل، فهما بها يُعذبان معلقين بأرجلهما. وفي بعض الروايات، أنهما علّماها الكلمة التي يصعدان بها إلى السماء، فصعدت، فمسخها الله، فهي هذا الكوكب المعروف بالزهرة.

ويذكر السيوطي وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم، والبيهقي في سننه، عن عائشة: أنها قدمت عليها امرأة من دومة الجندل، وأنها أخبرتها أنها جيء لها بكليين أسودين فركبت كلباً، وركبت امرأة أخرى الكلب الآخر، ولم يمض غير قليل، حتى وقفتا ببابل. فإذا هما برجلين معلقين بأرجلهما، وهما هاروت وماروت، واسترسلت المرأة التي قدمت على عائشة في ذكر قصة عجيبة غريبة.

ويذكر أيضاً: أن ابن المنذر أخرج من طريق الأوزاعي، عن هارون بن رباب، قال: دخلت على عبد الملك بن مروان وعنده رجل قد نثيت له وسادة، وهو متمكى عليها، فقالوا: هذا قد لقي هاروت وماروت، فقلت هذا، قالوا: نعم، فقلت: حدثنا رحمك الله، فأنشأ الرجل يحدث بقصة عجيبة غريبة!

وكلّ هذا من خرافات بني إسرائيل، وأكاذيبهم التي لا يشهد لها عقل ولا نقل ولا شرع، ولم يقف بعض رواة هذا القصص الخرافي الباطل عند روايته عن بعض الصحابة والتابعين، ولكنهم أوغلوا باب الإثم، والتجنيّ الفاضح، فألصقوا هذا الزور إلى النبي ﷺ ورفعوه إليه.

فقد قال السيوطي: أخرج سعيد، وابن جرير، والخطيب في تاريخه، عن نافع، قال: سافرت مع عبد الله بن عمر، فلما كان من آخر الليل قال: يا نافع، انظر هل طلعت الحمراء؟ قلت: لا، مرّتين أو ثلاثاً، ثم قلت: قد طلعت. قال: لا مرحباً بها، ولا أهلاً. قلت: سبحان

الله!! نجم مسخر، سامع، مطيع!! قال: ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: إن الملائكة قالت: يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب؟ قال: إنني ابتليتهم وعافيتكم. قالوا: لو كنّا مكانهم ما عصيناك. قال: فاختاروا ملكين منكم، فلم يألوا جهداً أن يختاروا فاختاروا هاروت وماروت، فنزلا، فألقى الله عليهم الشبق. قلت: وما الشبق؟ قال: الشهوة، فجاءت امرأة يقال لها: الزهرة، فوقعت في قلبيهما، فجعل كل واحد منهما يُخفي عن صاحبه ما في نفسه، ثم قال أحدهما للآخر: هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي؟ قال: نعم، فطلبها لأنفسهما، فقالت: لا أمكنكما حتى تعلماني الاسم الذي تعرجان به إلى السماء، و تهبطان، فأبيا، ثم سألاها أيضاً، فأبت، ففعلا، فلما استطيرت طمسها الله كوكباً، و قطع أجنحتهما. ثم سألا التوبة من ربّهما، فخيرهما بين عذاب الدنيا، و عذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة، فأوحى الله إليهما: أن اثتيا «بابل»^١. فانطلقا إلى بابل، فخسف بهما، فهما منكوسان بين السماء والأرض، معذبان إلى يوم القيامة.

ثم ذكر أيضاً رواية أخرى، مرفوعة إلى النبي ﷺ لا تخرج في معناها عمّا ذكرنا، ولا ينبغي أن يشك مسلم عاقل فضلاً عن طالب حديث في أن هذا موضوع على النبي ﷺ مهما بلغت أسانيده من الثبوت، فما بالك إذا كانت أسانيدنا واهية، ساقطة، ولا تخلو من وضاع، أو ضعيف، أو مجهول؟! و نصّ على وضعه أئمة الحديث^٢. و هكذا فنّده الأئمة من آل البيت عليهم السلام:

قال الإمام أبو محمد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام و قد سُئل عن الذي يقوله الناس بشأن الملكين هاروت وماروت، و أنّهما عصيا الله، قال: «معاذ الله من ذلك، إن الملائكة معصومون محفوظون من الكفر و القبائح بألطف الله تعالى.

١. بابل: بلد من أوساط العراق قُرب الحلة.

٢. الدرّ المنثور، ج ١، ص ٩٧؛ تفسير الطبري، ج ١، ص ٣٦٤-٣٦٥.

٣. راجع: الموضوعات، ج ١، ص ١٨٧؛ البداية و النهاية، ج ١، ص ٣٧.

فقد قال الله ﷻ فيهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^١.

وقال: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ - يعني الملائكة - لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^٢.

وقال - في الملائكة -: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيِّهِ مُشْفِقُونَ﴾^٣.

وهكذا سأل الخليفة المأمون العباسي الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ عما يرويه الناس من أمر «الزهرة» وأنها كانت امرأة، فتن بها هاروت وماروت، وما يرويه الناس من أمر «سهيل»، وأنه كان عشيراً باليمن.

فقال الإمام: كذبوا في قولهم: إنهما كوكبان، وإنما كانتا دابّتين من دوابّ البحر. وغلط الناس إنهما كوكبان، وما كان الله تعالى ليمسح أعداءه أنواراً مضيئة، ثم يُيقهما ما بقيت السماء والأرض.^٤

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ في تفسير الآية:

كان بعد نوح ﷺ قد كثرت السحرة والموهون، فبعث الله تعالى ملكين إلى نبي ذلك الزمان يذكر ما يسحر به السحرة وذكر ما يبطل به سحرهم وبرد كيدهم. فتلقاه النبي عن الملكين وأداه إلى عباد الله بأمر الله، وأمرهم أن يقفوا به على السحر وأن يبطلوه، ونهاهم أن يسحروا به الناس. وهذا كما يدلّ على السّم ما هو، وعلى ما يدفع به غائلته. ثمّ يقال لمتعلم ذلك: هذا السّم فمن رأيته سُمّ فادفع غائلته بكذا، وإياك أن تقتل بالسّم أحداً.^٥

وقال الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر ﷺ بشأن الشياطين في الآية:

لما مات سليمان النبي ﷺ وضع الشيطان السحر وكتبه في كتاب ثم طواه، وكتب على

١. التحريم (٦٦): ٦.

٢. الأنبياء (٢١): ٢٠-١٩.

٣. الأنبياء (٢١): ٢٦-٢٨؛ راجع: تفسير الإمام الحسن العسكري، ص ٤٧٥؛ عيون أخبار الرضا للصدوق، ج ١، ص ٢٠٨-٢١١.

(ط نجف)؛ البرهان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٩٤-٢٩٩.

٤. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢١١ (ط نجف).

٥. تفسير الإمام الحسن العسكري، ص ٤٧٣.

ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، من أراد كذا فليعمل كذا، ثم دفنه تحت سرير سليمان، ثم استتاره لهم فقراه، فقال الكافرون: ما كان سليمان يغلبنا إلا بهذا، فقال الله: ﴿وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَانُ - بِأَعْمَالِ السَّحْرِ - وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ﴾^١.



٢. إسرائيلية في المسوخ

و يوغل بعض مسلمة أهل الكتاب، فيضعون على النبي ﷺ خرافات في خلق بعض أنواع الحيوانات التي زعموا أنها مسخت. ولو أن هذه الخرافات نسبت إلى كعب الأخبار وأمثاله أو إلى بعض الصحابة والتابعين، لهان الأمر، ولكن عظم الإنتم أن ينسب ذلك إلى المعصوم ﷺ، وهذا اللون من الوضع والدس من أخبث وأقذر أنواع الكيد للإسلام ونبي الإسلام.

فقد قال السيوطي بعد ما ذكر طامات و بلايا في قصة هاروت و ماروت، من غير أن يعلق عليها بكلمة:

أخرج الزبير بن بكار في الموفقيات، وابن مردويه، والديلمي، عن عليّ: أن النبي ﷺ سئل عن المسوخ^٢، فقال: هم ثلاثة عشر: الفيل، والدب، والخنزير، والقرد، والجرث^٣، والضب، والوطواط، والعقرب، والدعموص، والعنكبوت، والأرنب، وسهيل، والزهرة. فقيل: يا رسول الله، وما سبب مسخهن؟ - وإليك التخريف والكذب الذي نُبئُ ساحة رسول الله منهما - فقال:

أما الفيل فكان رجلاً جباراً لو طياً، لا يدع رطباً ولا يابساً. وأما الدب فكان مؤثماً يدعو الناس إلى نفسه. وأما الخنزير فكان من النصارى الذين سألوا المائدة، فلما نزلت

٢. جمع مسخ، أي الممسوخ من حالة إلى حالة أخرى.

١. تفسير القرطبي، ج ١، ص ٥٥ (ط نجف).

٣. في القاموس «الجرث كسكين: سمك».

كفروا. وأما القردة فيهود اعتدوا في السبت. وأما الجرّيث فكان ديوثاً، يدعو الرجال إلى حليلته. وأما الضبّ فكان أعرابياً يسرق الحاجّ بمحجنه. وأما الوطواط فكان رجلاً يسرق الثمار من رؤوس النخل. وأما العقرب فكان رجلاً لا يسلم أحد من لسانه. وأما الدعوص^٢ فكان نعاماً يفرّق بين الأحبة. وأما العنكبوت فامرأة سحرت زوجها. وأما الأرنب فامرأة كانت لا تطهر من حيضها. وأما سهيل فكان عشّاراً باليمن. وأما الزهرة فكانت بنتاً لبعض ملوك بني إسرائيل افتتن بها هاروت وماروت!!

ألا قبح الله من وضع هذا الزور والباطل، ونسبه إلى من لا ينطق عن الهوى.

ومما لا يقضي منه العجب أن السيوطي ذكر هذا الهراء من غير سند، ولم يعقب عليه بكلمة استنكار. ومثل هذا لا يشكّ طالب علم في بطلانه، فضلاً عن عالم كبير. وقد حكم عليه ابن الجوزي بالوضع، وقد ذكره السيوطي في اللئالي؛ وتعبه بما لا يجدي، وكان من الأمانة العلميّة أن يشير إلى هذا.

وبعد هذا الكذب والتخريف ينقل السيوطي ما رواه الطبراني في الأوسط عن عمر ابن الخطّاب، قال: جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ في غير حينه، ثم ذكر قصّة طويلة في وصف النار، وأن النبي بكى، وجبريل بكى، حتّى نوديا: لا تخافا إن الله أمّنكما أن تعصياه^٣.

* * *

٣. الإسرائيليات في بناء الكعبة: البيت الحرام والحجر الأسود

وكذلك أكثر السيوطي في تفسيره الدرّ المنتور عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^٤ من النقل عن الأزرقّي، وأمثاله من المؤرّخين والمفسّرين الذين هم كحاطبي ليل،

١. الديوث: الذي لا يغار على زوجته.

٢. الدعوص - بضمّ الدال -: دوية أو دودة سوداء، تكون في الغدران إذا أخذ ماؤها في الثُيوب.

٣. الدرّ المنتور، ج ١، ص ١٠٢ و ١٠٣.

٤. البقرة (٢): ١٢٧.

ولا يميزون بين الغنّ والسمن، والمقبول والمردود، في بناء البيت، و من بناه قبل إبراهيم؛ أهم الملائكة أم آدم؟ والحجر الأسود؛ ومن أين جاء؟ وما ورد في فضلها. وقد استغرق في هذا النقل الذي معظمه من الإسرائيليات التي أخذت عن أهل الكتاب بضع عشرة صحيفة^١، لا يزيد ما صحّ منها أو ثبت عن عُشر هذا المقدار.

وفي الحقّ: أنّ ابن جرير كان مقتصدًا في الإكثار من ذكر الإسرائيليات في هذا الموضوع، وإن كان لم يسلم منها، وذكر بعضها؛ وذلك مثل ما رواه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: لَمَّا أَهْبَطَ اللهُ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ قَالَ: إِنِّي مَهْبُطٌ مَعَكَ بَيْتًا يَطَافُ حَوْلَهُ كَمَا يَطَافُ حَوْلَ عَرْشِي، وَيُصَلَّى عِنْدَهُ، كَمَا يُصَلَّى عِنْدَ عَرْشِي. فَلَمَّا كَانَ زَمَنَ الطُّوفَانِ، رُفِعَ، فَكَانَ الْأَنْبِيَاءُ يَحْجُونَهِ، وَلَا يَعْلَمُونَ مَكَانَهُ^٢، حَتَّى بَوَّأَهُ اللهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَعْلَمَهُ مَكَانَهُ، فَبَنَاهُ مِنْ خَمْسَةِ أَجْبِلٍ: مِنْ حِرَاءَ، وَثَبِيرَ، وَلَبْنَانَ، وَجَبَلَ الطُّورِ، وَجَبَلَ الْحَمْرِ، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

و أعجب من ذلك ما رواه بسنده عن عطاء بن أبي رباح، قال: «لَمَّا أَهْبَطَ اللهُ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ كَانَ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ، وَرَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ!! يَسْمَعُ كَلَامَ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَدَعَاءَهُمْ، يَأْنَسُ إِلَيْهِمْ؛ فَهَابَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، حَتَّى شَكَتَ إِلَى اللهِ فِي دَعَائِهَا، وَفِي صَلَاتِهَا فَخَفَّضَهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَمَّا فَقَدَ مَا كَانَ يَسْمَعُ مِنْهُمْ اسْتَوْحَشَ حَتَّى شَكَا ذَلِكَ إِلَى اللهِ فِي دَعَائِهِ وَفِي صَلَاتِهِ، فَوُجِّهَ إِلَى مَكَّةَ، فَكَانَ مَوْضِعَ قَدَمِهِ قَرْيَةً، وَخَطْوُهُ مَفَازَةً، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَكَّةَ، وَأَنْزَلَ اللهُ يَاقُوتَةً مِنْ يَاقُوتِ الْجَنَّةِ، فَكَانَتْ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ الْآنَ، فَلَمْ يَزَلْ يَطُوفُ بِهِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ الطُّوفَانَ، فَرُفِعَتْ تِلْكَ الْيَاقُوتَةُ، حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ فَبَنَاهُ؛ فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾^٣ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا مَرَّجَعُهُ إِلَى أَخْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَرَافَاتِهِمْ.



١. الدرّ المنثور، ج ١، ص ١٢٥-١٣٧.

٢. ولا أدري كيف يحجونه ولا يعلمون مكانه؟

٣. تفسير ابن جرير، ج ١، ص ٤٢٨ و ٤٢٩. الحج (٢٢): ٢٦.

٤. الإسرائيليات في قصة إخراج آدم ﷺ

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾^١

فمن تلك الإسرائيليات ما رواه ابن جرير في تفسيره بسنده عن وهب بن منبه قال: لما أسكن الله آدم وزوجته ونهاهما عن الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعبة بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم^٢، وهي الثمرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل في جوف الحية، وكانت للحية أربعة قوائم، كأنها بُخْتِيَّة^٣ من أحسن دابة خلقها الله. فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حواء، فقال: انظري إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها، وأطيب طعمها، وأحسن لونها! فأخذت حواء فأكلت منها، ثم ذهبت بها إلى آدم، فقالت له مثل ذلك، حتى أكل منها؛ فبذت لهما سوءاتهما. فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه: يا آدم أين أنت؟ قال: أنا هنا يا رب. قال: ألا تخرج؟ قال: أستحيي منك يا رب. قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها، لعنة يتحوّل ثمرها شوكة. ثم قال: يا حواء، أنت التي غررت عبدي، فإنك لا تحمليين حملاً إلا حملته كرهاً، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مراراً. وقال للحية: أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غرّ عبدي، ملعونة أنت لعنة تتحوّل قوائمك في بطنك، ولا يكن لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بني آدم، وهم أعداؤك. قال عمرو^٤: قيل لوهب: وما كانت الملائكة تأكل؟! قال: يفعل الله ما يشاء^٥.

ثم ذكر ابن جرير بسنده عن ابن عباس، وعن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة نحو

هذا الكلام^٦.

١. البقرة (٢): ٣٦. ٢. وكيف والملائكة لا تأكل ولا تشرب؟

٣. وهي الأنثى من الجمال البُخت. والذكر البُختي، وهي جمال طوال الأعناق.

٤. هو الراوي عن وهب، وهو عمرو بن عبد الرحمن بن مهرب.

٥. هذا تهزّب من الجواب، وعجز عن تصحيح هذا الكذب الظاهر.

٦. تفسير الطبري، ج ١، ص ١٨٦ و ١٨٧.

وكذلك ذكر السيوطي في الدرّ المنتور ما رواه ابن جرير وغيره في هذا، ممّا روي عن ابن عباس و ابن مسعود، و لكنّه لم يذكر الرواية عن وهب بن منبه^١، و أغلب كتب التفسير بالرأي ذكرت هذا أيضاً. و كلّ هذا من قصص بني إسرائيل الذي تزيدوا فيه، و خلطوا حقاً بباطل، ثمّ حمله عنهم الضعفاء من الصحابة و التابعين، و فسروا به القرآن الكريم.

و لقد أحسن ابن جرير، فقد أشار بذكره الرواية عن وهب إلى أنّ ما يرويه عن ابن عباس، و ابن مسعود، إنّما مرجعه إلى وهب و غيره من مسلمة أهل الكتاب، و يا ليته لم ينقل شيئاً من هذا، و يا ليت من جاء بعده من المفسرين صانوا تفاسيرهم عن مثل هذا. و في رواية ابن جرير الأولى ما يدلّ على أنّ الذين رووا عن وهب و غيره كانوا يشكّون فيما يروونه لهم، فقد جاء في آخرها: (قال عمرو: قيل لوهب: و ما كانت الملائكة تأكل؟! قال: يفعل الله ما يشاء) فهم قد استشكلوا عليه؛ كيف أنّ الملائكة تأكل؟! و هو لم يأت بجواب يُعتدّ به.

و وسوسة إبليس لآدم عليه السلام لا تتوقّف على دخوله في بطن الحيّة؛ إذ الوسوسة لا تحتاج إلى قرب و لا مشافهة، و قد يوسوس إليه و هو على بعد أميال منه. و الحيّة خلقها الله يوم خلقها على هذا، و لم تكن لها قوائم كالبحثي، و لا شيء من هذا^٢.

* * *

٥. الإسرائيليات في عظم خلق الجبارين

و من الإسرائيليات التي اشتملت عليها كتب التفسير، ما يذكره بعض المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: ﴿قالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارينَ و إنّنا لَن ندخلها حتّى نخرجوا منها﴾^٣.

فقد ذكر الجلال السيوطي في الدرّ المنتور كثيراً من الروايات في صفة هؤلاء القوم،

١. الدرّ المنتور، ج ١، ص ٥٣.

٢. راجع: سفر التكوين، إصحاح ٣، لتزيد اطمئناناً أنّها من الإسرائيليات!

٣. المائدة (٥): ٢٢.

وعظم أجسادهم، مما لا يتفق وسنة الله في خلقه، ويخالف ما ثبت في الأحاديث الصحيحة، وذلك مثل ما أخرجه ابن عبد الحكم عن أبي ضمرة قال: استظل سبعون رجلاً من قوم موسى في خُفّ رجل من العماليق!! ومثل ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن يزيد بن أسلم قال: بلغني أنه رؤيت ضبع وأولادها رابضة في فجاج عين رجل من العماليق!! ومثل ما رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، قال: أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين، فسار بمن معه، حتى نزل قريباً من المدينة، وهي «أريحاء» فبعث إليهم اثني عشر نقيباً، من كلّ سبط منهم عين، ليأتوه بخبر القوم، فدخلوا المدينة، فرأوا امرأة عظيماً من هيبتهم، وجسمهم وعظهم، فدخلوا حائطاً - أي بستاناً - لبعضهم، فجاء صاحب الحائط ليحني الثمار، فنظر إلى آثارهم فتبعهم، فكلما أصاب واحداً منهم أخذه، فجعله في كُمّه مع الفاكهة وذهب إلى ملكهم، فنثرهم بين يديه، فقال الملك: قد رأيتم شأننا وأمرنا، اذهبوا فأخبروا صاحبكم، قال: فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عاينوه من أمرهم، فقال: اكنموا عتاً، فجعل الرجل يخبر أخاه وصديقه، ويقول: اكنم عني، فأشيع في عسكرهم، ولم يكتم منهم إلا رجلاً: يوشع بن نون، وكالب بن يوحنا، وهما اللذان أنزل الله فيهما: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكُمُ غَالِبُونَ﴾^١.

ويروي ابن جرير بسنده، عن مجاهد، نحوه مما قدّمنا، ثم يذكر أن عنقود عنبهم لا يحمله إلا خمسة أنفس، بينهم في خشبة، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع حبّها خمسة أنفس أو أربعة^٢، إلى غير ذلك من الإسرائيليات الباطلة.

٦. خرافة عوج بن عوق^٣

ومن الإسرائيليات الظاهرة البطلان، التي ولع بذكرها بعض المفسرين والأخباريين،

١. المائدة (٥): ٢٣.

٢. تفسير الطبري، ج ٦، ص ١١٢، والدر المنثور، ج ٢، ص ٢٧٠.

٣. منهم من يقول: ابن عوق، ومنهم من يقول: ابن عنق كما ذكر ابن كثير، وفي القاموس: «و عوج بن عوق رجل ولد في منزل آدم فعاش إلى زمن موسى، و ذكر من عظم خلقه شاعة».

عند ذكر الجبارين: قصّة عُوْج بن عُوْق، وأنّه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع، وأنّه كان يمسك الحوت، فيشويه في عين الشمس، وأنّ طوفان نوح لم يصل إلى ركبته^١، وأنّه امتنع عن ركوب السفينة مع نوح، وأنّ موسى كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع، ووثب في الهواء عشرة أذرع، فأصاب كعب عُوْج فقتله، فكان جسراً لأهل النيل سنة، إلى نحو ذلك من الخرافات، والأباطيل التي تصادم العقل والنقل، وتخالف سنن الله في الخليقة. فمن تلك الروايات الباطلة المخترعة ما رواه ابن جرير بسنده عن أسباط، عن السُدِّيّ، في قصّة ذكرها من أمر موسى وبني إسرائيل، وبعث موسى النقباء الاثني عشر، وفيها: فلقبهم رجل من الجبارين يقال له: عُوْج، فأخذ الاثني عشر، فجعلهم في حجزته^٢، وعلّى رأسه حملة حطب، وانطلق بهم إلى امرأته، فقال: انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنّهم يريدون أن يقاتلونا، فطرحهم بين يديها، فقال: ألا أظنهم برجلي؟، فقالت امرأته: بل خلّ عنهم، حتّى يُخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك. وكذلك ذكر مثل هذا وأشنع منه غير ابن جرير والسيوطيّ بعضُ المفسّرين والقصّيصين، وهي كما قال ابن قتيبة: أحاديث خرافة، كانت مشهورة في الجاهليّة، أُلصقت بالحديث بقصد الإفساد^٣.

وإليك ما ذكره الإمام الحافظ الناقد ابن كثير في تفسيره، قال: وقد ذكر كثير من المفسّرين ها هنا أخباراً من وضع بني إسرائيل، في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأنّ منهم عُوْج بن عُتْق بنت آدم عليه السلام، وأنّه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعاً، وثلث ذراع، تحرير الحساب، وهذا شيء يُستحى من ذكره، ثمّ هو مخالف لما ثبت في الصحيحين: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنّ الله خلق آدم، وطوله ستون ذراعاً، ثمّ لم يزل الخلق ينقص حتّى الآن»^٤، ثمّ ذكروا: أنّ هذا الرجل كان كافراً، وأنّه كان

١. لعلّه كان أنمخ من أعلى الجبال على الأرض!!

٢. الحجزة: موضع التكة من السروال.

٣. تأويل مختلف الحديث، ص ٢٨٤؛ روح المعاني للألبوسي، ج ٦، ص ٩٥.

٤. هذا أيضاً حديث باطل! وقد نبهنا عليه في التفسير.

ولد زنيّة، وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح، وأنّ الطوفان لم يصل إلى ركبتيه. وهذا كذب وافتراء، فإنّ الله تعالى ذكر: «أَنْ نُوْحًا دَعَا عَلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ، فَقَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَىٰ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾^١. وقال تعالى: ﴿فَأَمْحِينَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾^٢. وقال تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ﴾^٣. وإذا كان ابن نوح الكافر غرق، فكيف يبقى عوج بن عنق، وهو كافر، وولد زنيّة؟! هذا لا يسوغ في عقل، ولا شرع، ثمّ في وجود رجل يقال له: عوج بن عنق، نظر، والله أعلم^٤. وقال ابن قيّم الجوزيّة، بعد أن ذكر حديث عوج: «و ليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث، وكذب على الله، وإنّما العجب ممّن يدخل هذا في كتب العلم من التفسير وغيره، فكلّ ذلك من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء، والسخرية بالرسول وأتباعهم».

قال أبو شهبه: وسواء أكان عوج بن عوق شخصيّة وجدت حقيقة، أو شخصيّة خياليّة، فالذي ننكره هو: ما أضفوه عليه من صفات وما حاكوه حوله من أثواب الزور والكذب والتجرؤ، على أن يفسر كتاب الله بهذا الهراء. وليس في نصّ القرآن ما يشير إلى ما حاكوه وذكره، ولو من بعد، أو وجه الاحتمال، ثمّ أين زمن نوح من زمن موسى عليه السلام وما يدلّ عليه آية: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يُخْرِجُوا مِنهَا﴾^٥ كان في زمن موسى قطعاً، ولا مريّة في هذا، فهل طالت الحياة بعوج حتّى زمن موسى؟! بل قالوا: إنّ موسى هو الذي قتله، ألا لعن الله اليهود، فكم من علم أفسدوا وكم من خرافات وأباطيل وضعوا^٦.

قلت: وسامح الله أولئك الذين نقلوا هذه الأساطير ودبّجوها في مدوّناتهم!!



١. نوح (٧١): ٢٦.
 ٢. الشعراء (٢٦): ١١٩-١٢٠.
 ٣. هود (١١): ٤٣.
 ٤. تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٣٨.
 ٥. المائدة (٥): ٢٢.
 ٦. الإسرائيليات والموضوعات، ص ١٨٧.

٧. الإسرائيليات في قصة التيه

فمن هذه الأخبار العجيبة التي رويت في قصة التيه، ما رواه ابن جرير بسنده عن الربيع، قال: لما قال لهم القوم ما قالوا، و دعا موسى عليهم، أوحى الله إلى موسى: إنها محرمة عليهم أربعين سنة، يتيهون في الأرض، فلا تأس على القوم الفاسقين، وهم يومئذ ست مائة ألف مقاتل؛ فجعلهم فاسقين بما عصوا، فلبثوا أربعين سنة في فراسخ ستة، أودون ذلك، يسرون كل يوم جاذين، لكي يخرجوا منها، حتى يمسا و ينزلوا، فإذا هم في الدار التي منها ارتحلوا، و أنهم اشتكوا إلى موسى ما فعل بهم، فأنزل عليهم المنّ والسلى^١، و أعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم، ينشأ الناشئ فتكون معه على هيئته. و سأل موسى ربه أن يسقيهم، فأتى «بحجر الطور»، و هو حجر أبيض، إذا ما أنزل القوم ضربه بعصاه، فيخرج منه اثنتا عشرة عيناً، لكل سبط منهم عين، قد علم كل أناس مشربهم. و كذلك روى: أن ثيابهم ما كانت تبلى، و لا تتسخ. و كذلك نقل بعض المفسرين كالزمخشري وغيره: بأنهم كانوا ست مائة ألف، و سعة المعسكر اثنا عشر ميلاً.

و كذلك ذكروا أن الحجر كان من الجنة، و لم يكن حجراً أرضياً. و منهم من قال: كان على هيئة رأس إنسان. و منهم من قال: كان على هيئة رأس شاة. و قيل: كان طوله عشرة أذرع، و له شعبتان تتقدان في الظلام، إلى غير ذلك من تزييدات بني إسرائيل. و ليس في القرآن ما يدل على هذا الذي ذكره في وصف الحجر، مع أنه لو أريد بالحجر الجنس، و أن يضرب أي حجر ما؛ لكان أدل على القدرة، و أظهر في الإعجاز.

و قد لاحظ ابن خلدون - من قبل - المغالط التي تدخل في مثل هذه الرويات، فقال

في مقدمته المشهورة:

اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جمّ الفوائد، شريف الغاية؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، و الأنبياء في سيرهم، و الملوك في دولهم،

١. المنّ: شيء، كالعسل كان ينزل على الشجر من السماء فأخذونه و بأكلونه، و السلى: طبر كالمناقي.

وسياستهم، حتّى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين و الدنيا، فهو محتاج إلى مأخذ متعدّدة، و معارف متنوّعة، و حسن نظر و تثبّت، يُفضيان بصاحبهما إلى الحقّ، و ينكبان به عن المزلات و المغالط؛ لأنّ الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، و لم تحكم أصول العادة، و قواعد السياسة، و طبيعة العمران، و الأحوال في الاجتماع الإنسانيّ، و لو قيس الغائب منها بالشاهد، و الحاضر بالذاهب، فربّما لم يؤمن فيها من العثور، و مزلة القدم، و الحيد عن جادة الصدق، و كثيراً ما وقع للمؤرّخين و المفسّرين و أئمة النقل من المغالط في الحكايات و الوقائع؛ لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غنّاً أو سميئاً، و لم يعرضوها على أصولها، و لا قاسوها بأشباهاها، و لا سبروها بمعيار الحكمة، و الوقوف على طبائع الكائنات و تحكيم النظر و البصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحقّ، و تاهوا في بيداء الوهم و الغلط، و لا سيّما في إحصاء الأعداد من الأموال و العساكر إذا عرضت في الحكايات؛ إذ هي مظنة الكذب و مطية الهذر، و لا بدّ من ردّها إلى الأصول، و عرضها على القواعد. و هذا: كما نقل المسعوديّ و كثير من المؤرّخين في جيوش بني إسرائيل، و أنّ موسى أحصاهم في التيه، بعد أن أجاز من كان يطبق حمل السلاح خاصّة من ابن عشرين، فما فوقها، فكانوا ستّ مائة ألف أو يزيدون، و يذهل في ذلك عن تقدير مصر و الشام، و اتّساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش، لكلّ مملكة حصّة من الحامية تتّسع لها، و تقوم بوظائفها، و تضيق عمّا فوقها، تشهد بذلك العوائد المعروفة، و الأحوال المألوفة.

و لقد كان ملك الفرس و دولتهم أعظم من ملك بني إسرائيل بكثير، يشهد لذلك: ما كان من غلب بختنصر لهم، و التهامه بلادهم، و استيلائه على أمرهم، و تخريب بيت المقدس قاعدة ملّتهم و سلطانهم، و هو من بعض عمال مملكة فارس. و كانت ممالكهم بالعراقيين، و خراسان، و ما وراء النهر، و الأبواب، أوسع من ممالك بني إسرائيل بكثير، و مع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قطّ مثل هذا العدد و لا قريباً منه. و أعظم ما كانت جموعهم بالقادسيّة مائة و عشرين ألفاً، كلّهم متبوع، على ما نقله «سيف». قال: و كانوا في أتباعهم

أكثر من مائتي ألف. و عن عائشة، و الزهري: أن جموع رستم التي حفّ بهم سعد بالقادسية إنما كانوا ستين ألفاً كلّهم متبوع.

و أيضاً: فلو بلغ بنو إسرائيل مثل هذا العدد، لانتسح نطاق ملكهم، و انفسح مدى دولتهم، فإن العِمالات و الممالك في الدول، على نسبة الحامية، و القبيل القائمين بها في قلتها و كثرتها حسبما نبين ذلك في فصل الممالك من الكتاب الأول^١، و القوم لم تتسع ممالكهم إلى غير الأردن، و فلسطين من الشام، و بلاد يثرب، و خيبر من الحجاز، على ما هو المعروف.

و أيضاً: فالذي بين موسى و إسرائيل، إن هو إلا أربعة آباء، على ما ذكره المحققون، فإن موسى بن عمران بن يصر بن قاهت - بفتح الهاء و كسرها - بن لاوى - بكسر الواو و فتحها - بن يعقوب و هو: إسرائيل، هكذا نسبه في التوراة. و المدّة بينهما على ما نقله المسعودي، قال: دخل إسرائيل مصر مع ولده الأسباط، و أولادهم، حين أتوا إلى يوسف سبعين نفساً، و كان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى ﷺ إلى التيه، مائتين و عشرين سنة، تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة. و يبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد!! و إن زعموا أن عدد تلك الجيوش إنما كان في زمن سليمان و من بعده، فبعيد أيضاً؛ إذ ليس بين سليمان و إسرائيل إلا أحد عشر أباً، و لا يتشعب النسل في أحد عشر من الولد إلى هذا العدد الذي زعموه، اللهم إلا المائين و الآلاف، فربما يكون. و أما أن يتجاوز هذا إلى ما بعدهما من عقود الأعداد فبعيد، و اعتبر ذلك في الحاضر المشاهد، و القريب المعروف تجد زعمهم باطلاً، و تقلهم كاذباً.

قال: و الذي ثبت في «الإسرائيليات» أن جنود سليمان كانت اثني عشر ألفاً خاصة، و أن مقرباته كانت ألفاً، و أربع مائة فرس مرتبطة على أبوابه. هذا هو الصحيح من أخبارهم، و لا يلتفت إلى خرافات العامة منهم، و في أيام سليمان ﷺ، و ملكه كان عنفوان

دولتهم، واتساع ملكهم^١.

وهذا الفصل من النفاسة بمكان؛ فلذلك حرصنا على ذكره؛ لأنه يفيدنا في رد الكثير من الإسرائيليات التي وقعت فيها المغالط، والأخبار الباطلة، والخرافات التي كانت سائدة في العصور الأولى.

* * *

٨. الإسرائيليات في «سؤال موسى ربه الرؤية»

ومن الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَخَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٢، فقد ذكر الثعلبي، والبغوي، وغيرهما عن وهب بن منبه، وابن إسحاق، قالوا:

«لَمَّا سَأَلَ مُوسَىٰ رَبَّهُ الرَّؤْيَا أَرْسَلَ اللَّهُ الدَّوَابَّ، وَالصَّوَاعِقَ، وَالظُّلْمَةَ، وَالرَّعْدَ، وَالْبُرْقَ وَأَحَاطَ بِالْجَبَلِ الَّذِي عَلَيْهِ مُوسَىٰ أَرْبَعَةَ فَرَاسِخَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَأَمَرَ اللَّهُ مَلَائِكَةَ السَّمَاوَاتِ أَنْ يَعْتَرِضُوا عَلَىٰ مُوسَىٰ، فَمَرَّتْ بِهِ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَثِيرَانَ الْبَقَرِ^٣، تَنْبَعُ أَفْوَاهُهُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ بِأَصْوَاتٍ عَظِيمَةٍ كَصَوْتِ الرَّعْدِ الشَّدِيدِ.

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ الثَّانِيَةَ أَنْ أَهْبَطُوا عَلَىٰ مُوسَىٰ، فَاعْتَرَضُوا عَلَيْهِ. فَهَبَطُوا عَلَيْهِ أَمْثَالَ الْأَسْوَدِ، لَهُمْ لُجْبٌ^٤ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ، فَفَزِعَ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ (ابن عمران) مِمَّا رَأَىٰ، وَاسْمَعُ، وَاقْتَشَعَتْ كُلُّ شَعْرَةٍ فِي رَأْسِهِ وَجَسَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ نَدِمْتُ عَلَىٰ مَسْأَلَتِي، فَهَلْ يَنْجِينِي مِنْ مَكَانِي الَّذِي أَنَا فِيهِ؟ فَقَالَ لَهُ خَيْرُ الْمَلَائِكَةِ وَرَأْسُهُمْ^٥: يَا مُوسَىٰ اصْبِرْ لِمَا

٢. الأعراف (٧): ١٤٣.

١. مقلّمه ابن خلدون، ص ٩-١١.

٣. جمع نور، وهذا من سوء أدب بني إسرائيل مع الملائكة.

٤. اللجب: تراحم الأصوات. ويقال لصهيل الفرس أيضاً.

٥. لعله جبريل عليه السلام.

سألت، فقليل من كثير ما رأيت.

ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى، فاعترضوا عليه. فهبطوا أمثال النور، لهم قصف، ورجف، ولجب شديد، وأفواههم تنبع بالتسبيح، والتقديس كجلب الجيش العظيم، ألوانهم كلهب النار. ففزع موسى، واشتدّ فزعه، وأيس من الحياة، فقال له خير الملائكة: مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه.

ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا، فاعترضوا على موسى بن عمران. فهبطوا عليه، لا يشبههم شيء من الذين مرّوا به قبلهم، ألوانهم كلهب النار، و سائر خلقهم كالثلج الأبيض، أصواتهم عالية بالتقديس والتسبيح، لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مرّوا به من قبلهم؛ فاصطكت ركبته، وارتعد قلبه، واشتدّ بكاؤه، فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت.

ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا، فاعترضوا على موسى. فهبطوا عليه، لهم سبعة ألوان، فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره، لم ير مثلهم، ولم يسمع مثل أصواتهم؛ فامتلاً جوفه خوفاً، واشتدّ حزنه، وكثر بكاؤه، فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران مكانك، حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه.

ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه. فهبطوا عليه في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة ناراً أشدّ ضوءاً من الشمس، ولباسهم كلهب النار، إذا سبّحوا و قدّسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السماوات كلهم، يقولون بشدة أصواتهم: سبّوح قدّوس، ربّ الملائكة والروح، ربّ العزة أبداً لا يموت. وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه. فلما رأهم موسى رفع صوته، يسبّح معهم حين سبّحوا، وهو يبكي ويقول: ربّ اذكرني ولا تنس عبدك، لا أدري أنفقت ممّا أنا فيه أم لا؟ إن خرجت احترقت، وإن مكثت متّ، فقال له كبير الملائكة ورأسهم: قد أوشكت يا ابن عمران أن يشتدّ خوفك، وينخلع قلبك، فاصبر للذي سألت.

ثم أمر الله أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة، فلما بدا نور العرش، انفرج الجبل

من عظمة الربّ جلّ جلاله و رفعت ملائكة السماوات أصواتهم جميعاً، يقولون: سبحان الملك القدّوس، ربّ العزّة أبداً لا يموت، بشدّة أصواتهم. فارتجّ الجبل، و اندكّت كلّ شجرة كانت فيه، و خرّ العبد الضعيف موسى صعقاً على وجهه، ليس معه روحه، فأرسل الله برحمته الروح، فتغشّاه، و قلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى، و جعله كهيئة القبة، لئلاّ يحترق موسى، فأقام موسى يسبح الله، و يقول: أمنت بك ربّي، و صدقت أنّه لا يراك أحد، فيحيا، من نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه، فما أعظمك و أعظم ملائكتك، أنت ربّ الأرباب و إله الآلهة و ملك الملوك، و لا يعدّلك شيء، و لا يقوم لك شيء، ربّ تبت إليك، الحمد لله لا شريك لك، ما أعظمك، و ما أجلك ربّ العالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رُؤْيُهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾، و بعد أن ذكر الأقوال الكثيرة فيما تبدّى من نور الله، قال: و وقع في بعض التفاسير: طارت لعظمته ستّة أجبل، و قعت ثلاثة بالمدينة: أحد، و ودقان، و رضوى، و قعت ثلاثة بمكة: ثور، و ثبير، و حراء^١.

و هذه المرويّات و أمثالها ممّا لا نشكّ أنّها من إسرائيليّات بني إسرائيل، و كذبهم على الله، و على الأنبياء، و على الملائكة، فلا تلق إليه بالأب. و ليس تفسير الآية في حاجة إلى هذه المرويّات، و الآية ظاهرة واضحة.

و من ذلك أيضاً: ما ذكره التعلبيّ، و البغويّ، عند قوله تعالى: ﴿وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ أي مغشياً عليه، و ليس المراد ميتاً كما قال قتادة.

فقد قال البغويّ، في بعض الكتب: إنّ ملائكة السماوات أتوا موسى و هو مغشّي عليه، فجعلوا يركلونه بأرجلهم، و يقولون: يا ابن النساء الحيض، أطمعت في رؤية ربّ العزّة؟! و هذا و أمثاله ممّا لا نشكّ أنّه كلام ساقط لا يعول عليه بوجه، فإنّ الملائكة عليهم السلام ممّا يجب تبرئتهم من إهانة الكليم بالوكز بالرجل، و الغضّ في الخطاب.



٩. الإسرائيليات في ألواح التوراة

ومن الإسرائيليات ما ذكره الثعلبيّ و البغويّ و القرطبيّ و الآلوسيّ و غيرهم، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾^١.

فقد ذكر في الألواح: ممّ هي؟ و ما عددها؟ أقوالاً كثيرة عن بعض الصحابة و التابعين، و عن كعب و وهب، من أهل الكتاب الذين أسلموا، ممّا يشير إلى منبع هذه الروايات، و أنّها من إسرائيليات بني إسرائيل، و فيها من المرويّات ما يخالف المعقول و المنقول، و إليك ما ذكره البغويّ في هذا، قال:

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ﴾، يعني لموسى ﴿فِي الْأَلْوَابِ﴾، قال ابن عباس: يريد ألواح التوراة، و في الحديث: «كانت من سدر الجنّة، طول اللّوح اثنا عشر ذراعاً»، و جاء في الحديث: «خلق الله آدم بيده، و كتب التوراة بيده، و غرس شجرة طوبى بيده»^٢.

و قال الحسن: كانت الألواح من خشب، و قال الكلبيّ: كانت من زبرجدة خضراء.

و قال سعيد بن جببير: كانت من ياقوت أحمر، و قال الربيع: كانت الألواح من برد^٣.

و قال ابن جريج: كانت من زمرد، أمر الله جبريل حتّى جاء بها من عدن، و كتبها بالقلم الذي كتب به الذكر، و استمدّ من نهر النور!!

و قال وهب: أمر الله بقطع الألواح من صخرة صماء، ليّنها الله له، فقطّعها بيده، ثمّ شقّها بيده، و سمع موسى صرير القلم بالكلمات العشر، و كان ذلك في أوّل يوم من ذي القعدة، و كانت الألواح عشرة أذرع، على طول موسى!!

١. الأعراف (٧): ١٤٥.

٢. لم يخرج البغويّ - كما هي عادته - الحديثين و لم يبرز سندهما، و قد ذكر الآلوسيّ أنّ الحديث الأوّل رواه ابن أبي حاتم، و اختار القول به إن صحّ السند إليه، و أمّا الحديث الثاني فقال: إنّه مروىّ عن عبد الله بن عمر (دوح المعاني، ج ٧، ص ٥٧).

٣. الظاهر أنّها بضمّ الباء، و سكون الراء: الثوب المختطّ، و الالف لو كانت من برد - بفتح الباء و الراء - حبات الثلج فكيف يكتب عليها؟

وقال مقاتل وهب: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ﴾: كنعش الخاتم.

وقال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير، يُقرأ الجزء منه في سنة، لم يقرأها إلا أربعة نفر: موسى، ويوشع، وعزير، وعيسى.

فكلّ هذه الروايات المتضاربة التي يردّ بعضها بعضاً ممّا نحيل أن يكون مرجعها المعصوم ﷺ وإنما هي من إسرائيليات بني إسرائيل، حملها عنهم بعض الصحابة والتابعين بحسن نيّة، وليس تفسير الآية متوقفاً على كلّ هذا الذي رووه.

ومن ذلك: ما يذكره بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، فقد جعلوا التوراة مشتملة على كلّ ما كان وكلّ ما يكون، وهذا ممّا لا يعقل، ولا يصدّق، فمن ذلك: ما ذكره الآلوسيّ في تفسيره، قال: وما أخرجه الطبراني، والبيهقي في الدلائل عن محمد بن يزيد الثقفي، قال: اصطحب قيس بن خرشة، وكعب الأحبار حتّى إذا بلغا صفين، وقف كعب، ثمّ نظر ساعة، ثمّ قال: ليهراقنّ بهذه البقعة من دماء المسلمين شيء لا يهراق ببقعة من الأرض مثله. فقال قيس: ما يدريك؟ فإنّ هذا من الغيب الذي استأثر الله تعالى به؟! فقال كعب: ما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة التي أنزل الله تعالى على موسى، ما يكون عليه، وما يخرج منه إلى يوم القيامة!!

وهو من المبالغات التي روي أمثالها عن كعب ولا نصدّق ذلك، ولعلّها من الكذب الذي لاحظته عليه معاوية بن أبي سفيان على ما أسلفنا سابقاً، ولا يعقل قطّ أن يكون في التوراة كلّ أحداث الدنيا إلى يوم القيامة.

والمحققون من المفسرين سلفاً وخلفاً، على أنّ المراد أنّ فيها تفصيلاً لكلّ شيء، ممّا يحتاجون إليه في الحلال والحرام، والمحاسن والقبايح ممّا يلائم شريعة موسى وعصره، إلاّ فقد جاء القرآن الكريم بأحكام وآداب، وأخلاق، لا توجد في التوراة قطّ.

وقد ساق الآلوسيّ هذا الخبر، للاستدلال به لمن يقول: إنّ كلّ شيء عامّ، وكأنّه استشعر بعده، فقال عقبه: «ولعلّ ذكر ذلك من باب الرمز، كما ندعّيه في

القرآن». ^١ قال أبو شهبه: ولا بد أن نقول للآلوسي ومن لفّ لفّه: إن هذا مردود وغير مقبول، ونحن لا نسلم بأنّ في القرآن رموزاً، وإشارات لأحداث، وإن قاله البعض، والحقّ أحقّ أن يتبع. ^٢



١٠. خرافات في بني إسرائيل

ومن الإسرائيليات والخرافات ما ذكره بعض المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ^٣.

فقد ذكر ابن جرير في تفسيره هذه الآية خبراً عجيباً، فقال: حدّثنا القاسم، قال: حدّثنا حبّاج عن ابن جرير قوله: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

قال: بلغني أنّ بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم، وكفروا، وكانوا اثني عشر سبطاً، تبرأ سبط منهم ممّا صنعوا، واعتذروا وسألوا الله ﷻ أن يفرّق بينهم، وبينهم، ففتح الله لهم نقفاً في الأرض، فساروا، حتّى خرجوا من وراء الصين، فهم هنالك حنفاء مسلمون، يستقبلون قبلتنا.

قال ابن جرير: قال ابن عباس: فذلك قوله: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَغِيفاً﴾ ^٤.

ووعد الآخرة: عيسى بن مريم.

قال ابن جرير: قال ابن عباس: ساروا في السرب سنة ونصفاً، وقال ابن عيينة، عن صدقة، عن أبي الهذيل، عن السديّ: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ قال: قوم بينكم وبينهم نهر من شهد، وقد وصف ابن كثير ما رواه ابن جرير بأنّه خبر عجيب! وقال البغويّ في تفسيره: قال الكلبيّ، والضحاك والربيع: هم قوم خلف الصين، بأقصى

٢. الإسرائيليات والموضوعات، ص ٢٠٤.

١. المصدر نفسه، ج ٩، ص ٥٦ و ٥٧، ط منير.

٤. تفسير الطبري، ج ٩، ص ٦٠.

٣. الأعراف (٧): ١٥٩.

٦. تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٢٥٦.

٥. إسراء (١٧): ١٠٤.

الشرق، على نهر مجرى الرمل، يُسمى نهر أردن، ليس لأحد منهم مال دون صاحبه، يمطرون بالليل، و يسقون بالنهار، و يزرعون، لا يصل إليهم منّا أحد، و هم على دين الحقّ، و ذكر: أنّ جبريل عليه السلام ذهب بالنبي ﷺ ليلة أُسري به إليهم، فكلّمهم، فقال لهم جبريل: هل تعرفون من تكلمون؟ قالوا: لا، فقال لهم: هذا محمّد النبي الأمي، فآمنوا به، فقالوا: يا رسول الله، إنّ موسى أوصانا أنّ من أدرك منكم أحمد، فليقرأ عليه منّي السلام، فردّ النبي ﷺ على موسى و عليهم، ثمّ أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكّة، و أمرهم بالصلاة و الزكاة، و أمرهم أن يقيموا مكانهم، و كانوا يسبتون^١، فأمرهم أن يجمعوا، و يتركوا السبت. و قيل: هم الذين أسلموا من اليهود في زمن النبي ﷺ و الأول أصح!!^٢ و هي من خرافات بني إسرائيل و لا محالة، و العجب من البغوي أن يجعل هذه الأكاذيب أصحّ من القول الآخر الذي هو أجدر بالقبول و أولى بالصحة، و نحن لا نشكّ في أنّ ابن جريج و غيره ممن رروا ذلك، إنّما أخذوه عن أهل الكتاب الذين أسلموا، و لا يمكن أبداً أن يكون متلقياً عن المعصوم ﷺ.

التفسير الصحيح للآية

و الذي يترجّح عندنا: أنّ المراد بهم أناس من قوم موسى عليه السلام اهدتوا إلى الحقّ، و دعوا الناس إليه، و بالحقّ يعدلون فيما يُعرض لهم من الأحكام و القضايا، و أنّ هؤلاء الناس وجدوا في عهد موسى، و بعده، بل و في عهد نبيّنا ﷺ و قد بيّن الله تبارك و تعالى بهذا: أنّ اليهود و إن كانت الكثرة الكاثرة فيهم تجحد الحقّ و تنكره، و تجور في الأحكام، و تعادي الأنبياء، و تقتل بعضهم، و تكذب البعض الآخر، و فيهم من شكاسة الأخلاق و الطباع ما فيهم، فهناك أمة كثيرة منهم: يهدون بالحقّ، و به يعدلون، فهم لا يتأبّون عن الحقّ، فيه شهادة و تزكية لهؤلاء، و تعريض بالكثرة الغالبة منهم، التي ليست كذلك، و التي جحدت نبوة نبيّنا محمّد ﷺ فيمن جحدها من طوائف البشر، و ناصبته العداوة

٢. تفسير البغوي، ج ٢، ص ٢٠٦.

١. أي معظمون السبت كاليهود.

والبغضاء، و هو ما يُشعِرُ به قوله سبحانه قَبْلُ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ كَلِمَاتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، و بذلك تظهر المناسبة بين هذه الآية و التي قبلها مباشرة، و الآيات التي قبل ذلك.

أما ما ذكره فليس هناك ما يشهد له من عقل، و لا نقل صحيح، بل هو يخالف الواقع الملموس، و المشاهد المتيقن، و قد أصبحت الصين و ما وراءها معلوماً كلَّ شبر فيها، فأين هم؟ ثم ما هذا النهر من الشهد؟! و ما هذا النهر من الرمل؟! و أين هما؟! ثم أيّ فائدة تعود على الإسلام و المسلمين من التمسك بهذه الروايات التي لا خطام لها، و لا زمام؟! و ماذا يكون موقف الداعية إلى الإسلام في هذا العصر الذي نعيش فيه، إذا انتصر لمثل هذه المرويات الخرافية الباطلة؟! إنَّ هذه الروايات لو صحَّت أسانيدها لكان لها بسبب مخالفتها للمعقول، و المشاهد الملموس ما يجعلنا في حلٍّ من عدم قبولها، فكيف و أسانيدها ضعيفة واهية؟! و قد تبَّهنا غير مرّة أن كونها صحيحة السند فرضاً لا ينافي كونها من الإسرائيليات.



١١. الإسرائيليات في سفينة نوح

و من الإسرائيليات التي اشتملت عليها بعض كتب التفسير، كتفسير ابن جرير، و الدرّ المتثور، و غيرهما ما روي في سفينة نوح عليه السلام فقد أحاطوها بهالة من العجائب و الغرائب، من أيّ خشب صنعت؟ و ما طولها؟ و ما عرضها؟ و ما ارتفاعها؟ و كيف كانت طبقاتها؟ و ذكروا خرافات في خلقه بعض الحيوانات من الأخرى، و قد بلغ ببعض الرواة أنهم نسبوا بعض هذا إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم، قال صاحب الدرّ: و أخرج أبو الشيخ، و ابن مردويه، عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: «كانت سفينة نوح عليه السلام لها أجنحة، و تحت الأجنحة إيوان»،

أقول: قَبَّحَ اللهُ من نسب مثل هذا إلى النبي ﷺ.

وأخرج ابن مردويه عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سَامَ أَبُو العرب، وحمَامُ أَبُو الحبش، وياثُ أَبُو الروم» وذكر: أن طول السفينة كان ثلاث مائة ذراع، و عرضها خمسون ذراعاً، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، و بابها في عرضها، ثم ذكر عن ابن عباس مثل ذلك: في طولها، و ارتفاعها، ثم قال: وأخرج إسحاق بن بشر، و ابن عساكر، عن ابن عباس: «أن نوحاً لما أمر أن يصنع الفلك، قال: يا رب، و أين الخشب؟ قال: اغرس الشجر، فغرس الساج عشرين سنة، إلى أن قال: فجعل السفينة ست مائة ذراع طولها، و ستين ذراعاً في الأرض - يعني عمقها-، و عرضها ثلاث مائة و ثلاثة و ثلاثون ذراعاً، و أمر أن يطلِّبها بالقار، و لم يكن في الأرض قار، ففجر الله له عين القار؛ حيث تنحت السفينة، تغلي غلياناً، حتى طلاها، فلما فرغ منها جعل لها ثلاثة أبواب، و أطبقها، و حمل فيها السباع، و الدواب، فألقى الله على الأسد الحُمى، و شغله بنفسه عن الدواب، و جعل الوحش و الطير في الباب الثاني، ثم أطبق عليهما.

وأخرج ابن جرير، و أبو الشيخ عن الحسن، قال: «كان طول سفينة نوح عليه السلام ألف ذراع و مائتي ذراع، و عرضها ست مائة ذراع»

وإليك ما ذكره بعد هذا من العجب العجائب، قال: وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة، فحدثنا عنها. فانطلق بهم، حتى انتهى إلى كتيب من تراب، فأخذ كفاً من ذلك التراب، قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: هذا كعب حام بن نوح، فضرب الكتيب بعصاه، قال: قم ياذن الله، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه، قد شاب، قال له عيسى عليه السلام: هكذا هلكت؟! قال: لا، مت و أنا شاب، و لكنني ظننت أنها الساعة، فمن ثم شيت، قال: حدثنا عن سفينة

١. لا ندرى بأي رواية تصدق، أم برواية ابن عباس هذه، أم بالسابقة، و هذا الاضطراب أمارة الاختلاق ممن

وضعوها أولاً، و أسندوها إلى ابن عباس و غيره.

٢. في القاموس: القير، و القار: شيء أسود تطلّى به الإبل، أو هو: الزفت.

نوح، قال: كان طولها ألف ذراع، و مائتي ذراع، و عرضها ست مائة ذراع، كانت ثلاث طبقات، فطبقة فيها الدوابّ و الوحش، و طبقة فيها الإنس، و طبقة فيها الطير. فلما كثر أرواث الدوابّ أوحى الله إلى نوح: أن اغمز ذنب الفيل، فغمزه، فوقع منه خنزير و خنزيرة!! فأقبلا على الروث، فلما وقع الفأر جعل يخرب السفينة بقرضه أوحى الله إلى نوح: أن اضرب بين عيني الأسد، فخرج من منخره سنور و سنورة، فأقبلا على الفأر فأكلاه.

و في رواية أخرى: أن الأسد عطس، فخرج من منخره سنوران، ذكر و أنثى، فأكلا الفأر، و أن الفيل عطس، فخرج من منخره خنزيران، ذكر و أنثى، فأكلا أذي السفينة. و أنه لما أراد الحمار أن يدخل السفينة أخذ نوح بأذني الحمار، و أخذ إيليس بذنبه، فجعل نوح عليه السلام يجذبه، و جعل إيليس يجذبه، فقال نوح: ادخل يا شيطان - و يريد به الحمار - فدخل الحمار، و دخل معه إيليس. فلما سارت السفينة جلس إيليس في أذناها يتغنى، فقال له نوح عليه السلام: ويلك من أذن لك؟! قال: أنت!! قال: متى؟! قال: أن قلت للحمار: ادخل يا شيطان، فدخلت بإذنك.

و زعموا أيضاً: أن الماعز لما استصعبت على نوح أن تدخل السفينة فدفعها في ذنبها، فمن ثم انكسر، و بدا حياها، و مضت التعبة فدخلت من غير معاكسة، فمسح على ذنبها، فستر الله حياها - يعني فرجها - و زعموا أيضاً: أن سفينة نوح عليه السلام طافت بالبيت أسبوعاً، بل رووا عن عبد الرحمان بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدّه، عن النبي صلى الله عليه وآله: «إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً، و صلّت عند المقام ركعتين!!»

و هذا من تفاهات عبد الرحمان هذا، و قد ثبت عنه من طرق أخرى، نقلها صاحب التهذيب (ج ٦، ص ١٧٩) عن الساجي، عن الربيع، عن الشافعي، قال: «قيل لعبد الرحمان ابن زيد بن أسلم: حدّثك أبوك عن جدّك: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن سفينة نوح طافت بالبيت، و صلّت خلف المقام ركعتين!!»!! قال: نعم، و قد عرف عبد الرحمان بمثل هذه العجائب المخالفة للعقل، و تندر به العلماء. قال الشافعي فيما نقل في التهذيب أيضاً: «ذكر رجل لمالك حديثاً منقطعاً، فقال: اذهب إلى عبد الرحمان بن زيد يحدثك عن أبيه، عن

نوح!»!

وَأَنْ لَّمَّا رَسَتْ السَّفِينَةُ عَلَى الْجُودِيِّ وَكَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ صَامَ نُوحٌ، وَأَمْرٌ جَمِيعٌ مِنْ مَعَهُ مِنَ الْوَحْشِ وَالذُّوَابِ فَصَامُوا شُكْرًا لِلَّهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّخْرِيفَاتِ وَالْأَبَاطِيلِ الَّتِي لَا نَزَالَ نَسْمَعُهَا، وَأَمْثَالِهَا مِنَ الْعَوَامِّ وَالْعَجَائِزِ، وَهَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَمْتَّ إِلَى الْإِسْلَامِ بِصَلَةِ، وَإِنَّا لَنَنْزَهُ الْمَعْصُومَ ﷺ مِنْ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ مَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا هِيَ أَحَادِيثُ خِرَافَةٍ اخْتَلَقَهَا الْيَهُودُ وَأَضْرَابُهُمْ عَلَى تَوَالِي الْعُصُورِ، وَكَانَتْ شَائِعَةً مَشْهُورَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ نَشَرَهَا أَهْلُ الْكِتَابِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَوْغَلَ زِنَادِقَةَ الْيَهُودِ وَأَمْثَالَهُمْ فِي الْكَيْدِ لِلْإِسْلَامِ وَنَبِيِّهِ، فَزَوَّرُوا بَعْضَهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَا كُنَّا نَحْبُ لِابْنِ جَرِيرٍ، وَلَا لِلْسَيُوطِيِّ، وَلَا لِغَيْرِهِمَا أَنْ يَسُودُوا صَحَائِفَ كِتَابِهِمْ بِهَذِهِ الْخِرَافَاتِ وَالْأَبَاطِيلِ. فَاحْذَرْ مِنْهَا أَيُّهَا الْقَارِئُ فِي أَيِّ كِتَابٍ مِنْ كِتَابِ التَّفْسِيرِ وَجَدْتَهَا، وَأَلْقَ بِهَا دُبْرَ أُذُنِكَ، وَكُنْ عَنِ الْحَقِّ مُنَافِحًا وَلِلْبَاطِلِ مُزِيغًا.

* * *

١٢. الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾^٢ وَمِنْ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الْمَكْذُوبَةِ الَّتِي لَا تُوَافِقُ عَقْلًا وَلَا نَقْلًا مَا ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ، وَصَاحِبُ الدَّرِّ الْمَثُورِ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْمَفْسَّرِينَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فَقَدْ ذَكَرُوا فِي هَمِّ يُوسُفَ ﷺ مَا يَنَافِي عَصْمَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا يَخْجَلُ الْقَلَمَ مِنْ تَسْطِيرِهِ، لَوْلَا أَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ بَيَانٍ وَتَحْذِيرٍ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسَلِهِ، وَهُوَ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ.

فَقَدْ رَوَوْا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ- أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَمِّ يُوسُفَ ﷺ مَا بَلَغَ؟ قَالَ: حَلَّ الْهَمِيَانِ -يَعْنِي السَّرَاوِيلَ- وَجَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسَ الْخَائِنِ، فَصِيحَ بِهِ، يَا يُوسُفَ لَا تَكُنْ

١. تفسير الطبري، ج ١٢، ص ٢١-٢٩؛ الدر المنثور، ج ٣، ص ٣٢٧-٣٣٥.

٢. يوسف (١٢): ٢٤.

كالطير له ريش، فإذا زنى قعد ليس له ريش. ورووا مثل هذا عن عليّ عليه السلام و عن مجاهد، و عن سعيد بن جبير.

و رووا أيضاً في البرهان الذي رآه، و لولاه لوقع في الفاحشة بأنه نودي: أنت مكتوب في الأنبياء، و تعمل عمل السفهاء، و قيل: رأى صورة أبيه يعقوب في الحائط، و قيل: في سقف الحجر، و أنه رآه عاصراً على إبهامه، و أنه لم يتعظ بالنداء، حتى رأى أباه على هذه الحال. بل أسرف واضعو هذه الإسرائيليات الباطلة، فزعموا أنه لما لم يزعو من رؤية صورة أبيه عاصراً على أصابعه، ضربه أبوه يعقوب، فخرجت شهوته من أنامله! و لأجل أن يؤيد هؤلاء الذين افتروا على الله و نبيّه يوسف هذا الافتراء، يزعمون أيضاً: أن كل أبناء يعقوب قد ولد له اثنا عشر ولداً ما عدا يوسف، فإنه نقص بتلك الشهوة التي خرجت من أنامله ولداً، فلم يولد له غير أحد عشر ولداً. بل زعموا أيضاً في تفسير البرهان، فيما روي عن ابن عباس: أنه رأى ثلاث آيات من كتاب الله: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾^١، و قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبَيِّنُونَ فِيهِ﴾^٢، و قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتُمْ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾^٣، و قيل: رأى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^٤!! و من البديهي أن هذه الآيات بهذا اللفظ العربي لم تنزل على أحد قبل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم و إن كان الذين افتروا هذا لا يعدمون جواباً، بأن يقولوا: رأى ما يدل على معاني هذه الآيات بلغتهم التي يعرفونها، بل قيل في البرهان: إنه أرى تمثال الملك، و هو العزيز، و قيل: خياله^٥. و كل ذلك مرجعه إلى أخبار بني إسرائيل و أكاذيبهم التي افتجروها على الله، و على رسله، و حملة إلى بعض الصحابة و التابعين: كعب الأحبار، و وهب بن منبه، و أمثالهما.

٢. يونس (١٠): ٦١.

١. الانفطار (٨٢): ١٠ و ١١.

٤. الإسراء (١٧): ٣٢.

٣. الرعد (١٣): ٣٣.

٥. تفسير الطبري، ج ١٢، ص ١٠٨-١١٤؛ الدر المنثور، ج ٤، ص ١٣ و ١٤؛ تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٧٤ و ٤٧٥؛ تفسير

البغوي، ج ٢، ص ٤١٨-٤٢٠.

وليس أدلّ على هذا، ممّا روي عن وهب بن منبه قال: «لَمَّا خَلَا يَوْسُفَ وَامْرَأَةَ الْعَزِيزِ، خَرَجَتْ كَفًّا بِلَا جَسَدٍ بَيْنَهُمَا، مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا بِالْعِبْرَانِيَّةِ: ﴿أَقْنِ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، ثُمَّ انصرفت الكفّ، و قاما مقامهما، ثم رجعت الكفّ بينهما، مكتوب عليها بالعبرانية: ﴿إِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، ثم انصرفت الكفّ، و قاما مقامهما، فعادت الكفّ الثالثة مكتوب عليها: ﴿وَلَا تَعْرَبُوا الرِّثْمَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَ سَاءَ سَبِيلًا﴾ و انصرفت الكفّ، و قاما مقامهما فعادت الكفّ الرابعة مكتوب عليها بالعبرانية: ﴿وَرَاتِقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، فوالى يوسف ﷺ هارباً^٢.

و قد كان وهب أو من نقل عنه وهب ذكياً بارعاً، حينما زعم أنّ ذلك كان مكتوباً بالعبرانية؛ و بذلك أجاب عمّا استشكلناه، و لكن مع هذا لن يجوز هذا الكذب إلا على الأغرار و السذج من أهل الحديث. و لا ندرى أيّ معنى يبقى للعصمة بعد أن جلس بين فخذيهما، و خلع سرواله؟! و ما امتناعه عن الزنى على مروياتهم المفتراة إلا و هو مقهور مغلوب؟!

و لو أنّ عريداً رأى صورة أبيه بعد مماته تحدّره من معصية لكفّ عنها، و انزجر، فأبى فضل ليوسف إذاً، و هو نبيّ من سلاله أنبياء؟! بل أيّ فضل له في عدم مقارفته الفاحشة، بعد ما خرجت شهوته من أنامل قدميه؟! و ما امتناعه حينئذٍ إلا قسريّ جبريّ!!

ثمّ ما هذا الاضطراب الفاحش في الروايات؟! أ ليس الاضطراب الذي لا يمكن التوفيق بينها. و هذا من العلل التي ردّ المحدثون بسببها الكثير من المرويات؟! لآنها أمانة من أمارات الكذب و الاختلاق.

ثمّ كيف يتفق ما حيك حول نبيّ الله يوسف ﷺ و قول الحقّ تبارك و تعالی عقب ذكر

الهم: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^١، فهل يستحق هذا الثناء من حل التكة، وخلق السروال، وجلس بين رجلها؟! ولا أدري أن صدق الله تبارك وتعالى أم نصدق كذبة بني إسرائيل ومخرفيهم؟!!

بل كيف يتفق ما روى هو وما حكاه الله ﷻ عن زليخا بطلة المراودة، حيث قالت: ﴿أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾^٢ وهو اعتراف صريح من البطلة التي أعيتهما الحيل عن طريق التزيين حيناً، والتودد إليه بمعسول القول حيناً آخر، والإرهاب والتخويف حيناً ثالثاً، فلم تفلح: ﴿لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾^٣.

وانظر ماذا كان جواب السيد العفيف، الكريم ابن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ السُّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^٤ وقصده ﷻ بقوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ...﴾: تبرؤ من الحول والطول، وأن الحول والقوة إنما هما من الله، وسؤال منه لربه، واستعانة به على أن يصرف عنه كيدهن، وهكذا شأن الأنبياء.

بل قد شهد الشيطان نفسه ليوسف ﷻ في ضمن قوله، كما حكاه الله سبحانه عنه بقوله: ﴿قَالَ قَبَّرْتِكَ لِأَعْيُنِنَهُمْ أجمعين إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^٥، ويوسف بشهادة الحق السالفة من المخلصين.

وكذلك شهد ليوسف شاهد من أهلها^٦، فقال: ﴿إِنْ كَانَ قَيْصُ قُدٌّ مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَيْصُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَلَمَّا رَأَى قَيْصُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾^٧، وقد أسفر التحقيق عن براءة يوسف وإدانة

١. يوسف (١٢): ٢٤. قرئ في السبع بضم الميم وفتح اللام، أي الذين اصطفاهم واختارهم لنبوته ورسالته، وقرئ بكسر اللام، أي الذين أخلصوا له التوحيد والعبادة، والمعنى الثاني لازم للأول، فمن اصطفاه الله لا بد أن يكون مخلصاً.

٢. يوسف (١٢): ٥١.

٣. يوسف (١٢): ٣٢.

٤. ص (٣٨): ٨٢ و ٨٣.

٥. يوسف (١٢): ٣٣ و ٣٤.

٦. قيل: كان رجلاً عاقلاً حكيماً مجرباً من خاصة الملك، وكان من أهلها، وقيل: كان صبياً في المهد وكان ذلك

٧. يوسف (١٢): ٢٦-٢٨.

إرهاصاً بين يدي نبوة يوسف، إكراماً له.

زليخا، امرأة العزيز.

فكيف تتفق كل هذه الشهادات الناصعة الصادقة، وتلك الروايات المزورة؟! وقد ذكر الكثير من هذه الروايات ابن جرير الطبري، والتعلبي، والبغوي، وابن كثير، والسيوطي، وقد مرّ بها ابن كثير بعد أن نقلها حاكياً من غير أن ينبّه إلى زيفها، وهذا غريب!! ومن العجيب حقاً أن ابن جرير يحاول أن يُضعف في تفسيره مذهب الخلف الذين ينفون هذا الزور والبهتان، ويفسّرون الآيات على حسب ما تقتضيه اللغة وقواعد الشرع، وما جاء في القرآن والسنة الصحيحة الثابتة، ويعتبر هذه المرويات التي سقنا لك زوراً منها أنفاً؛ هي قول جميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين يؤخذ عنهم^١، وكذلك تابعه على مقالته تلك التعلبي والبغوي في تفسيريهما^٢!!

وهذه المرويات الغثة المكذوبة التي ياباها النظم الكريم، و يجزم العقل والنقل باستحالتها على الأنبياء ﷺ هي التي اعتبرها الطبري ومن تبعه «أقوال السلف»!! بل يسير في خطأ اعتبار هذه المرويات، فيورد على نفسه سؤالاً، فيقول: فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا وهو لله نبي؟! ثم أجاب بما لا طائل تحته، ولا يليق بمقام الأنبياء^٣. قاله الواحدي في تفسيره البسيط.

وأعجب من ذلك ما ذهب إليه الواحدي في البسيط قال: قال المفسّرون الموثوق بعلمهم، المرجوع إلى روايتهم، الآخذون للتأويل، عمّن شاهدوا التنزيل: همّ يوسف ﷺ بهذه المرأة همّاً صحيحاً، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة، فلما رأى البرهان من ربه زالت كل شهوة منه.

وهي غفلة شديدة من هؤلاء الأئمة لا نرضاها، ولولا أننا ننزّه لساننا وقلمنّا عن الهجر من القول، وأنهم خلطوا في مؤلفاتهم عملاً صالحاً و آخر سيئاً لقسونا عليهم، وحق لنا هذا، والعصمة لله.

٢. تفسير البغوي، ج ٢، ص ٤٢٢.

١. تفسير الطبري، ج ١٢، ص ١١٠.

٣. تفسير الطبري، ج ١٢، ص ١٠٩ و ١١٠.

و هذه الأقوال التي أسرف في ذكرها هؤلاء المفسرون: إمّا إسرائيليّات و خرافات، وضعها زنادقة أهل الكتاب القدماء، الذي أرادوا بها النيل من الأنبياء و المرسلين، ثمّ حملها معهم أهل الكتاب الذين أسلموا، و تلقّاها عنهم بعض الصحابة، و التابعين. و إمّا أن تكون مدسوسة على هؤلاء الأئمّة، دسّها عليهم أعداء الأديان، كي تروّج تحت هذا الستار؛ و بذلك يَصِلون إلى ما يريدون من إفساد العقائد، و تعكير صفو الثقافة الإسلاميّة الأصيلة الصحيحة.

* * *

١٣. الفرية على المعصوم عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْقَيْبِ...﴾^١ و لكي يؤدّوا باطلهم الذي ذكرناه آنفاً، رَووا عن الصحابة و التابعين ما لا يليق بمقام الأنبياء، و اختلقوا على النبي عليه السلام زوراً، و قولوه ما لم يقله، قال صاحب الدر: و أخرج الفريابي، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و أبو الشيخ، و البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس -رضوان الله عليه- قال: لما جمع الملك النسوة قال لهن: أنتن راودتن يوسف عن نفسه؟ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾^٢، قال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْقَيْبِ﴾، فغمزه جبريل عليه السلام فقال: و لا حين هممت بها؟ فقال: ﴿وَ مَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^٣.

قال: و أخرج ابن جرير عن مجاهد، و قتادة، و الضحّاك، و ابن زيد، و السديّ مثله، و أخرج الحاكم في تاريخه، و ابن مردويه و الديلمي عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قرأ هذه الآية: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْقَيْبِ﴾ قال: لما قال يوسف ذلك قال له جبريل عليه السلام: و لا يوم هممت بما هممت به؟ فقال: ﴿وَ مَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، قال:

٢. يوسف (١٢): ٥١.

١. يوسف (١٢): ٥٢.

٣. يوسف (١٢): ٥٣.

وأخرج ابن جرير عن عكرمة مثله.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم عن حكيم بن جابر في قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ قال جبريل: ولا حين حللت سراويل؟ إلى غير ذلك من المرويات المكذوبة، والإسرائيليات الباطلة، التي خرّجها بعض المفسرين الذين كان منهجهم ذكر المرويات، وجمع أكبر قدر منها، سواء منها ما صحّ وما لم يصحّ. والإخباريون الذين لا تحقيق عندهم للمرويات، وليس أدلّ على ذلك من أنّها لم يخرجها أحد من أهل الكتب الصحيحة، ولا أصحاب الكتب المعتمدة الذين يرجع إليهم في مثل هذا.

القرآن يردّ هذه الأكاذيب

وقد فات هؤلاء الدسّاسين الكذّابين أنّ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ...﴾ الآيتين، ليس من مقالة سيّدنا يوسف عليه السلام وإنما هو من مقالة امرأة العزيز، وهو ما يتفق وسياق الآية، ذلك: أنّ العزيز لما أرسل رسوله إلى يوسف لإحضاره من السجن، قال له: ارجع إلى ربك، فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهنّ؟ فأحضر النسوة، وسألهنّ، وشهدن ببراءة يوسف، فلم تجد امرأة العزيز بُدّاً من الاعتراف، فقالت: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا أُبْرئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ فكلّ ذلك من قولها؛ ولم يكن يوسف حاضراً ثمّ، بل كان في السجن، فكيف يعقل أن يصدر منه ذلك في مجلس التحقيق الذي عقده العزيز؟ وقد انتصر لهذا الرأي الذي يوائم السياق والسباق الإمام الشيخ محمّد عبده، في تفسير المنار. وهو آخر ما رقمه في تفسير القرآن.

وهكذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾:

تقول: إنّما اعترفتُ بهذا على نفسي، ليعلم زوجي أنّي لم أخنه بالغيّب في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر. وإنّما راودت هذا الشابّ مراودة، فامتنع؛ فلهذا اعترفت ليعلم أنّي بريئة، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبْرئُ نَفْسِي﴾ تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإنّ النفس تتحدّث، وتتمنّى؛ ولهذا راودته؛ لأنّ ﴿النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَمَ

رَبِّي» أَي إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ تَعَالَى «إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

قال: وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاها الماوردي في تفسيره، وجعله أول الوجهين في تفسير الآية. وبعد أن ذكر بعض ما ذكره ابن جرير الذي ذكرناه آنفاً عن ابن عباس، وتلاميذه، وغيره قال: والقول الأول أقوى وأظهر؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك.

التفسير الصحيح لقوله تعالى: «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا»

قال أبو شهبه: والصحيح في تفسير قوله تعالى: «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ»^٢ أن الكلام تم عند قوله تعالى: «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ» وليس من شك في أن همتها كان بقصد الفاحشة، «وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ». الكلام من قبيل التقديم والتأخير، والتقدير: ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، فقوله تعالى: «وَهَمَّ بِهَا»، جواب «لولا» مقدّم عليها، ومعروف في العربية أن «لولا» حرف امتناع لوجود، أي امتناع الجواب لوجود الشرط؛ فيكون «الهمم» ممتنعاً؛ لوجود البرهان الذي ركّزه الله في فطرته. والمقدّم إمّا الجواب، أو دليله، على الخلاف في هذا بين النحويين، والمراد بالبرهان: حجة الله الباهرة الدالة على قبح الزنى، وهو شيء مركوز في فطر الأنبياء. ومعرفة ذلك عندهم وصل إلى عين اليقين، وهو ما تعبّر عنه بالعصمة، وهي التي تحول بين الأنبياء والمرسلين، وبين وقوعهم في المعصية.

ويرحم الله الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حيث قال: البرهان: النبوة التي أودعها الله في صدره، حالت بينه وبين ما يُسخط الله تعالى.

وهذا هو القول الجزل الذي يوافق ما دلّ عليه العقل من عصمة الأنبياء، ويدعو إليه

١. تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٨١-٤٨٢. و راجع: تفسير الماوردي، ج ٣، ص ٤٧؛ المنار، ج ١٢، ص ٣٢٣.

٢. يوسف (١٢): ٢٤.

السابق واللاحق. وأما كون جواب «لولا» لا يجوز أن يتقدّم عليها، فهذا أمر ليس ذا خطر، حتّى نعدل عن هذا الرأي الصواب، إلى التفسيرات الأخرى الباطلة، لِهَمَّ يوسف عليه السلام، والقرآن هو أصل اللغة، فورود أي أسلوب في القرآن يكفي في كونه أسلوباً عربياً فصيحاً، وفي تأصيل أي قاعدة من القواعد النحوية، فلا يجوز لأجل الأخذ بقاعدة نحوية، أن تقع في محذور لا يليق بالأنبياء كهذا. والصحيح أنّ الجواب محذوف بقرينة المذكور، وهو ما تقدّم على «لولا»؛ ليكون ذلك قرينة على الجواب المحذوف.

وقيل: إنّ ما حصل من «هَمَّ يوسف» كان خطرة، وحدث نفس بمقتضى الفطرة البشرية، ولم يستقرّ، ولم يظهر له أثره. قال البغويّ في تفسيره: «قال بعض أهل الحقائق: الهمُّ هَمَانٌ: همّ ثابت، وهو إذا كان معه عزم، وعقد، ورضا، مثل همّ امرأة العزيز، والعبد مأخوذ به؛ وهمّ عارض، وهو الخطرة، وحدث النفس من غير اختيار ولا عزم، مثل همّ يوسف عليه السلام والعبد غير مأخوذ به، ما لم يتكلّم به أو يعمل»، وقيل: همّت به همّ شهوةٍ وقصدٍ للفاحشة، وهمّ هو بضرها. ولا أدري كيف يتفق هذا القول، وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾.

و القول الجزل الفحل هو ما ذكرناه أولاً، وصرّحت به الرواية الصحيحة عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. والسّرّ في إظهاره في هذا الأسلوب - والله أعلم -: تصوير المشهد المثير المُغري العرم، الذي هيأتها امرأة العزيز لنبى الله يوسف، وأنّه لولا عصمة الله له، وفطرته النبوية الزكية، لكانت الاستجابة لها، والهمُّ بها أمراً محققاً. وفي هذا تكريم ليوسف، وشهادة له بالعمّة البالغة، والطهارة الفائقة.



١٤. الإسرائيليات في سبب لبث يوسف في السجن

ومن الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين في مدّة سجن يوسف عليه السلام وفي سبب

لبثه في السجن بضع سنين، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْ هُنَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السُّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾^١.

فقد ذكر ابن جرير، و الثعلبي، و البغوي، و غيرهم أقوالاً كثيرة في هذا، فقد قال وهب ابن منبه: أصاب أيوب البلاء سبع سنين، و ترك يوسف في السجن سبع سنين، و عذب بختنصر يجول في السباع سبع سنين^٢.

و قال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقى: اذكرنى عند ربك. قيل له: يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً، لأطيلن حبسك، فبكى يوسف، و قال: يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى؛ فقلت كلمة، و لن أعود.

و قال الحسن البصري: دخل جبريل عليه السلام على يوسف في السجن، فلما رآه يوسف عرفه، فقال له: يا أبا المنذرين، إني أراك بين الخاطئين! فقال له جبريل: يا طاهر يا ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين، و يقول لك: أما استحييت مني أن استشفعت بالآدميين؟! فوعزتي و جلالتي لألبثتك في السجن بضع سنين، فقال يوسف: و هو في ذلك عتي راض، قال: نعم، قال: إذاً لأبالي.

و قال كعب الأحبار: قال جبريل ليوسف: إن الله تعالى يقول: من خلقك؟ قال: الله تعالى. قال: فمن حببك إلى أبيك؟ قال: الله، قال: فمن نجاك من كرب البئر؟ قال: الله، قال: فمن علمك تأويل الرؤيا؟ قال: الله، قال: فمن صرف عنك سوء، و الفحشاء؟ قال: الله، قال: فكيف استشفعت بآدمي مثلك؟^٣ فلما انقضت سبع سنين - قال الكلبي: و هذه السبع سوى الخمسة^٤ التي قبل ذلك - جاءه الفرج من الله، فرأى الملك ما رأى من الرؤيا العجيبة، و عجز الملاء عن تفسيرها، تذكّر الساقى يوسف، و صدق تعبيره للرؤى، فذهب إلى

١. يوسف (١٢): ٤٢.

٢. لا ندري ما المناسبة بين نبي الله، و بختنصر الذي أذل اليهود و سباهم؟.

٣. تفسير البغوي، ج ٢، ص ٢٨٤.

٤. بعض المفسرين لا يكتفي بالسبع بل يضم إليها خمساً قبل ذلك. و لا أدري ما مستنده في هذا؟ و ظاهر القرآن لا يشهد له. و لو كان كذلك لصرح به القرآن، أو لأشار إليه.

يوسف، فعبرها له خير تعبير؛ فكان ذلك سبب نجاته من السجن، وقول امرأة العزيز: ﴿الآنَ حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وأغلب الظنّ عندنا أنّ هذا من الإسرائيليات، فقد صوّرت سجن يوسف على أنه عقوبة من الله لأجل الكلمة التي قالها، مع أنه ﷺ لم يقل هجرًا، ولا منكراً، فالأخذ في أسباب النجاة العادية، وفي أسباب إظهار البراءة والحق، لا ينافي قطّ التوكّل على الله تعالى. والبلاء للأنبياء ليس عقوبة، وإنما هو لرفع درجاتهم، وليكونوا أسوة و قدوة لغيرهم، في باب الابتلاء. وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل».

وقد روى ابن جرير هاهنا حديثاً مرفوعاً، فقال: حدّثنا ابن وكيع قال: حدّثنا عمرو بن محمّد، عن إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً، قال: قال النبي ﷺ: «لو لم يقل - يعني يوسف - الكلمة التي قالها، ما لبث في السجن طول ما لبث، حيث يبتغي الفرج من عند غير الله».

ولو أنّ هذا الحديث كان صحيحاً أو حسناً؛ لكان للمتمسّكين بمثل هذه الإسرائيليات التي أظهرت سيّدنا يوسف بمظهر الرجل المذنب المدان وجهة، ولكنّ الحديث شديد الضعف، لا يجوز الاحتجاج به أبداً.

قال الحافظ ابن كثير: «وهذا الحديث ضعيف جداً؛ لأنّ سفيان بن وكيع - الراوي عنه ابن جرير - ضعيف، وإبراهيم بن يزيد أضعف منه أيضاً، وقد روى عن الحسن و قتادة مرسلًا عن كلّ منهما، وهذه المرسلات هاهنا لا تقبل^٢، ولو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن، والله أعلم»^٣. وقد تكلف بعض المفسّرين للإجابة عمّا يدلّ عليه هذا

١. الضعيف جداً لا يحتجّ به لافي الأحكام ولا في الفضائل، فما بالك في مثل هذا؟

٢. لأنّ المرسل احتجّ به بعض المحدثين إذا تضافر أمّا في مثل هذا الذي فيه إدانة بعض الأنبياء، وإلقاء اللوم عليه فلا.

٣. تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٧٩.

الحديث. و حاله كما سمعت. بل تكلف بعضهم، فجعل الضمير في «فأنساه» ليوسف، و هو غير صحيح، لأن الضمير يعود إلى الذي نجا منهما؛ بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَمَةٍ...﴾ فالذي تذكر هو الذي أنساه الشيطان، والذي يجب أن نعتقه أن يوسف عليه السلام مكث في السجن - كما قال الله تعالى - بضع سنين.

و البضع: من الثلاث إلى التسع، أو إلى العشر، من غير تحديد للمدة، فجائز أن تكون سبعاً، و جائز أن تكون تسعاً، و جائز أن تكون خمساً، ما دام ليس هناك نقل صحيح عن المعصوم عليه السلام، وكذلك نعتد أنه لم يكن عقوبة على كلمة، وإنما هو بلاء و رفعة درجة.

١٥. الإسرائيليات في شجرة طوبى

و من الإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾^١.

فمن ذلك ما رواه ابن جرير بسنده، عن وهب، قال: إن في الجنة شجرة يقال لها: طوبى، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، زهرتها رياض، و ورقها برود، و قضبانها عنبر، و بطحاؤها ياقوت، و ترابها كافور، و وحلها مسك؛ يخرج من أصلها أنهار الخمر، و اللبن، و العسل، و هي مجلس لأهل الجنة، فبينما هم في مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم، يقودون نجباً^٢ مزومة بسلاسل من ذهب، و جوهها كالمصاييح حسناً، و ويرها كخز المرعزي من لينه، عليها رحال^٣ ألواحها من ياقوت، و دقوها من ذهب، و ثيابها من سندس، و إستبرق، فينixonها، و يقولون: إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه، و تسلّموا عليه. قال: فيركبونها في أسرع من الطائر، و أوطأ من الفراش، نجباً من غير مهنة، يسير الرجل إلى جنب أخيه، و هو يكلمه، و يناجيه، لا تصيب أذن راحلة منها أذن الأخرى، و لا برك^٤ راحلة برك الأخرى، حتى أن الشجرة لتتنحى عن طريقهم، لئلا تفرق بين الرجل و أخيه.

٢. أي إبلاً كراماً.

١. الرعد (١٣): ٢٩.

٤. البرك: الصد.

٣. الرحال: ما يوضع على البعير ليركب عليه.

قال: فيأتون إلى الرحمان الرحيم، فيسفر لهم عن وجهه الكريم، حتّى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، وحق لك الجلال والإكرام. قال: فيقول تعالى عند ذلك: أنا السلام، ومَنّي السلام، و عليكم السلام، حقّت رحمتي، ومحبّتي، مرحباً بعبادي الذين خشوني بغيب، وأطاعوا أمري. قال: فيقولون: ربّنا لم نعبدك حقّ عبادتك، ولم نقدرك حقّ قدرك، فأذن لنا في السجود قُدّامك. قال: فيقول الله: إنّها ليست بدار نصب، ولا عبادة، ولكنّها دار ملك و نعيم، وإني قد رفعت عنكم نصب العبادة فسلوني ما شئتم، فإنّ لكلّ رجل منكم أمنيته. فيسألونه، حتّى أنّ أقصرهم أمنيّة ليقول: ربّي تنافس أهل الدنيا في دنياهم، فتضايقوا فيها، ربّ فأتني كلّ شيء كانوا فيه، من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا، فيقول الله تعالى: لقد قصرت بك أمنيّتك، ولقد سألت دون منزلتك، هذا لك مَنّي وسأتحفك بمنزلتي؛ لأنّه ليس في عطائي نكد، ولا قصر يد. قال: ثمّ يقول: أعرضوا على عبادي ما لم يبلغ أمانيتهم ولم يخطر لهم على بال. قال: فيعرضون عليهم حتّى يقضوهم أمانيتهم التي في أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة، على كلّ أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة، على كلّ سرير منها قبة من ذهب مفرغة، في كلّ قبة منها فرش من فرش الجنّة، متظاهرة، في كلّ قبة منها جاريتان من الحور العين، على كلّ جارية منهنّ ثوبان من ثياب الجنّة. وليس في الجنّة لون إلّا وهو فيهما، ولا ريح ولا طيب إلّا قد عبق بهما، ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة، حتّى يظنّ من يراهما أنّهما دون القبة، يرى مخّهما من فوق سوقهما كالسلك الأبيض من ياقوتة حمراء، تريان له من الفضل على صاحبه كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل، ويرى هولهما مثل ذلك. ثمّ يدخل إليهما فتحبيّانه وتقبّلاه، وتعانقانه، وتقولان له: والله ما ظننّا أنّ الله يخلق مثلك. ثمّ يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفّاً في الجنّة، حتّى ينتهي كلّ رجل منهم إلى منزلته التي أُعدّت له^١.

١. تفسير الطبري عند تفسير هذه الآية، ج ١٣، ص ١٤٨ (ط ٢)؛ الدر المنثور، ج ٤، ص ٦٠.

وقد وصف ابن كثير في تفسيره هذا الأثر بأنه غريب عجيب و ساقه. و قد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده، عن وهب أيضاً، و زاد زيادات أخرى^١.

* * *

١٦. الإسرائيليات في قصة أصحاب الكهف

و من قصص الماضين التي أكثر فيها المفسرون من ذكر الإسرائيليات قصة أصحاب الكهف، فقد ذكر ابن جرير، و ابن مردويه، و غيرهما الكثير من أخبارهم التي لا يدل عليها كتاب الله تعالى، و لا يتوقف فهم القرآن و تدبره عليها.

فمن ذلك ما ذكره ابن جرير في تفسيره، عن ابن إسحاق، صاحب السيرة في قصتهم، فقد ذكر نحو ثلاث و رقات، و ذكر عن وهب بن منبه، و ابن عباس و مجاهد أخباراً كثيرة أخرى^٢، و كذلك ذكر السيوطي في الدر المنثور^٣، الكثير مما ذكره المفسرون عن أصحاب الكهف، عن هويتهم، و من كانوا؟ و في أي زمان و مكان و جدوا؟ و أسمائهم؟ و اسم كليهم؟ و أهو قطمير أم غيره؟ و عن لونه أهو أصفر أم أحمر؟ بل روى ابن أبي حاتم من طريق سفیان، قال: رجل بالكوفة يقال له: عبيد - و كان لا يتهم بالكذب! - قال: رأيت كلب أصحاب الكهف أحمر، كأنه كساء أنبجاني^٤، و لا أدري كيف كان لا يتهم بالكذب، و ما زعم كذب لا شك فيه، فهل بقي كلب أصحاب الكهف حتى عصر الإسلام؟! و كذلك ذكروا أخباراً غرائب في الرقيم، فمن قائل: إنه قرية، و روى ذلك عن كعب الأحبار، و من قائل: إنه واد بفلسطين، بقرب أيلة، و قيل: اسم جبل أصحاب الكهف إلى غير ذلك. مع أن الظاهر أنه كما قال كثير من السلف: إنه الكتاب أو الحجر الذي دُون فيه قصتهم و أخبارهم، أو غير ذلك، مما الله أعلم به، فهو فعيل بمعنى مفعول، أي مرقوم، و في الكتاب الكريم: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْنَا كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^٥ و ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجَّيْنٰ كِتَابًا

١. تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٥١٣؛ تفسير البخوي، ج ٣، ص ١٨.

٢. تفسير الطبري، ج ١٥، ص ١٣٣ و ما بعدها.

٣. الدر المنثور، ج ٤، ص ٢١١-٢١٨.

٤. نسبة إلى أنج بلد تعرف بصنع الأكسية.

٥. المطففين (٨٣): ١٩ و ٢٠.

مَرَقُومٌ»^١.

وفي هذه الأخبار: الحقّ والباطل، والصدق والكذب، وفيها ما هو محتمل للصدق والكذب، ولكن فيما عندنا غنية عنه، ولا فائدة من الاشتغال بمعرفته و تفسير القرآن به، كما أسلفنا، بل الأولى والأحسن أن نضرب عنه صفحاً، وقد أدبنا الله بذلك؛ حيث قال لنبِيِّه بعد ذكر اختلاف أهل الكتاب في عدد أصحاب الكهف: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^٢.

وغالب ذلك ما أشرنا إليه وغيره متلقًى عن أهل الكتاب الذين أسلموا. وحمله عنهم بعض الصحابة والتابعين لغرابته والعجب منه، قال ابن كثير في تفسيره: «و في تسميتهم بهذه الأسماء، واسم كلبهم، نظر في صحته - والله أعلم -، فإن غالب ذلك متلقًى من أهل الكتاب، وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً﴾ أي سهلاً هيناً لينا، فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم، رجماً بالغيب، أي من غير استناد إلى كلام معصوم، وقد جاءك الله يا محمد بالحقّ الذي لا شكّ فيه ولا مرية فيه، فهو المقدّم على كلّ ما تقدّمه من الكتب والأقوال»^٣.

* * *

١٧. الإسرائيليات في قصة ذي القرنين

ومن الإسرائيليات التي طفحت بها بعض كتب التفسير ما يذكرونه في تفاسيرهم، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكْنَأُ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَاتَّبِعْ سَبَبًا...﴾^٤.

وقد ذكر ابن جرير في تفسيره بسنده، عن وهب بن منبه اليماني - وكان له علم

٢. الكهف (١٨): ٢٢.

١. المطففين (٨٣): ٨ و ٩.

٣. تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ كَلِمَةً يُؤْمَرُونَ بِهَا أَنْ يَقُولُوا بِهَا لَوْلَا يُعَذِّبُهُمْ كُلُّهُمْ﴾ ج ٣، ص ٧٨.

٤. الكهف (١٨): ٨٣ و ما بعدها.

بالأحاديث الأولى- أنه كان يقول: «ذو القرنين رجل من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الإسكندر، وإنما سمي ذا القرنين؛ لأنّ صفحتي رأسه كانتا من نحاس، فلما بلغ وكان عبداً صالحاً، قال الله ﷻ له: يا ذا القرنين إني باعتك إلى أمم الأرض، وهي أمم مختلفة ألسنتهم، وهم جميع أهل الأرض، ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كلّها، ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كلّها، وأمم في وسط الأرض منهم الجنّ والإنس، و يأجوج و مأجوج. ثم استرسل في ذكر أوصافه، و ما وهبه الله من العلم والحكمة، و أوصاف الأقوام الذين لقيهم، و ما قال لهم، و ما قالوا له، و في أثناء ذلك يذكر ما لا يشهد له عقل و لا نقل. و قد سوّد بهذه الأخبار نحو أربعة صحائف من كتابه^١، وكذلك ذكر روايات أخرى في سبب تسميته بذئ القرنين، بما لا يخلو عن تخليط و تخبّط. و قد ذكر ذلك - عن غير ابن جرير - السيوطي في الدرّ، قال: «و أخرج ابن إسحاق، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و الشيرازي في الألقاب، و أبو الشيخ، عن وهب بن منبّه اليمانيّ - و كان له علم بالأحاديث الأولى - أنه كان يقول: كان ذو القرنين رجلاً من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، و كان اسمه الإسكندر، و إنما سمي ذا القرنين؛ أنّ صفحتي رأسه كانتا من نحاس...»^٢ و أنا لأشكّ في أنّ ذلك ممّا تلقاه وهب عن كتبهم، و فيها ما فيها من الباطل و الكذب، ثم حملها عنه بعض التابعين، و أخذها عنهم ابن إسحاق و غيره من أصحاب كتب التفسير و السير و الأخبار. و لقد أجاد الحافظ ابن كثير، حيث قال في تفسيره: «و قد ذكر ابن جرير هاهنا عن وهب بن منبّه أثراً طويلاً، عجبياً في سير ذي القرنين، و بنائه السدّ، و كيفية ما جرى له، و فيه طول، و غرابة، و نكارة، في أشكالهم، و صفاتهم و طولهم، و قصر بعضهم، و آذانهم. و روى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة، لا تصحّ أسانيدُها، و الله أعلم»^٣. و حتّى لو صحّ الإسناد فيها، فلا شكّ في أنّها من الإسرائيليات؛ لأنّه لا تنافي بين الأمرين، فهي صحيحة إلى من

٢. الدرّ المستور، ج ٤، ص ٢٤٢-٢٤٦.

١. تفسير الطبري، ج ١٦، ص ١٤-١٨.

٣. تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٠٤؛ تفسير البغوي، ج ٣، ص ١٧٨.

رويت عنه، لكنّها في نفسها من قصص بني إسرائيل الباطل، وأخبارهم الكاذبة. ولو أنّ هذه الإسرائيليّات وقف بها عند منابعتها، أو من حملها عنهم من الصحابة والتابعين؛ لكان الأمر محتملاً، ولكنّ الإثم، وكبر الكذب أن تنسب هذه الأخبار إلى النبي ﷺ ولو أنّها كما أسلفنا كانت صحيحة في معناها ومبناها لما حلّ نسبتها إلى رسول الله أبداً، فما بالك وهي أكاذيب ملفّقة، وأخبار باطلة؟! وقد روى ابن جرير وغيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ...﴾ حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال:

«حدّثنا أبو كريب قال: حدّثنا زيد بن حباب، عن ابن لهيعة، قال: حدّثني عبد الرحمان بن زياد بن أنعم، عن شيخين من تجيب، أنّهما انطلقا إلى عقبة بن عامر، فقالا له: جئنا لتحديثنا، فقال: كنت يوماً أخدم رسول الله ﷺ، فخرجت من عنده، فلقيني قوم من أهل الكتاب، فقالوا: نريد أن نسأل رسول الله ﷺ فاستأذن لنا عليه، فدخلت عليه فأخبرته، فقال: ما لي وما لهم، ما لي علم إلا ما علّمني الله، ثمّ قال: اسكب لي ماءً، فتوضّأ، ثمّ صلّى، قال: فما فرغ حتّى عرفت السرور على وجهه، ثمّ قال: أدخلهم عليّ، ومن رأيت من أصحابي، فدخلوا، فقاموا بين يديه، فقال: إن شئتم سألتكم فأخبرتكم عمّا تجدونه في كتابكم مكتوباً. وإن شئتم أخبرتكم، قالوا: بلى، أخبرنا، قال: جئتم تسألون عن ذي القرنين، وما تجدونه في كتابكم: كان شاباً من الروم، فجاء، فبنى مدينة مصر الإسكندرية، فلما فرغ جاءه ملكٌ فعلا به في السماء، فقال له: ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي، ومدائن، ثمّ علا به، فقال: ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي، ثمّ علا به، فقال: ما ترى؟ قال: أرى الأرض، قال: فهذا اليمّ محيط بالدنيا، إنّ الله بعثني إليك تعلّم الجاهل، وتثبت العالم، فأتى به السدّ، وهو جبلان لئنان يزلق عنهما كلّ شيء، ثمّ مضى به حتّى جاوز يأجوج ومأجوج، ثمّ مضى به إلى أمة أخرى، وجوههم وجوه الكلاب، يقاتلون يأجوج ومأجوج، ثمّ مضى به حتّى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب، ثمّ مضى حتّى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد

سماهم»^١، ثم عقب ذلك بسرد المرويّات في سبب تسميته بذي القرنين.
 وذكر السيوطي في الدرّ المنتور^٢ مثل ذلك، وقال: إنّه أخرجه ابن عبد الحكم في تاريخ
 مصر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في الدلائل.
 وكلّ هذا من الإسرائيليات التي دُست على النبي ﷺ ولو شئت أن أقسم بين الركن
 والمقام أنّ رسول الله ﷺ ما قال هذا، لأقسمت، وابن لهيعة ضعيف في الحديث.

* * *

ولعلك تجد الشرح الوافي بشأن شخصيّة ذي القرنين وأعمال قام بها، في كتابنا
 شبهات و ردود. ومن المحتمل القريب أنّه الملك الفارسيّ «كورش» الهخامنشيّ الكبير.

* * *

١٨. الإسرائيليات في قصّة يأجوج ومأجوج

من الإسرائيليات التي اتّسمت بالغرابية، والخروج عن سنّة الله في الفطرة، وخلق بني
 آدم ما ذكره بعض المفسّرين في تفاسيرهم، عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ
 وَمَأجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا؟﴾^٣

فقد ذكروا عن يأجوج ومأجوج الشيء الكثير من العجائب والغرائب، قال السيوطي في
 الدرّ المنتور^٤: أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عديّ، وابن عساكر، وابن النجار،
 عن حذيفة قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فقال: «يأجوج ومأجوج أمة،
 كلّ أمة أربع مائة ألف أمة، لا يموت أحدهم حتّى ينظر إلى ألف رجل من صلبه، كلّ حمل
 السلاح». قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز». قلت:
 وما الأرز؟ قال: «شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء. قال
 رسول الله ﷺ: هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل، ولا حديد. وصنف منهم يفترش إحدى

٢. الدرّ المنتور، ج ٤، ص ٢٤١.

١. تفسير الطبري، ج ١٦، ص ٧ و ٨.

٤. الدرّ المنتور، ج ٥، ص ٢٥٠ و ٢٥١.

٣. الكهف (١٨): ٩٤.

أذنيه، ويلتحف بالأخرى، لا يمرّون بفيل، ولا وحش، ولا جمل، ولا خنزير إلا أكلوه، و من مات منهم أكلوه، مقدّمهم بالشام وساقتهم يشربون أنهار المشرق، وبحيرة طبرية». وقد ذكر ابن جرير في تفسيره هذه الرواية وغيرها من الروايات الموقوفة، وكذلك صنع القرطبي في تفسيره. وإذا كان بعض الزنادقة استباحوا لأنفسهم نسبة هذا إلى رسول الله ﷺ فكيف استباح هؤلاء الأئمة ذكر هذه المرويّات المختلفة المكذوبة على رسول الله في كتبهم؟!

وهذا الحديث المرفوع نصّ الإمام أبو الفرج ابن الجوزي - في موضوعاته وغيره - على أنه موضوع، و وافقه السيوطي في اللثالي^١ فكيف يذكره في تفسيره ولا يعقّب عليه؟! و حقّ له أن يكون موضوعاً، فالمعصوم ﷺ أجلّ من أن يُروى عنه مثل هذه الخرافات. وفي كتب التفسير من هذا الخلط وأحاديث الخرافة شيء كثير، ورواها في هذا عن عبد الله بن عمرو، و عبد الله بن عمر، و عبد الله بن مسعود، و عن كعب الأحبار. ولكي تتأكد أنّ ما رفع إلى رسول الله إنّما هي إسرائيليّات، و قد نسبت إلى النبيّ زوراً و كذباً، نذكر لك ما روي عن كعب، قال: «خلق يأجوج و مأجوج، ثلاثة أصناف: صنف كالأرز، و صنف أربعة أذرع طول، و أربعة أذرع عرض، و صنف يفترشون آذانهم، و يلتحفون بالأخرى، يأكلون مشائم^٢ نساءهم».

و على حين نراهم يذكرون من هول و عظم خلقهم ما سمعت: إذ هم يروون عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «إنّ يأجوج و مأجوج شبر، و شبران، و أطولهم ثلاثة أشبار، و هم من وُلد آدم»، بل رواه عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثني الله ليلة أُسري بي إلى يأجوج و مأجوج، فدعوتهم إلى دين الله و عبادته فأبوا أن يجيبوني، فهم في النار، مع من عصى من وُلد آدم و إبليس».

و العجب أنّ السيوطي قال عن هذا الحديث: إنّ سنده واهٍ. و لا أدري لِمَ ذكره مع وهاء

١. اللثاليّ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ج ١، ص ١٧٣ فما بعد.

٢. جمع مشيمة، و هي ما ينزل مع الجنين حين يولد، و بها يتغذى في بطن أمه.

سنده؟! قال في تفسيره: وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، والطبراني و البيهقي في البعث، وابن مردويه، وابن عساكر عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِنْ وُلْدِ آدَمَ، وَلَوْ أُرْسِلُوا لِأَفْسَدُوا عَلَى النَّاسِ مَعَانِشَهُمْ، وَلَا يَمُوتُ رَجُلٌ مِنْهُمْ إِلَّا تَرَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَلْفًا فَصَاعِدًا، وَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِمْ ثَلَاثَ أُمَمٍ: تَاوِيلَ، وَتَارِيسَ، وَمَنْسِكَ».

قال: وأخرج أحمد، والترمذي - وحسنه - وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم - وصححه -، وابن مردويه و البيهقي في البعث، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفَرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرُونَ شِعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا، فَسْتَفْتَحُونَهُ غَدًا، وَلَا يَسْتَنِي، فَإِذَا أَصْبَحُوا وَجَدُوهُ قَدْ رَجَعَ كَمَا كَانَ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِخُرُوجِهِمْ عَلَى النَّاسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا، فَسْتَفْتَحُونَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَيَسْتَنِي^١، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكَوهُ، فَيَحْفَرُونَهُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيَسْتَقُونَ الْمِيَاهَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حِصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسَهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجَعُ مَخْضَبَةٌ بِالْدمَاءِ، فَيَقُولُونَ: قَهْرْنَا مِنْ فِي الْأَرْضِ، وَعلونا من في السماء، قسواً، وعلواً، فَيَبِيعُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَعْفًا^٢ فِي أَعْنَاقِهِمْ فَيَهْلِكُونَ»، قال رسول الله ﷺ: «فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ، وَتَبْطُرُ، وَتَشْكُرُ شُكْرًا^٣ مِنْ لِحُومِهِمْ»^٤.

و مهما كان سند مثل هذا فهو من الإسرائيليات عن كعب وأمثاله، وقد يكون رفعها إلى النبي غلطاً و خطأً من بعض الرواة، أو كيداً يكيده الزنادقة اليهود للإسلام. وإظهار رسوله بمظهر من يروي ما يخالف القرآن، فالقرآن قد نصّ بما لا يحتمل الشك على أنّهم لم يستطيعوا أن يعلوا السدّ، و لأن ينقبوه، قال تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾^٥.

١. يعني يقول: «إن شاء الله» لأنها في معنى الاستثناء، يعني إلا أن يشاء الله تعالى.

٢. النعف - محزكة -: دود يكون في أنوف الإبل و الغنم، واحدة: نعفة.

٣. أي تسمن سمناً.

٤. الدرّ السطور، ج ٤، ص ٢٥١.

٥. الكهف (١٨): ٩٧. راجع تحقيقنا بهذا الصدد. في كتاب شهاد و ردود.

١٩. الإسرائيليات في قصة بلقيس ملكة سبأ

ومن الإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^١.

فقد ذكر ابن جرير، و الثعلبي، و البغوي، و الخازن، و غيرهم «أن سليمان أراد أن يتزوجها، فقيل له: إن رجليها كحافر الحمار، و هي شعراء الساقين، فأمرهم، فبنوا له هذا القصر على هذه الصفة، فلما رأتة حسبته لجة، و كشفت عن ساقها لتخوضه، فنظر سليمان، فإذا هي أحسن الناس قدماً و ساقاً، إلا أنها كانت شعراء الساقين، فكره ذلك، فسأل الإنس، ما يذهب هذا؟ قالوا: الموسى^٢، فقالت بلقيس: لم تمسني حديدة قط، و كره سليمان ذلك، خشية أن تقطع ساقها، فسأل الجن، فقالوا: لا ندري، ثم سأل الشياطين فقالوا: إننا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء، فاتخذوا لها النورة^٣ و الحمام، فكانت النورة و الحمام من يومئذ»^٤.

و قد روي هذا عن ابن عباس -رضوان الله عليه- و مجاهد، و عكرمة، و محمد بن كعب القرظي، و السدي، و ابن جريج و غيرهم. و روي أيضاً أنها سألت سيدنا سليمان عن أمرين، قالت له: أريد ماءً ليس من أرض و لا من سماء!! فسأل سليمان الإنس، ثم الجن، ثم الشياطين، فقالت الشياطين: هذا هين، أجز الخيل، ثم خذ عرقها، ثم املا منه الآنية، فأمر بالخيول فأجريت، ثم أخذ العرق، فملا منه الآنية!!

و سألته عن لون الله ﷻ فوثب سليمان عن سريره، و فزع من السؤال، و قال: لقد سألتني يا رب عن أمر، إنه ليتعظم في قلبي أن أذكره لك، و لكن الله أنساه، و أنساه ما

٢. المراد: الموسى التي تزيل الشعر.

١. النمل (٢٧): ٤٤.

٣. مادة يزال بها الشعر.

٤. كذب ظاهر. كأن النورة و الحمام لم يكونا إلا لها، و كأن سليمان ﷺ لم يكن له هم إلا إزالة شعر ساقها، و هو تجن صرخ على الأنبياء، و إظهارهم بمظهر المتهالك على النساء و محاسنهن، فتبيح الله اليهود و سمح الله المتسلمين لهم!

سألته عنه.

وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ خَافُوا لَوْ تَرَوْهَا سَلِيمَانَ، وَجَاءَتْ بَوْلِدُ، أَنْ يَقُوا فِي عِبُودِيَّتِهِ، فَصَنَعُوا لَهُ هَذَا الصَّرْحَ الْمَمْرَدُ^١، فَظَنَّتْهُ مَاءً، فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا لِتَعْبُرَهُ، فَإِذَا هِيَ شَعْرَاءُ، فَاسْتَشَارَهُمْ سَلِيمَانَ، مَا يَذْهَبُ؟ فَجَعَلَتْ لَهُ الشَّيَاطِينَ التُّورَةَ^٢.

قال ابن كثير في تفسيره، بعد أن ذكر بعض المرويَّات: والأقرب في مثل هذه السياقات أنَّها متلقاة عن أهل الكتاب، ممَّا وجد في صحفهم، كرواية كعب، و وهب، فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد^٣، والغرائب، والعجائب ممَّا كان، وما لم يكن، و ممَّا حُرِّفَ، و بُدِّلَ، و نُسخ. وقد أغنانا الله عن ذلك بما هو أصح منه، وأنفع، وأوضح، وأبلغ، والله الحمد و المنة.

* * *

و الْحَقُّ أَنَّ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ بِنَائِهِ الصَّرْحَ أَنْ يَرِيهَا عَظْمَةٌ مُلْكُهُ، وَ سُلْطَانُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ -سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- أَعْطَاهُ مِنَ الْمُلْكِ، وَ مِنْ أَسْبَابِ الْعِمْرَانِ وَ الْحَضَارَةِ مَا لَمْ يَعْطَاهَا، فَضْلاً عَنِ النَّبُوءَةِ الَّتِي هِيَ فَوْقَ الْمُلْكِ، وَ الَّتِي دُونَهَا آيَةٌ نِعْمَةٍ، وَ حَاشَا لِسَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ هُوَ الَّذِي سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَعْطِيَهُ حِكْماً يُوَافِقُ حُكْمَهُ -أَيَ اللَّهَ-، فَأَوْتِيَهُ أَنْ يَتَحَايَلَ هَذَا التَّحَايِلَ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَ هُمَا سَاقَاهَا، وَ هُوَ أَجَلٌ مِنْ ذَلِكَ وَ أَسْمَى.

و لَوْلَا أَنَّهَا رَأَتْ مِنْ سَلِيمَانَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ الْمَتِينِ، وَ الْخُلُقِ الرَّفِيعِ، لَمَا أَدْعَنْتَ إِلَيْهِ لَمَّا دَعَاها إِلَى اللَّهِ الْوَاحِدِ الْحَقِّ، وَ لَمَا نَدَمْتَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهَا مِنْ عِبَادَةِ الْكُوكَبِ وَ الشَّمْسِ، وَ اسْلَمْتَ مَعَ سَلِيمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

* * *

١. الصرح: هو القصر المشيد المحكم البناء، المرتفع في السماء، و الممرد: الناعم الأملس. القوارير: الزجاج الشديد الصفاء.

٢. تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٣٦٦؛ تفسير البغوي، ج ٣، ص ٤٢١ و ٤٢٢.

٣. جمع أبدة، و هي الأمور المشكلة البعيدة المعاني، و أصل الأبدة: النافرة من الوحش التي يُستعصى أخذها، ثم شَبَّهَ بِهَا الْكَلَامَ الْمَشْكَلَ الْعَرِيبَ الْمَعْنَى.

٢٠. الإسرائيليات في هديّة ملكة سبأ لسيدنا سليمان

ومن الإسرائيليات ما ذكره كثير من المفسرين، كابن جرير، والشعلبي، والبغوي، وصاحب الدرّ، في الهدية التي أرسلتها بلقيس إلى سيدنا سليمان عليه السلام، وإليك ما ذكره البغوي في تفسيره، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^١. قال البغوي: فأهدت إليه وُصفاء و وصائف. قال ابن عباس: ألبستهم لباساً واحداً كي لا يعرف الذكر من الأنثى. وقال مجاهد: ألبس الغلمان لباس الجواري، وألبس الجواري ألبسة الغلمان. و اختلفوا في عددهم، فقال ابن عباس: مائة وصيف، ومائة وصيفة^٢. وقال مجاهد ومقاتل: مائتا غلام، ومائتا جارية. وقال قتادة وسعيد بن جبير وغيرهما: أرسلت إليه بلينة من ذهب في حرير، وديباج.

وقال وهب وغيره: عمدت بلقيس إلى خمس مائة غلام، وخمس مائة جارية، فألبست الغلمان لباس الجواري، وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب، وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب، وفي آذانهم أقراطاً، وشتوفاً مرصّعات بأنواع الجواهر. وألبست الجواري لباس الغلمان: الأقبية والمناطق، وحملت الجواري على خمس مائة رمكة^٣، والغلمان على خمس مائة برزون^٤، على كلّ فرس لجام من ذهب مرصّع بالجواهر، وغواشيتها من الديق الملوّن. وبعثت إليه خمس مائة لبنة من ذهب وخمس مائة لبنة من فضة، وتاجاً مكلّلاً بالدرّ والياقوت. وأرسلت إليه المسك والعنبر والعود، وعمدت إلى حُقّة، فجعلت فيها درّة ثمينة غير مثقوبة، وخرزة مثقوبة معوجة الثقب. وأرسلت مع الهدية رجالاً من عقلاء قومها، وكتبت معهم كتاباً إلى سليمان بالهدية. وقالت: إن كنت نبياً فمميّز لي بين الوصائف والوصفاء، وأخبرني بما في الحُقّة قبل أن تفتحها، واثقب الدرّ ثقباً مستويّاً، وأدخل خيطاً في الخرزة المثقوبة من غير علاج إنس ولا جنّ. ورووا أيضاً: أن سليمان عليه السلام أمر الجنّ أن يضربوا البنات الذهب ولبنات الفضة، ففعلوا،

٢. أي خادم، و خادمة.

٤. البعل.

١. النمل (٢٧): ٣٥.

٣. أنثى البغال.

ثم أمرهم أن يفرشوا الطريق من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميداناً واحداً، بلبنات الذهب والفضة!! وأن يُعدّوا في الميدان أعجب دوابّ البرّ والبحر، فأعدّوها. ثمّ قعد على سريره، وأمر الشياطين أن يصطّفوا صفواً فراسخ، وأمر الإنس فاصطّفوا فراسخ، وأمر الوحوش والسباع والهوامّ والطير، فاصطّفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره، فلما دنا القوم من الميدان، ونظروا إلى ملك سليمان، ورأوا الدوابّ التي لم تر أعينهم مثلها تروث على لَبِنِ الذهب والفضة، تقاصرت أنفسهم، ورموا بما معهم من الهدايا. ثمّ كان أن استعان سليمان بجبريل والشياطين، والأرضة في الإجابة عمّا سألته عنه^١.

ومعظم ذلك ممّا لا نشكّ أنّه من الإسرائيليات المكذوبة^٢، وأيّ ملك في الدنيا يتّسع لفرش تسعة فراسخ بلبنات الذهب والفضة؟! وفي رواية وهب ما يدلّ على الأصل الذي جاءت منه هذه المرويّات. وأنّ من روى ذلك من السلف فإنّما أخذه عن مسلمة أهل الكتاب. وما كان أجدر بكتب التفسير أن تُنزّه عن مثل هذا اللغو والخرافات التي تدسّست إلى الرواية الإسلاميّة فأساءت إليها.

* * *

٢١. الإسرائيليات في قصّة الذبيح وأنّه إسحاق

ومن الإسرائيليات ما يذكره كثير من المفسّرين، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَ قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا آبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ^٣ وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَحْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَ قَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَحْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَ بَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ

٢. تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٣٦٣.

١. تفسير البغوي، ج ٣، ص ٤١٧ و ٤١٨.

٣. أضجمه على جبينه على الأرض، وللإنسان جبينان والجهة بينهما.

وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ^١.

فقد روى كثير من المفسرين، منهم ابن جرير^٢، والبغوي^٣، وصاحب الدرر في هذا روايات كثيرة، عن بعض الصحابة والتابعين وكعب الأحرار: أن الذبيح هو إسحاق. ولم يقف الأمر عند الموقوف على الصحابة والتابعين، بل رفعوا ذلك زوراً إلى النبي ﷺ.

روى ابن جرير، عن أبي كريب، عن زيد بن حباب، عن الحسن بن دينار، عن علي بن زيد بن جدعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب، عن النبي ﷺ قال: «الذبيح إسحاق».

وهو حديث ضعيف ساقط لا يصح الاحتجاج به؛ فالحسن بن دينار متروك، وشيخه علي بن زيد بن جدعان منكر الحديث^٤.

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن داود سأله ربّه مسألة، فقال: اجعلني مثل إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، فأوحى الله إليه: إني ابتليت إبراهيم بالنار فصبر، وابتليت إسحاق بالذبح فصبر، وابتليت يعقوب فصبر».

وبما أخرجه الدارقطني، والديلمي في مسند الفردوس بسندهما عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «الذبيح إسحاق».

وهي أحاديث لا تصح ولا تثبت، وأحاديث الديلمي في مسند الفردوس شأنها معروف، والدارقطني ربّما يخرج في سننه ما هو موضوع^٥.

وأخرج الطبراني في الأوسط، وابن أبي حاتم في تفسيره، من طريق الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمان بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، قال: قال

٢. تفسير الطبري، ج ٢٣، ص ٥١.

٤. الدرر المنثور، ج ٥، ص ٢٧٩-٢٨٤.

٥. راجع: أعلام المحذّين للأستاذ أبي شهبة.

١. الصافات (٣٧): ٩٩-١١٣.

٣. تفسير البغوي، ج ٤، ص ٣٢.

٥. تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٧.

رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَيْرُنِي بَيْنَ أَنْ يَغْفِرَ لِنَصْفِ أُمَّتِي أَوْ شَفَاعَتِي، فَاخْتَرْتُ شَفَاعَتِي وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أَعَمَّ لِأُمَّتِي، وَ لَوْلَا الَّذِي سَبَقَنِي إِلَيْهِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ لَعَجَلْتُ دَعْوَتِي، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا فَرَّجَ عَنِ إِسْحَاقَ كَرْبَ الذَّبِيحِ قِيلَ لَهُ: يَا إِسْحَاقُ سَلْ تُعْطَهُ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَا تُعَجِّلْنَهَا قَبْلَ نَزْغَاتِ الشَّيْطَانِ، اللَّهُمَّ مَنْ مَاتَ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا قَدْ أَحْسَنَ فَاغْفِرْ لَهُ»^١ .
 وَالْحَقُّ أَنَّ الْمَرْوِيَّاتِ فِي أَنَّ الذَّبِيحَ إِسْحَاقَ هِيَ مِنْ إِسْرَائِيلِيَّاتِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَدْ تَقَلَّهَا مِنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ، كَكَعْبِ الْأَحْبَارِ . وَ حَمَلَهَا عَنْهُمْ بَعْضُ الصَّحَابَةِ وَ التَّابِعِينَ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ بِهِمْ، فَذَهَبُوا إِلَيْهِ . وَجَاءَ بَعْدَهُمُ الْعُلَمَاءُ فَاغْتَرَّوْا بِهَا، وَ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الذَّبِيحَ إِسْحَاقُ^٢ . وَ مَا مِنْ كِتَابٍ مِنْ كِتَابِ التَّفْسِيرِ، وَ السِّيَرِ، وَ التَّوَارِيخِ إِلَّا وَ يَذْكَرُ فِيهِ الْخِلَافَ بَيْنَ السَّلَفِ فِي هَذَا، إِلَّا أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَعْقِبُ بَيَانِ وَجْهِ الْحَقِّ فِي هَذَا؛ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَعْقِبُ اقْتِنَاعًا بِهَا، أَوْ تَسْلِيمًا لَهَا . وَ حَقِيقَةُ هَذِهِ الْمَرْوِيَّاتِ أَنَّهَا مِنْ وَضَعِ أَهْلِ الْكِتَابِ، لِعِدَاوَتِهِمُ الْمَتَّصِلَةَ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ لِلنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْعَرَبِيِّ، فَقَدْ أَرَادُوا أَنْ لَا يَكُونَ لِإِسْمَاعِيلَ الْجِدَّ الْأَعْلَى لِلنَّبِيِّ فَضْلٌ أَنَّهُ الذَّبِيحُ حَتَّى لَا يَنْجِرَّ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ .

تحريفهم للتوراة

و لأجل أن يكون هذا الفضل لجدهم إسحاق عليه السلام لا لأخيه إسماعيل حرّفوا التوراة في هذا، و لكنّ الله أبقى إلا أن يغفلوا عمّا يدلّ على هذه الجريمة النكراء؛ و الجاني غالباً يترك من الآثار ما يدلّ على جريمته، و الحقّ يبقى له شعاع، و لو خافت، يدلّ عليه، مهما حاول المبطلون إخفاء نوره، و طمس معالمه . فقد حذفوا من التوراة لفظ «إسماعيل»، و وضعوا بدله لفظ «إسحاق»، و لكنّهم غفلوا عن كلمة كشفت عن هذا التزوير، و ذاك الدسّ المشين .

نصّ التوراة

ففي التوراة (الإصحاح الثاني و العشرون، الفقرة ٢): «فقال الربّ: خذ ابنك و حيدك

الذي تُحِبُّهُ إِسْحَاقَ، و اذهب إلى أرض المريا، و أصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك...»^١.

وليس أدلّ على كذب هذا، من كلمة «وحيدك»، و إسحاق عليه السلام لم يكن وحيداً قطّ! لأنّه وُلِدَ و لإسماعيل نحو أربع عشرة سنة، كما هو صريح توراتهم في هذا. و قد بقي إسماعيل عليه السلام حتّى مات أبوه الخليل، و حضر وفاته، و دفنه، و إليك ما ورد في هذا:

ففي سفر التكوين (الإصحاح السادس عشر، الفقرة ١٦) ما نصّه:

«و كان أبرام - يعني إبراهيم - ابن ستّ و ثمانين سنة، لمّا ولدت هاجر إسماعيل

لأبرام»، و في سفر التكوين: (الإصحاح الحادي والعشرون، الفقرة ٥) ما نصّه:

«و كان إبراهيم ابن مائة سنة، حين ولد له إسحاق ابنه».

و في الفقرة ٩ و ما بعدها ما نصّه:

(٩) و رأت سارة ابن هاجر المصريّة الذي ولدته لإبراهيم يمرح (١٠) فقالت

لإبراهيم: اطرد هذه الجارية و ابنها، لأنّ ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق (١١)

فقبح الكلام جدّاً في عيني إبراهيم لسبب ابنه (١٢) فقال الله لإبراهيم: لا يقبح في عينيك

من أجل الغلام، و من أجل جاريتك، في كلّ ما تقول سارة اسمع لقولها، لأنّه بإسحاق

يُدعى لك نسل (١٣) و ابن الجارية أيضاً سأجعله أمةً، لأنّه نسلك»^٢ إلى آخر القصة.

فما قولكم يا أيّها اليهود المحرّفون؟! و كيف يتأتّى أن يكون إسحاق وحيداً؟! مع هذه

النصوص التي هي من توراتكم التي تعتقدون صحّتها، و تزعمون أنّها ليست محرّفة!! ثمّ ما

رأيكم أيّها المغترّون بروايات أنّ الذبيح إسحاق، بعد ما تأكّدتّم تحريف التوراة في هذا؟

و قد دلّ القرآن الكريم، و دلّت التوراة، و رواية البخاريّ و غيره على أنّ الخليل

١. و قد ذكرت القصة في التوراة في ١٤ فقرة، فليرجع إليها من يشاء لتكون لنا الحجّة عليهم، من نفس كتابهم المقدّس.

٢. و يصدّق هذا كتاب الله الشاهد على الكتب السماويّة كلّها، قوله سبحانه حكاية لمقالة إبراهيم. و إسماعيل عليه السلام بعد أن بنا البيت: ﴿رَبُّنَا و إِبْرَاهِيمَ مُسْلِمَيْنِ لَكَ و مِن دُونِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَكَ﴾ و لو أنّ اليهود دعوا ما جاء في التوراة و القرآن، لعلموا أنّه ستكون أمة لها شأنها من نسل إسماعيل، و لما حسدوا المسلمين على هذا الفضل.

إبراهيم عليه السلام أسكن هاجر و ابنها عند مكان البيت المحرّم؛ حيث بنى فيما بعد، و قامت مكّة بجواره. و قد عبّرت التوراة بأنّهما كانا في بريّة فاران، و فاران هي مكّة، كما يعبّر عنها في العهد القديم. و هذا هو الحقّ في أنّ قصّة الذبح كان مسرحها بمكّة و منى، و فيها يذبح الحجاج ذبائحهم اليوم. و قد حرّف اليهود النصّ الأوّل و جعلوه «جبل المريا»، و هو الذي تقع عليه مدينة أورشليم القديمة - مدينة القدس اليوم - ليتّم لهم ما أرادوا، فأبى الحقّ إلاّ أن يظهر تحريفهم!!

و قد ذكر ابن كثير: أنّ في بعض نسخ التوراة «بكر» بدل «وحيّد» و هو أظهر في البطلان، و أدلّ على التحريف؛ إذ لم يكن إسحاق بكرًا للخليل بنصّ التوراة، كما ذكرنا آنفًا.

الذبيح هو إسماعيل عليه السلام

و الحقّ أنّ الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، و هو الذي يدلّ عليه ظواهر الآيات القرآنيّة، و الآثار عن الصحابة و التابعين، و منها ما له حكم الرفع بتقرير النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم له.

فلا عجب أن ذهب إليه جمهرة الصحابة، و التابعين، و من بعدهم، و أنمّة العلم و الحديث، منهم الصحابة النجباء، و السادة العلماء: الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، و سعيد ابن جبير، و مجاهد، و الشعبيّ، و الحسن البصريّ، و محمّد بن كعب القرظيّ، و سعيد بن المسيّب، و الإمام أبو جعفر محمّد الباقر عليه السلام، و أبو صالح، و الربيع بن أنس، و أبو عمرو ابن العلاء، و أحمد بن حنبل و غيرهم، و هو إحدى الروايتين، و أقواهما عن ابن عبّاس.

و في زاد المعاد لابن القيم: أنّه الصواب عند علماء الصحابة و التابعين فمن بعدهم. و هذا الرأي هو المشهور عند العرب قبل البعثة، نقلوه بالتواتر جيلاً عن جيل، و ذكره أميّة بن أبي الصلت في شعر له.

قال: و لا خلاف بين النسابين أنّ عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام، و إسماعيل هو القول الصواب عند علماء الصحابة و التابعين و من بعدهم. و أمّا القول بأنّه إسحاق فباطل من

عشرين وجهاً. قال ابن تيمية: هذا القول متلقى عن أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم، فإن فيه: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِ ابْنِهِ بَكْرَهُ»، وفي لفظ «وحيد» ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده، والذي غرّ هؤلاء أنه في التوراة التي بأيديهم: «اذبح ابنك إسحاق». قال: وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم؛ لأنها تناقض قوله: «اذبح بكرك ووحيدك»، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف، وأحبوا أن يكون لهم، وأن يسوقوه إليهم، ويختاروه لأنفسهم دون المسلمين، ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله.

وكيف يسوغ أن يقال: إن الذبيح إسحاق؟ والله تعالى قد بشر أم إسحاق به، وبابنه يعقوب، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^١.

فمحال أن يبشرها بأن يكون لها ولد، وللولد ولد، ثم يأمر بذبحه. ولا ريب أن يعقوب عليه السلام داخل في البشارة، ويدل عليه أيضاً أن الله ذكر قصة إبراهيم وابنه الذبيح في سورة الصافات، ثم قال - بعدها -: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^٢. وهذا ظاهر جداً في أن المبيشر به غير الأول، بل هو كالنص فيه، وغير معقول في أفصح الكلام وأبلغه أن يبشر بإسحاق بعد قصة يكون فيها هو الذبيح، فتعين أن يكون الذبيح غيره.

وأيضاً فلا ريب أن الذبيح كان بمكة؛ ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها، كما جعل السعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار تذكيراً لشأن إسماعيل وأمه، وإقامته لذكر الله، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه.

ولو كان الذبيح بالشام كما يزعم أهل الكتاب؛ لكانت القرابين والنحر بالشام، لا بمكة، وأيضاً فإن الله سبحانه سمي الذبيح حليماً؛ لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبيح طاعة لربه، ولما ذكر إسحاق سماً عليماً: ﴿قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾^٣. وهذا إسحاق بلا ريب؛ لأنه من امرأته وهي المبيشرة به، وأما إسماعيل فمن السرية^٤، وأيضاً فلا تنهما

١. الصافات (٣٧): ١١٢.

٢. هود (١١): ٧١.

٣. الذاريات (٥١): ٢٨.

٤. أي الجارية.

بُشِّرَا به على الكبر والياس من الولد، فكان ابتلاؤهما بذبحه أمراً بعيداً، و أما إسماعيل فإنه وُلِدَ قبل ذلك... إلى آخر ما قال^١.

* * *

٢٢. الإسرائيليات في قصة داود عليه السلام

و من الإسرائيليات التي تخلّ بمقام الأنبياء، و تُنافي عصمتهم، ما ذكره بعض المفسرين في قصة سيدنا داود عليه السلام عند تفسير قوله تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصَانَ بِغَىٰ بَعْضِنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً لِئَلَّا نَعْبُدَكَ إِلَّا لِي نَعْبُدَ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَكَانَ لَدَيْ دَاوُدَ آيَاتُنَا فَاسْتَفْتَىٰ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَفَعَلْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ۗ﴾^٢

فقد ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبغوي، والسيوطي في الدر المنثور^٣ من الأخبار ما تشعّر منه الأبدان، و لا يوافق عقلاً، و لا نقلاً، عن ابن عباس، و مجاهد، و وهب بن منبه، و كعب الأحبار، و السدي، و غيرهم ما مُحصّلها: أن داود عليه السلام حدّث نفسه: إن ابتلي أن يعتصم، فقيل له: إنك ستبتلي و ستعلم اليوم الذي تبتي فيه، فخذ حذرك، فقيل له: هذا اليوم الذي تبتي فيه، فأخذ الزبور^٤، و دخل المحراب، و أغلق بابه، و أقعد خادمه على الباب، و قال: لا تأذن لأحد اليوم. فبينما هو يقرأ الزبور، إذ جاء طائر مذهب يدرج بين يديه، فدنا منه، فأمكن أن يأخذه، فطار فوق على كوة المحراب، فدنا

٢. أكفلنيها: ضمها إلي.

١. زاد المعاد لابن قيم، ج ١، ص ١٣-١٤.

٣. عزني: غلبني في القول لقوّته، و جاهه و ضعفه.

٤. ص (٣٨): ٢١-٢٥.

٥. الدر المنثور، ج ٥، ص ٣٠٠-٣٠٢.

٦. كتاب داود عليه السلام.

منه ليأخذه، فطار، فأشرف عليه لينظر أين وقع، فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض، فلما رأت ظلّه نفضت شعرها، فغطّت جسدها به، وكان زوجها غازیاً في سبيل الله، فكتب داود إلى رأس الغزاة: أن اجعله في حملة التابوت^١، وكان حملة التابوت إما أن يُفتح عليهم، وإما أن يُقتلوا، فقدمه في حملة التابوت، فقتل.

وفي بعض هذه الروايات الباطلة: أنه فعل ذلك ثلاث مرّات، حتّى قُتل في الثالثة، فلما انتقضت عدّتها، خطبها داود عليه السلام، فتسوّر عليه الملكان، وكان ما كان، ممّا حكاه الله تعالى. ولم يقف الأمر عند هذه الروايات الموقوفة عن بعض الصحابة والتابعين، و مسلمة أهل الكتاب، بل جاء بعضها مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال صاحب الدرّة: وأخرج الحكيم الترمذيّ في نوادر الأصول، وابن جرير، وابن أبي حاتم بسند ضعيف، عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنّ داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة، قطع^٢ على بني إسرائيل، وأوصى صاحب الجيش، فقال: إذا حضر العدوّ فقرّب فلاناً بين يدي التابوت»، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدي التابوت، لم يرجع حتّى يقتل أو ينهزم معه الجيش، فقتل، و تزوّج المرأة، ونزل الملكان على داود عليه السلام فسجد، فمكث أربعين ليلة ساجداً، حتّى نبت الزرع من دموعه على رأسه، فأكلت الأرض جبينه، وهو يقول في سجوده: «ربّ زلّ داود زلّة أبعد ممّا بين المشرق والمغرب، ربّ إن لم ترحم ضعف داود، وتغفر ذنوبه جعلت ذنبه حديثاً في المخلوق من بعده. فجاء جبريل عليه السلام من بعد أربعين ليلة، فقال: يا داود إنّ الله قد غفر لك، وقد عرفت أنّ الله عدل لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة، فقال: يا ربّ دمي الذي عند داود، قال جبريل: ما سألت ربّك عن ذلك، فإن شئت لأفعلنّ، فقال: نعم، ففرح جبريل، وسجد داود عليه السلام، فمكث ما شاء الله، ثمّ نزل، فقال: قد سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه، فقال: قل لداود: إنّ الله يجمعكما يوم القيامة، فيقول له: هب لي دمك الذي

١. صندوق فيه بعض مخلقات أنبياء بني إسرائيل، فكانوا يقدّمونه بين يدي الجيش كي ينصروا.

٢. هي هكذا في الدرّة المستور، وفي تفسير البغوي، ج ٤، ص ٦٢: فاهتمّ ففقطع. وفي بعض النسخ: فهم أن يجمع.

عند داود، فيقول: هو لك يا رب، فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت، و ما اشتيت عوضاً. وقد رواها البغوي أيضاً عن طريق الثعلبي^١، و الرواية منكرة مختلفة على الرسول. و في سند هذه الرواية المختلفة على رسول الله ﷺ ابن لهيعة، و هو مضعف في الحديث، و في سندها أيضاً يزيد بن أبان الرقاشي، كان ضعيفاً في الحديث.

و قال فيه النسائي، و الحاكم أبو أحمد: إنه متروك، و قال فيه ابن حبان: كان من خيار عباد الله، من البكائين بالليل، غفل عن حفظ الحديث شغلاً بالعبادة، حتى كان يقلب كلام الحسن يجعله عن أنس عن النبي ﷺ، فلا تحل الرواية عنه إلا على جهة التعجب^٢.

و قال العلامة ابن كثير في تفسيره: «و قد ذكر المفسرون هاهنا قصة: أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، و لم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتّباعه، و لكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصحّ سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي، عن أنس رضي الله عنه، و يزيد و إن كان من الصالحين، لكنّه ضعيف الحديث عند الأئمة»^٣.

و من ثمّ يتبيّن لنا كذب رفع هذه الرواية المنكرة إلى رسول الله ﷺ، و لا نكاد نصدّق و ررد هذا عن المعصوم، و إنّما هي اختلاقات، و أكاذيب من إسرائيليّات أهل الكتاب، و هل يشكّ مؤمن عاقل يقرّ بعصمة الأنبياء، في استحالة صدور هذا عن داود عليه السلام، ثمّ يكون على لسان من؟ على لسان من كان حريصاً على تنزيه إخوانه الأنبياء عمّا لا يليق بعصمتهم، و هو نبيّنا محمد ﷺ و مثل هذا التدبير السيّئ، و الاسترسال فيه على ما رويوا، لو صدر من رجل من سوقة الناس و عامّتهم، لا اعتبر هذا أمراً مستهجناً مستقبحاً، فكيف يصدر من رسول جاء لهداية الناس، زكت نفسه، و ظهرت سريرته، و عصمه الله من الفواحش ما ظهر منها و ما بطن، و هو الأسوة الحسنة لمن أرسل إليهم؟!!!

و لو أنّ القصة كانت صحيحة لذهبت بعصمة داود، و لنفرت منه الناس، و لكان لهم العذر في عدم الإيمان به، فلا يحصل المقصد الذي من أجله أرسل الرسل، و كيف يكون

١. تفسير البغوي، ج ٤، ص ٥٢-٥٩؛ الدر المنثور، ج ٥، ص ٣٠١-٣٠٠.

٢. تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٣١.

٣. تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ٣٠٩.

على هذه الحال من قال الله تعالى في شأنه: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ﴾؟ قال ابن كثير في تفسيرها: «وإنَّ له يوم القيامة لقربة يقربه الله ﷻ بها و حسن مرجع، و هو الدرجات العالية في الجنة لنبوته و عدله التام في ملكه، كما جاء في الصحيح: «المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمان، و كلتا يديه يمين، الذين يقسطون في أهلهم، و ما ولوا»، و قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أحبَّ الناس إليَّ يوم القيامة و أقربهم مني مجلساً إمام عادل، و إنَّ أبغض الناس إليَّ يوم القيامة، و أشدَّهم عذاباً إمام جائر» رواه أحمد، و الترمذي^١.

و لكي يستقيم هذا الباطل قالوا: إنَّ المراد بالنعجة هي المرأة، و أنَّ القصَّة خرجت مخرج الرمز و الإشارة، و روى: أنَّ الملكين لما سمعا حكم داود، و قضاءه بظلم صاحب التسع و التسعين نعجة لصاحب النعجة، قالوا له: و ما جزء من فعل ذلك؟ قال: يقطع هذا، و أشار إلى عنقه. و في رواية: «يضرب من هاهنا، و هاهنا، و هاهنا» و أشار إلى جبهته، و أنفه، و ما تحته، فضحكا، و قالوا، «أنت أحقَّ بذلك منه، ثمَّ صدعا».

و ذكر البغوي في تفسيره و غيره، عن وهب بن منبه: أنَّ داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة، لا يرقأ دمه ليلاً و لا نهاراً، و كان أصاب الخطيئة، و هو ابن سبعين سنة، فقسَّم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيَّام: يوم للقضاء بين بني إسرائيل، و يوم لنسائه، و يوم يسيح في الفيافي، و الجبال، و السواحل، و يوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه، فيساعدونه على ذلك. فإذا كان يوم نياحته يخرج في الفيافي، فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، و يبكي معه الشجر، و الرمال، و الطير، و الوحش، حتَّى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثمَّ يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، و تبكي معه الجبال، و الحجارة، و الدواب، و الطير، حتَّى تسيل من بكائهم الأودية، ثمَّ يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، و تبكي

معه الحيتان، و دواب البحر و طير الماء و السباع^١. و الحق: أن الآيات ليس فيها شيء مما ذكروا، و ليس هذا في شيء من كتب الحديث المعتمدة، و هي التي عليها المعول، و ليس هناك ما يصرف لفظ التعجبة من حقيقته إلى مجازه، و لا ما يصرف القصة عن ظاهرها إلى الرمز و الإشارة.

و ما أحسن ما قال الإمام القاضي عياض: «لا تلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب، الذين بدّلوا، و غيّرُوا، و نقله بعض المفسرين، و لم ينصّ الله تعالى على شيء من ذلك في كتابه، و لا ورد في حديث صحيح، و الذي نصّ عليه في قصة داود: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَانَهُ﴾ و ليس في قصة داود، و أوريا خبر ثابت^٢.

و المحققون ذهبوا إلى ما ذهب إليه القاضي، قال الداودي: ليس في قصة داود و أوريا خبر يثبت، و لا يظنّ بنبيّ محبة قتل مسلم، و قد روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: من حدّث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة و ستين جلدة، و ذلك حدّ الفرية على الأنبياء^٣، و هو كلام مقبول و مروى عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً^٤.

التفسير الصحيح للآيات

و إذا كان ما روي من الإسرائيليات الباطلة التي لا يجوز أن تفسر بها الآيات، فما التفسير الصحيح لها إذا؟

و الجواب: أن داود عليه السلام كان قد وزّع مهامّ أعماله، و مسؤولياته نحو نفسه، و نحو الرعيّة على الأيام، و خصّ كلّ يوم بعمل، فجعل يوماً للعبادة، و يوماً للقضاء و فصل الخصومات، و يوماً للاشتغال بشؤون نفسه و أهله، و يوماً لوعظ بني إسرائيل. ففي يوم العبادة بينما كان مشغلاً بعبادة ربّه في محرابه، إذ دخل عليه خصمان تسوّرا

١. تفسير البغوي، ج ٤، ص ٥٧-٥٨.

٢. الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى، ج ٢، ص ١٥٨.

٣. لأنّ حدّ الفذف لغير الأنبياء ثمانين، فرأى عليه السلام تضعيفه بالنسبة إلى الأنبياء و في الكذب عليهم رمى لهم بما هم براء منه، ففيه معنى الفذف لداود بالتعمد على حرّامات الأعراض و التحاليل في سبيل ذلك.

٤. راجع: مجمع البيان، ج ٨، ص ٤٧٢؛ بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢٩، رقم ٦.

عليه من السور، ولم يدخل من المدخل المعتاد، فارتاع منهما، و فرع فرعاً لا يليق بمثله من المؤمنين، فضلاً عن الأنبياء المتوكلين على الله غاية التوكل، الواثقين بحفظه، ورعايته، و ظنّ بهما سوءاً، و أنّهما جاءا ليقْتلاه، أو يبغيها به شرّاً، و لكن تبيّن له أنّ الأمر على خلاف ما ظنّ، و أنّهما خصمان جاءا يحتكمان إليه. فلما قضى بينهما، و تبيّن له أنّهما بريئان ممّا ظنّه بهما، استغفر ربّه، و خرّ ساجداً لله تعالى تحقيقاً لصدق توبته و الإخلاص له، و أناب إلى الله غاية الإنابة.

و مثل الأنبياء في علوّ شأنهم، و قوّة ثقتهم بالله و التوكل عليه أن لا تُعلّق نفوسهم بمثل هذه الظنون بالأبرياء، و مثل هذا الظنّ و إن لم يكن ذنباً في العادة، إلاّ أنّه بالنسبة للأنبياء يعتبر خلاف الأولى و الأليق بهم، و قديماً قيل: «حسنت الأبرار سيئات المقرّبين»، فالرجلان خصمان حقيقة، و ليسا ملكين كما زعموا، و النعاج على حقيقتها، و ليس ثمة رموز و لا إشارات.

و هذا التأويل هو الذي يوافق نظم القرآن و يتفق و عصمة الأنبياء، فالواجب الأخذ به، و نبذ الخرافات و الأباطيل، التي هي من صنع بني إسرائيل، و تلقّفها القُصّاص و أمثالهم ممّن لا علم عندهم، و لا تمييز بين الغثّ و السمين.

* * *

٢٣. الإسرائيليات في قصة أيوب عليه السلام

و من القصص التي تزيد فيها المتزيّدون، و استغلّها القصاصون، و أطلقوا فيها لخيالهم العنان: قصة سيّدنا أيوب عليه السلام، فقد رووا فيها ما عصم الله أنبياءه عنه. و صوروه بصورة لا يرضاها الله لرسول من رسله.

فقد ذكر بعض المفسّرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَ اذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَ عَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَ شَرَابٌ وَ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَ ذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْناً فَاضْرِبْ بِهِ وَ لَا تَحْنَثْ إِنَّا

وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١﴾ ذكر السيوطي في الدرّ المشثور وغيره، عن قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ذُكِّرَ عَبْدَنَا أَيُّوبَ...﴾، قال: ذهب الأهل والمال، والضرّ الذي أصابه في جسده، قال: ابتلى سبع سنين وأشهُراً، فألقي على كنانة بني إسرائيل، تختلف الدواب في جسده، ففرّج الله عنه، وأعظم له الأجر، وأحسن.

قال: وأخرج أحمد في الزهد، وابن أبي حاتم، وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: إنَّ الشيطان عرج إلى السماء فقال: يا ربِّ سلطني على أيُّوب رضي الله عنه، قال الله: قد سلطتك على ماله، وولده، ولم أسلطك على جسده، فنزل، فجمع جنوده، فقال لهم: قد سلطت على أيُّوب رضي الله عنه فأروني سلطانكم، فصاروا نيراناً، ثم صاروا ماءً، فبينما هم بالمشرق إذا هم بالمغرب، وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق، فأرسل طائفة منهم إلى زرعه، وطائفة إلى أهله، وطائفة إلى بقره، وطائفة إلى غنمه، وقال: إنَّه لا يعتصم منكم إلا بالمعروف، فأتوه بالمصائب، بعضها على بعض، فجاء صاحب الزرع، فقال: يا أيُّوب، ألم تر إلى ربِّك، أرسل على زرعه عدواً، فذهب به. وجاء صاحب الإبل، وقال: ألم تر إلى ربِّك، أرسل على إبلك عدواً، فذهب بها. ثم جاء صاحب البقر، فقال: ألم تر إلى ربِّك، أرسل على بقرك عدواً، فذهب بها. وتفرد هو بينيه، جمعهم في بيت أكبرهم، فبينما هم يأكلون، ويشربون، إذ هبَّت ريح، فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم، فجاء الشيطان إلى أيُّوب بصورة غلام، فقال: يا أيُّوب، ألم تر إلى ربِّك جمع بنيك في بيت أكبرهم، فبينما هم يأكلون، ويشربون، إذ هبَّت ريح، فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم. فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم ولحومهم بطعامهم، وشرابهم. فقال له أيُّوب: أنت الشيطان، ثم قال له: أنا اليوم كيوم ولدتني أمِّي، فحلق رأسه، وقام يصلي، فرنَّ إبليس رنةً سمع بها أهل السماء، وأهل الأرض، ثم خرج إلى السماء، فقال: أي ربِّ، إنَّه قد اعتصم، فسلطني عليه، فإنِّي لا أستطيعه إلا بسلطانك، قال: قد سلطتك على جسده، ولم أسلطك على قلبه، فنزل، فنفخ

تحت قدمه نفخة، قرح ما بين قدميه إلى قرنه، فصار قرحة واحدة، وألقى على الرماد، حتى بدا حجاب قلبه، فكانت امرأته تسعى إليه، حتى قالت له: أما ترى يا أيوب قد نزل بي والله من الجهد والفاقة ما إن بعث قروني برغيف، فأطعمك، فادع الله أن يشفيك، ويريحك، قال: ويحك، كنا في النعيم سبعين عاماً، فاصبري حتى نكون في الضرّ سبعين عاماً، فكان في البلاء سبع سنين، ودعا، فجاء جبريل عليه السلام يوماً فأخذ بيده، ثم قال: قم، فقام، فنحاه عن مكانه، وقال: اركض برجلك، هذا مغتسل بارد وشراب، فركض برجله، فنبعت عين، فقال: اغتسل، فاعتسل منها، ثم جاء أيضاً، فقال: اركض برجلك فنبعت عين أخرى، فقال له: اشرب منها، وهو قوله: ﴿أُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾، وألبسه الله حُلَّةً من الجنة. فتنحى أيوب، فجلس في ناحية، وجاءت امرأته، فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله، أين المبتلى الذي كان هنا؟ لعل الكلاب ذهبت به، أو الذئاب، وجعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك، أنا أيوب!! قد ردّ الله عليّ جسدي، وردّ الله عليه ماله، وولده عياناً ومثلهم معهم^١.

قال: وأخرج أحمد في الزهد، عن عبد الرحمان بن جبير رضي الله عنه، قال: ابتلي أيوب بماله، وولده، وجسده، وطُرح في المزبلة، فجاءت امرأته تخرج، فتكتسب عليه ما تطعمه، فحسده الشيطان بذلك، فكان يأتي أصحاب الخير والغنى، فيقول: اطرّدوا هذه المرأة التي تغشاكم، فإنّها تُعالج صاحبها، وتلمسه بيدها، فالناس يتقدّرون طعامكم من أجلها، فجعلوا لا يدنونها منهم، ويقولون: تباعدي ونحن نُطعمك، ولا تقربينا.

وقد ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم الكثير من هذه الروايات في تفسيريهما، منها: ما هو موقوف، وبعضها مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك ذكر ابن جرير، والبعوي، وغيرهما، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَعَدْنَاهُ مِنْ عِنْدِنَا وَإِنْ يَكَادُ

للعابدين^١ الكثير من الإسرائيليات.

فقد رويَا قصة أيوب و بلائه عن وهب بن منبه، في بضع صحائف، و قد التبس فيها الحقّ بالباطل، و الصدق بالكذب^٢.

و قال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: «و قد روي عن وهب بن منبه في خبره - يعني أيوب - قصة طويلة، ساقها ابن جرير، و ابن أبي حاتم بالسند عنه، و ذكرها غير واحد من متأخري المفسرين، و فيها غرابة، تركناها لحال الطول.

و من العجيب أنّ الحافظ ابن كثير وقع فيما وقع فيه غيره في قصة أيوب، من ذكر الكثير من الإسرائيليات و لم يعقب عليه^٣، مع أن عهدنا به أنّه لا يذكر شيئاً من ذلك إلّا و ينبّه على مصدره، و من أين دخل في الرواية الإسلامية، و لا أظنّ أنّه يرى في هذا أنّه ممّا تباح روايته!!

فقد ذكر أنّه يقال: إنّهُ أصيب بالجذام في سائر بدنه، و لم يبق منه سليم سوى قلبه و لسانه، يذكر بهما الله ﷻ حتى عافه الجليس، و صار منبوءاً في ناحية من البلد، و لم يبق أحد من الناس يحنو عليه غير زوجته، و تحمّلت في بلائه ما تحمّلت، حتى صارت تخدم الناس، بل قد باعت شعرها بسبب ذلك، ثمّ قال: و قد روي، أنّه مكث في البلاء مدّة طويلة، ثمّ اختلفوا في السبب المهيج له على هذا الدعاء، فقال الحسن - يعني البصري - و قتادة: ابتلي أيوب ﷺ سبع سنين و أشهراً، ملقى على كناسة بني إسرائيل، تختلف الدواب في جسده، ففرّج الله عنه، و أعظم له الأجر، و أحسن عليه الثناء. و قال وهب بن منبه: مكث في البلاء ثلاث سنين، لا يزيد و لا ينقص. و قال السديّ: تساقط لحم أيوب، حتى لم يبق إلّا العصب و العظام. ثمّ ذكر قصة طويلة.

ثمّ ذكر ما رواه ابن أبي حاتم بسنده، عن الزهريّ، عن أنس بن مالك: أنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّ نبيّ الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب و البعيد، إلّا رجلين

٢. تفسير البخويّ، ج ٣، ص ٢٥٦-٢٦٤.

١. الأنبياء، (٢١): ٨٣ و ٨٤.

٣. تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٨٨-١٩٠.

من إخوانه، كانا من أخصّ إخوانه له، كانا يغدوان إليه و يروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم -والله- لقد أذنب أيّوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: و ما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحم الله، فيكشف ما به. فلَمّا راحا إليه لم يصبر الرجل حتّى ذكر ذلك له، فقال أيّوب عليه السلام: ما أدري ما تقول، غير أنّ الله تعالى يعلم أنّي كنت أمرّ على الرجلين يتنازعان، فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي، فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حقّ. قال: وكان يخرج في حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده، حتّى يبلغ، فلَمّا كان ذات يوم أبطأت عليه، فأوحى الله إلى أيّوب في مكانه: أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد و شراب».

و قال ابن كثير: رُفِعَ هذا الحديث غريب جداً، و قال الحافظ ابن حجر: و أصحّ ما ورد في قصّته ما أخرجه ابن أبي حاتم و ابن جرير، و صحّحه ابن حبان و الحاكم، بسند عن أنس: أنّ أيّوب ... ثمّ ذكر مثل ذلك.

و المحققون من العلماء على أنّ نسبة هذا إلى المعصوم عليه السلام إمّا من عمل بعض الوضّاعين الذين يركبون الأسانيد للمتون، أو من غلظ بعض الرواة، و أنّ ذلك من إسرائيليات بني إسرائيل و افتراءاتهم على الأنبياء. على أنّ صحّة السند في مصطلحهم لا تنافي أنّ أصله من الإسرائيليات، و ابن حجر على مكاتته في الحديث ربّما يوافق على تصحيح ما يخالف الأدلّة العقلية و النقلية، كما فعل في قصّة الغرائق، و هاروت و ماروت، و كلّ ما روي موقوفاً أو مرفوعاً لا يخرج عمّا ذكره و هب بن منبّه، في قصّة أيّوب، التي أشرنا إليها آنفاً، و ما روي عن ابن إسحاق أيضاً، فهو ممّا أخذ عن و هب، و غيره.

و هذا يدلّ أعظم الدلالة على أنّ معظم ما روي في قصّة أيّوب ممّا أخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا، و جاء القصّاصون المولعون بالغرائب، فزادوا في قصّة أيّوب، و أذاعوها، حتّى اتّخذ منها الشخّاذون، و المتسولون وسيلة لاسترقاق قلوب الناس،

واستدرار العطف عليهم.

الحق في هذه القصة

وقد دلّ كتاب الله الصادق، على لسان نبيّه محمّد الصادق، على أنّ الله تبارك وتعالى ابتلى نبيّه أيوب عليه السلام في جسده، وأهله، وماله، وأنه صبر حتّى صار مضرب الأمثال في ذلك، وقد أتى الله عليه هذا الثناء المستطاب، قال عزّ شأنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، فالبلاء ممّا لا يجوز أن يشكّ فيه أبداً، والواجب على المسلم أن يقف عند كتاب الله، ولا يتزيّد في القصة كما تزيّد زنادقة أهل الكتاب، وألصقوا بالأنبياء ما لا يليق بهم، وليس هذا بعجيب من بني إسرائيل الذين لم يتجرّأوا على أنبياء الله ورسله فحسب، بل تجرّأوا على الله تبارك وتعالى وناولوا منه، وفحشوا عليه، ونسبوا إليه ما قامت الأدلّة العقلية والنقلية المتواترة على استحالتة عليه سبحانه وتعالى من قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^١، وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾^٢، عليهم لعنة الله. والذي يجب أن نعتده أنه ابتلي، ولكن بلاءه لم يصل إلى حدّ هذه الأكاذيب، من أنه أصيب بالجذام^٣، وأنّ جسمه أصبح قرحة، وأنه ألقي على كنانة بني إسرائيل، يرعى في جسده الدود، وتعبت به دوابّ بني إسرائيل، أو أنه أصيب بمرض الجدريّ.

وأيوب عليه السلام أكرم على الله من أن يلقى على مزبلة، وأن يصاب بمرض ينقرّ الناس من دعوته، ويفرّزهم منه، وأيّ فائدة تحصل من الرسالة، وهو على هذه الحال المزريّة، التي لا يرضاها الله لأنبيائه ورسله؟.

والأنبياء إنّما يبعثون من أوساط قومهم، فأين كانت عشيرته فتواريه، وتطمعه؟! بدل أن تخدم امرأته الناس، بل وتبيع ضفيريّتها في سبيل إطعامه!! بل أين كان أتباعه، والمؤمنون منه، فهل تخلّوا عنه في بلائه؟! وكيف والإيمان ينافي

٢. المائدة (٥): ٦٤.

١. آل عمران (٣): ١٨١.

٣. الجذام: مرض من أحبّ الأمراض وأقذرها. ٤. خيارهم وأكرمهم نسباً وعشيرة.

ذلك؟!)

الحقّ أنّ نسج القصّة مُهلّهل، لا يثبت أمام النقد، ولا يؤيّد عقل سليم، ولا نقل صحيح، وأنّ ما أصيب به أيّوب من المرض إنّما كان من النوع غير المنقرّ، والمقرّز، وأنّه من الأمراض التي لا يظهر أثرها على البشرة، كالروماتيزم، وأمراض المفاصل، والعظام ونحوها. ويؤيّد ذلك أنّ الله لمّا أمره أن يضرب الأرض بقدمه، فضرب فنبعت عين، فاغتسل منها وشرب، فبرأ بإذن الله.

قال العلامة الطبرسيّ: قال أهل التحقيق: إنّهُ لا يجوز أن يكون بصفة يستقذره الناس عليها، لأنّ في ذلك تنفيراً. فأما المرض والفقر وذهاب الأهل، فيجوز أن يمتحنه الله بذلك^١.

* * *

٢٤. الإسرائيليات في قصّة «إِرَمَ ذاتِ العِمَادِ»

ومن الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسّرين كالطبري، والشعبي، والزمخشري، وغيرهم في تفسير قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذاتِ العِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي البِلَادِ»^٢.

فقد زعموا أنّ «إرم» مدينة، وذكروا في بنائها وزخارفها ما هو من قبيل الخيال، ورووا في ذلك أنّه كان لعاد ابنان: شداد، شديد، فملكا وقهرا، ثمّ مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا، فسمع بذكر الجنّة، فقال: أبني مثلها، فبنّى «إرم» في بعض صحاري عدن، في ثلاث مائة سنة، وكان عمره تسع مائة سنة، وهي مدينة عظيمة، وسورها من الذهب والفضّة، وأساطينها من الزبرجد والياقوت. ولما تمّ بناؤها سار إليها بأهب^٣ مملكته، فلما كان منها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى صيحة من السماء، فهلكوا.

٢. الفجر (٨٩): ٦-٨.

١. مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٦٤.

٣. جمع أهبة، والأهبة - بضمّ الهمزة - العدة كما في القاموس.

و روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابه: أنه خرج في طلب إيل له، فوقع عليها - يعني مدينة «إرم»-، فحمل منها ما قدر عليه، وبلغ خبره معاوية، فاستحضره، وقص عليه، فبعث إلى كعب الأحبار، فسأله عنها فقال: هي إرم ذات العماد، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانه أحمر، أشقر، قصير، على حاجبه خال، ثم التفت، فأبصر ابن قلابه، فقال: هذا والله ذاك الرجل^١.

وهذه القصة موضوعة، كما تبّه إلى ذلك الحفّاظ، و آثار الوضع لائحة عليه، وكذلك ما روي: أن «إرم» مدينة دمشق، وقيل: مدينة الإسكندرية. قال السيوطي في الدرّ المتثور: وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن عكرمة، قال: «إرم» هي دمشق، وأخرج ابن جرير، و عبد بن حميد، وابن عساكر عن سعيد المقبري مثله، وأخرج ابن عساكر، عن سعيد بن المسيّب، مثله، قال: وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: «إرم» هي الإسكندرية^٢.

وكلّ ذلك من خرافات بني إسرائيل، و من وضع زنادقتهم، ثم رواها مسلمة أهل الكتاب فيما رواوا، و حملها عنهم بعض الصحابة و التابعين، و ألصقت بتفسير القرآن الكريم.

قال ابن كثير في تفسيره: و من زعم أنّ المراد بقوله: ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: مدينة إمّا دمشق، أو إسكندرية، أو غيرهما، ففيه نظر، فإنّه كيف يلتزم الكلام على هذا ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أن جعل بدلاً أو عطف بيان؟^٣ فإنّه لا يتسق الكلام حينئذ، ثمّ المراد: إنّما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد، و ما أحلّ الله بهم من بأسه الذي لا يردّ، لأنّ المراد: الإخبار عن مدينة أو إقليم، و إنّما تبّهت على ذلك لئلا يغترّ بكثير ممّا ذكره جماعة من المفسرين عن هذه الآية، من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العماد، مبنية

١. راجع: الكشاف، ج ٤، ص ٧٤٨ (عند تفسير هذه الآية): تفسير البخوي، ج ٤، ص ٤٨٢. و النسفي، و الخازن عند تفسير هذه الآية.

٢. أي لفظ إرم، بدل من عاد أو عطف بيان.

٣. الدرّ المتثور، ج ٦، ص ٣٤٧.

بلبن الذهب والفضة، وأنَّ حصاءها لنالئ و جواهر، و تراها بنادق المسك... فإنَّ هذا كَلَّه من خرافات الإسرائيليين، من وضع بعض زنادقتهم، ليختبروا بذلك القول الجهلة من الناس أن تصدّقتهم في جميع ذلك. وقال فيما روي عن ابن قلابة: فهذه الحكاية ليس يصحَّ إسنادها، و لو صحَّ إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك، أو أصابه نوع من الهوس، والخبال، فاعتقد أنَّ ذلك له حقيقة في الخارج، وهذا ما يقطع بعدم صحّته. وهذا قريب ممَّا يخبر به كثير من الجهلة، و الطامعين، و المتحيّلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطير الذهب و الفضة، فيحتالون على أموال الأغنياء و الضعفة، و السفهاء، فيأكلونها بالباطل، في صرفها في باخاير، و عقاقير، و نحو ذلك من الهذيان، و يطنزون بهم^١.

* * *

و الصحيح في تفسير الآية: أنَّ المراد ﴿بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ قبيلة عاد المشهورة، التي كانت تسكن الأحقاف، شمالي حضرموت، و هي عاد الأولى، التي ذكرها الله سبحانه في سورة النجم، قال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾، و يقال لمن بعدهم: عاد الآخرة، و هم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح. قاله ابن إسحاق وغيره، و هم الذين بعث فيهم رسول الله هوداً عليه السلام فكذبوه، و خالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم، و من آمن معه منهم، و أهلكهم ﴿بِرَجِّ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ مُخْلِجًا يَوْمَ قَارُونَ فَمَا يَسْأَلُ رَبُّهُ لَهُمْ مِنَ الْقَوْمِ عَاصِرٍ﴾^٢.

و قد ذكر الله قصّتهم في القرآن في غير ما موضع، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون، فقوله تعالى: ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾، بدل من «عاد» أو عطف بيان زيادة تعريف بهم، و قوله تعالى: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾؛ لأنّهم كانوا في زمانهم أشدَّ الناس خلقة، و أعظمهم أجساماً، و أقواهم بطشاً. و قيل: ذات الأبنية التي بنوها، و الدور، و المصانع التي شادوها. و قيل: لأنّهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي تُرفع بالأعمدة الغلاظ الشداد. و الأوّل أصحّ و أولى، فقد

ذكرهم نبئهم هود بهذه النعمة، وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة الله - تبارك وتعالى - الذي خلقهم ومنحهم هذه القوة، فقال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾^١، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾^٢، وقوله هنا: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ أي القبيلة المعروفة المشهورة التي لم يخلق مثلها في بلادهم، وفي زمانهم، لقوتهم، وشدتهم، وعظم تركيبهم.

ومهما يكن من تفسير ذات العماد: فالمراد القبيلة، وليس المراد مدينة، فالحديث في السورة إنما هو عمّن مضى من الأقسام الذين مكّن الله لهم في الأرض، ولما لم يشكروا نعم الله عليهم، ولم يؤمنوا به وبرسله، بطش بهم، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر. ففيه تخويف لكفار مكة، الذين هم دون هؤلاء في كل شيء، وتحذيرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء.

ما روي في عظم طولهم

وليس معنى قوتهم، وعظم خلقهم، وشدة بطشهم أنهم خارجون عن المألوف في الفطرة، فمن ثم لا نكاد نصدّق ما روي في عظم أجسامهم، وخروج طولهم عن المألوف المعروف، حتّى في هذه الأزمنة، فقد روى ابن جرير في تفسيره، وابن أبي حاتم وغيرهما عن قتادة، قال: كنّا نحدّث أنّ «إرم» قبيلة من عاد، كان يقال لهم: ذات العماد، كانوا أهل عمود، ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾، قال: ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ ذِرَاعاً^٣ طَوَّالاً فِي السَّمَاءِ، وهذا من جنس ما روي في العماليق. وأغلب الظنّ عندنا أنّ من ذكر لهم ذلك هم أهل الكتاب الذين أسلموا، وأنّه من الإسرائيليات المختلفة.

وأيضاً لا نكاد نصدّق، ما روي عن المعصوم عليه السلام في هذا، فقد روى ابن أبي حاتم،

٢. فصلت (٤١): ١٥.

١. الأعراف (٧): ٦٩.

٣. حوالى ستة أمتار أو تزيد.

قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا أبو صالح كاتب الليث، قال: حدّثني معاوية بن صالح، عمّن حدّثه، عن المقدم بن معديكرب، عن النبي ﷺ: أنه ذكر «إِزْمَ ذَاتِ الْعِبَادِ» فقال: «كان الرجل منهم يأتي إلى الصخرة، فيحملها على كاهله، فيلقبها على أيّ حيّ أراد فيهلكهم»^١. ولعلّ البلاء، والاختلاق فيه من المجهول، وروى مثله ابن مردويه^٢.

وأخرى الله من نسب مثل هذا الباطل إلى النبي ﷺ، ولا نشك أنّ هذا من عمل زنادقة أهل الكتاب وغيرهم، الذين عجزوا أن يقاوموا سلطان الإسلام، فسلكوا في محاربتة مسلك الدسّ، والاختلاق، بنسبة أمثال هذه الخرافات إلى المعصوم ﷺ، وإنا لنعجب لمسلم يقبل أمثال هذه المرويّات التي تُزري بالإسلام، وتنفّر منه، ولا سيّما في هذا العصر الذي تقدّمت فيه العلوم، والمعارف، وأصبح ذكر مثل هذا يثير السخرية، والاستنكار والاستهزاء.

٢٥. الإسرائيليات والخرافات فيما يتعلّق بعمر الدنيا وبدء الخلق، وأسرار الوجود، وتعليل بعض الظواهر الكونيّة

ومن الإسرائيليات والموضوعات التي اشتملت عليها كتب التفسير وغيرها كثير ممّا يتعلّق بعمر الدنيا وبدء الخلق، وأسرار الوجود، وأسباب الكائنات، وتعليل بعض الظواهر الكونيّة تعليلاً باطلاً غير صحيح، وقد جاء معظمه موقوفاً على الصحابة والتابعين، وجاء بعضه مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وهنا تكون الطامة؛ لأنّ هذه الروايات متهافنة باطلة، فنسبتها إلى المعصوم ﷺ من الخطورة بمكان.

وكان هؤلاء الذين وضعوها وأصقوها بالنبي ﷺ زوراً؛ كانوا يدركون ببعد نظرهم أنّه سيأتي اليوم الذي تتكشّف فيه الحقائق العلميّة لهذه الأمور الكونيّة، ومعرفة التعليقات الصحيحة لسنن الله في الكون، فنسبوا إليه هذه الخرافات، كي يُشكّكوا في عصمة النبي ﷺ، وأنّه ما ينطق عن الهوى، ويقلّلوا الثقة بالأنبياء، وهم قوم من الزنادقة الذين

جمعوا بين الزندقة، و العلم، و المعرفة ببعض الظواهر، و العلوم الكونية، و هم أعظم الطوائف كيداً للإسلام، لخبث نيّاتهم، و إحكام كيدهم. و لا ندري ماذا يكون موقف الداعي إلى الله في المجتمعات العلميّة، و البيئات المتحضرة إذا ووجه بمثل هذه الروايات الباطلة التي تغضّ من شأن الإسلام، و هو منها براء؟

و لو أنّ هذه المرويّات صحّت أسانيدها لربّما كان للمتمسّكين بها، و المنتصرين لها بعض المعذرة، أمّا و هي ضعيفة أسانيدها، واهية مخارجها، فالواجب ردّها و لا كرامة. نعم، إنّ معظم هذه المرويّات في الأمور الكونيّة تخالف مخالفة ظاهرة، المقرّرات و الحقائق العلميّة التي أصبحت في حكم البديهيّات و المسلّمات ككروية الأرض، و دورانها، و سبب حدوث الخسوف و الكسوف و نحوها، و الانتصار لهذه المرويّات التي تصادم الحقائق العلميّة الثابتة، ممّا يعود على الإسلام بالضرر و النقص، و ينفر منه المفكّرون و ذوو العلم، و المعرفة، بل هي أضرّ على الإسلام من طعن أعدائه فيه.

ما يتعلّق بعمر الدنيا

فقد ذكروا في عمر الدنيا أنّه سبعة آلاف سنة، و أنّ النبيّ محمّداً ﷺ، بعث في آخر السادسة، فقد ورد ذلك مرفوعاً إلى النبيّ ﷺ، و حكم عليه ابن الجوزيّ بالوضع في كتابه الموضوعات، و أحربّه أن يكون مختلقاً مكذوباً على رسول الله ﷺ. و كذلك جاء بعض هذه الأخبار موقوفاً على ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما و ذكر ذلك في كتب التفسير، و بعض كتب الحديث، و كتب التواريخ و نحوها، و قد قال السيوطي: إنّها صحيحة!!

و لا ندري ماذا يقول المنتصرون لمثل هذه الأباطيل، فيما هو ثابت من أنّ عمر الدنيا أضعاف أضعاف ذلك، حتّى أصبح ذلك من البديهيّات المسلّمات، و إنّ التمسك بمثل هذه الروايات أضرّ على الدين من طعن أعدائه.

ولو أن النبي ﷺ بُعث - كما يقولون - في آخر المائة السادسة، لقامت القيامة من زمن مضى، فظهر أن الواقع والمشاهدة يكذبان ذلك أيضاً، ويردّانه.

ما يتعلّق بخلق الشمس والقمر

ومن ذلك أيضاً: ما ذكره ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه والتعلبي، وغيرهم من المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوْنًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾^١.

فقد رووا عن ابن عباس أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أْبْرَمَ خَلْقَهُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ خَلْقِهِ غَيْرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، خَلَقَ شَمْسًا مِنْ نُورِ عَرْشِهِ، فَأَمَّا مَا كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَدْعَهَا شَمْسًا، فَإِنَّهُ خَلَقَهَا مِثْلَ الدُّنْيَا، مَا بَيْنَ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا، وَأَمَّا مَا كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ أَنْ يَطْمَسُهَا وَيُحَوِّلُهَا قَمْرًا، فَإِنَّهُ خَلَقَهَا مِثْلَ الشَّمْسِ فِي الضُّوءِ، وَإِنَّمَا يَرَى النَّاسُ صَغْرَهُمَا لَشِدَّةِ ارْتِفَاعِهِمَا، وَ لَوْ تَرَكَهُمَا اللَّهُ كَمَا خَلَقَهُمَا فِي بَدْءِ الْأَمْرِ لَمْ يَعْرِفِ اللَّيْلُ مِنَ النَّهَارِ، وَ لَا النَّهَارُ مِنَ اللَّيْلِ، وَ لَكَانَ الْأَجِيرُ لَيْسَ لَهُ وَقْتُ يَسْتَرِيحُ فِيهِ، وَ لَكَانَ الصَّائِمُ لَا يَدْرِي إِلَى مَتَى يَصُومُ، وَ مَتَى يَفْطُرُ، إِلَى أَنْ قَالَ: فَأَرْسَلَ جِبْرِيلَ، فَأَمَرَ جَنَاحَهُ عَلَى وَجْهِ الْقَمَرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَ هُوَ يَوْمُئِذٍ شَمْسٌ فَمَحَا عَنْهُ الضُّوءَ، وَ بَقِيَ فِيهِ النُّورُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ﴾ فالسواد الذي ترونه في القمر هو أثر ذلك المحو».

وكذلك روى هذا الباطل ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وسنده واه؛ لأن فيه نوح بن أبي مريم، وهو وضّاح دجال، وقد حكم عليه ابن الجوزي بالوضع والاختلاق^٢، ومنشؤه من الإسرائيليات التي ألصقت بالنبي زوراً، وفيه من الركافة اللفظية، والمعنوية ما يشهد بوضعه على النبي، وليس عليه شيء من نور النبوة.

١. الإسراء (١٧): ١٢.

٢. اللئال المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ج ١، ص ٢٤ و ما بعدها.

و ما كان رسول الله ﷺ يتعرض للكونيات بهذا التفصيل، و لما سئل عن الهلال لم يبدو صغيراً ثم يكبر، حتى يصير بدرأ، ثم يصغر؟ أجاب بالفائدة، فقال: ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ﴾ لأن بالأهلة تُعرف السنون، و الشهور، و عليها تتوقف مصالح الناس الدينية و الدنيوية، فيها يعرفون حجهم، و صومهم، و إخراج زكاتهم، و حلول آجال ديونهم و نحوها، و ليس من الحكمة التعرض لمثل هذه الكونيات بالتفصيل، فتركها لعقول الناس، و إدراكاتهم أولى، و لا سيما أنه لا يتوقف على معرفة الأمة لمثل هذه الأمور فائدة دينية، و القرآن و السنة النبوية حينما يعرضان للحديث عن الكونيات يكون غرضهما انتزاع العبرة، و الاستدلال بما أودع فيهما على وجود الله - جل و علا-، و وحدانيته، و قدرته، و علمه، و سائر صفاته، و لذلك لا تقف فيما صح و ثبت من الأحاديث على مثل هذه التفصيلات التي نجدها في الآثار الضعيفة، و الإسرائيليات الباطلة.

ما يتعلق بتعليل بعض الظواهر الكونية

و من ذلك ما يذكره بعض المفسرين، و ما يوجد في بعض كتب الحديث في غروب الشمس، و أنها إذا غربت ابتلعها حوت، و ما يتعلق بالسموات، و الأجرام السماوية، و من أي الجواهر هي؛ و الأرض و علام استقرت، و أنها على ظهر حوت، و ما يذكرونه في تعليل برودة الآبار في الصيف، و سخونها في الشتاء، و عن منشأ الرعد و البرق، و عن منشأ السحاب، إلى نحو ذلك مما لا تصدق و روده عن المعصوم ﷺ. و ما ورد منه موقوفاً، فمرجهه إلى الإسرائيليات الباطلة، أو إلى الزنادقة الذين أرادوا أن يُظهروا الإسلام بمظهر الدين الخرافي الذي ينافي العلم، و السنن الكونية.

فقد روي عن أبي أمامة الباهلي: أن رسول الله ﷺ قال: «وَكُلُّ بِالشَّمْسِ تِسْعَةَ أَمْلاكَ، يَرْمُونَهَا بِالثَّلْجِ كُلِّ يَوْمٍ، لَوْ لَا ذَلِكَ مَا أَتَتْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقْتَهُ» رواه الطبراني.

و من أحد رواته عقير بن معدان، و هو ضعيف جداً، و لو أن الحديث صحيح السند، أو ثابت، لتمحّلنا، و قلنا: إنه من قبيل التمثيل، أما و هو بهذا الضعف فلتلق به دبر آذانا.

و عن ابن عمر، قال: «سئل النبي ﷺ فقيل: أ رأيت الأرض على ما هي؟ قال: «الأرض على الماء» قيل: الماء على ما هو؟ قال: «على صخرة» فقيل: الصخرة على ما هي؟ قال: «هي على ظهر حوت يلتقي طرفاه بالعرش»!! قيل: الحوت على ما هو؟ قال: «على كاهل ملك، قدماه على الهواء». رواه البزار عن شيخه عبد الله بن أحمد، يعني ابن شبيب، وهو ضعيف. و عن الربيع بن أنس قال: «السماء الدنيا موج مكفوف، والثانية: صخرة، والثالثة: حديد، والرابعة: نحاس، والخامسة: فضة، والسادسة: ذهب، والسابعة: ياقوت». رواه الطبراني في الأوسط هكذا موقوفاً على الربيع، وفيه أبو جعفر الرازي، وثقه أبو حاتم وغيره، وضعفه النسائي وغيره^١.

و روى الطبراني في الأوسط بسنده، فقال: حدثنا محمد بن يعقوب الأهوازي الخطيب، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمان بن عبد الصمد السلمي، قال: حدثنا أبو عمران الحراني، قال: حدثنا ابن جريج عن عطاء، عن جابر بن عبد الله، أن خزيمة بن ثابت - وهو ليس بالأصاري المشهور - كان في غير لخديجة، وأن النبي ﷺ كان معه في تلك العير، فقال له: يا محمد، أرى فيك خصلاً، وأشهد أنك النبي الذي يخرج من تهامة، وقد آمنت بك، فإذا سمعت بخروجك أتيك. فأبطأ عن النبي ﷺ، حتى كان يوم فتح مكة أتاه، فلما رآه قال: «مرحباً بالمهاجر الأول» و....

ثم قال: يا رسول الله، أخبرني عن ضوء النهار، وظلمة الليل، وعن حرّ الماء في الشتاء، وعن برده في الصيف، وعن البلد الأمين، وعن منشأ السحاب، وعن مخرج الجراد، وعن الرعد والبرق، وعن ما للرجل من الولد، وما للمرأة؟

فقال رسول الله ﷺ: أما ظلمة الليل، وضوء النهار، فإن الشمس إذا سقطت تحت الأرض، فأظلم الليل لذلك، وإذا أضاء الصبح، ابتدرها سبعون ألف ملك، وهي تقاعس كراهية أن تعبد من دون الله، حتى تطلع، فتضيء، فيطول الليل بطول مكثها، فيسخن الماء

لذلك. وإذا كان الصيف، قلّ مكنتها، فبرد الماء لذلك. وأمّا الجراد، فإنّه نثرة حوت في البحر، يقال له: «الأبوات»، وفيه يهلك. وأمّا منشأ السحاب، فإنّه ينشأ من قبل الخافقين، ومن بين الخافقين تلجمه الصبا والجنوب، ويستدبره الشمال والذبور. وأمّا الرعد، فإنّه ملك بيده مخراق^١ يُدني القاصية، ويؤخّر الدانية، فإذا رفع برقت، وإذا زجر رعدت، وإذا ضرب صعقت. وأمّا ما للرجل من الولد، وما للمرأة، فإنّ للرجل العظام، والعروق، والعصب، والمرأة اللحم، والدم، والشعر. وأمّا البلد الأمين، فمكة^٢.

وقال الهيثمي في زوائده: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه يوسف بن يعقوب أبو عمران، ذكر الذهبيّ هذا الحديث في ترجمته، ولم يذكر تضعيفه عن أحد!^٣
والحق أنّ الذهبيّ حكم ببطلان هذا الخبر، وقال: إنّ راويه عن يوسف بن يعقوب مجهول، وهو محمّد بن عبد الرحمان السلميّ المذكور، وأحرّبه أن يكون باطلاً، ولقد صدق الإمام الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ، الذي أبان لنا قيمة هذه المرويّات الباطلة، منذ بضعة قرون.

وإليك ما قاله الذهبيّ بنصّه، قال يوسف بن يعقوب أبو عمران عن ابن جريج، بخبر باطل طويل، وعنه إنسان مجهول واسمه عبد الرحمان السلميّ، قال الطبرانيّ: حدّثنا محمّد بن يعقوب الأهوازيّ الخطيب.

ثمّ ذكر الإسناد الذي ذكرته آنفاً، وبعض المتن إلّا أنّه قال: «إنّ خزيمة بن ثابت الأنصاريّ»، وقال: ذكره أبو موسى في الطوالت، وروى بعضه عبدان الأهوازيّ، عن السلميّ هذا^٤.

فكيف يقول الهيثميّ: ذكر الذهبيّ هذا الحديث في ترجمته، ولم ينقل تضعيفه عن أحد؟! إنّه - والله - العجب!! وقد وافق الذهبيّ فيما قاله الإمام الحافظ ابن حجر في لسان الميزان^٥.

١. المخراق: حرق وتنتل ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً، والمراد هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب.

٢. مجمع الزوائد، ج ٨، ص ١٣٢.

٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج ٤، ص ٤٧٥، رقم ٩٨٩١.

٤. لسان الميزان، ج ٦، ص ٣٣٠، ط الهند.

فقد ذكر ما ذكره الذهبي، غير أنه قال، عن جابر بن عبد الله: أن خزيمة بن ثابت - وليس بالأنصاري -، كان في غير لخديجة، و ذكر القصة السابقة.

و ما ذكره الحافظ ابن حجر في لسان الميزان من أنه ليس بالأنصاري هو الصحيح، فهو خزيمة بن حكيم السلمي، و يقال له: ابن ثابت أيضاً، كان صهر خديجة أم المؤمنين، فهو غير خزيمة بن ثابت الأنصاري، المشهور بأنه ذو الشهادتين قطعاً.

و مما يروى في مثل هذا، ما روي عن صباح بن أشرس، قال: «سئل ابن عباس عن المدّ و الجزر، فقال: إن ملكاً موكلًا بناموس البحر، فإذا وضع رجله فاضت، وإذا رفعها غاضت»، قال الهيثمي: رواه أحمد، و فيه من لم أعرفه، أقول: و البلاء غالباً، إنما يكون من المجاهيل.

و عن معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ قال: «المجرّة التي في السماء هي عرق حيّة تحت العرش»، رواه الطبراني في المعجم الكبير و الأوسط، و قال: لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد، و فيه: عبد الأعلى بن أبي سحرة، و لم أعرفه، و بقيّة رجاله ثقات، أقول: و البلاء من هذا الذي لا يعرف.

و عن جابر بن عبد الله - رضوان الله عليه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ، إنّي مرسلك إلى قوم أهل عناد، فإذا سئلت عن المجرّة التي في السماء فقل: هي لعاب حيّة تحت العرش» رواه الطبراني، و فيه الفضل بن المختار و هو ضعيف^٢، أقول: و أحرّ بمثل هذا أن لا يروى إلا من طريق ضعيف.

و كلّ هذا الذي ذكرناه، و أمثاله ممّا لا نصدّق و روده عن المعصوم ﷺ و إنّما هو من أكاذيب بني إسرائيل و خرافاتهم، أو من وضع الزنادقة الخبيثاء، و ألصق بالنبيّ زوراً، و ما كان رسول الله ﷺ ليتكلّم في الكونيّات، و الفلكيّات، و أسباب الكائنات بهذا التفصيل، كما حقّقنا لك آنفاً. و في هذه المرويّات من السذاجة العلميّة، و التفاهات، ما لا يليق

بعقل، فضلاً عن عقل العقلاء، الذي ما كان ينطق عن الهوى.

وأيضاً فهذه التعليقات لا تتفق هي والمقررات العلمية المستقرّة الثابتة، التي أصبحت في حكم اليقينيّات اليوم. ولا ندري، كيف يكون حال الداعية إلى الإسلام اليوم في البلاد المتقدّمة في العلم والمعرفة إذا لهج بمثل هذه الأباطيل التي تضرّ بالدين أكثر ممّا ينال منه أعداؤه؟ ولو أنّ هذه المرويّات كانت في كتب معتمدة من كتب الحديث والرواية التي تعنى بذكر الأحاديث الصحيحة والحسنة، لكان للمنتصرين لها بعض العذر. أمّا وهي كما علمت غير معتدّ بها لضعف أسانيدھا، ومخالفتها للعقل، والعلم اليقينيّ، فاضرب بها عرض الحائط ولاكرامة.

ما ذكره المفسّرون في الرعد والبرق في كتبهم

ومعظم كتب التفاسير بالمأثور وغيره ذكرت: أنّ الرعد اسم ملك يسوق السحاب، وأنّ الصوت المسموع صوت زجره السحاب، أو صوت تسبيحه، وأنّ البرق أثر من المِخْرَاق الذي يزجر به السحاب، أو لهب ينبعث منه، على أنّ المِخْرَاق من نار، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ الآية، ويكاد لم يسلم من ذلك أحد منهم، إلّا أنّ منهم من يحاول أن يوفق بين ظاهر الآية وما قاله الفلاسفة الطبيعيّون في الرعد والبرق، فيؤوّل الآية، ومنهم من يُبقي الآية على ظاهرها، وينحي باللائمة على الفلاسفة وأضرابهم؛ الذين قاربوا أن يصلوا إلى ما وصل إليه العلماء في العصر الحديث. ففي تفسير الخازن^٢ قال أكثر المفسّرين: على أنّ الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب، والصوت المسموع منه تسبيحه، ثمّ أورد على هذا القول أنّ ما عطف عليه، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ يقتضي أن يكون المعطوف عليه مغايراً للمعطوف، لأنّه الأصل، ثمّ أجاب: بأنّه من قبيل ذكر الخاصّ قبل العامّ تشریفاً!

وقد بسّط الآلوسیّ في تفسيره - كما هي عادته - الأقوال في الآية، وذكر أنّ للعلماء في

إسناد التسبيح إلى الرعد قولين: أن في الكلام حذفاً، أي سامعو الرعد، أو أن الإسناد مجازي من قبيل الإسناد إلى السبب والحامل عليه، والباء في «بحمده» للملابسة، أي يسبح السامعون لذلك الصوت متلبسين بحمد الله، فيقولون: سبحان الله، والحمد لله.

ومن العلماء من قال: إن تسبيح الرعد بلسان الحال لا بلسان المقال، حيث شبه دلالة الرعد على قدرة الله وعظمته، وإحكام صنعته، وتنزيهه عن الشريك والعجز، بالتسبيح والتنزيه، والتحميد اللفظي، ثم استعار لفظ يسبح لهذا المعنى. وقالوا: إن هذا المعنى أنسب.

وكل هذا من العلماء في الحقيقة تخلص من حمل الآية على ظاهرها، وأن المراد بالرعد: الملك الموكل بالسحاب. ثم قال الآلوسي: والذي اختاره أكثر المحدثين أن الإسناد حقيقي؛ بناءً على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب. فقد روى أحمد، والترمذي وصححه، والنسائي، وآخرون عن ابن عباس -رضوان الله عليه-: أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ، فقالوا: أخبرنا ما هذا الرعد؟ فقال ﷺ: «ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب، بيديه مخراق من نار، يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمره الله تعالى»، قالوا: فما ذلك الصوت الذي نسمعه؟ قال: «صوته» قالوا: «صدقت».

وهذا الحديث إن صحَّ يمكن حمله على التمثيل، ولكن لا يطمئن القلب إليه، ولا يكاد يصدق وروده عن المعصوم ﷺ، وإنما هو من إسرائيليات بني إسرائيل أُلصقت بالنبي ﷺ زوراً، ثم كيف يتلاءم ما روي مع قوله قبل: «هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ السَّحَابَ الثِّقَالَ»، وقوله بعد: «وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ»، فالآية في بيان قدرة الله وعظمته في إحداث هذه الآيات الكونية، على حسب ما خلقه الله في الكون من نواميس، وأسباب عادية! وإنما المناسب أن نفسر تسبيح «الرعد» بلسان الحال، وعطف الملائكة على «الرعد» يقتضي أن يكون «الرعد» غيرها لما ذكرنا،

و كأنَّ السَّرَّ في الجمع بينهما بيان أنَّه تواطأ على تعظيم الله و تنزيهه الجمادات و العقلاء، و أنَّ ما لا يعقل منقاد لله و خاضع كاتقياد العقلاء سواءً بسواء، و لا سيَّما الملائكة الذين هم مفطورون على الطاعة و الاتقياد.

و من الحقِّ أن نذكر: أنَّ بعض المفسِّرين كانت لهم محاولات جادَّة؛ بناء على ما كان من العلم بهذه الظواهر الكونيَّة في عصرهم، في تفسير: الرعد و البرق، كابن عطية رحمته الله فقد قال: و قيل: إنَّ «الرعد» ريح تخفق بين السحاب. و روى ذلك عن ابن عباس، و اعترض عليه أبو حيَّان، و اعتبر ذلك من نزغات الطبيعيين، مع أنَّ قول ابن عطية أقرب إلى الصواب من تفسير «الرعد» بصوت «الملك» الذي يسوق السحاب، و البرق بضوء مخراقه. و قد حاول الإمام الرازي التوفيق بين ما قاله المحققون من الحكماء، و ما ورد في هذه الأحاديث و الآثار، و قد أنكر عليه أبو حيَّان هذا أيضاً.

ثمَّ ذكر الآلوسي آراء الفلاسفة في حدوث الرعد، و البرق، و تكوُّن السحاب، و أنَّه عبارة عن أبخرة متصاعدة قد بلغت في صعودها إلى الطبقة الباردة من الهواء، ثمَّ تكتَّفت بسبب البرد، و لم يقدر الهواء على حملها، فاجتمعت و تقاطرت، و يقال لها: مطر.

هذا، و قد أصابوا في تكوُّن السحاب و نزول المطر، فأخر ما وصل إليه العلم اليوم هو هذا. و أمَّا في تكوُّن الرعد، و البرق، فقد حاولوا، و قاربوا، و إن لم يصلوا إلى الحقيقة العلميَّة المعروفة اليوم.

و بعد أن ذكر الآلوسي الردود و الاعتراضات على ما قاله الفلاسفة، و هي - و الحقُّ يقال - لا تنهض أن تكون أدلَّة في ردِّ كلامهم، قال: و قال بعض المحقِّقين: لا يبعد أن يكون في تكوُّن ما ذكر أسباب عاديَّة، كما في الكثير من أفعاله تعالى، و ذلك لا ينافي نسبته إلى المحدث الحكيم - جلَّ شأنه -، و من أنصف لم يسهه إنكار الأسباب بالكلِّيَّة، فإنَّ بعضها كالمعلوم بالضرورة، قال: و بهذا أنا أقول^١. و نحن أيضاً بهذا نقول، و كون الظواهر الكونيَّة

قد جعل الله نواميس خاصة لحدوثها، لا ينافي قطّ أنه سبحانه الخالق للكون، والمدبر له سبحانه، فهو - تعالى - هو الموجد لهذه النواميس، وهو الموجد لهذه السنن التي يسير عليها الكون، فإنّ بعض هذه النواميس و السنن أصبحت معلومة فإنكارها باسم الدين، أو التشكيك فيها - ومنها تكوّن السحب، و حدوث الرعد، و البرق، و الصواعق - إنّما يعود على الدين بالضعف، و يضرّه أكثر من طعن أعدائه فيه.

* * *

رأى العلم في حدوث الرعد، و البرق، و الصواعق

و إكمالاً للفائدة: سنذكر ما وصل إليه العلم في حدوث هذه الظواهر الكونية، فنقول، و بالله التوفيق: يقول الدكتور محمّد أحمد الغمراويّ في كتابه سنن الله الكونية:

الرياح، و الكهربائية الجويّة

إنّ الكهربائيّة التي تتولّد في الهواء يكتسبها السحاب عند تكوّنه على الأيونات التي تحملها تلك الكهربائيّة في الطبقات العليا الجويّة، و لا يُدري الآن، كيف يفصل الله الأيونات السالبة، من الأيونات الموجبة، قبل تكاثف البخار عليها، إن كان هناك فصل لهما؟ أم كيف يكون السحاب عظيم التكهرب إمّا بنوع من الكهرباء، و إمّا بالنوع الآخر، إذا حدث التكاثف على الأيونات، و هي مختلطة. و مهما يكن من سرّ ذلك، فإنّ السحاب مكهرب من غير شكّ، كما أثبت ذلك فرانكلن لأوّل مرّة في عام (١٧٥٢ م). و كما أثبت غيره، عظم تكهربه بشتّى الطرق بعده، و أنت تعرف أنّ نوعي الكهربائيّة يتجاذبان، و أنّ الموجب و الموجب، أو السالب و السالب يتدافعان، أو يتنافران، كما تشاء أن تقول.

هذا التدافع أو التنافر من شأنه تفريق الكهربائيّة، ثمّ إذا شاء الله ساق السحاب بالرياح، حتّى يقترب السحاب الموجب، من السحاب السالب قريباً كافياً، في اتّجاه أفقيّ، أو في اتّجاه رأسيّ أو فيما شاء الله من الاتّجاهات، فإذا اقتربا تجاذبا. و من شأن اقترابهما هذا أن يزيد في كهربائيّة مجموع السحاب بالتأثير، و لا يزالان يتجاذبان، و يستقاربان، حتّى

لا يكون محيص من اختلاطهما و اتّحاد كهربائيهما أو من اتّحاد كهربائيهما من بعد، وعندئذ تحدث شبه شرارة عظمى كهربائية، هي البرق الذي كثيراً ما يُرى في البلاد الكثيرة الأمطار.

و «المطر» نتيجة لازمة لحدوث ذلك الاتّحاد الكهربائي، سواء حدث في هدوء أو بالإبراق، فإذا حدث بهدوء، حدث بين القطيرات المختلفة في السحابتين، فتجذب كلٌّ منها قرينتها أو قريناتها، حتّى تتحد، و تكون قطرة فيها ثقل، فتتزل، و تكبر أثناء نزولها بما تكتسب من كهربائية، و ما تجتذب من قطيرات، أثناء اختراقها السحاب المكهرب، الذي يكون بعضه فوق بعض في السحاب الركام، أمّا إذا حدث الاتّحاد الكهربائي في شدّة البرق، و عنفه، فإنّه يحدث لا بين القطيرات، و لكن بين الكتل من السحاب، و يسهل حدوثه تخلخل الهواء، أي قلّة ضغطه في تلك الطبقات.

و «البرق» يمثّل قوّة كهربائية هائلة، تستطيع أن تكون فكرة عنها إذا عرفت أنّ شرارته قد تبلغ ثلاثة أميال، في طولها أو تزيد، و أنّ أكبر شرارة كهربائية أحدثها الإنسان لا تزيد عن بضعة أمتار.

فالحرارة الناشئة عن البرق لا شكّ هائلة، فهي تُمدّد الهواء بشدّة، و تحدث مناطق جوّية عظيمة مخلخلة، الضغط داخلها يعادل الضغط خارجها، ما دام الهواء داخل المنطقة ساخناً، حتّى إذا تشعّت حرارته و بردت تلك المناطق برودة كافية، و ما أسرع ما تبرّد، خفّ منها الضغط، و صار أقلّ كثيراً من ضغط الطبقات الهوائية السحابية المحيطة بها، فهجمت عليها فجأة بحكم الفرق العظيم بين الضغطين و تمدّدت فيها، و حدث لذلك صوت شديد، هو صوت الرعد و هزيمه، هذا الصوت قد يكون له صدئٌ بين كتل السحاب، يتردّد، فنسمّيه قعقعة الرعد، أمّا صوت الشرارة الكهربائيّة البرقيّة، فهو بدء الرعد، و يكون ضعيفاً بالنسبة لهزيمه و قعقعته، لذلك تسمع الرعد ضعيفاً في الأوّل ثمّ يزداد، كأنّما أوّله إيذان بتضخّمه، كما قد تُؤذن الطلقة الفردة بانطلاق بطاريّات برمتها، من المدافع الضخمة في الحروب. فالرعد يحدث لا عند اتّحاد الكهربائيتين حين يحدث

البرق فقط، ولكن يحدث أكثره بعد ذلك عند تمدد الكتل الهوائية الهاجمة في المنطقة المُفْرَغَة، وهي إذا تمددت بردت برودة شديدة، فيتكاثف ما فيها من البخار، ومن كتل السحاب، فينزل على الأرض إما مطراً، وإما بَرْدًا، حسب مقدار البرودة الحادثة في تلك المناطق، وهذا هو السبب في أن الرعد والبرق يعقبهما في الغالب مطرات شديدة، سواء أكانت المطرة مائية، أم بردية، وقطرات الماء أو حبات البرد تنمو بعد ذلك باختراقها كتل السحاب المتراكم، تحت المنطقة التي حدث فيها التفريغ^١.

الصواعق

وقد يحدث التفريغ الكهربائي بين السحاب والأرض، بدلاً من بين السحاب والسحاب، وهذا يكون عادة إذا كان السحاب عظيم الكهربية، قريباً من الأرض، فإذا حدث التفريغ ظهر له كالعادة ضوء وصوت، نسمي مجموعهما بالصاعقة، أي أن الصاعقة: تفريغ كهربائي بين السحاب والأرض، إذا أصاب حيواناً أو نباتاً أحرقه، وهو يحدث أكثر ما يحدث بين الأجسام المديبة على سطح الأرض من شجر أو نحوه، وبين السحاب، ولذا كان من الخطأ الاستظلال بالشجر، أو المظلات في العواصف ذات البرق، على أن الإنسان قد استخدم سهولة حدوث التفريغ بين الأجسام المديبة، والسحاب لوقاية الأبنية من الصواعق، وذلك بإقامته على سطوحها قضباناً حديدية أو نحاسية، مديبة الأطراف، بحيث يكون طرف القضيب المدبب أعلى قليلاً من أعلى نقطة في البناء، والطرف الآخر متصللاً بلوح فلزي مدفون في أرض رطبة، ومن شأن الأطراف المديبة أن يكون كل منها باباً تخرج منه الكهربية المتجمعة على السطح تدريجاً إلى السحاب الذي يظله، فيحدث التفريغ، أي الاتحاد بين كهربية الأرض، وكهربية السحاب تدريجاً، فيمتنع ذلك التفريغ الفجائي المعروف بالصاعقة، على أنه إذا نزلت الصاعقة بالبناء رغم ذلك فالأرجح جداً أنها تصيب القضيب المدبب أول ما تصيب، وتنصرف الكهربية إلى الأرض، بدلاً

من أن تدكّ البناء؛ ولذا يسمّى مثل هذا القضيّب المدبّب الواصل إلى الأرض بصارفة الصواعق، وقد وجدوا أنّ السطح الخارجي للقضيّب هو الطريق الذي تمرّ به الكهرباء إلى الأرض، لذلك كلّما كان هذا السطح أكبر كان الصرف أعظم، والبناء أحسن؛ ولذا كانت الصفائح أفعل في حفظ الأبنية، من مثل كتلتها من الأسلاك.

* * *

جبل «قاف» المزعوم، و حدوث الزلازل

و من ذلك ما ذكره بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾: فقد ذكر صاحب الدرّ المنتور وغيره، روايات كثيرة عن ابن عبّاس -رضوان الله تعالى عليه- قال: «خلق الله من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها، ثمّ خلق من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له: (قاف)، سماء الدنيا مرفوعة عليه، ثمّ خلق الله -تعالى- من وراء ذلك الجبل أيضاً مثل تلك الأرض سبع مرّات، واستمرّ على هذا حتّى عدّ سبع أرضين، و سبعة أبحر، و سبعة أجبل، و سبع سماوات».

و هذا الأثر لا يصحّ سنده عن ابن عبّاس، وفيه انقطاع، و لعلّ البلاء فيه من المحذوف. و أخرج ابن أبي الدنيا، و أبو الشيخ عنه أيضاً، قال: خلق الله تعالى جبلاً يقال له: قاف، محيط بالعالم، و عروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فيحرك العرق الذي يلي تلك القرية، فيزلزلها، و يحركها، ثمّ تحرك القرية دون القرية.

و كلّ ذلك كما قال القرافي لا وجود له، و لا يجوز اعتماد ما لا دليل عليه، و هو من خرافات بني إسرائيل الذين يقع في كلامهم الكذب، و التغيير، و التبديل، دست على السّدج من المفسّرين، أو تقبّلوها بحسن نيّة. و روهها لغرابتها، لا اعتقاداً بصحتها، و نحمد الله أن وجد في علماء الأئمة من ردّ هذا الباطل، و تنبّه له قبل أن تتقدّم العلوم الكونيّة، كما

هي عليه اليوم. ومن العجيب أن يتعقب كلام القرافي ابن حجر الهيثمي، فقال: ما جاء عن ابن عباس مرويًا من طرق خرّجها الحفاظ وجماعة، ممن التزموا تخريج الصحيح، وقول الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه، حكمه حكم المرفوع إلى النبي.

ولكن نقول للشيخ الهيثمي: إن تخريج من التزم الصحة ليس بحجة، وكم من ملتزم شيئاً لم يف به، والشخص قد يسهو ويغلط مع عدالته، وأنظار العلماء تختلف، والحاكم صحح أحاديث، حكم عليها الذهبي وغيره بالوضع، وكذلك ابن جرير أخرج روايات في تفسيره، حكم عليها الحفاظ بالوضع، والكذب. ولو سلّمنا إسنادها إلى ابن عباس، فلا ينافي ذلك أن تكون من الإسرائيليات الباطلة، الموضوعة عنه.

ثم إننا نقول للهيثمي ومن يرى رأيه: أي فائدة نجنحها من وراء هذه المرويّات التي لا تتقبلها عقول تلاميذ المدارس، فضلاً عن العلماء؟! اللهم إلا أننا نفتح - بالانتصار لها - باباً للظعن في عصمة النبي ﷺ، وإذا جاز هذا في عصور الجهل والخرافات فلا يجوز اليوم، وقد أصبح رواد الفضاء يطوفون حول الأرض، و يرونها معلقة في الفضاء بلا عمد، ولا جبال، ولا بحار، ولا صخرة استقرت عليها الأرض، فهذه الإسرائيليات مخالفة للحسن والمشاهدة قطعاً، فكيف نتعلّق بها؟!



٢٦. الإسرائيليات في تفسير ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾

ومن ذلك ما يذكر كثير من المفسرين في قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾^١ من أنه الحوت الذي على ظهره الأرض، ويسمى «اليهموت»، وقد ذكر ابن جرير، والسيوطي روايات عن ابن عباس، منها: «أول ما خلق الله القلم، فجرى بما هو كائن، ثم رفع بخار الماء، و خلقت منه السماوات، ثم خلق النون، فبسطت الأرض عليه، فاضطرب النون، فمادت الأرض^٢، فأثبتت بالجبال. وقد روي عن ابن عباس أيضاً: أنه الدواة، ولعل هذا هو

الأقرب، والمناسب لذكر القلم. وقد أنكر الزمخشريّ ورود «نون» بمعنى الدواة، في اللغة، وروي عنه أيضاً: أنه الحرف الذي في آخر كلمة ﴿الرَّحْمَنُ﴾، وأنّ هذا الاسم الجليل فرق في ﴿الر﴾ و ﴿حم﴾ و ﴿ن﴾.

واضطراب النقل عنه يقلل الثقة بما روي عنه، ولا سيّما الأثر الأوّل عنه، والظاهر أنّه افتراء عليه، أو هو من الإسرائيليات الصّحّ به.

وإليك ما قاله ابن قيّم الجوزيّة، قال في أثناء كلامه على الأحاديث الموضوعية: ومن هذا حديث أن قاف: جبل من زمردة خضراء، محيط بالدنيا كإحاطة الحائط بالبستان، والسماء واضعة أكتافها عليه.

ومن هذا حديث: أنّ الأرض على صخرة، والصخرة على قرن ثور، فإذا حرّك الثور قرنه، تحرّكت الصخرة، فهذا من وضع أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء بالرسول. وقال الإمام أبو حيان في تفسيره: لا يصحّ من ذلك شيء ما عدا كونه اسماً من أسماء حروف الهجاء^١.

١. والصحيح عندنا - على ما أسلفنا البحث فيه في التمهيد (ج ٥، ص ٣٠٥-٣١٤) - أنّ هذه الحروف المقطّعة في أوائل السور، هي إشارات رمزيّة إلى أسرار بين الله ورسوله، ولم يهتد إليها سوى المأمونين على وحيه. ولو كان يمكن الاطلاع عليها لغيرهم لم تكن حاجة إلى الرمز بها. نعم، لا يبعد اشتغالها على حكم و فوائد تزيد في فخامة مواضعها في مفتتحات السور، حسبما احتملته قرائح العلماء، فيما ذكروه من فوائد. والله العالم بحقائق أسرارهِ.

أهم كتب التفسير بالمأثور

أول ما بدئ التفسير بدئاً أثرياً وبنقل المأثور عن السلف الصالح: كانت الآية تُذكر وتُعبّ بذكر أقوال السلف من الأئمة والصحابة والتابعين، وأحياناً مع شيء من ترجيح بعض الأقوال، أو زيادة استشهاد بآية أو رواية أو إنشاد شعر. وكان ذلك ديدنهم في التفسير لا يتجاوزونه إلا القليل. أما التعرّض لمعاني الفلسفة أو الكلام أو الأدب، فشيء حصل متأخراً عن العهد الأول، حيث توسّع المفسّرون فيما بعد إلى أنحاء الكلام فيه والنظر والاجتهاد، ولم يزل يتطوّر التفسير مع تقدّم الزمان. ومن ثمّ فجلّ تفاسير القدماء هي من النمط التفسيري بالمأثور..

والتفسير الأثريّ عند ما تشكّل، تشكّل على نمطين:

أحدهما - وهو النمط الأفضل -: أن تذكر الآية وتفسّر بالأثر الوارد مستوعباً وبأسانيد متّصلة وفي تنسيق رتيب، ومع شيء من النظر والتمحيص.. وأكثر تفاسير القدماء على هذا النمط، كتفسير مجاهد والسديّ الكبير والكلبيّ وأبي حمزة الثماليّ وابن جرّيج ومقاتل بن سليمان و عبد الرزاق الصنعانيّ والعياشيّ وابن أبي حاتم والقميّ والثعلبيّ.. وأجمعهم شمولاً، وأجودهم تنسيقاً وتمحيصاً، هو الإمام أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ، حيث جمع فاستقصى ونظر فأوفى..

الثاني: أن تذكر الآيات متناسقة وتعبّ كلّ آية بأثر أو لمة من آثار من غير ما نظم

أو ترتيب و لا نظر أو تمحيص.. و النموذج الأوفى لهذا النمط من التفسير الأثري المنتشر هو الدرّ المنتور لجلال الدين السيوطي، كما يبدو من اسمه!
وهكذا تفسير البرهان للسيّد هاشم البحرانيّ و نور الثقلين للحويزي، جمعاً في تأليفهما ما عثرا عليه من آثار الأئمّة من آل البيت و بعض السلف، بشكل غير رتيب و لا متسق..
و من هذا النوع تفسير البرغانيّ، غير أنه قد يترك الأثر فيما إذا حسبه غير نقيّ.. و هي طريقة غير جيّدة حسبما نذكر..



و التفسير الأثريّ مذ نشأ كان موضع عناية العلماء و أهل الحديث إلى أمد ربما غير قصير، و لكن بعد ما توسّع النظر و الاجتهاد في شؤون الدين و رجحت كفة أهل التحقيق، أخذ اعتبار الأثر يخفّ و ربما إلى حدّ الإعراض بعض الشيء، حيث تواجد المناكير في طيه و خلط الغثّ بالسمين.. فقد دعت الحاجة و الحال هذه إلى إعادة النظر في تلکم المرويّات الضخمة و تخليص السليم عن السقيم.. الأمر الذي دعي بنبهاء الأئمّة و العلماء أن يعيروا اهتمامهم البالغ بهذا الشأن الخطير، و لينقدوا تلکم الأخبار بميزان النقد النزيه و يميّزوا بين الصحيح و الزائف.. فظهرت من ذلك مدوّنات تفسيرية على أساس التحقيق و التمحيص، حيث يتقبّلها العقل الرشيد.

و كان من أفضلها تفسير المنار بقلم السيّد رشيد رضا، جمع فيه آراء شيخه العلامة الأستاذ الشيخ محمّد عبده رحمته ليسير على منهاجه من جاء بعده من أعلام..

و هكذا سيّدنا الأستاذ العلامة السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ رحمته في تفسيره القيم الميزان، حيث توزين الآراء على أساس مكين. و انتهج منهجه النخبة من تلامذته و غيرهم من أعظم العلماء.

و نحن بدورنا حاولنا مواكبة هذا الركب و في مساهمة من نخبة أفاضل الحوزة العلميّة بقم المقدّسة، لنقوم بجمع الروايات التفسيرية مستقصى حسب الإمكان و نقدها و النظر فيها أحياناً، فكانت مجموعة باسم التفسير الأثريّ الجامع. و ها نحن على مشارف الإكمال

بحوله تعالى وهو المستعان. والآن فإليك الأهم من التفاسير المعتمدة على النقل والأثر:

١. تفسير مجاهد

هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكيّ المخزوميّ (٢١-١٠٢ هـ).

ولعله أول تفسير أثريّ ظهر إلى الوجود. وهو برواية أبي يسار عبد الله بن أبي نجيح الثقفيّ الكوفيّ (ت ١٣١ هـ). وقد اشتهر هذا التفسير باسمه. وكان أوفى منابع التفسير لمن تأخر عنه. قيل عنه: إن تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد من أصحّ التفاسير، بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصحّ من تفسيره. إذ معه ما يصدّقه، وهو قول مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس أفقه عند كلّ آية وأسأله عنها. قال ابن تيميّة: وأخصّ أصحاب ابن عباس بالتفسير مجاهد، وعلى تفسير مجاهد يعتمد أكثر الأئمّة كالثوريّ والشافعيّ وأحمد بن حنبل والبخاريّ. قال الثوريّ: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. والشافعيّ في كتبه أكثر الذي ينقله عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وكذلك البخاريّ في صحيحه يعتمد على هذا التفسير^١.

وهذا التفسير أول ما طبع باهتمام مجمع البحوث الإسلاميّة بباكستان سنة ١٣٦٧ ق. في جزئين، بتحقيق عبد الرحمان طاهر بن محمّد السورتّي. وهذا المطبوع أقلّ بكثير من المأثور عنه في كتب التفسير والحديث. وفي الطبريّ وحده أكثر من سبع مائة موضع يروي عن مجاهد^٢.

وقد ذكرنا في ترجمته شيئاً عن تفسيره هذا ومدى اعتباره لدى العلماء^٣.

٢. تفسير السديّ الكبير

هو أبو محمّد إسماعيل بن عبد الرحمان المعروف بالسديّ الكبير (ت ١٢٨ هـ).

١. تفسير سورة الإخلاص لابن تيميّة، ص ٩٤، مطبعة الانتصار، بغداد، ١٣٢٣ هـ.ق.

٢. تاريخ التراث العربيّ لفؤاد سزكين، مج ١، في علوم القرآن والحديث، ج ١، ص ٧١.

٣. في الجزء الأوّل من هذا الكتاب.

حجازي سكن الكوفة. مفسر كبير و كاتب قدير و لا سيما في التاريخ و الغزوات. و يعدّ تفسيره من أهمّ المراجع التفسيرية ذوات الشأن.

قال جلال الدين السيوطي: و تفسير إسماعيل السديّ يُورده بأسانيد إلى ابن مسعود و ابن عباس. و روى عنه الأئمة، مثل الثوريّ و شعبة.. قال: و أمثل التفاسير تفسير السديّ^١. و قد ذكرنا طرفاً من تفسيره هذا و مدى اعتباره، عند الكلام عن الطريق الرابع إلى ابن عباس. قال فؤاد سزكين: و تفسيره هذا منتشر في أمّهات الكتب التفسيرية كجامع البيان للطبريّ و تفسير الثعلبيّ و غيرهما. قال: و يمكن جمع نصوصه من هذه التفاسير و إعادة تكوينه من جديد^٢. الأمر الذي فعله الدكتور محمّد عطا يوسف، جمع نصوصه من الدرّ المتثور و القرطبيّ و الشوكانيّ و ابن كثير و غيرها، و حقّقه و طبع^٣.

٣. تفسير الكلبيّ

هو أبو النضر محمّد بن السائب الكلبيّ الكوفيّ (ت ١٤٦ هـ). النسابة المفسر الشهير. قال ابن خلكان: صاحب التفسير و علم النسب، كان إماماً في هذين العلمين^٤. و هكذا ذكر ابن سعد: كان عالماً بالتفسير و أنساب العرب و أحاديثهم^٥.

قال ابن النديم: من علماء الكوفة بالتفسير و الأخبار و أيام الناس، و مقدّم الناس بعلم الأنساب. و حكى أنّ سليمان بن عليّ - عمّ السفّاح و المنصور- أقدم محمّد بن السائب من الكوفة إلى البصرة و أجلسه في داره، فجعل يُملي على الناس القرآن حتّى بلغ إلى آية في سورة براءة ففسرها على خلاف ما يُعرف! فقالوا: لا نكتب هذا التفسير! فقال محمّد: والله لا أمليت حرفاً حتّى يكتب تفسير هذه الآية على ما أنزله الله! فرفع ذلك إلى سليمان ابن عليّ فقال: اكتبوا ما يقول و دعوا ما سوى ذلك^٦.

و يبدوا أنّ الآية هي قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِّتَهُ عَلَيْهِ وَ أَيْدُهُ بِمَجْنُونٍ لَمْ

٢. تاريخ التراث العربي، ج ١، ص ٧٨.

١. الإنفان، ج ٤، ص ٢٠٨.

٤. وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٠٩، رقم ٦٣٤.

٣. تاريخ التفسير للطالقاني، ص ١٠٩.

٦. الفهرست لابن النديم، ص ١٤٥، مطبعة الاستقامة، مصر.

٥. طبقات ابن سعد، ج ٦، ص ٢٤٩ (ط ليدن).

تَرَوْهَا^١. حيث العامة يرون عود الضمير - في سكينته عليه - إلى أبي بكر. ولكن جمهور المفسرين على أنه عائد إلى النبي ﷺ الذي أيده بجنود لم تروها، نظراً لوحدة السياق! و لقوله تعالى - في آيات سبقتها-: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا^٢. وكذا في سورة الفتح: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ^٣.

هذا الإمام الطبري يرى من تفسير الآية، عود الضمير إلى رسول الله ﷺ و يجعله أول الوجهين وأولاهما. و يفسر الآية قاطعاً به، يقول: يقول تعالى ذكره: فَأَنْزَلَ اللَّهُ طَمَأْنِينَتَهُ وسكونه على رسوله. وقد قيل على أبي بكر، ولم يزد شيئاً^٤.

و هكذا الحافظ ابن كثير يجعله أشهر القولين، قال: فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ، أي تأييده ونصره عليه أي على الرسول ﷺ في أشهر القولين. وقيل على أبي بكر، قالوا: لَأَنَّ الرسول لم تزل معه سكينته! قال: وهذا لا ينافي تجدد سكينته خاصة بتلك الحال، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَيَّدُهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا^٥.

و للشيخ أبي علي الطبرسي هنا كلام ضافٍ يجعل الكفة مع القول المشهور، في تحقيق لطيف بعيد عن العصبية فراجع^٦.

٤. تفسير أبي حمزة

هو أبو حمزة ثابت بن دينار الثُماليّ الأزديّ الكوفيّ (ت ١٤٨ هـ). من الخواصّ النبلاء صحب أربعة من أئمة أهل البيت (السجّاد والباقر والصادق والكاظم عليه السلام) وله مع الإمام السجّاد مواقف مشهودة.. و يعدّ تفسيره من أهمّ المراجع القديمة في التفسير والحديث. روى عنه الثعلبيّ والطبرسيّ وابن شهر آشوب وغيرهم. و يمتاز تفسيره باختلافه عن الإسرائيليات، إلى جنب إشباعه بالصحيح من أسباب النزول واهتمامه بشأن أهل البيت

٢. التوبة (٩): ٢٦.

١. التوبة (٩): ٤٠.

٤. تفسير الطبري، ج ١٠، ص ٩٦ (ط بولاق).

٣. الفتح (٤٨): ٢٦.

٦. مجمع البيان، ج ٥، ص ٣٢ (ط إسلامية).

٥. تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٣٥٨.

في آيات تخصّهم أو تجعلهم في ذروة النازل بشأنهم.. و اعتناؤه كثيراً بإرجاع آية إلى أخرى نظيرتها، تحقيقاً لأولوية تفسير القرآن بالقرآن.. و غير ذلك من ميزات ذكرها المحقّق الأستاذ عبد الرزاق حرز الدين في مقدّمة التفسير، و كان قد جمعه و حقّقه على أحسن وجه. و طبع سنة ١٤٢٠ هـ. ق. بقم.

٥. تفسير ابن جُريج

هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج (ت ١٥٠ هـ). قال الإمام أحمد بن حنبل: هو أوّل من صنّف الكتب^١. و قال الخليلي^٢: و روى محمّد بن ثور عن ابن جُريج نحو ثلاثة أجزاء كبار. و قد صحّحوه. و كذلك روى الحجّاج بن محمّد عنه نحو جزء، و ذلك صحيح متّفق عليه. و روا عنه تفاسير أطولها ما يرويه بكر بن سهل الدميّاطي عن عبد الغنيّ بن سعيد عن موسى بن محمّد. و فيه نظر^٣.

و كانت لدى السيّد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ) نسخة نفيسة من تفسير ابن جريج، ينقل عنه قطفات في كتابه سعد السعود الذي ألفه سنة ٦٥١ هـ. يعبر عنها بنسخة عتيقة جيّدة^٤. و كان تفسير ابن جُريج مرجعاً عامّاً لسائر التفاسير التي تأخّرت عنه، كالطبريّ و الثعلبيّ و القرطبيّ و السيوطيّ، و يكثرون النقل منه. لكنّ الأصل فقد، فجمع شتاته من أمّهات الكتب التفسيرية الأستاذ عليّ حسن عبد الغنيّ، و طبع باستقلاله^٥.

و لابن جريج مكانته العلمية الراقية و اشتهر بالدقّة و الإتيان حسبما أسلفنا في ترجمته.

٦. تفسير مقاتل بن سليمان

هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزديّ البلخيّ (ت ١٥٠ هـ). من أتباع التابعين. له

١. تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٤٠٣-٤٠٤.

٢. هو أبو القاسم أحمد بن محمّد البلخيّ (ت ٤٩٢ هـ). من مشايخ الحديث في بلاد ماوراء النهر (الأنساب

للسمعاني، ج ٢، ص ٣٩٤).

٣. راجع: الإفتاح، ج ٤، ص ٢٠٨.

٤. تاريخ التفسير، ص ١١٥.

٥. سعد السعود، ص ٢٢١ (ط نجف).

تفسير كبير أخذه من ثلاثين شخصاً، اثنا عشر رجلاً منهم من كبار التابعين. منهم: عطاء بن أبي رباح و عكرمة و عطية و الشعبي و قتادة، و عمدتهم الإمام أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام و من أتباع التابعين: الضحاک بن مزاحم و شهر بن حوشب و الأعمش و حماد و ابن أبي نجیح و سفيان الثوري و غيرهم..^١ و ترجمه الذهبي بقوله: كبير المفسرين أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي. و كفى الإشادة بشأنه ما قاله الإمام الشافعي: «من أراد أن يتبحر في تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان»^٢.

نعم، كان مقاتل هو أول من بسط القول في التفسير و أخذ في النقد و التدليل، إلى جنب النقل و التحديث.. و سار على منهجه من جاء بعده من كبار المفسرين. و يُعدّ من أكبر المفسرين المراجع.. و تتبّع الدكتور شحّانة نسخ هذا التفسير في مختلف المكتبات و قابل بعضها مع بعض و حقّقها و أخرجها للطباعة و النشر في خمس مجلّدات ضخام.. و كانت الطبعة الأولى بدار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

٧. تفسير أبي الجارود

هو زياد بن المنذر الهمداني الكوفي الخارفي (ت ح ١٥٥ هـ). أخذ من كبار التابعين و أتباع التابعين. منهم: عطية العوفي و الأصبع بن نباتة و الحسن البصري و عبد الله بن الحسن. و يُعدّ من صحابة الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام و له عنه تفسير أدرج ضمن تفسير علي بن إبراهيم القمي من سورة آل عمران حتّى نهاية القرآن، و لم يوجد مستقلاً. و له بعد قيام زيد الشهيد مواقف جرفته عن الاستقامة في الرأي و العمل، و نشأت على يده الفرقة السُرحوية^٣ من الزيدية و قام في مضادة الإمام الصادق عليه السلام فكان موضع سخطه عليه^٤. غير أنّ المأثور من تفسيره مستقيم لا بأس به.

١. راجع: مقدّمة تفسيره، ج ١، ص ٢٥-٢٦.

٢. راجع: الدكتور شحّانة محقّق التفسير، ج ٥، ص ٢٣ و ٥١.

٣. نسبة إلى سُرحوب (بمعنى: طويل العنق خفيف الحركة) لقب أبي الجارود.

٤. معجم رجال الحديث للإمام الخوئي، ج ٧، ص ٣٢١، رقم ٤٨٠٥.

٨. تفسير عبد الرزاق الصنعاني

هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميريّ الصنعانيّ -نسبة إلى صنعاء اليمن- (١٢٦-٢١١ هـ). تعلّم على يدي مَعْمَر بن راشد (ت ١٥٣ هـ). و من طريقه أخذ التفسير والحديث من كبار العلماء كابن جرير و سفيان بن عيينة و أبان بن أبي عياش و سفيان الثوريّ و الأعمش و ابن أبي نجيح و غيرهم.. و قد أخذ عنه و اعتمده كبار العلماء و المحدثين منهم أحمد بن حنبل و يحيى بن معين و ابن راهويه و وكيع بن الجراح و إبراهيم الرازيّ و أضرابهم.. له تأليف في فنون العلم، أهمّها المصنّف الكبير و الجامع و الأمالي و المغازي و السنن في الفقه و هذا التفسير. و هو تفسير موجز معتمد على النقل و الأثر من غير نظر و لا متواصل الآيات. و قد تعرّض لشأن النزول و الناسخ و المنسوخ باختصار، لكنّه عن إتقان. و هذا من ميزات.. و طبع هذا التفسير كراراً في بيروت و أخيراً بدراسة و تحقيق الدكتور محمود محمّد عبده من كليّة الدعوة بجامعة الأزهر.. و نشرته دار الكتب العلميّة ببيروت (١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م).

٩. جامع البيان للطبري

هو الإمام أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ (٢٢٤-٣١٠) نسبة إلى طبرستان. ولد بآمل من بلاد مازندران -إيران، و رحل في طلب العلم و هو شابّ و طاف البلاد، فسمع بمصر و الشام و العراق، ثمّ ألقى رحله ببغداد و استقرّ بها و نشر علمه هناك حتّى توفّاه الله. كان الرجل خبيراً بالتاريخ و بأقوال السلف، عالماً فاضلاً محبباً للعلم و ناقداً بصيراً. و له بعض الاجتهاد في التفسير و النظر في التعادل و التراجيح.. و يُعدّ أباً للتفسير كما اعتبر أباً للتاريخ.. و ذلك باعتبار جامعية تفسيره و استقصائه لآراء السلف و أقوالهم، بذكر الأسانيد العالية، ممّا يستدعي الثقة بنقله، غير أنّه أكثر في النقل فخلطه بعض الغثّ الهزيل و لا سيّما جانب الإسرائيليات و قد أكثر من نقلها.. و قد عيب عليه ذلك ممّا

أوجب التحيص في مروياته..

و تفسيره اليوم - بما اشتمل على الروايات الضعاف - يُعدّ من خير المراجع التفسيرية الجامعة لآراء السلف، ولولا له لربّما ضاعت أكثر تلكم الآراء وفيها الدرر الغالية.

قال أبو محمّد عبد العزيز بن محمّد الطبري: كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحد عَرَفَه، لجمعه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة. ولا ظهر من كتب المصنّفين وانتشر من كتب المؤلّفين ما انتشر له. وكان راجحاً في علوم القرآن والقراءات و علم التاريخ من الرسل والخلفاء والملوك. واختلاف الفقهاء مع الرواية كذلك على ما في كتابه البسيط والتهذيب وأحكام القراءات، من غير تعويل على المناولات والإجازات، ولا على ما قيل من الأقوال. بل يذكر ذلك بالأسانيد المشهورة. وقد بان فضله في علم اللغة والنحو، وكان له قَدَمٌ في علم الجدل.. وكان يحفظ من الشعر للجاهليّة والإسلام..

وقال أبو عمر محمّد بن عبد الواحد الزاهد: سمعت ثعلباً يقول: قرأ عليّ أبو جعفر الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عندي بمدة.

قال عبد العزيز: كان أبو جعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثير من فنون أبواب الحساب وفي الطب.

وكان قد تخصص في كلّ فنّ، كان عند القراءة كالقارئ الذي لا يعرف سوى القرآن. وعند التحديث كالمحدّث الذي لا يعرف سوى الحديث. وعند الفقاهاة كالفقيه الذي لا يعرف سوى الفقه.. وكالنحويّ الذي لا يعرف سوى النحو. وكالحاسب الذي لا يعرف سوى الحساب. وكان عالماً بالعبادات جامعاً للعلوم..

قال: وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها. وكتابه المسمّى جامع البيان عن تأويل القرآن حاز سبق وحمل مَشْرِقاً ومَغْرِباً وقرأه كلّ من كان في وقته من العلماء وكلّ فضّله وقدمه.

قال أبو عمر الزاهد - وكان يعيش دهرأ بمقابلة الكتب -: قابلت هذا الكتاب من أوّله

إلى آخره فما وجدت فيه حرفاً واحداً خطأً في نحو ولا لغة.

قال أبو جعفر: حدّثني به نفسي وأنا صبيّ.. قال: استخرت الله تعالى في عمل كتاب التفسير و سألته العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أعمله فأعانتني!
قال أبو بكر محمد بن مجاهد: سمعت أبا جعفر يقول: إنّي أعجب ممّن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذّ بقرائه^١.

إلماعة عن هذا التفسير وعن منابعه

لياقوت الحمويّ وصف جامع عن تفسير الطبريّ و يذكر مراجعه في التفسير نذكره بنصّه: قال: وكتاب التفسير كتاب ابتدأه بخطبة ورسالة التفسير، تدلّ على ما خصّ الله به القرآن العزيز من البلاغة و الإعجاز و الفصاحة التي نافي بها سائر الكلام. و ذكر من مقدّمات الكلام في التفسير و في وجوه التأويل و ما يُعلم تأويله، و ما ورد في جواز تفسيره و ما حُظر من ذلك. و الكلام في قول النبيّ ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، و بأيّ الألسنة نزل. و الردّ على من قال: إنّ فيه أشياء من غير الكلام العربيّ، و تفسير أسماء القرآن و السور، و غير ذلك ممّا قدّمه. ثمّ تلاه بتأويل القرآن حرفاً حرفاً، فذكر أقوال الصحابة و التابعين و من بعدهم من تابعي التابعين، و كلام أهل الإعراب من الكوفيّين و البصريّين، و جُملاً من القراءات و اختلاف القراءة، فيما فيه من المصادر و اللغات و الجمع و التنثية، و الكلام في ناسخه و منسوخه، و أحكام القرآن و الخلاف فيه و الردّ عليهم من كلام أهل النظر فيما تكلم فيه بعض أهل البدع، و الردّ عليهم على مذاهب أهل الإثبات و مبتغي السنن.. إلى آخر القرآن.

و ذكر فيه من كتب التفاسير المصنّفة عن ابن عباس خمسة طرق، و عن سعيد بن جبّير طريقين، و عن مجاهد بن جبّر ثلاثة طرق، و ربّما كان عنه في مواضع أكثر من ذلك. و عن قتادة بن دِعامة ثلاثة طرق، و عن الحسن البصريّ ثلاثة طرق، و عن عكرمة ثلاثة طرق،

وعن الضحّاك بن مزاحم طريقيين، وعن عبد الله بن مسعود طريقياً، وتفسير عبد الرحمان ابن زيد بن أسلم، وتفسير ابن جرير، وتفسير مقاتل بن حيان، سوى ما فيه من مشهور الحديث عن المفسرين وغيرهم. وفيه من المُسنَد حسب حاجته إليه، ولم يتعرّض لتفسير غير موثوق به، فإنّه لم يدخل في كتابه شيئاً عن كتاب محمد بن السائب الكلبي، ولا مقاتل بن سليمان، ولا محمد بن عمر الواقدي، لأنهم عنده أظنّاء^١. وكان إذا رجع إلى التاريخ والسير وأخبار العرب، حكى عن محمد بن السائب الكلبي وعن ابنه هشام، وعن محمد بن عمر الواقدي وغيرهم فيما يُفتقر إليه ولا يُؤخذ إلا عنهم.

وذكر فيه مجموع الكلام والمعاني من كتاب علي بن حمزة الكسائي، ومن كتاب يحيى بن زياد الفراء، ومن كتاب أبي الحسن الأخفش، ومن كتاب أبي علي قُطرب وغيرهم ممّا يقتضيه الكلام عند حاجته إليه. إذ كان هؤلاء هم المتكلّمون في المعاني عنهم يؤخذ معانيه وإعرابه، وربّما لم يُسمّهم إذا ذكر شيئاً من كلامهم. وهذا كتاب يشتمل على عشرة آلاف ورقة أو دونها حسب سعة الخطّ أو ضيقه^٢.

منهجه في التفسير ونقد الآراء

إنّه يذكر الآية أولاً، ثمّ يعقبها بتفسير غريب اللغة فيها، أو إعراب مشكلها، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وربّما يستشهد بأشعار العرب وأمثالهم. وبعد ذلك يتعرّض لتأويل الآية، أي تفسيرها على الوجه الراجح، فيأتي بحديث أو قول مأثور إن كان هناك رأي واحد. أمّا إذا ازدحمت الآراء، فعند ذلك يذكر كلّ تأويل على حدّه، وربّما رجّح لدى تضارب الآراء أحدها وأتى بمرجّحاته إن لغةً أو اعتباراً، وربّما فصلّ الكلام في اللغة والإعراب، واستشاده بالشعر والأدب.

١. أي متهمون، جمع ظنين. مثلاً نجدّه عند القول في الحروف المقطّعة بأنّها من حساب الجمل - وهو برواية مقاتل بن سليمان (ج ١، ص ٨٥) - يقول: كرهنّا ذكر الذي حُكيّ ذلك عنه إذ كان الذي رواه ممن لا يُعتمد على روايته ونقله. الطبري، ج ١، ص ٦٨ (بولاق).
٢. معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢٥٦-٢٥٧.

مثلاً نراه عند قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^١ يقول: وتأويل «سواء»: معتدل، مأخوذ من التساوي، كقولك: متساوٍ هذان الأمران عندي، وهما عندي سواء، أي هما متعادلان عندي. ومنه قول الله -جل ثناؤه-: ﴿فَأَنْبِذِ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾^٢ يعني: أعلمهم و آذنهم بالحرب حتى يستوي علمك و علمهم، بما عليه كل فريق منهم للفريق الآخر. فكذلك قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ معتدل عندهم أي الأمرين كان منك إليهم: الإنذار أم ترك الإنذار؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون، و قد ختمت على قلوبهم و سمعهم. ومن ذلك قول عبد الله بن قيس الرقيات:

تعدّبنى الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها و نهارها
يعني بذلك: معتدل عندها في السير الليل و النهار؛ لأنه لا فتور فيه.
و منه قول الآخر:

و ليل يقول المرء من ظلماته سواء صحیحات العيون و عورها
لأن الصحيح لا يبصر فيه إلا بصرأ ضعيفاً من ظلمته.

و أما قوله: ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فإنه ظهر به الكلام ظهور الاستفهام، وهو خبر؛ لأنه وقع موقع «أي»، كما تقول: لا نبالي أقمتم أم قعدت، و أنت مخبر لا مستفهم، لوقوع ذلك موقع «أي»؛ و ذلك أن معناه -إذا قلت ذلك-: ما نبالي أي هذين كان منك، فكذلك ذلك في قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ لما كان معنى الكلام: سواء عليهم أي هذين كان منك إليهم، حسن في موضعه مع سواء أفعلت أم لم تفعل. و قد كان بعض نحويي أهل البصرة يزعم أن حرف الاستفهام إنما دخل مع «سواء» و ليس باستفهام؛ لأنّ المستفهم إذا استفهم غيره فقال: أزيدُ عندك أم عمرو، مستثبت صاحبه أيهما عنده، فليس أحدهما أحقّ بالاستفهام من الآخر، فلما كان قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ بمعنى التسوية، أشبه ذلك الاستفهام، إذ أشبهه في التسوية، و قد

بيّن الصواب في ذلك.

فتأويل الكلام: إذا معتدل يا محمد على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك من أحبار يهود المدينة، بعد علمهم بها، وكتموا بيان أمرك للناس بأنك رسولي إلى خلقي، وقد أخذت عليهم العهد والميثاق أن لا يكتموا ذلك وأن يبيّنوه للناس، ويخبروهم أنهم يجدون صفتك في كتبهم، أنذرتهم أم لم تنذرهم فإنهم لا يؤمنون ولا يرجعون إلى الحق، ولا يصدّقون بك وبما جنتهم به.

كما حدّثنا محمد بن حميد، قال: حدّثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي أنهم قد كفروا بما عندهم من العلم من ذكر، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم ممّا جاءهم به غيرك، فكيف يسمعون منك إنذاراً وتحذيراً، وقد كفروا بما عندهم من علمك^١.

انظر إلى هذا التفصيل في مجال الأدب، الذي يُبوك عن سعة اضطلاع بالأدب وبأقوال النحاة.

ونراه يقول في تأويل قوله -جلّ ثناؤه-: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾^٢ وأصل الختم: الطبع، والخاتم: الطابع، يقال: منه ختمت الكتاب، إذا طبعته. فإن قال لنا قائل: وكيف يختم على القلوب، وإنما الختم طبع على الأوعية والظروف والغلف؟

قيل: فإن قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم، وظروف لما جعل فيها من المعارف بالأمور، فمعنى الختم عليها وعلى الأسماع التي بها تدرك المسموعات، ومن قبلها يوصل إلى معرفة حقائق الأنباء عن المغيبات، نظير معنى الختم على سائر الأوعية

والظروف.

فإن قال: فهل لذلك من صفة تصفها لنا فنفهمها، أهي مثل الختم الذي يعرف لما ظهر للأبصار أم هي بخلاف ذلك؟ قيل: قد اختلف أهل التأويل في صفة ذلك، و سنخبر بصفته بعد ذكرنا قولهم.

ثم ذكر قول مجاهد، بإسناده عن الأعمش، قال: أرانا مجاهد بيده فقال: كانوا يرون أن القلب في مثل هذا، يعني الكفّ. فإذا أذنب العبد ذنباً ضمّ منه، وقال بإصبعه الخنصر هكذا. فإذا أذنب ضمّ، وقال بإصبع أخرى. فإذا أذنب ضمّ، وقال بإصبع أخرى هكذا، حتى ضمّ أصابعه كلّها، قال: ثم يطبع بطابع. قال مجاهد: وكانوا يرون أن ذلك الرّين.

و ذكر قولاً آخر لبعضهم: أن «الختم» هنا كناية عن تكبرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحقّ، كما يقال: إن فلاناً لأصمّ عن هذا الكلام، إذا امتنع من سماعه ورفع نفسه عن تفهّمه تكبراً.

قال: و الحقّ في ذلك عندي ما صحّ بنظيره الخبر عن رسول الله ﷺ وهو ما رواه أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ المؤمن إذا أذنب ذنباً كان نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه، فإن زاد زادت حتى يغلف قلبه، فذلك «الران» الذي قال الله - جلّ ثنائه -: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^١.

فأخبر ﷺ أنّ الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلفتها، وإذا أغلفتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله ﷻ والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر منها مخلص. ثم أخذ في مناقشة القول الثاني، و فصل الكلام فيه على عادته في مناقشة الأقوال^٢.

هذا منهجه في التفسير، وهو من خير المناهج المعروفة في التفسير بالمأثور، و مناقشة الآراء المتضاربة في التفسير. و حقاً أنه طويل الباع في هذا المجال، سواء في النقل أم في النقاش.

موقفه تجاه أهل الرأي في التفسير

أنه يقف في وجه أهل الرأي في التفسير موقفاً عنيفاً، ويرى من إعمال الرأي في تفسير كلام الله مخالفة بيّنة لظاهر دلائل الشرع، ويشدّد في ضرورة الرجوع إلى العلم المأثور عن الصحابة والتابعين، وأن ذلك وحده هو علامة التفسير الصحيح.

فمثلاً عند ما تكلم عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ﴾^١ نجده يذكر ما ورد في تفسيرها عن السلف، مع توجيهه للأقوال و تعرّضه للقراءات، بقدر ما يحتاج إليه تفسير الآية، ثمّ يعرّج بعد ذلك على من يفسّر القرآن برأيه، وبدون اعتماد منه على شيء إلا على مجرد اللغة، فيفتدّ قوله ويحاول إبطال رأيه. فيقول ما نصّه: «وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل، ممّن يفسّر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب، يوجّه معنى قوله: ﴿وَ فِيهِ يَعَصِرُونَ﴾ إلى: وفيه ينجون من الجذب والقحط بالغيث، و يزعم أنّه من العصر بمعنى المنجاة، كما جاء في قول أبي زيد الطائي:

صادياً يستغيث غير مغاث و لقد كان عصرة المنجود

أي المقهور.

وقول لييد:

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم و ما كان وقافاً بغير مُعَصَّر

قال: وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه، خلافه قول جميع أهل العلم من

الصحابة والتابعين.

قال: وأما القول الذي روى الفرج بن فضالة عن عليّ بن أبي طلحة - أن يعصرون بمعنى يحلبون - فقول لا معنى له؛ لأنّه خلاف المعروف من كلام العرب، وخلاف ما يعرف من قول ابن عباس: إنّه عصر الأعناب والثمرات^٢.

موقفه تجاه أهل الظاهر

كان أبو جعفر إذا رأى من ظاهر النقل ما ينافي العقل، يعمد إلى التأويل بوجه مقبول.. ويستنكر على أولئك الذين يقتنعون بظاهر التعبير من غير تعقل أو تحصيل.. وهكذا إذا وجد ما يخالف -بظاهره- قواعد الأدب الرفيع.

نراه عند تفسير الاستواء من سورة البقرة^١ يواجه آراءً يستنكرها و يؤول الآية بما لا يستدعي التحيز في ذاته تعالى.. الأمر الذي استنكر عليه مشايخ الحنابلة ببغداد، حينما حاولوا اختبار مذهبه عند عودته من بلاده (آمل - طبرستان)^٢..

ذكر ياقوت: لما قدم أبو جعفر إلى بغداد من طبرستان بعد رجوعه إليها، تعصب عليه الجصاص والبياضى، وقصده الحنابلة، فسأله عن أحمد بن حنبل -في الجامع يوم الجمعة- وعن حديث الجلوس على العرش! فقال أبو جعفر: أما أحمد بن حنبل فلا يعدّ خلافه.. وأما حديث الجلوس على العرش فمحال.

ثم أنشد:

سبحان من ليس له أنيس و لاله في عرشه جليس

فلما سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث وثبوا ورموه بمحابرهم.. فقام أبو جعفر بنفسه ودخل داره، فرموا داره بالحجارة حتى صار على باب كالتلّ العظيم. وركب نازوك صاحب الشرطة يمنع عنه العامة، و وقف على بابه يوماً إلى الليل وأمر برفع الحجارة عنه..^٣

وقال عند تفسيره للآية - من سورة البقرة -: اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: هو بمعنى أقبل عليها.. وقال بعضهم: عمد إليها^٤.. وقال بعضهم: الاستواء هو العلو، والعلو هو

١. الآية ٢٩.

٢. هي بلاد مازندران كانت ولا تزال مهد التشيع والولاء لآل البيت عليهم السلام.

٣. معجم الأديب، ج ٥، ص ٢٥٢-٢٥٣ (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م).

٤. و منه قول الزمخشري: ثم استوى إلى السماء: قصد إليها يارادته ومشيئته (الكشاف، ج ١، ص ١٢٣).

الارتفاع - يعني به الإشراف لغرض التدبير لا الارتفاع المكاني^١ - كما حدّث به عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس، قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ يقول: ارتفع إلى السماء..

قال أبو جعفر: الاستواء - في كلام العرب - منصرف إلى وجوه، منها: انتهاء الشباب. ومنها: استقامة ما كان فيه أود. ومنها: الإقبال على الشيء بالفعل، كما يقال: استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوؤه بعد الإحسان إليه. ومنها: الاحتياز والاستيلاء، كقولهم: استوى فلان على المملكة بمعنى: احتوى عليها وحازها^٢. ومنها: العلوّ والارتفاع كقول القائل: استوى فلان على سريره يعني به علوّه عليه.

قال: وأولى المعاني يقول الله - جلّ ثناؤه -: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾.. علا عليهمّ وارتفع فدبرهنّ بقدرته.. وفسر العلوّ بعلوّ الملك والتدبير.. قال: علا عليها علوّ ملك و سلطان، لا علوّ انتقال وزوال^٣.

وهكذا ذكر الزمخشريّ، قال: لمّا كان الاستواء على العرش - وهو سرير الملك - ممّا يردف الملّك، جعلوه كناية عن الملّك، فقالوا: استوى فلان على العرش يريدون ملّك، وإن لم يجلس على السرير ألبتّة^٤.

موضع ولائه لآل البيت

لم نجد علماً من أعلام الأئمة إلاّ وهو خاضع لولاء آل بيت الرسول ﷺ حيث الوفاء بأجر الرسالة وإكرام صاحب الرسالة، وإنّما يُحفظ المرء في ولده.. فلا غرو أن نجد من هذا العلم القرم موالياً لآل البيت ومتواضعاً لدى أعتابهم العالية..

يقول عنه أبو عبد الله الذهبيّ: الإمام الجليل المفسّر، ثقة صادق، فيه تشييع وموالة

١. حسبما يذكره هو فيما يأتي من كلامه.

٢. من ذلك قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق

من غير سيف و دم مهراق

٣. تفسير الطبري، ج ١، ص ١٥٠ (ط بولاق).

٤. الكشاف، ج ٣، ص ٥٢. ذيل الآية (٥) من سورة طه.

لا تضرّ..^١ أي تشيخ من غير مغالاة، الأمر الذي عليه عامّة الموالين لآل البيت الصادقين..
ومن ثمّ فآثار هذا التشيخ و الولاء الصادق بادية أثناء تفسيره الجامع و كذا تاريخه
الكبير.. لم يغضّ بصره عن الحقّ و لم يحاول - كما حاول الآخرون - طمس آثار فضائلهم
المشهودة!

نراه عند تفسير آية التطهير (الأحزاب: ٣٣) يروى ستّة عشر حديثاً مسنداً متّصل
الإسناد إلى أمّ سلمة و عائشة و أبي سعيد الخُدريّ و أنس و أبي الحمراء و وائلة بن الأسقع
و أبي هريرة و ابن زمعة و عمرو بن أبي سلمة و عن الإمام زين العابدين عليّ بن
الحسين عليه السلام و عن سعد بن أبي وقاص - مؤكداً - أنّها نزلت في عليّ و فاطمة و الحسن
و الحسين خاصّة..^٢ و في النهاية يذكر رواية مقطوعة السند، واهية الاعتبار، عن عكرمة:
أنّها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله

و هذا من لطيف صنعه، يجعل من لمة الروايات الفخيمة ذوات الأسانيد العالية،
و مسندة إلى كبار الصحابة و أمّهات المؤمنين إلى جانب، و الجانب الآخر رواية شاذّة
موهونة الاعتبار، ساقطة إلى حدّ بعيد..

يرويه ابن حميد عن يحيى بن واضح - ذكره ابن الجوزي في الضعفاء^٣ - عن الأصعب
ابن نباتة عن علقمة بن قيس عن عكرمة مولى ابن عبّاس..

١. ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٤٩٨-٤٩٩، رقم ٧٣٠٦.

و ذكر أنّ أحمد بن عليّ السلمانيّ رماه بالوضع للروافض.. قال: و هذا رجم بالظنّ الكاذب، بل ابن جرير
من كبار أئمّة الإسلام المعتمدين، و ما ندعيّ عصمته من الخطأ، و لا يحلّ لنا أن نؤذيه بالباطل و الهرى. فإنّ
كلام العلماء بعضهم في بعض ينبغي أن يُتأنّى فيه، و لا سيّما في مثل إمام كبير!
قال: و لعلّ السليمان أراد غيره و هو محمّد بن جرير بن رستم، و قد رُمي بالرفض..

٢. حيث الآية في مرماها ناظرة إلى خاصّة آل الرسول، حيث طهّروهم من الرجس و عصمهم عن الأدناس إطلاقاً..
و هذا نحو من الإرادة التكريهية بتمهيد أسباب الاعتصام من الشرور. لكنّها في فحواها العامّ تشمل غيرهم
بإرادة تشريعية شاملة.. فجاء ذكرها أثناء الخطاب مع أزواج النبي صلى الله عليه وآله لغرض الاستشهاد بها، و أنّ الآية
تشمّلن بهذا الفحوى العامّ، المستفاد من عرض الكلام، حيث لهنّ مساس بهذا البيت الرفيع، فلا بدّ أن
ينسجمن مع سائر الأعضاء، فلا يكنّ أجنبيّات في الأساس!

٣. تفسير الطبري، ج ٢٢، ص ٧٠٥ (ط بولاق). ٤. راجع: ميزان الاعتدال، ج ٤، ص ٤١٣، رقم ٩٦٤٤.

و رواية ابن واضح - وهو من الطبقة التاسعة - من ابن نباتة - وهو من الطبقة الثالثة - مقطوعة بإسقاط الوسائط، إذن فهي مجهولة الإسناد!^١

وهكذا صنع في حديث الغار، من قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَ أَيْدُهُ بِمَجْهُودٍ لَمْ تَزَوْهَا﴾^٢. فسّر الآية بإرجاع الضمائر كلها إلى الرسول - نظراً لوحدة السياق - ولآيات أخرى نظيراتها^٣. قال: يقول تعالى ذكره: فأنزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله.. وعقبه بقوله: وقد قيل: على أبي بكر.. ولم يزد!^٤.. نعم لأمر ما جدّ قصير أنفه!!

وكم له من أمثال هذه البدائع الظريفة المبرهنة على براعته في الصنع والتدبير!



وهكذا نراه بشأن حديث الغدير يصنّف كتاباً ضخماً في مجلّدين، جمع فيه أحاديث الغدير وطرق أسانيدھا بغزارة.. وله تأليف آخر بشأن حديث «الطير المشوي»، ويعدّ من أفخم مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذكر طرق أسانيدھا واعتلائھا، ممّا ينبؤك عن علم واسع وإيمان وثيق..^٥

وحديث الطير المشوي رواه الأكاكبر بأسانيد عالية: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أَتَى بِفَرخٍ مَشْوِيٍّ.. فقال: اللَّهُمَّ انْتِنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ يَا أَكَلٍ مَعِيَ.. ولم يمدّ يده إلى الطعام حتّى جاءه عليّ ابن أبي طالب عليه السلام. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما أبطأ بك يا عليّ! فأمره أن يأكل معه..^٦

يقول ياقوت الحمويّ: وكان بعض شيوخ بغداد يقول بكذب غدير خمّ وإنكار أن يكون عليّ عليه السلام حاضرّاً ذلك اليوم.. فبلغ أبا جعفر ذلك، فابتدأ بالكلام في فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام وذكر طرق حديث خمّ فكثرت الناس لاستماع ذلك..^٧

١. راجع: تقريب التهذيب لابن حجر، ج ١، ص ٥-٦ و ٨ و ج ٢، ص ٣٥٩.

٢. النبوة (٩): ٤٠.

٣. راجع: مجمع البيان، ج ٥، ص ٣٢ وقد تحذّر التحيزات المذهبيّة بشدّة!

٤. تفسير الطبري، ج ١٠، ص ٩٦ (ط بولاق). ٥. راجع: النهاية و البداية، ج ١١، ص ١٤٧.

٦. راجع: فضائل الخمسة للفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٨٩-١٩٥.

٧. معجم الأنبياء، ج ٥، ص ٢٦٩.

وذكر أنه دفن ليلاً خوفاً من العامة، لأنه كان يُتهم بالتشيع.. قال الخطيب: ولم يؤذن بموته أحد، ومع ذلك اجتمع على جنازته من لا يحصى عددهم، و صَلَّى على قبره عدّة شهور ليلاً ونهاراً، وراثه خلق كثير من أهل الدين والأدب^١.

الأمر الذي دعا بابن أخواته، هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي، وأصله من «آمل» أن يفتخر بتشيع أخواله بني جرير، يقول:

بأمل مولدي، وبنو جرير فأخوالي، ويحكي المرء خاله
فها أنا رافضي عن تراث وغيري رافضي عن كلاله^٢



وأما موضعه من حديث يوم الإنذار^٣ حيث أتهم عنه في التفسير، ولكنّه أفصح عنه في التاريخ، فلعلّه من اتقاء غوغاء العامة حينذاك حسبما عرفت. ويبدو أنّ مجاله في التاريخ كان أفسح ممّا كان عليه في التفسير.. ومن ثمّ نراه في سرد القضايا التاريخية، يستهج أحياناً منهج تعابير الخاصة، فكلّمنا يذكر أحداً من أئمة أهل البيت عليهم السلام يعقّب بالسلام عليه، على خلاف منهج العامة بالاختصار على الترضى له.. وكثيراً ما يترك التعصّب في غيرهم أيّاً كان.

ونجده يذكر فاطمة الزهراء عليها السلام ويعقّب بالسلام عليها ويكنّيها بأُمّ أبيها، كما هو شيمة أهل الولاء لآل البيت عليهم السلام^٤.

١. المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

٢. راجع: ياقوت الحموي في معجم البلدان، ج ١، ص ٥٧. وعبثاً حاول ياقوت تكذيبه!

٣. لما نزلت الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢٦): (٢١٤) جمع رسول الله صلى الله عليه وآله عشيرته وأقرباءه وأنذرهم بنبوته وبشهرهم بأنّ السابق منهم إلى الإيمان سوف تناله الرصاية والخلافة.. فكان الذي سبقهم هو علي بن أبي طالب عليه السلام في عدّة مرّات.. فأخذ برقبته وقال: إنّ هذا أخي وصيّي وخليفتي فيكم.

و الحديث ذكره ابن جرير في التفسير (ج ١٩، ص ٧٥، ط بولاق) بلفظة: «إنّ هذا أخي وكذا وكذا..».. لكنّه في التاريخ (ج ٢، ص ٦٣، ط الاستقامة، مصر، ١٩٣٩ م.) صرّح بقوله: «إنّ هذا أخي وصيّي وخليفتي فيكم!» وذلك إن دلّ فإنّما يدلّ على تضايق عليه في التفسير دون التاريخ!

٤. راجع: كتابه منتخب ذيل المذيل، ص ٦ فما بعد. ملحق التاريخ، ج ٨.

١٠. تفسير العياشي

تأليف أبي النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي المتوفى سنة (٣٢٠ هـ). كان من أعلام المحدثين، سمع جماعة من شيوخ الكوفيين و البغداديين والقميين. كانت داره معهد علم و دراسة، و كانت محل رُؤاد الحديث بين ناسخ أو مقابل أو قارٍ أو معلق. و قد أنفق جميع تركة أبيه - ثلاث مائة ألف دينار - في طلب العلم و تحصيله و بثه و نشره. قالوا: و كان أكثر أهل المشرق علماً و أدباً و فضلاً و فهماً و نبلاً في زمانه. و كان له مجلسان: مجلس للخواص، و مجلس للعوام.

قال ابن النديم: إنّه من بني تميم، من فقهاء الشيعة الإمامية، أوحد دهره و زمانه في غزارة العلم.

و لكتبه بنواحي خراسان شأن من الشأن. و هو شيخ أبي عمرو و محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، صاحب كتاب الرجال. و كتبه ما ينوف على مائتي كتاب و رسالة. كان في حدائمه سنة عامي المذهب، ثم استبصر و خدم الإسلام في مصنفاته الكثيرة، و علمه الغزير.

و له كتاب التفسير، جمع فيه المأثور من أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن، و لقد أجاد و أفاد، و ذكر الروايات بأسانيدها في دقة و اعتبار.

غير أنّ هذا التفسير لم يصل إلينا إلا مبتوراً. فقد بتره أولاً ناسخه؛ حيث أسقط الأسانيد، و اقتصر على متون الأحاديث، معتذراً بأنه لم يجد في دياره من يكون عنده سماع أو إجازة من المؤلف؛ فلذلك حذف الأسانيد و اكتفى بالباقي. و من ثمّ قال المولى المجلسي بشأنه: إن اعتذاره هذا أشنع من فعلته بحذف الأسانيد.

و الجهة الأخرى في بتر الكتاب، فقدان الجزء الثاني من جزئي التفسير، فإنّ هذا الموجود ينتهي إلى نهاية سورة الكهف، و لم توجد بقيته.

نعم، هناك بعض المتقدمين، نقلوا منه أحاديث بأسانيد كاملة، كانت عندهم منه نسخة كاملة، منهم الحافظ الكبير عبيد الله بن عبد الله الحاكم الحسكاني النيسابوري، من أعلام

القرن الخامس، و من شيوخ مشايخ العلامة الطبرسي، صاحب التفسير و ينقل عنه في تفسيره كثيراً. ففي «شواهد التنزيل» للحاكم الحسكاني كثير من روايات العياشي، ينقلها فيه بالأسانيد التامة^١.

منهجه في التفسير

إنه يسترسل في ذكر الآيات، في ضمن أحاديث مأثورة، عن أهل البيت عليهم السلام تفسيراً وتأويلاً للآيات الكريمة. و لا يتعرّض لنقدها جرحاً أو تعديلاً، تاركاً ذلك إلى عهدة الأسناد التي حُذفت مع الأسف. و يتعرّض لبعض القراءات الشاذة المنسوبة إلى أئمة أهل البيت، ممّا جاءت في سائر الكتب بأسانيد ضعاف، أو مرسله لا حجّية فيها، و القرآن لا يثبت بغير التواتر باتفاق الأمة.

نراه عندما يتعرّض لقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَ قَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^٢ يُسند إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قرأها: «حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى و صلاة العصر» ثم قال: و كذلك كان يقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله.

و في رواية زرارة عنه عليه السلام: هي أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله و هي وسط صلاتين بالنهار: صلاة الغداة، و صلاة العصر.

و قال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَ قَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾: في الصلاة الوسطى، قال: نزلت هذه الآية يوم الجمعة و رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر، فقنت فيها، و تركها على حالها في السفر و الحضر.

و عن زرارة و محمد بن مسلم، أنهما سألا أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية، فقال: صلاة الظهر. و فيها فرض الله الجمعة، و فيها الساعة التي لا يوافقها عبد مسلم، فيسأل خيراً إلا أعطاه الله إياه.

١. راجع: مقدّمة تفسير العياشي المطبوع؛ الذريعة للطهراني، ج ٤، ص ٢٩٥؛ الكتبي و الأتقابي للقمي، ج ٢، ص ٤٩٠.

٢. البقرة (٢): ٢٣٨.

و عن الإمام الصادق عليه السلام قال: الصلاة الوسطى الظهر، ﴿وَرَقُمُوا لِلَّهِ قَائِمِينَ﴾: إقبال الرجل على صلاته، ومحافظةه على وقتها، حتّى لا يلهيه عنها ولا يشغله شيء.
 وأخيراً يذكر تأويلاً للآية: أنّ الصلوات التي يجب المحافظة عليها هم: رسول الله، وعليّ، وفاطمة، و ابنهما، ﴿وَرَقُمُوا لِلَّهِ قَائِمِينَ﴾: طائعين للأئمة عليهم السلام.^١
 كما أنّه عندما يروي عن الصادق عليه السلام تفسير «السبع المثاني» بسورة الحمد، يعرج إلى نقل روايات تفسّر باطن الآية إلى الأئمة. قال: إنّ ظاهرها: الحمد، وباطنها: ولد الولد. والسابع منها: القائم عليه السلام.^٢

و من ثمّ فإنّه عندما يرد في التأويل، نراه غير مراعى لضوابط التأويل الصحيح، على ما أسلفنا بيانه، من كونه مفهوماً عاماً منتزِعاً من الآية بعد إلغاء الخصوصيّات ليكون متناسباً مع ظاهر اللفظ، وإن كانت دلالاته عليه غير بيّنة.

١١. تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ

هو أبو محمّد عبد الرحمان بن محمّد بن إدريس الحنظليّ الرازيّ (٢٤٠-٣٢٧ هـ). من أصل أصفهانيّ معروف بابن أبي حاتم. هاجر إلى الريّ و توفيّ بها و دفن هناك. نشأ ابن أبي حاتم في رعاية والده الذي غرس فيه روح العلم والتقى و حفظ القرآن في صغره. قال ابن أبي حاتم: لم يدعني أبي أشغل في الحديث حتّى قرأت القرآن على الفضل بن شاذان. ثمّ كتب الحديث. قال: رحل بي أبي سنة ٢٥٥ هـ. و ما احتملت بعدُ، فلمّا بلغنا ذا الحليفة احتملت، فسرّ أبي حيث أدركت حجّة الإسلام. فسمعت في هذه السنة من محمّد ابن عبد الرحمان المقرّي.. و في سنة ٢٦٠ هـ. ذهب إلى مكّة المكرمة و فيها سمع من محمّد بن حمّاد الطهرانيّ. و في عام ٢٦٢ هـ. رحل إلى بلاد السواحل و الشام و مصر. و في عام ٢٦٤ هـ. رحل إلى أصبهان و لقي يونس بن حبيب.

١. تفسير العياشي، ج ١، ص ١٢٧-١٢٨، رقم ٤١٦-٤٢١.

٢. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥٠، الحجر (١٥): ٨٧.

قال الخليلي: أخذ أبو محمّد علم أبيه و أبي زرعة، و كان بجرأ في العلوم و معرفة الرجال حتّى في الفقه و في اختلاف الصحابة و التابعين و علماء الأمصار. و قال الذهبي: كان بجرأ لا تكدره الدلاء. و قال ابن كثير: كان من العبادة و الزهد و الورع و الحفظ على جانب كبير^١.

منهجه في التفسير

يبدأ تفسيره بعد الحمد لله بالصلاة على محمّد خاتم الأنبياء و على آله أجمعين.. ثمّ يقول: سألتني جماعة من إخواني إخراج تفسير القرآن مختصراً بأصحّ الأسانيد و حذف الطرق و الشواهد و الحروف و الروايات، و تنزيل السور. و أن لا تقصد لإخراج التفسير مجرداً دون غيره، متقصّين تفسير الآي حتّى لا تترك حرفاً من القرآن يوجد له تفسير إلاّ أخرج ذلك.. فأجبتهم إلى ملتسمهم و بالله التوفيق..

فتحرّيت إخراج ذلك بأصحّ الأخبار إسناداً و أشبهها متناً، فإذا وجدت التفسير عن رسول الله ﷺ لم أذكر معه أحداً من الصحابة ممّن أتى بمثل ذلك. و إذا وجدته عن الصحابة فإن كانوا متفقين ذكرته عن أعلاهم درجة بأصحّ الأسانيد، و سمّيت موافقيهم بحذف الإسناد. و إن كانوا مختلفين ذكرت اختلافهم و ذكرت لكلّ واحد منهم إسناداً.. فإن لم أجد عن الصحابة و وجدته عن التابعين عملت ما ذكرته في الصحابة. و ذكر أسانيده إلى أبي العالية و السديّ و الربيع و مقاتل، حيث يحذف الأسانيد إليهم في التفسير..^٢



و المراجع لهذا التفسير يجد فيه غُرراً و دُرراً قلّما توجد في سائر التفاسير، حتّى من تأخّر عنه، و لعلّهم لم يعثروا على تفسيره.. هكذا ذكر محقّق الكتاب عند مقابلته لمرويات السيوطي في الدرّ المنتور، حيث الإسناد إليه وحده دون من سواه.. و هكذا وجدناه عند

١. راجع: الأنساب للسمعاني، ج ٤، ص ٢٨٧؛ سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٢٥٠-٢٦٦؛ تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ٣،

ص ٨٢٩ و ٩٧٦؛ أخبار أصبهان، ج ٢، ص ٩٠؛ البداية و النهاية، ج ١١، ص ١٩١.

٢. راجع: مقدّمته في التفسير، ج ١، ص ١٤.

مقابلتنا لمروياته مع سائر المرويات في كتب تقدمته أو تأخرت عنه.. في تفسيرنا الأثري الجامع..

و من الذين أكثروا النقل عنه البغويّ وابن تيمية و ابن كثير و الشوكانيّ و غيرهم كثيرون. أما جلال الدين السيوطي فيقول: فقد لخصت تفسير ابن أبي حاتم في كتابي، وهو الدرّ المنتور.

و هذا التفسير، قد حفظ لنا كثيراً من تفاسير أصبحت مفقودة، مثل تفسير سعيد بن جبير و مقاتل بن حيان و غيرهما^١.

هذا التفسير - مع الأسف - لم يوجد بكامله؛ فقد وجد منه من سورة الفاتحة حتى آخر سورة الرعد. و من سورة المؤمنون حتى آخر سورة العنكبوت. و أكمل الباقي بالمقابلة مع تفاسير نقلت عنه، و طبع بصورة أنيقة.. و كانت طبعته الثانية سنة ١٤١٩ هـ.ق. / ١٩٩٩ م.

نزعتة الفكرية

كان ابن أبي حاتم مستقيم الرأي حسن العقيدة، شديد النزعة لآل بيت الرسول ﷺ و يبدو ذلك من ثنايا تفسيره لآيات مرتبطة بهم ﷺ فقد بدأ تفسيره - كما عرفت - بعد التسمية و الحمد لله رب العالمين، بالصلاة على محمد خاتم الأنبياء و على آله أجمعين.. كما هي شيمة العائشين في ربوع فارس آنذاك و حتى اليوم..

هو عند تفسير الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^٢. يروي عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت الآية قلنا: يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^٣.

١. راجع: مقدمة المحقق للتفسير، ج ١، ص ١٠-١١. ٢. الأحزاب (٣٣): ٥٦.

٣. تفسير ابن أبي حاتم، ج ١٠، ص ٣١٥١، برقم ١٧٧٦٩: الدرّ المنتور، ج ٦، ص ٦٥٧.

وعند تفسير آية التطهير^١ يروي عن أبي سعيد الخدريّ و عائشة و وائلة بن الأسقع و أم سلمة و قتادة أنّها نزلت بشأن أهل البيت خاصة.. و هو الذي يروي عن أم سلمة حديث الكساء و البرمة التي أتت بها فاطمة عليها السلام فيها خزيرة..^٢

و عند تفسير آية الإنذار^٣ يذكر النصّ: «و يكون خليفتي...»^٤ و في ذيل الآية: «و تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ»^٥ يذكر شاخصة العقيدة الشيعيّة القائلة بعصمة آباء النبيّ و طهارتهم عن الشرك و الأنداس من لدن آدم فالى أن أخرجه الله من صُلب عبد الله..^٦ الأمر الذي أغفله الكثير، حتّى مثل الطبريّ المعاصر له.

١٢. تفسير القمّيّ

هو أبو الحسن عليّ بن ابراهيم بن هاشم القمّيّ المتوفّي سنة (٣٢٩) من مشايخ الحديث، روى عنه الكلينيّ و كان من مشايخه، واسع العلم، كثير التصانيف، و كان معتمداً الأصحاب. قال النجاشي: ثقة ثبت معتمد صحيح المذهب. و أكثر رواياته عن أبيه ابراهيم ابن هاشم، أصله من الكوفة و انتقل إلى قم. يقال: إنّه أوّل من نشر حديث الكوفيّين بقم، و هو أيضاً ثقة على الأرجح، حسن الحال.

و هذا التفسير، المنسوب إلى عليّ بن ابراهيم القمّيّ، هو من صنع تلميذه أبي الفضل العباس بن محمّد بن القاسم بن حمزة بن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام و هو تليف من إملاءات القمّيّ، و قسط وافر من تفسير أبي الجارود.

فكان ما أورده أبو الفضل في هذا التفسير من أحاديث الإمام الباقر، فهو من طريق أبي الجارود، و ما أورده من أحاديث الإمام الصادق عليهما السلام فمن طريق عليّ بن ابراهيم، و أضاف إليهما بأسانيد عن غير طريقهما. فهو مؤلف ثلاثي المأخذ، و على أيّ حال فهو

٢. تفسير ابن أبي حاتم، ج ١٠، ص ٣١٣-٣١٣٣.

٤. تفسير ابن أبي حاتم، ج ٩، ص ٢٨٢٧، رقم ١٦٠١٤.

١. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٣. الشعراء (٢٦): ٢١٤.

٥. الشعراء (٢٦): ٢١٩.

٦. تفسير ابن أبي حاتم، ج ٩، ص ٢٨٢٨، رقمي ١٦٠٢٨ و ١٦٠٢٩؛ الدر المنثور، ج ٥، ص ٩٨.

من صنع أبي الفضل، ونسب إلى شيخه؛ لأن أكثر رواياته عنه، ولعله كان الأصل فأضاف إليه أحاديث أبي الجارود وغيره؛ لغرض التكميل.

وأبو الفضل هذا مجهول الحال، لا يعرف إلا أنه علوي، وربما كان من تلاميذ علي بن إبراهيم؛ إذ لم يثبت ذلك يقيناً، من غير روايته في هذا التفسير عن شيخه القمي.

كما أن الإسناد إليه أيضاً مجهول، لم يعرف من الراوي لهذا التفسير عن أبي الفضل هذا. ومن ثم فانتساب هذا التفسير إلى علي بن إبراهيم أمر مشهور لا مستند له. أما الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، فيروي أحاديث التفسير عن شيخه علي بن إبراهيم من غير هذا التفسير، ولم نجد من المشايخ العظام من اعتمد هذا التفسير أو نقل منه.

منهجه في التفسير

يبدأ هذا التفسير بذكر مقدمة يبيّن فيها صنوف أنواع الآيات الكريمة، من ناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وخاصّ وعامّ، ومقدّم ومؤخّر، وما هو لفظه جمع ومعناه مفرد، أو مفرد معناه الجمع، أو ماضٍ معناه مستقبل، أو مستقبل معناه ماضٍ، وما إلى ذلك من أنواع الآيات وليست بحاصرة.

وبعد ذلك يبدأ بالتفسير مرتباً حسب ترتيب السور والآيات آية فآية، فيذكر الآية ويعقبها بما رواه علي بن إبراهيم، ويستمرّ على هذا النمط حتّى نهاية سورة البقرة. ومن بدايات سورة آل عمران نراه يمزجه بما رواه عن أبي الجارود، وكذا عن غيره من سائر الرواة، ويستمرّ حتّى نهاية القرآن.

وهذا التفسير في ذات نفسه تفسير لا بأس به، يعتمد ظواهر القرآن ويجري على ما يبدو من ظاهر اللفظ، في إيجاز واختصار بديع، ويتعرّض لبعض اللغة والشواهد التاريخية لدى المناسبة، أو اقتضاء الضرورة. لكنّه مع ذلك لا يفغل الأحاديث المأثورة عن أئمة أهل البيت، مهما بلغ الإسناد من ضعف ووهن، أو اضطراب في المتن؛ وبذلك قد يخرج عن أسلوبه الذاتي فتراه يذكر بعض المناكير ممّا ترفضه العقول، ويتحاشاه أئمة

أهل البيت الأطهار. لكنّه قليل بالنسبة إلى سائر موارد تفسيره. فالتفسير في مجموعه تفسير نفيس لولا وجود هذه القلّة من المناكير. وقد أشرنا إلى طرف من ذلك، عند الكلام عن التفاسير المعزّوة إلى أئمة أهل البيت.

١٣. تفسير الثعلبيّ (الكشف و البيان)

هو أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبيّ النيسابوريّ (ت ٤٢٧ هـ).

قال ابن خلكان: كان أوحد زمانه في علم التفسير و صنّف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير^١. و قال ابن كثير: كان كثير الحديث واسع السماع. و ذكره الفارسيّ في تاريخ نيشابور و أتى عليه و قال: هو صحيح النقل موثوق به^٢. و قال ابن عماد: كان حافظاً واعظاً، رأساً في التفسير و العربية، متين الديانة^٣. و قال القفطيّ: الثعلبيّ، المقرئ، المفسّر، الواعظ، الأديب، الثقة، الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، العالم بوجوه الإعراب و القراءات. له التفسير الكبير و العرائس في قصص الأنبياء و نحو ذلك. سمع منه الواحديّ التفسير و أخذ عنه^٤.

ألقي الثعلبيّ ضوءاً على تفسيره و أبان عن منهجه و طريقته التي سلكها فيه، فذكر اختلافه لدى العلماء منذ الصغر، و اجتهاده في الاقتباس من علومهم و لا سيّما علم التفسير الذي هو أساس الدين و رأس العلوم الشرعيّة.. و ذكر مواصلته ظلام الليل بضوء الصباح بعزم أكيد و جهد جهيد، حتّى رزقه الله ما عرف به الحقّ من الباطل و الفاضل من المفضول، و الحديث من القديم، و البدعة من السنّة، و الحجّة من الشبهة.. و ظهر له أنّ المصنّفين في تفسير القرآن فرق و على طرائق مختلفة:

فرقة أهل البدع و الأهواء^٥.

و فرقة ألّفوا فأحسنوا، لكنّهم خلطوا بأباطيل المبتدعين بأقويل السلف الصالحين..

٢. البداية و النهاية، ج ١٢، ص ٤٣.

١. وفيات الأعيان، ج ١، ص ٧٩-٨٠.

٤. انباء الرواة للقفطيّ، ج ١، ص ١٥٤، رقم ٥٩.

٣. شذرات الذهب لابن عماد، ج ٢، ص ٢٣٠.

٥. و سّماهم كما سعى سائر الفرق. و قد تركناهم لمراجع التفسير ذاته.

و فرقة اقتصروا على مجرد النقل و الرواية و تركوا النقد و الدراية..
 و فرقة حذفت الأسانيد و نقلت من الصحف و الدفاتر و حرّرت على هوى الخواطر
 و ذكرت الغثّ و السمين و الواهي و المتين..
 و فرقة حازوا قصب السبق في جودة التصنيف و الحدق، غير أنّهم طوّلوا و أطنّبوا..
 و فرقة جرّدت التفسير عن التعرّض للأحكام و بيان الحلال و الحرام، و الحلّ عن
 غوامض المشكلات و الردّ على أهل الزيغ و الشبهات..
 ثمّ بيّن أنّه لم يعثر في كتب من تقدّمه على كتاب جامع شامل مهذب معتمد عليه، هذا
 مع شدة رغبة الناس إلى إخراج كتاب في تفسير القرآن جامع كامل يُغني اللبيب و يُروي
 الأديب و يشفي الأريب.. قال: ثمّ استخرت الله تعالى في تصنيف كتاب شامل كامل
 مهذب ملخّص مفهوم منظوم، مستخرج من زهاء مائة كتاب مجموعات مسموعات سوى
 ما التقطه من التعليقات و الأجزاء المتفرّقات، و تلقّاه عن أقوام من المشايخ الأثبات،
 و هم قريب من ثلاث مائة شيخ.. قال: فنسقته بأبلغ ما قدرت عليه من الإيجاز و الترتيب.
 قال: و خرّجت فيه الكلام على أربعة عشر نحواً: البسائط و المقدمات، و العدد
 و الترتيلات، و القصص و الروايات، و الوجوه و القراءات، و العلل و الاحتجاجات،
 و العريّة و اللغات، و الإعراب و الموازنات، و التفسير و التأويلات، و المعاني و الجهات،
 و الغوامض و المشكلات، و الأحكام و الفقهيّات، و الحكم و الإشارات، و الفضائل
 و الكرامات، و الأخبار و المتعلّقات.. أدرجتها ضمن الكتاب، بحذف الأبواب. و سمّيته:
 الكشف و البيان عن تفسير القرآن..



أمّا المصادر التي اعتمدها التعليبيّ فذكرها مع أسانيده إليها حسب التالي:
 التفاسير المأثورة عن ابن عبّاس و عكرمة و الكلبيّ و مجاهد و الحسن البصريّ
 و أبي العالية و الربيع و القرظيّ و مقاتل بن حيّان و مقاتل بن سليمان و ابن جرّيج و سفيان
 الثوريّ و وكيع و شبل بن عباد و ورقاء و زيد بن أسلم و روح بن عباد و الفراتيّ محمّد

ابن يوسف و قبيصة بن عُقبة و سعيد بن منصور و النهديّ: أبو حذيفة موسى بن مسعود و ابن وهب و عبد الحميد بن حميد الكشيّ و محمّد بن أيّوب الرازيّ و عبد الرحمان بن كيسان هو أبو بكر الأصبمّ^١ و تفسير أبي حمزة الثماليّ و تفسير المسيّب بن شريك.. تلك مصادره من كُتُب تقدّمته. و انضّم إليها مصادر معنّ عاصره، و هي:

تفسير عبد الله بن حامد، قرأه عليه. تفسير أبي عمرو الفراتيّ الملقّب بالبستانيّ، أجاز له بجميعة لفظاً و خطأً. تفسير أبي بكر بن فورك، أملى عليه صدراً. تفسير أبي القاسم بن حبيب، سمعه غير مرّة. تفسير جبرئيل^٢، قرأه كلّهُ على مصنّفه. و تفسير الصيدلانيّ أبي الحسن محمّد بن القاسم الفقيه. سمع بعضه من مصنّفه و أجاز له بالباقي، و يعرف بتفسير النبيّ، حيث جمع فيه المرويّات عنه عليه السلام. و تفسير ابن المبارك الدينوريّ بالإسناد إليه. و تفسير السُلَميّ أبي عبد الرحمان محمّد بن الحسن السُلَميّ، المسمّى بحقائق التفسير على لسان أهل الإشارة. قرأه كلّهُ على مصنّفه فأقرّه به. و كتاب عروة. و كتاب مالك^٣.

و من كتب المعاني: معاني القرآن للفرّاء. و معاني القرآن للكسائيّ، و لأبي عبيد القاسم ابن سلام و الزجّاج و كتاب النظم للجرجانيّ و كتاب الغرائب لأبي عبيد معمر بن المثنّى التيميّ، و الغريب للأخفش.. كلّ ذلك بالأسانيد العالية.. و هذا من ميزات هذا الكتاب، قد حفظ لنا ميراثاً علمياً ضخماً، تداركه قبل أن يندثر، فضمن له البقاء في ذمّة الخلود.. و جعلها كلمة باقية في عقبه..



١. المعتزليّ صاحب المقالات في الأصول. كان من أفصح الناس و أروعهم و أفهمهم و له تفسير عجب. ذكره عبد الجبار الهمدانيّ في طبقاتهم (لسان الميزان لابن حجر، ج ٣، ص ٤٢٧، رقم ١٦٨٥).
٢. لعنه جبريل بن محمّد بن إسماعيل أبو القاسم الهمدانيّ صاحب المسند سمع أبا القاسم عبد الله بن محمّد البغويّ مصنّف المعجم الكبير للصحابة و غيره من أعلام زمانه. توفيّ سنة ٣٨٤ هـ. (الوفائيّ بالوفيات للصفديّ، ج ١١، ص ٣٦، رقم ٢٧٣٠؛ سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٥٠٣، رقم ٣٧٣).
٣. و قد درّه، لولا أنّه استقصى هذه الكتب و اجتنى ثمارها البانعة، لضاعّت أكثرها مع الأبد و لما عرفنا منها شيئاً. و هذا من ميزة هذا التفسير الجليل..

والحق أن هذا التفسير يمتاز بأمر قلما تجمعها سائر التفاسير المعتبرة.. وبذلك أصبح من يومه مرجعاً فحماً لمن كتب بعده وحتى اليوم هو من مراجع التفسير المفضلة.. إنه حذف الأسانيد اكتفاءً بذكرها في المقدمة من غير حاجة إلى الإعادة والتكرار. كما تعرّض لشتى المسائل اللغوية والأدبية بتحليل واستشهاد شعريّ قويم. وهكذا عند التعرّض للمسائل الفقهية، يردها بتوسّع واستقصاء للأقوال ومسائل الخلاف..

خذ لذلك مثلاً تفسيره للآية ١١ من سورة النساء، إنه يُفيض في الكلام عن تركة الميّت، ويذكر جملة الورثة والسهام المحدّدة، ويذكر من فرضه الربع، ومن فرضه الثمن، والثلاثان، والثلث، والسدس. وهكذا يتعرّض لنصيب الجدّ والجدّة والجدّات. ثمّ يتكلّم عن نظام الميراث في الجاهلية، عن علم واسع..

أما المسائل الأدبية فحدّث عنها ولا حرج.. مثلاً تجده عند الآية ٩٠ من سورة البقرة يخوض في مسائل النحو والكلام عن نعم وبئس بتفصيل فائق.. كما نجده يحلّل لفظة «ينعق» (الآية ١٧٣ من البقرة) تحليلاً دقيقاً ويصرفها علي وجوه بأسلوب متين.

كما أنه لا يتوانى عن ذكر فضائل آل البيت عليهم السلام عند كلّ مناسبة، ولا سيّما عند التعرّض لآيات نزلت بشأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بكلّ جهد وإخلاص.. وهكذا يتطرّق الكتاب لنواح علمية أخرى لا يكاد يجدها المراجع في سائر التفاسير. ومن ثمّ كان هذا التفسير ولا يزال مرجعاً عاماً للتفسير، حيث أريد الوقوف على آراء السلف وأقوالهم ونظرات المفسّرين القدامى وأهل التاريخ والحديث بصورة مستوعبة.

فقد امتاز هذا التفسير بتوسّعه في اللغة والأدب ووجوه القراءات والإحاطة بكلام السلف والإجادة في نقلها وبسطها، حيث كان مفسّرنا كثير الشيوخ كثير الحديث صحيح النقل موثقاً به^١ غير أنه لم يتحرّ الصحّة فيما ينقله من تفاسير السلف، ومن ثمّ وقع فيما وقع فيه كثير من المفسّرين المكثّرين من النقل. وقد جرّ على نفسه وعلى تفسيره بسبب

هذه الكثرة من النقل ما جرّه أكثر المفسرين القدامى المعتمدين على النقل و الأثر.
 و من امتيازات هذا التفسير أيضاً اعتماداه على روايات الشيعة أكثر من غيره.. و تبعه
 على ذلك البغويّ و الواحديّ ممّن تأخّر عنه و أخذ منه.. فكانوا موضع عتاب الجهلاء..
 هذا، و مع ذلك فنرى ابن تيميّة قد تهافت في ظاهر كلامه عن هذا التفسير..
 هو عند ما يُسأل عن أيّ التفاسير أقرب إلى الكتاب و السنّة: الزمخشريّ أم القرطبيّ
 أم البغويّ أم غير هؤلاء؟

يقول: أمّا التفاسير التي في أيدي الناس فأصحّها تفسير الطبريّ، فإنّه يذكر مقالات
 السلف بالأسانيد الثابتة، و ليس فيه بدعة، و لا ينقل عن المتهمين. أمّا التفاسير الثلاثة
 المسؤول عنها، فأسلمها من البدعة و الأحاديث الضعيفة، البغويّ. لكنّه مختصر من تفسير
 الثعلبيّ، و حذف منه الأحاديث الموضوعية و البدع التي فيه..

و أمّا الواحديّ - في تفاسيره الثلاثة: البسيط و الوسيط و الوجيز - فإنّه تلميذ الثعلبيّ،
 و هو أخبر منه بالريّة. لكنّ الثعلبيّ فيه سلامة من البدع^١! و إن ذكرها تقليداً لغيره..^٢
 إذ لم يعرف من هذا الكلام أنّ تفسير الثعلبيّ هل هو خلو من البدع أم تتواجد فيه؟!
 ولعلّه أراد سلامة الثعلبيّ ذاته من الابتداع، و إن لم يسلم تفسيره من البدع التي ذكرها فيه
 عفواً و عن متابعة للآخرين و ليس عن اعتقاد بها..

و هذا التفسير طبع أخيراً و بعد انتظار طويل، بتحقيق ابن عاشور و مراجعة الأستاذ
 الساعديّ في عشر مجلّدات، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت: ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.

١٤. تفسير الماورديّ (النكت و العيون)

هو أبو الحسن عليّ بن محمّد بن حبيب الماورديّ^٣ البصريّ الشافعيّ.
 (٣٦٤-٤٥٠ هـ). ولد بالبصرة في أزهى عصور العبّاسيين و نشأ بها و تلقّى علومه الأولى

١. يقصد من البدع - حسب زعمه - تأويلات المعتزلة.

٢. راجع: فتاوى ابن تيميّة، ج ٢، ص ١٩٣؛ مغلّظة في أصول التفسير، ص ٥٦-٥٧.

٣. نسبة إلى ماء ورد. كان أبوه يعمله و يبيعه.

على يد أبي القاسم الصيمريّ وهو عالم البصرة آنذاك، ثمّ رحل إلى بغداد وسكن في درب الزعفرانيّ، وفيها سمع الحديث وأخذ الفقه، وانضمّ إلى حلقات أبي حامد الإسفرايينيّ لاستكمال ثقافته. ولما بلغ أشدّه واستوى تصدّر للتدريس في بغداد والبصرة وتنقل في البلاد لنشر العلم ثمّ استقرّ به المقام في بغداد وحدث بها وفسّر القرآن و ألف فيها كتبه في أصول الفقه وفروعه وغير ذلك. وجعل إليه ولاية القضاء ببلدان كثيرة. ولُقّب بقاضي القضاة في سنة ٤٢٩ هـ. وجرى من الفقهاء إنكار لهذه التسمية وكانت بدعة لم يسبقه بها أحد... لكنّه لم يلتفت لأقوالهم واستمرّ له اللقب إلى أن مات، وجرّت التسمية به ولُقّب به القضاة فيما بعد..

و يعتبر تفسير الماورديّ من أهمّ كتب التفسير، وقد اهتمّ به كثير ممّن تأخّر عنه كابن القيمّ الجوزيّ في تفسيره زاد المسير، والقرطبيّ في الجامع لأحكام القرآن وغيرهما.

منهجه في التفسير

هو تفسير كامل للقرآن، اقتصر فيه الماورديّ على تفسير ما خفي من الآيات، أمّا الجليّ الواضح فتركه لفهم القارئ. وقد جمع فيه بين أقاويل السلف والخلف وأضاف إليه ما ظهر له من معنى محتمل. ورّبه ترتيباً بدعيّاً، يحصر الأقوال الكثيرة في عدد، ثمّ يفصلها الأوّل فالثاني فالثالث... مع توجيه لبعض الأقوال وترجيح أحياناً.. وقد اعتنى بالتفسيرات اللغويّة، فيذكر أصول الكلمات ويوضّحها بضرب الأمثال والاستشهاد عليها بالشعر ويربطها بالمعنى المراد من الآية في عبارة موجزة واضحة البيان.

و يمتاز هذا التفسير بجمعه للأقوال وتحليلاته للغويّة ومنهجه الدقيق وجمعه بين المأثور وذكر الوجوه من القراءات والأحكام الفقهيّة.

و يعتمد في القراءة على كتب القراءات المعروفة ككتاب القراءات لابن خالويه، وكتاب الحجّة للفارسيّ، والمحنتب لابن جنّيّ وكتب القيسيّ والدانيّ وأمثالهم.

و في التفسير على جامع البيان للطبريّ وهو من أهمّ مصادره. كما قد ينقل من تفسير

مقاتل بن حيان و غيره.

و في الأدب يستمدّ من كتب كثيرة و متنوّعة. كما و يعتمد في الفقه على أقوال الشافعيّ و يشير إلى سائر المذاهب أحياناً.

١٥. تفسير ابن عطية (المحرّر الوجيز)

هو أبو محمّد عبد الحقّ بن غالب، المعروف بابن عطية، نسبة إلى جدّه الأعلى: عطية ابن خالد المحاربيّ، من ولد زيد بن محارب بن حفصة بن قيس غيلان من مضر.. الأندلسيّ المغربيّ الغرناطيّ (٤٨١-٥٤٦ هـ)..

نشأ في بيت علم و فضل، كان أبوه غالب ابن عطية إماماً حافظاً و عالماً جليلاً، رحل في طلب العلم و تفقّه على العلماء.. فكان جديراً أن يُشبه الفرع بالأصل..

كان أبو محمّد بن عطية غاية في الذكاء و حسن الفهم و جودة القريحة، شغوفاً بمطالعة الكتب، حتّى برع في فنون العلم و الأدب، و أصبح أديباً شاعراً مجيداً.. و قد وصفه صاحب فتلاند العقيان بالبراعة في الأدب و النظم و الترش.. و وصفه أبو حيان في مقدّمة تفسيره البحر المحيط بأنّه أجلّ من صنّف في علم التفسير، و أفضل من تعرّض فيه للتفحيط و التحرير..

يقول أبو حيان عنه و عن الزمخشريّ: قد اشتهرا كاشتهار الشمس و خلدا في الأحياء، و كلامهما في التفسير يدلّ على تقدّمهما في علوم، من منشور و منظوم، و منقول و مفهوم، و تقلّب في فنون الآداب، و تمكّن من علمي المعاني و الإعراب. و في خطبتي كتابهما و كذا في غضون كتاب الزمخشريّ ما يدلّ على أنّهما فارسا ميدان، و ممارسا فصاحة و بيان..^١

و تفسيره هذا من أعظم التفاسير الأثرية، حيث جمع بين الأثر و النظر، و النقل و النقد، فكانت له قيمته العلميّة بين كتب التفسير. و قد أفضى عليه مؤلّفه من روحه العلميّة

الفياض ما أكسبه دقة و راجاً و قبولاً.

و كذلك ابن تيمية يعقد مقارنة بين الكتابين - في فتاواه - فيقول: و تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، و أصح تقيلاً و بحثاً، و أبعد عن البدع، و إن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرحح التفاسير^١.

و كذا يقول في مقدمته في أصول التفسير: و تفسير ابن عطية و أمثاله أتبع للسنة و الجماعة، و أسلم من البدعة.. و لو ذكر كلام السلف على وجهه لكان أحسن و أجمل، لكنّه ينقل من تفسير ابن جرير - و هو من أجلّ التفاسير و أعظمها قدراً - ثم يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال، و يذكر ما يزعم أنه قول المحققين، و إنما يعني بهم أهل الكلام ممن قرروا أصولهم على أصول المعتزلة..^٢

و بهذه المناسبة يقول الأستاذ الذهبي: في أثناء قراءتي في تفسير ابن عطية رأيته عند تفسير الآية ٢٦ من سورة يونس ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَ زِيَادَةٌ﴾ يقول ما نصّه: «قالت فرقة هي الجمهور: الحسنى، الجنة. و الزيادة، النظر إلى الله - عزّ و جلّ - و روي في نحو ذلك حديث عن النبي ﷺ رواه صهيب. و عن أبي بكر و حذيفة و أبي موسى الأشعري.. ثم يقول: و قالت فرقة: الحسنى هي الحسنة. و الزيادة هي تضعيف الحسنات إلى سبع مائة فدونها، حسبما روي في نصّ الحديث عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَ اللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾^٣. قال: و هذا قول يعضده النظر.. قال: و لولا عظم القائلين بالقول الأوّل، لترجّح هذا القول.. ثم أخذ في ذكر الدلائل على ترجيحه^٤.

قال الذهبي: و هذا يدلنا على أنه يميل إلى ما تميل إليه المعتزلة، أو على الأقلّ يقدر ما ذهبت إليه المعتزلة في مسألة الرؤية، و إن كان يحترم مع ذلك رأي الجمهور.. و لعلّ مثل هذا التصرف من ابن عطية هو الذي جعل ابن تيمية يحكم عليه بحكمه السابق!^٥

١. فتاوى ابن تيمية، ج ٢، ص ١٩٤.

٢. البقرة (٢): ٢٦١؛ راجع: المحرر الوجيز للذهبي، ج ١، ص ٢٥٥-٢٥٦.

٣. المحرر الوجيز، ج ٣، ص ١١٥.

٤. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢٤١-٢٤٢.

١٦. تفسير البغويّ (معالم التنزيل)

هو أبو محمّد الحسين بن مسعود المعروف بالفراء^١ البغويّ^٢ (٤٣٣-٥١٦ هـ). الفقيه الشافعيّ، المحدث، المفسّر. كان إماماً في الفقه والحديث والتفسير. وتفسيره هذا من أجلّ التفاسير وأجمعها لأقوال السلف وأبعدها عن السرف وأجزها في البيان وأجزها في التبيان. ومن ثمّ تداوله الناس وتدارسه روّاد العلم من أساتذة وطلاب.. وهو مختصر من تفسير الثعلبيّ، مقتف منهجه في الاستقصاء والإيفاء.. قال ابن تيميّة: وأسلم التفاسير من البدع^٣ والأحاديث الضعيفة، تفسير البغويّ المقتبس من تفسير الثعلبيّ والمستخلص من شوائبه^٤.

وقال علاء الدين عليّ بن محمّد البغداديّ (ت ٧٤١ هـ). صاحب تفسير الخازن -والذي بدوره اختصر تفسير البغويّ- في وصف هذا التفسير والسبب في انتخاب غرره ودرره: «و لما كان كتاب معالم التنزيل الذي صنّفه الشيخ الجليل والحبر النبيل.. الإمام البغويّ، من أجلّ المصنّفات في علم التفسير وأعلاها وأنبهها وأسناها، جامعاً للصحيح من الأقاويل، عارياً عن الشُّبه والتصحيف والتبديل، محلّي بالأحاديث النبويّة، مطرّزاً بالأحكام الشرعيّة، موشى بالقصص الغريبة وأخبار الماضين العجيبة، مرصّعاً بأحسن الإشارات، مخرجاً بأوضح العبارات، مفرغاً في قالب الجمال بأفصح مقال^٥.

منهجه في التفسير

يتعرّض لتفسير الآية بلفظ سهل جزل، ويذكر ما جاء عن السلف بلا ذكر السند، اعتماداً على ذكر الأسانيد في المقدّمة^٦. وإذا روى بغير السند الذي ذكره في المقدّمة فإنّه

١. نسبة إلى عمل الفراء وبيعه.

٢. يقصد من البدع: تأويلات المعزلة كما نبهنا.

٣. راجع: فتاوى ابن تيميّة، ج ٢، ص ١٩٣؛ مقدّمة في أصول التفسير، ص ٥٦.

٤. تفسير الخازن (المقدّمة)، ج ١، ص ٤٣.

٥. فقد ذكر في المقدّمة أسانيداً إلى أصحاب الكتب التي نقل عنها، على غرار ما فعله الثعلبيّ عينا. راجع: معالم

التنزيل (المقدّمة)، ج ١، ص ٥٤.

يذكره عند الرواية. كما أنه -بحكم كونه من الحفاظ المتقنين- كان يتحرى الصحة فيما يسنده إلى الرسول ﷺ أو أحد صحابته أو التابعين، ويعرض عن المناكير وما لا تعلق له بالتفسير.

وقد أوضح هذا في المقدمة، قال: «وما ذكرت من أحاديث رسول الله ﷺ في أثناء الكتاب على وفاق آية أو بيان حكم، فإنّ الكتاب يطلب بيانه من السنّة، وعليهما مدار الشرع وأمور الدين، فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث. وأعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير..^١»

كما أنه يتعرّض للقراءات ولكن من غير إسراف، ويتحاشا ما ولع به كثير من المفسّرين من مباحث الإعراب ونكت البلاغة والاستطراد إلى علوم أخرى لا صلة لها بعلم التفسير.

نعم، قد يتعرّض للصناعات النحويّة وذلك إذا اقتضته ضرورة الكشف عن معاني القرآن، لكنّه مقلّ غير مكتر. وقد يذكر بعض الإسرائيليات من غير تعقيب عليها^٢. وأحياناً يتعرّض لإشكالات في ظاهر النظم ويوجب عليها إجابة وافية^٣. كما وقد ينقل الخلاف عن السلف من غير ترجيح أو تضعيف لبعض وتصحيح لآخر.. وعلى العموم فالتفسير في جملته من أجمل التفاسير وأسلمها عند نقل المأثور.. الأمر الذي جعله متداولاً بين أهل العلم.

هذا التفسير قد طبع عدّة مرّات وقد لمسه بعض التحريف، حتّى أعيد طبعه باهتمام دار إحياء التراث العربيّ - بيروت (١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م). كَمَلًا و متقابلاً مع أصحّ النسخ ومع المنقول منه في سائر التفاسير^٤، فأصبح كاملاً منقّحاً سليماً عن يد لأمس.

١. راجع: المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٥-٥٦.

٢. راجع ما ذكره في قصّة هاروت و ماروت و قصّة طالوت و جالوت و غيرهما..

٣. راجع ما ذكره عند تفسير الآية ١١٧ من سورة البقرة..

٤. راجع حديث يوم الإنذار، أورده كاملاً عند تفسير الآية ٢١٤ من سورة الشعراء، وقد صحّف في طبعات سابقة، في حين أنّ الخازن نقله عنه بتمامه وكَمَلًا، حيث ورد في هذه الطبعة السليمة.

١٧. تفسير القرطبيّ (الجامع لأحكام القرآن)

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ الخزرجيّ، الأندلسيّ القرطبيّ.. (ت ٦٧١هـ). كان من العلماء العارفين، صاحب تصانيف ممتعة، منها هذا التفسير الذي يُعدّ من أمثل التفاسير وأجودها تصنيفاً وترصيفاً، وجمعاً للآراء والأقوال، مع العناية البالغة باللغة والأدب والفقه والكلام.. وقد عدّه بعضهم - لذلك - في عداد التفاسير الفقهية.. ولعلّه نظراً لعنوان الكتاب.. أمّا المحتوى فهو على غرار التفاسير الأثرية الجامعة..

وقد بذل المؤلف فيه جهداً كبيراً وعناية فائقة، يدلّان على عمق في البحث ومقدرة على فهم كتاب الله، وإلمامه بعلوم الشريعة أصولها وفروعها، يتجلّى ذلك عند تعرّضه لمباني الأحكام المستنبطة من نصوص الكتاب، حتّى ليكاد يستغني به القارئ عن دراسة كتب الفقه.. ثمّ استشهاده بكثير من النصوص الأدبية من لغة العرب وشعرها ونثرها، ممّا يشهد له بطول باع وسعة آفاق.. وإن أخذ عليه بعض هنات وعللها يسيرة لا تحطّ من قدره ولا تغضّ من قيمته، فإنّ الجواد قد يكبو، والحسام قد ينبوا!

وكان ذلك الذي فرط منه، على خلاف ما اشترطه على نفسه في المقدّمة، يقول فيها: «وشرطي في هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلى قائلها، والأحاديث إلى مصنّفها، فإنّ من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله.. فلا يبقى من لا خبرة له حائراً.. وأضرب عن كثير من قصص المفسّرين وأخبار المؤرّخين، إلّا ما لا بدّ منه ولا غنى عنه للتبيين...»^١ وقد خالف شرط في كثير من الأحيان.. إذ ليس ممّا لا بدّ منه أو لا غنى عنه، ما ينقله عن كعب الأحبار: «أنّ إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرض كلّها، فالتقى في قلبه: أو تدري ما على ظهرك يا لوثيا^٢ من الأمم والشجر والدوابّ والناس والجبّال! لو نفضتهم ألقيتهم عن ظهرك أجمع.. فهم لوثيا بفعل ذلك؛ فبعث الله دابةً فدخلت في منخره،

١. الجامع لأحكام القرآن (المقدّمة) للقرطبيّ، ج ١، ص ٣.

٢. اسم ذلك الحوت بالعبريّة!

فَجَّحَ إِلَى اللَّهِ فَخَرَجَتْ...»^١.

وليس ممَّا لا بدَّ منه: «أَنَّ الْحَيَّةَ كَانَتْ خَادِمَ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ فَخَانَتْهُ، بَأَن مَكَّنَتْ إِبْلِيسَ مِنْ نَفْسِهَا وَأَظْهَرَتْ الْعِدَاوَةَ لَهُ هُنَاكَ، فَلَمَّا أَهْبَطُوا تَأَكَّدَتْ الْعِدَاوَةَ وَجَعَلَ رِزْقَهَا التَّرَابَ»^٢.
وما يرويه عن ابن عباس: «سَأَلْتُ الْيَهُودَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الرَّعْدِ، مَا هُوَ؟ قَالَ: مَلِكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَهُ مَخَارِيقٌ مِنْ نَارٍ، يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ!»^٣.

وما ذكره عن كلب أصحاب الكهف والاختلاف في لونه وفي اسمه^٤.
وما يرويه عن الزُّهري في قوله تعالى: ﴿جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مِّثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعًا﴾: أَنَّ جَبْرِيْلَ قَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، لَوْ رَأَيْتَ إِسْرَافِيْلَ، إِنَّ لَهُ لِثَنِي عَشَرَ أَلْفَ جَنَاحٍ، مِنْهَا جَنَاحٌ بِالشَّرْقِ وَجَنَاحٌ بِالمَغْرِبِ، وَإِنَّ العَرْشَ لَعَلَىٰ كَافِلِهِ، وَإِنَّهُ فِي الأَحْيَانِ لِيَتَضَاءَلُ لِعِظْمَةِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَعُودَ مِثْلَ الوَصْعِ^٥.

وما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ﴾: أَنَّ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ثَمَانِيَةَ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِنَّ وَرُكْبَهُنَّ مِثْلَ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ. وَفَوْقَ ظُهُورِهِنَّ العَرْشَ^٦.

إلى غير ذلك من موارد جارى فيها من سبقه من المفسرين الذين ينقلون الإسرائيليات ولا يتحررون الدقة في محتوياتها، هل هي معقولة أم مرفوضة؟!
قال مصحح الكتاب أحمد البردوني: و للمؤلف في ذلك كثير من العذر، لأنه ساير مع ثقافة عصره و ما يجرى على السنة أهل الحديث آنذاك..

لكنه عذر غير عاذر.. نعم في تفسيره كثير من الغرر والدرر، والعبرة بها لا بالأسقاط وقد قيل - في المثل -: قد يوجد في الأسقاط ما لا يوجد في الأسفاط..

١. راجع: المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

٢. المصدر نفسه، ص ٣١٣.

٣. المصدر نفسه، ص ٢١٧.

٤. المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٣٢٠. و الوصع: عصفور صغير!

٥. جمع وغل وهو التيس الجبلي.

٦. المصدر نفسه، ج ١٨، ص ٢٦٧.

١٨. تفسير الشيبانيّ (نهج البيان)

هو الشيخ الجليل محمّد بن الحسن الشيبانيّ الإمامي صاحب تفسير نهج البيان عن كشف معاني القرآن الذي اهداه إلى خزانه المستنصر العباسيّ^١ (٥٨٨-٦٤٠) و يبدو أنه كان في زمن حياته.. و من ثمّ فيكون صاحبنا الشيبانيّ قد عاش في العهد المستنصريّ الزاهر، مطالع القرن السابع المزدهر بالخير والبركات.

و تفسيره هذا حافل بالغرر والدرر من آثار السلف و أئمة أهل البيت عليهم السلام، منضماً إليها النكت و الظرف من اللغة و الأدب و النحو و التصريف، و تجنّب الإكثار المؤدّي إلى الإضجار، حسب تعبيره. كما و لم يتسلسل في تفسير الآيات، اقتصاراً على موارد الحاجة إلى التفسير و التبيين، دون الواضح اللائح.. و هو يوضّح عن منهجه في التفسير، يقول - ما خلاصته -:

«كان يتردّد في خاطري زمان شبابي حيث النشاط و الاشتغال، أن أجمع شيئاً من معاني كلام الله و أسباب نزوله و بيان غريبه، لولا مصادمة العوائق، حتّى اتّفق الاجتماع بعلماء أفاضل من أصدقاء صلحاء، ذوي النباهة و الأدب الرفيع.. فكانت منهم التفاتة إلى ما كان يخامرني قبل ذلك.. فسارعت إلى تليبتهم.. فجمعت الكثير من أقوال السلف الصالح، و تخيّرّت الأقرب إلى الوفاق و الأوجه لمعرفة الصواب، و ضممت إليها ما ورد في الصحيح من مذهب أهل البيت عليهم السلام.. و لم أتعرّض للبوطن و الأسرار إلّا ما ورد عن المعصوم النبيّ و آله الأطهار و صحابته الأخيار، حيث هم أهل التقرير و البيان. و قد سئل ابن عباس عن الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل القرآن؟ فقال: هم آل محمّد.. أمّا

١. هو أبو جعفر المنصور بن الظاهر العباسيّ، السادس و الثلاثون من الخلفاء العباسيين. ولد سنة ٥٨٨ و استخلف بعد أبيه سنة ٦٢٣ و توفي سنة ٦٤٠. عرف بعدله و بسط الأمن في بلاده، كان ساعياً في ترويح الدين و الترقية من منزلة العلماء و إحياء البلاد، فبنى الجسور و بلّط الطرق و شيّد المساجد و أسس المدرسة المستنصرية في الجانب الشرقيّ من دجلة و جعل لها موقوفات و عيّن لها مدرّسين من المذاهب الأربعة. و لا تزال آثار هذه المدرسة قائمة إلى اليوم. كما أنشأ مستشفى كبيراً يضرب به المثل في الكفاءة و الخدمات العامة.. و في عهده بدأ الخطر المغوليّ.

النحو والأدب والقراءات فاقترنت على اليسير مما يرفع الحاجة الملحة، دون الاستقصاء والإسهاب المملّ.. فابتدأت بذكر ما رفع إلى النبيّ وعن الصحابة المعروفين، والتابعين ممن روى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وقد وسّمته بـ«نهج البيان عن كشف معاني القرآن»، وأهديته للخزانة المعظمة المظفّرة المنصورة العزيزة الإمامية المستنصرية -رفع الله دعوتها وملكها نواصي العباد وصياصي البلاد، بمحمّد وآله الطاهرين الأمجاد..».

وجعل لتفسيره مقدّمات، ذكر في أولها: ما روى عن السلف بشأن نزول القرآن وعدد سورها وآياتها.. وفي ثانيها: حديث الأحرف السبعة وتفسيرها من وجوه. وفضائل بعض السور. وفي ثالثها: اشتقاق لفظة «القرآن» والسورة والآية.. ومعانيها. وفي رابعها: فيما اشتمل عليه القرآن من أمّهات المقاصد. وفي خامستها: بيان مصطلحات أصولية وتفسيرية لا بدّ من معرفتها لمن أراد التفسير، وبيان الوجوه والنظائر في القرآن، وبسط القول في بيان وجوه معاني القرآن بما أفاد وأجاد.

ثمّ يبدأ بتفسير الاستعاذة، والبسملة، وبعده بتفسير سورة الحمد وسائر السور.

وفي التفسير يبدأ بما روى عن الأئمة المعصومين عليهم السلام ثمّ عن سائر الصحابة والتابعين والمعروفين من كبار المفسّرين من السلف أمثال قتادة ومجاهد والربيع بن أنس وزيد ابن أسلم والحسن والكلبيّ ومقاتل بن سليمان وأبي العالية والضحاك وأبي عبيدة والقتيبيّ..

و ينقل عن الطبريّ والمفيد والطوسيّ والجبائيّ والرّمانيّ والزجاج وعبد الغنيّ والحليّ وابن الأنباريّ والقراء وأمثالهم..

وهو في ضمن التفسير قد يتعرّض لمباحث هي من أمّهات المسائل القرآنية، فيخوضها بقوة ويخرج منها بسلام.. أمثال مسألة الناسخ والمنسوخ في القرآن وما شاكل..

وبالجملة، فتفسيره -على صغر حجمه- كبير الفائدة عظيم العائدة، لا غنى عنها لمن حام حول معاني القرآن الكريم وحاول اقتناء مجانيه اليانعة..

فرائد تفرّد بها

هناك فرائد تفرّد بها مفسّرنا الجليل، أودعها كتابه، قد لا توجد في سفر سواه. الأمر الذي يدلّنا على طول باع و سعة اطلاع، ذلك العهد المزدهر بمتنوع العلوم و المعارف و الثقافات.. و قد قصرت أيدينا عن أن تنال جلّها فضلاً عن كلّها..

من ذلك ما ذكره عن الإمام محمّد بن إدريس الشافعيّ، تفسيراً لآل محمّد ﷺ. قال: سئل الشافعيّ: من «آل محمّد»؟ فقال: «إن لم يكن عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين، فوالله، لا أعلم من هم!»^١.

إنّها فريدة شهد بها إمام فقيه و خبير بصير، فضلاً عن كونه عربياً في الصميم.. و يحمل في طيّه ولاءً صادقاً لآل بيت الرسول ﷺ. و هو القائل:

يا آل بيت رسول الله، حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم من لا يصليّ عليكم لا صلاة له^٢

قال ابن النديم: كان الشافعيّ شديداً في التشيع. و ذكر له رجل يوماً مسألة، فأجاب فيها. فقال له الرجل: خالفت في ذلك عليّ بن أبي طالب ؑ! فاستغرب الشافعيّ ذلك و قال له: ثبتّ لي هذا عن عليّ بن أبي طالب، حتّى أضع خديّ على التراب و أقول: قد أخطأتُ و أرجعُ عن قوليّ إلى قوله..

و حضر ذات يوم مجلساً فيه بعض الطالبين، فقال: لا أتكلّم في مجلس بحضرة أحدهم، هم أحقّ بالكلام، و لهم الرئاسة و الفضل..^٣

إلى غيرها من مآثر تدلّك على شدّة ولاء الرجل لهذا البيت الرفيع!^٤



١. نهج البيان، ج ١، ص ١٣٥، ذيل الآية ٤٩ من سورة البقرة.

٢. برواية ابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة، ص ٨٨، باب ١١، فصل ١، ذيل الآية ٥٦ من سورة الأحزاب.

٣. الفهرست لابن النديم، ص ٣٠٩ (في أخبار الشافعيّ و أصحابه).

٤. راجع: أبياته في مدبّح آل البيت، الكنى و الألقاب، ج ٢، ص ٣٤٧-٣٥٠؛ الصواعق المحرقة، ص ٧٩ و ٨٨.

ومنها: ما رواه عن حبر الأمة عبد الله بن عباس، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^١. قال: هم آل محمد عليهم السلام^٢.

وهكذا ذكر عند تفسير الآية من سورة آل عمران.. قال: قال ابن عباس: هم النبي وآله الطاهرون. قال: وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام^٣.

وتفسير الراسخين في العلم - هنا - بآل محمد - اختصاصاً بهم - مما تفرّد الشيباني بروايته عن ابن عباس.. وأكرم به من مفسر قدير..

والشيباني في حديثه صدوق، ومن ثمّ رتب عليه قوله: وهذا السيد العالم الحبر، وقوله حجة في التفسير... بإجماع.. لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا له قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»^٤.

قال: وكذا أتت عليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «كنيف ملئ علماً»^٥.



وهذا الحديث أيضاً مما تفرّد بنقله الشيباني ولم يُعهد في غير هذا الكتاب. إذ المأثور أنّه قول عمر بشأن ابن مسعود. كما في طبقات ابن سعد (ج ٣، ص ١٥٦) والاستيعاب (ج ٢، ص ٣١٥).

لكن رتبة الكلام تحاكي كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. و مناسبتة تلوح بلامح ابن عباس، العلم الحبر الجهبذي.

١٩. تفسير الخازن (باب التأويل في معاني التنزيل)

هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيعي^٦ البغدادي^٧. (٦٧٨-٧٤١ هـ).

١. آل عمران (٣): ٧.

٢. نهج البيان (المقدمة)، ج ١، ص ١٠.

٣. المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٤.

٤. رواه عبد الله بن عمر (الإصابة، ج ٢، ص ٣٢٢).

٥. نهج البيان، ج ١، ص ١١. الكنيف مصنّف الكنف: وعاء يكون فيه متاع التاجر أو الراعي.

٦. بالحاء المهملة، نسبة إلى بلدة اسمها «شيحة» من أعمال حلب.

٧. كانت ولادته ببغداد وسمع بها.

الشافعي، الصوفي المشتهر بالخازن، لأنه كان خازن كتب خانقاه السميائية بدمشق. ولد ببغداد وسمع بها من ابن الدواليبي وقدم دمشق فسمع من ابن المظفر. قال ابن قاضي شهبة: كان من أهل العلم، جمع و ألف و خلف كتباً جمّة في فنون مختلفة، و من أهمّها التفسير الذي اختصره من تفسير البغوي، و ضمّ إليه ما نقله و لخصه من سائر التفاسير، و ليس له - كما يقول - سوى النقل و الانتخاب، مع حذف الأسانيد و تجنّب التطويل و الإسهاب.

يقول هو عن تفسيره: «و لما كان كتاب معالم التنزيل الذي صنّفه الشيخ الجليل أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي من أجلّ المصنّفات في علم التفسير.. أحببت أن أنتخب من غرر فوائده و درر فرائده و زواهر نصوصه و جواهر فصوصه. مختصراً جامعاً لمعاني التفسير و لباب التأويل، حاوياً لخلاصة منقوله، متضمناً لنكته و أصوله، مع فوائد نقلتها و لخصتها من سائر التفاسير، و لم أجعل لنفسي تصرفاً سوى النقل و الانتخاب.. و حذف الأسانيد لأنه أقرب إلى تحصيل المراد..»

غير أنه يتوسّع في الإسرائيليات ينقلها من كتب متفرقة^١ و لا ينقدها كما ينقدها خلفه ابن كثير. كما يسهب في سرد قضايا تاريخية بكلّ مناسبة مهما كانت ضئيلة^٢، و لا حاجة إلى الإسهاب..

و هو باعتبار كونه فقيهاً، يُعنى جداً بالناحية الفقهيّة و يستطرد في ذكر المذاهب و دلائلهم، و يتعرّض لفروع كثيرة ممّا لا يُهتمّ به في مجال التفسير^٣. أمّا عنايته بالمواعظ و الأخلاق، فكثيراً ما يتعرّض للمواعظ الرقاق و يسوق أحاديث في الترغيب و التهيب^٤. و لعلّ نزعتة الصوفيّة دعته إلى ذلك و استطرد فيه.

نعم، كانت شهرته القصصيّة و سمعته الإسرائيليّة الأسطوريّة، هي التي جرّت عليه

١. راجع: الآيات ٢١-٢٤ من سورة ص، يسرد قصصاً هي أشبه بالخرافات. و الآية ١٠ من سورة الكهف يذكر الفضّة في غاية الطول و الغرابة، و لا يعقبها.

٢. راجع: الآية ٩ من سورة الأحزاب. و كذا الآية ٢٧ من نفس السورة.

٣. راجع: الآيات ٢٢٦-٢٢٩ من سورة البقرة و كذا آية الطهار في أول سورة المجادلة.

٤. راجع: الآية ١٦ من سورة السجدة..

الويل، وأبعده عن ساحة العلماء إلى ساحة الغوغاء من العوام^١.

٢٠. تفسير ابن كثير

هو أبو الفداء الحافظ عماد الدين، إسماعيل بن عمرو بن كثير، الدمشقيّ الفقيه المؤرّخ الشافعيّ أخذ عن ابن تيميّة، وشغف بحبّه، وامتحن بسببه. قال ابن شهبة في طبقاته: إنّه كانت له خصوصيّة بابن تيميّة، ومناضلة عنه، واتباع له في كثير من آرائه. وكان يُفتي برأيه في مسألة الطلاق، وامتحن بسبب ذلك وأوذى. توفيّ سنة (٧٧٤ هـ)، ودُفن بمقبرة الصوفيّة عند شيخه ابن تيميّة. وكان قد كُفّ بصره في آخر عمره الذي ناهز السبعين. وهو صاحب التاريخ الذي سمّاه: البداية والنهاية فكان مؤرّخاً مفسّراً كابن جرير الطبري.

و تفسيره هذا من أشهر ما دُوّن في التفسير المأثور، بل من أجوده؛ حيث اعتنى فيه مؤلّفه بالرواية عن مفسّري السلف، ففسّر كلام الله تعالى بالأحاديث والآثار مسندةً إلى أصحابها، مع الكلام عمّا يحتاج إليه جرحاً وتعديلاً، وتقداً وتحليلاً، وقدم له بمقدّمة، تعرّض فيها لأمر لها تعلق بالقرآن وتفسيره. ولكن أغلب هذه المقدّمة مأخوذ بنصّه من كلام شيخه ابن تيميّة الذي ذكره في مقدّمته في أصول التفسير.

و يمتاز في طريقته في التفسير بأن يذكر الآية، ثمّ يفسّرها بعبارة سهلة جزلة، وإن أمكن توضيح الآية بآية أو آيات أخرى ذكرها، و قارن بينهما حتّى يتبيّن المعنى و يظهر المراد، وهو شديد العناية وكثير الإحاطة بهذا الجانب من تفسير القرآن بالقرآن، ولعلّ هذا الكتاب من أكثر ما عرف من كتب التفسير سرداً للآيات المتناسبة، ومقارنة بعضها مع البعض، لكشف المعنى المراد.

وبعد ذلك يشرع في سرد الأحاديث المرفوعة التي لها تعلق بالآية، ويبيّن ما يحتجّ به وما لا يحتجّ به منها، ثمّ يردفها بأقوال الصحابة والتابعين، و من يليهم من علماء السلف.

و نجده أحياناً يرجّح بعض الأقوال على بعض، و يضعف بعض الروايات، و يصحّح بعضاً آخر منها، و يعدل بعض الرواة، و يجرح بعضاً آخر، و هذا يرجع إلى ما كان عليه من المعرفة بأصول نقد الحديث، و معرفة أحوال الرجال.

و ممّا يمتاز به أنّه ينبّه بين حين و آخر إلى ما في التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات و الموضوعات، و يحذّر منها على وجه الإجمال تارة، و على وجه التبيين و البيان لبعض منكراتها تارة أخرى.

مثلاً، هو في قصّة هاروت و ماروت، يراها متصادمة مع ما ورد من الدلائل على عصمة الملائكة، فإن كان و لا بدّ فهو تخصيص، كما في شأن إبليس على القول بأنّه من الملائكة، ثمّ يذكر القصّة نقلاً عن الإمام أحمد في مسنده، يرفعها إلى النبيّ، لكنّه يشكّك في صحّة السند و رفعه. و أخيراً يستغربها. و يذكرها أيضاً بطريقتين آخرين و يستغربهما، و في نهاية الأمر يقول: و أقرب ما يكون في هذا أنّه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار، لا عن النبيّ، إذن فدار الحديث و رجع إلى نقل كعب الأحبار، عن كتب بني إسرائيل.

ثمّ يذكر الآثار الواردة في ذلك عن الصحابة و التابعين. و يذكر عن عليّ عليه السلام أنّه لعن الزهرة، لأنّها فتنت الملّكين. و يعقبه بقوله: و هذا أيضاً لا يصحّ و هو منكر جدّاً.

و يذكر عن ابن مسعود و ابن عباس و عن مجاهد أيضاً، ثمّ يقول: و هذا إسناد جيّد إلى عبد الله بن عمر، و أضاف: و قد تقدّم أنّه من روايته عن كعب الأحبار.

و أخيراً يقول: و قد روي في قصّة هاروت و ماروت عن جماعة من التابعين و قصّها خلق من المفسّرين من المتقدّمين و المتأخّرين، و حاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل؛ إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح، متّصل الإسناد إلى الصادق المصدّق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى^١.

انظر إلى هذا التحقيق الأنيق بشأن خرافة إسرائيلية غفل عنها أكثر المفسّرين.

و كذا في قصّة البقرة، نراه يقصّ علينا قصّة طويلة مسهبة و غريبة على ما ذكره المفسّرون و يعقبها بقوله: و هذه السياقات عن عبيدة و أبي العالية و السديّ و غيرهم، فيها اختلاف، و الظاهر أنّها مأخوذة من كتب بني إسرائيل، و هي ممّا يجوز نقلها، و لكن لا تصدّق و لا تكذّب، فلهذا لا يُعتمد عليها إلّا ما وافق الحقّ عندنا^١.

قوله: «و هي ممّا يجوز نقلها» هذا إنّما تبع في ذلك شيخه ابن تيميّة في تجويز الحديث عن بني إسرائيل، و لكن من غير تكذيب و لا تصديق. و قد تكلمنا في ذلك عند الكلام عن الإسرائيليّات، و أنّه يجب نبذها و عدم نقلها، و لا سيّما إذا كانت من الشائعات عندهم، غير مثبتة في كتبهم، و الأكثر هو من هذا القبيل.

و هكذا في تفسير سورة «ق»، يذكر عن بعض السلف أنّه جبل محيط بالأرض، ثمّ يعقبه بقوله: و كأنّ هذا - و الله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم، ممّا لا يصدّق و لا يكذّب، و عندي أنّ هذا و أمثاله و أشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم. كما افتري في هذه الأمتة - مع جلالة قدر علمائها و حفاظها و أئمتها - أحاديث عن النبيّ و ما بالعهد من قدم، فكيف بأمتة بني إسرائيل مع طول المدى و قلة الحفاظ النقاد فيهم، و شربهم للخمر، و تحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، و تبديل كتب الله و آياته. و إنّما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «حدّثوا عن بني إسرائيل و لا حرج» فيما قد يجوزّه العقل، فأما فيما تُحيله العقول و يحكم فيه بالبطلان و يغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل^٢.

٢١. تفسير الثعالبيّ (الجواهر الحسان)

هو أبو زيد عبد الرحمان بن محمّد بن مخلوف الثعالبيّ، توفّي سنة (٨٧٦ هـ). كان من الأئمة الرخّالين في طلب العلم. و طار صيته بالفضل و الزهد عن الدنيا. و أصبح آية في علم الحديث، و خلف كتباً كثيراً ألفها على نمط أهل الحديث المكثّرين.

إنه يتعرض للقراءات أحياناً، و يدخل في الصناعة النحويّة نقلاً عن غيره، و يذكر الروايات المأثور في التفسير، يذكرها بلا إسناد، و يخوض الإسرائيليّات خوفاً بلا هوادة، و فيه من آثار التعصّب الشئ الكثير. و الخلاصة: أنّ تفسيره هذا لا يوازن نظائره من تفاسير أسلافه!

٢٢. الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور

لجلال الدين أبي الفضل، عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمّد السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ). انحدر من أسرة كان مقرّها مدينة أسيوط. قيل: كانت الأسرة من أصل فارسي، كانت تعيش في بغداد، ثمّ ارتحلت إلى مصر.

كان جلال الدين من أكبر الحفاظ و الرواة، جماعاً للأحاديث، مولعاً بمطالعة الكتب و النقل عنها، و بذلك أصبح رأساً في التأليف و التصنيف، و جُلّ تأليفه ذات فوائد جمّة شريفة، ممّا يشهد بتبحّره و سعة اطلاعه.

و قد ألف السيوطي تفسيراً مبسّطاً جمع فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرجة منها، ثمّ اختصره بحذف الأسانيد، و هو المعروف اليوم بـ«الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور». يقول هو:

فلما آلفت كتاب ترجمان القرآن و هو التفسير المسند عن رسول الله ﷺ و أصحابه، و تمّ بحمد الله في مجلّدات. فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها، رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله، و رغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث، دون الإسناد و تطويله، فلخصت منه هذا المختصر، مقتصراً فيه على متن الأثر، مصدرّاً بالعزو و التخريج إلى كلّ كتاب معتبر، و سمّيته بـ«الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور»^١.

و كان قد شرع في تفسير أبسط و أوسع، جامع بين فنون الكلام و أنواع التفسير، لكنّه لم يُعرف إتمامه. يقول عنه: و قد شرعت في تفسير جامع لجميع ما يحتاج إليه من

التفسير المنقولة، والأقوال المقولة والاستنباطات والإشارات والأعاريب واللغات ونكت البلاغة ومحاسن البدائع وغير ذلك؛ بحيث لا يحتاج معه إلى غيره أصلاً، وسميته بـ«مجمع البحرين و مطلع البدرين». وهو الذي جعلت هذا الكتاب الإبتقان مقدّمة له. والله أسأل أن يعين على إكماله بمحمّد وآله!

وقد اقتصر المؤلف في الدرّ المستور على مجرّد ذكر الروايات ذيل كلّ آية، بلا أن يتكلّم فيها أو يرجّح أو ينقد أو يمحّص. فهذا التفسير فريد في باب، من حيث الاقتصار على نقل الآثار، وتوسّعه في ذلك. ومع ذلك فإنّه لم يتحرّ الصحة، وإنّما جمع بين الغث والسمين، وأورد فيه الكثير من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعية، عن لسان الأئمّة السلف. ومن ثمّ فإنّ الأخذ منه يحتاج إلى إمعان نظر ودقّة وتمييز.

٢٣. منهج الصادقين

هو المولى فتح الله بن المولى شكر الله الكاشانيّ (ت ٩٨٨ هـ). فقيه متكلم مفسّر، جليل عظيم القدر، من أعيان العلماء على عهد السلطان طهماسب الصفويّ. ولد ببلدة كاشان، وانتقل إلى أصفهان وتلقّى العلم لدى المفسّر الكبير عليّ بن الحسن الأصفهانيّ الزواريّ صاحب التفسير المعروف باسمه. وأخذ عنه العلم الأوحديّ الشيخ عليّ بن عبد العالي الكركيّ. وكانت وفاته بكشمير في رحلته هناك.

له تفسير وجيز كتبه بالعربيّة باسم زبدة التفسير. وهذا التفسير كتبه باللغة الفارسيّة بالتماس كبراء الدولة البهيّة، وذلك ردّاً لفعل سابق في هذا المجال: كان الواعظ السبزواريّ كمال الدين الحسين بن عليّ المعروف بالكاشفيّ (ت ٩١٠ هـ). العائش على عهد التيموريّة وفي ظلّ ملكهم، كتب تفسيره المواهب العلية على طريقة الجماعة، من

١. الإبتقان، ج ٤، ص ٢١٣-٢١٤.

٢. أوعز الشاه عباس الثاني الصفويّ، إلى المولى محسن الفيض الكاشانيّ (ت ١٠٩١ هـ). أن يتعاهد هذا الأثر و يعدّ له وفق مذهب آل البيت، و سماء توير المواهب. و تفسير الكاشفيّ - بنصّه الفارسيّ - طبع في الهند و باكستان و أخيراً في إيران بتحقيق الأستاذ جلالّي النائينيّ و تمّ طبعه في طهران سنة ١٣١٧ هـ.

غير تعرّض لأحاديث أهل البيت عليهم السلام.

فعمد المولى فتح الله و شيخه الزواريّ إلى تعديل هذا الأثر، على مذهب أهل البيت. فشرحاه و استدركا ما فاته من أحاديث الأئمة من آل البيت.

فكانت حصيلة تلك الجهود و المحاولات أن ظهر إلى الوجود تفسير كامل و جامع، شامل لمناحي الكلام، و هو تفسير مستقلّ كبير باللغة الفارسيّة، حظي بحفاوة و إجلال منذ ذلك العهد و لا يزال.. و هذا التفسير قد تأثر كثيراً بتفاسير أعظم القدماء و أهمّها تفسير أبي الفتوح الرازيّ رَوْضِ الْجَنانِ و دَوْحِ الْجَنانِ.

و هكذا اعتمد على تفسير عرفانيّ جليل كشف الأسرار للميديّ. و الكشاف للزمخريّ و البيضاويّ.. مضافاً إليه أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

يقول المؤلف في المقدمة: «... بعد أن قرأت التفاسير، فارسيّها و عربيّها، و كتب التاريخ و الحديث، و عالجت الكلام و الأصول و الفقه، عزمت أن أكتب تفسيراً جامعاً شتملاً على حلّ المعاني، وفق القراءات السبعة المشهورة، لا غيرها، و أن تعرّض للصحيح من أسباب النزول، و أحاديث سيّد البريّة و عترته الطيّبين، و أردفها بقصص الأنبياء و الأمم السالفة ما صحّ منها...».

منهجه في التفسير

طريقته في التفسير أن يبدأ باسم السورة و معناها و بيان مكّيّها و مدنيّها و ثواب قراءتها، ثمّ يترجم الآية و يعقبها بذكر المعنى اللغويّ و وجوه الإعراب و البلاغة و تناسب الآي و السور. و تعرّض للقراءات السبعة و لا يتعدّها إلى الشواذ. و يذكر أسباب النزول و ما ورد من أحاديث الرسول و الأئمة من عترته عليهم السلام و يذكر الآثار المنقولة بشأن الأنبياء و الأمم السالفة، و تعرّض للمسائل الفقهيّة المستنبطة من الآية بالمناسبة، و هكذا بيان مناقب العترة إن أفسح المجال..

قال العلامة الشعرانيّ في تقديمه للكتاب:

« كان المفسر في الغالب متأثراً بتفسير البيضاوي و ينقل عن الكشاف و عن مجمع البيان فيما يخص القصص و الآثار. كما اعتمد على تفاسير أخرى كالتيان للطوسي و روض الجنان لأبي الفتوح الرازي و جلاء الأذهان للغازر و غيرهم^١. »

و يتعرّض للمسائل الفقهيّة و يناقش الأقوال فيها، مناقشة موضوعيّة حرّة، من غير ما تعصّب أو تمسّف في الرأي.. و هكذا موقفه في المسائل العقديّة، و يتوسّع فيها حسب مقتضى الحال بإيجاز و إيفاء.

كما أنّه عند ما يتعرّض للإسرائيليات نراه أحياناً ينبّه على موضع سخافتها و منافرتها مع بدهة العقول..

و من ثمّ فهو تفسير جامع و كافل لمناحي البحث و التحقيق في المسائل التفسيرية في أبعادها المترامية. فهو أوسع تفسير ظهر إلى الوجود باللغة الفارسيّة المرنة، على عهد الصفويّ الزاهر.

و هو تفسير جيّد جميل يحتوي على آراء من سبقه من أعلام الأئمّة و وجوه الطائفة، مستقصى مستوفى، يغني المراجع عن مراجعة المتفرقات..

و هذا التفسير طبع عدّة طبعات في تبريز و طهران. و طبع بتحقيق الدكتور الغفاريّ و تقديم و تعليق المرتضويّ عام ١٣٨٥ ق و أيضاً بتحقيق و تقديم العلامة أبي الحسن الشعرانيّ عام ١٣٨٦ ق في عشر مجلّدات.

و للمفسر تفسير آخر باللغة العربيّة زبدة التفاسير في عشر مجلّدات أيضاً، كتبه بعد ما أتمّ تفسيره الفارسيّ. و هو في متناول الطبع أيضاً.

٢٤. تفسير الصافي

للمولى محسن محمّد بن المرتضى المعروف بالفيض الكاشانيّ، المتوفّي (١٠٩١ هـ). هو المحدث الفقيه و الفيلسوف العارف، ولد بكاشان و نشأ بها نشأة علميّة راقية،

له تفسير كبير و متوسط و موجز، و سُمّيت على الترتيب بـ «الصافي و الأصفي و المصفي».

يعتبر تفسيره هذا مزجاً من الرواية و الدراية، تفسيراً شاملاً لجميع آي القرآن، و قد اعتمد المؤلف في نقل عباراته على تفسير البيضاوي، ثم على نصوص الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت.

و قدّم لتفسيره مقدّمة تشتمل على اثني عشر فصلاً، بحث فيها عن مختلف شؤون القرآن و فضله و تلاوته و تفسيره و تأويله.

و تُعتبر هذه المقدّمة من أحسن المقدّمات التفسيرية، التي أوضح فيها المؤلف مواضع أهل التفسير في النقل و الاعتماد على الرأي، و ما يجب توفّره لدى المفسّر عند تفسيره للقرآن، من مؤهّلات ضرورية.

و هذه الفصول سهاهن مقدّمات: كانت المقدّمة الأولى - بعد الدياجة - في نقل ما جاء في فضل القرآن، و الوصية بالتمسك به. و الثانية في أنّ علم القرآن كلّه عند أهل البيت عليهم السلام، هم يعلمون ظاهر القرآن و باطنه، علماً شاملاً لجميع آي القرآن الكريم. و الثالثة في أنّ جُلّ القرآن و ارد بشأن أولياء الله و معاداة أعداء الله. و الرابعة في بيان وجوه معاني الآيات من التفسير و التأويل، و الظهر و البطن، و المحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و غير ذلك. و الخامسة في المنع من التفسير بالرأي و بيان المراد منه. و السادسة في صيانة القرآن من التحريف. و السابعة في أنّ القرآن تبيان لكلّ شيء، فيه أصول معارف الدين، و قواعد الشرع المبين. و الثامنة في القراءات و اعتبارها. و التاسعة في نزول القرآن الدفعي و التدريجي. و العاشرة في شفاعة القرآن و ثواب تلاوته و حفظه. و الحادية عشرة في التلاوة و آدابها. و الثانية عشرة في بيان مصطلحات تفسيرية اعتمدها المؤلف في الكتاب.

و هذا التفسير - على جملة - من نفائس التفاسير الجامعة لجُلّ المرويّات عن أئمة أهل البيت إن تفسيراً أو تأويلاً. و إن كان فيه بعض الخلط بين الغثّ و السمين.

منهجه في التفسير

يعتمد اللغة أولاً، ثم الأعراب أحياناً، و بعد ذلك يتعرّض للمأثور من روايات أهل البيت عليهم السلام، معتمداً على تفسير القمّيّ والعيّاشيّ، و غيرها من كتب الحديث المعروفة. لكنّه لا يتحرّى الصحّة في النقل، و يتخلّى بنفسه لمجرّد ذكر مصدر الحديث، الأمر الذي يؤخذ عليه؛ حيث في بعض الأحيان نراه يذكر الحديث، و كان ظاهره الاعتماد عليه، ممّا يوجب إغراء الجاهل، فيظنّه تفسيراً قطعياً للآية الكريمة، و فيه من الإسرائيليات و الروايات الضعاف الشيء الكثير.

وله في بعض الأحيان بيانات عرفانيّة قد تشبه تأويلات غير متلائمة مع ظاهر النصّ، بل و مع دليل العقل و الفطرة.

مثلاً نراه عندما يذكر قصّة هاروت و ماروت - حسب الروايات الإسرائيليّة - و تبعاً لما ذكره البيضاويّ في تفسيره: أنّهما شربا الخمر و سجدا للصنم و زنيا، نراه يؤوّل ذلك تأويلاً غريباً، يقول: لعلّ المراد بالملكين: الروح و القلب، فإنّهما من العالم الروحانيّ، أهبّطا إلى العالم الجسمانيّ، لإقامة الحقّ، فافتتنا بزهره الحياة الدنيا، و وقعا في شبكة الشهوة، فشربا خمر الغفلة، و عبدا صنم الهوى، و قتلا عقلهما الناصح لهما، بمنع تغذيته بالعلم و التقوى، و محو أثر نصحه عن أنفسهما، و تهيتاً للزنى يبغي الدنيا الدنيّة التي تلي تربية النشاط و الطرب فيها الكوكب المسمّى بزهره، فهربت الدنيا منهما و فاتتهما، لمّا كان من عاداتها أن تهرب من طالبيها؛ لأنّها متاع الغرور، و بقي إشراق حسنهما في موضع مرتفع؛ بحيث لا تتألها أيدي طلابها، ما دامت الزهرة باقية في السماء. و حملهما حبها في قلبهما إلى أن وضعا طرائق من السحر، و هو ما لطف مأخذه و دقّ، فخيّرا للتخلّص منهما، فاختارا بعد التنبّه و عود العقل إليهما أهون العذابين، ثمّ رُفعا إلى البرزخ مُعدّيين، و رأسهما بعدُ إلى أسفل، إلى يوم القيامة^١.

و لقد كان الأجدر به - و هو الفقيه النابه المحقق - أن ينبذ تلكم الروايات الإسرائيلية المشوّهة، حتّى و لو كانت بصورة الرواية عن أهل البيت افتراءً عليهم، كان الأجدر به أن يتركها دون ارتكاب التأويل.

* * *

أمّا تفسير الأوسط الأصفى فهو منتقاة من تفسيره الكبير الصافي و ملخّص فيه بإيجاز و إيفاء. و قد احتوى على أمّهات المسائل التفسيرية في أوفى بيان الأمر الذي ينبؤك عن قدرة المؤلّف في التأدية و البيان، و الجمع بين الرواية و الدراية و الوصول إلى الهدف الأقصى في أقرب مسير و أقصر خطوات ممكنة. و على الجملة فهذا التفسير يعدّ من أجمل التفاسير الموجزة و أوفاهها بحقيقة المراد.

* * *

و التفسير الوجيز المصنّف هو خلاصة الخلاصات، الموفية بأقصى المرادات في أقصر خطى و أقرب المسافات. و هو تفسير جدّ جميل، يصلح رفيقاً في الحلّ و الترحال و شفيقاً في جميع الأحوال.. فله درّ مؤلّفه من علامة خبير و فهامة بصير.. و التفاسير الثلاثة محظية بالطبع و النشر و تداولتها المحققون العلماء في حفاوة و تبجيل في كلّ الأصقاع و البلدان..

٢٥. تفسير البحرانيّ (البرهان)

هو السيّد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسينيّ البحرانيّ الكتكانيّ. و هي قرية من قرى توبلى من أعمال البحرين توفّي سنة (١١٠٧ هـ). كان من المحدّثين الأفاضل متتبّعاً للأخبار جماعاً للأحاديث، من غير أن يتكلّم فيها بجرح أو تعديل، أو تأويل ما يخالف العقل أو النقل الصريح، كما هو دأب أكثر الأخباريين المتطرّفين.

و في تفسيره هذا يعتمد كتباً لا اعتبار بها أمثال: التفسير المنسوب إلى الإمام العسكريّ (عليه السلام) الذي هو من صنع أبي يعقوب يوسف بن محمّد بن زياد، و أبي الحسن عليّ

ابن محمد بن سيّار، الأسترآباديين و لم يُعلم وجه انتسابه إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام و التفسير المنسوب إلى عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّيّ و هو من صنع أبي الفضل العباس بن محمد العلويّ، و نسب إلى القمّيّ من غير وجه وجيه و كتاب الاحتجاج المنسوب إلى الطبرسيّ و لم يعرف لحدّ الآن و كتاب سليم بن قيس الهلاليّ، المدسوس فيه، و غير ذلك من كتب لا اعتبار فيها، فضلاً عن ضعف الإسناد أو الإرسال في أكثر الأحاديث التي ينقلها من هذه الكتب.

و ممّا يؤخذ على هذا التفسير أنّه يُسند القول في التفسير إلى الإمام المعصوم، إسناداً رأساً، في حين أنّه وجده في كتاب منسوب إليه صرفاً، مثلاً يقول: قال الإمام أبو محمد العسكريّ في تفسير الآية كذا وكذا، الأمر الذي ترفضه شريعة الاحتياط في الدين^١. و هذا التفسير غير جامع للآيات، وإنّما تعرّض لآيات جاء في ذيلها حديث، و لو في شطر كلمة. و من ثمّ فهو تفسير غير كامل، فضلاً عن ضعف الأسانيد و إرسالها، و هن غالبية الكتب التي اعتمدها، كما هو خال عن أيّ ترجيح أو تأويل، عند مختلف الروايات، و لدى تعارض بعضها مع بعض.

منهجه في التفسير

بدأ المؤلّف بمقدّمة يذكر فيها فضل العلم و المتعلّم، و فضل القرآن، و حديث الثقلين، و النهي عن تفسير القرآن بالرأي، و إنّ للقرآن ظاهراً و باطناً، و أنّه مشتمل على أقسام من الكلام، و ما إلى ذلك.

و يبدأ التفسير بعد المقدّمات بمطلع جاء في مقدّمة التفسير المنسوب إلى عليّ بن إبراهيم القمّيّ، من ذكر أنواع الآيات و صنوفها، حسبما جاء في التفسير المنسوب إلى محمد بن إبراهيم النعمانيّ، و هي رسالة مجهولة النسب لم يُعرف مؤلّفها لحدّ الآن. و بعد ذلك يرد في تفسير الآيات حسب ترتيب السور فيذكر الآية أولاً ثمّ يعقبها بما

ورد في شأنها من حديث مأثور عن أحد الأئمة المعصومين، من غير ملاحظة ضعف السند أو قوّته، أو صحّة المتن أو سقمه.

نعم، لا يعني ذلك أنّ الكتاب ساقط كلّّه، بل فيه من الأحاديث الغرر والكلمات الدرر، الصادرة عن أهل بيت الهدى ومصايح الدجى، ما يُروى الغليل ويشفي العليل. والكتاب بحاجة إلى تمحيص و نقد و تحقيق، ليمتاز سليمة عن السقيم، و الصحيح المقبول عن الضعيف الموهون.

فالكتاب بمجموعته موسوعة فريدة، جمعت في طيّها الآثار الكريمة التي زخرت بها ينابيع العلم و الهدى، يجدها الباحث اللبيب عند البحث و التنقيب، في هذا التأليف الذي جمع بين الغثّ و السمين.

٢٦. تفسير الحويّزي (نور الثقلين)

تأليف عبد عليّ بن جمعة العروسيّ الحويّزيّ، من محدّثي القرن الحادي عشر، المتوفّي سنة (١١١٢ هـ). كان على مشرب الأخباريّة، كان محدّثاً فقيهاً، و شاعراً أديباً جامعاً. سكن شيراز و حدّث بها، و تتلمذ على يديه جماعة، منهم السيّد نعمة الله الجزائريّ، و غيره.

إنّه جمع ما عثر عليه من روايات معزّوة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام ممّا يرتبط نحو ارتباط بأيّ الذكر الحكيم، تفسيراً أو تأويلاً، أو استشهاداً أو تأييداً. و في الأغلب لا مساس ذاتياً للحديث مع الآية في صلب مفهومها أو دلالتها، و إنّما تعرّض لها بالعرض لغرض الاستشهاد، و نحو ذلك، هذا فضلاً عن ضعف الأسانيد أو إرسالها إلّا القليل المنقول من المجامع الحديثيّة المعتمدة.

وهو لا يستوعب جمع أي القرآن، كما أنّه لا يذكر النصّ القرآنيّ، سوى سرده للروايات تبعاً، حسب ترتيب الآيات و السور. و لا يتعرّض لنقد الروايات و لا علاج معارضاتها. يقول المؤلّف في المقدّمة: «و أمّا ما نقلت ممّا ظاهره يخالف لإجماع الطائفة فلم أقصد

به بيان اعتقاد ولا عمل، وإتّما أوردته ليعلم الناظر المطلع كيف نقل و عمّن نقل، ليطلب له من التوجيه ما يخرج من ذلك، مع أنّي لم أخل موضعاً من تلك المواضع عن نقل ما يضافه، ويكون عليه المعوّل في الكشف والإبداء»^١.

وبذلك يتخلّص بنفسه عن مأزق تبعات ما أوردته في كتابه من مناقضات ومخالفات صريحة، مع أسس قواعد المذهب الحنيف، و يوكل النظر والتحقيق في ذلك إلى عاتق القارئ.

ونحن نرى أنّه قصّر في ذلك؛ إذ كان من وظيفته الإعلام والبيان لمواضع الإبهام والإجمال، كما فعله المجلسي العظيم في بحار أنواره؛ إذ رُبَّ رواية أوهنت من شأن الدين فلا ينبغي السكوت عليها والمرور عليها مرور الكرام، ممّا فيه إغراء الجاهلين أحياناً، أو ضعفة عقيدة بالنسبة إلى مقام أئمة أهل البيت عليهم السلام فلم يكن ينبغي نقل الرواية وتركها على عواهنها، الأمر الذي أوجب مشاكل في عقائد المسلمين.

من ذلك أنّه يذكر في ذيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾^٢ رواية مشوّهة موهونة، وينسبها إلى الإمام الصادق عليه السلام: «فالبعوضة: أمير المؤمنين، وما فوقها: رسول الله»^٣.

كما أنّه ينقل أخباراً مشتملة على الغلوّ والوهن بشأن الأئمة. ويسترسل في نقل الإسرائيليات والموضوعات كما في قصّة هاروت وماروت، وأنّ الزهرة كانت امرأة فمسخت، وأنّ الملكين زنيا بها. ونحو ذلك من الأساطير الإسرائيلىة والأكاذيب الفاضحة^٤، ملأ بها كتابه، وشحنه شحناً بلا هوادة.

منهجه في التفسير

نعم، إنّه يسرد الروايات سرداً تبعاً من غير هوادة، يذكر الرواية تلو الأخرى أيّاً كان

٢. البقرة (٢): ٢٦.

٤. المصدر نفسه، ص ٩١.

١. نود الثقلين (المقدّمة)، ج ١، ص ٢.

٣. نود الثقلين، ج ١، ص ٣٧-٣٨.

نمطها، و في أيّ بُنية كانت صيغتها، إنّما يذكرها لأنّها رواية تعرّضت لجانب من جوانب الآية بأيّ أشكال التعرّض.

مثلاً - في سورة النساء - يبدأ بذكر ثواب قراءتها، فيذكر رواية مرسلّة عن النبيّ ﷺ أنّ من قرأها فكانت تصدّق على كلّ من ورث ميراثاً، و لعلّ المناسبة أنّ السورة تعرّضت لأحكام الموارث، ثمّ يأتي لتفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ فيذكر رواية: أنّهم قرابة الرسول و سيّدهم أمير المؤمنين، أمروا بعمودتهم فخالقوا ما أمروا به. لم نعرف وجه المناسبة بين هذا الكلام و الآية الكريمة.

ثمّ يروي: أنّ حواء إنّما سمّيت حواء؛ لأنّها خلقت من حيّ. فلو صحّ، لكان الأولى أن يقال لها: حياً. و هكذا يروي أنّ المرأة سمّيت بذلك؛ لأنّها مخلوقة من المرء، أي الرجل، لأنّها خلقت من ضلع آدم. ثمّ يناقض ذلك بذكر رواية تنفي أن تكون خلقت من ضلع آدم، بل إنّها خلقت من فاضل طينته.

في حين أنّ الصحيح في فهم الآية: أنّ حواء خلقت من جنس آدم ليسكن إليها، كما في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾^٢. و يذكر: أنّ النساء إنّما سُمّين نساء؛ لأنّ آدم أنس بحواء، فلو كان كذلك لكان الأولى أن يقال لهنّ: «أنساء».

و يتعرّض بعد ذلك لكيفيّة تزاوج وُلد آدم، و ينفي أن يكون قد تزوّج الذكر من كلّ بطن مع الأنثى من بطن آخر؛ لأنّ ذلك مستنكر حتّى عند البهائم. و بلغه أنّ بهيمة تنكرت له أخته فنزا عليها، فلما كشف عنها أنّها أختها قطع غرموله^٣ بأسنانه و خرّ ميئاً.

و هكذا يذكر الروايات تبعاً من غير نظر في الأسناد و المتون، و لا مقارنتها مع أصول المذهب أو دلالة العقول.

و نحن نجلّ مقام الأئمّة المعصومين عن الإفادة بمثل هذه التافهات الصبيانيّة، التي

٢. الروم (٣٠): ٢١.

١. النساء (٤): ١.

٣. الغرمول: الذكّر.

تحطّ من مقامهم الرفيع، فضلاً عن منافاتها مع رفعة شأن القرآن الكريم. نعم، قد يوجد خلال هذه التافهات بعض الكلام المتين؛ إذ قد يوجد في الأسقاط ما لا يوجد في الأسفاط، لكنّه من خلط السليم بالسقيم، الذي يتحاشاه أئمة أهل البيت عليهم السلام.

٢٧. تفسير المشهديّ (كنز الدقائق و بحر الغرائب)

للميرزا^١ محمّد بن محمّد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمّيّ المعروف بالمشهديّ؛ لأنّه نشأ بمشهد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام. و تتلمذ على يد المولى محسن الفيض الكاشانيّ، و سار على منهجه في التفسير. كان فاضلاً أديباً جامعاً، و محدثاً فقيهاً علماً القرن الثاني عشر، توفيّ حدود سنة (١١٢٥ هـ).

و تفسيره هذا هو حصيلة ما سبقه من أمّهات تفاسير أصحابنا الإماميّة، جمع فيه لباب البيان و عباب التعبير أينما وجده، طيّ الكتب و التآليف السابقة عليه. فقد اختار حسن تعبير أبي سعيد الشيرازيّ البيضاويّ - كما فعله أستاذه و شيخه المقدّم المولى الفيض الكاشانيّ من قبل - كما انتخب من أسلوب الطبرسيّ في المجمع ترتيبه و تبويه، مضيفاً إليه ما استحسنه من كتّاف الزمخشريّ و حواشي العلامة الشيخ البهائيّ، فصار تأليفه مجموعة من خير الأقوال و أحسن الآثار كما صرّح هو في مقدّمة تفسيره، و حسبما جاء في تقرّظ العلامة المجلسيّ، و المحقّق الخوانساريّ على الكتاب.

قال السيّد الأمين: وجدنا من كتاب كنز الدقائق مجلداً كبيراً مخطوطاً و على ظهر النسخة تقرّظ بخطّ آقا جمال الدين الخوانساريّ قال فيه: أمّا بعد، فقد أيد الله تعالى بفضله الكامل، جناب المولى العالم العارف الأئمعيّ الفاضل، مجمع فضائل الشيم، جامع جوامع العلوم و الحكم، عالم معالم التنزيل و أنواره، عارف معارف التأويل و أسراره، حلّال كلّ شبهة عارضة، كتّاف كلّ مسألة دقيقة غامضة، الذي أحرق بشواظ طبعه الوقاد شوك الشكوك و الشبهات، و نقد بلحاظ ذهنه النقّاد نقود الأحكام الشرعيّة

المستفادة من الآيات و الروايات، أعني المكرّم بكرامة الله الأحد الصمد، مولانا ميرزا محمّد، أعانه الله في كلّ باب، و أتابه جزيل الثواب، إذ وقّعه الله لتأليف هذا الكتاب الكريم في تفسير القرآن، و جمعه من التفاسير المعتبرة، و سائر كتب الأخبار المشتهرة، فهو كاسمه كنز الدقائق و بحر الغرائب الذي يصادف بغوص النظر فيه أصداف درر الحقائق، فنع الله به الطالبين، و جعله ذخراً لمؤلّفه الفاضل يوم الدين. و أنا العبد المقتقر إلى عفو ربّه الباري، جمال الدين محمّد بن حسين الخوانساري، أعانهما الله تعالى يوم الحساب، و أوتيا فيه يمينهما الكتاب. و قد كتب ذلك في شهر محرّم الحرام من شهور سنة ١١٠٧ هـ.

و كتب المجلسي عليه أيضاً - بعد البسملة ما صورته -: لله درّ المولى الأولي الفاضل الكامل المحقّق المدقّق البدل التحرير، كشّاف دقائق المعاني بفكره الشاقب، و مخرج جواهر الحقائق برأيه الصائب، أعني الخبير الأسعد الأرشد مولانا ميرزا محمّد، مؤلّف هذا التفسير، لا زال مؤيداً بتأييدات الربّ القدير. فلقد أحسن و أتقن، و أفاد و أجاد فسّر الآيات البيّنات بالآثار المرويّة عن الأنمّة الأطياب، فامتاز من القشر اللباب، و جمع بين السنّة و الكتاب، و بذل جهده في استخراج ما تعلقّ بذلك من الأخبار، و ضمّ إليها لطائف المعاني و الأسرار، جزاه الله عن الإيمان و أهله خير جزاء المحسنين، و حشره مع الأنمّة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين. كتب يميناه الوازرة الدائرة أفقر العباد إلى عفو ربّه الغنيّ محمّد باقر بن محمّد تقيّ، أوتيا كتابهما يمينهما، و حوسبا حساباً يسيراً، في يوم عيد الغدير المبارك من سنة ألف و مائة و اثنتين، و الحمد لله أولاً و آخراً، و الصلاة على سيّد المرسلين محمّد و عترته الأكرمين الأطهرين^١.

و من هذين التقريظين من هذين العلمين تعرف قيمة هذا التفسير و محلّه الأرقى من التحقيق و الجمع و التدقيق. كما يبدو منهما جلالة مؤلّفه و مكانته السامية من العلم

والأدب والفضيلة. والأمر كذلك بعد مراجعة التفسير نفسه فإنه ﷺ وإن جهد في مراجعة أمهات كتب التفسير والحديث مضافاً إلى الأدب والبيان، لكنّه بفضل تضلّعه في فنون الأدب واللغة والفقه والتفسير والحديث والكلام والحكمة المتعالية نراه قد أخذ ولكن أخذ تحقيق، ونقل ولكن نقل تمحيص، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^١ وهذا هو عين التحقيق وليس تقليداً مقيماً كما زعم.

وعليه فبحق أقول: إنّ هذا التفسير جامع كامل وكاف شاف، يغني عناء مراجعة كثير من التفاسير المعتمدة بعد هذا الغناء والكفاية، فله در مؤلفه وجزاه الله عن الإسلام والقرآن خير جزاء.

وإليك ما ذكره العلامة المتتبع الشيخ آغا بزرك الطهراني بشأن هذا التفسير، قال: وهذا التفسير مقصور على ما ورد عن أهل البيت ﷺ نظير تفسير نور الثقلين لكنّه أحسن منه بجهات: لذكره الأسانيد وبيان ربط الآيات وذكر الإعراب، وكأنّه مقتبس منه لكنّه بزيادات فصار أكبر حجماً. وقد يتكلّم بما هو مخالف لما في نور الثقلين^٢.

وقال المحقق النوري: هو من أحسن التفاسير وأجمعها وأتمها. وهو أنفع من الصافي ونور الثقلين^٣.

وذلك لأنّ هذا التفسير قد جمع بين الرواية والدراية، أمّا الرواية فأتقنها، وأمّا الدراية فحققتها بدقّة نظر وحدّة بصر، وبذلك قد امتاز على سائر التفاسير الأثرية التي كانت دارجة لذلك العهد.. فجاء أدقّ التفاسير الأثرية رواية وأعمقها دراية.

وبحقّ - كما لم يسبقه نظير - لم يلحقه بديل، فيما وصلنا من تفاسير معتمدة على النقل والعقل معاً.. وقد ضمّ إليهما مباحث أدبيّة وأخرى كلاميّة وأحياناً عرفانيّة، ولكن من النمط الأعلى..

ومن ثمّ فقد فاق الجميع وحاز القدرح المعلن في ذلك المضمار الرهيب.

٢. اللذريعة لأغا بزرك الطهراني، ج ١٨، ص ١٥٢.

١. الزمر (٣٩): ١٨.

٣. الفيض القدسي للمحقق النوري، ص ١٠٠.

و الخلاصة: كان لهذا التفسير مكانته في الجمع بين الرواية و الدراية، و إعطاء صورة واضحة للتفسير عند الإمامية، و يشتمل على ما في كتب التفسير من اللغة و الإعراب و البيان، بشكل موجز رائع.

فهو تفسير جامع شامل لجوانب عدّة من الكلام، حول تفسير آي القرآن، الأمر الذي جعله فذّاً في بابهِ، و فرداً في أسلوبه، و ممتازاً على تفاسير جاءت إلى عرصة الوجود، ذلك العهد.



أمّا موقفه من الإسرائيليات و الموضوعات فهو موضع الردّ و الاجتناب عنها، دون ذكر التفصيل، مثلاً يذكر في قصّة هاروت و ماروت ما يفنّدها؛ حيث يقول: و ما روي أنّهما مثلاً بشرين و ركب فيهما الشهوة... فمحكي عن اليهود.

و أمّا موضعه من مسألة التحريف فموضع مُشرف، و وقف صموداً مدافعاً عن قدسيّة القرآن الكريم، و رفض احتمال كلّ تحريف فيه، سواء بزيادة أم بنقيصة أم بغير ذلك، رفضاً باتاً - على خلاف ما سلكه الحشويّة و الأخباريون في هذا المجال - فوقف وقفته الحازمة تبعاً للمحقّقين من علماء الطائفة الأعلام..

قال - ذيل الآية ٩ من سورة الحجر -: قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ ردّ لإنكارهم و استهزائهم. و لذلك أكّده من وجوه و قرّره بقوله: ﴿وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي من التحريف و الزيادة و النقص، بأن جعلناه معجزاً مبيناً لكلام البشر، بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان، أو نفى تطرّق الخلل إليه، في الدوام بضمان الحفظ له، كما نفى أن يطعن فيه بأنّه المنزل له..^١

و الكتاب أخرج إلى الطباعة، بعد أن مرّ عليه عهد طويل كان تابعاً في زاوية الخمول. فكانت طبعاته جيّدة لولا اختلاف النسخ، و يرجى رفعه بعد حين إن شاء الله تعالى.

٢٨. تفسير شُبْر (الكبير والوسيط والوجيز)

هو الشريف السيد عبد الله بن محمد رضا العلوي الحسيني من آل شبر (أسرة علوية يتصل نسبها بالإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام من أعرق الأسر العراقية) أسرة علمية مشتهرة بالعلم والفضيلة^١. ولد في النجف الأشرف سنة (١١٨٨ هـ). وانتقل بصحبة والده إلى بلدة الكاظميين وكان بها حتى وافته المنية سنة (١٢٤٢ هـ). كان من مشاهير العلماء الذين لهم الصيت الذائع في الفنون الإسلامية، فهو إلى جنب فقاوته التي هي الأصل في ثقافته، معروف بالتبحر في التفسير والحديث والكلام وغيرها. وله في كل هذه المناحي مؤلفات شائعة هي في الطليعة من مؤلفات مشاهير العلماء. له كتاب جامع المعارف والأحكام، ما يوازي كتاب بحار الأنوار للمجلسي العظيم. وكتاب مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار، جاء فيه من درر الأفكار وغرر الأقطار، ما يكشف النقاب عن وجه كثير من خبيثات الآثار، وهو تصنيف جيد لطيف قلما يوجد نظيره في مصنّفات الأصحاب. وغيرهما من آثار علمية^٢ جيّدة جميلة إلى حد بعيد..

ومن أهمّها وأنفعها تفاسيره الثلاثة: الكبير والوسيط والوجيز..



أمّا التفسير الكبير فهو المعروف بصفوة التفاسير، لا يزال مخطوطاً، في مجلدين كبيرين، يوجد المجلد الأول منه في خزانة المخطوطات في مكتبة المرعشي بقم، والمجلد الثاني في مكتبة المجلس بطهران..

هذا التفسير يشتمل على مقدّمة في ١٦ فصلاً بحث فيها المؤلف عن مناحي مختلفة من شؤون القرآن الكريم، وهي بنفسها رسالة كبيرة جامعة لشتات علوم القرآن. والتفسير

١. وهكذا قرّظهم الساموي في منظومته:

و أسرة لشبّر الشريف
و جامع الشتات بالتصنيف
إلى علومه النقي و الورعا

و كأل فرد فاضل قد جمعا

٢. تنوف على السنين أثراً في مختلف المعارف و العلوم. (مقدّمة المصباح)

كتب بصورة مزج - و هكذا في تفسيريه الآخرين - ولعله أسهل فهماً إلى معاني الآيات. والذي يمتاز به مؤلفنا في جميع تأليفه، جودة ذوقه وحسن قريحته في كل ما يكتب، فقهاً كان أو تفسيراً أو الكلام أو شرحاً للأحاديث. فهو في كل ذلك جيد التصنيف جميل التأليف، بحيث لا يمل القارئ الأريب ولا يسأمه المطالع الأديب.. ومن ثم احتفل العلماء والأدباء وسائر الأصناف بكتب علامتنا السيد شبر رحمته الله. وهذا التفسير معتمد على الأثر ومشيع بالنقد والنظر، جمعاً بين الرواية - في إتقان - والدراية - في إحكام -..



والتفسير الوسيط الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين كتب على نمط التفسير الكبير في حجم أقل، مع مقدّمة وجيزة موفية يقول فيها: «إني بعد ما صرفت عمري وأفنيته دهري بفضل الله ومنه وتوفيقه... اشتدّ شوقي إلى تفسير الكتاب المجيد.. وكان يمنعني من ذلك قصور الباع وقلة الإطلاع في هذه الصناعة.. فرأيت بعد أن استخرت الله سبحانه، أن أحرّر تفسيراً يشير إلى جملة من النكات اللطيفة والمعاني، و تصحيح القراءة والمباني، ويشتمل على جملة من الأخبار والآثار المروية عن النبي وآله الأطهار..». وقد اعتمد في تفسيره هذا في بيان اللغة والمعاني على البيضاوي تقيلاً بالنص، مع توضيح وشرح، مدعماً بنقل أحاديث أهل البيت عليهم السلام مع رعاية الاختصار والاقتصار على حلّ مشكلات الآثار..

و في النقل اعتمد كثيراً على القميّ والمجلسي في البحار.. ولم يسرف في النقل إلّا على قدر الحاجة واقتضاء الضرورة..

و الخلاصة: إنّ تفسير الجوهر الثمين يعدّ من التفاسير المعتمدة لدى العلماء، بما حبي من الدقة والإيجاز والإيفاء، مع الإحاطة بجوانب الكلام في رعاية بالغة. وقد طبع طبعة

أنيقة و تداوله أهل التحقيق و التدقيق برحابة.. و طبع في ست مجلّدات في الكويت (مكتبة الألفين) سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م. قدّم له السيّد محمّد بحر العلوم.



و التفسير الوجيز قد حبي بحفاوة منذ عهد قديم.. فقد احتفلت به المجامع العلميّة في شتّى البلاد، لو جازته و كفاءته في الإيفاء بمعاني كلام الله في أقصر بيان و أحسن تبيان.. قال الأستاذ حامد حفيّ: و أمّا وجه هذا الحسن الذي نغنيه، فإنّه يدور حول منهج المفسّر، حيث جمع في تفسيره بين الدقّة في أداء المعنى، و الإيجاز في إرسال العبارة و تحريرها في غاية الدقّة. و لا زلنا نسمع في مجالس العلم -حتّى اليوم- إطراء العلماء بشأن تفسير الجلالين.. و إذا كنّا نؤيّدهم في هذا الحكم فإنّ تفسير العلامة السيّد شُبر، قياساً على المنهج الذي سلكه: يعتبر للمتتهين و المبتدئين، أمّا عن كونه للمتتهين، فلاّنه غاية في التركيز و الإيجاز و الحرص على إيراد مصطلحات علم التفسير. و أمّا عن كونه للمبتدئين، فلاّنه جاء في أسلوب سهل ميسّر، يجمع بين منهج التبسيط و منهج التعليل، و لا يكاد يجد الناشئ و المبتدئ مشقّة في الوقوف على معنى الآيات لما فيه من الوضوح و البيان..

و المؤلّف أشار في المقدّمة إلى كرامة بيت النبوة و أصالة معدنهم في المعارف الأخرويّة و الدنيويّة، و أنّه استقى من نورهم جواهر تفسيره.. و نحن نتصفّح هذا التفسير نلحظ بعين الفاحص المدقّق أنّ المفسّر ﷺ و قى بما وعد، و أسند جواهر تفسيره و جيّد آرائه إلى معينه الأصليّ من علوم الأئمّة الاثني عشر..^١

٢٩. فتح القدير للشوكانيّ الزيديّ

هو للعلامة محمّد بن عليّ بن عبد الله الشوكانيّ الإمام الزيديّ (١١٧٣-١٢٥٠ هـ). ولد في بلدة هجرة شوكان و نشأ في صنعاء اليمن. تربّى في حجر أبيه برعاية فائقة، و أخذ

في طلب العلم و السماع من العلماء الأعلام، و قد سُغف بمطالعة كتب التاريخ و مجاميع الأدب، و سار على هذه الطريقة ما بين مطالعة و حفظ، و ما بين سماع و تلقُّ، إلى أن صار إماماً يُعوَّل عليه و رأساً يُرحل إليه. و قد خَلَف آثاراً نافعة أهمُّها: نيل الأوطار في شرح منتهى الأخبار، و هذا الكتاب (فتح القدير) في التفسير، و قد جمع فيه بين الرواية و الدراية، و أصبح مرجعاً من مراجع التفسير و أصلاً من أصوله، و طار صيته عند العلماء. فقد توسَّع في باب الرواية، كما أجاد في باب الدراية.. و قد اعتمد في تفسيره على أبي جعفر النحاس و ابن عطية الدمشقي و ابن عطية الأندلسي و القرطبي و الزمخشري و غيرهم من أعيان المفسرين.

قال في المقدمة: فهذا التفسير و إن كبر حجمه، فقد كثر علمه، و اشتمل على ما في كتب التفسير من بدائع فوائد، مع زوائد فرائد و قواعد شوارد.. فكان لبَّ اللباب و ذخيرة الطلاب..

و هذا التفسير يعتمد على الأثر و يعقبه أحياناً بالنقد و النظر، و هو في ذلك متأرجح بين المذاهب في الأصول و الفروع، فتارة يميل مع أهل الظاهر، فيأخذ من ظواهر التعابير حجة قاطعة و يرفض آراء المعتزلة.. كما في مسألة الرؤية و العرش و الكرسي و الاستواء و ما شابه. فهو في ذلك سلفيِّ بحث^١.

و أخرى يقف من طريقة الجمهور موقف المعارض، فنراه في مسألة التوسُّل بالأنبياء و الأولياء يقف موقف المعارضة، و يفيض في الإنكار على من يفعل ذلك، بحجة أن الأنبياء هم أنفسهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً و لا ضرراً، فكيف التوسُّل بهم في بؤس أو ضرر؟!^٢ و هكذا يرفض التقليد بتاتا و يؤكِّد على لزوم مراجعة الكتاب و السنة، و نبذ مذاهب الفقهاء.. يقول في ذلك: فدعوا كتباً كتبها لكم الأموات من أسلافكم و استبدلوا بها كتاب الله و أقوال إمامكم محمد بن عبد الله..

١. راجع: فتح القدير، ج ١، ص ٧٢ و ٢٤٤ و ج ٢، ص ١٩٦ و ٢٠١ و ج ٣، ص ٣٨ و ج ٤، ص ٤٥٧.

٢. المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٦٥ و ج ٢، ص ٤٢٩.

دعوا كل قول عند قول محمد
 فما آمن في دينه كمخاطر^١
 وقد أثار ذلك ضجة في المنطقة فبين معارض ومؤلف، وقد أنكر عليه بعض العلماء.
 و نالته يقف موقف المحايد، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء. كما في مسألة خلق القرآن،
 فلم يرض موقف أهل السنة ولا موقف المعتزلة، ورضى أن يكون محايداً في هذه
 المسألة فلم يجزم فيها برأى، وراح ينحى باللائمة على من يقطع بأن القرآن قديم
 أو مخلوق^٢.

وأما موقفه من آيات الولاية (النازلة بشأن أهل البيت عليهم السلام) فموقف رصين، يذكر
 عندها الروايات الواردة بشأن نزولها وتأويلها، وإن كان يتركها ودراية القراء و فهمهم
 عنها^٣.

وبالجملة فهذا التفسير يعطي حرية مؤلفه حرية واسعة، خوّل له أن يسخر من عقول
 العامة وأن يهزأ من تعاليم أصحاب المذاهب في الأصول والفروع.. قال الذهبي: وأحسب
 أن الرجل قد دخله شيء من الغرور العلمي، فراح يوجه لومه لهؤلاء و هؤلاء، وليته وقف
 منهم جميعاً موقف الحاكم التنزيه و الناقد العف^٤.. و على الجملة فالكتاب له قيمته
 ومكانته في عالم التفسير.. و الكمال لله الواحد القهار..

وقد طبع الكتاب في خمس مجلدات طبعة أنيقة. كانت الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ،
 القاهرة دار الحديث.

٣٠. تفسير البرغاني (بحر العرفان)

للمولى صالح بن آغا محمد البرغاني القزويني الحائري المتوفى حدود سنة
 (١٢٧٠ هـ).

له ثلاثة تفاسير: كبير في سبعة عشر مجلداً، مخطوط، محفوظ في خزنة كتبه، لدى

١. المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨٩ و ٢٣٧ و ج ٣، ص ٣٩٨.

٢. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٨٤.

٣. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨، ٥٠ و ٥٧.

٤. التفسير و المفترون، ج ٢، ص ٢٩٩.

ورثته بقزوين. ووسيط في تسعة مجلّدات. و صغير في مجلّد واحد.
استقصى فيه الأحاديث المرويّة عن الأئمّة الأطهار في التفسير، ورتّبها حسب
ترتيب الآيات و السور، و لكنّه إنّما ذكر الروايات التي زعمها صالحه، و ترك ما زعمه
باطلاً، صادراً من جراب النورة حسب تعبيره.
فتراه عند سرد روايات بدء النسل، يقتصر على رواية التزاوج بالهوريّة و الجنّيّة،
زاعماً صحّتها، و يترك رواية تزاوج الذكر من حمل و الأنثى من حمل آخر، لزعم بطلانه.
فهو تفسير بالمأثور مع إعمال النظر في الأخذ و الترك فحسب.

النمط الثاني

التفسير الاجتهادي

﴿ التفسير الفقهي (آيات الأحكام)

﴿ التفاسير الجامعة

﴿ التفسير في العصر الحديث

﴿ التفاسير الأدبية

﴿ التفاسير اللغوية

﴿ التفاسير الموجزة

﴿ التفاسير العرفانية (التفسير الرمزي والإشاري)

﴿ التفسير في اتجاه عصري

النمط الثاني: التفسير الاجتهاديّ

و التفسير الاجتهاديّ يعتمد العقل والنظر أكثر ممّا يعتمد النقل والأثر؛ ليكون المناط في النقد والتمحيص هو دلالة العقل الرشيد والرأي السديد، دون مجرد الاعتماد على المنقول من الآثار والأخبار. نعم، لا ننكر أنّ مزالّ الأقدام في هذا المجال كثيرة، و عواقبه وخيمة، و من ثمّ تجب الحيطّة والحذر وإمعان النظر، بعد التوكّل على الله والاستعانة به، الأمر الذي يحصل عند حسن النية والإخلاص في العمل المستمرّ، والله من وراء القصد. و العمل الاجتهاديّ في التفسير شيء حصل في وقت مبكّر، في عهد التابعين؛ حيث انفتح باب الاجتهاد وإعمال الرأي والنظر في التفسير، و شاع النقد والتمحيص في المنقول من الآثار والأخبار. و لم يزل يتوسّع دائرة ذلك مع تقادم الزمان، و مع تنوّع العلوم والمعارف التي ما زالت تتوفّر في الأوساط الإسلاميّة حينذاك.

و قد أسبقنا أنّ من ميزات تفسير التابعين، فتح باب الاجتهاد والتوسّع فيه، و هكذا دأب من جاء بعدهم على التوسّع في النظر، و التنوّع في أبعاده و مراميه.

نعم، كانت آفة ذلك - لدى الخروج عن دائرة التوقيف، و ولوج باب النظر وإعمال الرأي - هو خشية أن ينخرط التفسير في سلك التفسير بالرأي الممقوت عقلاً، و الممنوع شرعاً؛ حيث لا يؤمن من عاقبة ذلك أن تزلّ قدم أو تهوي إلى مكان سحيق، و بالفعل قد سقط أناس كثير.

و من ثمّ تجب معرفة حدود «التفسير بالرأي» والوقوف على ثغوره، وجوانبه وأبعاده؛ لغاية الاجتناب عنه.

ونحن قد أوفينا الكلام حول مسألة «التفسير بالرأي»^١ و يتلخّص في أنّ الممنوع منه هو ما كان بأحد وجهين:

١. الاستبداد بالرأي في تفسير كلامه تعالى، فيعتمد ما حانت له نظرته الخاصّة، غير مبالٍ بما قاله العلماء من قبله، فيعتمد إلى تفسير آية، اعتماداً على ما فهمه من لغة وأدب مجرد، من غير مراجعة لأقوال السلف ونظراتهم و توجيهاتهم، و المسالك التي سلكوها في فهم الآية، و ربّما كانت قرائن و دلائل حافّة، لا ينبغي التغافل عنها. من ذلك معرفة أسباب النزول، و شرح الحوادث المقارنة لنزول الآية، و المناسبة التي استدعت نزولها، وكذا المأثور من كلام النبيّ و الصحابة الأوّلين، ممّا يعين على فهم كلام الله النازل على رسوله. و إنّما يعرف القرآن من خوطب به، فأغفال ذلك و إعفاء الآثار و الدلائل المكتنفة، حياذ عن طريقة العقلاء في فهم الكلام، فضلاً عن كلامه تعالى، و من استبدّ برأيه هلك، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

و أيضاً فإنّ علم التفسير، علم انحدر من نقطة أولى ثمّ توسّع و تنوّع، كسائر العلوم التي ورثتها البشريّة من أسلافها العلماء. و لا ينبغي لعالم أن يُعفي ما حقّقه الأسلاف، و ليس له أن يبدأ بما بدأ به الأوّلون، و إلّا لم تكن العلوم لتزدهر و تتوسّع مع أطراد الزمان.

و الخلاصة: إنّ مراجعة الدلائل و الشواهد القرآنيّة، إلى جنب أقوال السلف و آرائهم، شرط أساسيّ في معرفة كلام الله، فمن استبدّ برأيه من دون مراجعة ذلك، هلك و أهلك.

و هذا معنى الحديث الوارد: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»^٢ فلو فرض أنّه ربّما أصاب الواقع صدفة، لكنّه قد أخطأ الطريق التي تؤمّن عليه الإصابة لدى العقلاء.

٢. أن يعمد إلى آية فيحاول تطبيقها على رأيه - مذهب أو عقيدة أو سلوك - ليبرّر

١. عند البحث عن صلاحية المنسّر في الجزء الأوّل، ص ٤٩-٧٤؛ و ما كاد يرّله لو لم ينحذّر.

٢. مئة العريد للشهيد الثاني، ص ٢١٦-٢١٧.

موضعه من ذلك، أو يجعل ذلك داعية لعقيدته أو سلوكه، وهو - في الأغلب - يعلم أن لا مساس للآية بذلك، وإنما هو تحميل عليها.

والعمدة: أنه لم يُرْمَ فهم معنى الآية و تفسيرها الواقعي، وإنما رام دعم مذهبه وعقيدته بأي وسيلة كانت، ومنها الآية إن وافق التقدير.

فهذا تحميل على الآية، وليس تفسيراً لها، ومن ثم فليتبوأ مقعده من النار.

روى أبو جعفر الصدوق بإسناده إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله ﻋﻠﻴﻚ: «ما آمن بي من فسر برأيه كلامي»^١.

و روى أبو جعفر الطبري بإسناده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»^٢.

إذن فمن سلك طريقة العقلاء في فهم الكلام، واعتمد الدلائل والشواهد، وراجع أقوال السلف الصالح، ثم أعمل نظره في فهم كلام الله، لم يكن مفسراً بالرأي، لا مستبدأ برأيه ولا مُحَمَّلًا برأيه على القرآن الكريم، والعصمة بالله سبحانه.

تنوع التفسير الاجتهادي

ومما يجدر التنبيه له، أن التفسير الاجتهادي المبني على إعمال الرأي والنظر، يتنوع تنوعاً حسب مواهب المفسرين وقدراتهم العلمية والأدبية، ومعطياتهم في العلوم والمعارف؛ إذ كل صاحب فنّ و علم إنما يجعل من صناعته العلمية وسيلة لفهم القرآن، وينظر إليه من الزاوية التي كانت مقدرته متركزة عليها، ومن ثم تختلف براعة كل مفسر عن غيره، في الجهة التي كانت قدرته العلمية أبرع وأمتن. فصاحب الأدب الرفيع، إنما يفوق غيره في براعته الأدبية في التفسير، وهكذا صاحب الفلسفة والكلام والفقه واللغة، وحتى صاحب العلوم الطبيعية والرياضيات والأفلاك، ونحو ذلك. فكل صاحب مهنة إنما يبرع في عمله، إذا خاض التفسير من جهة صناعته، ومن زاوية اختصاصه، الأمر

الذي جعل من التفسير متنوعاً، حسب معطيات أصحاب التفاسير.

ومن ثم نستطيع أن ننوع ألوان التفسير إلى: أدبيّ و لغويّ، كلاميّ و فلسفيّ و عرفانيّ، اجتماعيّ و علميّ، و جامع بين أمرين أو أمور من ذلك؛ ليكون من النوع الجامع، الذي يغلب أكثر التفاسير. و ليس معنى ذلك أنّ الأديب يتمحّض تفسيره في الأدب و اللغة محضاً أو الفقيه في الفقه محضاً، و كذا المتكلّم و الفيلسوف و العارف و غيرهم، بل إنّما يغلب على تفسير الأديب صياغته الأدبيّة، و على تفسير الفقيه صياغته الفقهيّة، و هكذا... و إن كان لا يخلو سائر أنواع التفسير ممّا كان في بعضها من اختصاص.

أمّا تفاسير أصحاب المذاهب كالمعتزلة و الخوارج و الصوفيّة و أمثالهم، فهي إمّا داخلة في النوع الكلاميّ أو العرفانيّ، و ليس بخارج عن هذين اللونين، و لذلك كان تنويعنا للتفسير يختلف عن تنويع الآخرين بعض الشيء.

و عليه فينقسم التفسير الاجتهاديّ إلى: أدبيّ، و فقهيّ، و كلاميّ، و فلسفيّ، و عرفانيّ رمزيّ، و صوفيّ إشاريّ، و اجتماعيّ، و علميّ، و جامع.

تلك أقسام للتفسير الغالبة عليه، حسب ألوان الاجتهاد فيه. و لتتعرّض للأهم من كتب

التفسير المدوّنة على هذه الألوان.

التفسير الفقهيّ لآيات الأحكام (لمحة عن تطوّر التفسير الفقهيّ)

١. التفسير الفقهيّ في عهده الأوّل

نزل القرآن و في طيّه آيات تتضمّن أحكاماً شرعيّة - من تكليف أو وضع^١ تتعلّق بمصالح العباد ونظم أمورهم في الحياة و ما يرجع إلى المعاد. و كان المسلمون إذ ذاك - و على عهد الرسالة - يفهمون ما تحمله هذه الآيات من أحكام و تكاليف، بمقتضى سليقتهم الأولى السليمة. و كان إذا أشكل عليهم شيء منه رجعوا إلى النبيّ ﷺ فيحلّ لهم مشكلتهم بسلام.. و هكذا جرت سيرة صحابته الأعلام من بعده، يتحاكمون إلى الآيات و ما تلقّوه من الرسول نصّاً صريحاً سويّاً، فينزّله على ما جدّت من أحداث طول الأيّام، فإن وفت بحاجتهم فيها و نعمت، وإلّا أعملوا رأيهم فيه على طريقة الاستنباط و الاجتهاد في العمل وفق الضوابط العامّة المتلقّاة من الشارع الحكيم..

و الصحابة في نظراتهم لآيات الأحكام كانوا قد يتفقون على الحكم المستنبط منه،

١. الأحكام التكليفيّة هي التي تنضمّن تكاليف إلزاميّة - إيجاب أو تحريم - و غير إلزاميّة - ندب أو كراهة - يلزم المكلف العمل به أو يترخّج العمل به.

و الأحكام الوضعيّة هي التي تنضمّن اعتباراً ما. في مثل الزوجيّة و الملكيّة و الضمان، أو النجاسة و الطهارة و الحدث و الجنابة.. و ما شاكل ذلك ممّا يقع موضوعاً لأحكام للتكليف كالملكيّة و الزوجيّة. أو ينشأ من تكليف كالضمان و ما شابه.

وأحياناً يختلفون في فهم الآية، فكان تختلف أحكامهم في المسألة، وكان الرأي الغالب هو المحكم حينذاك، ما داموا على الوفاق في الوصول إلى الحقيقة، ومن غير عناد أولجاج..

من ذلك حديث عمار مع عمر بن الخطاب، حيث فهم عمر من آية التيمم اختصاصها بالحدث الأصغر، أما المجنب فيدع الصلاة حتى يبلغ الماء.. فعارضه عمار، و ذكره ما صنع على عهد رسول الله ﷺ فأمره بالتيمم إذا أجنب ولم يجد الماء..^١
وهكذا تمارى ابن مسعود و عمار في الرجل تصيبه الجنابة ولا يجد الماء، فقال ابن مسعود: لا يصلي حتى يجد الماء! وقال عمار - وحدث بقصته مع رسول الله ﷺ - ولم يقتنع ابن مسعود في بادئ بدء..

و روى البخاري في صحيحه (ج ١، ص ٩٥): أن أبا موسى الأشعري قال لعبد الله بن مسعود: أ رأيت - يا أبا عبد الرحمان - إذا أجنب أحدكم فلم يجد ماءً، كيف يصنع؟ فقال عبد الله: لا يصلي، حتى يجد الماء! فقال أبو موسى: فكيف تصنع بقول عمار، حين قال له النبي ﷺ: كان يكفيك - أي التيمم^٢ - قال ابن مسعود: ألم تر عمر لم يقنع بذلك.. و في حديث آخر: قال: إني لم أر عمر قنع بقول عمار!^٤

١. روى مسلم أن رجلاً أتى عمر فقال: إني أجنب فلم أجد ماءً؟ فقال: لا تصل! فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين - و ذكر قصته مع رسول الله.. فقال عمر: اتق الله يا عمار! قال عمار: إن شئت لم أحدث به! (صحیح مسلم، ج ١، ص ١٩٣).

و في حديث عبد الله بن مسعود مع أبي موسى الأشعري - رواه مسلم - : «أولم تر عمر لم يقنع بقول عمار! نعم، كان عمر قد أصّر على رأيه حتى أصبح مشهوراً به. قال ابن حجر: و هذا مذهب مشهور عن عمر. و وافقه عليه عبد الله بن مسعود. و جرت فيه مناظرة بين أبي موسى و ابن مسعود (فتح الباري، ج ١، ص ٣٧٦). لكنه ذكر بعد ذلك: أن لم يكن لابن مسعود عذر في التوقف عن قبول حديث عمار، فلماذا جاء عنه: أنه رجع عن الفتيا بذلك. كما أخرجه ابن أبي شيبة.. (المصدر نفسه، ص ٣٨٧).

٢. رواه البيهقي في السنن الكبرى، ج ١، ص ٢٢٠.

٣. كما في أحاديث سابقة.. و راجع: صحیح مسلم، ج ١، ص ١٩٣.

٤. روى مسلم بالإسناد إلى الأعمش عن شقيق قال: كنت جالساً مع عبد الله بن مسعود و أبي موسى الأشعري، فقال أبو موسى: يا أبا عبد الرحمان، أ رأيت لو أن رجلاً أجنب فلم يجد الماء شهراً، كيف يصنع بالصلاة؟ فقال

فقال أبو موسى: فدعنا من قول عمّار، كيف تصنع بهذه الآية (المائدة: ٦)؟! فما درى عبد الله ما يقول! ثم قال: إنّا لو رخصنا لهم في هذا لأوشك إذا برّد على أحدهم الماء أن يدعه و يتيمّم.. قال شعبة -راوي الحديث عن شقيق بن سلمة-: قلت لشقيق: فإتاكمه عبد الله لهذا؟ قال: نعم!

قلت: وهذا يعني أنّه أخذ بالقياس والاستحسان و ترك الأخذ بعموم النصّ بل صريحه في المحدث و المجنب كلاهما يتيمّمان إذا فقد الماء!!

و لا أظنّ ابن مسعود بقي على رأيه، بل رجع إلى عموم القرآن كما قال ابن حجر^١. بل و هذا الذي تحاشاه و تحدّره ابن مسعود -إن صحّت الرواية- نرى النبي ﷺ لم يتحدّره.. بل أجازه.. ذكر البخاري أنّ عمرو بن العاص أجنب في ليلة باردة فتيّمّم و تلا: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^٢. فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يُعَنّف^٣. و لعلّ عمر أيضاً رجع عن رأيه بعد أن وضحت له صراحة القرآن في الشمول.. و لا سيّما و لم نجد أحداً شايعه في ذلك لا من الصحابة و التابعين و لا من الفقهاء.. بل إجماع المسلمين على أنّ التيمّم يقوم مقام الوضوء و الغسل كما قال الجزيري^٤.



→ عبد الله: لا يتيمّم. و إن لم يجد الماء شهراً فقال أبو موسى: فكيف بهذه الآية في سورة المائدة (٦): ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَلَمَسُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنْهَا فَمَشَّوْا عَلَيْهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لِمَنْ خَشِيَ اللَّهَ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾.. فقال عبد الله: لو رخص عبد الله في هذه الآية، لأوشك إذا برّد عليهم الماء أن يتيمّموا بالصعيد! فقال أبو موسى لعبد الله: ألم تسمع قول عمّار -عند ما بعثه رسول الله ﷺ في حاجة فأجنب فتمرّغ في الصعيد، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فعلمه التيمّم-! فقال عبد الله: أو لم تر عمر لم يقنع بقول عمّار!.. أي كما لم يقنع الخليفة بقوله، كذلك لم يقنع قوله.. لكنّه رجع عن رأيه كما تبيننا (صحح مسلم، ج ١، ص ١٩٢-١٩٣).
١. قال: جاء عنه أنّه رجع عن الفتيا بذلك (فتح الباري، ج ١، ص ٣٨٧).

٢. النساء (٤): ٢٩.

٣. أي لم يلّمه و لم يُشدّد عليه. و الرواية ذكرها ابن حجر و فيها: أنّه لما قصّ على النبي ﷺ قصته و استناده إلى الآية، ضحك النبي ﷺ و لم يقل شيئاً (الفتح (١): ٣٨٥).

٤. الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري، ج ١، ص ١٥٠. و ذكر حديث عمران بن حصين: أنّ رسول الله ﷺ رأى رجلاً معترلاً لم يصلّ مع القوم، فقال: ما يمنعك يا فلان أن تصلّي في القوم؟ فقال: يا رسول الله ﷺ أصابتنى جنابة و لا ماء! فقال: عليك بالصعيد فإنّه بكفك. رواه مسلم و البخاري، ج ١، ص ٩٤ و أحمد، ج ٤، ص ٤٣٤.

و بعد فتلك محاوره رشيقة دارت بين كبار الصحابة في فهم آية تشتمل على حكم شرعيّ عامّ، و قد فهمه البعض خاصّاً، لكنّه رجع بعد التفاهم و الحوار..

قال الذهبيّ: مثل هذا الخلاف كان يقع مع الصحابة حسبما يفهمه كلّ منهم في النصّ التمرآنيّ، و ما يحيط به من أدلّة خارجيّة. و مع هذا الاختلاف فقد كان كلّ واحد من المختلفين يطلب الحقّ وحده، فإنّ ظهر له أنّه في جانب من خالفه رجع إلى رأيه و أخذ به^١

و هكذا لما رفعت امرأة إلى عمر و كانت قد ولدت لستّة أشهر، فهمّ عمر أن يرحمها لولا أن تداركها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و قال: إنّ لها عذراً في كتاب الله، يقول تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾^٢. و قال: ﴿وَرَحْمَةُ وَ نِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^٣. فإذا كان الفصال - وهي مدّة الرضاع - عامين، فالباقي للحمل ستّة أشهر.. فاقنع عمر بذلك و خلّى سبيلها^٤. ثمّ قال: اللهمّ لا تبقي لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب^٥.

و مثل هذا الحادث وقع لعمر مع ابن عباس أيضاً.. قال ابن عباس: فاستراح عمر إلى قولي^٦.

هكذا يؤثّر التفاهم حيث كان نزيهاً!

٢. و بعد أن ظهرت المذاهب الفقهيّة

و على هذا المنوال جرت سيرتهم في مسائل الخلاف، و التي كانت تنتهي إلى الوفاق في نهاية المطاف..

١. التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٣٣.

٢. البقرة (٢): ٢٣٣. و في سورة لقمان (٣١): ١٤: ﴿وَرِضَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾.

٣. الأحقاف (٤٦): ١٥.

٤. سنن البيهقي، ج ٧، ص ٤٤٢ (باب ما جاء في أقلّ الحمل)؛ المصنّف لعبد الرزاق، ج ٧، ص ٢٧٩-٢٨١ (باب (٣٣٥) التي نضع لستّة أشهر).

٥. كما في لفظ سبط ابن الجوزي. و في لفظ النيسابوريّ و الحافظ الكنجي: فصّده عمر و قال: لولا عليّ لهلك

عمر. راجع: الغدير، ج ٦، ص ١٣٣. الدرّ المنثور، ج ٧، ص ٤٤٢؛ المصنّف، ج ٧، ص ٢٨١.

أما وبعد ما ظهرت المذاهب الفقهيّة و جدّت مسائل كثيرة للمسلمين لم تكن معهودة من ذي قبل، فقد أخذ كلّ فقيه - باعتباره إمام مذهب - ينظر في هذه المسائل تحت ضوء القرآن والسنة وغيرهما من مصادر التشريع عندهم، وهم مختلفون في المباني، فكان يحكم فيها كلّ، حسب ما ينقدح في ذهنه، ويبدو له وفق مبناه، و يراه حقاً لا غبار عليه عنده، و من ثمّ كان الاختلاف حتمياً أحياناً حسب اختلاف المباني..

و كان في بادئ ذي بدء يسطو على الجميع روح التفاهم، حيث التآخي و نشدان الحقيقة هو رائدهم.. فكم من مسائل الخلاف توافقوا عليه بعد الحوار و المناشدة الحرّة، و لم يكن عزيزاً على أحدهم أن يرجع إلى رأي مخالفه إن ظهر له الحقّ في جانبه.

هذا هو الإمام الشافعيّ كان يقول: إذا صحّ عندكم الحديث عن رسول الله فهو رأيي^١. و ذكر ابن النديم: أنّ رجلاً سأله عن مسألة فأجاب فيها، فقال له الرجل: خالفت عليّ بن أبي طالب عليه السلام! فقال الشافعيّ: تبتّ لي هذا عن عليّ بن أبي طالب، حتّى أضع خديّ على التراب و أقول: قد أخطأتُ و أرجع عن قولي إلى قوله^٢. و كان يقول لأحمد بن حنبل - وهو تلميذه في الفقه -: «أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منّا، فإذا كان خبر صحيح فأعلمني حتّى أذهب إليه^٣.

و قال الربيع: سمعت الشافعيّ يقول: ما من أحد إلّا و تذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه وآله و تعزب عنه. فمهما قلت من قول، و أصلت من أصل، فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله خلاف ما

١. قال أبو الفداء: و قد قال غير واحد عنه: إذا صحّ عندكم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقولوا به و دعوا قولي، فإنّي أقول به، و إن لم تسمعوا منّي.. و في رواية: فلا تقلدوني. و في أخرى: فلا تلتفتوا إلى قولي. و في رواية: فاضربوا بقولي عرض الحائط، فلا قول لي مع رسول الله صلى الله عليه وآله (البداية و النهاية، ج ١٠، ص ٢٥٣-٢٥٤) (في حوادث سنة ٢٠٤).

و قال ابن حجر: قد اشتهر عنه: «إذا صحّ الحديث فهو مذهبي». قال ابن القيم: هذا صريح في أنّ مذهبه ما دلّ عليه الحديث لا قول له غيره. و لا يجوز أن ينسب إليه ما خالف الحديث (الإمام الصادق و المذاهب الأربعة لأسد حيدر، ج ٣، ص ١٥٠). و تاريخ التشريع الإسلاميّ للخضريّ: ص ٣٥٣-٣٥٤. و الذهبي، ج ٢، ص ٤٣٤.

٢. الفهرست لابن النديم، ص ٣٠٩.

٣. طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، ج ١، ص ٢٨٢؛ آداب الشافعيّ لابن أبي حاتم، ص ٩٥.

قلت، فالقول ما قاله رسول الله، و هو قولي.. و جعل يردّد هذه الكلمات.. و قال -أيضاً-:
أجمع الناس على أنّ من استبانته له سنّة رسول الله ﷺ لم يكن ليدعها لقول أحد.. إلى
أمثالها و هي كثير^١.

* * *

و هذا الإمام مالك -شيخ الشافعي- كان يتحدّر الإفتاء و يكثر القول بلا أدري.. و كان
يرى أنّ في الناس من هو أعلم منه.. و من ثمّ كان لا يجيب على المسائل في كثير من
الأحيان. قصده رجل من العراق بأربعين مسألة فأجاب عن خمس و ثلاثين بلا أدري.
قال ابن المهدي: كنّا عند مالك فجاءه رجل فسأله، فقال: لا أحسن! فقال الرجل: و أيّ
شيء أقول إذا رجعتُ إلى بلادي؟ قال: تقول لهم: قال مالك بن أنس: لا أحسن..^٢ هذا في
حين أنّ العباسيين كانوا يجهدون في ترفيع مالك ليجمع الناس على علمه^٣، أمّا هو فكان
يتحدّر هذا المقام.. و إذا كان الأمر كذلك فكيف يباهي أو يماري؟!
* * *

أمّا الإمام أحمد بن حنبل فقد قال عنه صاحب المنار: و قد كان هذا الإمام الجليل
متأخراً قليلاً عن الأئمّة الثلاثة، و إن أدرك بعضهم و صحب أحدهم، و كان قد رأى بوادر
التزام تقليد الذين تكلموا في الأحكام و كتبوا فيها، و علم أنّ مالكا قد ندم قبل موته، إذ
نقلت أقواله و فتاويه قبل موته، و لذلك لم يدوّن مذهباً و اقتصر على كتابه الحديث،
ولكن أصحابه جمعوا من أقواله و أجوبته و أعماله ما كان مجموعته مذهباً، كما قال العلامة
ابن القيم^٤.

كان أحمد متهماً بالميل للعلويين، و ممّا يحكى عنه في ذلك: أنّ عبد الله قال لأبيه

١. راجع: الإمام الصادق و المذاهب الأربعة، ج ٣، ص ١٥٠.

٢. المصدر نفسه، ص ١٤٩؛ الموافقات للشاطبي، ج ٤، ص ٢٨٧-٢٨٨.

٣. راجع: الإمام الصادق و المذاهب الأربعة، ج ١، ص ١٦٥.

٤. المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٥١؛ الوحدة الإسلامية للسيد رشيد رضا، ص ١١٧.

(أحمد بن حنبل) ما تقول في التفضيل؟ قال: في الخلافة أبو بكر وعمر وعثمان.. قلت: فعلي؟ قال: يا بني، علي بن أبي طالب من أهل بيت لا يقاس بهم أحد^١.
وقال - أيضاً -: كنت بين يدي أبي جالساً ذات يوم فجاءت طائفة من الكرخية، فذكروا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فزادوا وأطالوا، فرفع أبي رأسه إليهم فقال: يا هؤلاء قد أكثرتم القول في علي والخلافة، إن الخلافة لم تزيّن علياً، بل علي زيتها..
قال ابن أبي الحديد: وهذا الكلام يدلّ بفحواه ومفهومه على أنّ غيره ازدان بالخلافة، وتمّت نقيصته بها.. وأنّ علياً لم يكن فيه نقص يحتاج إلى أن يتمم بالخلافة.. بل الخلافة كانت ذات نقص فتّمّم نقصها في ولايته إياها..^٢

ولمّا سأله إسحاق بن إبراهيم - عن القرآن وأنه ليس بمخلوق -: عمّن تحكي أنه ليس بمخلوق؟ فقال: جعفر بن محمد الصادق، قال: ليس بخالق ولا مخلوق! فسكت ابن إسحاق!^٣



وأما أبو حنيفة فكان صاحب رأي ونظر في المسائل الفقهية، وكان شديد العجب بأرائه، وربما كان يغلظ على من خالفه أو يأتي بما يخالفه في الرأي، وربما إلى حدّ الجفاء.. كان يرى من نفسه ومن سبقه من الرجال على حدّ سواء، إن لم يكن هو أفضل منهم..

نقل عنه - بشأن التفسير المأثور -: ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلنا على الرأس والعين. وما جاء عن الصحابة اخترنا منه ولم نخرج عن قولهم. وما جاءنا عن التابعين، فهم رجال ونحن رجال!^٤

١. مناقب أحمد لابن الجوزي، ص ١٦٣؛ طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ١٢٠.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٧.

٣. مناقب أحمد، ص ٣٥٩؛ الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ج ٤، ص ٥٠٣.

٤. تاريخ بغداد (الهامش)، ج ١٣، ص ٤٠٢.

و يروى عنه أنّ رجلاً سأله عن مسألة في الصرف، فأفتاه. فقال له سفيان - وكان بحضرته -: إنّ أصحاب محمد ﷺ قد اختلفوا في هذه!.. فغضب أبو حنيفة وقال للذي استفتاه: اذهب فاعمل بها، فما كان فيها من إثم فهو عليّ!

و يروى عنه الكثير من مخالفات لآراء الصحابة و كذلك ردّه للكثير من أحاديث مأثورة عن رسول الله كانت مستفيضة..

كان يرى من سهم الراجل و الفارس من الغنائم سواء.. فقيل له: فما تقول في قول رسول الله ﷺ: «للارجل سهم و للفارس سهمان»؟! قال: لا أجعل سهم بهيمة أكثر من سهم المؤمن!

وكان رسول الله ﷺ أشعر هو و أصحابه البُدن.. فقال أبو حنيفة: الإشعار مثله!^١ و كان يرى أنّ البيع إذا وجب فلا خيار.. و لم يأخذ بقول رسول الله ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يفترقا».. و كان يقول: لو أدركني رسول الله و أدركته لأخذ بكثير من أقوالي.. قال: و هل الدين إلّا الرأي الحسن!

و بذلك قيل عنه: أنّه ردّ على رسول الله ﷺ أربع مائة حديث.. قال أبو السائب: سمعت وكيعاً يقول: وجدنا أبا حنيفة خالف مائتي حديث. و قال أحمد بن حنبل: حدّثنا مؤمّل قال: سمعت حمّاد بن سلّمة - و ذكر أبا حنيفة - فقال: إنّهُ استقبل الآثار و السنن فردّها برأيه.^٢

و من ثمّ قال ابن خلدون: إنّ الأئمة المجتهدين تفاوتوا في الإكثار من هذه الصناعة (صناعة علم الحديث) و الإقلال: فأبو حنيفة يقال: بلغت روايته إلى سبعة عشر حديثاً و نحوها..^٣

١. المصدر نفسه، ص ٤٠٦.

٢. و له تعابير أجفى كقوله - استهزاءً بالحديث الوارد «إذا كان الماء قدر قلّتين لم ينجس» - من أصحابي من يبول قلّتين.. و كقوله - عند ما نقل إليه قول عمر في مسألة -: دعه، هذا قول شيطان! (المصدر نفسه، ص ٤٠٤-٤٠٥).

٣. المصدر نفسه، ص ٤٠٧-٤٠٨.

٤. المصدر نفسه (المنذمة)، ص ٤٤٤، أخبار الفصول السادس - في علوم الحديث.

و هذا المنقول عن أبي حنيفة قد يكون مبالغاً فيه، غير أنه إن دلّ فإنما يدلّ على جرأته في تقديم النظر على الأثر و ترك النصّ و الأخذ بالقياس..

الأمر الذي أتبه الإمام الصادق عليه في مواقف عدّة كان يختلف فيها إلى الإمام عليه السلام و يتساءل معه و أحياناً يتجاجج لديه.. فكان ينصاع لنصحه و يرعوى من غلوانه..^١

فقد كانت مدرسة الإمام الصادق جامعة إسلاميّة يؤمّها الناس من مختلف الطوائف و النحل، فهي مدار الحركة الفكرية، و المحور الذي تدور عليه آمال الموجهين و حملة الدعوة الإسلاميّة. و قد أثرت تعاليمه عليه السلام في كثير من أولئك الرجال فاعتدلوا في آرائهم.. و الإمام أبو حنيفة - المعروف بكثرة القياس - يكشف لنا عن أهميّة هذه المدرسة و عظيم أثرها، إذ يقول: «لولا السّنتان لهلك النعمان»^٢. و السّنتان هما اللّتان حضّر بهما عند الإمام الصادق، و كان الإمام يشتدّ عليه في كثرة القياس و يناظره في ذلك. و بهذا يتّضح أنّ أبا حنيفة، في أخذه بأقوال الإمام الصادق، و اتّباع أوامره، يعدّ نفسه في نجاة من هلكة كانت تهدّده.. و ربّما كان ذلك في التقليل الأخذ بالقياس، و اللجوء إلى الأحاديث أكثر..

نعم، كان أبو حنيفة معجباً بموضع الإمام و يراه أفاقه و أهيب الناس كلّهم، و هو القائل: «ما رأيت أفاقه من جعفر من محمّد الصادق»^٣.

١. قد احتفظ لنا التاريخ بكثير من تلك المرافق، التي كان فيها لأبي حنيفة موقف تسليم، لأنّه أمام أمر واقع لا مجال للجدل و المناقشة، و هو يعرف الإمام الصادق و خطّته في مناظراته التي لا يريد بها إلاّ توجيه المسلمين توجيهاً صحيحاً، و كان بينه يختلط فيه أشتات الناس على اختلاف آرائهم و مبادئهم و نحلمهم، و كان ميدان المعترك الفكريّ واسعاً في جميع الأنحاء، فكان عليه السلام في ذلك العهد مرجعاً لكلّ مشكلة و مهمّة، يقصده طلاب الحقيقة من الأنحاء القاصية، و يختلف إليه أهل الجدل و النظر، فيكون جوابه هو القول الفصل و الحكم العدل. و هكذا كان إذا ورد الكوفة -معهد العلوم الإسلاميّة آنذاك- اختلف إليه علماؤها و أحاط به فقهاؤها يسألون عمّا يهتمّهم و يستقون من فيض علمه. و هو محلّ تقديرهم و إكبارهم.

و كان أبو حنيفة ممتنّ يختلف إلى الإمام و يسأله عن كثير من المسائل مع أدب و احترام و لا يخاطبه إلاّ بقوله: جُعِلتْ فداك يا ابن رسول الله.. و قد روى أبو حنيفة عن الإمام الصادق عليه السلام و حدّث عنه و اتّصل به في المدينة مدّة من الزمن. و رواياته عنه أثبتتها رواة مسانيد و ورد منها في كتاب الآثار لأبي يوسف.. (الإمام الصادق و المذاهب الأربعة، ج ١، ص ٣١٤-٣١٧).

٣. المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١٥.

٢. المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٣.

وهكذا الإمام مالك كان يختلف إليه و تُعجبه روعته و جلال عظمته، قال: «اختلفتُ إليه زماناً، فما كنتُ أراه إلا على ثلاث خصال، إما مصلِّ وإما صائم وإما يقرأ القرآن. و ما رأيتُه يحدثُ إلا على طهارة^١..

وقال: «و ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق، علماً و عبادةً و ورعاً»^٢.

٣. دور تحكّم التقليد و التعصّب المذهبيّ

تلك كانت مشية السلف و التي جرى عليها أئمة المذاهب و الفقهاء العظام من الميل إلى الوثام و الوفاق ما رافقهم الدليل و اليقين و حيث كان رائدهم نشدان الحق لا غير.. الأمر الذي يدلّ على انتشار روح التقدير و الوداد بين أولئك الفقهاء، و هي سنّة أسلافهم من الصحابة و التابعين.

ثمّ خلف من بعد هؤلاء الأئمة خلف سرت فيهم روح التقليد الذي يقوم على التعصّب المذهبيّ، و لا يعرف التسامح، و لا يطلب الحقّ لذاته، و لا ينشده تحت ضوء البحث الحرّ، و النقد البرئ..

قال الأستاذ الذهبيّ: و لقد بلغ الأمر ببعض هؤلاء المقلّدة إلى أن نظروا إلى أقوال أئمتهم كما ينظرون إلى نصّ الشارع، فوقفوا جهدهم العلميّ على نصرته مذهب إمامهم و ترويجه، و بذلوا كلّ ما في وسعهم لإبطال مذهب المخالف و تنفيذه، و كان من أثر ذلك أن نظروا هذا البعض إلى آيات الأحكام. فأولها حسبما يشهد لمذهبه إن أمكنه التأويل، و إلا فلا أقلّ من أن يؤوّلها تأويلاً يجعلها به لا تصلح أن تكون في جانب مخالفه. و أحياناً يلجأ إلى القول بالنسخ أو التخصيص، و ذلك إن سُدّت عليه كلّ مسالك التأويل.

هذا عبد الله الكرخيّ المتوفى سنة (٣٤٠ هـ) و هو أحد المتعصّبين لمذهب أبي حنيفة

١. المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٣؛ تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ٢، ص ١٠٤-١٠٥.

٢. المجالس الشنيّة، ج ٥، و قد ذكر ابن تيمية في كتاب التوسّل و الوسيلة، ص ٥٢، ط ٢، هذه العبارة في جملة طويلة كانت ضمنها..

يقول: «كلّ آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤوّل أو منسوخ»^١. كما لم يجيزوا لأحد من أتباع المذاهب الأربعة أن يجتهد حرّاً إلا في إطار المذهب وعلى أصول و مباني صاحب المذهب لا غير.. في حين أنّ الالتزام بمذهب قديم كان بدعة ابتدعتها السياسة منذ القرن الرابع، على غير أساس ديني ولا مبرّر له^٢. نعم، كان لهؤلاء المتعصّبين أثر ظاهر في التفسير الفقهي، حيث ينظرون إلى الآيات من خلال مذهبهم و يفسّرونها حسب مبانيهم التي هم مهودها من قبل.. فيعدّون البحث الحرّ عن فهم القرآن.. فكانت مغبّة ذلك أن عدمنا إنتاج التفسير الفقهي بعيداً عن التعسف في التأويل.. الأمر الذي يبدو بوضوح عند ما نتعرّض للكتب المدوّنة في آيات الأحكام، وكانت على يد أصحاب المذاهب التقليديّة.. و من ثمّ كانت متنوّعة حسب اختلاف المذاهب..

٤. أوار التعصّب في عهد متأخّر

نعم، كان أنمة المذاهب و كبار الفقهاء قد أخضعهم الحقّ حيشما توجّهوا.. و عرفت منهم التحاشي عن الإفتاء مهما أفسح لهم المجال. إلا في مواقع ضرورة.. و قد رافقهم الورع و التقوى و الحذر من الفتوى مهما أمكن.. و لا سيّما الإمام أحمد بن حنبل، كان يتورّع عن الإفتاء و يحذّر عن التقليد و يحبّذ الرجوع إلى نصوص الشريعة، و هي ناصعة، لائحة، بيضاء.. من غير حاجة إلى معين غير قيادة العلم النزيه^٣.

١. التفسير و المفسّرون، ج ٢، ص ٤٣٤.

٢. راجع: الإمام الصادق و المذاهب الأربعة، ج ٣، ص ١٤١ فما بعد.

٣. كان يقول: كثرة التقليد عمى في البصيرة. و كان ينهى عن الكتابة عنه و يقول: لا تكتبوا عنّي و لا تقلّدوني و لا تقلّدوا فلاناً و فلاناً، و خذوا من حيث أخذوا. و قال: من قلّة فقه الرجل أن يقلّد دينه الرجال.. و من ثمّ قال صاحب الصائر: كان هذا الإمام متأخراً عن الأنمة الثلاثة. و كان قد رأى بوادر التزام التقليد، و علم أنّ مالكاّ ندم قبل موته.. و لذلك لم يدوّن أحمد مذهباً، و أنّ أصحابه هم جمعوا من أقواله و أجوبته ما صار مذهباً له.. (جلاء العينين للأكوسى، ص ١٠٥؛ أهلام الموقنين لابن القيم الجوزية، ج ٢، ص ١٨١-١٨٢؛ مختصر المسزمل لأبي شامة، ص ٣١؛ الوحدة الإسلامية، ص ١١٧؛ الإمام الصادق و المذاهب الأربعة، ج ٣، ص ١٥٠-١٥١).

هذا، و مع ذلك نرى من أصحابه و مقلديه مبالغة ظاهرة، في تشييد مذهبه إلى حدّ التحميل القاسي^١..

وأحمد، لم ينل مذهبه شهرة كغيره من المذاهب، وكانت خُطى انتشاره قصيرة جداً..
 أما في بغداد فلم تكن له شهرة إلا بين طبقة عرفوا بالْعُنف و الشدّة في سيرتهم، و تحاملهم على غيرهم من المذاهب^٢. و كان سبب عدم انتشار مذهبه - هو ابتعاده عن معالم الاجتهاد- حسبما ذكره ابن خلدون، قال: أما أحمد فمقلّده قليل لبعده مذهبه عن الاجتهاد، و أصالته في معاضدة الرواية و للأخبار بعضها ببعض^٣..

و كانت الغلبة في بغداد للمذهب الشيعي^٤، و قد قامت الحنابلة بدور صراع عنيف مع الشيعة و لكن لم يستطيعوا التغلّب عليه.. و في سنة ٣٢٣ هـ. عظم أمر الحنابلة و قويت شوكتهم و صاروا يكبسون دور القوَاد و العائمة للتفتيش، و قاموا بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في حملة شعواء و من غير هوادة، فأرهبوا بغداد، و أقلقوا بال الحكومة، و من فعلتهم الدنيئة أن استظهروا بالعميان الذين يأوون إلى المساجد، فإذا مرّ بهم شافعيّ المذهب أغروا به العميان. فيضربونه بعصيتهم حتّى يكاد يموت.

فخرج توقيع الخليفة الراضي بالله، بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم شنعتهم و يوبّخهم على تحميل معتقداتهم في التشبيه و غيره. جاء فيه: «تارة إنكم تزعمون صورة و جوهكم القبيحة السمجة على مثال ربّ العالمين، و هيأتكم الرذيلة على هيأته، و تذكرون الكفّ و الأصابع و الرجلين و النعلين المُدْهَبِينَ و الشعر القطط، و الصعود إلى السماء، و النزول إلى الدنيا - تعالى الله عما يقول الظالمون و الجاحدون علواً كبيراً- ثمّ طعنكم على خيار الأُمَّة و نسبتكم شيعة آل محمّد ﷺ إلى الكفر و الضلال، ثمّ استدعواكم المسلمين إلى

١. الأمر الذي نفاسبه حتّى اليوم في أتباع السلفيّة الجافية، و في غلظة تأباها روح الشريعة السهلة السمحة..

٢. و قد عرف ما أفجموا بابن جرير الطبري، ذلك العالم الكبير صاحب التفسير، أوجعوه ضرباً و شتماً و تشريداً، حسبما ذكرناه في ترجمته..

٣. مفقمة ابن خلدون، ص ٤٤٨.

٤. راجع: أحسن التقاسيم لشمس الدين الشاري (الإمام الصادق و المذاهب الأربعة، ج ٤، ص ٥٠٩).

الدين بالبدع الظاهرة، والمذاهب الفاجرة، التي لا يشهد بها القرآن. وإنكاركم زيارة قبور الأئمة، وتشنيعكم على زوارها بالابتداع، وأنتم مع ذلك تجتمعون على زيارة قبر رجل من العوام، ليس بذى شرف ولا نسب ولا سبب برسول الله، وتأمرون بزيارة قبره والخشوع لدى تربته والتضرع عند حفرتة، وتدعون له معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء. فلعن الله شيطاناً حملكم على هذه المنكرات ما أرداه، وزينها لكم ما أغراه...^١ وأمر المؤمنين (أي الراضي) يُقسم بالله قسماً جهداً إليه يلزمه الوفاء به، لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم، ومعوج طريقتكم، ليوسعنكم ضرباً وتشريداً، وقتلاً وتبديداً، وليستعملنّ السيف في رقابكم، والنار في منازلكم ومحالكم...^٢.
تلك كانت محنة الخلف عند افتقادهم وداعة السلف واستسلامهم لقيادة النفس الأمارة بالسوء..

٥. تنوع التفسير الفقهي تبعاً لتنوع الفرق الإسلامية

و على ضوء هذا التعصب المذهبي القائم يومذاك نرى التأليف في التفسير الفقهي المتأخرة عن ذلك العهد، متأثرة شديد التأثير باللون المذهبي، بما قد يتناسى و موضوعية البحث في ضوء نشدان الحقيقة الذاتية.. اللهم إلا القليل.

قال الأستاذ الذهبي: وإذا نحن تتبعنا التفسير الفقهي، منذ بدايته، وجدناه يسير بعيداً عن الأهواء والأغراض.. إلى أوان ظهور المذاهب المختلفة، ثم بعد ذلك نجده يسير تبعاً للمذاهب و يتنوع بتنوعها، فلأهل السنة تفسير فقهي بدأ نظيفاً من التعصب، ثم لم يلبث أن تلوث به. وللظاهريّة تفسير فقهي يقوم على الوقوف عند ظواهر القرآن، دون أن يحيد

١. لعنه الشيخ عبد القادر الجيلاني (٤٩١-٥٦١ هـ) شيخ الحنابلة، صاحب المقامات والكرامات. كان إمام زمانه وقطب عصره و شيخ الشيوخ بلا مدافع. و نقلت له كرامات و طار صيته في الآفاق.. و قبره ببغداد مزار معروف (الوفائي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٧، رقم ٧١٥٨).

٢. الكامل لابن الأثير، ج ٨، ص ٣٠٧-٣٠٩، دار صادر، بيروت، و ج ٦، ص ٢٤٨، دار الكتاب العربي، بيروت. و جاء التوقيع كماً في تجارب الأئم لابن مسكويه، ج ٥، ص ٤١٤-٤١٥، تحقيق الدكتور أبو القاسم الإمامي، دار سرور، طهران، ١٩٩٨ م. و صححنا التوقيع على هذا الأخير..

عنها. وللخوارج تفسير فقهيّ يخصّهم^١. وللشيعة تفسير فقهيّ يخالفون به من عداهم^٢... وكلّ فريق من هؤلاء يجتهد في تأويل النصوص القرآنيّة، حتّى تشهد له، أو لا تعارضه على الأقلّ.. ممّا أدّى ببعضهم إلى التعسف في التأويل، والخروج بالألفاظ القرآنيّة عن معانيها ومدلولاتها^٣.

٦. الإنتاج التفسيريّ للفقهاء

لم نكد نعتز على إنتاج تفسيريّ للفقهاء قبل عصر التدوين إلّا على مقتطفات ومختصرات متفرّقة مأثورة عن فقهاء الصحابة والتابعين، يرويها عنهم أصحاب الكتب المختلفة. أمّا و بعد عصر التدوين فنجد الكثير من الفقهاء ألفوا تفاسير فقهيّة ولكن على ضوء مذاهبهم في طريقة الاستنباط..

ذكر الإمام الزركشيّ للشافعيّة ما جمعه البيهقيّ من كلام الإمام الشافعيّ، وبعده الكيا الهرّاسيّ. ومن الحنفيّة: أبو بكر الرازيّ الجصاص. ومن المالكيّة: القاضي إسماعيل والقشيريّ وابن العربيّ. ومن الحنابلة: أبو يعلى الكبير^٤.

ومن الزيدية الحسين بن أحمد النجريّ من أهل القرن الثامن الهجريّ، له شرح الخمس مائة آية. وشمس الدين بن يوسف (القرن التاسع): الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة الفاطمة. ومحمّد بن الحسين بن القاسم (القرن الحادي عشر): منتهى المرام، شرح آيات الأحكام^٥.

١. لم يُعهد للخوارج تفسير خاصّ بآيات الأحكام..

٢. و سيرا فيك الكلام عن التفسير الفقهيّ الشيعيّ وكانت مخالفته لسائر المذاهب هي في التنسيق، إذ قد رُتب على نسق أبواب الفقه.. وقد تجرّد عن كلّ تعصّب أو تعسف في التأويل، وهذه كتبهم منبّهة وفي تناول الجميع، يجرون على مبادئهم في الأصول، و يناقشون الآراء في ضوء البحث الحرّ و بقوة البرهان، و من غير حاجة إلى ارتكاب تعسف أو تعريض..

٣. التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٣٥.

٤. هو القاضي محمّد بن الحسين بن محمّد الفراء أبو يعلى الحنبليّ. إليه انتهت رئاسة الحنابلة في زمانه و توفي سنة ٤٥٨ هـ. (النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٧٨). البرهان للزركشيّ، ج ٢، ص ٣.

٥. التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٣٧.

و هكذا ذكر السيّد المرعشيّ للزبيديّة ما ألفه السيّد يحيى المؤيد بالله ابن حمزة المتوفّي سنة ٧٤٩هـ. و السيّد أحمد المهديّ المتوفّي سنة ٨٤٠هـ. و محمّد بن يحيى الصعديّ المتوفّي ٩٥٧هـ. و غيرهم^١.

و للحاجّي خليفة قائمة بأسماء من كتب في ذلك، ذكر نحواً من أربعة عشر مؤلفاً^٢. و هكذا ذكر الشيخ آغا بزرگ الطهرانيّ نحواً من ثلاثين كتاباً و رسالة في آيات الأحكام، عثر عليها ضمن تأليف أصحابنا الإماميّة، منذ البدء فحتّى العصر الحاضر^٣. و ذكر السيّد المرعشيّ فهرساً عن مؤلّفي التفاسير الفقهيّة من مختلف المذاهب ما تجاوز الخمسين رسالة^٤. فضلاً عمّا كتب متأخراً و في عصر حاضر و لا يزال..

٧. تعداد آيات الأحكام

اصطلحوا على إطلاق هذه السمة، على كلّ آية اشتملت على حكم شرعيّ فرعيّ عمليّ، من تكليف أو وضع، بمعناه المعهود في الكتب الفقهيّة، عبادةً كانت أو معاملة. قالوا: إنّها تقرب من خمس مائة آية - بما فيها من تكرار - و أوّل من عبّر بهذا العدد هو مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ). كان له تفسير - غير تفسيره الكبير - اشتهر باسم: تفسير خمس مائة آية، يتناول فيه الأوامر و النواهي الواردة في القرآن الكريم. و كان يُعدّ تفسيراً فقهيّاً آنذاك^٥. و لم يكن أوّل تفسير كتب ذلك العهد، فقد سبقه إلى ذلك محمّد بن السائب الكلبيّ (ت ١٤٦هـ). غير أنّ ذكر هذا العدد وقع عن لسان مقاتل و راج عند المفسّرين.. هذا ابن المتوجّج^٦ أيضاً أسمى كتابه في التفسير الفقهيّ: «النهاية في تفسير الخمس مائة

١. مسالك الأنفهام (المقدّمة) للفاضل الكاظمي، ج ١، ص ٨٠٧.

٢. كشف الظنون لحاجّي خليفة، ج ١، ص ٢٠.

٣. الذريعة، ج ١، ص ٤٠-٤٤.

٤. مسالك الأنفهام (المقدّمة)، ج ١، ص ١٣-٥.

٥. مخطوط. طبقات المفسّرين للداودي، ج ٢، ص ٣٣١؛ تاريخ التراث العربيّ لفؤاد سزگين، ج ١، ص ٨٥ معجم المفسّرين

لعادل نويهض، ج ٢، ص ٦٨٣.

٦. هو فخر الدين أحمد بن عبد الله بن المتوجّج البحرانيّ توفّي بعد سنة ٧٧١هـ.

آية. وكان لسميته^١ أيضاً كتاب بهذا الاسم: «منهاج الهداية في تفسير آيات الأحكام الخمس مائة»^٢.

وهكذا جرى عليه المفسرون لآيات الأحكام.

قال الفاضل المقداد^٣: «أشتهر بين القوم أنّ الآيات المبحوث عنها - في المجالات الفقهيّة - نحو من خمس مائة آية. وذلك إنّما هو بالمتكرّر والمتداخل، وإلاّ فهي لا تبلغ ذلك..»

وعلّل هذا التقليل من آيات الأحكام، بأنّ القرآن في جلّ آياته يهدف إلى الأصول أكثر من الفروع، وقد تكفّلها بيان الرسول.. حيث كانت السنّة الشريفة تكملة للكتاب العزيز..^٤

وقد عدّنا الآيات التي تعرّض لها في الكتاب فوجدناها تقرب من ثمان مائة آية.. وهكذا في سائر الكتب التفسيرية لآيات الأحكام.. ولعلّ الزيادة جاءت من قبل الاستشهاد بالنظائر وما شاكل..

* * *

هذا لو فسرنا آية الحكم بما اشتمل على حكم شرعيّ فرعيّ عمليّ، حسب مصطلح الفقهاء.. أمّا إذا ما لاحظنا الأهداف التي تستهدفها رسالة القرآن الكريم، والتي تتلخّص في إسعاد الإنسان في حياته، إن مادّية أو معنوية، إن في دنيا عاجلة أو آخرة آجلة.. فهذا المعنى يشمل جلّ آيات القرآن الكريم، بل كلّها وهي تحمل رسالتها إلى الإنسان: كيف يعيش سعيداً.. الأمر الذي يعمّ مسائل الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة، في جميع أبعادها المترامية.. فيشمل كلّ تصرّفاتة في الحياة: إن عبادة أو أخلاق

١. هو جمال الدين ابن المتّوجّح البحرانيّ توفي بعد سنة ٨٣٦ هـ.

٢. راجع: مسالك الأنفهام (المقدّمة) للكاظمي، بقلم السيّد شهاب الدين المرعشي، ج ١، ص ١٠٩.

٣. هو: جمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري المتوفّي سنة ٨٢٦ هـ. له تأليف لطيف في آيات الأحكام، أسماء: كنز العرفان في فقه القرآن. و سنذكره.

٤. كنز العرفان، ج ١، ص ٥.

أو معاملة، في معناها العام..

إذن فأَيُّ آية في القرآن لا تهدف إلى جانب من هذه الأهداف السامية والتي شملت حياة الإنسان عبر الوجود؟!

الأمر الذي تنبّه له المتأخرون من أصحاب التفسير العصري، فعنوا بجانب التشريع السياسي - الاجتماعي في القرآن أكثر من إمامهم بجانب العبادات الفردية وأنواع المعاملات الخاصة - المبحوث عنها داخل إطار الفقه التقليدي القديم - فخرجوا بالقرآن إلى آفاق أوسع وأبعاد قد لا تنتهي إلى حدّ..

نعم، هذا هو شأن القرآن، ذلك الكتاب الخالد بتشريعاته عبر الوجود..
وعليه فجميع آيات الذكر الحكيم آيات الأحكام؛ وفي كل آية منه دستور عام؛ تلك هي رسالة القرآن الشاملة الباقية مع الأبد..

٨. آيات الأحكام على أقسام

قال الزركشي: قيل: إن آيات الأحكام خمس مائة آية، وهذا ذكره الغزالي وغيره، وتبعهم الرازي (أبو بكر الجصاص)؛ ولعلّ مرادهم: المصّرّح به؛ فإن آيات القصص والأمثال وغيرها يُستنبط منها كثير من الأحكام.. قال: ومن أراد الوقوف على ذلك فليطالع كتاب الإمام في أدلة الأحكام للشيخ عزّ الدين بن عبد السلام^١.

قال: ثمّ هو قسман: أحدهما ما صرّح به في الأحكام، وهو كثير. وسورة البقرة والنساء والمائدة والأنعام مشتملة على كثير من ذلك.

والثاني ما يؤخذ بطريق الاستنباط. ثمّ هو على نوعين:

أحدهما ما يستنبط من غير ضميمة إلى آية أخرى - بل بدلالة الفحوى - كاستنباط الشافعيّ تحريم الاستمناء باليد من قوله تعالى: ﴿قَسْنِ ابْتغْنِ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾.. بعد قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾..^٢

و استنباط صحّة أنكحة الكفار من قوله تعالى: ﴿امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ﴾^١. و ﴿امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾^٢. أي بدلالة التقرير..

و استنباطه عتق الأصل و الفرع بمجرد الملك، من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَانِ عَبْدًا﴾^٣. فجعل العبوديّة منافية للولادة، حيث ذكرت في مقابلتها؛ فدلّ على أنّهما لا يجتمعان.

و استنباطه حجّية الإجماع من قوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٤.

و استنباطه صحّة صوم الجنب من قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ بَأْسَ وَهْنٌ - إِلَى قَوْلِهِ - حَتَّى يَتَيَبَّنَ لَكُمْ الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾^٥. فدلّ على جواز الوقاع في جميع الليل، و يلزم منه تأخير الفسل إلى النهار، وإلا لوجب أن يحرم الوطئ إلى آخر جزء من الليل بمقدار ما يقع..

* * *

و من ذلك ما استنبطناه من قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرِ مُبِينٍ﴾^٦. أنّ المرأة لا تصلح لتصدّي أمر الولاية و لا سيّما القضاء.. حيث كانت الشؤون الإدارية الشائكة بحاجة إلى صلابة و شدّة و عزيمة فائقة، الأمر الذي تعوزه المرأة و هي عائشة في نعومة و أحاسيسها رقيقة، فتغلبها العاطفة أكثر من صمود العقل الرشيد.. إنّها تعيش عيشتها في الابتهاج بالزينة و زبرجتها خاترة القوى، لا شأن لها و معارك الحياة القاسية، و هي لا تملك الدفاع عن نفسها لدى الخصام، فكيف بها و فصل الخصومات في غوغاء المعارك..

و الثاني ما يستنبط مع ضميمة آية أخرى، كاستنباط الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و ابن عباس رضي الله عنهما: أنّ أقلّ الحمل ستّة أشهر من قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ

٢. المسد (١١١): ٤.

٤. النساء (٤): ١١٥.

٦. الزخرف (٤٣): ١٨.

١. التحريم (٦٦): ١١.

٣. مريم (١٩): ٩٣-٩٢.

٥. البقرة (٢): ١٨٧.

شَهْرًا^١، مع قوله: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾^٢. وعليه جرى الشافعي...^٣
 من ذلك ما أثر عن الإمام محمد بن عليّ الجواد عليه السلام بشأن سارق رفع إلى الخليفة
 (المعتصم) فجمع الخليفة لذلك الفقهاء وقد أحضر الإمام أيضاً. فسألهم عن موضع القطع..
 فقال ابن أبي داود: من الكرسوع (طرف الزند) واستدلّ بآية التيمّم.. وقال آخرون: من
 المرفق، نظراً إلى آية الوضوء.

فالتفت الخليفة إلى الإمام مستفهماً رأيّه.. فاستغفاه الإمام، لكنّه أصرّ عليه وأقسم
 عليه بالله أن يُخبره برأيّه.. فقال الإمام: أمّا إذا أقسمت عليّ بالله، إني أقول: يجب القطع من
 أصول الأصابع (الأشاجع) فيترك الكفّ (الراحة). فسأله الخليفة عن الحجّة في ذلك؟
 فقال الإمام: قول رسول الله ﷺ: «السجود على سبعة أعضاء...» فإذا قطعت يده من
 الكرسوع أو المرفق، فعلى مَ يسجد؟ وقد قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾؛ يعني به هذه
 الأعضاء السبعة التي تسجد عليها. ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^٤. وما كان لله فلا يقطع..^٥
 وروى العياشي - أيضاً: - أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا قطع السارق، ترك له
 الإبهام والراحة^٦.



قال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام في كتاب الإمام في أدلّة الأحكام:
 معظم آي القرآن لا يخلو من أحكام مشتملة على آداب حسنة وأخلاق جميلة. ثمّ من
 الآيات ما صرّح فيه بالأحكام أو يؤخذ بطريق الاستنباط، إمّا بضمّ آية أخرى أو بلا ضمّ،
 كما تقدّم في كلام الزركشي:
 قال: ويستدلّ على الأحكام تارة بالصيغة، وهو ظاهر. وتارة بالإخبار مثل ﴿أَجَلٌ

١. الأحقاف (٤٦): ١٥.

٢. لقمان (٣١): ١٤.

٣. البرهان للزركشي، ج ٢، ص ٣٠٣.

٤. الجنّ (٧٢): ١٨.

٥. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣١٩-٣٢٠؛ وسائل الشريعة، ج ٢٨، ص ٢٥٣، باب ٤، حدّ القطع، رقم ٥.

٦. المصدر نفسه، ص ٦. وهكذا ذكر ابن حزم: أن عليّاً عليه السلام كان يقطع الأصابع.. وكان عمر يقطع من المفصل. أمّا

الخوارج فيرون القطع من المرفق أو المتك (المحلّ لابن حزم، ج ١١، ص ٣٥٧، رقم ٢٢٨٤).

لَكُمْ^١ و«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ»^٢، «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ»^٣. و تارة بما رتب عليها في العاجل أو الآجل من خير أو شرٍّ، أو نفع أو ضرر.. وقد نَوَّع الشارع ذلك أنواعاً كثيرة، ترغيباً لعباده و ترهيباً و تقريباً إلى أفهامهم. فكلَّ فعل عَظَّمه الشرع أو مدحه أو مدح ناعله لأجله، أو أَحَبَّه أو أَحَبَّ فاعله، أو رضي به أو رضي عن فاعله، أو وصفه بالاستقامة أو البركة أو الطيب، أو أقسم به أو بفاعله.. أو نصبه سبباً لذكره لعبده أو لمحبتته، أو لثواب عاجل أو آجل، أو لشكره له، أو لهدايته إياه، أو لإرضاء فاعله، أو لمغفرة ذنبه و تكفير سيئاته، أو لقبوله أو لنصرة فاعله أو بشارته، أو وصفه بالطيب أو كونه معروفاً و نحو ذلك من التعابير الكثيرة الواردة في القرآن، تنمَّ عن مشروعية عمل أو رجحانه أو العكس.. فكلَّ ذلك يستنبط منه حكم شرعي لازم أو راجح فعله أو تركه..^٤

و هذا الذي ذكره هو الصحيح، نظراً لما تبَّهنا عليه من أن كلَّ آية في القرآن الكريم، هي تحمل رسالة إلى الناس جميعاً عبر الأبدية، و ما هي إلا ذلك الدستور العامَّ المستفاد إمَّا صريحاً من اللفظ أو تلويحاً و بدلالة فحوى الكلام و مفهومه العامَّ المستخرج من بطن الآية بدلالة الالتزام.

و هذه قصص القرآن و أمثاله، لم تذكر تسليية للقارئ أو المستمع، و إنما هي تذكُّرات و عبر و عظات تستهدفها الآيات في فحوى عامٍّ.. إذن فكلَّ آي القرآن آيات أحكام..

أهم كتب آيات الأحكام

و لعلَّ أوَّل من كتب في آيات الأحكام هو الإمام المفسِّر أبو النضر محمَّد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ)، كتبه رواية عن ابن عباس. ذكره ابن النديم ضمن من كتب في آيات الأحكام من الأوائل^٥.

و بعده بقليل المفسِّر الجليل مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ). كتب رسالة باسم تفسير

٢. المائدة (٥): ٣.

١. البقرة (٢): ص ١٨٧.

٤. ذكرناه بتلخيص عن الإنقاذ، ج ٤، ص ٣٥-٣٧.

٣. البقرة (٢): ١٨٣.

٥. الفهرست لابن النديم، ص ٦٣.

خمس مائة آية، تناول فيها لما ورد من الأوامر والنواهي في القرآن الكريم وبحث عنها فقهيًا..^١

ثم سار على منهجهما من جاء بعدهما من فقهاء ومفسرين من مختلف المذاهب، على ما أسلفنا.. غير أن منهم أصحابنا الإمامية يختلف عن غيرهم، بذكر الآيات حسب أبواب الكتب الفقهية، فيبحثون عن الآيات المرتبطة بالعبادات ويجمعونها في أبوابها الخاصة، وهكذا الآيات المرتبطة بالمعاملات كلاً في بابها الخاص به. وذلك تسهيلاً للمراجع واستقصاء لكل باب ما يخصه من آيات.. أما غيرهم فيأتون بالآيات حسب ترتيبها في المصحف ضمن السور، كلاً في موضعه الخاص من السورة.

وإليك الأهم من التفاسير الفقهية لمختلف المذاهب، نذكرها حسب تسلسل التاريخ:

١. أحكام القرآن للجصاص الحنفي

هو أبو بكر أحمد بن علي الرازي المشهور بالجصاص، توفي سنة (٣٧٠ هـ). كان إمام الحنفية في وقته وإليه انتهت رئاسة الأصحاب. صاحب التأليف الكثيرة، منها: أحكام القرآن، كتبه على مباني مذهب أبي حنيفة، ويُعدّ من أهم الكتب المدوّنة في الموضوع، ولعله أبسط الكتب في ذلك، وقد تعرّض فيه لجوانب كثيرة من معاني آيات الأحكام بصورة مسهبة، ومستوعبة لكلّ جوانب الكلام^٢، بعيداً عن التعصّب المذهبي في غالب ما يكتبه، وإن كان الأستاذ الذهبي قد رماه بالتعصّب لمذهب أبي حنيفة، و تحامله على سائر الأئمة. لكنّا لم نر تحاملاً منه ولا تعصّباً أعمى وإنما هو بيان الحق، حسبما يراه. مثلاً عندما تعرّض لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^٣ نجده يحاول أن يجعل الآية دالة على أن من دخل في صوم التطوّع لزم إتمامه^٤.

١. مخطوط. طبقات المفسرين، ج ٢، ص ٣٣١.

٢. خذ لذلك مثلاً ما ذكره ذيل آية التيمّم من سورة المائدة، حيث استخرج منها أحدًا وسبعين فرعاً في المسألة، ممّا يدلّ على عمق نظر و فوّة استنباط، فلمّا يوجد في نظائره (أحكام القرآن للجصاص، ج ٢، ص ٣٩٢-٣٩٦).

٣. البقرة (٢): ١٨٧. ٤. أحكام القرآن للجصاص، ج ١، ص ٢٧٤-٢٨٥.

وقد عدّ الذهبيّ ذلك منه تعسفاً و تعصّباً لرأي أبي حنيفة في ذلك^١.

لكن لا تعسف ولا تعصّب، بعد ظهور الآية في ذلك، نظراً لإطلاق لفظها، وهو مذهب المالكيّة أيضاً. وعند الشافعيّ وأحمد الإتمام مسنون^٢.

والاختلاف في قضاء صوم التطوّع إذا لم يكن عن عذر، ناشٍ عن اختلاف الأحاديث في ذلك^٣. والجصاص رجّح القضاء استناداً إلى ظاهر إطلاق الآية، فلم يكن هناك تعسف؛ لأنّه استند إلى ظاهر الدليل، كما لم يكن تعصّباً لمذهب أبي حنيفة بعد ذهاب مالك إليه أيضاً.

وأما عند الشيعة الإماميّة فهو بالخيار في صوم التطوّع ما بينه وبين الزوال، ويكره بعد الزوال^٤.

* * *

وعندما تعرّض لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَرْوَاجَهُنَّ﴾^٥ قال الذهبيّ: نجده يحاول أن يستدلّ بالآية، من عدّة وجوه، على أنّ للمرأة أن تعقد نفسها بغير الوليّ وبغير إذنه^٦.

وهذا أيضاً استظهار لطيف من الآية الكريمة، ولعلّ الآخرين أغفلوها، على أنّ مسألة الولاية إنّما تكون على الأبكار غير المتزوّجات؛ وذلك على القول به، والمشهور عدم الولاية إطلاقاً. نعم هو مندوب إليه.

وعندما تعرّض لقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾^٧ وقوله: ﴿وَأَبْتَلُوا النِّسَاءَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾^٨ قال الذهبيّ: نجده يحاول أن يأخذ من مجموع الآيتين دليلاً لمذهب

١. التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٤٠.

٢. الفقه على المذاهب الأربعة، ج ١، ص ٥٥٨.

٣. راجع: بداية المجتهد لابن رشد الأندلسي، ج ١، ص ٣٢٢.

٤. راجع: الخلاف للشيخ الطوسي، ج ١، ص ٤٠٠، ٤٣م.

٥. البقرة (٢): ٢٣٢.

٦. أحكام القرآن للجصاص، ج ١، ص ٤٠٠.

٧. النساء (٤): ٦.

٨. النساء (٤): ٢.

أبي حنيفة، القائل بوجوب دفع المال لليتيم إذا بلغ خمساً وعشرين سنة، وإن لم يؤنس منه الرشد^١.

نعم، هنا تعسّف في الرأي؛ لأنّه أخذ بإطلاق الآية الأولى وحملها على ما بعد هذا السن؛ وذلك لاتّفاق الفقهاء على الاشتراط بإيناس الرشد قبل ذلك، فما لم يبلغ خمساً وعشرين، لا يُدفع إليه ما لم يؤنس منه الرشد، وأمّا إذا بلغها فيُدفع إليه مطلقاً؛ وذلك عملاً بالآيتين. وهذا تعسّف في الاستدلال؛ لأنّه حمل للظاهر على بعض صورته من غير دليل، على أنّ الإطلاق في الآية الأولى يجب تقييده بالآية الثانية، وحمل المطلق على المقيد ليس إبطالاً للمطلق، كما زعمه الجصاص.



و ممّا أخذ عليه الذهبيّ حملته على مخالفته؛ بحيث لا يعفّ لسانه عنهم. قال: ثمّ إنّ الجصاص مع تعصّبه لمذهبه و تعسّفه في التأويل، ليس عفّ اللسان مع الإمام الشافعيّ، ولا مع غيره من الأئمّة.

و كثيراً ما نراه يرمي الشافعيّ وغيره من مخالفي الحنفيّة بعبارات شديدة، لا تليق من مثل الجصاص، فمثلاً عندما تعرّض لآية المحرّمات من النساء نجده يعرض الخلاف الذي بين الحنفيّة والشافعيّة، في حكم من زنى بامرأة، هل يجوز التزويج بينها أو لا؟

و تمسك الشافعيّ بأنّ الحرام لا يحرم الحلال، ثمّ ذكر مناظرة له مع سائل سأله: كيف تُحرّم بنت المنكوحه و لا تحرّم بنت المزنيّ بها؟ فأجابه الشافعيّ بأنّ ذاك حلال و هذا حرام، و لم يزد في الفرق بينهما على ذلك. و هنا يقول الجصاص: فقد بان أنّ ما قاله الشافعيّ و ما سلّمه له السائل كلام فارغ لا معنى تحته في حكم ما سئل عنه. ثمّ يقول: ما ظننت أنّ أحداً ممّن ينتدب لمناظرة خصم، يبلغ به الإفلاس من الحجاج، إلى أن يلجأ إلى مثل هذا، مع سخافة عقل السائل و غباوته^٢.

وفي هذا الكلام إهانة بموضع الشافعي، و فرضه فيمن لا يُعْتَدُّ بشأنهم.
قلت: لا شك أن استدلال الشافعي هنا ضعيف؛ إذ كثير من المحرّمات حرّم من المحلّات،
كما في مسألة اللواط يُحرّم أخته و أمّه و بنته على اللاطي، و كالعقد على المعتدّة
و الدخول بها، و الزنى بذات البعل.
و حديث «الحرام لا يُحرّم الحلال» و ارد فيمن أحلّ له فرج ثمّ زنى بأمّها أو بنتها فهو
ناظر إلى السابق، أي الحلال الفعلي لا الحلال الشائني. و من الغريب أن الشافعي هنا أخذ
بالقياس مع الفارق.

* * *

و هكذا أخذ عليه الذهبيّ ميله إلى مذهب الاعتزال، و كذا تحامله على معاوية.
أمّا ميله إلى الاعتزال فلاّنه نفى إمكان رؤيته تعالى، و حملة أخبار الرؤية على العلم لو
صحّت^٢.

قلت: و هذا من كمال فضله؛ حيث حكّم العقل على النقل، و هو دأب المحصلين.
و أمّا تحامله على معاوية فمن ثبات عقيدته و صلابته في دينه. إن معاوية بغى على
إمام زمانه و خرج عليه بالسيف، فعلى كلّ مسلم منابذته و التحامل عليه بالسيف، فضلاً
عن اللسان و السكوت في ذلك مراوغة خبيثة.

يقول الذهبيّ: إننا نلاحظ على الجصاص أنّه تبدو منه البغضاء لمعاوية، و يتأثر بذلك
في تفسيره، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَّ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ
نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ - إلى قوله- الَّذِينَ إِنْ مَكَانُهُمْ فِي الْأَرْضِ
أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَّ آتَوْا الزَّكَاةَ وَّ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَّ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَّ اللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^٣ يقول:
و هذه صفة الخلفاء الراشدين الذين مكّتهم الله في الأرض... و فيه الدلالة الواضحة على
صحّة إمامتهم؛ لإخبار الله تعالى بأنهم إذا مكّنا في الأرض أقاموا بفروض الله عليهم، و قد

١. راجع: العروة الوثقى، المسألة (٢٨) من أحكام المصاهرة.

٢. الحج (٢٢): ٤١-٣٩.

٣. أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٤-٥.

مُكَّنُوا فِي الْأَرْضِ، فوجب أن يكونوا أئمة قائمين بأوامر الله، منتهين عن زواجه ونواهيه. ولا يدخل معاوية في هؤلاء؛ لأنَّ الله إنَّما وصف بذلك المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم، وليس معاوية من المهاجرين، بل هو من الطلقاء^١.

وعند قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^٢ يقول: وفيه الدلالة على إمامة الخلفاء الأربعة أيضاً؛ لأنَّ الله استخلفهم في الأرض ومكَّن لهم كما جاء الوعد، ولا يدخل فيهم معاوية؛ لأنَّه لم يكن مؤمناً في ذلك الوقت^٣.

وعند قوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَنْبَغِيَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾^٤ نجده يجعل علياً عليه السلام هو المحق في قتاله، ومع كبراء الصحابة وأهل بدر من قد علَّم مكانهم، وكان معاوية من الفئة الباغية، لحديث عمَّار، ولم ينكره معاوية، بل حاول تأويله^٥. قال الذهبي: فجعل علياً هو المحق وأما معاوية ومن معه فهم الفئة الباغية، وكذلك كلٌّ من خرج على علي عليه السلام.

قال: وما كان أولى بصاحبنا أن يترك هذا التحامل على معاوية الصحابيِّ! ويفوض أمره إلى الله، ولا يلوي مثل هذه الآيات إلى ميوله وهو^٦.

قلت: ولعلَّ نحوسة الدفاع عن معاوية قد أخذت صاحبنا الذهبيَّ فانجرفت به إلى مهاوي الضلال، وأخيراً إلى شرِّ قتلة، حشره الله مع مواليه^٧.

٢. أحكام القرآن (المنسوب إلى الإمام الشافعي)

جمعه الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقيّ النيسابوريّ الشافعيّ،

١. أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٢٤٦.

٢. أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٣٢٩.

٣. أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٤٠٠.

٤. التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤٤٣.

٥. إنَّه في أخريات حياته صانع حكومة مصر في مسالمتها مع أعداء الإسلام، ومن ثمَّ اغتالته أيدي مسلمة مصر دفاعاً عن حريم الإسلام، وذلك في شعبان عام ١٣٩٧ هـ الموافق ١٩٧٧ م و ١٣٥٦ ش.

صاحب السنن الكبرى، المتوفى سنة (٤٥٨ هـ).

والكتاب يشتمل على ما جاء في كلام الإمام محمد بن إدريس الشافعي، من استناد واستشهاد بآيات قرآنية، في عامة أبواب الفقه، فعمد البيهقي إلى جمعه و ترتيبه و إيدائه في صورة تأليف مستقل. قال البيهقي: فرأيتُ مَنْ دَلَّتْ الدلالة على صحّة قوله -أبا عبدالله محمد بن إدريس الشافعيّ المطلبيّ ابن عمّ محمد رسول الله ﷺ- قد أتى على بيان ما يجب علينا معرفته من أحكام القرآن، و كان ذلك مفزقاً في كتبه المصنفة في الأصول و الأحكام، فميّزته و جمعته في هذه الأجزاء على ترتيب المختصر؛ ليكون طلب ذلك منه على من أراد أيسر، و اقتصرت في حكاية كلامه على ما يتبين منه المراد دون الإطناب، و نقلت من كلامه في أصول الفقه، و استشهاده بالآيات التي احتاج إليه من الكتاب، على غاية الاختصار، ما يليق بهذا الكتاب.

و مما استند إليه الشافعيّ في مسائل العقيدة، قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَّحُورُونَ﴾^١ قال: فلما حجبهم في السخط، كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا. و هكذا استدلّ على أن المشيئة لله بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^٢ قال: فأعلم خلقه أن المشيئة له^٣.

و في مسائل أصول الفقه، استند في حجّية خبر الواحد بآيات بعث الرسل، إلى كلّ أمة برسول واحد، ثم جعل يسرد الآيات في ذلك: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ...﴾^٤ ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا...﴾^٥ ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا...﴾^٦ و غير ذلك من آيات. قال: فأقام -جلّ ثناؤه- حجّته على خلقه في أنبيائه بالأعلام التي باينوا بها خلقه سواهم، و كانت الحجّة على من شاهد أمور الأنبياء دلالتهم التي باينوا بها غيرهم، و على من بعدهم -و كان الواحد في ذلك و أكثر منه سواء- تقوم الحجّة بالواحد منهم قيامها بالأكثر... و كذا أقام

٢. الإنسان (٧٦): ٣٠.

١. المطففين (٨٣): ١٥.

٤. نوح (٧١): ١.

٣. أحكام القرآن للشافعيّ (البيهقيّ)، ج ١، ص ٤٠.

٦. الأعراف (٧): ٧٣.

٥. الأعراف (٧): ٦٥.

الحجّة على الأمم بواحد.

قال البيهقي: واحتجّ الشافعيّ بالآيات التي وردت في القرآن في فرض طاعة رسول الله ﷺ ومن بعده إلى يوم القيامة واحداً واحداً، في أنّ على كلّ واحد طاعته، ولم يكن أحد غاب عن رؤية رسول الله، يعلم أمره إلا بالخبر عنه، وبسط الكلام فيه^١.

ومما استدللّ به في مسائل الأحكام وهي الكثرة الكثيرة ما حدّث الشافعيّ بإسناده إلى مجاهد، قال: أقرب ما يكون العبد من الله - أو إلى الله - إذا كان ساجداً، ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ﴾^٢ يعني: افعل واقرب. قال الشافعيّ: ويشبه ما قال مجاهد، والله أعلم ما قال، أي ما قاله النبيّ ﷺ^٣.

وفي رواية حرمله عنه في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾^٤ قال الشافعيّ: واحتمل السجود: أن يخزّ، وذقنه - إذا خزّ - تلى الأرض، ثمّ يكون سجوده على غير الذقن.^٥

واستدلّ بآية ﴿إِنَّ اللهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^٦ بوجوب الصلاة عليه ﷺ في الصلوات الفرائض. قال: فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع، أولى منه في الصلاة.^٧

ومن غريب استدلاله: أنّه فهم من قوله تعالى: ﴿وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾^٨ أنّ المنيّ طاهر؛ حيث كان أصل الإنسان من ماء و تراب، وهما طاهران، فخلق النسل من ماء يدلّ على طهارته أيضاً. قال: بدأ الله خلق آدم من ماء و طين، وجعلهما معاً طهارة، وبدأ خلق ولده من ماء دافق. فكان في ابتداء خلق آدم من

١. أحكام القرآن للشافعيّ، ج ١، ص ٣٢. ٢. العلق (٩٦): ١٩.

٣. ممّا أنبئه الشافعيّ قبل حديث مجاهد. وقد أغفله البيهقيّ هنا - وإن كان أخرجه في السنن الكبرى (ج ٢، ص ١١٠) - وهو قوله ﷺ: «... فأما الركوع فعظموا فيه الربّ، وأما السجود فاجتهدوا فيه من الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم» (الأمّ للشافعيّ، ج ١، ص ١٣٨، باب الذكر في السجود).

٤. الإسراء (١٧): ١٠٧. ٥. أحكام القرآن للشافعيّ، ج ١، ص ٧١.

٦. الأحزاب (٣٣): ٥٦. ٧. أحكام القرآن للشافعيّ، ج ١، ص ٧١-٧٢.

٨. السجدة (٣٢): ٨-٧.

الطاهرين اللذين هما الطهارة دلالة لابتداء خلق غيره أنه من ماء طاهر لا نجس. قال: المنى ليس بنجس؛ لأن الله أكرم من أن يبتدئ خلق من كرمه من نجس. قال: ولو لم يكن في هذا - أي طهارة المنى - خبر عن النبي؛ لكان ينبغي أن تكون العقول تعلم أن الله لا يبتدئ خلق من كرمه وأسكنه جنته من نجس. ثم ذكر الخبر الوارد في أن النبي ﷺ لم يغسل ثوبه من منى أصابه^١.

والكتاب مطبوع جزأين في مجلد واحد.

٣. أحكام القرآن لأبي يعلى الحنبلي

هو القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف المعروف بابن الفراء (٣٨٠-٤٥٨ هـ). شيخ الحنابلة في عصره. كان عالماً في الأصول والفروع وأنواع الفنون. ارتفعت مكانته عند القادر والقائم العباسيين، وولاه الخليفة القائم قضاء دار الخلافة والحريم، وحران و حلوان.. قال الخطيب: كان أحد الفقهاء الحنابلة وله تصانيف على مذهب أحمد، درس وأفتى سنين كثيرة وولي النظر بحريم دار الخلافة^٢. وكان قد نغمه الحنابلة ضعف مقدرته العلمية في الأصول والفروع..

قال ابن عساكر: سمعت أبا غالب الحنبلي يقول: لما مات أبو يعلى ذهبت مع أبي إلى داره بباب المراتب، فلقينا أبو محمد التميمي الحنبلي، فقال: إلى أين؟ قال أبي: مات القاضي أبو يعلى! فقال أبو محمد: لا رحمه الله، فقد بال في الحنابلة البولة الكبيرة التي لا تغسل إلى يوم القيامة.. يعني مقالته في التشبيه..

وقال شمس الدين الذهبي: لم يكن له خبرة بعلم الحديث ولا برجاله، واحتج بأحاديث كثيرة واهية في الأصول والفروع. وأما في الفقه ومذاهب الناس ونصوص أحمد واختلافها فإمام لا يجارى^٣.

٢. تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٢٥٦، رقم ٧٣٠.

١. أحكام القرآن للشافعي، ج ١، ص ٨١-٨٢.

٣. الوافي بالوفيات للصفدي، ج ٣، ص ٨، رقم ٨٦٥.

٤. أحكام القرآن لـكيا الهرّاسي الشافعي

هو عماد الدين أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ الطبريّ المعروف بالـكيا^١ الهرّاسي. فقيه شافعيّ، أصله من خراسان ثمّ رحل إلى نيسابور، وتفقّه على إمام الحرمين الجوينيّ مدةً حتّى برع، ثمّ خرج إلى بيهق ثمّ إلى العراق، وتولّى التدريس بالمدرسة النظاميّة ببغداد، إلى أن توفّي سنة (٥٠٤ هـ).

يعتبر كتابه هذا من أهمّ المؤلّفات في أحكام القرآن عند الشافعيّة؛ ذلك لتعصّب المؤلّف فيه لمذهب الشافعيّ، محاولاً بكلّ جهده تفسير الآيات في صالح مذهبه. يقول في مقدّمته: «إنّ مذهب الشافعيّ أسدّ المذاهب وأقومها وأرشدّها وأحكمها، وإنّ نظر الشافعيّ في أكثر آرائه ومعظم أبحاثه، يترقى عن حدّ الظنّ والتخمين إلى درجة الحقّ واليقين. والسبب في ذلك أنّ الشافعيّ بنى مذهبه على كتاب الله^٢ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وأنّه أتيح له دَرَكَ^٣ غوامض معانيه، والغوص على تيّار بحره لاستخراج ما فيه. وأنّ الله فتح له من أبوابه، ويسرّ عليه من أسبابه، ورفع له من حجابيه ما لم يُسهّل لمن سواه، ولم يتأتّ لمن عداه».

ونحن لا ننكر فضل الإمام الشافعيّ وتقدّمه. ولكن تقديم الكتاب بمثل هذا الكلام ناطق بأنّ الرجل متعصّب لمذهبه - كما قال الأستاذ الذهبيّ - وشاهد عليه بأنّه سوف يسلك في تفسيره مسلك الدفاع عن قواعد الفقه الشافعيّ وفروع مذهبه، حتّى وإنّ أذاه ذلك إلى التعسّف في التأوّل...^٤.

والهرّاسيّ وإن كان عفّ لسانه وقلمه مع أئمة سائر المذاهب، وكلّ من يتعرّض للردّ عليه ممّن خالفه في المذهب، فلم يخض فيهم كما خاض الجصاص في الشافعيّ وغيره.. غير أنّه وقف من الجصاص موقفاً شديد المراس، عنيف الجدال، قاسي العبارة، فرماه

١. كيا: كلمة فارسيّة، معناها: كبير المنزلة، المقدم بين الناس.

٢. مُعرّضاً بذلك مذهب أبي حنيفة المبتني - حسب ظاهره - على الرأي والقياس!

٣. ولعلّ الصحيح: إدراك...
٤. التفسير والمفردات، ج ٢، ص ٤٤٥-٤٤٦.

عبارات ساخرة و ألفاظ مقدعة؛ إنه إذ عرض لأهمّ مواضع الخلاف التي ذكرها الجصاص و عاب فيها مذهب الشافعيّ، نراه كأنه اقتصّ للشافعيّ، جزاءً من جنس العمل..
 فمثلاً عند تفسير الآية (٢٣) من سورة النساء: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ» نجده يردّ على الجصاص ما استدلّ به لمذهبه القائل بأنّ الزنا بامرأة يورث حرمة أصول المرأة و فروعها، و يفنّد ما ذكره الجصاص ردّاً على الشافعيّ.. و يعقّبه بقوله: «إنّه لم يفهم معنى كلام الشافعيّ و لم يميّز بين محلّ و محلّ، و لكلّ مقام مقال. و لتفهّم معاني كتاب الله رجال، ليس هو منهم..»

كما يقول: و ذكر الشافعيّ مناظرة بينه و بين مسترشد طلب الحقّ في هذه المسألة.. فأوردها الجصاص متعجباً منها، و منبهاً على ضعف كلام الشافعيّ فيها، قال: و لاشيء أدلّ على جهل الرازيّ (الجصاص) و قلّة معرفته بمعاني الكلام من سياقه لهذه المناظرة، و اعتراضاته عليها..

ثمّ يقول -بعد قليل-: و لم يعلم هذا الجاهل معنى كلام الشافعيّ فاعترض عليه بما قال. و عجب الناس من ذلك فقال: في هذه المناظرة أعجوبة لمن تأمل. فكان كما قال القائل:

و كم من عائب قولاً صحيحاً
 و آفته من الفهم السقيم!
 و هذا الكتاب طبع أخيراً في أربعة أجزاء، في مجلدين.

٥. أحكام القرآن لابن العربيّ المالكيّ

هو أبو بكر محمّد بن عبد الله بن محمّد المعافريّ الأندلسيّ، ختام علماء الأندلس و آخر أئمّتها و حفاظها، تُوّفّي سنة (٥٤٣ هـ). كان من أهل التفنّن في العلوم و التبخر فيها، متكلماً في أنواعها، نافذاً في جمعها، حريصاً في طلبها.

و يعتبر هذا الكتاب مرجعاً مهماً للتفسير الفقهيّ عند المالكيّة؛ حيث مؤلّفه مالكيّ متأثر بمذهبه، فظهرت عليه في تفسيره روح التعصّب و الدفاع عنه، و ربّما حمل على

مخالفيه حملة عشواء، بما لا يتناسب و مقام الفقهاء العظام.
 و على أي حال، فهو كتاب حافل بالأدب و اللغة مضافاً إلى عرض مذاهب السلف في
 الفتيا، و الاستظهار من كتاب الله. تراه قد يطيل البحث بالقييل و القال، و ردّاً على مخالفي
 رأي أصحابه، من غير جدوى. نجده عند آية الوضوء^١ يتعرض لأصحاب الشافعي في
 اعتبارهم النية في الوضوء، يقول: ظنّ ظاتون من أصحاب الشافعي الذين يوجبون النية
 في الوضوء، أنه لمتأ أوجب الوضوء عند القيام إلى الصلاة دلّ على أنه أوجب له لأجله، و أنه
 أوجب به النية.

و هذا لا يصحّ، فإن إيجاب الله سبحانه الوضوء لأجل الحدث لا يدلّ على أنه يجب
 عليه أن ينوي ذلك، بل يجوز أن يجب لأجله، و يحصل دون قصد تعليق الطهارة بالصلاة
 و بنيتها لأجله... و يسهب في الكلام هنا، و ينتهي إلى قوله: فركب على هذا سفاضة
 المفتين، و أوردوا فيها نصّاً عمّن لا يفرّق بين الظنّ و اليقين.

و ينتقل بعد ذلك إلى الكلام حول «و أيديكم»، فيقول: اليد عبارة عمّا بين المنكب
 و الظفر، و هي ذات أجزاء و أسماء، منها المنكب و منها الكفّ و الأصابع، و هو محلّ
 البطش و التصرف العامّ في المنافع، و هو معنى اليد. و غسلهما في الوضوء مرّتين:
 إحداها عند أوّل محاولة الوضوء و هو سنة، و الثانية في أثناء الوضوء و هو فرض.

قوله: «إلى المرافق». و ذكر أهل التأويل في ذلك ثلاثة أقاويل:
 الأوّل: أن «إلى» بمعنى «مع»، كما قال تعالى: «و لا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم»^٢ معناه:
 مع أموالكم.

الثاني: أن «إلى» حدّ، و الحدّ إذا كان من جنس المحدود دخل فيه.
 الثالث: أن المرافق حدّ الساقط لا حدّ المفروض. قاله القاضي عبد الوهاب، و ما رأيت
 لغيره.

و تحقيقه أن قوله: ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ يقتضي بمطلقه من الظفر إلى المنكب، فلما قال: إلى المرافق أسقط ما بين المنكب و المرافق، و بقيت المرافق مغسولة إلى الظفر. و هذا كلام صحيح يجري على الأصول، لغة و معنى.

و أما قولهم: إن «إلى» بمعنى «مع» فلا سبيل إلى وضع حرف موضع حرف، وإنما يكون كل حرف بمعناه، و تتصرف معاني الأفعال، و يكون التأويل فيها لا في الحروف. و معنى قوله: ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ على التأويل الأول: فاغسلوا أيديكم مضافة، إلى المرافق. و كذلك قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ معناه: مضافة إلى أموالكم.

و قد روى الدارقطني و غيره، عن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ لما توضأ أدار الماء على مرفقيه!



و مما يمتاز به هذا الكتاب، كراهته للإسرائيليات، كما أنه شديد النفرة من الخوض فيها، فهو عندما تعرض لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾^٢ نجده يقول: «المسألة الثانية» في الحديث عن بني إسرائيل، كثر استرسال العلماء في الحديث عنهم في كل طريق. و قد ثبت عن النبي أنه قال: «حدّثوا عن بني إسرائيل و لا حرج» و معنى هذا الخبر: الحديث عنهم بما يُخبرون به عن أنفسهم و قصصهم، لا بما يُخبرون به عن غيرهم؛ لأن إخبارهم عن غيرهم مفتقرة إلى العدالة و الثبوت إلى منتهى الخبر، و ما يُخبرون به عن أنفسهم فيكون من باب إقرار المرء على نفسه أو قومه، فهو أعلم بذلك. و إذا أخبروا عن شرع لم يلزم قبوله. ففي رواية مالك عن عمر، أنه قال: رأني رسول الله ﷺ و أنا أمسك مصحفاً قد تشرّمت حواشيه^٣. فقال: ما هذا؟ قلت: جزء من التوراة! فغضب و قال: والله لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلا أتباعي^٤.

١. أحكام القرآن لابن العربي، ج ٢، ص ٥٦٢-٥٦٥. ٢. البقرة (٢): ٦٧.

٣. المصحف: مجموعة صحائف. تشرّم: تشقّق و تمزّق.

٤. أحكام القرآن لابن العربي، ج ١، ص ٢٣.



هذا الكتاب يعتبر مرجعاً مهماً للتفسير الفقهي عند المالكية، حيث مؤلفه مالكي متأثر بمذهبه، وقد ظهرت عليه روح التعصب له والدفاع عنه، بحيث قد يجرفه إلى التعسف في التهجم على مخالفه، فيقذفه بكلمات لاذعة أحياناً، حتى ولو كان إماماً وله قيمته ومركزه في مذهبه! تارة بالتصريح وأخرى بالتلويح..

مثلاً عند التعرض للآية ٨٦ من سورة النساء: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها﴾.. يقول: استدلل علماءنا على أن هذه الآية دليل على وجوب الثواب في الهبة للعين.. لأنها تحية يجب ردّها.. وقال الشافعي: ليس في هبة الأجنبي ثواب.. وهذا فاسد، لأن المرأ إنما يعطي ليعطي، وهذا هو الأصل في الهبة. إذ أنا لا نعمل عملاً لمولانا إلا لثيبتنا، فكيف عمل بعضنا لبعض!



وهو عند الآية ٢٢٩ من سورة البقرة: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ سَيْنًا...﴾ يقول: هذا يدل على أن الخلع طلاق، خلافاً للشافعي في القديم إنه فسخ. وفائدة الخلاف أنه إن كان فسخاً لم يعد طلاقاً. قال الشافعي: لأنه تعالى ذكر الطلاق مرتين وذكر الخلع بعده، وذكر الثالث بقوله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ...﴾ قال ابن العربي: وهذا غير صحيح، لأنه لو كان كلٌّ مذكور في معرض هذه الآيات لا يعد طلاقاً، لوقوع الزيادة على الثالث، لما كان قوله: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ طلاقاً، لأنه يزيد به على الثالث.. قال: ولا يفهم هذا إلا غيبياً أو متغاباً^١.



وعند الآية ٤٣ من سورة النساء: ﴿... فَلَمْ تَحْجِدُوا ماءً...﴾ يقول: قال أبو حنيفة: هذا نفي

في نكرة و هو يعمّ لغةً، فيكون مفيداً جواز الوضوء بالماء المتغيّر و غير المتغيّر، لإطلاق اسم الماء عليه..

قلنا: استنوق الجمل^١! الآن يستدلّ أصحاب أبي حنيفة باللغات، و يقولون على السنة العرب، و هم يبنذونها في أكثر المسائل بالعراء!

و اعلموا أنّ النفي في النكرة يعمّ كما قلتم، و لكن في الجنس؛ فهو عامّ في كلّ مكان من سماء أو بئر أو عين أو نهر أو بحر عذب أو ملح؛ فأما غير الجنس فهو المتغيّر فلا يدخل فيه، كما لم يدخل فيه ماء الباقلاء!

قال: و من هاهنا و هم الشافعيّ في قوله: إنّه إذا وجد من الماء ما لا يكفيه لأعضاء الوضوء كلّها، أنّه يستعمله فيما كفاه و يتيمّم لباقيه! فخالف مقتضى اللغة و أصول الشريعة!^٢

* * *

و في موضع من كتابه يرمي أبا حنيفة بأنّه كثيراً ما يترك الظواهر و النصوص للأقيسة.. و يقول عنه في موضع آخر: إنّه سكن دار الضرب فكثر عنده المدّس.. و لو سكن المعدن - كما قيض الله المالك - لما صدر عنه إلاّ ايريز الدين و إكسير الملة، كما صدر عن مالك.

* * *

و عند الآية ٦ من سورة المائدة: ﴿.. فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ يقول في تعريض ساخر: و ظنّ الشافعيّ - و هو عند أصحابه معدّ بن عدنان في الفصاحة، بله أبي حنيفة و سواه - أنّ الغسل صبّ الماء على المغسول من غير عرك.. و قد بيّنا فساد ذلك في مسائل الخلاف.. و حقّقنا أنّ الغسل مسّ اليد مع إمرار الماء، أو ما في معنى اليد.^٣

* * *

١. مثل يضرب للرجل الواهن الرأى المخلّط في كلامه.

٢. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٦٠.

٣. المصدر نفسه، ص ٤٤٦.

و عند الآية ٣ من سورة النساء: ﴿.. ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعْلَمُوا..﴾ يقول: اختلفوا في تأويله على ثلاثة أقوال: الأول: أن لا يكثر عيالكم.. قاله الشافعي.. الثاني: أن لا تضلوا.. قاله مجاهد.. الثالث: أن لا تميلوا.. قاله ابن عباس و الناس..

قلنا: أعجب أصحاب الشافعي بكلامه هذا، وقالوا: هو حجة، لمنزلة الشافعي في اللغة، و شهرته في العربية، و الاعتراف له بالفصاحة، حتى لقد قال الجويني بشأنه: هو أفصح من نطق بالضاد، مع غوصه على المعاني، و معرفته بالأصول؛ و اعتقدوا أن معنى الآية: فانكحوا واحدة إن خفتم أن يكثر عيالكم، فذلك أقرب إلى أن تنتفي عنكم كثرة العيال! قال ابن العربي: كل ما قال الشافعي أو قيل عنه أو وصف به، فهو كله جزء من مالك و نغمة من بحره؛ و مالك أوعى سمعاً، و أثقب فهماً، و أفصح لساناً، و أبرع بياناً، و أبداع وصفاً.. و يدلك على ذلك مقابلة قول بقول في كل مسألة و فصل..

ثم تكلم بعد ذلك عن معنى لفظ «عال» في اللغة، ثم قال: و الفعل في كثرة العيال رباعي (أعال) لا مدخل له في الآية. فقد ذهبت الفصاحة، و لم تنفع الضاد المنطوق بها على الاختصاص^٢.



و عند الآية ٢٥ من سورة النساء: ﴿.. فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ..﴾ يقول: قال أبو بكر الرازي (الخصاص) إمام الحنفية، ليس نكاح الأمة ضرورة، لأن الضرورة ما يخاف منه تلف نفس أو تلف عضو، و ليس في مسألتنا شيء من ذلك!

قلنا: هذا كلام جاهل بمنهاج الشرع، أو متهمك لا يبالي بموارد القول^٣.. و نحن لم نقل: إنه حكم نيظ بالضرورة، إنما قلنا: إنه حكم علّق بالرخصة المقرونة بالحاجة، و لكل واحد منهما حكم يختص به، و حالة يعتبر فيها.. و من لم يفرّق بين الضرورة و الحاجة التي تكون معها الرخصة، فلا يُعنى بالكلام معه، فإنه معاند أو جاهل. و تقرير ذلك إمتاع

٢. المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١٤-٣١٥.

١. النغمة: الجرعة. و هي بفتح النون و ضمها..

٣. المتهمك: المستهزء..

للنفس عند من لا ينتفع به^١.

إلى غيرها من أمثلة تجدها ضمن الكتاب، تنبؤك أنّ الرجل لم يكن عفاً اللسان مع الأئمة و لا مع أتباعهم.. وهي ظاهرة من ظواهر التعصّب المذهبيّ، الذي يقود صاحبه إلى ما لا يليق به، ويدفعه إلى الخروج عن حدّ اللطافة و الكياسة^٢.

و الكتاب مطبوع في أربع مجلّدات، طبعة أنيقة. كانت طبعته الثانية سنة ١٣٨٧ هـ. / ١٩٦٧ م. بزيادة ضبط و شرح و تعليق.

٦. أحكام القرآن للراونديّ (فقه القرآن)

هو الشيخ الإمام المحدث الفقيه الأديب قطب الدين أبو الحسين سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله الراونديّ^٣ و يعرف اختصاراً بسعيد بن هبة الله الراونديّ نسبة إلى جدّه.. توفي سنة (٥٧٣ هـ). كان فاضلاً و عالماً جامعاً لأنواع العلوم^٤. له مصنّفات في مختلف العلوم الإسلاميّة فيما يقرب من ستين مؤلفاً، له في كلّ منها القدر الأعلى^٥. من أجملها: منهاج البراعة، في شرح نهج البلاغة. و عليه اعتمد ابن أبي الحديد في شرح النهج. و منها هذا الكتاب الذي نحن بصددّه، و هو من خير كتب أحكام القرآن و أقدمها و أجملها.. و هو من آثار قدمائنا التي تعتزّ بها المكتبة الإسلاميّة في أصلاتها و المادّة العلميّة الثريّة التي تحويها، إنّه مع اختصاره النسبيّ شامل لأطراف الموضوع، جامع لما يجب أن يقال، غنيّ بما تناوله من الاستدلال.. عرض البحث عن آيات الأحكام على ترتيب الكتب الفقهيّة و ذكر كلّ آية في الباب الذي يخصّها، و من ثمّ فهو أشبه بالتفسير

١. المصدر نفسه، ص ٣٩٤.

٢. راوند، بلدة قرب كاشان. قيل: أصله رهاوند.

٣. قال ابن حجر العسقلاني: كان فاضلاً في جميع العلوم، له مصنّفات كثيرة في كلّ نوع.. (لسان الميراث، ج ٣، ص ٤٨).

٤. فقد كتب في التفسير و الكلام و الفلسفة و الفقه و الحديث و التاريخ و غيرها، و عرفت كنهه بالأصالة و عمق البحث و الدراسة. و أصبحت تأليفه موضع عناية العلماء و الدارسين منذ عصره و لا تزال.. (مقدّمه الكتاب، ص ١٦).

الموضوعي للآيات ذات الصلة بالأحكام.. كل ذلك مع رعاية المباحث التفسيرية والفقهية معاً، فأشبعها بحثاً و تعمقاً، حيث كانت المسألة بحاجة إلى ذلك.

والراوندي في هذا الكتاب شديد التأثر بآراء شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ). في كتابيه التبيان في تفسير القرآن والاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار. كما أنه يبدو عليه التأثر الكبير أيضاً بآراء الشريف المرتضى علي بن الحسين البغدادي (ت ٤٣٦ هـ). في كتابه الانتصار في انفرادات الإمامية. وبعض أجوبته على المسائل. ففي كثير من المسائل نجده يتتبع ما قالاه وخاصة الأول منهما، بل ربما يأتي بعبارتهما عيناً من غير تصرف.

وهذا لا يعني إطلاقاً أن الراوندي ليس له جديد في كتابه هذا، بل له محاولات موفقة في مسائل جليلة يستعرضها بانطلاق في الاستنباط، مستعيناً بالقدرة العلمية العظيمة التي يملك نواصيها و يذلل مصاعبها، فيدخل في خضمها دخول العالم المتمكن الذي أوتي نصيباً وافراً من المبادئ العلمية الفخيمة..

و يمتاز هذا الكتاب بأنه يحاول - مبلغ جهده - في الجمع بين الآراء، وخاصة التفسيرية منها، إذا ظهر عليها الاختلاف، فيوفق بينها ما وجد إلى ذلك سبيلاً. ولذلك ترى بعض مسائل مطروحة في كتب الفقه والتفسير بشكل يبدو عليها أنها معترك الآراء بين العلماء. و لكنك عند ما تعود إليها في هذا الكتاب تجد نقطة تنتهي إليها أقوال أولئك، ولا يبقى شيء من الخلاف..

كما أنه يمتاز أيضاً بما حواه من مسائل الخلاف بين المذاهب، والتي وجدت العناية الكافية في تبسيطها و عرضها و النقاش فيها و الاستدلال عليها، فربما كتب المؤلف فصولاً عديدة في مسألة واحدة، يتحدث عنها في كل فصل، و يعود عليها في فصل آخر ليتكلم فيها من زاوية أخرى غير التي تكلم عنها..

و من ثم فهذا الكتاب يُعدُّ أثرًا علميًا فخيماً من آثار أعلامنا الأقدمين، بذل فيه مؤلفه القطب الراوندي جهداً كبيراً موقفاً. و نقدر أنه سيبقى مرجعاً ضخماً يرجع إليه المؤلفون

في الفقه و التفسير.. ما دامت الأيام مهلاً بالدراسات و التحقيق..^١

قال مؤلفه - في المقدمة -: الذي حملني على جمع هذا الكتاب، أنني لم أجد من علماء الإسلام قديماً و حديثاً^٢ من آلف كتاباً مفرداً يشتمل على الفقه الذي ينطق به كتاب الله، ولم يتعرض أحد منهم لاستيعاب ما نصّه عليه، لفظه أو معناه، ظاهره أو فحواه، في مجموع كان على الانفراد، صائب هدف المراد..

فرايت أن أوّلف كتاباً في «فقه القرآن» يعني عن غيره بحسن مبانيه، و لا يقصر فهم القارئ عن [إدراك] معانيه. متجنباً الإطالة و التكثير، و متحرّياً الإيجاز و التيسير، ليكون الناظر فيه أنيساً يصادقه، و للفقهاء رداءً يصدقّه، فجمعت منه بعون الله جملة مشروحة أخرجها الاستقراء، و ذكرت إن نسيئ الأجل ما يقتضيه الاستقصاء.. و الله الموفق لما يشاء..

منهج الكتاب

يقول في مفتتح كتاب الطهارة: أنه تعالى ذكر أحكام الطهارة في القرآن، على سبيل التفصيل في موضعين. و تبّه عليها جملةً في مواضع شتى، في خصوص أو عموم، بتصريح أو تلويح.. و أنا - إن شاء الله - أوردُ جميع ذلك أو أكثر ما فيه، على غاية ما يمكن تلخيصه، و أستوفيه و أومئ إلى تعليله و جهة دليله. و أذكر أقوال العلماء و المفسرين في ذلك، و الصحيح منها و الأقوى. و أقتصر في جميع ما يُحتاج إليه، على مجرد ما روي عن السلف - رحمهم الله - من المعاني سوى القليل.. و أقتنع بألفاظهم المنقولة.. و هذا شرطي إلى آخر الكتاب.

قال: و أكثر الآيات التي نتكلّم عليها في هذا المعنى. فهو كما نبّهنا عليه الأئمة من آل محمد ﷺ و هم معدن التأويل و محطّ التنزيل..^٣

و للمؤلف طريقة حكيمة عند مواجهة مختلف النظرات و الآراء، لخصتها ملحوظة

١. راجع: مقدّمة التحقيق، ص ١٠-١١.

٢. بقصد التأليف على وجه البسط و التصنيف، و منسّقاً على ترصيف كتب الفقه دون التفسير.

٣. أحكام القرآن للراوندي، ج ١، ص ٥-٦.

قدّمها نصيحة لرواد العلم وطلاب الفضيلة..

قال: وكلّ مسألة شرعية لها شعب ووجوه، فإذا سألك عنها سائل، فثبّت في الجواب، فلا تجبه بلا أو بنعم على العجلة، و تصفّح حال المستفتي، فإن كان عامياً يطلب الجواب ليعمل به و يعوّل عليه، فاستفسره عن الذي يقصده و يريد الجواب عنه، فإذا عرفت ما يريده بعينه أجبته عنه و لا تتجاوز إلى غيره من الوجوه. فليس مقصود هذا السائل إلاّ الوجه الذي يريد بيان حكمه ليعمل به.

و إذا كان السائل معانداً يريد الإعنات، تستفسره أيضاً عن الوجه الذي يريد من المسألة، فإذا ذكره أفتيته عنه بعينه و لا تتجاوز به إلى غيره أيضاً، فليس مقصوده طلب الفائدة، وإنما هو يطلب المعاندة، فضيّق عليه سبيل العناد.

و إن كان السائل مستفيداً يطلب بيان وجوه المسألة و الجواب عن كلّ وجه ليعلمه و يستفيده، فأوضح له الوجوه كلّها و اجعل الكلام منقسماً، لئلا يذهب شيء من بابه. و هذا العمري استظهار للعالم في جميع العلوم، إن شاء الله تعالى^١.

و من هذه النصيحة القيّمة يبدو لك مبلغ رزانة المؤلّف و كياسته لدى مواجهة المشاكل من مسائل الخلاف، فلا يجفو لا يقسو و لا تحمله العصبية على أن يخرج عن حدّه، كما حملت غيره ممّن تقدّم ذكرهم.. و هذا ظاهر لمن تصفّح الكتاب..

و هذه هي شيمة من تأدّب بأدب الأئمة من أهل بيت العصمة عليهم السلام.

و الكتاب مطبوع في جزئين بتحقيق الأستاذ السيّد أحمد الحسينيّ - قم المقدّسة.

١٣٩٧ هـ.

٧. أحكام القرآن للسيوري (كنز العرفان في فقه القرآن)

هو أبو عبد الله جمال الدين المقداد بن عبد الله بن محمّد بن الحسين بن محمّد السُّيوري^٢

١. المصدر نفسه، ص ١٤.

٢. نسبة إلى عمل السُّبور: جمع السبر. و هي أن تقطع الجلود الدقاق و يحاط بها السروج (الانصاب للسمعاني، ج ٣، ص ٣٦٦).

الحلبيّ الأسديّ (ت ٨٢٨هـ). من أجلاء العلماء و عظماء المشايخ^١، عالم فاضل، و متكلّم بصير، و فقيه خبير.. له تأليف قيّمة في الفقه و الأدب و الكلام، كلّها جيّدة، منها: تجويد البراعة في شرح تجريد البلاغة، في علم المعاني و البيان. و المتن للشيخ كمال الدين ميثم ابن عليّ بن ميثم البحرانيّ. و يعرف بأصول البلاغة.. و منها: التنقيح الرائع، في شرح المختصر النافع للمحقّق صاحب الشرائع.. و هو كتاب جدّ جليل، جامع لأبواب الفقه من الطهارة حتّى الديات. بحثاً مستوفىّ أجاد فيه و أفاد.. و لا يزال موضع عناية العلماء.. و منها: النافع يوم الحشر، في شرح الباب الحادي عشر، في مباحث الكلام.. و غير ذلك من كتب نافعة تداولتها الأيدي بعناية فائقة.. و التي منها هذا الكتاب كنز العرفان في فقه القرآن تناول لآيات الأحكام و درسها دراسة وافية على غرار دراستها في الكتب الفقهيّة - كما تبّهنا- و تعمق النظر فيها و خاض فيها خوض المضطلع الخبير..

كما أنه أودع فيها فوائد هي فرائد جُمان، ممّا استلقت إليه الأنظار و استجلب دقائق الأفكار.. فكان من جاء بعده عيالاً عليه، يستمدّ من موائده الثريّة، و يستلهم من عوائده الغنيّة..

قال مؤلّفه -في المقدّمة-: و لقد كانت الآيات الكريمة التي هي مرجع جلّ المسائل و الفتاوى، قد اعتنى الفقهاء بالبحث عنها و استخراج السرّ الدفين فيها، غير أنّي لم أظفر بكتاب منقّح و في نفس الوقت جامع لما يبتغيه الراغب و يستطرفه الطالب.. عزمت على وضع كتاب يشتمل على فوائد خلا عنها سائر التفاسير و فرائد قلّما يجدها إلاّ تحريراً.. و أضفتها بوابل من فروع فقهيّة يستدعيها نصوص الكتاب و ظواهر الآيات.. و أردفتها بنكات و دقائق رائقة تلمع لدى الفضلاء أزهارها، و تزهو لدى العلماء أنوارها..

و هو يتعرّض لمختلف الآراء و يناقشها مناقشة حرّة من غير ما يجرفه التعصّب أو يزلّ

١. كان من خواصّ شيخنا الشهيد السعيد محمد بن مكّي العامليّ. و رتب قواهد الفقهيّة و نصّها و سمّيت بنضد القواهد.. كما أنه سأل شيخه مسائل، فجمع الأسئلة مع أجوبتها في كتاب و سمّيت بالمسائل المقفّدية. و كانت موضع انتفاع الفقهاء في مجال واسع. و هو الذي شرح قصّة استشهاده على يد أعداء الدين و الإسلام.

به التعسف، فهو إن كان ينصر مذهبه يتكلم في ضوء برهان واستدلال برئ.. مما ينبؤك عن سعة باع وتضلع في الأدب واللغة والبيان.
و طبع هذا الكتاب جزئين في مجلد واحد طبعة أنيقة..

٨. الثمرات الياينة والأحكام الواضحة القاطعة

للإمام الزيديّ شمس الدين يوسف بن أحمد بن محمّد اليمانيّ الثُلثيّ (ت ٨٣٢ هـ).
فقيه زيديّ عارف بالتفسير والفقه والحديث، من أهل هجرة العين، من تُلا باليمن^١.
صاحب تأليف، منها: برهان التحقيق و صناعة التدقيق، في المساحة والضرب. و الجواهر
و الغرر في كشف أسرار الدرر، في الفرائض. و الرياض الظاهرة و الجواهر الناضرة
و البواقيت الباهرة، الموضحة لفرائب التذكرة الفاخرة. مختصر الانتصار. و هذا الكتاب:
الثمرات الياينة و الأحكام الواضحة القاطعة في تفسير آيات الأحكام.. في ثلاث مجلّدات.
مخطوط^٢.

و ذكر السيّد شهاب الدين المرعشيّ كتباً أخرى في التفسير الفقهيّ لآيات الأحكام
للزيدية، منها القديمة و منها المعاصرة، فراجع^٣.

٩. زبدة البيان في أحكام القرآن للمحقّق الأردبيليّ

هو المولى الفقيه المحقّق أحمد بن محمّد الأردبيليّ (ت ٩٩٣ هـ). كان أعلم أهل زمانه
في الفقه و الكلام، و إليه انتهت رئاسة الفتيا و المرجعيّة العليا في العهد الصفويّ الزاهر.
و كانت منزلته الفقهية ممّا يشار إليه بالبنان، و كتابه الفقهيّ مجمع الفائدة كان قد حاز
السبق الأوفى، و لا يزال مرجعاً للفقهاء و محطّ أنظارهم في الاستنباط و مقام الإفتاء،

١. بالضمّ مقصوراً. من حصون اليمن. مدينة واقعة في جنوبيّ جزيرة العرب، هي أغنى مُدُن اليمن بعد صنعاء.
فيها أنقاض قلعة تسمّى «حصن الغراب».

٢. هدية العارفين لإسماعيل باشا، ج ٢، ص ٥٥٩؛ معجم المفسّرين لعادل نوبهض، ج ٢، ص ٧٤٢.

٣. مسالك الأنعام (المقدمة)، ج ١، ص ٧-٨.

وحتى في المسائل المستجدة.. الأمر الذي يدلّك على بعد نظره و عمق فكره في مسائل الأصول و الفروع..

و كتابه في التفسير الفقهيّ لآيات الأحكام.. جاء صفة من ذلك البحر الخضمّ و زبدة من ذلك العلم الأشمّ.. فقد أودعه تدقيقات و تحقيقات لم يحظ بها سائر الكتب ممّا نسج على منواله..

يكفيك مثلاً: أنّ هذا الكتاب و إن كان نسج على منوال كنز العرفان و احتذى أثره في المنهج و الأخذ بجوانب الكلام.. غير أنّه غدّاه بوفرة التحقيق و التعميق ممّا زاد عليه و بلغ به مرتبة الكمال..

خذ لذلك مثلاً مسألة التيمّم - حسبما جاءت في القرآن - جاءت في آيتين:

الأولى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾^١.

و الثانية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوْهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنْبًا فَاطَهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ..﴾^٢.

ففي هاتين الآيتين جاء شرط التيمّم أحد أمور ثلاثة: المرض، السفر، فقدان الماء..

غير أنّ هذا الشرط بأنحائه الثلاثة وقع مورد إشكال و إيهام لدى المفسرين، و عدّه الآلوسيّ من المعضلات. قال: «نعم، الآية من معضلات القرآن و لعلّها تحتاج بعدّ إلى نظر دقيق...»^٣.

وقال الأستاذ الشيخ محمد عبده: «وقد طالعت في تفسيرها خمسة وعشرين تفسيراً فلم أجد فيها غناءً، ولا رأيت قولاً يسلم من التكلف...»^١.

هذا.. ولم نجد ممن كتب في التفسير الفقهي من تنبّه لهذه العويصة غير شيخنا المحقق الأردبيلي رحمته الله قال: «ثم لا يخفى أن نظم هذه الآية مثل الآية الأخرى، لا يخلو من إشكال -حسب فهمنا- وجعل يعدّد مواضع الإبهام في الآية، ثم قال: وكأنه لذلك ذكر صاحب كشف الكشاف^٢ -و نعم ما قال- والآية من معضلات القرآن...

قال المحقق الأردبيلي: ولعلّ السّر في ذلك الترغيب على الجدّ والاجتهاد، وتحصيل العلوم لنيل السعادات..

وقد ذكر طرفاً من العويصة وأخذ في حلّها وإزاحة النقاب عن وجهها، بشكل فنيّ رائع، ممّا يتناسب ومقدرته العلميّة الفائقة^٣.

وهذا الكتاب طبع طبعات أنيقة كان أجملها بتحقيق رضا أستاדי وعلي أكبر زماني نزاد..

١٠. مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد الجواد المعروف بالفاضل الكاظميّ. من أعلام القرن الحادي عشر. كتب في آيات الأحكام في حجم كبير، مستوفي و مستقصى للأقوال والآراء على مختلف المذاهب، وفي مناقشة حرّة على صعيد من النقد التزيه. و يعدّ من أوسع التفاسير الفقهيّة وأشملها بحثاً وتحقيقاً على مشرب الإماميّة.

و للسيد شهاب الدين المرعشيّ مقدّمة منيفة على الكتاب وقد وسّع الكلام حول التفاسير الفقهيّة منذ الصدر فإلى العصر الحاضر.. من مختلف المذاهب الإسلاميّة.. فهي مقدّمة نافعة و جامعة.

٢. تعليقة نفيسة على الكشاف.

١. المنار، ج ٥، ص ١١٩.

٣. زبدة البيان للمحقّق الأردبيلي، ص ٤٥. وقد ذكر الطبرسيّ أبعاد هذه العويصة وأبان وجه حلّها بإجمال في

مجمع البيان، ج ٣، ص ٥٢.

و طبع طبعة أنيقة بتحقيق الأستاذ شريف زاده، علّق عليه واستخرج أحاديثه. وأخرج في أربعة أجزاء في مجلّدين كبيرين.

١١. قلائد الدرر في بيان الأحكام بالأثر

للشيخ أحمد بن إسماعيل بن عبد النبيّ الجزائريّ (توفيّ ١١٥١ هـ). و كتابه هذا من أجلّ الكتب المدوّنة في التفسير الفقهيّ و أنفعها و أشملها للوجوه و الأقوال، مزداناً بالآثار المرويّة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، مستوعباً مستقصى، مع تحقيق و تدقيق بالغين. على غرار معاصره الكاظميّ، في بعد الصيت و حسن السمّ. و قد طبع عدّة طبعات في إيران و العراق في ثلاث مجلّدات. و قد احتفل به العلماء في الحوزتين.

* * *

و هناك للعلماء الأفاضل تفاسير فقهية جليّة، امتداداً لهذا المشروع الجليل.. و لزمينا المحقّق الجليل السيّد محمّد عليّ أيازي تأليف لطيف بحث فيه عن مناحي الفقه القرآنيّ، بشكل فنيّ و على أساس من التحقيق عن مسألة الاستنباط القرآنيّ و أبعادها و شمولها، و أبدع في ذلك.. و لا تزال الكتابة في ذلك مستمرّة عبر التحقيق عن المسائل الإسلاميّة المستجدّة. و فّق الله الجميع.

* * *

التفسير الجامعة

و هو ثالث أنواع التفسير التي ظهرت إلى الوجود: التفسير النقلّي (التفسير بالمأثور)، ثمّ التفسير الفقهيّ (آيات الأحكام)، و ثالثاً التفسير الاجتهاديّة الجامعة، و التي تعرضت لجوانب من الكلام النظريّ حول تفسير القرآن.

و هذه التفسير الاجتهاديّة الجامعة من أقدم أنواع التفسير بعد التفسير بالمأثور، و تشمل الكلام في جوانب مختلفة من التفسير، لغةً و أدباً و فقهاً و كلاماً، حسب تنوّع العلوم و المعارف التي كانت دارجة ذلك العهد. نعم، كان قد يغلب على بعض هذه التفسير لون التخصص الذي كان يتخصّص فيه صاحب التفسير، من براعة في أدب أو فقه أو كلام. غير أنّ ذلك لم يكد يخرج بالتفسير عن كونه من التفسير الاجتهاديّ الجامع، و ليس في طابع ذي لون واحد.

و نحن ذاكرون الأهمّ من هذه التفسير التي احتلّت المحلّ الأرفع في الأوساط العلميّة، طول عهد الإسلام، و نضعها موضع دراستنا، بحثاً وراء معرفة قيمتها في عالم التفسير:

التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسيّ (ت ٤٦٠ هـ).

هو الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسيّ، نسبة إلى «طوس» من بلاد خراسان، الآهلة بالعلم و الثقافة و العمران، و لا تزال معهداً للدراسات الإسلاميّة؛

حيث مثوى الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، و تعدّ اليوم من أكبر مدن إيران الإسلاميّة المزدهرة.

و شيخنا العلامة الطوسي، يُعدّ علماً من أعلام الطائفة و شيخها المقدّم و إمامها الأسبق، سبّاق العلوم و المعارف الإسلاميّة، و القدوة العليا لمن كتب و ألف في شتّى شؤون العلوم الإسلاميّة، من فقه و تفسير و كلام، فضلاً عن الأصول و الرجال و الحديث.

و لُقّب بشيخ الطائفة؛ لأنّه زعيمها و قائدها و سائقها و معلّمها الأوّل في مختلف العلوم. ولد بطوس في شهر رمضان سنة (٣٨٥ هـ). و هاجر إلى بغداد سنة (٤٠٨ هـ) أيّام زعامة عميد الطائفة محمّد بن محمّد بن النعمان المشتهر بالشيخ المفيد. فلازمه ملازمة الظلّ، و عكف على الاستفادة منه، و أدرك ابن الغضائريّ و شارك النجاشي. و بعد وفاة شيخه المفيد سنة (٤١٣ هـ) و انتقال الزعامة إلى علم الهدى السيّد المرتضى، انحاز الشيخ إليه و لازم الحضور تحت منبره، و عنى به المرتضى و بالغ في توجيهه و تلقينه. و بقي ملازماً له طيلة (٢٣) سنة، حتّى تُوفّي السيّد سنة (٤٣٦ هـ). فاستقلّ شيخ الطائفة بأعباء الإمامة، و ظهوره على منصّة الزعامة، و أصبح علماً من أعلام الشيعة و مناراً للشريعة، و كانت داره في الكرخ مأوى الأئمة و مقصد الوُفاد، يأتيه من كلّ صوب و مكان. و تصدّر كرسيّ الكلام في بغداد، بطلب من الخليفة القادر بالله العباسي؛ حيث لم يكن في بغداد يومذاك من يفوقه قدراً أو يُفضّل عليه علماً و معرفة، بمباني الشريعة و أصول الكلام فيها. و لم يزل شيخنا المعظم إمام عصره و عزيز مصره، حتّى ثارت الفلّاق و حدثت الفتن في بغداد، و اتّسع ذلك على عهد طغرل بيك أوّل ملوك السلاجقة، فإنّه ورد بغداد و كان أوّل ما فعل أن شنّ الإغارة على الكرخ، و أحرق مكتبة الشيعة هناك، و التي أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير، وزير بهاء الدولة البويهّي. و كان قد جمع فيها من كتب فارس و العراق، و استجلب من بلاد الهند و الصين و الروم. فكانت مكتبة ضخمة ثريّة، ربّما تنوف كتبها على عشرات الألوف، و أكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلفين.

و من ثمّ اضطرّ شيخنا أبو جعفر إلى الهجرة إلى النجف الأشرف سنة (٤٤٩ هـ)،

واستفرغ للعكوف على التأليف والتصنيف، وفيها خرجت أمهات كتبه و تأليفه، أمثال: الميسوط، والخلاف، والنهاية في الفقه، والبيان في التفسير، والتهذيب، والاستبصار في الحديث، والاقتصاد، والتمهيد في الكلام، وسائر كتبه الرجالية وغيرها.

فيا له من منبع علم ومدخر فضيلة، ازدهر به العالم الإسلامي، نوراً وعلماً وحياة نابضة، فقد بارك الله فيه وفي عمره (٣٨٥-٤٦٠هـ) = ٧٥

التعريف بهذا التفسير

هو تفسير حافل جامع، وشامل لمختلف أبعاد الكلام حول القرآن، لغةً وأدباً، قراءةً ونحواً، تفسيراً وتأويلاً، فقهاً وكلاماً... بحيث لم يترك جانباً من جوانب هذا الكلام الإلهي الخالد، إلا وبحث عنه بحثاً وافياً، في جازة وإيفاء بيان.

يبدو من إرجاعات الشيخ في تفسيره إلى كتبه الفقهية والأصولية والكلامية، أنه كتب التفسير متأخراً عن سائر كتبه في سائر العلوم، ومن ثم فإن هذا الكتاب يُحظى بقوة ومتانة وقدرة علمية فائقة، شأن أي كتاب جاء تأليفه في سنين عالية من حياة المؤلف.

وبحق فإن هذا التفسير حاز قصب السبق من بين سائر التفاسير التي كانت دارجة لحد ذلك الوقت، والتي كانت أكثرها مختصرات، تعالج جانباً من التفسير دون جميع جوانبه، مما أوجب أن يكون هذا التفسير جامعاً لكل ما ذكره المفسرون من قبل، وحاوياً لجميع ما بحثه السابقون عليه.

قال الشيخ في مقدمة تفسيره: فإن الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب، أنني لم أجد أحداً من أصحابنا قديماً وحديثاً من عمل كتاباً يحتوي على تفسير جميع القرآن، ويشتمل على فنون معانيه، وإنما سلك جماعة منهم في جمع ما رواه ونقله وانتهى إليه في الكتب المروية في الحديث، ولم يتعرض أحد منهم لاستيفاء ذلك وتفسير ما يحتاج إليه، فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأمة، بين مطيل في جميع معانيه، واستيعاب ما قيل فيه من فنونه - كالتبري وغيره - وبين مقصر اقتصر على

ذكر غريبه، و معاني ألفاظه. و سلك الباقون المتوسطون في ذلك مسلك ما قويت فيه مُنتهَمٌ، و تركوا ما لا معرفة لهم به قال: و أنا إن شاء الله تعالى أشرع في ذلك على وجه الإيجاز و الاختصار لكلِّ فنٍّ من فنونه، و لا أطيل فيمَلِّه الناظر فيه، و لا اختصر اختصاراً يقصر فهمه عن معانيه.

فهو تفسير وسط جامع شامل، حاوياً لمحاسن من تقدّمه، تاركاً فضول الكلام فيه ممّا يملّ قارئه، فجاء في أحسن ترتيب و أجمل تأليف؛ فلهذا درّه و عليه أجره.

منهجه في التفسير

أمّا المنهج الذي سلكه في تفسير القرآن، فهو المنهج الصحيح الذي مشى عليه أكثر المفسّرين المتقنين، فيبدأ بذكر مقدّمات تمهيدية، تقع نافعة في معرفة أساليب القرآن، و مناهج بيانه و سائر شؤونه، ممّا يرتبط بالتفسير و التأويل، و المحكم و المشابه، و الناسخ و المنسوخ، و معرفة وجوه إعجاز القرآن، و أحكام تلاوته و قراءته، و أنّه نزل بحرف واحد، و الكلام عن الحديث المعروف: نزل القرآن على سبعة أحرف. و التعرّض لأسامي القرآن و أسامي سوره و آياته، و ما إلى ذلك.

أمّا صلب التفسير، فيبدأ بذكر الآية، و يتعرّض لغريب لغتها، و اختلاف القراءة فيها، ثمّ التعرّض لمختلف الأقوال و الآراء و ينتهي إلى تفسير الآية تفسيراً معنوياً في غاية الوجازة و الإيفاء. و هكذا يذكر أسباب النزول، و المسائل الكلامية المستفادة من ظاهر الآية، حسب إمكان اللغة و الأدب الرفيع، كما يتعرّض للمسائل الخلافية في الفقه و الأحكام، و مسائل الاعتقاد و نحوها. كلّ ذلك مع عَفَّ اللسان و حسن الأدب في التعبير. و ممّا يجدر التنبّه له، أنّ هذا التفسير يتعرّض لمسائل علم الكلام، في صبغة أدبية رفيعة، و لا يترك موضعاً من الآيات الكريمة التي جاءت فيها الإشارة إلى جانب من مسائل العقيدة، إلّا و تعرّض لها، و أكثر في تفصيل و بسط كلام. و هذا من اختصاص هذا

التفسير.

يقول المؤلف في المقدمة: وسمعت جماعة من أصحابنا قديماً و حديثاً يرغبون في كتاب مقتصد، يجتمع على جميع فنون علم القرآن: من القراءة، والمعاني، والإعراب، والكلام على المتشابه، والجواب عن مطاعن الملحدين فيه، وأنواع المبطلين كالمجبرة والمشبهة والمجسمة وغيرهم، وذكر ما يختص أصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه، على صحة مذهبهم في أصول الديانات وفروعها. وأنا إن شاء الله تعالى أشرع في ذلك على وجه الإيجاز والاختصار لكل فن من فنونه، ولا أطيل، فيملمه الناظر فيه، ولا اختصر اختصاراً يقصر فهمه عن معانيه.

ولنذكر أمثلة على ذلك:

مثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^١ يقول:

واعلم أن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فصل. وجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولي في الآية بمعنى الأولى والأحق، و ثبت أيضاً أن المعنى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أمير المؤمنين. فإذا ثبت هذان الأصلان، دل على إمامته. ثم أخذ في بيان كون المراد من «الولي» في الآية هو الأولى بالأمر؛ لأنه المتبادر من اللفظ. واستشهد بقول العرب، وبآيات وأشعار، وشواهد أخر. وأخذ في بيان دلالة «إِنَّمَا» على الحصر، كما أثبت من رواية أكثر المفسرين على نزولها في علي عليه السلام.^٢

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^٣ يروي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: أنهم الأئمة المعصومون، وقيل: هم أمراء السرايا والولاية، وقيل: هم أهل العلم والفقهاء الملازمين للنبي صلى الله عليه وآله. قال الجبائي: هذا لا يجوز؛ لأن «أولى الأمر»، من لهم الأمر على الناس بولاية. قال الشيخ: والأول

٢. البيان، ج ٣، ص ٥٥٩.

١. المائدة (٥): ٥٥.

٣. النساء (٤): ٨٣.

أقوى؛ لأنه تعالى بين أنهم متى ردّوه إلى أولي العلم علموه، و الردّ إلى من ليس بمعصوم، لا يوجب العلم؛ لجواز الخطأ عليه بلا خلاف، سواء أكانوا أمراء السرايا، أو العلماء.

و عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَ أَيْدُهُمْ يُجَاوِزُ لَمْ تَرَوهَا وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^١.

قال: فيمن تعود «الهاء» إليه قولان: أحدهما: قال الزجاج: إنها تعود إلى النبي ﷺ. والثاني: قال الجبائي: تعود إلى أبي بكر؛ لأنه كان الخائف واحتاج إلى الأمن. قال الشيخ: و الأول أصح؛ لأن جميع الكنايات قبل هذا و بعده راجعة إلى النبي ﷺ فلا يليق أن يتخلّل ذلك كناية عن غيره.

ثم قال: و ليس في الآية ما يدلّ على تفضيل أبي بكر؛ لأنّ قوله: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ مجرد الإخبار أنّ النبي ﷺ خرج و معه غيره. و كذلك قوله: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ خبر عن كونهما فيه. و قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ لا مدح فيه أيضاً؛ لأنّ تسمية الصاحب لا تفيد فضيلة، ألا ترى أنّ الله تعالى قال في صفة المؤمن و الكافر: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَ هُوَ مُجَازِرُهُ أَكْفَرْتَا بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾^٢، و قوله: «لا تحزن» إن لم يكن ذمّاً فليس بمدح، بل هو نهي محض عن الخوف. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، قيل: إنّ المراد به النبي ﷺ، و لو أريد به أبو بكر معه لم يكن فيه فضيلة؛ لأنه يحتمل أن يكون ذلك على وجه التهديد. إلى أن يقول: فأين موضع الفضيلة للرجل لولا العناد. ثم أضاف: و لم نذكر هذا للطعن على أبي بكر، بل بيّنا أنّ الاستدلال بالآية على الفضل غير صحيح^٣.

و في مسألة «العدل» و تحكيم العقل في معرفة الصفات، نراه يذهب مذهب أهل الاعتدال في النظر، فيؤوّل الآيات على خلاف ما يراه أهل الظاهر من الصفاتيين، من الأشاعرة و أهل القول بالجبر و التشبيه.

٢. التوبة (٩): ٤٠.

١. التبيان، ج ٣، ص ٢٧٣.

٤. التبيان، ج ٥، ص ٢٢٠-٢٢٣.

٣. الكهف (١٨): ٣٧.

مثلاً، في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾^١ يقول: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي شهد عليها بأنها لا تقبل الحق. يقول القائل: أراك تختم على كل ما يقول فلان، أي تشهد به وتصدقه، وذلك استعارة. وقيل: «ختم» بمعنى طبع فيها أثراً للذنوب، كالسمة والعلامة، لتعرفها الملائكة فيتبرأوا منهم، ولا يوالوهم، ولا يستغفروا لهم. وقيل: المعنى أنه ذمهم بأنها كالمختوم عليها في أنها لا يدخلها الإيمان، ولا يخرج عنها الكفر. قال الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادي^٢

و عند قوله: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^٣ يقول: والمعنى أنهم صمّ عن الحق لا يعرفونه؛ لأنهم كانوا يسمعون بآذانهم. وبكم عن الحق لا ينطقون. مع أن ألسنتهم صحيحة، عمي لا يعرفون الحق وأعينهم صحيحة، كما قال: ﴿وَرَأَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^٤. قال: وهذا يدل على أن قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ و ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾^٥ ليس هو على وجه الحيلولة بينهم وبين الإيمان؛ لأنه وصفهم بالصمّ والبكم والعمى مع صحّة حواسهم، وإنما أخبر بذلك عن الفهم الكفر واستقلالهم للحقّ والإيمان، كأنهم ما سمعوه ولا رأوه، فلذلك قال: ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾^٦ و ﴿أَصَلَّهُمْ﴾^٧ و ﴿أَصَتْهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾^٨ و ﴿جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾^٩ و ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^{١٠}. وكان ذلك إخباراً عما أحدثوه عند امتحان الله إياهم، وأمره لهم بالطاعة والإيمان؛ لأنه ما فعل بهم ما منعهم من الإيمان.

وقد يقول الرجل: حبّ المال قد أعمى فلاناً وأصمّه، ولا يريد بذلك نفي حاسته، لكنّه

١. البقرة (٢): ٧.
٢. الثيان، ج ١، ص ٦٣-٦٤.
٣. البقرة (٢): ١٨.
٤. الأعراف (٧): ١٩٨.
٥. النساء (٤): ١٥٥.
٦. التوبة (٩): ٩٣؛ النحل (١٦): ١٠٨؛ محمد (٤٧): ١٦.
٧. طه (٢٠): ٨٥.
٨. محمد (٤٧): ٣٣.
٩. الأنعام (٦): ٢٥؛ الإسراء (١٧): ٤٦؛ الكهف (١٨): ٥٧.
١٠. الصّٰف (٦١): ٥.

إذا شغله عن الحقوق والقيام بما يجب عليه، قيل: أصمّه وأعماه. وكما قيل في المثل:
حبك الشيء يُعمي ويُصمّ، ويريدون ما قلناه. وقال مسكين الدارمي:

أعمى إذا ما جارتني خرجت حتى يوارى جارتني الخدر
ويُصمّ عمّا كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر
وقال آخر: أصمّ عمّا ساءه سميع، فجمع الوصفين^١.

وعند قوله: ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾^٢ يقول: وليس المراد بالطبع - في الآية -
المنع من الإيمان؛ لأنّ مع المنع من الإيمان لا يحسن تكليف الإيمان^٣.

مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الطبرسي

هو أمين الإسلام أبو عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسيّ، نسبة إلى «طَبْرَس»
على وزان جعفر معرّب «تفرش» بكسر الراء مدينة عامرة قرب «ساوة» من بلاد إيران. أمّا
النسبة إلى «طبرستان» فهو طبري، كما هو معروف.

علم شامخ من أعلام الإماميّة، علامة فاضل، جامع أديب، ومفسّر فقيه، تتلمذ لدى
مشايخ عصره الأجلّاء، منهم: الشيخ أبو عليّ ابن شيخ الطائفة الطوسيّ، والشيخ أبو الوفاء
الرازيّ، والسيد أبو طالب الجرجانيّ، والسيد أبو الحمد مهديّ بن نزار الحسينيّ القائنيّ،
عن الحاكم أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكانيّ، وغيرهم. هو من أعلام القرن
السادس، توفّي سنة (٥٤٨هـ). وكان قد بلغ سنّه حدود التسعين على ما جاء في روّضات
الجنّات^٤.

وهو تفسير حاشد بالأدب واللغة والقراءات وحججها، ويختصّ بالإحاطة بآراء
المفسّرين السلف. وكان المؤلّف قد جعل تفسير الثبيان لشيخ الطائفة أسوة له في هذا
المجال، فجعله أصلاً بنى عليه زيادات المباني والفروع، ذكر المؤلّف بهذا الشأن:

٢. بونس (١٠): ٧٤.

١. الثبيان، ج ١، ص ٨٨-٩٠.

٣. الثبيان، ج ٥، ص ١٢٤.

٤. روّضات الجنّات للخوانساريّ، تحقيق إسماعيليان، ج ٥، ص ٣٥٩.

و قد خاض العلماء قديماً و حديثاً في علم تفسير القرآن، و اجتهدوا في إبراز مكنونه و إظهار مصونه، و ألقوا فيه كتباً جمةً، غاصوا في كثير منها إلى أعماق لججه، و شققوا الشعر في إيضاح حججه، و حققوا في تنقيح أبوابه، و تغلغل شعابه، إلا أن أصحابنا عليهم السلام لم يدوتوا في ذلك غير مختصرات، نقلوا فيها ما وصل إليهم في ذلك من الأخبار، و لم يعنوا ببسط المعاني و كشف الأسرار، إلا ما جمعه الشيخ الأجلّ السعيد أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي عليه السلام من كتاب التبيان، فإنه الكتاب الذي يُقتبس منه ضياء الحق، و يلوح عليه رواء الصدق، قد تضمن من المعاني الأسرار البديعة، و احتضن من الألفاظ اللغة الوسيعة، و لم يقنع بتدوينها دون تبينها، و لا بتنميقها دون تحقيقها، و هو القدوة استضيء بأنواره، و أطأ مواقع آثاره.

قدّم على تفسيره مقدمات سبع، بحث فيها عن تعداد آي القرآن، و أسامي القراء المشهورين، و ذكر التفسير و التأويل، و أسامي القرآن، و علومه و فضله و تلاوته، و أثبت فيها صيانة القرآن من التحريف و الزيادة و النقصان، و بيّن إجماع علماء الإمامية على ذلك، و اتفاق آرائهم فيه.

منهجه في التفسير

أما المنهج الذي سار عليه مفسرنا فهو منهج رتيب، يبدأ بالقراءات، فيذكر ما جاء عن اختلاف القراءة في الآية، و يعقبها بذكر الحجج التي استندت إليها كل قراءة، ثم اللغة ثم الإعراب، و أخيراً المعنى. و قد يتعرّض لأسباب النزول، و القصص التي لها بعض الصلة بالآيات. و بحق قد وضع تفسيره على أحسن ترتيب و أجمل تبويب. يقول هو عن تفسيره: و ابتدأت بتأليف كتاب هو في غاية التلخيص و التهذيب، و حسن النظم و الترتيب، يجمع أنواع هذا العلم و فنونه، و يحوي فصوصه و عيونه، من علم قراءته و إعرابه و لغاته و غوامضه و مشكلاته، و معانيه و جهاته، و نزوله و أخباره، و قصصه و آثاره، و حدوده و أحكامه، و حلاله و حرامه. و الكلام عن مطاعن المبطلين فيه، و ذكر ما ينفرد به

أصحابنا عليه السلام من الاستدلالات بمواضع كثيرة منه، على صحة ما يعتقدونه من الأصول والفروع، والمعقول والمسموع، على وجه الاعتدال والاختصار، فوق الإيجاز ودون الإكثار. فإن الخواطر في هذا الزمان لا تحتل أعباء العلوم الكثيرة، وتضعف عن الإجراء في الحلقات الخطيرة؛ إذ لم يبق من العلماء إلا الأسماء، ومن العلوم إلا الذمائم وهو بقية الروح في المذبوح.

قال: وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكّيها ومدنيها، ثم ذكر الاختلاف في عدد آياتها، ثم ذكر فضل تلاوتها، ثم أقدم في كل آية الاختلاف في القراءات، ثم ذكر العلل والاحتجاجات، ثم ذكر العربية واللغات، ثم ذكر الإعراب والمشكلات، ثم ذكر الأسباب والنزولات، ثم ذكر المعاني والأحكام والتأويلات، والقصص والجهات، ثم ذكر انتظام الآيات.

ثم إنني قد جمعت في عربيته كل غرّة لائحة، وفي إعرابه كل حجة واضحة، وفي معانيه كل قول متين، وفي مشكلاته كل برهان مبين. وهو بحمد الله للأديب عمدة، وللنحوي عمدة، وللمقري بصيرة، وللناسك ذخيرة، وللمتكلم حجة، وللمحدث محجة، وللفقيه دلالة، وللواعظ آلة.

قال الذهبي بشأن هذا التفسير: والحق أن تفسير الطبرسي - بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعية وآراء اعتزالية - كتاب عظيم في بابه، يدل على تبخر صاحبه في فنون مختلفة من العلم والمعرفة. والكتاب يجري على الطريقة التي أوضحها لنا صاحبه، في تناسق تام، وترتيب جميل. وهو يجيد في كل ناحية من النواحي التي يتكلم عنها. فإذا تكلم عن القراءات وجوهاً أجاد، وإذا تكلم عن المعاني اللغوية للمفردات أجاد، وإذا تكلم عن وجوه الإعراب أجاد، وإذا شرح المعنى الإجمالي أوضح المراد، وإذا تكلم عن أسباب النزول وشرح القصص استوفى الأقوال وأفاض، وإذا تكلم عن الأحكام تعرض لمذاهب الفقهاء، وظهر بمذهبه ونصره إن كانت هناك مخالفة منه للفقهاء، وإذا ربط بين الآيات آخى بين الجمل، وأوضح لنا عن حسن السبك وجمال النظم، وإذا عرض

لمشكلات القرآن أذهب الإشكال وأراح البال. وهو ينقل أقوال من تقدّمه من المفسّرين معزّوة لأصحابها، ويرجّح ويوجّه ما يختار منها.

ثمّ يقول عنه الذهبي: وإذا كان لنا بعض المآخذ عليه فهو تشييعه لمذهبه وانتصاره له، وحمله لكتاب الله على ما يتفق وعقيدته، وتنزيله لآيات الأحكام على ما يتناسب مع الاجتهادات التي خالف فيها هو ومن على شاكلته. وروايته لكثير من الأحاديث الموضوعية. غير أنّه -والحقّ يقال- ليس مغالياً في تشييعه، ولا متطرّفاً في عقيدته، كما هو شأن كثير غيره، من علماء الإمامية^١.

ثمّ يذكر الذهبي أمثلة لما ظنّه مواخذة على مفسّرنا الجليل، وحسب أنّه تعصّب لها انتصاراً لمذهبه في التشييع، في حين أنّه أدّى الكلام حقّه ولم يفرط في القول، كما أنّه لم يفرط كما فرط الآخرون من سائر المفسّرين.

مثلاً في قصّة الخاتم عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُعِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^٢ نراه يفصل في الكلام عن شأن نزول الآية، ودالتها الصريحة في إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بما أتمّ الحجّة وبلغ في البيان. أمّا الأستاذ الذهبي فلم يرقه ذلك، وقال ناقماً عليه: ولا شك أنّ هذه محاولة فاشلة، فإنّ حديث «تصدّق عليّ بخاتمه في الصلّة» -وهو محور الكلام- حديث موضوع لا أصل له. وقد تكفل العلامة ابن تيميّة بالردّ على هذه الدعوى في كتابه منهاج السنّة (ج ٤، ص ٣-٩)^٣.

قلت: أترى ابن تيميّة لم يتعصّب لمذهبه في النصب لعليّ وآل الرسول، في إنكاره لمنقبة هي من أكبر المناقب التي نزل بها القرآن الكريم، وأذعن لها أهل العلم والتحقيق، في الحديث والتفسير.

إنّ لهذا الحديث أسناداً متظافرة -إن لم تكن متواترة- وأوردها جلّ أهل الحديث، حتّى

٢. المائدة (٥): ٥٥.

١. التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ١٠٤-١٠٥.

٣. التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ١٠٩.

أنَّ الحاكم النيسابوريَّ عدّه من الأحاديث التي رواها أهل مدينة عن أهل مدينة، فقد رواه الرازيون عن الكوفيّين^١، وقد تعدّدت طرقه و كثر مخرجه.

قال ابن حجر العسقلانيّ: وإذا كثرت الطرق و تباينت مخرجها دلّ ذلك على أنّ لها أصلاً!

كيف، و هذا الحديث قد أخرجها الأئمة الحقاظ بعدة أسانيد، و فيها الصحاح. صرح بذلك الحافظ أبو بكر ابن مردويه الأصبهانيّ، قال: إسناده صحيح، رجاله كلّهم ثقات، و هكذا ابن أبي حاتم الرازيّ^٢.

وأورده جلال الدين السيوطيّ، في أسباب النزول، بعدة طرق، و ذكر له شواهد، ثمّ قال: فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً^٣.

و قد استقصى العلامة الأمينيّ موارد ذكر الحديث، فأنها إلى (٦٦) مورداً في أمّهات الكتب الحديثية، و كتب المناقب و التفسير و الكلام^٤.

و هذا الحديث ممّا سارت به الركبان، و أنشد فيه الشعراء، منهم حسّان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ حيث يقول:

وكلّ بطيء في الهدى و مسارع	أبا حسن أفديك نفسي و مهجتي
و ما المدح في ذات الإله بضائع	أ يذهب مدحي ذا المُحَبَّر ضائعاً
فدتك نفوس القوم يا خير راع	فأنت الذي أعطيت إذ كنت راعاً
و يا خير شارٍ ثمّ يا خير بائع	بخاتمك الميمون يا خير سيّد
و بيّنها في محكمات الشرائع ^٥	فأنزل فيك الله خير ولاية

١. معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوريّ، ص ١٠٢.

٢. فتح الباري، ج ٨، ص ٣٣٣. راجع: التفسير، ج ٣، ص ١٥٧، رقم ٦ و ١٦.

٣. باب القول في أسباب النزول للسيوطي، ص ١٠٧.

٤. التفسير، ج ٣، ص ١٥٦-١٦٢؛ راجع: تفسير أبي الفتوح، ج ٤، ص ٢٤٤-٢٥٧.

٥. و نسبت هذه الأبيات إلى خزيمه بن ثابت ذي الشهادتين أيضاً، و لعلمه الأرجح، غير أنّ المشهور نسبتها إلى

حسّان. راجع: هامش ابن عسّاكر، ترجمة الإمام عليّ، ج ٢، ص ٤١٠.

كلّ ذلك يدلّ على شيوعه واستفاضته بما لا يكاد يمكن إنكاره، إلّا من عمى قلبه وأعمته عصبيّته أمثال الذهبيّ، ومن قبله ابن تيميّة.

هذا وقد أرسله الفقهاء وهم أبصر بمواضع الأحاديث إرسال المسلّمات، وأخذوه حجة على أنّ الفعل القليل لا يبطل الصلاة، ومن ثمّ عدّوا هذه الآية من آيات الأحكام، الأمر الذي ينمّ عن اتّفاقهم على صحّة الحديث. هكذا أورد الجصاص هذه الآية دليلاً على جواز العمل اليسير في الصلاة، وروى نزولها في عليّ عليه السلام عن مجاهد والسديّ وأبي جعفر وعتبة بن أبي حكيم^١.

كما استوفى الكلام فيه الحاكم الحسكانيّ وأورده بإسناده إلى جماعة من كبار الصحابة، أمثال: عمّار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، وجابر بن عبد الله الأنصاريّ، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وأبي ذرّ الغفاريّ، فضلاً عن أقوال التابعين في ذلك، فراجع^٢. وراجع - أيضاً - فضائل الخمسة للسيد الفيروز آبادي^٣.

و تعرّض الذهبيّ لمسائل في الأصول والفروع ممّا اختصّت الشيعة القول به، مثل: «الرجعة» و «المهديّ» و «التقيّة» و «المسح على الأرجل» ونحوها، ممّا صرّحت به الآيات، أو جاء به النقل المتواتر متوافقاً مع ظاهر القرآن. وقد أشاد به شيخنا الطبرسيّ في تفسيره حسب مسلكه، في تحكيم ظواهر القرآن عند تراحم الآراء في مسائل الخلاف.

وأخيراً يقول عنه: والطبرسيّ معتدل في تشييعه غير مغال فيه، كغيره من مستطرفي الإماميّة، ولقد قرأنا في تفسيره فلم نلمس عليه تعصباً كبيراً، ولم نأخذ عليه أنّه كفر أحدّاً من الصحابة، أو طعن فيهم بما يذهب بعدلهم ودينهم، كما أنّه لم يغال في شأن عليّ بما يجعله في مرتبة الإله أو مصافّ الأنبياء، وإن كان يقول بالعصمة.

وكلّ ما لاحظناه عليه من تعصّب لمذهب أنّه يدافع بكلّ قوّة عن أصول مذهبه وعقائد أصحابه. كما أنّه إذا روى أقوال المفسّرين في آية من الآيات، ونقل أقوال المفسّرين من

٢. شواهد التنزيل للحاكم الحسكانيّ، ج ١، ص ١٦٦-١٨٤.

١. أحكام القرآن للجصاص، ج ٢، ص ٤٤٦.

٣. فضائل الخمسة، ج ٢، ص ١٣-١٩.

أهل مذهبه فيها، نجده يرتضي قول علماء مذهبه و يؤيده، بما يظهر له من الدليل^١. قلت: و قد أساء الظنّ بالشيعه و لعلّه تعمّد مقيت حيث حسب منهم من يجعل عليّاً عليه السلام في مرتبه الإله؛ إذ لم نجد من ينتمي إلى الشيعة من يزعم ذلك، اللهم إلا الغلاة و هم خارجون عن الملة، و تحكّم الشيعة عليهم بالكفر و الإلحاد.

أما مصافّ الأنبياء، فهو بلوغ مرتبه توازي مرتبه الأنبياء في الفضيله دون النبوة، فهو أمر معقول. و قد جعل النبي ﷺ العلماء في مصافّ الأنبياء؛ حيث قال: علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل^٢. و العلماء ورثة الأنبياء^٣. و قال بشأن عليّ عليه السلام: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي. حديث متواتر مستفيض، و قد رواه أصحاب الصحاح و المسانيد من أهل الحديث^٤.

و أما المسائل التي تعرّض لها الذهبيّ؛ حيث وقعت مورد تأييد مفسّري الشيعة، فأظنّها خارجة عن اختصاص مثل الذهبيّ البعيد عن مسائل الخلاف بين المذاهب الإسلامية، في الأصول و في الفروع، كلّ يدافع عن رأيه، و يتكلّم حسب فهمه من الكتاب و السنّة و العقل الرشيد، ما لم يكن تحميلاً ظاهراً، الأمر الذي يتحاشاه أمثال الطبرسيّ و قبله الشيخ في التبيان.

و ليعلم أنّ في الشيعة جماعة أخباريّة هم أصحاب جمود، نظير إخوانهم الحشويّة من أهل الحديث في السنّة و الجماعة، و لا تُحسب الطائفة على حساب هذه الفئة. و تفاسير علماء الشيعة من لدن شيخ الطائفة أمثال التبيان و روح الجنان و مجمع البيان، كلّها على نمط واحد، تفاسير وضعت على أساس معقول لا إفراط فيها و لا قصور، و لا فيها شيء من التعصّب المقيت.

١. التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ١٤٢-١٤٣.

٢. عوالي اللئالي، لابن أبي جمهور الأحسائي، ج ٤، ص ٧٧، رقم ٦٧.

٣. المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٥٨، رقم ٢٩ و ج ٢، ص ٢٤١، رقم ٩؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٩٨.

٤. راجع: فضائل الخمسة، ج ١، ص ٢٩٩ فما بعد.

و أما النزعة الاعتزالية التي نسبهم إليها أمثال الذهبي، فهي نسبة خاطئة، إنَّ للشيعة الإمامية مباني في أصول معارفها قد تتفق مع مشرب الاعتزال، كمسألة العدل في الأفعال، وتجريد الذات عن مبادئ الصفات، و تحكيم العقل في معرفة الحسن و القبح في التكليف، و ما إلى ذلك. و هذا لا يعني أنَّ الشيعة أخذت عن المعتزلة و لا العكس، بل هو اتفاق نظر في مسائل من الكلام، كما اتفقت الأمة على مسائل في أصول العقيدة و فروع من مسائل الأحكام.

ففي مثل مسألة «الهداية و الضلال» حيث زعم الذهبي أنَّ مفسرنا الجليل وافق المعتزلة في عقيدتهم و دافع عنها، و هدّم ما عداها! إنّما هو توافق محض، و لعلّ الشيعة هم الأصل في هذا النظر؛ لأنّهم إنّما أخذوها عن أهل بيت الرسالة، و منهم نُشر العلم و المعرفة في أرجاء الإسلام.

و كذا مسألة «الرؤية» و إنكار تأثير السحر لولا إذنه تعالى، و هكذا مسألة «الشفاعة» و معرفة حقيقة الإيمان، و ما إليها. فإنّنا نرى الذهبي أخذها دليلاً على محاكاة الشيعة فيها لأصحاب الاعتزال، و لعلّ الصواب العكس.

رَوْحُ الْجِنَانِ وَ رَوْحُ الْجِنَانِ لِأَبِي الْفَتْوحِ الرَّازِيِّ

هو جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمد بن أحمد الخزاعي الرازي، من أحفاد نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي. و نافع و أبوه بديل من أصحاب رسول الله ﷺ، و استشهد نافع و مات بديل في حياة الرسول، و أخوه عبد الله بن بديل استشهد بصفين في ركاب عليّ عليه السلام. كانت أسرته ممّن هاجر إلى بلاد فارس و سكنت في مدينة نيسابور، و انتقل جدّه إلى الريّ، فاشتهر بها. و كان جدّه أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد الخزاعي، نزيل الريّ من تلامذة السيّد المرتضى عليه السلام و تتلمذ على يد السيّد ابن زهرة، و الشيخ أبي جعفر الطوسي أيضاً.

كان مترجمنا عالماً خبيراً بأحوال الرواة والمحدثين، وكان له صيت في أرجاء البلاد، كان يرتحل إليه رواد العلم وطلاب الحديث. ومن أشهر تلاميذه ابن شهر آشوب والشيخ منتجب الدين، وغيرهما من كبار العلماء. وتلمذ على أيدي علماء مشاهير، أمثال الشيخ أبي الوفاء عبد الجبار المقرئ تلميذ الشيخ الطوسي، والشيخ أبي علي ابن الشيخ، والقاضي عماد الدين الأسترآبادي قاضي الري، و جاز الله الزمخشري وغيرهم.

من أشهر مؤلفاته: التفسير الكبير، المعروف بروح الجنان وروح الجنان، الذي وضعه باللغة الفارسية، التي كانت دارجة ذلك العهد، في بلاد إيران؛ وذلك أن أحسن بحاجة الأمة إلى تفسير يقرب من متناول أهل تلك البلاد، فكان في نثر أدبي بليغ و سبك سهل بديع. يقول هو في سبب تأليفه: إن جماعة من أعظم أهل العلم في بلده التمسوا منه أن يضع لهم تفسيراً يقرب من أفهامهم، ويسهل التناول منه لدى عامة أهل زمانه؛ حيث إعوزاهم تفسيراً جامعاً وشاملاً وسهلاً على الناس، فأجاب لملتسمهم وأزاح الإشكال من نفوسهم. فوضع تفسيراً جامعاً وشاملاً، وفي نفس الوقت متوسطاً بين الإيجاز المخجل والإطناب الممل. فقدّم على تفسيره مقدمات، ذكر فيها: أقسام معاني القرآن، وأنواع آيه، وأسماءه، ومعنى السورة والآية، ثم ثواب تلاوته، والترغيب في معرفة غريبه، ومعنى التفسير والتأويل.

وهو تفسير جيّد متين، قد فصل في الكلام عن معضلات الآيات، وشرحها شرحاً وافياً في أوجز كلام وأخصر بيان. متعرّضاً لجوانب مختلفة من الكلام حول الآية، إن كلامية أو أدبية أو فقهية ونحو ذلك، وإنما يتكلّم عن علم ومعرفة واسعة، ويؤدّي المسألة حقّها بإيجاز وإيفاء.



ولهذا التفسير مكانة رفيعة في كتب التفاسير، فكثير من كتب التفسير رست مبانيها على قواعده الركينة و بنت مسائلها على مباحثها الحكيمة. هذا الإمام الرازي، شيخ المفسرين، بنى تفسيره الكبير على مباني شيخنا أبي الفتوح، فيما فتح الله عليه أمهات

المباحث الجليلة. قال العلامة القاضي نور الله التستريّ المرعشيّ: إنّ هذا التفسير من خير التفاسير، وقد سمحت به قريحة شيخنا الرازيّ الوقّادة، ومما لا نظير له في كتب التفسير، في عذوبة ألفاظه وسلاسة عباراته، وظرافة أسلوبه ودقّة اختياره، وقد بنى عليه الفخر الرازيّ في تفسيره الكبير، فأخذ منه اللباب، وزاد عليه بعض تشكيكاته، ممّا زاد في الحجم، ولكنّ الأصل اللباب، هو ما ذكره مفسّرنا الرازيّ أبو الفتوح الكبير^١.

وقد تتبعتُ مواضع من التفسيرين، فوجدت الأمر كما ذكره القاضي، كان الأصل ما ذكره أبو الفتوح الرازيّ، وجاء تحقيق الفخر فرعاً عليه ومقتبساً منه، ولو مع زيادات. مثلاً عند قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوا لِلْإِبْلِيسِ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^٢ ذهب أبو الفتوح إلى أنّ إبليس لم يزل كان كافراً، وأنّ المؤمن سوف لا يكفر؛ لأنّ الإيمان يوجب استحقاق الثواب الدائم، وكذا الكفر يوجب استحقاق العقاب الدائم، والجمع بين الاستحقاقين محال^٣.

وهكذا جاء الاستدلال في التفسير الكبير، قال: الوجه الثاني في تقرير أنّه كان كافراً أبداً، قول أصحاب الموافاة؛ وذلك لأنّ الإيمان يوجب استحقاق الثواب الدائم، والكفر يوجب استحقاق العقاب الدائم، والجمع بين الثواب الدائم والعقاب الدائم محال، فإذا صدر الإيمان من المكلف في وقت ثمّ صدر عنه - والعياذ بالله - بعد ذلك كفر، فإنّما أن يبقى الاستحقاقان معاً وهو محال - على ما بيّناه - أو يكون الطارئ مزيلاً للسابق، وهو أيضاً محال؛ لأنّ القول بالإحباط باطل...^٤

ويبحث الرازيّ عن قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ هل كان هناك كفّار غير إبليس حتّى يكون واحداً منهم؟ فيجيب عن ذلك بجوابات، كلّها واردة في كلام أبي الفتوح الرازيّ^٥.

١. راجع: مجالس المزمين للقاضي التستريّ، ج ١، ص ٤٩٠.

٢. البقرة (٢): ٣٤.

٣. راجع: تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ١٣٨.

٤. راجع: التفسير الكبير، ج ٢، ص ٢٣٧.

٥. راجع: المصدر نفسه، ص ٢٣٧-٢٣٨؛ تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ١٣٩.



أما منهجه في التفسير، فجرى على منوال سائر التفاسير، فيبدأ بذكر السورة وأسمائها وفضلها و ثواب قراءتها، ثم يذكر جملة من الآيات، مع ترجمتها بالفارسيّة، و يفسرها بجملة جملة، فيبدأ بالغة و النحو و الصرف، ثم القراءة أحياناً ثم ذكر أسباب النزول، و التفسير أخيراً، كل ذلك باللغة الفارسيّة القديمة، و لكن في أسلوب سهل بديع.



و من براعته في اللغة: إحاطته بمفردات اللغة الفارسيّة المرادفة تماماً مع مفردات لغة العرب، في مثل: «فسوس» مرادفة لكلمة «الاستهزاء»، و «ديو» لكلمة «الشیطان»؛ لأنه من الجنّ، و الجنّ في الفارسيّة: «ديو»^١ و «پیمان» لكلمة «الميثاق» و «برفروزد» لقوله «استوقد» و «دوزخ» لجهنّم، و «كارشكسته» بمعنى «كاركشته» مرادفة لكلمة «ذلول»^٢ و «شكمش بیاماسامد» بمعنى «انتفخ بطنه»^٣ و «خداوندان علم» بمعنى «أولوا العلم»^٤ و «خاک باز شیاراند» بمعنى «تثير الأرض»^٥ و «همتا» و «انباز» بمعنى «الشريك»^٦ و «ستون چوب درکش گرفت» بمعنى «چوب ستون را در بغل گرفت» مرادفة لقولهم: «احتضن الشيء»^٧ و «ما خواستمانی که در آن خیری بودی تا ما نیز به آن خیر برسیدمانی» تعبير فارسی قديم^٨ و هكذا «و ما را پيای، و گوش نما» مرادفة لكلمة «راعنا»^٩ و «با من بازار می کنی» ترجمة لعبارة: «أم إلیّ تشوّقت» من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام^{١٠}، و ربّما قرئ بالسین، و لعلّ العبارة ترجمة «تسوّقت» بالسین لتكون ترجمتها «بازار گرمی می کنی».

و استعمل «مه» - بكسر الميم - بمعنى «الأكبر» في قوله: «هارون در سال امن و عفو

٢. المصدر نفسه، ص ٢٢٥.

٤. المصدر نفسه، ص ٤٧٧.

٦. المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

٨. المصدر نفسه، ص ٢٨٣.

١٠. نهج البلاغة، من قصار الكلم، رقم ٧٧.

١. تفسير أبي الفتح، ج ١، ص ٧٩ و ٨٠.

٣. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨٤.

٥. المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٥.

٧. المصدر نفسه، ص ٢٤١.

٩. المصدر نفسه، ص ٢٨٠.

زاد وبه يكسال مه موسى بود^١، وهو في مقابلة «كه» - بكسر الكاف - بمعنى «الأصغر».

وقد جاء في كلام الشاعر الفارسي الملهم «سعدى» الشيرازي

چه از قومی یکی بی دانشی کرد نه که را منزلت ماند نه مه را

* * *

كما أنه لم يتقيد بترجمة ظاهر الكلمة، وإنما فسّر معناها تفسيراً يتطابق مع العقل والواقع.

مثلاً: فسّر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ...﴾^٢: بإذا خلوا إلى رؤسائهم وأكابرهم؛ لأنه فسّر «الشیطان» بكلّ متمرّدٍ عاتٍ، سواء أكان من الجنّ أم الإنسان، وحتى الحيوان الخبيث يقال له: شیطان عند العرب، كالأفعى في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^٣ أي رؤوس الأفاعي والحيات^٤.

* * *

والمطالع في هذا التفسير يجد براعته الفارقة في مختلف العلوم الإسلامية، ولا سيما الفقه وعلم الكلام.

من ذلك نجده عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَحُوا بَقَرَةً...﴾^٥ يبحث هل كان بنو إسرائيل مكلفين بالخصوصيات من بدء الأمر؟ أو ليس في ذلك تأخير للبيان عن وقت الخطاب؟ فيقول: هذا عند المعتزلة وأصحاب الحديث وأكثر أهل الكلام غير جائز، لكنّ السيّد المرتضى علم الهدى أجاز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة، ويأخذ الآية دليلاً على صحّة مذهب المرتضى^٦.

وهكذا يذهب إلى أنّ المؤمن لا يرتدّ ولا يكفر بعد الإيمان، ويؤوّل ما ظاهره الخلاف، مستدلاً بأنّ الإيمان عمل يستحقّ صاحبه المثوبة الدائمة، ولا مثوبة مع موافاة

٢. البقرة (٢): ١٤.

١. تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ١٧٩.

٤. تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ٧٩-٨٠.

٣. الصافات (٣٧): ٦٥.

٦. تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ٢٢٠.

٥. البقرة (٢): ٦٧.

الكفر، وكانت عقوبته دائمة أيضاً؛ إذ لا يجتمع تداوم الأمرين.

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^١ القائل بأن ذلك كفر من إبليس، جعلوا «كان» بمعنى «صار» أي و صار من الكافرين، لكنّه خطأ من وجهين: أولاً: ذلك عدول عن ظاهر اللفظ بلا ضرورة تدعو إليه، ثانياً: جعل العمل الجوارحيّ كُفراً، أي موجباً للكفر، في حين أنه يوجب الفسق، حتّى و لو كانت كبيرة، على خلاف مذهب أهل الاعتزال؛ حيث جعلوا فعل الكبيرة موجباً للكفر، وهذا خلاف البرهان.

ثم أخذ في الاستدلال على أن الإيمان لا يتعقبه كفرٌ أو نفاقٌ، وإنّما هو كاشف عن عدمه من قبل، و لم يكن سوى إيمان ظاهريّ لا واقعيّ. قال - ما لفظه بالفارسيّة-: «و مذهب ما آن است كه مؤمن حقيقي، كه خدای تعالی از او ایمان داند، كافر نشود، برای منع دلیلی، و آن دلیل آن است كه اجماع امت است كه مؤمن مستحقّ ثواب ابد بود، و كافر مستحقّ عقاب ابد بود، و جمع بين استحقاقين بر سبيل تأييد محال بود، چه استحقاق در صحّت و استحالت، تبع و وصول باشد. و احباط بنزدیک ما باطل است، چنانكه بیانش کرده شود، پس دلیل مانع از ارتداد مؤمن این است كه گفتیم. و ابليس همیشه كافر بود و منافق ﴿وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^٢.

يقول: انعقد إجماع الأمة على أن المؤمن يستحقّ ثبوتة دائمة، و كذلك الكافر يستحقّ عقوبة دائمة، و الجمع بين تداوم الاستحقاقين محال؛ ذلك لأنّ الاستحقاق يستدعي بلوغ الثواب و وصوله إليه. فإذا كان الإيمان متأخراً كفر ما قبله «الإسلام يجب ما قبله»^٣ و أمّا الكفر المتأخّر فلا يوجب حبس الإيمان؛ لأنّ من يعمل مثقال ذرّة خيراً يره.



١. البقرة (٢): ٣٤.

٢. تفسير أبي الفتح، ج ١، ص ١٣٨-١٣٩؛ أيضاً راجع: ج ٤، ص ٢٣٣.

٣. المستدرك للنوري، ج ٧، ص ٤٤٨، رقم ٨٦٢٥؛ بحار الأنوار، ج ٢١، ص ١١٤.

و نجده يفصل الكلام حول الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر، كلما حنَّ الكلام في تفسيره بالمناسبة.

مثلاً: يقول في تفسير «الغيب» من قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^١ جاء في تفسير أهل البيت عليهم السلام: أن المراد به هو المهدي عليه السلام وهو الغائب الموعود في الكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾^٢.

وأما الأحاديث، فكثيرة، منها قوله عليه السلام: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أهل بيتي يواطى اسمه اسمي وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً».

وهذه الأوصاف لم تجتمع إلا في شخص المهدي المنتظر - عجل الله فرجه الشريف - ثم يقول: كلما مررنا بآية تعرضت لهذا المعنى، استقصينا الأخبار بشأنه^٣.



وله في مباحث الهداية والضلال بحوث مذيّلة، وفي نفس الوقت ممتعة، استفاض فيها الكلام من جميع جوانبه^٤.

ثم إنه لا يترك موضعاً من التفسير يناسب ذكر مسائل الخلاف إلا بيّنه بتفصيل، وذكر مواقف الشيعة الإمامية في ذلك.

مثلاً، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾^٥ يتعرض لأنحاء السجود، منها: السجود في الصلاة، وهو ركن من أركانها - ويفسر معنى الركن - وسجدة السهو، وسجدة الشكر، وسجدة القرآن، وهذه الأخيرة إما واجبة في أربعة

٢. النور (٢٤): ٥٥.

١. البقرة (٢): ٣.

٣. تفسير أبي الفتح، ج ١، ص ٦٤.

٤. راجع: المصدر نفسه، ص ١١٤-١١٥ (مباحثه عن «الضلال والإضلال» ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿يُغَيِّلُ بِهِ كَثِيرًا وَهُدًى بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُغَيِّلُ بِهِ إِلَّا الْفَالِقِينَ﴾، البقرة (٢): ٢٦).

٥. البقرة (٢): ٣٤.

مواضع: الم تنزِيل، حم السجدة، النجم، اقرأ. أو سنّة، ففي أحد عشر موضعاً، فالمجموع: خمسة عشر موضعاً عندنا. وعند الشافعي: أربعة عشر موضعاً، كلّها سنّة. ثمّ يفصل في أحكام سور العزائم، ممّا يخصّ مذهب الإماميّة، ويذكر مواضع سجود السهو للصلاة، ومذهب سائر المذاهب في ذلك. ويذكر علائم المؤمن الخمس: الصلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين - في اليوم العشرين من شهر صفر بكر بلاء - والتختم باليمين، وتغفير الجبين، والجهر بيسم الله الرحمن الرحيم. ويذكر سبب استحباب زيارة الحسين عليه السلام في يوم الأربعين بكر بلاء، وهو يوم ورود جابر بكر بلاء، بعد مقتل الحسين بأربعين يوماً^١.



وممّا يمتاز به هذا التفسير، إحاطة صاحبه بالتاريخ و السيرة الكريمة، وكذلك بالأحاديث الشريفة في مختلف شؤون الدين، ومن ثمّ تراه في شتى المناسبات يخوض المعركة، و يأتي بلباب القول باستيفاء و شمول. وقد يأتي على حوادث قلّ ما يوجد في سائر الكتب.

من ذلك حادثة يوم الصريح، جاء بها ذيل الآية رقم (٥٤) من سورة المائدة؛ حيث قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾.

فذكر أولاً غزوة خيبر وفتحها على يد الإمام أمير المؤمنين، و شعر حسان بن ثابت فيه:

وكان عليّ مَرَمَدَ العين يبتغي	دواءً فلَمَّا لم يُحَسَّ مداوياً
رماه رسول الله منه بتفلة	فبورك مرقياً و بورك راقياً
و قال سأعطي الراية اليوم صارماً	كميّاً محبباً للرسول موالياً ^٢
يُحِبُّ الإلهَ وَ الإلهُ يُحِبُّهُ	به يفتح الله الحصون الأوابياً ^٣

٢. الكمي: البطل الكفي.

١. تفسير أبي الفتح، ج ١، ص ١٣٥-١٣٦.

٣. الأوابي: جمع أوبة، أي حصينة ممتنعة.

فأصفى بها دون البرية كلها علياً وسماه الوزير المؤاخيا
و بعد ذلك يذكر غزوة الصريخ، وفيها: خرج «أسد عويلم» مبارزاً، متترساً بترس
حديدي، يبلغ وزنه مئات الأمان، وكان يعادل أربعين فارساً، وهو يرتجز ويقول:

و جُرِدِ شَعَالٍ وَ زَعْفٍ مُذَالٍ وَ سُمِرٍ عَوَالٍ بِأَيْدِي رِجَالٍ^١
كَأَسَادِ دَيْسٍ وَ أَشْبَالِ خَيْسٍ غَدَاةَ الْخَمِيسِ بَيْضِ صَقَالٍ^٢
تُجِيدُ الضَّرَابَ وَ حَزَّ الرَّقَابِ أَمَامَ الْعُقَابِ غَدَاةَ النَّزَالِ
يَكِيدُ الْكُذُوبَ وَ يُجْرِي الْهَبُوبَ وَ يَرُوي الْكُعُوبَ دَمًا غَيْرَ آلٍ^٣

فبرز إليه علي عليه السلام فقده نصفين، ثم أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول:

ضربته بالسيف وسط الهامة بشفرة صارمة هدامة^٤
فبتكت من جسمه عظامه وبيتت من أنفه إرغامه^٥
أنا علي صاحب الصمصامة و صاحب الحوض لدى القيامة^٦
أخو نبي الله ذو العلامة قد قال إذ عممني العمامة
«أنت الذي بعدي له الإمامة»^٧

و هذه الغزوة بهذا الإسم غير معروفة، و لا أثبتها أصحاب السير بهذا الشكل، وإنما
ذلك من اختصاصات هذا الكتاب، و كم له من نظير.

و «أسد عويلم» غير معروف، سوى ما ذكره المحقق الشعراني في هامش الكتاب^٨
و لم نجده فيما أرجعه من مصدر.



١. الجرد: الفرس القصار الشعر و هو من صفات حسنهن. و هن أجرى في السباق. و الشعال: ما كان في أعالي
ذنبها أو ناصيتها بياض. و الزغف: السرد. و المذال: الواسعة. و السمر: جمع أسمر: القناة. و العوالي: جمع عالية.
٢. أساد: جمع أسد. و الديس: الشجعان. و الأشبال: جمع شبل ولد الأسد. و الخيس: الغابة. و الخميس: الجند
عند ما تنهياً و ترتب للقتال.
٣. العقاب: راية النضال. و غير آل: غير مقصر.

٤. الهامة: عظم فوق الرأس. و الشفرة: حدّ السيف.

٥. بتكت: فوّقت. و إرغام الأنف: تعفيره بالتراب.

٦. الصمصامة: السيف الصارم.

٨. المصدر نفسه، ص ٢٤٠، رقم ١.

٧. راجع: تفسير أبي الفتح، ج ٤، ص ٢٣٧-٢٤١.

ومما امتاز به هذا التفسير أنه لم يترك موضعاً جاءت مناسبة الوعظ والإرشاد إلا وقد استغلّ الفرصة، وأخذ في الوعظ والزجر والترغيب والترهيب. من ذلك عند ذكره لقصة آدم وتوبته، وأنه إنما تقبل الله منه التوبة بأمر ثلاثة تمثلت في آدم، فليكن ذلك من كلّ تائب، وهي: الحياء، والدعاء، والبكاء... ثم أخذ في الوعظ والإرشاد، متمثلاً بقول محمود الوراق:

يا ناظراً يرنو بعيني راقداً	ومشاهداً للأمر غير مشاهد
مَنْتَكَ نَفْسُكَ ضَلَّةٌ فَأَبْحَتْهَا	سبل الرجاء وهنّ غير قواصد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي	درك الجنان بها وفوز العائد
ونسيت أن الله أخرج آدمًا	منها إلى الدنيا بذنب واحد

التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)

للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، المعروف بابن الخطيب، من أصل طبرستانيّ، نزل والده الريّ واشتهر بها. في ظاهره أشعريّ شافعيّ المذهب، صاحب تصانيف ممتعة في فنون المعارف الإسلاميّة، مضطلعاً بالأدب والكلام والفلسفة والعرفان. قال ابن خلكان: إنّ كتبه ممتعة، وقد انتشرت تصانيفه في البلاد، ورُزق فيها سعادة عظيمة، فإنّ الناس اشتغلوا بها ورفضوا كتب المتقدمين، توفي سنة (٦٠٦هـ).

و تفسيره هذا من جلائل كتب التفسير، وقد استوفى الكلام فيه، بما وسعه من الاضطلاع بأحاء المعارف وفنون العلوم، ولم يدع براعته متجولة في مختلف مسائل الأصول والفلسفة والكلام، وسائر المسائل الاجتهاديّة النظرية والعقلية، وأسهب الكلام فيها، بما ربّما أخرجه عن حدّ الاعتدال. وكثيراً ما يترك وراءه لعة من تشكيكات وإيهامات بما يعرقل سبيل الباحثين في التفسير، ولكّنه مع ذلك فإنّه فتّاح لكثير من مغالق المسائل في أبحاث إسلاميّة عريقة.

أما منهجه في التفسير، فإنه يذكر الآية أولاً، ويعقبها بموجز الكلام عنها بصورة إجمالية، ويذكر أن فيها مسائل، يبحث في كل مسألة عن طرف من شؤون الآية: قراءة، وأدباً، وفقهاً، وكلاماً، وما أشبه من المباحث المتعلقة بتفسير الآية، ويستوفي الكلام في ذلك في نهاية المطاف. وهو من أحسن الأساليب التفسيرية، تتجزأ المسائل وتتركز الأبحاث، مفصلة كلاً في محلها، من غير أن يختلط البحث أو تتشابك المطالب، ومن ثم لا يترك القارئ حائراً في أمره من البحث الذي ورد فيه.

و من طريف الأمر أنه لم يجعل لتفسيره مقدّمة ليشرح فيها موضعه من التفسير، والغاية التي أقدم لأجلها على كتابة مثل هذا التفسير الضخم، والسفر الجليل العظيم، وكان لا بد أن يشرح ذلك. كما لم يذكر منابعه في التفسير، ولا الكتب التي اعتمدها في مثل هذا التصنيف، في حين أننا نعلم أنه اعتمد خير المؤلفات لذاك العهد، وأحسن المصنّفات في ذلك الزمان، في مثل تفسير أبي مسلم الأصفهانيّ والجبائيّ والطبريّ وأبي الفتح الرازيّ، وأمثالهم من مشايخ عظام و علماء أجلة معروفين حينذاك.

و تفسيره هذا، يغلب عليه اللون الكلامي الفلسفيّ، لا ضطلاع بهذين العلمين، و من ثمّ نجده يكثر الكلام في ذلك كلّما أتاحت له الفرصة، فيغتمها، ويسهب الكلام في مسائل فلسفية بعيدة الأغوار، بما ربّما أخرجه عن حدّ تفسير القرآن، إلى مباحث جدلية كلامية، وربّما كانت فارغة.



و هل أكمل تفسيره أم تركه ناقصاً ليكمّله غيره من تلاميذ و أحفاد، كما قيل؟
قال ابن خلكان: له التصانيف المفيدة في فنون عديدة، منها تفسير القرآن الكريم، جمع فيه كلّ غريب و غريبة، و هو كبير جداً، لكنّه لم يكمله.^١
قال ابن حجر: الذي أكمل تفسير فخر الدين الرازيّ، هو أحمد بن محمّد بن أبي حزم

نجم الدين المخزومي القمولي، المتوفى سنة (٧٢٧هـ.)، وهو مصري^١.

وقال حاجي خليفة: صنّف الشيخ نجم الدين أحمد بن محمّد القموليّ تكملة له، وقاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن خليل الخوئيّ الدمشقيّ كمل ما نقص منه أيضاً. توفي سنة (٦٣٩هـ.)^٢.

وقال ابن أبي أصيبعة المتوفى سنة (٦٦٨هـ.) في ترجمة أحمد بن خليل الخوئيّ: ولشمس الدين الخوئيّ من الكتب، تتمة تفسير القرآن لابن الخطيب^٣. وأما إلى أيّ موضع بلغ الإمام الرازيّ من تفسيره ليترك البقية لغيره، فهذا مختلف فيه اختلافاً غريباً:

يقول الأستاذ محمّد حسين الذهبيّ: وجدنا على هامش كشف الظنون ما نصّه: «الذي رأيت به بخط السيّد مرتضى نقلاً عن «شرح الشفا» للشهاب، أنّه وصل فيه إلى سورة الأنبياء»^٤. واحتمل بعضهم أنّ الرازيّ أتمّ تفسيره ما عدى سورة الواقعة؛ حيث فيها بعض التعليق من غيره، مثلاً جاء ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^٥ وفيه مسائل، المسألة الأولى أصوليّة، ذكرها الإمام فخر الدين رحمته في مواضع كثيرة، ونحن نذكر بعضها^٦. قال الأستاذ الذهبيّ تعقيماً على هذا الكلام: وهذه العبارة تدلّ على أنّ الإمام الرازيّ لم يصل في تفسيره إلى هذه السورة^٧.

ثمّ أبدى رأيه في حلّ الاختلاف قائلاً: «و الذي أستطيع أن أقوله كحلّ لهذا الاضطراب هو أنّ الإمام الرازيّ كتب تفسيره إلى سورة الأنبياء، فأتى بعده شهاب الدين الخوئيّ فشرع في تكملة هذا التفسير، ولكنّه لم يتمّه، فأتى بعده نجم الدين القموليّ فأكمل ما بقي منه. كما يجوز أن يكون الخوئيّ أكمله إلى النهاية، و القموليّ كتب تكملة أخرى غير التي

١. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، ج ١، ص ٣٠٤.

٢. كشف الظنون، ج ٢، ص ١٧٥٦.

٣. هيون الأنبياء لابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ١٧١ (الرازيّ مفسراً لمحسن عبد الحميد، ص ٥٢).

٤. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢٩٢.

٥. الواقعة (٥٦): ٢٤.

٦. راجع: التفسير الكبير، ج ٢٩، ص ١٥٦.

٧. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢٩٢.

كتبها الخوئي. وهذا هو الظاهر من عبارة كشف الظنون^١.

قلت: وعلى ذلك، فإن الإمام الرازي لم يبلغ من تفسيره سوى حوالى النصف، الأمر الذي لا يمكن تصديقه، بل الظاهر أنه فسّر القرآن كلّهُ حتّى آخر سورة منه، نظراً لوحدة الأسلوب والمنهج والقلم والبيان، فضلاً عن الشواهد الموفورة، على أن الإمام الرازي قد أكمل تفسيره حتّى النهاية، اللهم إلا بعض التعليق ممّا أضيف إليه بعد ذلك، فالحق بالمتن في الاستنساخات المتأخّرة.

ونذكر شاهداً على ذلك أنه عند تفسير الآية رقم (٢٢) من سورة الزمر (رقمها ٣٩ ورقم سورة الأنبياء ٢١) في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَن سَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾^٢ يقول: واعلم أنا بالغنا في تفسير سورة الأنعام في تفسير قوله تعالى: ﴿فَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾^٣ في تفسير شرح الصدر، وفي تفسير الهداية^٤. وأمثال هذه العبارة كثيرة في القسم المتأخّر من التفسير.

عنايته بأهل البيت

له عناية خاصّة بأل بيت الرسول ﷺ يذكرهم بإجلال وإكبار، ويفخّم من شأنهم؛ ممّا ينبؤك عن ولاء متين بالنسبة إلى العترة الطاهرة، الذين هم عدل القرآن العظيم. تجده يقول عند الكلام عن الجهر بسم الله الرحمن الرحيم: وأما أنّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) كان يجهر بالتسمية، فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعليّ بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله (عليه السلام): «اللهم أدر الحقّ مع عليّ حيث دار». ثمّ يقول عند ترجيحه للقول بوجوب الجهر: إنّ راوي قولنا عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وأخيراً يقول: وعمل عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) معنا، ومن اتّخذ عليّاً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه^٥.

١. المصدر نفسه، ص ٢٩٣.

٢. الزمر (٣٩): ٢٢.

٣. الأنعام (٦): ١٢٥.

٤. راجع: التفسير الكبير، ج ٢٦، ص ٢٦٦-٢٦٥.

٥. راجع: التفسير الكبير، ج ١، ص ٢٠٤-٢٠٧ (تفسير سورة الفاتحة).

و من دأبه تعقيب أسماء أئمة أهل البيت بـ«السلام عليهم» كتعقيبه لاسم النبي ﷺ. وقد عرفت تعقيب اسم عليّ بـ«السلام عليه»، وهكذا في تعقيب أسماء سائر الأئمة. هو عندما يروي عن الإمام جعفر بن محمد، يصفه أولاً بلقبه الفخيم «الصادق» ثم يعقبه بـ«السلام عليه». قال في تفسير النعيم: قال جعفر بن محمد الصادق السلام عليه: النعيم: المعرفة والمشاهدة، والجحيم: ظلمات الشهوات^١.

وفي كثير من عباراته: محمد السلام عليه، عليّ السلام عليه على سواء، راجع تفسيره لسورة النصر^٢. وهكذا نجده يذكر أئمة أهل البيت بإكبار وإجلال، هو عند ما يتعرض لوفرة ذرّيّة الرسول في تفسير سورة الكوثر، يقول: انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء، كالباقر والصادق والكاظم والرضا السلام عليهم، والنفس الزكيّة وأمثالهم^٣ والذي يجلب النظر أنه عقب أسماء الأئمة الأربعة فقط بـ«السلام عليهم»، الأمر الذي يدلّ بوضوح على مبلغ تشييعه لآل البيت ﷺ.

هو عند ما يتعرض لآية المتعة من سورة النساء (٢٤) يقول: إنها نسخت في حياة الرسول ﷺ، ويقول: إنا لا ننكر أنّ المتعة كانت مباحة، إنما الذي نقوله: إنها صارت منسوخة. ويقول بصدد نهى عمر عنها: إنه لو كان مراده أنّ المتعة كانت مباحة في شرع محمد ﷺ وأنا أنهى عنها، لزم تكفيره وتكفير كلّ من لم يحاربه و ينازعه، ويُفسي ذلك إلى تكفير أمير المؤمنين؛ حيث لم يحاربه ولم يردّ ذلك القول عليه^٤.

المقصود من «أمير المؤمنين» هو الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ يصفه بهذا اللقب الفخم أيام عهد عمر، ويعتقد في شخصيته الكريمة حراسة لدين الله وحفظاً لحدوده، الأمر الذي جرى عليه أهل الولاء لهذا البيت الرفيع، وهكذا تعتقد الشيعة الإمامية في أئمتها الأطهار. وهكذا تمثله بأبيات شعرية تُنوّه من شأن أهل البيت ﷺ في كثير من مواضع تفسيره، منها: استشهاده بشعر حسّان بن ثابت، لغرض بيان أنّ السجدة ليوسف إنما كان من جهة

١. المصدر نفسه، ج ٣١، ص ٨٥.

٢. المصدر نفسه، ج ٣٢، ص ١٥٣.

٣. المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٥٣-٥٤.

٤. المصدر نفسه، ص ١٢٤.

أنهم جعلوه قبلة في سجودهم، واستشهد لذلك بقوله:

ما كنت أعرف أن الأمر منصرف عن هاشم ثمّ منها عن أبي الحسن
أليس أوّل من صلّى لقبلكم وأعرف الناس بالقرآن والسنة^١

ولا يخفى لطف الاستشهاد بهذين البيتين في محتواهما الرفيع!

وأما ما نجده أحياناً من تحامله على الشيعة وربّما لعنهم بعنوان «الروافض»^٢ فلعله من عمل التُّسَاخ؛ إذ لا يليق بقلم كاتب أديب، وعلامة أريب أن يهدر في سفه الهذر، من يُعَنّ بالحمد لا ينطق بما سفه، ولم يحد عن سبيل الحلم والأدب.

ذكر عند تفسير آية المودة نقلاً عن صاحب الكشاف الحديث المعروف: «من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً، مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله».

قال بعد نقل ذلك: وأنا أقول: آل محمّد هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل.

وأيضاً اختلف الناس في «الآل» فقيل: هم الأقارب، وقيل: هم أمته. فإن حملناه على القرابة فهم الآل، وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل، فثبت أنّ على جميع التقديرات هم الآل. وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلف فيه! وروى صاحب الكشاف: أنه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله ﷺ من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال: «عليّ وفاطمة وبناهما»، فثبت أنّ هؤلاء

الأربعة أقارب النبي ﷺ وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم. ويدلّ عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ووجه الاستدلال به ما سبق.

الثاني: لا شك أن النبي ﷺ كان يحبّ فاطمة عليها السلام قال عليه السلام: «فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها». وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله ﷺ أنه كان يحبّ علياً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله، لقوله: ﴿وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^١ ولقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾^٢ ولقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^٣ ولقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^٤.

الثالث: إن الدعاء «للآل» منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة، وهو قوله: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَارْحَمْ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ»، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل. فكل ذلك يدلّ على أن حبّ آل محمد واجب. وقال الشافعي عليه السلام:

يا ركباً قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كملتطم الفرات الفاض
[أعلمهم أن التشيع مذهبي إنني أقول به ولستُ بناقض]
إن كان رفضاً حبّ آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي^٥

وتقل ابن حجر العسقلاني عن ابن خليل السكوني في كتابه «الرد على الكشاف» أنه أسند عن ابن الطباخ: أن الفخر كان شيعياً، يقدم محبة أهل البيت، كمحبة الشيعة، حتى قال في بعض تصانيفه: «وكان علي عليه السلام شجاعاً بخلاف غيره»^٦.

١. الأعراف (٧): ١٥٨.

٢. النور (٢٤): ٦٣.

٣. آل عمران (٣): ٣١.

٤. الأحزاب (٣٣): ٢١.

٥. التفسير الكبير، ج ٢٧، ص ١٦٥-١٦٦. صححنا الأبيات وأكملناها على المأثور من شعره.

٦. لسان الميزان، ج ٤، ص ٤٢٩.

وقال الطوفي: إنه يورد شبه المخالفين في المذهب، على غاية ما يكون من القوّة والتحقيق، ثم يورد مذهب أهل السنّة والحقّ على غاية من الوهاء (أو الدهاء). قال: وبعض الناس يتّهمه في هذا، وينسب ذلك إلى أنه كان ينصر بهذا الطريق، ما يعتقده، ولا يجسر على التصريح به^١.

وقال الشيخ محمّد بهاء الدين العامليّ في حوادث شهر شوّال، يوم عيد الفطر: «و فيه سنة ستّ وستّ مائة، توفيّ فخر الدين الرازيّ، الملقّب بالإمام، وأصله من مازندران، وولد بالريّ، وكان يميل إلى التشيع، كما لا يخفى على من تصفّح تفسيره الكبير. وقبره بمدينة هرات»^٢.

إمام المشكّكين

ومما اختصّ به الإمام الرازيّ خوضه في أنحاء المسائل، من أدب و كلام و فلسفة وأصول، ولكنّه لا يخرج منها في الأكثر إلّا و يترك وراءه لمة من تشكيكات وإبهامات في وجه المسألة، إنّه ربّما أثار إشكالات أو إشكالات، لكنّه لا يجيب عليها إلّا إجابات ضعيفة و موهونه، يترك القارئ في حيرة، هل إنّ مثل الإمام الرازيّ عاجز عن الإجابة لمثل تلك المسائل، أم هناك تعمد لغرض تقرير الإشكال حسب نظره؟!

المعروف عن الرازيّ أنّه أشعريّ المذهب في أصول العقيدة، جبريّ ظاهريّ، لكنّه عند عرضه لمسائل الكلام، يقرّر من مذاهب الخلاف بما يضعف به المذهب الأشعريّ أحياناً، و ربّما إلى حدّ الوهن والافتضاح.

قال نجم الدين الطوفيّ البغداديّ - من أعلام القرن السابع -: و أجمع ما رأيته من التفاسير لغالب علم التفسير كتاب القرطبيّ. و كتاب مفاتيح الغيب للإمام الرازيّ، و لعمرى كم فيه من زلّة و عيب. و حكى لي الشيخ شرف الدين النصيبيّ المالكيّ: أنّ شيخه الإمام

١. الإكبر في علم التفسير للطوفيّ، ص ٢٦؛ لسان الميزان، ج ٤، ص ٤٢٨.

٢. راجع: رسالته الوجيزة «توضيح المقاصد»، ص ٢٥، المطبوعة ضمن رسائل باسم «المجموعة النفيسة»، ص ٥٨٣، من مطبوعات مكتبة المرعشيّ بقم.

الفاضل سراج الدين المغربي صَنَّف كتاب المآخذ على مفاتيح الغيب وبيّن فيه من البهرج والزيف في نحو مجلدين، وكان ينقم عليه كثيراً، خصوصاً إيرادُه شبه المخالفين في المذهب والدين، على غاية ما يكون من القوّة، وإيراد جواب أهل الحقّ منها على غاية ما يكون من الدهاء. قال الطوفي: ولعمري إنّ هذا لدأبه في غالب كتبه الكلاميّة والحكميّة، كالأربعين، والمحصّل، والنهاية، والمعالم، والمباحث المشرقيّة، ونحوها. وبعض الناس يتّهمه في هذا وينسبه إلى أنّه ينصر بهذا الطريق ما يعتقدّه، ولا يجسر على التصريح به.

وقال في سبب ذلك: إنّه كان شديد الاشتياق إلى الوقوف على الحقّ - كما صرّح به في وصيّته التي أملاها عند موته - فلهذا كان يستفرغ وسعه، ويكدّ قريحته في تقرير شبه الخصوم، حتّى لا يبقى لهم بعد ذلك مقال، فتضعف قريحته عن جوابها على الوجه، لاستفراغه قوتها في تقرير الشبه. ونحن نعلم بالنفسيّة الوجدانيّة، أنّ أحدنا إذا استفرغ قوّة بدنه في شغل ما من الأشغال، ضعف عن شغل آخر، وقوى النفس على وزان قوَى البدن غالباً. وقد ذكر في مقدّمة كتاب نهاية العقول ما يدلّ على صحّة ما أقول؛ لأنّه التزم فيه أن يقرّر مذهب كلّ خصم، لو أراد ذلك الخصم تقريره، لما أمكنه الزيادة عليه أو أوفى بذلك. ولهذا السبب قرّر في كتاب الأربعين أدلّة القائلين بالجهة، ثمّ أراد الجواب عنها، فما تمكّن منه على الوجه، فغالط فيه في موضعين قبيحين، ذكرهما في مواضع كثيرة^١.

ومما بحث على أصول مذهبه الأشعريّ في ظاهر الأمر ما ذكر عند تفسير الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٢. قال: احتجّ أهل السنّة - يعني بهم الأشاعرة - بهذه الآية وكلّ ما أشبهها من قوله: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٣. وقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا - إِلَىٰ قَوْلِهِ -

١. الإكبر في علم التفسير، ص ٢٦-٢٧، تحقيق عبد القادر حسين.

٢. يس (٣٦): ٧.

٣. البقرة (٢): ٦.

سَارِهْفُهُ صَعُوداً^١، و قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^٢ احتجوا بأمثال هذه الآيات على جواز تكليف ما لا يطاق.

ثم أخذ في تقرير هذا الاحتجاج من وجوه خمسة:
 أولاً: أنه تعالى أخبر عن أشخاص معينين أنهم لا يؤمنون قط، فلو صدر منهم الإيمان، لزم انقلاب خبر الله تعالى الصدق كذباً.
 وثانياً: أنه تعالى لما علم منهم الكفر، فكان صدور الإيمان منهم مستلزماً لانقلاب علمه تعالى جهلاً.

و ثالثاً: أن وجود الإيمان يستحيل أن يوجد مع العلم بعدم الإيمان؛ لأنه إنما يكون علماً لو كان مطابقاً للمعلوم، والعلم بعدم الإيمان إنما يكون مطابقاً لو حصل عدم الإيمان، فلو وجد الإيمان مع العلم بعدم الإيمان، لزم أن يجتمع في الإيمان كونه موجوداً و معدوماً معاً، وهو محال، فالأمر بالإيمان مع وجود علم الله تعالى بعدم الإيمان، أمر بالجمع بين الضدين، بل بالجمع بين العدم والوجود، وكل ذلك محال.
 ورابعاً: أنه تعالى كلّف هؤلاء -الذين أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون- بالإيمان البتة، والإيمان يعتبر فيه تصديق الله تعالى في كل ما أخبر عنه، ومما أخبر عنه أنهم لا يؤمنون قط، فقد صاروا مكلفين بأن يؤمنوا بأنهم لا يؤمنون قط، وهذا تكليف بالجمع بين النفي والإثبات.

و خامساً: أنه تعالى عاب الكفار على أنهم حاولوا فعل شيء على خلاف ما أخبر الله عنه في قوله ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾^٣ فثبت أن القصد إلى تكوين ما أخبر الله تعالى عن عدم تكوينه، قصد لتبديل كلام الله، وذلك منهية عنه. وها هنا أخبر الله تعالى عنهم بأنهم لا يؤمنون البتة، فمحاولة الإيمان منهم تكون قصداً إلى تبديل كلام الله، وذلك منهية عنه. وترك محاولة الإيمان يكون أيضاً

٢. المسد (١١١): ١.

١. المذثر (٧٤): ١٧-١١.

٣. الفتح (٤٨): ١٥.

مخالفة لأمر الله تعالى، فيكون الذمّ حاصلًا على الترك و الفعل.

قال: فهذه هي الوجوه المذكورة في هذا الموضوع. و هذا هو الكلام الهادم لأصول الاعتزال. و لقد كان السلف و الخلف من المحققين معولّين عليه في دفع أصول المعتزلة و هدم قواعدهم. و لقد قاموا -أي المعتزلة- و قعدوا و احتالوا على دفعه فما أتوا بشيء مقنع.

* * *

هذه هي الوجوه الخمسة التي زعم منها دلائل ثابتة تدعم نظرية أصحابه في جواز التكليف بغير المستطاع، و حسب أنّ خصومهم أصحاب الاعتزال عجزوا عن ردّها مهما أتوا من حول و قوّة.

في حين أنّ آثار الوهن بادية عليها، لأنّ أساسها العلم الأزليّ الإلهيّ المتعلّق بعدم إيمان الكافر الجاحد. و الحال أنّ العلم مهما يكن فإنّه ليس سبباً لوقوع المعلوم، بل إنّ وقوع المعلوم في وقته سبب لحصول هذا العلم، فالعلم تبع للمعلوم. فلو فرض أنّهم كانوا يؤمنون؛ لكان العلم حاصلًا بإيمانهم. فليس العلم القديم أصلًا، بل هو فرع تحقّق المعلوم في حينه المتأخّر، كما قال أبو الحسين البصريّ: إنّ العلم تبع للمعلوم، فإذا فرض الواقع من العبد الإيمان، عرف أنّ الحاصل في الأزلّ لله تعالى هو العلم بالإيمان، و العمدة أنّ العبد مختار في الكفر و الإيمان، فأبى منهما تحقّق منه، علمه الله في الأزلّ، و ليس علمه تعالى سبباً قهريًا يسلب عن العبد اختياره في العمل.

و هذا واضح لمن تدبّر، و لا أظنّ خفاءه على مثل الإمام الرازيّ صاحب الذهنيّة الوقّادة، و لكن تظاهراً بالدفاع عن مذهبه الرسميّ المفروض عليه من قبل السلطات، دعاه إلى ذكر مثل هذه الوجوه البادي عليها الضعف و الوهن. و تماشيًا مع الجوّ الحاكم أجبر على الانسجام مع الوضع الراهن.

و من ثمّ نراه -عند ما يذكر دلائل أصحاب الاعتزال- نراه يذكرها بقوّة و دقّة و إحاطة و تفصيل، بما لا يدع مجالاً في إمكان قبول تلكم الوجوه الأشعريّة.

ذكر دلائل أهل الاعتزال في ثلاث مقامات، أولاً: عدم المانع من الإيمان والكفر، وثانياً: أن العلم لا يوجب منعاً في العمل، الثالث: نقض تلکم الوجوه الخمسة. ذكرهن بإسهاب و تفصيل، نقتطف منها ما يلي:

قال: وأنا أذكر أقصى ما ذكره أصحاب الاعتزال بعونه تعالى و توفيقه. و ذكر وجوهاً خمسة، في المقام الأول؛ و خلاصتها: أن القرآن مملوء من الآيات الدالة على أنه لا مانع لأحد من الإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾^١، و ﴿مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا﴾^٢، ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٣.

قال الصحاح ابن عبّاد: كيف يأمر العبد بالإيمان و قد منعه عنه؟! و ينهاه عن الكفر و قد حمله عليه!؟

و أيضاً فإنّ الله تعالى قال: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِقَلَّ يُكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^٤، و قال: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِّن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نُخْزَىٰ﴾^٥.

فلما بيّن تعالى أنه ما أبقى لهم عذراً إلاّ و قد أزاله عنهم، فلو كان علمه بكفرهم و خبره عن كفرهم مانعاً لهم عن الإيمان، لكان ذلك من أعظم الأعدار، كما أنّ الذمّ على الكفر و الجحود، هو خير دليل على اختياريته، و عدم وجود مانع قاهر عن الإيمان.

و ذكر في المقام الثاني وجوهاً عشرة على أن المعلوم لا ينقلب عمّا هو عليه بسبب العلم؛ لأنّ العلم إنّما يتعلّق بالمعلوم على ما هو عليه، فإن كان ممكناً عَلِمَهُ ممكناً، و إن كان واجباً علمه واجباً، و لا شك أنّ الإيمان و الكفر كلّ واحد بالنظر إلى ذاته ممكن الوجود، فلو صار واجباً بسبب العلم، كان العلم مؤثراً في المعلوم، و هو باطل بالضرورة. و أيضاً فإنّ الله تعالى قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^٦ و قال: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي

٢. النساء (٤): ٣٩.

١. الإسراء (١٧): ٩٤.

٤. النساء (٤): ١٦٥.

٣. الانشقاق (٨٤): ٢٠.

٦. البقرة (٢): ٢٨٦.

٥. طه (٢٠): ١٣٤.

الَّذِينَ مِنْ حَرْجٍ^١ و قال: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^٢ فكيف يكلف الله العبيد ما لا يطيقون؟!

و في المقام الثالث، نقل عن القاضي عبد الجبار جواب المعتزلة عن الأشاعرة، و تخطئة انقلاب العلم جهلاً و الصدق كذباً. قال الكعبي و أبو الحسين البصري: إن العلم تبع المعلوم، فإذا فرضت الواقع من العبد الإيمان عرفت أن الحاصل في الأزل لله تعالى هو العلم بالإيمان، و متى فرضت الواقع منه هو الكفر بدلاً عن الإيمان عرفت أن الحاصل في الأزل هو العلم بالكفر بدلاً عن الإيمان. فهذا فرض علم بدلاً عن علم آخر، لا أنه تغير العلم. قال الإمام الرازي: فهذا الجواب هو الذي اعتمده جمهور المعتزلة.

قلت: و قد عرفت قوة استدلالهم، و ضعف دلائل خصومهم، غير أن الإمام الرازي ترك و هن تلك الوجوه و قوة هذه الدلائل بمعرض القارئ و مسمعه، ليحكم هو حسب ذهنيته الفطرية الحاكمة بأن العبد مختار في فعله. و الله تعالى لا يكلف بما لا يُستطاع، الأمر الذي يجعل من دلائل أهل الاعتزال هي الكفة الراجحة، و هذا شيء فعله الإمام الرازي، عن حسن نية و عن عمد فعله - حسب الظاهر - إذ الظاهر أنه لئسيء الظن بمذاهب أصحابه الأشعريين.

و مما يدلّك على ذلك، أنه لم يطعن في دلائل أهل الاعتزال، و ذكرها تامّة وافية، كما هي عادته في كل أمر يعتقد صحياً.

* * *

ثم إنه بعد إيراد دلائل الطرفين، أورد شبهاته في المسألة و ذكر مقالات تشكيكية، و أسندها إلى أهل التشكيك، ممن فرضهم أهل العناد في مسائل الكلام. قال: و اعلم أن هذا البحث صار منشأً لضلالات عظيمة، فمنها: أن منكري التكليف و النبوات قالوا: قد سمعنا كلام أهل الجبر - يعني بهم الأشاعرة - فوجدناه قوياً قاطعاً.

وهذان الجوابان اللذان ذكرهما المعتزلة يجريان مجرى الخرافة، ولا يلتفت العاقل إليهما! وسمعنا كلام المعتزلة في أنّ مع الجبر يقبح التكليف، والجواب الذي ذكره أهل الجبر ضعيف جداً، فصار مجموع الكلامين كلاماً قوياً في نفي التكليف، ومتى بطل ذلك بطل القول بالنبوات.

هكذا يُلقى التشكيك، عند عرض الآراء، سواء المخالف أم المؤلف. ثم يذكر مطاعن أخر وجهها الطاعنون في القرآن وفي الإسلام، على أثر هذه المناظرة بين أهل الجبر والقدر، ويستنتج: أنّ الرجوع إلى العقلية يورث الكفر والضلال، ولهذا قيل: من تعمق في الكلام ترندق.

ثمّ يذهب في تشكيكاته حيث يشاء، ويذكر في أثنائها حكاية طريفة يرويها عن ابن عمر، أنّ رجلاً قام إليه فقال: يا أبا عبد الرحمان إنّ أقواماً يعملون الكبائر ويقولون: كان ذلك في علم الله فلم نجد بُدّاً منه. فغضب وقال: سبحان الله، قد كان في علمه أنّهم يفعلونها، فلم يحملهم علم الله على فعلها. حدّثني أبي أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: مثل علم الله فيكم كمثل السماء التي أظلمتكم، والأرض التي أقلتكم. فكما لا تستطيعون الخروج من السماء والأرض، فكذلك لا تستطيعون الخروج عن علم الله تعالى، وكما لا تحملكم السماء والأرض على الذنوب، فكذلك لا يحملكم علم الله تعالى عليها.

والمقصود: أنّ علمه تعالى الأزليّ محيط بأفعال العباد، ولكن من غير أن يكون علمه تعالى سبباً وعلّة في إيجادها؛ لأنّ علمه تعالى السابق، تبع لعمل العبد اللاحق، فكيفما يعمل يعلمه تعالى من غير أن يكون هذا العلم مؤثراً في إرادة العبد.

وهذا المعنى الواضح، لم يدركه مثل الإمام الرازيّ؟ ولعلّه تظاهر بعدم الفهم! قال تعقيباً على هذه الحكاية: إنّ في الأخبار التي يرويها الجبرية والقدرية كثرة، والغرض من رواية هذا الحديث بيان أنّه لا يليق بالرسول ﷺ أن يقول مثل ذلك؛ لأنّه متناقض وفساد، أمّا المتناقض فلأنّ الصدر يدلّ على الجبر، والذيل صريح في القدر. وأمّا أنّه فاسد فلأنّ العلم بعدم الإيمان ووجود الإيمان متناقضان، فالتكليف بالإيمان مع وجود

العلم بعدمه تكليف بالجمع بين النفي والإثبات^١.
قلت: ولعل إمامنا الرازي طاعن في ضلاله القديم أو متظاهر بذلك.

* * *

ومن ذلك أيضاً، ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ قَالَ فَمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^٢.

قال: احتج أصحابنا بهذه الآية في بيان أنه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد في دينه ولا في دنياه، وتقريره: أن إبليس استمهل الزمان الطويل فأمهله الله تعالى، ثم بين أنه إنما استمهله لإغواء الخلق وإضلالهم وإلقاء الوسواس في قلوبهم، وكان تعالى عالماً بأن أكثر الخلق يطيعونه ويقبلون وسوسته، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٣ فثبت بهذا أن إنظار إبليس وإمهاله هذه المدّة الطويلة يقتضي حصول المفساد العظيمة والكفر الكبير، فلو كان تعالى مراعيًا لمصالح العباد لامتنع أن يُمهله وأن يمكّنه من هذه المفساد، فحيث أنظره وأمهله، علمنا أنه لا يجب عليه شيء من رعاية المصالح أصلاً.

ومما يقوي ذلك أنه تعالى بعث الأنبياء دعاة إلى الخلق، و علم من حال إبليس أنه لا يدعو إلا إلى الكفر والضلال، ثم إنه تعالى أمات الأنبياء الذين هم الدعاة للخلق، وأبقى إبليس وسائر الشياطين الذين هم الدعاة للخلق إلى الكفر والباطل، ومن كان يريد مصالح العباد امتنع منه أن يفعل ذلك.

قالت المعتزلة: اختلف شيوخنا في هذه المسألة، فقال الجبائي: إنّه لا يختلف الحال بسبب وجوده وعدمه، ولا يضلّ بقوله أحد إلا من لو فرضنا عدم إبليس لكان يضلّ أيضاً. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِحٌ مُجْتَمِعٌ﴾^٤؛ ولأنّه لو ضلّ به أحد لكان بقاؤه مفسدة. وقال أبو هاشم: يجوز أن يضلّ به قوم، ويكون خلقه جارياً

١. راجع: التفسير الكبير، ج ٢، ص ٤٢-٤٧.

٢. الأعراف (٧): ١٤-١٦.

٣. الصافات (٣٧): ١٦٢-١٦٣.

٤. ساء (٣٤): ٢٠.

مجري خلق زيادة الشهوة، فإنّ هذه الزيادة من الشهوة لا توجب فعل القبيح إلاّ أنّ الامتناع منها يصير أشقّ، ولأجل تلك الزيادة من المشقّة تحصل الزيادة في الثواب، فكذا هنا بسبب إبقاء إبليس يصير الامتناع من القبائح أشدّ وأشقّ، ولكنه لا ينتهي إلى حدّ الإلجاء والإكراه.

وأجاب الرازيّ: أنّ الشيطان لا بدّ أن يزيّن القبائح، ومعلوم أنّ حال الإنسان مع هذا التزيين لا يكون مساوياً مع عدمه. فحصول هذا التزيين يوجب الإقدام على القبائح، وهو إلقاء في المفسدة. ومسألة الزيادة في الشهوة حجة أخرى لنا في أنّ الله لا يراعي مصلحة العباد بسبب خلق تلك الزيادة في شهوة الإنسان، وحصول الزيادة في الثواب لا حاجة إليه؛ حيث دفع العقاب المؤبد من أعظم الحاجات، فلو كان إله العالم مراعيّاً لمصالح العباد لاستحال أن يهمل الأكمل الأعظم؛ لطلب الزيادة التي لا حاجة إليها ولا ضرورة^١.

انظر كيف فضح أصحابه بهذا النمط من البحث، والخوض في مسألة تمسّ جانب حكمته تعالى، فينفي كونه تعالى حكيماً لا يفعل إلاّ عن مصلحة، والمصلحة التي يراعيها الخالق تعالى إنّما تعود إلى العباد أنفسهم؛ حيث في ذاته تعالى الغناء المطلق. كما أنّه يتنافى وقاعدة اللطف الناشئة عن مقام حكمته تعالى، بفعل ما يقرب العباد إلى الطاعة، ويبعدهم عن المعصية. وهو أساس التشريع وبعث الأنبياء وإنزال الكتب، الأمر الذي يعترف به الإمام الرازيّ.

نعم، لا شكّ أنّه تعالى حكيم لا يفعل إلاّ عن مصلحة تعود إلى العباد أنفسهم؛ حيث إنّّه تعالى غنيّ بالذات.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نوحَ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ - إِلَى قَوْلِهِ - رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^٢.
فقد كان الله تعالى عزيزاً لا يُغالب على أمره، لكنّه لا يفعل إلاّ ما تقتضيه حكمته،

مراعياً فيها مصلحة العباد. فقد كان في مصلحتهم بعث الرسل و الأنبياء و إنزال الشرائع، وكان في طبيعتهم اقتضاء ذلك. فقد أجاب طلبهم إتماماً للحجة عليهم، فلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

وقد جاء في القرآن حوالي ثمانين موضعاً، جاء التصريح فيها بأنه تعالى حكيم عليم، و حكيم خبير، و عزيز حكيم؛ ممّا ينبؤك عن علم و حكمة لا يفعل شيئاً إلاّ عن إحاطة و قدرة و حكمة شاملة.

و أمّا مسألة خلق إبليس و إمهاله و تسليطه على إغواء الناس، فهذا أمر يعود إلى مصلحة النظام القائم في الخلق، لا شيء إلاّ و هو واقع بين قطبين: سلب و إيجاب، جذب و دفع؛ و بذلك استوى الوجود. فلولا دوافع الشرور، لم يكن في الاندفاع نحو المطلوب الخير كثير فضل، بل لم يكن هنا اندفاع نحو الخير؛ حيث لا دافع إلى الشرّ.

فالإنسان واقع بين دوافع الخير و دوافع الشرّ على سواء، و هو مختار في الانجذاب إلى أيّهما شاء، و يملك قدرته في الاختيار و عقله و إرادته التامة في اختيار الخير أو الشرّ. فإذا اختار الخير فعن إرادته و تحكيم عقله فكانت فضيلة، و إذا اختار الشرّ فعن إرادته و الاستسلام لهوى نفسه فكانت رذيلة. و لا فضيلة و لا رذيلة إلاّ إذا كانت هنا دوافع للخير و للشرّ معاً، و كان الإنسان يملك إرادته في الاختيار.

أمّا الشيطان فلا سلطة له على الإنسان سوى دعوته و بعثه إلى فعل الشرور ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾^١، نعم كان كيد الشيطان ضعيفاً. و أنّ الله لهو القويّ العزيز^٢ ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^٥.

١. إبراهيم (١٤): ٢٢.

٢. قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، النساء (٤): ٧٦.

٣. قال تعالى: ﴿إِنَّ رُبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾، هود (١١): ٦٦.

٥. غافر (٤٠): ٥١.

٤. المجادلة (٥٨): ٢١.

و عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^١.

نراه يبحث عن مسائل الإمامة على مذهب الشيعة الإمامية، واشتراطهم العصمة في إمام المسلمين، و يذكر حججهم القاطعة في المسألة، ثم يجيب عليها لا بتلك القوة والامتانة.

قال عند الكلام عن قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾: احتج الروافض بهذه الآية على القدح في إمامة الشيخين؛ حيث كانا كافرين و كانا حال كفرهما ظالمين؛ لأنّ الشرك ظلم عظيم. فوجب أن يصدق عليهما في تلك الحالة: أنّهما لا ينالان عهد الإمامة البتّة، و أيضاً فإنّهما لعدم عصمتهما حال الإمامة، كانا غير صالحين لها.

ثمّ حاول الإجابة على ذلك من وجهين: أحدهما: أنّ الاستدلال مُبْتَنٍ على كون المشتقّ حقيقة فيمن انقضى عنه المبدأ، كما هو حقيقة فيمن تلبّس. وليس الأمر كذلك؛ لأنّ المشتقّ حقيقة فيمن تلبّس باتّفاق الأصوليين؛ و لا يصدق على من انقضى عنه المبدأ. والثاني: أنّ المراد بالإمامة هنا هي النبوة، فمن كفر بالله طرفة عين فإنّه لا يصلح للنبوة^٢.

لكنّ استدلال الإمامية لا يتوقّف على كون المشتقّ حقيقة في الأعمّ ممّن تلبّس أو انقضى عنه المبدأ، بل كما صرّح هو أيضاً: إنّ في حال التلبّس يتوجّه الخطاب بعدم اللياقة. و النفي تأييد شمل الظالم و وضعه بوصمة العار: أنّه غير صالح للإمامة أبداً. و من ثمّ فإنّ الكافر لا يصلح للنبوة حتّى و لو تاب و آمن، و لا دليل عليه سوى شمول هذه الآية، حسبما صرّح به الرازي نفسه. إذن فالآية صالحة لسلب الصلاحية أبداً عمّن كفر و أشرك بالله طرفة عين.

فمن كفر بالله و أشرك فقد ظلم ربّه و ظلم نفسه، و الظالم مسلوب الصلاحية أبداً، حتّى

بعد توبته و إيمانه أيضاً؛ إذ يتوجّه إليه حينذاك - أي حين ظلمه -: لا ينالك عهدي أيها الظالم الخائن لرّبّه. و هو نفي تأييد مترتب على ظلم، صادر من المكلف. و هذا من خاصيّة الظلم؛ حيث يترتب عليه حكم عامّ، نظير السرقة يترتب عليها حكم القطع، فيجب إجراؤه سواء حال سرقته أم بعدها. نعم إذا تاب السارق قبل إمكان القبض عليه، فإنّه يسقط حكم القطع، و لكنّه بدليل خاصّ، و إلا كان الحكم ثابتاً على عمومه.

و مسألتنا الحاضرة من هذا القبيل، أي من قبيل السرقة و الزنى و شرب الخمر، يثبت أحكامها بمجرد الصدور و صدق الموضوع خارجاً، و يدوم حتّى الإجراء.

فقوله تعالى: الظالم لا يناله عهدي، نظير قوله: السارق تُقطع يده، و الزاني يُجلد، و الشارب يُحدّ، يجري الحكم بعد انقضاء المبدأ، و لا يختصّ بحال التلبّس.

و الإمامة - هنا - شيء وراء النبوة، و هو القدوة للناس، التي ليست سوى إمامة الأئمة مطلقاً؛ لأنّ هذه الإمامة إنّما جاءت إبراهيم، حال كونه نبياً، فهي رتبة الإمامة جاءته بعد النبوة، و من ثمّ فإنّها تشمل الخلافة التي هي إمامة عامّة.

و إذا كانت الإمامة بهذا المعنى لا تنال من كفر بالله طرفة عين، فلا يصلح للإمامة إلاّ من كان معصوماً من الخطأ و الزلل.

و دليل آخر تمسك به الإماميّة، أغفله الرازيّ، و هو: أنّ هذه الآية نفت صلاحية من كان يظلم نفسه، و لو بار تكاب الكبائر، غير الكفر و الشرك. فمن يحتمل في شأنه ارتكاب المعصية - أي لم يكن معصوماً - لم يضمنْ خروجه عن شمول الآية بنفي لياقة الإمامة. و من ثمّ فإنّه يشترط في الإمام سواء النبيّ أم خليفته أن يكون معصوماً.

مباحث تافهة

و هناك تجد في هذا التفسير الضخم الفخم بعض أبحاث تافهة، لا تمسّ مسائل الإنسان في الحياة، و لا تفيده علماً و لا عملاً، تعرّض لها الإمام الرازيّ، و أظنّه قد تفكّه بها، و لم يردها عن جدّ عقلائيّ، هذا فضلاً عن تلكم المجادلات العنيفة التي أضع بها

كثيراً من صفحات تفسيره، ولقد كان الكفّ عنها أجدر.

من ذلك تفصيله الكلام حول مسألة تافهة للغاية، وهي: المسألة السادسة، في أنّ السماء أفضل أم الأرض؟! و يأتي لتفضيل كلّ منهما بوجوه^١.

و هكذا عند تفسير قوله: «السَّمَاءُ بِنَاءٌ» يأتي في المسألة الثانية بفضائل السماء من وجوه خمسة. ثمّ يأتي في المسألة الثالثة بفضائل السماء، و بيان فضائل ما فيها من الشمس والقمر والنجوم، و يذكر لكلّ منها وجوهاً من فضائل^٢.

و بهكذا أمور لا طائل تحتها يسودّ كثيراً من صفحات تفسيره، الأمر الذي يدلّ على فراغ و جدّة كان يتمتّع بهما مفسّرنا الخبير.

و ربّما يردّ المسائل، هي بالهزل أشبه منه إلى الجدّ ممّا لا يتناسب و مقام علميّته الرفيعة.

مثلاً: عند تفسير قوله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ»^٣ يحاول توجيه نزول القرآن في شهر رمضان - ليلة القدر - نزوله الدفعيّ جملة إلى سماء الدنيا، ثمّ نزوله التدريجيّ إلى الأرض نجومًا. يقول: إنّما جرت الحال على ذلك لما علمه الله من المصلحة، فإنّه لا يبعد أن يكون للملائكة الذين هم سكّان سماء الدنيا مصلحة، أو كان فيه مصلحة للرسول ﷺ في توقّع الوحي من أقرب الجهات، أو كان فيه مصلحة لجبرئيل؛ حيث كان هو المأمور بإنزاله و تأديته^٤.

تفسير البيضاويّ (أنوار التنزيل و أسرار التأويل)

المؤلّف هو القاضي ناصر الدين أبو الخير، عبد الله بن عمر بن محمّد بن عليّ، البيضاويّ الشافعيّ، نسبة إلى بيضاء، مدينة كانت مشهورة بفارس، بينها و بين شيراز ثمانية فراسخ، وليّ قضاء شيراز، و كان إماماً بارزاً نظّاراً خيراً كما قال السبكيّ توفيّ سنة

١. المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٥-١٠٦، حول الآية رقم (٢٠) من سورة البقرة.

٢. المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٦-١٠٩.

٣. البقرة (٢): ١٨٥.

٤. التفسير الكبير، ج ٥، ص ٩٣.

(٦٨٥ هـ). له مصنفات جيدة أهمها هذا التفسير الذي اعتمد فيه على تفسير الكشاف للزمخشري.

وهو تفسير جيد لطيف، جمع فيه بين حسن العبارة وقوة البيان، ومن ثم اعتمده كثير من المفسرين، كالمولى الفيض الكاشاني في تفسيره الصافي، وله نظرات وآراء دقيقة في حلّ معضلات الآيات، هو عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ من سورة الحمد، ينوع الهداية إلى مراحل أربعة، مترتبة بعضها إثر بعض، فإتّما يسأل العباد النيل إلى مراتب أعلى من هداية الله للعباد. وهذا تفسير طريف يوجّه سؤال الهداية في أمثال هذه الآية، ربّما لم يسبقه إليه أحد من المفسرين.

يقال: إنه أشعريّ المسلك، ومن ثمّ إنه أخذ من تفسير الكشاف كثيراً، لكنّه ترك ما فيه من اعتزال، وهذا غير صحيح؛ لأنّه يذهب في تفسيره مذهب أهل العدل والتنزيه، ومن ثمّ نراه يؤوّل كثيراً من ظواهر آيات تنافي دليل العقل.

مثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^١ وجدناه يقول: إلّا قياماً كقيام المصروع، وهو وارد على ما يزعمون أنّ الشيطان يخبط الإنسان فيصرع. ثمّ يفسر «المس» بالجنون، ويقول: وهذا أيضاً من زعماتهم أنّ الجنّي يمسّ الرجل فيختلط عقله^٢.

وهذا الذي مشى عليه مع مذهب الاعتزال الذي مشى عليه الزمخشريّ من أنّ الجنّ لا تسلّط لها على الإنسان، فيما عدا الوسوسة والإغواء؛ حيث قوله تعالى حكاية عن إبليس في مشهد القيامة: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾^٣ وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾^٤.

* * *

وهذا التفسير كما ذكرنا مختصر من تفسير الكشاف للزمخشريّ وقد استمد أيضاً من

٢. تفسير البخاري، ج ١، ص ٢٦٧.

٤. سبأ (٣٤): ٢١.

١. البقرة (٢): ٢٧٥.

٣. إبراهيم (١٤): ٢٢.

التفسير الكبير للإمام الرازي، و من تفسير الراغب الأصفهاني، و ضمّ إلى ذلك بعض الآثار الواردة عن الصحابة و التابعين، لكنّه أعمل فيه عقله، فضمّنه نكتاً بارعة، و لطائف رائعة، و استنباطات دقيقة، كلّ هذا في أسلوب رائع موجز، و عبارة تدقّ أحياناً و تخفى إلا على ذي بصيرة ناقبة، و فطنة نيرة. و هو يهتمّ أحياناً بذكر القراءات، و ربّما ذكر الشواذ أيضاً، كما أنّه يعرض للصناعة النحويّة، و لكن بدون توسّع و استفاضة، كما أنّه يتعرّض عند آيات الأحكام لبعض المسائل الفقهيّة بدون توسّع منه في ذلك.

و ممّا يمتاز به البيضاويّ في تفسيره أنّه مُقلِّ جداً من ذكر الروايات الإسرائيليّة، و هو يصدر الرواية بقوله: روي أو قيل، إشعاراً منه بضعفها.

ثمّ إنّهُ إذا عرض للآيات الكونيّة، فإنّه لا يتركها بدون أن يخوض في مباحث الكون الطبيعيّة، و لعلّ هذه الظاهرة سرت إليه عن طريق التفسير الكبير للإمام الرازيّ.

و إليك من نصّ عبارته الشارحة لمنهجه في التفسير، و المبيّنة للمصادر التي اعتمدها أو اختصرها في تفسيره، قال في مقدّمة تفسيره:

«و لطالما أحدثت نفسي بأن أصنّف في هذا الفنّ - أي التفسير - كتاباً يحتوي على صفة ما بلغني من عظماء الصحابة، و علماء التابعين، و من دونهم من السلف الصالحين. و ينطوي على نكات بارعة و لطائف رائعة، استنبطتها أنا و من قبلي من أفاضل المتأخّرين، و أمثال المحقّقين، و يعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزّية إلى الأئمّة الثمانية المشهورين، و الشواذ المرويّة عن القراء المعتمدين».

و يقول في خاتمة الكتاب ما نصّه: «و قد اتّفق إتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوي على فرائد فوائد ذوي الألباب، المشتغل على خلاصة أقوال أكابر الأئمّة، و صفة آراء أعلام الأئمّة، في تفسير القرآن و تحقيق معانيه، و الكشف عن عوصات ألفاظه و معجزات مبانيه، مع الإيجاز الخالي عن الإخلال، و التلخيص العاري عن الإضلال...».

يقول عنه صاحب كشف الظنون: «و تفسيره هذا كتاب عظيم الشأن، غنيّ عن البيان، لخصّ فيه من الكشّاف ما يتعلّق بالإعراب و المعاني و البيان، و من التفسير الكبير ما

يتعلّق بالحكمة والكلام، و من تفسير الراغب ما يتعلّق بالاشتقاق و غوامض الحقائق و لطائف الإشارات. و ضمّ إليه ما وري زناد فكره من الوجوه المعقولة، فجلا رين الشكّ عن الصريرة، و زاد في العلم بسطة و بصيرة...^١.

غير أننا نجد البيضاويّ قد وقع فيما وقع فيه الكشّاف و غيره من المفسّرين، من ذكرهم في نهاية كلّ سورة حديثاً أو أحاديث في فضلها و فضل قارئها، و قد عرفنا قيمة هذه الأحاديث، و إنّها موضوعة باتّفاق أهل الحديث. و لسنا نعرف كيف اغترّب بها أمثال البيضاويّ فرواها، و تابع الزمخشريّ و أمثاله في ذكرها، مع ما لهم من مكانة علميّة و حصانة عقل و دراية.

و قد اعتذر عنه صاحب كشف الظنون بقوله: «و أمّا أكثر الأحاديث التي أوردتها في أواخر السور، فإنّه لكونه ممّن صفت مرآة قلبه، و تعرّض لنفحات ربّه، تسامح فيه، و أعرض عن أسباب التجريح و التعديل، و نحا نحو الترغيب و التأويل، عالماً بأنّها ممّا فاه صاحبه بزور و دلى بغرور...»^٢. لكنّه اعتذار غير عاذر.

ثمّ إنّ هذا الكتاب رزق بحسن القبول عند الجمهور، فعكفوا عليه بالدرس و التحشية، فمنهم من علّق تعليقة على سورة منه، و منهم من حشّى تحشية تامّة، و منهم من كتب على بعض مواضع منه.

تفسير النَّسْفِيّ (مدارك التنزيل و حقائق التأويل)

تأليف أبي البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفيّ، نسبة إلى «نسف» معرّب «نخشب» من بلاد ماوراء النهر^٣. كان إمام زمانه، رأساً في الفقه على المذهب الحنفيّ، بارعاً في الحديث و التفسير، و له تصانيف في الفقه و الأصول، و منها هذا التفسير الذي اختصره من تفسير البيضاويّ و من الكشّاف للزمخشريّ، جمع فيه من وجوه الإعراب

٢. المصدر نفسه، ص ١٨٨.

١. كشف الظنون، ج ١، ص ١٨٧.

٣. نسف معرّب «نخشب» ببلاد السند، بين جيحون و سمرقند.

والقراءات، وضمنه ما اشتمل عليه الكشف من النكت البلاغية والمحسنات البديعية، وأورد فيه ما أورده الزمخشري من الأسئلة والأجوبة، لكن لا صريحاً بل مدرجاً ضمن شرحه للآية. توفي سنة (٧٠١هـ)، ودفن بأيدج -وزان أحمد معرب «ايذه»- بلدة بين أهواز وأصفهان، من محافظة خوزستان.



وهناك تفسير آخر بهذا الاسم فارسي يشبه الترجمة، لأبي حفص نجم الدين عمر بن محمد النسفي الحنفي كان يلقب بمفتي الثقلين، توفي سنة (٥٣٨هـ). وقد طبع هذا التفسير في مجلدين بطهران عدة طبعات أنيقة أولها سنة (١٣٥٣ ش) بتصحيح الدكتور عزيز الله الجويني. وقد تقدم الكلام عنه عند البحث عن تراجم القرآن.

تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)

لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، توفي سنة (٩٨٢هـ). كان من العلماء الترك ولازم السلطان سليمان القانوني، وتقلد القضاء، وأنيط إليه الإفتاء سنة (٩٥٢هـ). كان حاضر الذهن، سريع البديهة، يكتب باللغات العربية والفارسية والتركية، وقد مكنت له معرفته بهذه اللغات الاطلاع على الكثير من المؤلفات.

كان منهوماً بتدريس الكشف و«البيضاوي» معجباً بهما، ومن ثم وضع تفسيره على منوالهما، فجاء صورة أخرى عنهما مع تغييرات يسيرة. ومع ذلك فهو من أجود التفاسير المشتملة على النكات الأدبية والدقائق البلاغية، فكان غاية في حسن الصوغ وجمال التعبير، ومن ثم ذاعت شهرته بين أهل العلم، وشهد له كثير من العلماء بأنه من خير التفاسير.

والمطالع في تفسيره هذا يجده لا بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل، وسطاً مشتملاً على لطائف ونكات، وفوائد وإشارات.

ومن مميزات هذا التفسير إقلاقه من القصص الإسرائيلية، وإن ذكر منها شيئاً فإنه

يذكره مضعفاً له أو منكرأ، و مبيناً منشأ بطلانه و ذلك كما صنع في قصّة هاروت و ماروت؛ حيث فنّد ما جاء حولها من أساطير إسرائيلية، و لهذا نراه قد صنّف فيها رسالة خاصّة و بيّن فيها جهات ضعفها. و مع ذلك نجده لم يخل من قصص إسرائيلية، كما نجده في قصّة داوود و أوريا، و الخرافات التي حيكت حولها، و قد زعم المؤلف: أنّ ذلك كان جائزاً في شريعة داوود^١. هكذا يبرّر من غير تبرير. و هو أشعريّ في مسلكه، و يفسّر الآيات في ضوء ذلك المذهب البائد.

تفسير الألوسيّ (روح المعاني)

للسيد محمود أفنديّ الألوسيّ البغداديّ المتوفّي سنة (١٢٧٠ هـ). كان شيخ علماء الأحناف ببغداد، جمع بين المعقول و المنقول، حسبما أوتي من حظّ وافر في التوسّع و التتبّع. كان عالماً بمبادئ الأصول و الفروع، محدثاً و مفسراً. و كان ذا حافظه غريبة، كان لا يحفظ شيئاً إلّا و قد حضره. كان يقول: ما استودعت ذهني شيئاً فخانني. تقلّد إفتاء الحنفية سنة (١٢٤٢ هـ)، و تولّى أوقاف مدرسة المرجانية ببغداد. و في سنة (١٢٦٣ هـ) انفصل عن منصب الإفتاء و بقي مشغلاً بتفسير القرآن، حتّى أتته، و سافر به إلى القسطنطينية، ليعرض تفسيره على السلطان عبد المجيد خان، لينال إعجابه و رضاه. و تفسيره هذا جامع لآراء السلف و أقوال الخلف، مشتملاً على مقتطفات كثيرة من تفاسير من تقدّمه، كتفسير ابن عطية، و تفسير أبي حيان، و تفسير الكشاف، و أبي السعود، و ابن كثير، و البضاوي، و الأكثر من الفخر الرازي. و قلّمنا نقد المنقول من هذا التفسير. و هو في تفسيره يتعصّب للمذهب السلفيّ أصولاً و فروعاً، بادٍ عليه تعصّبه، و لذلك نراه لم يراع أدب الكتابة في كثير من الأحيان.

مثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^٢. يقول

١. راجع: الفصة في تفسير أبي السعود، ج ٧، ص ٢٢٢.

٢. البقرة (٢): ١٥.

بعد كلام طويل و لجاج عنيف: وإضافته -أي الطغيان- إليهم؛ لأنه فعلهم الصادر منهم، بقدرهم المؤثرة بإذن الله تعالى، فالاختصاص المشعرة به الإضافة، إنما هو بهذا الاعتبار، لا باعتبار المحليّة والاتّصاف، فإنّه معلوم لا حاجة فيه إلى الإضافة، ولا باعتبار الإيجاد استقلالاً من غير توقّف على إذن الفعّال لما يريد، فإنّه اعتبار عليه غبار، بل غبار ليس له اعتبار. فلا تهولنكّ جمعجة الزمخشريّ وقعقته^١.

* * *

و هو تفسير فيه تفصيل و تطويل، و أحياناً بلا طائل. إنّه يستطرد إلى الكلام في الصناعة النحويّة، و يتوسّع في ذلك ربّما إلى حدّ يكاد يخرج به عن وصف كونه مفسراً. قال الذهبيّ: و لأحيلك على نقطة بعينها، فإنّه لا يكاد يخلو موضع من الكتاب من ذلك^٢. وهكذا يستطرد في المسائل الفقهيّة مستوعباً آراء الفقهاء و مناقشاتهم بما يخرجهم عن كونه كتاب تفسير إلى كتاب فقه. أمّا المسائل الكلاميّة فحديثه عنها مسهب مملّ لا يكاد يخرج من التعصّب في الغالب.

كما لم يفته أن يتكلّم عن التفسير الإشاريّ، بعد الفراغ عن الكلام في تفسير الظاهر من الآيات، و هو في ذلك يعتمد التفسير النيسابوريّ و القشيريّ و ابن العربيّ و أضرابهم، وربّما يتيه في وادي الخيال.

و جملة القول فهذا التفسير موسوعة تفسيريّة مطوّلة تطويلاً يكاد يخرجهم عن مهمّته التفسيريّة في كثير من الأحيان. فتفسير الآلوسيّ هذا هو أوسع تفسير ظهر بعد الرازيّ على الطريقة القديمة، بل هو نسخة ثانية من تفسير الرازيّ مع بعض التغيير -ليس بالمهم- إذ كلّ من قرأ تفسير الآلوسيّ يجده معتمداً تفسير الرازيّ كلّ الاعتماد، و كان مصدره الأوّل من مصادره في التفسير، كما قال الأستاذ عبد الحميد^٣.

* * *

٢. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٣٥٨.

١. روح المعاني، ج ١، ص ١٤٨.

٣. الرازيّ مفسراً لعبد الحميد، ص ١٧٠.

و مما يلفت النظر في هذا التفسير، تلك افتراءاته على الأبرياء من غير تورع..
مثلاً نراه يختلق على الشيعة الإمامية - وهم في جواره ببغداد- كأنه لم يرههم فيرهم
رمي عشواء، وكأنما عن لسان ابن تيمية سلفه في قذف الأبرياء..

هو عند تفسير الآية الكريمة (البقرة: ١٨٧): ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسْبَغَ لَكُمْ الْحَيْطُ
الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾.. يقول: اختلفوا في النهار الشرعي، فذهبت الأئمة
الأربعة إلى أنه من طلوع الفجر. فلا يجوز فعل شيء من المحظورات بعده.. قال: وخالف
في ذلك سليمان بن مهران الأعمش، ولا يتبعه إلا الأعمى، فزعم أنه من طلوع الشمس،
وجوز فعل المحظورات بعد طلوع الفجر.. قال: وكذا الإمامية؟!^١

ونراه هنا تهادى إلى وادي الضلال في سقطات ثلاث:

أولاً: فريته على الأعمش بما لم يقله، وإنما ذهب إلى أن الفجر الذي يجب الإمساك
عنده هو فلق الصبح الصادق الذي يملأ الأفق. لا البياض الصاعد إلى كبد السماء الزائل
بعد دقائق، المعروف بالفجر الكاذب..^٢

ثانياً: شنعته الشائنة ولسانه البذيء المتجاسر على كبار السلف من الأئمة الثقات.^٣
ثالثاً: أكذوبته الفاضحة له، على أمة كبيرة هم أتباع مذهب أهل البيت من آل
الرسول ﷺ إذ لم يعهد من أحد منهم تجويز فعل المحظورات، بعد الفجر و قبل طلوع
الشمس.. إن هذا إلا افتراء.. ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٤. و صدق الله العظيم..



والأفضع اختلاقه سورة موهونة سمّاها سورة الولاية - وفيها من السفاسف والمخاريق -
نسب القول بها إلى أحد كبراء الشيعة (ابن شهر آشوب المازندراني) في كتابه المثالب..^٥

١. روح المعاني، ج ٢، ص ٥٨.

٢. راجع: تفسير الطبري، ج ٢، ص ١٠١ (ط بولاق).

٣. حسبما جاء في تعبير الذهبي، قال بشأنه: هو من الأئمة الثقات. وكذا غيره من أصحاب التراجم (ميزان

الاعتدال، ج ٢، ص ٢٢٤، رقم ٣٥١٧).

٤. نحل (١٦): ١٠٥.

٥. روح المعاني، ج ١، ص ٢٣ (الفائدة السادسة من المقدمة).

و هذا الكتاب كان مفقوداً منذ أزمان، حتّى عثر عليه أخيراً في المخطوطات ببلاد الهند، فشهدت منه نسختين، و طالعتهما بدقّة، و إذ ليس فيهما أثر من هذا المختلق، بل نجد المؤلف قد جهد في كتابه هذا، ردّ مزعومة التحريف و تفنيد القول به، في ضوء دلالة البرهان..^١

أ فهل كان من الإنصاف أن يقابل مروءة الرجل بمثل هذا الجفاء؟! نعم، كان ما ذكره صاحبنا المفتري مقتبساً من شذرات زميله الدرويش المتسكّع، في كتاب جمعه من الطرقات و المقاهي، عند ما كان يدور في الأسواق و الشوارع، ليملاً جعبته من مهازل و أضحوكات.. و قد اغترّ بسفاسفه بعض المغفلين و دبّجها في كتابه فصل الخطاب دليلاً على تحريف الكتاب.. و هكذا توارث أهل المهازل سفاسفهم يدأ بيد!!

تفسير البلاغيّ (آلاء الرحمن)

للإمام المجاهد و العلامة الناقد الشيخ محمّد جواد البلاغيّ النجفيّ. ولد سنة (١٢٨٢ هـ) و توفّي سنة (١٣٥٢ هـ). كان ﷺ قد قضى حياته الكريمة في النضال و الدفاع عن حامية الإسلام، قلماً و قدماً. و له في كلا المجالين مواقف مشهودة. و مصنّفاته في الدفاع عن حريم الإسلام معروفة. منها: الرحلة المدرسية، في ثلاثة أجزاء، حاول فيها الردّ على شبهة المسيحيّين ضدّ الإسلام. و منها: الهدى إلى دين المصطفى، دافع فيه عن كرامة القرآن العتيدة في جزئين كبيرين. و غيرهما من كتب و رسائل عنيّت بأهمّ المسائل الإسلاميّة العريقة.

و هذا التفسير من أفضلها؛ حيث كان من آخر تآليفه، فكان أدقّها و أمتنها. سوى أنّه من المؤسف جداً إذ لم يُمهله الأجل، فقضى نحبه عند بلوغه لتفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَمَسْ فِيهَا

١. راجع ما حقّقناه بهذا الصدد في كتاب صيانة القرآن من التحريف عند البحث عن مفتريات العامة!

٢. شارك في حركة العراق الاستقلالية ضدّ الإنجليز، في ثورة (١٩٢٠ م) الدامية.

أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا^١. فأكمل تفسير الآية و لحق بجوار ربّه الكريم ليوقيّه أجره حسبما وعد في الآية، و الكريم إذا وعد وفى.

و كان شيخنا العلامة البلاغيّ عارفاً باللغات العبريّة و الإنجليزيّة و الفارسيّة الى لغته العربيّة. مُجيداً فيها، ممّا ساعده على مراجعة أهمّ المصادر للتحقيق عن مبادئ الأديان القديمة، و الوقوف على مبانيها. فكانت تأليفه في هكذا مجالات ذوات إسناد متين و أساس ركين.

و تفسيره هذا هادف إلى بيان حقائق كلامه تعالى و إيداء رسالة القرآن، في أسلوب سهل متين، يجمع بين الإيجاز و الإيفاء، و الإحاطة بأطراف الكلام، بما لا يدع لشبهه المعاندين مجالاً، و لا لتشكيك المخالفين مسرباً. هذا إلى جنب أدبه البارِع و معرفته بمباني الفقه و الفلسفه و الكلام و التاريخ، و لا سيّما تاريخ الأديان و أعراف الأمم الماضية، و التي حلّ بها كثيراً من مشاكل أهل التفسير. و من ثمّ كان منهجه في التفسير ذا طابع أدبيّ كلاميّ بارِع، فرحمة الله عليه من مجاهد مناضل في سبيل الإسلام.

* * *

١. النساء (٤): ٥٧.

لكن هنا للأستاذ الذهبيّ إساءة تعبير بشأن هذا المفسّر الجليل، يُنبؤك عن خبث طويّة. يقول في صفاقته: «و ينتهى تفسير البلاغيّ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُعْلِمُهُمْ نَارًا...﴾ (التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٤).

و لعلّ القضاء صبّ عليه البلاء (عام ١٩٧٧ م.) حيث هلاكه في شرّ قنلة مغبّة تجاسره على أمثال هذا العبد الصالح الذي قضى حياته في الدفاع عن حريم الإسلام. لكنّ شيخنا البلاغيّ عمل عمله لله، فكان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَاعْصِمْ بِمَا تَوَمَّرْ وَ أَعْرِضْ عَنِ الشُّرْكِينَ إِنَّا كُنَّا نَاكُ السُّهْرَيْنِ﴾ (الحجر (١٥): ٩٤-٩٥).

تفاسير أدبيّة

هناك تفاسير غلب عليها الطابع الأدبيّ، النحو والبلاغة و سائر علوم اللغة، وامتازت بالتعرّض لهذه الجوانب من تفسير القرآن، نذكر الأهمّ منها:

الكشّاف

للعلامة جار الله الزمخشريّ. هو أبو القاسم، محمود بن عمر الخوارزميّ. ولد سنة (٤٦٧ هـ.) و توفيّ سنة (٥٣٨ هـ.) كان معتزليّ الاعتقاد، متجاهراً بعقيدته، و بنى تفسيره هذا على مذهب الاعتزال، طاعناً في تفاسير حادت عن جادة العقل بظواهر هي متنافية مع نصّ الشرع. و هو تفسير قيّم لم يسبق له نظير في الكشف عن جمال القرآن و بلاغته و سحر بيانه، فقد امتاز المؤلف بإلمامه بلغة العرب و المعرفة بأشعارهم و الإحاطة بعلوم البلاغة و البيان و الإعراب. و لقد أضفى هذا النبوغ العلميّ الأدبيّ على تفسير الكشّاف ثوباً جميلاً، لفت إليه أنظار العلماء، و علق به قلوب المفسّرين، و من ثمّ أثنى عليه كثير من أولي البصائر في الأدب و التفسير و الكلام. غير أنّ أصحاب الرأي الأشعريّ تقموا عليه صراحته بمذهب الاعتزال، و تأويله لكثير من ظواهر الآيات المنافية مع دليل العقل.

إنّ نظرة الزمخشريّ في دلالة الآيات الكريمة نظرة أدبيّة فاحصة، و كان فهمه لمعاني الآيات فهماً عميقاً غير متأثر بمذهب كلاميّ خاصّ، فهو لا ينظر في الآيات من زاوية

مذهب الاعتزال، كما رموه بذلك، بل من زاوية فهم إنسان حراً عاقلي أريب، و يحلّل الآيات تحليلاً أدبياً في ذوق عربي أصيل، الأمر الذي يتحاشاه أتباع مذهب الأشعري. مثلاً عند ما تعرّض لتفسير قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^١ يقول: والوجه عبارة عن الجملة. و الناضرة: من نضرة النعيم. إلى ربها ناظرة: تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره. و هذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾^٢، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾^٣، ﴿إِلَىٰ اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾^٤، ﴿وَإِلَىٰ اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^٥، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^٦، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ﴾^٧. كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص، و معلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، و لا تدخل تحت العدد، في محشر يجتمع فيه الخلائق كلّهم، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم؛ لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون. فاخصاصه بنظرهم إليه، لو كان منظوراً إليه، محال؛ فوجب حمله على معنى يصحّ معه الاختصاص. و الذي يصحّ معه، أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقّع و الرجاء. و منه قوله القائل:

و إذا نظرتُ إليك من مملِكٍ و البحر دونك زدتنني نعماً

و سمعت سرويةً مستجدية بمكة وقت الظهر، حين يغلق الناس أبوابهم، و يأوون إلى مقائلهم، تقول: «عُيِّنَتِي نُويْظِرَةٌ إِلَى اللَّهِ و إِلَيْكُمْ». و المعنى: أنهم لا يتوقّعون النعمة و الكرامة إلّا من ربهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون و لا يرجون إلّا إياه^٨.

أنظر إلى هذا التحقيق الأتيق الذي سمحت به قريحة مثل الزمخشري العلامة الأديب الأريب، و لكن أصحاب الرأي المعوّج لم يرقهم هذا البيان الكافي الشافي، فجعلوا يهرولون حوله في ضجيج و عويل، زاعمين أنه خالف رأي أهل السنّة، و أوّل القرآن وفق

١. القيامة (٧٥): ٢٢-٢٣. ٢. القيامة (٧٥): ١٢.

٣. القيامة (٧٥): ٣٠. ٤. الشورى (٤٢): ٥٣.

٥. آل عمران (٣): ٢٨؛ النور (٢٤): ٤٢؛ فاطر (٣٥): ١٨.

٦. البقرة (٢): ٢٤٥. ٧. الشورى (٤٢): ١٠.

٨. الكشاف، ج ٤، ص ٦٦٢.

مذهب الاعتزال.

هذا ابن المنير الإسكندريّ تراه يهاجم الزمخشريّ في لحن عنيف، قائلاً: ما أقصر لسانه عند هذه الآية، فكم له يُدندن و يطبل في جحد الرؤية، و يشقّق القباء و يُكشر و يتعمّق، فلما فغرت هذه الآية فاها، صنع في مصادمتها بالاستدلال... و ما يعلم أن المتمتّع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه، و لا يؤثر عليه غيره، كما لا يصرف العاشق إذا ظفر برؤية محبوبه النظر عنه، فكيف بالمحبّ لله ﷻ إذا أحظاه النظر إلى وجهه الكريم. نسأل الله أن يعيدنا من مزالقي البدعة و مزلات الشبهة.

و يقول الشيخ محمّد عليان - في الهامش أيضاً -: عدم كونه تعالى منظوراً إليه، مبنيّ على مذهب المعتزلة، و هو عدم جواز رؤيته تعالى. و مذهب أهل السنّة جوازها.

و قال الشيخ أحمد مصطفى المراغيّ ﴿إلى ربّها ناظرة﴾: أي تنظر إلى ربّها عياناً بلا حجاب. قال جمهور أهل العلم: المراد بذلك ما تواترت به الأحاديث الصحيحة، من أنّ العباد ينظرون إلى ربّهم يوم القيامة، كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر. قال ابن كثير: و هذا بحمد الله مجمع عليه من الصحابة و التابعين و سلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمّة الإسلام و هداة الأنام. و روى البخاريّ: «أنكم سترون ربكم عياناً». و روى الشيخان: «أن ناساً قالوا: يا رسول الله ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تضارون في رؤية الشمس و القمر ليس دونهما سحب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترون ربكم كذلك»^٢. و قد أكثر أهل الحديث من روايات بهذا الشأن، أخذ بظاهرها السلف، و من تبعهم من أهل الظاهر^٣.

و استدللّ شيخ أهل السنّة أبو الحسن الأشعريّ بهذه الآية على جواز رؤية الله في الآخرة، و استشهد بموضع «إلى» من هذه الآية، قال: ﴿ووجوه يومئذ ناظرة إلى ربّها ناظرة﴾ أي رائية؛ إذ ليس يخلو النظر من وجوه ثلاثة: إمّا نظر الاعتبار، كما في قوله تعالى:

١. المصدر نفسه (الهامش)، ج ٤، ص ٦٦٢. ٢. تفسير المراغي، ج ١٠، ص ١٥٢-١٥٣.

٣. راجع: تفسير الطبري، ص ٧٣-٧٥؛ تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤١٤؛ تفسير القشيري، ج ٣، ص ٩١.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^١، أو نظر الانتظار، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾^٢، أو نظر الرؤية. أما الأول فلا يجوز؛ لأن الآخرة ليست بدار اعتبار. وكذا الثاني؛ لأن النظر إذا ذكر مع الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه؛ ولأنَّ نظر الانتظار لا يقرب بـ «إلى»، كما في قوله تعالى: ﴿فَنَاطِرَةٌ يَمَّ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^٣. قال: فإن قال قائل: لم لا يجوز أن يراد «إلى ثواب ربها ناظرة»؟ قيل له: ثواب الله غيره، وقد قال تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^٤، ولم يقل: إلى غيره ناظرة، والقرآن على ظاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا لحجة^٥.

* * *

أما أهل العدل و التنزيه فكانت نظرهم في توحيد الله نظرة في غاية السمو و الرفعة، فطبّقوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^٦ أبداع تطبيق، وفصلوه خير تفصيل، و حاربوا الأنظار الوضعية التي تثبت أن الله تعالى جسماً، وأن له وجهاً و يدين و عيّنين، وله جهة فوقيّة، و عرش يستوي عليه جالساً، و أنه يرى بالأبصار، إلى آخر ما قالتة الأشاعرة و أذناهم من المشبهة و المجسّمة. فأتى أهل العدل و سموا على هذه الأنظار، و فهموا من روح القرآن: تجريد الله عن المادّية، فساروا في تفسيرها تفسيراً دقيقاً واسعاً، و أولوا ما يخالف هذا المبدأ، و سلسلوا عقائدهم تسلسلاً منطقيّاً.

و قد فصل الكلام - في نفي رؤيته تعالى - القاضي عبد الجبار في كتابه شرح الأصول الخمسة^٧ و أوفى البحث حقّه. و هكذا الخواجا نصير الدين الطوسي في مختصر العقائد التجريد^٨.

٢. يس (٣٦): ٤٩.

١. الغاشية (٨٨): ١٧.

٣. النمل (٢٧): ٣٥.

٤. راجع: كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري، ص ١٠-١٩. و اللع له أيضاً ص ٦١-٦٨.

٥. الشورى (٤٢): ١١.

٦. شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار، باب نفي الرؤية، ص ٢٣٢-٢٧٧.

٧. شرح تجريد العقائد للمعلامة الحسن بن المطهر الحلبي، ص ١٦٣-١٦٥ (ط بمبأي).

و ملخّص الكلام في نفي الرؤية: أن النظر بالعين عبارة عن إشعاع نوريّ يحيط بالجسم المرئيّ، الأمر الذي يستدعي مقابلة و مواجهة، وهو يلزم الجسميّة. والآية الكريمة تصف موقف المؤمنين في ذلك اليوم، أنهم على رغم أهواله الجسام مبتهجون مسرورون، ليس لشيء إلا لأنهم منصرفون بكلّيتهم عن غيره تعالى، و متوجّهون بكلّ وجودهم إلى الله. و النظر بهذا المعنى يتعدّى بـ«إلى» كما جاء في قول السروية، و قول الشاعر:

إني إليك لما وعدت لناظر
نظر الفقير إلى الغنيّ الموسر

* * *

و كانت عائشة تنكر أشدّ الإنكار إمكان رؤيته تعالى بالأبصار. ففي حديث مسروق عنها المتفق عليه قال: قلت لعائشة: يا أمّنا، هل رأى محمّد ربّه ليلة المعراج؟ فقالت: لقد قفّ شعري ممّا قلت! أين أنت من ثلاث، من حدّثكهنّ فقد كذب: من حدّثك أن محمّداً رأى ربّه فقد كذب، و قد أعظم على الله الفرية، ثمّ قرأت ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ...﴾^١، و من حدّثك أنّه يعلم ما في غدٍ فقد كذب، ثمّ قرأت ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾^٢، و من حدّثك أنّه ﷺ كتم شيئاً من الدين، فقد كذب ثمّ قرأت ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾^٣.

هذا حديث متفق عليه رواه الشيخان وغيرهما من أصحاب الصحاح^٤. و هكذا كان مجاهد يقول في آية القيامة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: تنتظر ثواب ربّها. في حديث رواه عبد بن حميد عنه، قال الحافظ ابن حجر: سنده إلى مجاهد صحيح^٥. و من ثمّ فإنّ النابيين من الأئمة، و لا سيّما في عصر متأخّر، هبّوا ينكرون إمكان رؤيته تعالى على الإطلاق؛ إذا كان المقصود من الرؤية الإحاطة بذاته المقدّسة بتحديد العين إليه، فإنّه محال ألبتّة، فإنّه ملازم للتقابل و الجسميّة المحالين عليه سبحانه.

٢. لقمان (٣١): ٣٤.

١. الأنعام (٦): ١٠٣.

٤. السنن، ج ٩، ص ١٥٣.

٣. المائدة (٥): ٦٧.

٥. المصدر نفسه، ص ١٣٤.

قال صاحب المنار في وجل من أصحابه في الخروج من مذهب أسلافه: و أمّا رؤية الربّ تعالى فربّما قيل بادئ الرأي: إنّ آيات النفي فيها أصرح من آيات الإثبات، كقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، وقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فهما أصرح دلالة على النفي من دلالة قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ على الإثبات، فإن استعمال النظر بمعنى الانتظار، كثير في القرآن و كلام العرب، كقوله: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾^١، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾^٢، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾^٣. و ثبت أنّه استعمل بهذا المعنى متعدياً بـ«إلى»: و لذلك جعل بعضهم وجه الدلالة فيه على المعنى الآخر - وهو توجيه الباصرة، إلى ما تراد رؤيته - أنّه أسند إلى الوجوه، و ليس فيها ما يصحّ إسناد النظر إليها إلاّ العيون الباصرة، و هو في الدقّة كما ترى (أي ليس ذلك ظاهر الآية ظهوراً عرفياً)^٤. و لصاحب المنار هنا في توجيه و تأويل كلام أهل السنّة كلام طويل، لا يستغني الباحث عن مراجعتها.

و لنا أيضاً بحث مستوف بمسألة الرؤية عرضناه في بحث المتشابهات^٥.

اعتماده على التأويل و التمثيل

و هكذا نجد الزمخشريّ يعتمد في تفسيره على ضروب من التأويل و المجاز و التمثيل، فيحمل ما ظاهره التنافي مع العقل أو الأصول المتلقاة من الشرع، على ضرب من التمثيل و الإستعارة و المجاز، الأمر الذي أثار نعرات خصومه أهل السنّة و الجماعة، ناقمين عليه تصريفه لظواهر آيات القرآن الحكيم.

مثلاً نجده عند تفسير الآية (٧٢) من سورة الأحزاب، يقول:

قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ و هو يريد بالأمانة الطاعة، فعظّم أمرها و فخم شأنها، و فيه

وجهان:

٢. الأعراف (٧): ٥٣.

١. يس (٣٦): ٤٩.

٤. المنار، ج ٩، ص ١٣٤.

٣. البقرة (٢): ٢١٠.

٥. راجع: الشهيد، ج ٣، ص ٩٠-١١١.

أحدهما: أن هذه الأجرام العظام من السماوات والأرض والجبال، قد انقادت لأمر الله عزّ و علا، انقياد مثلها، وهو ما يتأتى من الجمادات، وأطاعت له الطاعة التي تصحّ منها وتليق بها؛ حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته إيجاباً وتكويناً وتسويةً على هيآت مختلفة وأشكال متنوعة، كما قال: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^١. وأما الإنسان فلم تكن حاله - فيما يصحّ منه من الطاعات، و يليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه، وهو حيوان عاقل صالح للتكليف - مثل حال تلك الجمادات فيما يصحّ منها و يليق بها من الانقياد، وعدم الامتناع.

و المراد بالأمانة، الطاعة؛ لأنها لازمة الوجود، كما أنّ الأمانة لازمة الأداء.

و عرضها على الجمادات، و إياؤها و إشفاقها: مجاز.

و أمّا حمل الأمانة، فمن قولك: فلان حامل للأمانة و محتمل لها، تريد أنّه لا يؤدّيها إلى صاحبها حتّى تزول عن ذمّته و يخرج عن عهدها؛ لأنّ الأمانة كأنّها راكبة للمؤمن عليها و هو حاملها. ألا تراهم يقولون: ركبته الديون. و لي عليه حقّ، فإذا أدّاها لم تبق راكبة له و لا هو حامل لها. و نحوه قولهم: لا يملك مولى لمولى نصراً، يريدون أنّه يبذل النصرة له و يسامحه بها، و لا يمسكها كما يمسك الخاذل. و منه قول القائل:

أخوك الذي لا تملك الحسّ نفسه و ترّفصّ عند المحفظات الكتائف^٢

أي لا يمسك الرقة و العطف إمساك المالك الضنين ما في يده، بل يبذل ذلك و يسمح به. و منه قولهم: أبغض حقّ أخيك؛ لأنّه إذا أحبّه لم يُخرجه إلى أخيه و لم يؤدّه، و إذا أبغضه أخرجته و أدّاه.

فمعنى ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾^٣: فأبين إلّا أن يؤدّيها، و أبى

١. فضلت (٤١): ١١.

٢. هو للقطامي، و قيل: لذي الرمة. و حَسَّ له حسّاً: رفق له و عطف. و الحسّ أيضاً: العقل و التدبير و النظر في العواقب. و الارفاض: الترشش و التناثر. و أحفظه إحفاظاً: أغضبه. و الكتائف جمع كتيفة، و هي الضغينة و الحقد. يقول: أخوك هو الذي لا تملك نفسه الرحمة، بل يبذلها لك و يسرع إليك بغتة و تذهب ضغائنه.

٣. الأحزاب (٣٣): ٧٢.

الإنسان إلا أن يكون محتملاً لها لا يؤذيها، ثم وُصف بالظلم لكونه تاركاً لأداء الأمانة، وبالجهل، لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه، وهو أداؤها.

والثاني: أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه و ثقل محمله، أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشدّه، أن يتحمّله ويستقلّ به، فأبى حملة و الاستقلال به و أشفق منه. و حملة الإنسان على ضعفه و رخاوة قوّته. إنّه كان ظلوماً جهولاً؛ حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها، و ضمنها ثم خاس بضمانه فيها.

قال: و نحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب، و ما جاء القرآن إلا على طرقهم و أساليبهم. و من ذلك قولهم: لو قيل للشحم أين تذهب، لقال: أسوي العوج. و كم لهم من أمثال على السنة البهائم و الجمادات. و تصوّر مقالة الشحم محال، و لكنّ الغرض أنّ السمن في الحيوان ممّا يحسّن قبيحه، كما أنّ العجف ممّا يقبّح حسنه. فصوّر أثر السمن فيه تصويراً هو أوقع في نفس السامع، و هي به أنس، و له أقبّل، و على حقيقته أوقف.

و كذلك تصوير عظم الأمانة و صعوبة أمرها و ثقل محملها و الوفاء بها.

و هنا تقوم أمام الزمخشريّ صعوبات و مشاكل، يصوّرها لنا في سؤاله:

فإن قلت: قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد: أراك تقدّم رجلاً و تؤخّر أخرى؛ لأنّه مُثِّلَ حاله في تميله و ترجّحه بين الرأيين، و تركه المضيّ على أحدهما بحال من يتردّد في ذهابه، فلا يجمع رجليه للمضيّ في وجهه. و كلّ واحد من الممثّل و الممثّل به، شيء مستقيم، داخل تحت الصّحة و المعرفة. و ليس كذلك ما في هذه الآية، فإنّ عرض الأمانة على الجماد و إياه و إشفاقه محال في نفسه، غير مستقيم، فكيف صحّ بناء التمثيل على المحال. و ما مثال هذا إلا أن تُشَبَّه شيئاً، و المشبّه به غير معقول.

و لكنّ الزمخشريّ لا توقفه هذه الصعوبات، بل نراه يتخلّص منها بكلّ دقّة و براعة:

حيث يقول:

قلت: الممثل به في الآية وفي قولهم: «لو قيل للشحم أين تذهب...» وفي نظائره، مفروض، والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات: مُثَلَّتْ حَالُ التَّكْلِيفِ فِي صَعوبته، و ثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السماوات والأرض والجبال لأبين أن يحملنها وأشققن منها^١.

قال الذهبي: وهذه الطريقة التي يعتمد عليها الزمخشري في تفسيره أعني طريقة الفروض المجازية، وحمل الكلام الذي يبدو غريباً في ظاهره، على أنه من قبيل التعبيرات التمثيلية أو التخيلية قد أثارَت حفيظة خصمه السنِّي ابن المنير الإسكندري عليه، فاتهمه بأشنع التهم في كثير من المواضع التي تحمل هذا الطابع، ونسبه إلى قلّة الأدب وعدم الذوق^٢.

فمثلاً عند ما يعرض الزمخشري لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^٣ نراه يقول: هذا تمثيل وتخيل، كما مرّ في آية عرض الأمانة، وقد دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ...﴾ والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلّة تخشّعه عند تلاوة القرآن، وتدبّر قوارعه وزواجه^٤.

ولكن هذا قد أغضب ابن المنير، فقال معقّباً عليه: وهذا ممّا تقدّم إنكاره عليه فيه، أفلا كان يتأدّب بأدب الآية، حيث سمى الله هذا مثلاً، ولم يقل: وتلك الخيالات نضربها للناس. ألهنا الله حسن الأدب معه، والله الموقّ.

غير أن الزمخشري ولع بهذه الطريقة، فمشى عليها من أوّل تفسيره إلى آخره، ولم يقبل المعاني الظاهرة التي أخذ بها أهل السنّة وحسبها أقرب إلى الصواب، كما لا ينفك عن التنديد بأهل السنّة الذين يقبلون هذه المعاني الظاهرة ويقولون بها، وكثيراً ما ينسبهم من

٢. التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٤٤٩.

٤. الكشاف، ج ٤، ص ٥٠٩.

١. الكشاف، ج ٣، ص ٥٦٤-٥٦٥.

٣. الحشر (٥٩): ٢١.

أجل ذلك إلى أنهم من أهل الأوهام والخرافات، كما عرفت من هجوه لهم في الشعر المتقدم. وقد سآهم أهل الحشو، عند تفسيره لآية (٣٦) من سورة آل عمران ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾. قال: وما يُروى من الحديث: «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مسّ الشيطان إيّاه إلا مريم وإبناها» فإله أعلم بصحته. فإن صحّ فمعناه: أن كلّ مولود يطعم الشيطان في إغوائه إلا مريم وإبناها، فإنها كانا معصومين. وكذلك كلّ من كان في صفتها، كقوله تعالى: ﴿لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^١. واستهلاله صارخاً من مسّه، تخييل وتصوير لطمعه فيه، كأنه يمسه ويضرب بيده عليه، ويقول: هذا ممّن أغويه، ونحوه من التخييل قول ابن الرومي:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وأما حقيقة المسّ والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلّاً. ولو سلّط إبليس على الناس بنخسهم، لامتألت الدنيا صارخاً وعباطاً ممّا يبلونا به من نخسه^٢.

* * *

وإليك أمثلة أخرى لتقف على مقدار تمسكه بهذه الطريقة:

ففي سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَوَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^٣ يذكر الزمخشري في معنى «الكرسي» أربعة أوجه، ويقول في الوجه الأوّل منها: إن كرسية لم يضق عن السماوات والأرض لبسطه وسعته، وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط، ولا كرسية ثمة، ولا قعود، ولا قاعد، كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^٤ من غير تصوّر قبضة وطي ويمين، وإنما هو تخييل لعظمة شأنه، وتمثيل حسّي، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾؟!^٥

٢. الكشاف، ج ١، ص ٣٥٦، ٣٥٧.

٤. الزمر (٣٩): ٦٧.

١. الحجر (١٥): ٤٠، ٣٩.

٣. البقرة (٢): ٢٥٥.

٥. الكشاف، ج ١، ص ٣٠١.

الأمر الذي لم يرتض ابن المنير، و من ثمّ عبّبه بقوله: قوله: «إنّ ذلك تخييل للعظمة» سوء أدب في الإطلاق، و بعدُ في الإصرار، فإنّ التخييل إنّما يستعمل في الأباطيل و ما ليست له حقيقة صدق، فإن يكن معنى ما قاله صحيحاً فقد أخطأ في التعبير عنه بعبارة موهمة، لا مدخل لها في الأدب الشرعيّ. و سيأتي له أمثالها ممّا يوجب الأدب أن يجتنب.

* * *

و في سورة الأعراف عند تفسير آية الميثاق يقول: و قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾^١ من باب التمثيل. و معنى ذلك: أنّه نصب لهم الأدلّة على ربوبيّته و وحدانيّته، و شهدت بها عقولهم و بصائرهم التي ركّبها فيهم، و جعلها مميّزة بين الضلالة و الهدى، فكأنّه أشهدهم على أنفسهم و قرّهم، و قال لهم: أ لست بربكم، و كأنهم قالوا: بلى أنت ربنا، شهدنا على أنفسنا و أقرنا بوحدانيّتك. و باب التمثيل واسع في كلام الله تعالى و رسوله ﷺ و في كلام العرب. و نظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^٢. ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^٣.

و قوله:

إذ قالت الأنساع للبطن الحقيّ قدوماً فأضت كالفتيق المحقّق^٤

و قوله:

قالت له ريح الصبا قرقار و اختلط المعروف بالأنكار^٥

قال الذهبيّ: و لكنّ ابن المنير السنيّ لم يرض هذا من الزمخشريّ بطبيعة الحال، و لذا تعبّبه بقوله: إطلاق التمثيل أحسن. و قد ورد الشرع به. أمّا إطلاق التخييل على كلام الله

١. الأعراف (٧): ١٧٢.

٢. النحل (١٦): ٤٠.

٣. فصلت (٤١): ١١.

٤. هو لأبي النجم العجليّ. و النسع - بالكسر -: حزام عريض يشدّ به وسط الدابة و ستر اليهودج. و الحقيّ: فعل أمر، أي التصق يا ظهر بالطن و انضمر. و قدوماً مصدر منصوب بمحذوف أو بما قبله على أنّه مفعول له. و أض ينض: صار بصير. و الفتيق: الفحل المنعم المكرم. و المحقّق: المغيظ من الحنق، و هو الغيظ.

٥. أيضاً لأبي النجم. و قرقار: اسم فعل بمعنى قرقرو، أمر السحاب لتنزله منزلة العاقل، أي صوت بالرعذ. و المقصود من الأنكار: المواضع غير المعروفة، أي سوّ بين الأماكن المعهودة بالإمطار و غير المعهودة.

تعالى فردود، ولم يرد به سمع، وقد كثر إنكارنا عليه لهذه اللفظة. ثم إن القاعدة مستقرّة على أنّ الظاهر ما لم يخالف المعقول يجب إقراره على ما هو عليه، فلذلك أقرّه الأكثرون على ظاهره وحقيقته، ولم يجعلوه مثلاً. أمّا كَيْفِيَّةُ الإخراج والمخاطبة فإله أعلم بذلك. و مسألة «التمثيل» و «التخييل» يستعملها الزمخشريّ بحريّة أوسع فيما ورد من الأحاديث التي يبدو ظاهرها مستغرباً، وقد مرّ كلامه في حديث مسّ الشيطان ونخسه للمواليد، الأمر الذي أثار ثائرة خصمه السنّي الذي لم يرتض هذا الصنيع من خصمه المعتزليّ، فتراه يتورّك عليه بقوله: أمّا الحديث فمذكور في الصحاح متفق على صحّته، فلا محيص له إذن عن تعطيل كلامه عليه السلام بتحميله ما لا يحتمله، جنوحاً إلى اعتزال منتزع، في فلسفة منتزعة، في إلحاد، ظلمات بعضها فوق بعض ^٢.

امتهانه بشأن القراء

وهكذا نجد الزمخشريّ قد أعاظ خصومه أهل الظاهر والمقلّدة من أهل السنّة والجماعة؛ حيث رفض حجّية القراءات حجّية تعبدية، حتّى ولو كانت على خلاف الفُصحى من اللغة؛ إذ لم تثبت حجّيتها بهذه السعة والإطلاق، فإذا ما تعارضت قراءة مع المقرّر من لغة العرب الفُصحى، نجد العلماء المحقّقين أمثال الزمخشريّ يرفضون تلك القراءة، حفاظاً على سلامة القرآن، من خلل في فصاحته العليا، الأمر الذي لم يرتضه المقلّدة من أهل الظاهر، فهبّوا يهاجمونه بأشنع القذائف.

هذا ابن عامر قارئ دمشق، وهو أحد القراء السبعة قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ ^٣ برفع «قتل» و نصب «أولادهم» و جرّ «شركائهم» باضافة «قتل» إلى «شركائهم» مع الفصل بالمفعول به، و قراءة «زَيْن» مبنياً للمفعول. فأنكر عليه الزمخشريّ وعدّ قراءته هذه سمجة مردودة، قال: وأمّا قراءة ابن عامر...

فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر، لكان سمجاً مردوداً، كما سمج ورد:

فزججتها بمزججة^١ زجّ القلوص أبي مزادة^٢

فكيف به في الكلام المنثور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته.

قال: والذي حمله على ذلك، أن رأى في بعض المصاحف «شركانهم» مكتوباً بالياء.

ولو قرأ بجزّ الأولاد والشركاء؛ لأنّ الأولاد شركاؤهم في أموالهم، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب^٣.

وفي ذلك امتهان بشأن ابن عامر^٤ واستهانة بشأن قراءته غير المستندة إلى حجة

معتبرة^٥، الأمر الذي أثار نعرات القوم ضده و جعلوه يقذفونه بأقبح الشتائم. هذا ابن المنير

الإسكندري الهائم في تيه ضلاله، يعلو بنشيجه في ذلك، يقول في حدة و غضب: لقد

ركب المصنّف في هذا الفصل متن عمياء، و تاه في تيهاء، و أنا أبرأ إلى الله، و أبرئ حملة

كتابه و حفظة كلامه ممّا رامهم به، فإنّه تخيل أنّ القراء - أئمة الوجوه السبعة - اختار كلّ

منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً لا تقلّاً و سماعاً، فلذلك غلط ابن عامر في قراءته هذه. و لم يعلم

الزمخشري أنّ ابن عامر قرأ بها، يعلم ضرورة أنّ النبي ﷺ قرأها على جبرائيل كما أنزلها

عليه كذلك، و تواترت عن النبي ﷺ. و لولا عذر أنّ المنكر ليس من أهل الشائين: علم

القراءة و علم الأصول، لخيف عليه الخروج من ريقة الدين، و أنّه على هذا العذر لفي عهدة

١. الزج: الطمن. و المزجّة: الرمح القصير لأنّه آلة للزج. و القلوص: الناقّة الشابة، و هو مفعول فاصل بين المضاف و المضاف إليه.

٢. الكشاف، ج ٢، ص ٧٠.

٣. هو عبد الله بن عامر اليحصبي قارئ الشام، توفي سنة (١١٨ هـ). كان خامل النسب خامل الذكر، لم يعرف نسبه كما لم يعرف له شيخ، تعلّم القراءة عفواً، و قد كرهه الناس و كرهوا قراءته، كان يؤمّ الناس بالمسجد الأموي، فلما استخلف سليمان بن عبد الملك بعث إلى مهاجر و قال: قف خلف ابن عامر فإذا تقدّم فخذ بياحه و اجذبه، فلن يتقدّم متناً دعوى، و صلّ أنت يا مهاجر، ففعل. راجع: الشهيد، ج ٢، ص ١٨٦؛ طبقات القراء، ط ٣، رقم ٨.

٤. و قد تكلمنا عن القراءات السبع و أنّها غير متواترة، و إنّما هي اجتهادات للقراء، لا حجّية فيها ذاتية في سوى قراءة عاصم برواية حفص، فإنّها لو حدها القراءة المتواترة التي توارثها المسلمون من رسول الله ﷺ و لا حجّية في غيرها إطلاقاً. راجع: الشهيد، ج ٢، ص ٨٤-٦٠ (مبحث القراء و القراءات).

خطرة وزلة منكرة^١.

وقال أبو حيان الأندلسي: «وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يردّ على عربي صريح محض قراءة متواترة، موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيئت، وأعجب لسوء ظنّ هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيّرتهم هذه الأئمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم. ولا التفات لقول أبي عليّ الفارسي: هذا قبيح قليل في الاستعمال. وقال قبل ذلك: ولا التفات إلى قول ابن عطية: وهذه قراءة ضعيفة في استعمال العرب»^٢.

وقال الكواشي - هو أحمد بن يوسف أبو العباس الموصليّ صاحب تفسير، توفي سنة (٦٨٠ هـ). -: «كلام الزمخشريّ يشعر بأنّ ابن عامر ارتكب محظوراً، وأنّه غير ثقة؛ لأنّه يأخذ القراءة من المصحف لا من المشايخ، ومع ذلك أسندها إلى النبيّ ﷺ. وليس الطعن في ابن عامر طعناً فيه، وإنّما هو طعن في علماء الأمصار؛ حيث جعلوه أحد القراء السبعة المرضية، وفي الفقهاء حيث لم ينكروا عليه، وأنهم يقرأونها في محاربيهم، والله أكرم من أن يجمعهم على الخطأ».

وقال التفتازانيّ: هذا أشدّ الجرم؛ حيث طعن في أسناد القراء السبعة ورواياتهم، وزعم أنّهم إنّما يقرأون من عند أنفسهم. وهذه عادته، يطعن في تواتر القراءات السبع، وينسب الخطأ تارة إليهم، كما في هذا الموضوع، وتارة إلى الروايات عنهم. وكلاهما خطأ^٣.

وتقلّد الآلوسيّ عبارة ابن المنير: «وقد ركب في هذا الكلام عمياء وتاه في تيهاء، فقد تخيل أنّ القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كلّ منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً لا تقللاً وسماعاً، كما ذهب إليه بعض الجهلة، فلذلك غلط ابن عامر في قراءته هذه وأخذ يبيّن منشأ غلظه، وهذا غلط صريح يخشى منه الكفر والعياذ بالله تعالى فإنّ القراءات السبع متواترة جملة

٢. البحر المحيط لأبي حيان، ج ٤، ص ٢٢٩-٢٣٠.

١. هامش الكشاف، ج ٢، ص ٦٩.

٣. بنقل الشيخ يوسف البحرانيّ في الكشكول، ج ٣، ص ٣٣٩.

و تفصيلاً عن أفصح من نطق بالضاد ذو الضاد فتغليط شيء منها في معنى تغليط رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تغليط الله عز وجل نعوذ بالله سبحانه من ذلك»^١.

تهاجمه على أهل الحديث

كما ولم يقصر الزمخشري في تهاجمه على خصومه من أهل الحديث، فلم يدع فرصة أثناء تفسيره إلا وقذفهم بقذائف لاذعة وقرعهم بمقامع دامغة. قال الذهبي: وإن المتتبع لما في الكشاف من الجدل المذهبي، ليجد أن الزمخشري قد مزجه في الغالب بشيء من المبالغة في السخرية والاستهزاء بأهل الحديث، فهو لا يكاد يدع فرصة تمر بدون أن يحقرهم ويرميهم بالأوصاف المقذعة، فتارة يسميهم المجبرة، وأخرى يسميهم الحشوية، وثالثة يسميهم المشبهة، وأحياناً يسميهم القدرية، تلك التسمية التي أطلقها أهل الحديث على منكري القدر، فرماهم بها الزمخشري، لأنهم يؤمنون بالقدر. كما جعل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي حكم فيه على القدرية أنهم مجوس هذه الأمة، منصباً عليهم؛ وذلك حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾^٢: «ولم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة، بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم - وكفى به شاهداً - إلا هذه الآية لكفى بها حجة»^٣.

كما سآهم بهذا الاسم ورماهم بأنهم يحيون لياليهم في تحمّل الفاحشة، ينسبونها إلى الله تعالى؛ حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾^٤: «أما قول من زعم أن الضمير في «زكى» و«دسى» لله تعالى، وأن تأنيث الضمير الراجع إلى «من» لأنه في معنى النفس، فمن تعكيس القدرية الذين يوركون^٥ على الله قدراً هو بريء منه ومتعال عنه. ويحيون لياليهم في تحمّل فاحشة ينسبونها إليه»^٦.

١. فصلت (٤١): ١٧.

١. روح المعاني، ج ٨، ص ٣٣.

٢. الشمس (٩١): ٩-١٠.

٣. الكشاف، ج ٤، ص ١٩٤.

٤. ورك فلان ذنبه على غيره، إذا فرقه به، أي اتهمه به ظلاماً.

٥. الكشاف، ج ٤، ص ٧٦٠.

و الظاهرة العجيبة في خصومة الزمخشري، أنه يحرص كل الحرص على أن يحوّل الآيات القرآنية التي وردت في حقّ الكفّار، إلى ناحية مخالفه في العقيدة من أهل الحديث، ففي سورة آل عمران حيث يقول تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^١، نجد الزمخشري بعد ما يعترف بأن الآية واردة في حقّ اليهود والنصارى يجوز أن تكون واردة في حقّ مبتدعي هذه الأمة، وينصّ على أنّهم «المشبهة» و «المجبرة» و «الحشوية» و أشباههم^٢.

و في سورة يونس، حيث يقول تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عَلَيْهِمْ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾^٣، يقول بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن و فاجأوه في بديهة السماع قبل أن يفقهوه و يعلموا كنه أمره، و قبل أن يتدبروه و يقفوا على تأويله و معانيه؛ و ذلك لفرط نفورهم عمّا يخالف دينهم، و شرادهم عن مفارقة دين آبائهم، كالناشئ على التقليد من «الحشوية» إذا أحسّ بكلمة لا توافق ما نشأ عليه و ألفه و إن كانت أضواً من الشمس في ظهور الصحة و بيان الاستقامة أنكرها في أول وهلة، و اشمازّ منها قبل أن يحسّ إدراكها بحاسة سمعه، من غير فكر في صحة أو فساد؛ لأنّه لم يشعر قلبه إلاّ صحّة مذهبه و فساد ما عداه من المذاهب^٤.

و لقد أظهر الزمخشري تعصّباً قوياً لمذهبه، إلى حدّ جعله يُخرج خصومه السنيّين من دين الله، و هو الإسلام؛ و ذلك حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ أُولُو الْعِلْمِ﴾^٥، فإن قلت: ما المراد بأولي العلم الذين عظّمهم هذا التعظيم، حيث جمعهم معه و مع الملائكة في الشهادة على وحدانيّته و عدله؟

قلت: هم الذين يثبتون وحدانيّته و عدله بالحجج الساطعة و البراهين القاطعة، و هم علماء العدل و التوحيد - يريد أهل مذهبه..

٢. الكشاف، ج ١، ص ٣٩٩.

٤. الكشاف، ج ٢، ص ٣٤٧-٣٤٨.

١. آل عمران (٣): ١٠٥.

٣. يونس (١٠): ٣٩.

٥. آل عمران (٣): ١٨.

فإن قلت: ما فائدة هذا التوكيد يعني في قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾؟ قلت: فائدته أن قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ هو توحيد، وقوله: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ تعديل، فإذا أردفه بقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد، وهو الدين عند الله، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين. وفيه: أن من ذهب إلى تشبيهه، أو ما يؤدي إليه كإجازة الرؤية، أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور، لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام، وهذا بين جلي كما ترى^١.

* * *

و عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^٢، قال: «ثم تعجب من المتسمين بالإسلام، المتسمين بأهل السنة والجماعة، كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً، ولا يعزرك تسترهم باللكفة^٣ فإنه من منصوبات أشياخهم! والقول ما قال بعض العديّة فيهم:

لجماعة سموها هوامهم سنةً وجماعة حمر لعمرى موكفة^٤
قد شبّهوه بخلقه و تخوفوا شنع الورى فتستروا باللكفة

و حمل الآية على أنها ترجمة عن مقترح قومه و حكاية لقولهم.
و تفسير آخر، وهو: أن يريد بقوله: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ عرّفي نفسك تعريفاً واضحاً جلياً، كأنها إراءة في جلالتها بآية، مثل آيات القيامة التي تضطرّ الخلق إلى معرفتك، أنظر إليك: أعرفك معرفة اضطرار، كأنّي أنظر إليك، كما جاء في الحديث: «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» بمعنى: ستعرفونه معرفة جليّة هي في الجلاء كإبصاركم للقمر إذا

١. الكشاف، ج ١، ص ٣٤٤-٣٤٥؛ راجع: التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٤٦٥-٤٦٧.

٢. الأعراف (٧): ١٤٣.

٣. لأنهم قالوا: إنه يرى بلاكيف، أي لا تسأل عن كيفية رؤيته تعالى. و اللكفة مخففة ذلك. و عدّ الزمخشري ذلك ذريعة للتخلص من مأزق القول بالجميّة و القول بالجهة، فهو من منصوبات أشياخهم، أي شبكات يتصيّدون بها الضعفاء.

٤. أي موضوع عليها الإكاف و هي البرذعة. و هي بمنزلة السرج للفرس.

امتلاً و استوى^١.

و قد أثار ذلك ثورة أحمد الإسكندريّ، فجعل يقابل هجاءه لأهل السنّة بهجاء أهل العدل، قال: «و لولا الاستناد بحسّان بن ثابت الأنصاريّ صاحب رسول الله ﷺ و شاعره، و المنافع عنه و روح القدس معه، لقلنا لهؤلاء المتلقّبين بالعدليّة و بالناجين سلاماً، و لكن كما نافع حسّان عن رسول الله ﷺ أعداءه، فنحن ننافع عن أصحاب سنّة رسول الله ﷺ أعداءهم فنقول:

و جماعة كفروا برؤية ربّهم	حقّاً و وعد الله ما لن يخلفه
و تلقّبوا عدليّة قلنا: أجل	عدلوا برّبهم فحسبهموا سفه
و تلقّبوا الناجين، كلاً إنهم	إن لم يكونوا في لظى فعلى شفّه» ^٢ .

البحر المحيط

لأثير الدين محمّد بن يوسف بن عليّ الحياتيّ الشهير بأبي حيّان الأندلسيّ الغرناطيّ، النحويّ اللغويّ (٦٥٤-٧٤٥ هـ)، كان من أقطاب سلسلة العلم و الأدب، و أعيان المبصرين بدقائق ما يكون من لغة العرب. حكى أنّه سمع الحديث بالأندلس و إفريقيّة و الإسكندريّة و مصر و الحجاز، من نحو أربع مائة و خمسين شيخاً، و كان شيخ النحاة بالديار المصريّة، و أخذ عنه أكابر عصره. فعن الصفديّ أنّه قال: لم أره قطّ إلّا يسمع أو يشتغل أو يكتب أو ينظر في كتاب. و كان ثبناً صدوقاً حجّة، سالم العقيدة من البدع و القول بالتجسيم، و مال إلى مذهب أهل الظاهر و إلى محبّة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. كثير الخشوع و البكاء عند قراءة القرآن. توفيّ بالقاهرة سنة (٧٤٥ هـ).

و من شعره:

هم بحثوا عن زلّتي فاجتنبتها و هم نافسوني فاكتسبتُ المعالي

٢. الكشاف (الهامش)، ج ٢، ص ١٥٦.

١. تفسير الكشاف، ج ٢، ص ١٥٢-١٥٦.

يروي عنه شيخنا الشهيد الثاني بواسطة تلميذه جمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم بن الخليل البغدادي^١.

و تفسيره هذا من أجمع التفاسير على النكات الأدبية الرائعة التي اشتمل عليها القرآن الكريم، وأوفرهم بحثاً وراء كشف المعاني الدقيقة التي حواها كلام الله العزيز الحميد. وقد امتاز بالاهتمام البالغ بجهات اللغة والنحو والأدب البارع، ويعدّ تفسيره ديواناً حافلاً بشواهد تفسير الكلمات واللغات والتعابير العربية والوجوه الإعرابية، كما اهتمّ بالقراءات واللهجات؛ إذ كان عارفاً بها، ونقل أقوال الأئمة وآراء الفقهاء، فكان تفسيراً جامعاً وشاملاً يروي الغليل ويشفي العليل.

وقد أبان عن منهجه في المقدمة، قائلاً:

«و ترتيبي في هذا الكتاب أنّي ابتدأت أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة، فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب، وإذا كان لكلمة معنيان أو معان، ذكرت ذلك في أوّل موضع فيه تلك الكلمة، لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كلّ موضع تقع فيه فيحمل عليه. ثمّ أشرع في تفسير الآية، ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها، حاشداً فيها القراءات، شاذّها ومستعملها، ذاكراً توجيه ذلك في علم العربية، ناقلاً أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها، متكلماً على جليّها وخفيّها؛ بحيث إنّي لم أغادر منها كلمة وإن اشتهرت، حتّى أتكلّم عليها، مبدياً ما فيها من غوامض الإعراب ودقائق الأدب، من بديع وبيان، مجتهداً. ثمّ أختتم الكلام في جملة من الآيات التي أفسرها إفراداً وتركيباً، بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصاً»^٢.

معاني القرآن

لأبي زكريّا يحيى بن زياد الفراء المتوفّى سنة (٢٠٧ هـ). كان تلميذ الكسائي

و صاحبه، و أبرع الكوفيّين و أعلمهم بالنحو و اللغة و فنون الأدب. قال ثعلب: لولا الفراء لما كانت عربية؛ لأنّه خلّصها و ضبطها. و كانت له حظوة عند المأمون، كان يقدّمه، و عهد إليه تعليم ابنه، و اقترح عليه أن يؤلّف ما يجمع به أصول النحو و ما سمع من العربية، و أمر أن تُفرد له حجرة في الدار و وكلّ بها جواري و خدماً للقيام بما يحتاج إليه، و صير إليه الوراقين يكتبون ما يمليه، و قد عظم قدر الفراء في الدولة العبّاسيّة.

كان الفراء قويّ الحافظة، لا يكتب ما يتلقّاه عن الشيوخ استغناءً بحفظه. و بقيت له قوّة الحفظ طوال حياته، و كان يُملي كتبه من غير نسخة. قيل عنه: إنّه أمير المؤمنين في النحو. يقول ثمامة بن الأشرس المعتزليّ عنه - و هو يتردّد على باب المأمون -: فرأيت أُبّهة أديب، فجلست إليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحراً، و فاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده، و عن الفقه فوجدته رجلاً فقيهاً عارفاً باختلاف القوم، و بالنحو ماهراً، و بالطبّ خبيراً، و بأيّام العرب و أشعارها حاذقاً.

و كان سبب تأليفه لكتاب معاني القرآن على ما حكاه أبو العبّاس ثعلب أنّ عمر بن بكير كان من أصحابه و كان منقطعاً إلى الحسن بن سهل، فكتب إلى الفراء: أنّ الأمير الحسن بن سهل ربّما سألتني عن الشيء بعد الشيء من القرآن، فلا يحضرني فيه جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً أو تجعل في ذلك كتاباً أرجع إليه فعلت. فأجابه الفراء، و قال لأصحابه: اجتمعوا حتّى أمِلّ عليكم كتاباً في القرآن، و جعل لهم يوماً، فلمّا حضروا خرج إليهم و كان في المسجد رجل يؤذّن و يقرأ بالناس في الصلاة، فالتفت إليه الفراء، فقال له: اقرأ بفاتحة الكتاب، ففسّرها، ثمّ توفّي الكتاب كلّه، يقرأ الرجل و يفسّر الفراء. قال أبو العبّاس: لم يعمل أحد قبله، و لا أحسب أن أحداً يزيد عليه. و عن أبي بديل الوضّاحي: فأردنا أن نعدّ الناس الذين اجتمعوا لإملاء الكتاب فلم يضبط، قال: فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضياً.

و عن محمّد بن الجهم: كان الفراء يخرج إلينا - و قد لبس ثيابه - في المسجد الذي في خندق عبويه، و على رأسه قلنسوة كبيرة، فيجلس فيقرأ أبو طلحة الناقط عشراً من

القرآن، ثم يقول: أمسك، فيُملي من حفظه المجلس. ثم يجيء سلمة بن عاصم من جلة تلامذته بعد أن ننصرف نحن، فيأخذ كتاب بعضنا فيقرأ عليه و يغير و يزيد و ينقص. يقول محمد بن الجهم السمرى راوي الكتاب في المقدمة: هذا كتاب فيه معاني القرآن، أملاه علينا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء - يرحمه الله - عن حفظه من غير نسخة، في مجالسه أول النهار من أيام الثلاثاءات و الجمعة، في شهر رمضان و ما بعده من سنة اثنتين، و في شهور سنة ثلاث، و شهور من سنة أربع و مائتين^١.

فقد تم إلاء الكتاب خلال ثلاث سنوات، كل يوم الثلاثاء و الجمعة من الأسبوع في كل شهر، ابتداءً من شهر رمضان المبارك، في سنين اثنتين و ثلاث و أربع بعد المائتين. و هو أجمع كتاب أتى على نكات القرآن الأدبية: اللغة و النحو و البلاغة، لا يستغني الباحث عن معاني القرآن من مراجعته و الوقوف على لطائفه و دقائقه. و قد اعتنى المفسرون بهذا الكتاب و جعلوه موضع اهتمامهم، سواء صرّحوا بذلك أم لم يصرّحوا. فإنه أحد مباني التفسير، و كان معروفاً بذلك.



و الكتب في «معاني القرآن» كثيرة، أولها: معاني القرآن لأبان بن تغلب بن رباح البكريّ التابعي، من خواصّ الإمام عليّ بن الحسين السّجّاد عليه السلام المتوفى سنة (١٤١ هـ)، و هو أول من صنّف في هذا الباب. صرّح به النجاشي و ابن النديم.

و الثاني: معاني القرآن لإمام الكوفيّين في النحو و الأدب و اللغة، و أولهم بالتصنيف فيه، أستاذ الكسائيّ و الفراء، هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، أبو سارة الرواسيّ الكوفيّ، الراوي عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام، و قد نسبته إليه الزبيديّ. و عدّ النجاشي من كتبه إعراب القرآن و لعلّهما واحد، ذكره ابن النديم.

و الثالث: معاني القرآن لأبي العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير الشماليّ

الأزديّ البصريّ المتوفّي سنة (٢٨٥ هـ). إمام العربيّة، الملقّب من أستاذه المازنيّ بالمبرّد، أي المثبت للحقّ^١.

وقد كتب في معاني القرآن كثير من الفحول، يقول الخطيب بصدّد الحديث عن معاني القرآن لأبي عبيد وأنه احتذى فيه من سبقه: «وكذلك كتابه في معاني القرآن، وذلك أنّ أوّل من صنّف في ذلك من أهل اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى، ثمّ قطرب بن المستنير، ثمّ الأخفش. و صنّف من الكوفيّين الكسائيّ ثمّ الفراء. فجمع أبو عبيد (القاسم بن سلام الإمام) من كتبهم، وجاء فيه بالآثار وأسانيدها، و تفاسير الصحابة والتابعين والفقهاء، توفيّ سنة (٢٢٤ هـ). بمكّة المكرّمة»^٢.

إملاء ما منّ به الرحمان من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن

لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبريّ المتوفّي سنة (٦١٦ هـ).

هو أخصر وأشمل كتاب حوى على بيان إعراب الأهمّ من ألفاظ القرآن وأنحاء قراءاته. ولقد أوجز المؤلّف في ذلك، وأوفى الكلام حول إعراب القرآن في أشكال مواضعه، فيما يحتاج إليه المفسّر أو الناظر في معاني القرآن الكريم. يقول المؤلّف في مقدّمة الكتاب: إنّ أولى ما عنيّ باغي العلم بمراعاته، وأحقّ ما صرف العناية إلى معاناته ما كان من العلوم أصلاً لغيره منها، و حاكماً عليها، وذلك هو القرآن المجيد، وهو المعجز الباقي على الأبد، و المودع أسرار المعاني التي لا تنفد. فأوّل مبدوء به من ذلك تلقّف ألفاظه من حفاظه، ثمّ تلقّي معانيه ممّن يعانیه. وأقوم طريق يسلك في الوقوف على معناه، و يتوصّل به إلى تبيين أغراضه و مغزاه، معرفة إعرابه و اشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه، و النظر في وجوه القرآن المنقولة عن الأئمّة الأئبات.

و الكتب المؤلّفة في هذا العلم كثيرة جدّاً، فمنها المختصر حجماً و علماً، و منها

١. جاء ذكر هؤلاء الثلاثة في الذريعة للطهرانيّ، ج ٢١، ص ٢٠٥-٢٠٦، رقم ٤٦٣٢، ٣٣ و ٣٤.

٢. تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٤٠٥.

المطوّل بكثرة إعراب الظواهر، و خلط الإعراب بالمعاني، و قلّمًا تجد فيها مختصر الحجم كثير العلم، فلّمًا وجدتها على ما وصفت، أحببت أن أملي كتاباً يصغر حجمه و يكثر علمه، اقتصر فيه على ذكر الإعراب و وجوه القراءات، فأنتيت به على ذلك.

و الكتاب مرّتّب حسب ترتيب السور، متعرّضاً لإعراب القرآن آية فآية و كلمة فكلمة، حتّى يأتي إلى آخره.

* * *

و الكتب في إعراب القرآن كثيرة، أفضلها ما كتبه المتقدمون، و قد استرسل فيها المتأخرون، فأتوا بما لا طائل تحته في كثير من تصانيفهم بهذا الشأن.

و من أحسن كتب السلف في إعراب القرآن، كتاب البيان في غريب إعراب القرآن، تأليف كمال الدين، عبد الرحمان بن محمّد بن عبّيد الله، أبي البركات، المعروف بابن الأنباريّ، المتوفّي سنة (٥٧٧ هـ). و قد انتهت إليه زعامة العلم في العراق، و كان قبلة الأنظار بين أساتذة المدرسة النظاميّة في بغداد، يرحل إليه العلماء من جميع الأقطار، و قد تخاطف الطلاب و الأدباء تصانيفه، و طولب بالتأليف في مختلف علوم اللغة.

و قد وضع كتابه هذا على أحسن أسلوب و أجمل ترتيب، في بيان أعراب القرآن، منتهجاً ترتيب معاني القرآن للقرّاء، و أسلوبه في شرح مواضع الكلمات، و بيان تفاصيل وجوها. و هو مرّتّب حتّى نهاية القرآن الكريم.

و من الكتب المؤلّفة في هذا الباب، و يعدّ من أجملها: كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج المتوفّي سنة (٣١٦ هـ). لكنّ من المحتمل القريب أنّه من تأليف أبي محمّد مكّي بن أبي طالب القيسيّ المغربيّ، صاحب التآليف الكثيرة في القرآن، و في الأدب و اللغة، توفّي سنة (٤٣٧ هـ).^١

هذا الكتاب وضع على تسعين باباً، جاء الكلام فيها في مختلف شؤون النكات الأدبيّة

و النحويّة و اللغويّة، كلّ باب بنوع خاصّ من المسائل الأدبيّة. و قد استوفى الكلام حول مسائل اللغة في القرآن و بعض مسائل البلاغة و البديع كالباب التاسع عشر، فيما جاء في التنزيل من ازدواج الكلام و المطابقة و المشاكلة و غير ذلك. و الباب الخامس و الثلاثين، فيما جاء في التنزيل من التجريد. و الباب الثالث و الثمانين، فيما جاء في التنزيل من تفتّن الخطاب و الانتقال من الغيبة إلى الخطاب و من الخطاب إلى الغيبة و من الغيبة إلى التكلّم. كما تعرّض لبعض القراءات، كالباب السابع و الثمانين فيما جاء في التنزيل من القراءة التي رواها سيبويه في كتابه. و الباب الثامن و الثمانين في نوع آخر من القراءات. و سائر الأبواب متمحّضة في النحو و الاشتقاق.

و على أيّ حال، فهو كتاب ممتع، و مفيد للباحثين، عن نكات القرآن الأدبيّة و الدقائق اللغويّة البارة.



و لمكّي بن أبي طالب، كتاب آخر في مشكل إعراب القرآن طبع في جزئين. و هو تأليف لطيف وضعه على ترتيب السور، تعرّض للمشكل من أعراب ألفاظ القرآن الكريم، هادفاً وراء ذلك إيضاح المعاني؛ حيث وضّح الإعراب هو خير معين في فهم المعنى. قال في المقدّمة: «إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني و ينجلي الإشكال، فتظهر الفوائد و يفهم الخطاب و تصحّ معرفة حقيقة المراد. و قد رأيت أكثر من ألف في الإعراب، طوله بذكره لحروف الخفض و حروف الجزم، و بما هو ظاهر من ذكر الفاعل و المفعول، و اسم إنّ و خبرها، في أشباه لذلك يستوي في معرفتها العالم و المبتدئ، و أغفل كثيراً ممّا يحتاج إلى معرفته من المشكلات، فقصدت في هذا الكتاب إلى تفسير مشكل الإعراب، و ذكر علله و صعبه و نادره»^١.



تفاسير لغوية

هناك كتب تعرّضت لغريب اللغة في القرآن، وفسّرت معاني الكلمات التي جاءت غريبة في كتاب الله. وقد فسّرنا فيما مضى معنى «الغريب» الواقع في القرآن، وأنها اللفظة المستعملة والمعروفة في لغة قبيلة دون أخرى، فجاء استعمالها في القرآن غريباً على سائر اللغات، وذلك في مثل «الودّقي» بمعنى المطر، لغة جرهم. و«المنسأة» بمعنى العصا، لغة حضرموت. و«آسين» بمعنى مُنتن، لغة تميم. و«سُعر» بمعنى جنون، لغة عمان. و«بسّت» بمعنى تفتّنت، لغة كندة، وهلمّ جرّاً. وعليه فالذي جاء منه في القرآن الشيء الكثير، هو الغريب العذب والوحش السائغ، الذي أصبح بفضل استعماله ألوفاً، و صار بعد اصطياده خلوباً، دون البعيد الركيك، والمتوعّر النفور. وقد بحثنا عن ذلك مستوفياً عند الكلام عن إعجاز القرآن البياني^١.

والمؤلّفون في تفسير غريب القرآن كثير

١. أولهم أبان بن تغلب أبو سعيد البكريّ الجريريّ من أصحاب الإمام محمّد بن عليّ الباقر^{عليه السلام} فقد صنّف في غريب القرآن كتاباً عنى فيه بذكر الشواهد من الشعر الجاهليّ على معنى الكلمة التي يذكرها. وهو من خير الكتب المؤلّفة في هذا الباب. توفّي سنة

١٤١ هـ.

٢. ثم محمد بن السائب الكلبي الكوفي النسابة من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام توفي سنة ١٤٦ هـ. قال ابن خلكان: هو صاحب التفسير و علم النسب و كان إماماً في هذين العلمين^١.

٣. و أبو فيد مؤرّج بن عمرو النحويّ السدوسيّ البصريّ توفي سنة ١٧٤ هـ. له كتاب في غريب القرآن. و كان من أصحاب الخليل الأقدمين. قال الأخفش: سألت القاضي يحيى بن أكنم عن الثقة المأمون المقدّم من أصحاب الخليل بن أحمد من هو؟ و من الذي كان يوثق بعلمه؟ فقلت: النضر بن شميل و سيبويه و مؤرّج السدوسيّ. ذكره ابن خلكان^٢.

٤. و عليّ بن حمزة الكسائيّ المتوفى سنة ١٨٢ هـ.

٥. و النضر بن شميل، المتوفى سنة ٢٠٣ هـ.

٦. و قطرب، محمد بن المستنير، المتوفى سنة ٢٠٦ هـ.

٧. و الفراء، يحيى بن زياد، المتوفى سنة ٢٠٧ هـ.

٨. و أبو عبيدة، معمر بن المثنى، المتوفى سنة ٢١٠ هـ.

٩. و الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة، المتوفى سنة ٢١٦ هـ.

١٠. و أبو عبيد، القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٣ هـ.

و استمرّ الحال و تسلسل تأليف كتب و رسائل في غريب القرآن طول القرون، على أيدي علماء أدباء و لغويين نهاء، أوضحوا الكثير من غريب ألفاظ القرآن الكريم و عنوان ذلك عناية بالغة، جزاهم الله عن الإسلام و القرآن خير جزاء.

و ممّا هو جدير بالذكر أنّ اسم كتاب الأخفش و الكسائيّ و الفراء هو: معاني القرآن، و اسم كتاب أبي عبيدة و قطرب هو: مجاز القرآن. و هذه الأسماء الثلاثة: «غريب القرآن» و «معاني القرآن» و «مجاز القرآن» مترادفة أو كالمترادفة في عرف المتقدّمين. و قد وهم

٢. المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٠٤، رقم ٧٤٥.

١. وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٠٩، رقم ٦٣٤.

كثير من الباحثين المتأخرين فقالوا: إن مجاز القرآن من كتب البلاغة لا من كتب التفسير، وهو خطأ شائع^١.

وأقدم كتاب وصل إلينا في تفسير غريب القرآن، ما هو المنسوب إلى الإمام الشهيد (سنة ١٢٢) زيد بن علي بن الحسين عليه السلام - وهو برواية الشيخ أبي جعفر محمد بن منصور ابن يزيد المقرئ - وهو شيخ الزيدية بالكوفة، عن علي بن أحمد بن الحسين المعروف بالأكوع، عن عطاء بن السائب الثقفي الكوفي أحد الأئمة والرجل الثقة، عن أبي خالد، عمرو بن خالد الواسطي عن الإمام زيد بن علي عليه السلام. ويتكرر هذا السند طول التفسير. ويبدو من خلال التفسير أنه جمع لكلمات زيد وتفسيراته لآي القرآن، وإن عمرو بن خالد هو الذي تولّى جمع وتنسيق مقالات زيد. هذا، ولعلّ الجامع لهذا التفسير شخص آخر متأخر عن عمرو بن خالد^٢.

وهو تفسير موجز لطيف و تبيين شاف لمواضع الإيهام من الذكر الحكيم، تجده وافياً بإيفاد المعاني في تسلسل ترتيب حسب ترتيب السور والآيات، ممّا ينبؤك عن علم غزير وذوق ظريف ودقة فائقة^٣.



وخير كتاب وجدته تعرّض للمشكل من معاني القرآن، متصدّياً لتأويله و تبيينه، هو كتاب تأويل مشكل القرآن تأليف العلامة الناقد البصير أبي محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) الدينوري المروزي المتوفى سنة (٢٧٦ هـ).

وقد استوفى المؤلف الكلام حول أنواع المتشابه في القرآن، وشرحها شرحاً وافياً. تكلم عن الطاعنين في القرآن، وما ادّعى فيه من التناقض والاختلاف، والتكرار والزيادة ومخالفة الظاهر، وما ادّعى فيه من فساد النظم والإعراب. كما تعرّض للأشباه

١. راجع: أحمد صفر في مقدّمة كتاب تفسير غريب القرآن لابن قتيبة.

٢. راجع: الحسيني الجلاي - محقق الكتاب - أول صفحة من تفسير فاتحة الكتاب بالهامش، رقم ٢.

٣. وأخيراً قام بتحقيقه وتنميحه زميلنا الفاضل السيّد محمد جواد الجلاي، و طبع طبعة أنيقة.

والنظائر في معاني ألفاظ القرآن (و لعله كان المرجع لحبيش التفلسي في تأليفه الآتي) وتكلم في حروف المعاني وما شاكلها من أفعال، واستعمال بعض الحروف مكان البعض، وأخيراً الكلام عن مشكل القرآن وما شابه ذلك.

فهو كتاب فريد في بابه، لم يسبق له نظير في مثله، كما لم يخلفه بديل.



وقد أعقبه بكتاب آخر في «تفسير غريب القرآن» هو في الحقيقة تكميل لكتاب تأويل مشكل القرآن: لأن اللفظ الغريب، من غامض المشكل الذي دعى ابن قتيبة إلى توضيحه و تبين دقيقه. وإنما أفرد الغريب بكتاب لثلاً يطول كتاب المشكل.

وقد أنبأنا ابن قتيبة في صدر كتابه هذا أن غرضه الذي امتثله فيه: أن يختصر و يُكمل. و يوضح و يُجمل. قال: و كتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين و كتب أصحاب اللغة العالمين، لم نخرج فيه عن مذاهبهم و لا تكلفنا في شيء منه بآرائنا غير معانيهم، بعد اختيارنا في الحرف أولى الأقاويل في اللغة و أشبهها بقصة الآية. و نبذنا منكر التأويل و منحول التفسير، الذي لا ندري: أ وقع الغلط فيه من جهة المفسرين أم جهة النقلة؟

ثم عقد باباً عنوانه «اشتقاق أسماء الله و صفاته و إظهار معانيها» فسّر فيه ستّة و عشرين حرفاً من الحروف المعبّرة عن ذلك. ثم أعقبه بباب تأويل حروف كثرت في الكتاب، و قد فسّر منها أربعين حرفاً. ثم قفاه بتفسير غريب القرآن على ترتيب المصحف، على نحو تفسير غريب القرآن المنسوب إلى الإمام زيد بن عليّ عليه السلام. و هذا اللون من ألوان ترتيب كتب الغريب لعله أقرب تناولاً من الكتب المؤلفة على حسب حروف المعجم، لأنّ الطالب لمعرفة غريب آية أو آيات أو سورة يجد طلبته مجموعة أمامه و لا يتبدّد ذهنه في الكشف عن معاني الكلمات في مواردها المختلفة.

و بالجملة فهو من أحسن كتب تفسير غريب القرآن و من أجمله نظاماً و ترتيباً على اختصاره و إجماله. و كان مصدراً ثرياً لكثير ممّن جاؤوا بعده كالطبري و القرطبي و الرازي. و إن كان هو اعتمد على كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة و معاني القرآن للفراء

أكبر اعتماد، وانتفع بهما انتفاعاً عظيماً، حتّى إنّه في بعض الأحيان كان ينقل لفظهما بنصّه وفضّه. لكنّه أخذ عالم بصير وناقد خبير يعرف ما يأخذ وما يذر.

* * *

وأحسن كتاب في هذا الباب، هو كتاب المفردات لأبي القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهانيّ، المتوفّي سنة (٥٠٢ هـ)، فإنّه أوّل كتاب فتح باب الاجتهاد في اللغة وأعمل الرأي والاستنباط في فهم معاني اللغات. ولقد أجاد في ذلك وأفاد، واستقصى لغات القرآن كلّها واستوعب الكلام في الجمع والتفريق، والبسط والتفصيل، في المعاني ومفاهيم الكلمات.

* * *

ولأبي الفضل حبّيش بن إبراهيم التفلسّي من أعلام القرن السادس كتاب لطيف، كتبه في وجوه معاني القرآن، تعرّض فيه للمعاني المحتملة من تعابير جاءت في القرآن الكريم، وضعه بالفارسيّة، وهو موجز مختصر طريف في بابهِ. حقّقه الأستاذ الدكتور مهديّ محقق، و طبع ونُشر أخيراً في عدّة طبعات بطهران.

* * *

وأجمع كتاب ظهر أخيراً جامعاً لمعاني القرآن وشاملاً ومستوعباً لغرائب ألفاظه الكريمة، هو كتاب تفسير غريب القرآن الكريم للفقّيه المفسّر اللغويّ الأديب الشيخ فخر الدين الطريحيّ النجفيّ المتوفّي سنة (١٠٨٥ هـ). وهو كتاب شاف و واف بالموضوع، طبع طبعة أنيقة، بتحقيق الأستاذ محمّد كاظم الطريحيّ، بالنجف الأشرف - العراق.

تفسير المتشابهات

و يلحق بهذا الباب تفاسير خصّت الكلام حول متشابهات القرآن و ردّ المطاعن عنه، وهي كثيرة ومتنوّعة، كان من أهمّها:

١. متشابه القرآن، للقاضي عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمدانيّ

المعتزلي المتوفى سنة (٤١٥ هـ). ولد في ضواحي مدينة همدان، في قرية أسد آباد، وخرج إلى البصرة في طلب العلم، و اختلف إلى مجالس العلماء، حتى برع في الفقه والحديث و الأدب و التفسير، و تكلم على مذهب الاعتزال، و تولّى القضاء في الريّ، على عهد الصحاح بن عبّاد في دولة بني بويه؛ حيث كان الصحاح لا يرى تولية القضاء في دولته الشيعية إلا لمن كان معروفاً من أهل القول بالعدل.

كان عبد الجبّار إمام المعتزلة في عصره، و اتّصل بالصحاح، و وقع تحت عنايته، و من ثمّ كتب له عهداً بتولية رئاسة القضاء في الريّ و قزوین و غيرهما، من الأعمال التي كانت لفخر الدولة، ثمّ أضاف إليه بعد ذلك في عهد آخر إقليمي جرجان و طبرستان. و له تصانيف قيّمة و جيّدة، و لا سيّما في الأصول و الكلام، مثل المغني، و شرح الأصول الخمسة، و كتاب الحكمة و الحكيم، و غير ذلك.

و من جيّد تصانيفه: كتابه في متشابهات القرآن، يستعرض فيه سور القرآن حسب ترتيبها في المصحف، و يقف في كلّ منها عند نوعين من الآيات: الآيات المتشابهة التي يزعم الخصم أنّ فيها دلالة على مذهبه الباطل، و الآيات المحكمة الدالّة على مذهب الحقّ، و ذلك ما أزم به نفسه في مقدّمة الكتاب، و استمرّ عليه حتّى نهاية الكتاب. و لقد أجاد فيما أفاد، و استوعب الكلام فيما أراد.

٢. تنزيه القرآن عن المطاعن، أيضاً للقاضي عبد الجبّار. كتبه في دفع الشكوك عن القرآن الكريم، و ربّبه حسب ترتيب السور، و تكلم في إيراد الإشكالات الأدبية و المعنوية الواردة، أو المحتملة على القرآن، ثمّ الإجابة عليها إجابة شافية و كافية، حسبما أوتي من حول و قوّة. و لقد استوفى الكلام في ذلك حتّى نهاية القرآن.

٣. متشابهات القرآن و مختلفه، للشيخ الجليل رشيد الدين أبي جعفر محمّد بن عليّ بن شهر آشوب السرويّ المازندرانيّ المتوفى سنة (٥٨٨ هـ). كان علماً من أعلام عصره، و ضاءً كثير التصنيف و التأليف، في مختلف العلوم الإسلامية، و كان خبيراً ناقداً و بصيراً بشؤون الدين و الشريعة.

قال المحقق القميّ بشأنه: فخر الشيعة و مروّج الشريعة، محيي آثار المناقب والفضائل، والبحر المتلاطم الزخّار الذي لا يساجل، شيخ مشايخ الإمامية. وعن الصفديّ: حفظ أكثر القرآن ولم يبلغ الثامنة من عمره، كان يُرحل إليه من البلاد، له تقدّم في علم القرآن والغريب والنحو. ووعظ على المنبر أيام المقتفي العبّاسيّ ببغداد، فأعجبه وخلع عليه. وكان بهيّي المنظر، حسن الوجه والشيبة، صدوق للهجة، مليح المحاورّة، واسع العلم، كثير الخشوع والعبادة والتهجّد، لم يكن إلاّ على وضوء. عاش عيشته الحميدة مائة عام، وتوفّي بحلب. وقبره مزار بمشهد السقط على جبل جوشن خارج حلب!

أمّا كتابه هذا فهو من خير ما كتب في متشابهات القرآن، وأجمعها وأشملها، وأتقنها إحكاماً وبياناً وتفصيلاً، وضعه على أسلوب طريف، يبدأ بمسائل التوحيد وصفات الذات والفعل، وعالم الذرّ والقلب والروح والعقل، والقضاء والقدر، والسعادة والشقاء، والنبوة والعصمة، وتاريخ الأنبياء، والكلام على إعجاز القرآن، والمحكم والمتشابه، والوحي والخلافة والتكليف، والجنّ والملك والشياطين، ومسائل الإمامة والولاية، ثمّ بأصول الفقه والأحكام والشرائع، والنسخ، والاستثناء والشرط، والحقيقة والمجاز، والكناية والاستعارة والتشبيه، وسائر المسائل الأدبيّة واللغويّة، وما إلى ذلك، ترتيباً طبيعياً منسجماً، سهل التناول قريب المنال، في عبارات سهلة جزلة، فله درّه وعليه أجره.

٤. أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها، تأليف زين الدين محمّد بن أبي بكر الرازيّ المتوفّي سنة (٦٦٦ هـ)، يشتمل على ألف ومأتي سؤال وجواب حول متشابهات القرآن، وأوردها بصورة موجزة وموفية بالمقصود، وكانت معروفة بمسائل الرازيّ.

كان المؤلّف - وهو من مواليد الريّ، ومن ثمّ نسب إليه - على غاية من الذكاء وسعة

الاطلاع، وله تأليف جيّدة، مثل الذهب الإبريز في تفسير الكتاب العزيز، و روضة الفصاحة في البديع و البيان، و مختار الصحاح، و شرح مقامات الحريري و تحفة الملوك في العبادات، ممّا ينبؤك عن أدب جمّ و خبرة واسعة.

وضع كتابه على ترتيب السور، يتعرّض للشبهة بصورة سؤال، ثمّ يجيب عليها إجابة وافية، حسبما أوتي من علم و بصيرة، و هو تأليف لطيف في بابه، حسن الأسلوب، بديع في مثله.



و للشيخ خليل ياسين، من أبرز علماء لبنان في العصر الأخير، كتاب حافل و شامل، حوى ألفاً و ستّ مائة سؤال و جواب حول شبهات القرآن، عرضها حسب ترتيب السور و الآيات، عرضاً علمياً أدبياً، و كانت الأجوبة موفية حسب إمكان المؤلف العلمي، بصورة موجزة و وافية. و جاء اسم الكتاب أضواء على مشابهات القرآن اسماً متطابقاً مع المسمّى. طبع في بيروت - لبنان - سنة (١٣٨٨ هـ) و هو كتاب جليل جميل.

تفاسير موجزة

هناك تفاسير اتخذت طريقة الإيجاز في تفسير القرآن و تبيين معانيه، ابتعدت عن طريقة التفصيل التي مشى عليها أكثر المفسرين الكبار، محاولين بذلك إلى تقريب معاني القرآن إلى الأذهان في خطوات سريعة و متقاربة، و الأكثر أن يكون ذلك خدمة للناشئة من طلبة العلوم الدينية، و من قاربهم من ذوي الثقافات العامة.

١. و ممن حاز قصب السبق في هذا المضمار، هو (السيد عبد الله شبر) في تفسيره الوجيز الذي قدمه للملا من المسلمين خدمة موقفة إلى حد بعيد، فهو على و جازته يحتوي على نكات و دقائق تفسيرية رائعة، مما قد يفوت بعض التفاسير الضخام. فإنه لا يفوته أن يكشف لنا عن كثير من النكات اللفظية و البيانية و المعنوية، مع الخوض أحياناً في المعاني اللغوية و المسائل النحوية، كل هذا - كما قال الأستاذ الذهبي - في أسلوب ممتع لا يملقارئه من تعقيد و لا يسأم من طول^١.

و قد حرص المؤلف على أن يكون جلّ اعتماده على ما ورد من التفسير عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) و إن كان لا يعزو كلّ قول إلى قائله في الغالب، كما حرص على أن ينصر المذهب و يدافع عنه سواء في ذلك ما يتعلّق بأصول المذهب أم بفروعه. و هو بعد ذلك

يشرح الآيات التي لها صلة بمسائل علم الكلام شرحاً يتفق مع مذهب أهل العدل، أو الظاهر المتفق عليه لدى أهل الحديث، ثم لا يفوت المؤلف في تفسيره هذا أن يشير إلى بعض مشكلات القرآن التي ترد على ظاهر النظم الكريم، و يجيب عنها إجابة سليمة عن تكلف أهل البدع. ولا غرو فإنه الأديب البارِع والفقيه المحدث الجامع. ولقد وصف المؤلف تفسيره هذا، وبيّن مسلكه فيه، جاء في مقدّمته:

«هذه كلمات شريفة، و تحقيقات منيفة، و بيانات شافية، و إشارات وافية، تتعلّق ببعض مشكلات الآيات القرآنية، و غرائب الفقرات الفرقاتية، و تتحرى غالباً ما ورد عن خزّان أسرار الوحي و التنزيل، و معادن جواهر العلم و التأويل، الذين نزل في بيوتهم جبرائيل، بأوجز إشارة و أطف عبارة، و فيما يتعلّق بالألفاظ و الأغراض و النكات البيانية، تفسير و جيز، فإنه أطف التفاسير بياناً، و أحسنها تبياناً، مع جازة اللفظ و كثرة المعنى»^١.

ولقد وفي المؤلف بما وعد، فقد أسند جواهر تفسيره و جيّد آرائه إلى معينه الأصل من علوم أئمة أهل البيت عليهم السلام. كما أوجز و أوفى في البيان و إيداء النكت و الظرائف في عبارات سهلة قريبة وافية.

قال الأستاذ حامد حنفيّ (أستاذ كرسيّ الأدب في كليّة الألسن العليا بالقاهرة) في مقدّمة التفسير المطبوع بالقاهرة: «و العالم بهذا الفنّ يدرك لأوّل وهلة دقّة المفسّر و إمساكه بخطام هذه الصناعة، و جمعه لأدوات المفسّر. ولعلّك و أنت تقرأ تفسير الفاتحة في تفسيره هنا و توازن ذلك بما جاء في تفسير الجلالين تقف بنفسك على قدرات المفسّر، و لا سيّما في الأصول اللغويّة، حين يردّ لفظ الجلالة «الله» إلى أصله اللغويّ، و حين يفرّق في حصافة منقطعة النظر بين معنى اسمه تعالى «الرحمان» و اسمه تعالى «الرحيم»، و حين لا يكتفي بالفروق اللغويّة، فيزيدك إيضاحاً بما حفظه من نصوص و أدعية مرفوعة

إلى أئمة أهل البيت النبوي عليهم السلام. وهو في ذلك كله سهل الجانب، معتدل العبارة، يسوقها في حماس العالم، وليس في ثورة المتعصب. كما لا ينسى وهو يفسر أن يشرح الآية بآيات أخرى، وأن يذكر سبب النزول كلما دعا الأمر إلى ذلك، وكان عوناً له على توضيح المعنى المطلوب من الآية، وهكذا نلاحظ هذا الصنيع في سائر عبارات هذا التفسير الجليل»^١.

هذا، وقد أتم المؤلف تفسيره هذا - كما قال في خاتمته - في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين ومائتين بعد الألف من الهجرة (١٢٣٩ هـ). وقد طبع عدة طبعات، ولا يزال.. وقد تقدم بعض الكلام عنه عند عرض تفاسير شبر الثلاثة..



٢. التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبلي الفرناطي توفي سنة (٧٤١ هـ). كان من مشاهير العلماء بغرناطة عاكفاً على العلم والاشتغال بالنظر والتحقيق والتدوين، وقد ألف في فنون من علوم القرآن والفقهِ والحديث والتفسير. كان المؤلف ممن يرغب في الجهاد، فقتل شهيداً في معركة «طريف» بالقرب من «جبل طارق».

وتفسيره هذا موجز شامل لتفسير القرآن كله، مع إيضاح المشكلات وبيان المجملات وشرح الأقوال والآراء بصورة موجزة وافية. قال في المقدمة:

«وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلّق به من العلوم، وسلكت مسلكاً نافعاً؛ إذ جعلته وجزياً جامعاً، قصدت به أربعة مقاصد، تتضمن أربعة فوائد: ١- جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم. ٢- ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة. ٣- إيضاح المشكلات، وبيان المجملات. ٤- تحقيق أقوال المفسرين، وتمييز الراجح من المرجوح»^٢.

و جعل المؤلف لتفسيره مقدّمة وجيزة ذكر فيها ما يتعلّق بشؤون القرآن و علومه الشيء الوفير، و حقّق فيها مسائل كثيرة نافعة، جعلها في اثني عشر باباً، و هي أشبه بمقدّمة المحرّر الوجيز لابن عطية، و لعلّها مأخوذة منها. فإنّ المؤلف اعتمد في تفسيره هذا توجيز على تفسير ابن عطية، و الكشاف للزمخشري، و غيرهما من تفاسير أدبيّة و لغويّة كانت معروفة آنذاك، و على أيّ تقدير فهو تفسير لطيف و جامع كامل في بابه. و قد طبع عدّة طبعات.

٣. تفسير الجلالين، اشترك في تأليف هذا التفسير، جلال الدين المحليّ، و جلال الدين السيوطي. فقد ابتدأ جلال الدين محمد بن أحمد المحليّ الشافعيّ - المتوفّي سنة (٨٦٤هـ) و كان علامة عصره - في تفسير القرآن من أوّل سورة الكهف إلى آخر القرآن، ثمّ شرع في تفسير الفاتحة، و بعد أن أتمّها اخترمته المنية فلم يفسّر ما بعدها. ف جاء جلال الدين السيوطي المتوفّي (٩١١هـ) فأكمل التفسير، فابتدأ بتفسير البقرة و انتهى عند آخر سورة الإسراء، و وضع تفسير الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحليّ لتكون ملحقة به. و قد نهج السيوطي في التفسير منهج المحليّ، من إيجاز المطالب، و ذكر ما يفهم من كلام الله تعالى، و الاعتماد على أرجح الأقوال، و إعراب ما يحتاج إليه، و التنبيه على القراءات المختلفة المشهورة، على وجه لطيف، و تعبير و جيز، بحيث لا يكاد قارئ تفسير الجلالين يلمس فرقا بين طريقة الشيخين فيما فسّراه، اللهمّ في مواضع قليلة لا تبلغ العشرة. و التفسير قيم في بابه، و حظى بكثرة الانتشار و رواجه بين روّاد العلم، و قد طبع مراراً و طار صيته.

٤. صفوة التفاسير، تأليف الأستاذ محمد عليّ الصابونيّ، من أساتذة كليّة الشريعة بمكة المكرمة. كان له نشاط في علوم القرآن و التفسير، و من ثمّ قام بتأليف عدّة كتب في التفسير و علوم القرآن، أكثرها مختصرات، كمختصر تفسير ابن كثير، و مختصر تفسير الطبري، و النبيان في علوم القرآن، و روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، و قيس من نور القرآن، و صفوة التفاسير؛ و هو الكتاب الذي نحن بصدده.

وهو تفسير موجز، شامل جامع بين المأثور و المعقول، مستمدّ من أوثق التفاسير المعروفة كالطبري والكشاف وابن كثير والبحر المحيط وروح المعاني، في أسلوب ميسر سهل التناول، مع العناية بالوجوه البيانيّة واللغويّة. قال في المقدّمة: «وقد أسميت كتابي صفوة التفاسير؛ وذلك لأنّه جامع لعيون ما في التفاسير الكبيرة المفصّلة، مع الاختصار والترتيب، والوضوح والبيان».

فهو تفسير توسط فيه المؤلّف في مسلكه العلميّ، ليسهل فهمه على طلبة العلم بأسلوب سهل و عبارات ميسرة، وإيضاحات جيّدة في بيان تحليليّ تربويّ قريب التناول. طبع الكتاب في ثلاث مجلّدات، وكان تاريخ التّأليف سنة (١٤٠٠ هـ).

٥. الوجيز في تفسير القرآن العزيز، تأليف الأستاذ محمّد عليّ دخيل، من ذوي النشاطات الدينيّة الحريصة على الإسلام والدفاع عنه، إلى جنب تربية النشأ الجديد تربيةً إسلاميّة عريقة، و من ثمّ كانت تأليفه تدور حول هذا المحور، مثل: ثواب الأعمال وعقابها، عليّ في القرآن، دراسات في القرآن الكريم، قصص القرآن الكريم، المصحف المفترّ، الوجيز - الذي هو مورد دراستنا.. فقد تمّ تأليفه سنة (١٤٠٥ هـ)، و طبع سنة (١٤٠٦ هـ)، في مجلّد واحد كبير، في (٨٢٩) صفحة.

وهو تفسير موجز شامل، يغلب عليه اللون التربويّ التحليليّ، متناسباً مع مستوى الجيل الحاضر. التزم فيه بنصّ الطبرسيّ في مجمع البيان مع مراعاة الاختصار. يبيّن فيه مجمل المعنى من دون أن يتوسّع فيه أو يتعرّض للأدب والبلاغة، وإنّما يذكر اللغة والتفسير الموجز، مع ذكر الأحاديث الواردة، عن النبيّ أو أحد الأئمّة عليهم السلام بحذف الأسناد، أحياناً، كما يتعرّض لمواضع الاستدلال في المذهب الإماميّ في ظرافة وإفاء. وقد ألحق بآخره بحثاً حول العقائد والأخلاق والقصص، كدراسات موضوعيّة في التفسير، كما تعرّض في الختام لجانب من التفسير العلميّ لآيات متناسبة في ذلك. و من ثمّ فهو تفسير جامع في وضعه، و شاف كاف لأبناء الجيل الحاضر، لمن أراد الإيجاز و الاختصار.

٦. تقريب القرآن إلى الأذهان، تفسير مزجيّ لطيف، شرّح معاني الآيات على طريقة

المزج بين الأصل والشرح، مع بيان اللغة وأسباب النزول لدى الحاجة، و تعرض لمسائل الفقه و الكلام عند المناسبة بصورة موجزة. يقع في ثلاثين جزءاً حسب تجزئة القرآن، وكان تأليفه سنة (١٣٨٣ هـ) و تمّ طبعه سنة (١٤٠٠ هـ).

تأليف الفقيه العلامة السيد محمد الشيرازي، من أعلام النهضة الإسلامية المعاصرة، صاحب بحوث و دراسات إسلامية موسّعة، و في متنوّع جوانبها. و له حول القرآن كتابات غير هذا، منها: تسهيل القرآن في عشرة أجزاء، و توضيح القرآن في ثلاثة أجزاء، و تبين القرآن، و الجنة و النار في القرآن، لم تخرج إلى عالم الطباعة.

٧. النهر المادّ من البحر المحيط، تفسير أدبيّ، و نحويّ لغويّ، تأليف أبي حيّان محمد ابن يوسف الأندلسيّ الغرناطيّ، المتوفّي سنة (٧٤٥ هـ). اختصره من تفسيره الكبير البحر المحيط و طبع على هامشه، و هو تفسير لطيف حوى النكات الأدبيّة الرائعة التي كان أودعها في تفسيره الكبير، و حذف منه الأبحاث الجدليّة المسهبة، و لخصّها في هذا التفسير. قال في المقدّمة: لَمَّا صَنَّفْتُ كِتَابِي الْكَبِيرَ الْمُسَمَّى بِـ«الْبَحْرِ الْمَحِيْطِ»، عَجَزَ عَن قِطْعِهِ لَطَوْلُهُ السَّابِغِ. فَأَجْرَيْتُ مِنْهُ نَهْرًا تَجْرِي عَيْونُهُ، وَ تَلْتَقِي بِأَبْكَارِهِ فِيهِ عَيْونُهُ، لِيَنْشِطَ الْكِسْلَانَ فِي اجْتِلَاءِ جَمَالِهِ، وَ يَرْتَوِي الظَّمَانَ بَارْتِشَافَ زَلَالِهِ. وَ رُبَّمَا نَشَأَ فِي هَذَا النَهْرِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ فِي الْبَحْرِ، وَ ذَلِكَ لِتَجَدُّدِ نَظَرِ الْمُسْتَخْرِجِ لِلثَّالِيهِ، الْمُبْتَهَجِ بِالفِكرَةِ فِي مَعَانِيهِ وَ مَعَالِيهِ. وَ مَا أُخْلِيْتَهُ مِنْ أَكْثَرِ مَا تَضَمَّنَهُ الْبَحْرُ مِنْ نَقْوَدِهِ، بَلِ اقْتَصَرْتُ عَلَى يَوَاقِيْتِ عَقْوَدِهِ، وَ نَكَبْتُ فِيهِ عَن ذِكْرِ مَا فِي الْبَحْرِ مِنْ أَقْوَالِ اضْطَرَبَتْ بِهَا لُجْجُهُ، وَ إِعْرَابِ مُتْكَلِّفِ تَقَاصُرَتْ عَنهُ حُجْجُهُ^١.

و هناك مختصر آخر للبحر المحيط لتاج الدين الحنفيّ النحويّ تلميذ أبي حيّان، سمّاه الدرّ اللقيط من البحر المحيط مطبوع بالهامش أيضاً.



التفسير العرفانيّ الصوفيّ (التفسير الرمزيّ الإشاريّ)

من هو العارف ومن هو الصوفيّ؟

كلاهما تعبيران عن شخصيّة واحدة تجمع بين صفاء الباطن وزهد في ظاهر الحال. وإتّما يقال له «الصوفيّ» باعتبار تقشّفه في الحياة والاعتصار على أقلّ المعيشة وفي جُشوبة في المأكل والملبس، وكان من مظاهرها ملابس الصوف الخشنّة تجاه ملابس الحرير الناعمة. فكان هذا النعت كناية عن تنسّكه وتزهدّه في مزاولة الحياة..

أمّا الوصف بالعرفان فلعرفانه الباطنيّ وخلوصه في السير والسلوك إلى الله ومثابرتة في سبيل معرفة الذات المقدّسة وقربه منه تعالى.. فذاك وصف لظاهر الحال، وهذا نعت لصفاء الباطن و عرفانه لمقام الذات.

كان التصفوّ في أوّل عهده يدور حول تقطّتين: أوّلاهما: أنّ العكوف على العبادة -وهي رياضة نفسانيّة- تورث للنفس فوائد هي حقائق روحانيّة ملكوتيّة أعلا.. وثانيتهما: أنّ ترويض القلوب يفيض على النفس معرفة تنطوي على استعداد الإرادة لتلقّي هذه الفوائد..

ويقول المتصوّف: إنّ في علم القلوب قوّة محرّكة، وهو يبيّن السفر إلى الله وما فيه من مقامات وأحوال عدّتها اثنا عشر. كما يقولون: إنّ بعض الفضائل يكتسب وبعض الفوائد

يتلقى.. و قد وجهوا همهم بنوع خاصّ إلى تحديد الغاية القصوى التي هي تحقّق النفس بمعرفة الحقّ تعالى عند ما يقطع العبد كلّ علائقه بالبدن.. و من هنا جاء وصفهم بالصوفيّة، كما قال صاحب اللعق: «فلمّا أضفتهم إلى ظاهر اللبسة - وكان يكثّر في الزهّاد و المتشّفين اعتياد لبس الصوف - فكان ذلك اسماً مجملاً مخبراً عن جميع العلوم و الأعمال و الأخلاق و الأحوال الشريفة المحمودة. ألا ترى أنّ الله تعالى ذكر طائفة من خواصّ أصحاب عيسى عليه السلام فنسبهم إلى ظاهر اللبسة فقال ﷺ: ﴿وَ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ وكانوا قوماً يلبسون البياض، فنسبهم الله تعالى إلى ذلك، و لم ينسبهم إلى نوع من العلوم و الأعمال و الأحوال التي كانوا بها متوسّمين. فكذلك الصوفيّة نسبوا إلى ظاهر اللباس و لم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم و الأحوال التي هم بها متوسّمون. لأنّ لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام و الصديقين و شعار المساكين المتسكّين...»^١.

كما و قد افترضوا «الطريقة» إلى جنب «الشريعة».. لتكون الشريعة عبارة عن الأعمال الظاهرة التي تجري على الجوارح و الأعضاء الجسميّة، و هي العبادات بأنواعها، و المعاملات بأقسامها.. و قد سمّي علم الشريعة بعلم الفقه اختصاصاً بالفقهاء و أهل الفتيا و من تبعهم من الأتباع و المقلّدين.. كما هو معلوم من مذاهب معروفة..

أمّا علم الطريقة فهو علم يدعو إلى الأعمال الباطنة و ارتياضات نفسانيّة، سمّيت بأعمال القلوب و الجوانح. و سمّي هذا العلم علم التصفّ و سمّي المتصوّفون أنفسهم أرباب الحقائق و أهل الباطن و سمّوا من عداهم أهل ظواهر و رسوم..

و يفترق أهل العرفان عن أهل الكلام، باستنادهم في معارفهم (علم الحقائق) إلى مشاهدات نفسيّة هي واردات قلبية أو خواطر ملكوتية فيما حسبوا، اقتناعاً بهذه الخواطر و السوانح، بدلاً من الاستدلال و إقامة البرهان، و التي اقتحمها علماء الكلام..

قال الغزالي في الإحياء: إنّ للإيمان و المعرفة ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى، إيمان العوامّ، وهو إيمان التقليد المحض.
والثانية، إيمان المتكلمين، وهو مزوج بنوع استدلال، ودرجته قريبة من درجة
إيمان العوامّ.

والثالثة، إيمان العارفين، وهو المشاهد بنور اليقين..^١
وقد كانت الصوفيّة خصوم الفقهاء في الدور الأوّل، وأصبحوا خصوم المتكلمين
وأهل النظر في دور متأخر.. فقد نابذوا هؤلاء وهؤلاء جميعاً..
وكان من جرّاء هذه المنازعة وتلك أن أخذت الصوفيّة في أدوار متأخرة في الهبوط
إلى مرحلة الابتدال والأخذ في الشطحات - على حدّ تعبيرهم - أخذاً بلا هوادة، وإن
شئت قلت: تعابير هي أشبه بالخيال من مشاهدة الحال..

نسب إلى أبي يزيد البسطاميّ (توفى سنة ٢٦١) أنّه قال: «رفعني مرّة فأقمني بين يديه
وقال لي: يا أبا يزيد، إنّ خلقي يحبّون أن يروك! فقلت: زيتني بوحدا نيّتك، وألبسني
أنانيّتك، وارفعني إلى أحديّتك، حتّى إذا رأني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك
ولا أكون أنا هناك...».

وحكي عنه أيضاً أنّه قال: «أول ما صرتُ إلى وحدانيّته فصرتُ طيراً جسمه من
الأحدية وجناحه من الديمومية، فلم أزل أطيّر في هواء الكيفيّة عشر سنين حتّى صرتُ
إلى هواء مثل ذلك مائة ألف مرّة، فلم أزل أطيّر إلى أن صرتُ في ميدان الأزليّة، فرأيت
فيها شجرة الأحديّة - ثمّ وصف أرضها وفرعها وأغصانها وثمارها - ثمّ قال: فنظرتُ
فعلمتُ أنّ هذا كلّه خدعة..^٢

ولابن عربيّ:

عقد الخلائق في الإله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه
فالتصوّف كان وحده من بين معتك المذاهب تسامحاً صرفاً وسلاماً في كلّ ما مرّ من

١. إحياء العلوم، ج ٣، ص ١٥.

٢. راجع: تذكرة الأُولياء للنيشابوري، ج ١، ص ١٦٠-١٦٤ (حديث معراج).

الأدوار. والصوفي - كما قال أبو تراب النخشبى - لا يكدره شيء و يصفو به كل شيء.. أضف إلى ذلك مسألة الولاية و صلتها بالتصوّف و كرامات الأولياء.. قالوا: إذا كان العبد قريباً من حضرة الله بسبب كثرة طاعاته و كثرة إخلاصه، و كان الربّ قريباً برحمته و عنايته، فهناك حصلت الولاية.. و ربّما بلغ الولي إلى مرتبة رفع الحجاب بينه و بين الحقائق فيراها بعين الشهود.. و الواصل إلى درجة العرفان تنكشف له الحجب و يشهد من علم الله ما لا يشهده سواه، و من ثمّ فتظهر على يديه الكرامة التي هي خرق للعادة..^١

منبع عرفان الأصفياء

سبق كلام الغزالي: إنّ هذا التجلي و هذا الإيمان له ثلاث مراتب. المرتبة الأولى: إيمان العوامّ، و هو إيمان التقليد المحض.. و الثانية: إيمان المتكلّمين، و هو ممزوج بنوع استدلال. و درجته قريبة من درجة إيمان العوامّ. و الثالثة: إيمان العارفين، و هو المشاهد بنور اليقين..

قال: إنّ القلب بفطرته صالح لمعرفة الحقائق، لأنّه أمر ربّانيّ شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية و الشرف. و إليه جاءت الإشارة في آية «عرض الأمانة». و لذلك قال عليه السلام: «لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم، لنظروا إلى ملكوت السماء».. و هو إشارة إلى بعض هذه الأسباب^٢ التي هي حجاب بين القلب و بين الملكوت. و في الخبر: «قال الله تعالى: لم يسعني أرضي و لا سمائي و سعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع»^٣.

ثمّ قال: القلب بغيريته مستعدّ لقبول حقائق الأمور، و لكنّ العلوم التي تحلّ فيه تنقسم إلى عقلية و شرعية، و العقلية تنقسم إلى ضرورية و مكتسبة، و المكتسبة إلى دنيوية

١. راجع: نفحات الأثر لعبد الرحمان الجامي، ص ٥-٢٨.

٢. و هي خمسة ذكرها: أولها: نقصان في الذات. الثاني: كدورة المعاصي. الثالث: انحراف القلب. الرابع: حجاب الشهوات. الخامس: الجهل.. المصدر نفسه، ص ١٢-١٣.

٣. المصدر نفسه، ص ١٤.

وأخروية.

أما العقلية فنعني بها غريزة العقل، ولا توجد بالتقليد و السماع، وهي تنقسم إلى ضرورية لا يُدرى من أين حصلت وكيف حصلت.. وإلى علوم مكتسبة، وهي الاستفادة بالتعلم والاستدلال، وكلا القسمين قد يسمّى عقلاً، قال عليّ عليه السلام رأيت العقل عقليين مطبوع ومسموع، ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع، كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع.

والأول هو المراد بقوله ﷺ لعليّ عليه السلام: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل». والثاني هو المراد بقوله ﷺ لعليّ عليه السلام: «إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر، فتقرب أنت بعقلك». إذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية، بل بالمكتسبة. ولكن مثل عليّ عليه السلام هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل، في اقتناص العلوم التي بها يُنال القرب من رب العالمين^٢.

ثم أخذ في بيان الفرق بين الإلهام والتعلم، والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحقائق، وطريق أهل النظر والاستدلال.. قال: إن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال، تختلف الحال في حصولها؛ فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدري، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم. فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل، يُسمّى إلهاماً. والذي يحصل بالاستدلال يسمّى اعتباراً واستبصاراً.

ثم الذي يقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد، ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل، وإلى ما يطلع معه على السبب الذي استفاد ذلك العلم، وهو: مشاهدة الملك المُلقّي في القلب.. والأول يسمّى إلهاماً ونفثاً في الروح. والثاني يسمّى وحياً ويختصّ به الأنبياء. والأول يختصّ به الأولياء والأصفياء. والذي

قبله - و هو المكتسب بطريق الاستدلال - يختص به العلماء.

قال: و حقيقة القول في ذلك: أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها، وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذكرها^١ فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب و بين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة، و تجلّي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها، و الحجاب بين المرأتين تارة يزال باليد و أخرى بهبوب الرياح تحركه، و كذلك قد تهبّ رياح الألفاظ و تنكشف الحجب عن أعين القلوب، فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ، و يكون ذلك تارة عند المنام، فيعلم به ما يكون في المستقبل، و تمام ارتفاع الحجاب بالموت، فبه ينكشف الغطاء، و ينكشف أيضاً في اليقظة حتّى يرتفع الحجاب بلطف خفيّ من الله تعالى، فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم، تارة كالبرق الخاطف، و أخرى على التوالي إلى حدّ ما، و دوامه في غاية الندور..

فلم يفارق الإلهامُ الاكتسابَ في نفس العلم و لا في محلّه و لا في سببه، و لكن يفارقه من جهة زوال الحجاب، فإنّ ذلك ليس باختيار العبد..

و لم يفارق الوحيُ الإلهامَ في شيء من ذلك، بل في مشاهدة المَلَك المفيد للعلم؛ فإنّ العلم إنّما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة، و إليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِإِنسَانٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسولاً فَيُوحِي بآذنيه ما يشاء﴾^٢ فإذا عرفت هذا فاعلم أنّ ميل أهل التصوّف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم و تحصيل ما صنّفه المصنّفون و البحث عن الأقاويل و الأدلّة المذكورة، بل قالوا: الطريق، تقديم المجاهدة، و محو الصفات المذمومة، و قطع العلائق كلها، و الإقبال بكنه الهمة على الله تعالى.

١. ذكرها الغزاليّ بتفصيل في إحياء العلوم، ج ٣، ص ١٢-١٣.

٢. شوري (٤٢): ٥١.

و مهما حصل ذلك كان الله هو المتولّي لقلب عبده و المتكفل له بتويره بأنوار العلم، وإذا تولّى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة و أشرق النور في القلب و انشرح الصدر و انكشف له سرّ الملكوت و انقشع عن وجه حجاب الغرّة، بلطف الرحمة، و تلالأت فيه حقائق الأمور الإلهية. فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجرّدة و إحضار الهمة مع الإرادة الصادقة و التعطش التامّ و الترصّد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة. فالأنبياء و الأولياء انكشف لهم الأمر، و فاض على صدورهم النور، لا بالتعلّم و الدراسة و الكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا و التبرّي من علائقها و تفرّغ القلب من شواغلها و الإقبال بكنه الهمة على الله تعالى. فمن كان لله كان الله له.^١

و في الحديث عنه عليه السلام قال: «من أكل الحلال أربعين يوماً نور الله قلبه»^٢ و قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «قالت الحكمة: من أردني فليعمل بأحسن ما علم»^٣. و قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾^٤. و قال: ﴿وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ﴾^٥.

التأويل عند أرباب القلوب!

للتأويل عند أرباب القلوب الواعية حديث طريف يختلف عن تأويلات الباطنية غير المبتنية على أساس معقول.

إن أهل التحقيق من أصحاب العرفان الصوفيّ يقرّون تفسير أهل الشريعة، في الأخذ بظاهر القرآن و يروونه الأصل في تنزيله، سوى أنّ لهم في كلام الله مذاقات عرفانية رقيقة لا يمكنهم إغفالها، لأنّها بمثابة واردات أو هواتف هي سانحات ملكوتية قدسية، تفاض على القلوب الواعية.

هذا تفسير كشف الأسرار للمولى أبي الفضل رشيد الدين المييديّ تفصيلاً و تبييناً

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ١٦، رقم ٧١، بيروت.

٤. الأنفال (٨): ٢٩.

١. إحياء العلوم، ج ٣، ص ١٥-١٨.

٣. الراغب، مقدّمته في التفسير، ص ٩٣-٩٧.

٥. البقرة (٢): ٢٨٢.

لتفسير العارف السالك الخواجا عبد الله الأنصاري، تراه جمع بين الظاهر و الباطن كلاً على حدّه. يفسّر القرآن أولاً على نهج أهل الظاهر تفسيراً قوياً، ثمّ يعرّج على تفسيره وفق مذاقات أهل الباطن، في ظرافة و لباقة كلاً في أحسن بيان، مقرّراً بأنّ تفسير الظاهر هو الأصل، و لولاه لما أمكن استخراج الباطن الذي هو الفرع.

نعم، يرون من تفسير الباطن اللباب الخابئ تحت ذاك العُباب.

قال سهل بن عبد الله التستري - في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^١ -: يعني: شرك النفس الأمانة بالسوء.

[١/٣٥] كما قال النبي ﷺ: «الشرك في أمّتي أخفى من ديب النمل على الصفا»^٢. قال: هذا باطن الآية. و أمّا ظاهرها فمشركو العرب يؤمنون بالله، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾^٣. و هم مع ذلك مشركون يؤمنون ببعض و لا يؤمنون ببعض^٤. إذن لم يخلط بين ظهر القرآن و بطنه و ذكر كلاً على حدّه بأمانة. على أنّ الأخذ بالباطن كان مستنداً إلى النبويّ الشريف، مضافاً إلى كونه الأخذ بمفهوم الآية العامّ - حسبما تبهنا - مراعيّاً جانب المناسبة القريبة. فقد استجمع شرائط التأويل الصحيح.

نعم، إنّ إخضاع القرآن للغة التي مقياسها الوضع المحدود، عقال له عن الانطلاق فيما وراء الغيوب، و إغلاق لباب الفهم الذي مقياسه العقل الرشيد مدعماً بإدراكات كان مجالها ما فوق العقل ألا و هو القلب الذي لا تحدّه الحدود، لأنّه عرش استواء تجلّيات الربّ تعالى على مملكة الجسم.

[١/٣٦] كما جاء في الحديث القدسيّ: «لم يسعني سمائي و لا أرضي و لكن وسعني قلب عبدي المؤمن»^٥ و هو القلب الذي اختصّه الله بالأسرار و يجب أن يستفتيه الإنسان إذا حار.

٢. المستدرک للحاکم، ج ٢، ص ٢٩١؛ الكامل، ج ٧، ص ٢٤٠.

٤. راجع: تفسير التنويري، ص ٨٣.

١. يوسف (١٢) : ١٠٦.

٣. الزخرف (٤٣) : ٨٧.

٥. بحار الآثور، ج ٥٥، ص ٣٩.

[١/٣٧] سأل وابصة بن معبد رسول الله ﷺ عن البرّ والإثم؟ فقال: «يا وابصة! استفت قلبك؛ البرّ: ما اطمأنت إليه النفس واطمأنّ إليه القلب. والإثم: ما حاك في قلبك وتردّد في الصدر، وإن أفتاك الناس»^١.

فذلك القلب له لغته كما أنّ للوضع لغته وللعقل لغته. فإذا كانت لغة الوضع تدرك بالألفاظ ويعبر عنها بالكلمات، فلغة القلب تدرك بالذوق والإشراق، الأمر الذي لا يحيط بالتعبير عنه الألفاظ والعبارات، بل بالرموز والإشارات.

على أنّ تلك الإشارات المعبرة عن الواردات القلبية لها واقع مشروع أقرّه الحديث المأثور: «لكلّ آية ظهر و بطن و حدّ و مطلع»^٢.

إذن فأربابها متّبعون لا مبتدعون، وقد اختصّهم الله بأسراره وأودعهم ملكوت أنواره، ليكونوا مصاييح الهدى في غسق الدجى.

قال سعد الدين التفتازاني: «وأما ما ذهب إليه بعض المحقّقين من أنّ النصوص مصروقة على ظواهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك، يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان»^٣.

فالإشارة ترجمان لما يقع في القلوب من تجليات ومشاهدات، وتلويح لما يفيض به الله على صفوته من خلقه من أسرار وغوامض في كلامه وكلام رسوله.

قال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله الإسكندري^٤ - في كتابه لطائف المنن -: اعلم أنّ تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره؛ ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له، ودلت عليه في عرف اللسان. وتمّ أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه، وقد جاء في الحديث: «لكلّ آية ظهر

١. مسند أحمد، ج ٤، ص ٢٢٨.

٢. راجع: الموافقات للشاطبي، ج ٣، ص ٣٨٢.

٣. شرح العقائد النسبية للتفتازاني، ص ١٢٠ (ط كابل).

٤. هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، أحد العلماء الجامعين لعلوم الدين من التفسير والحديث والأصول والتصوّف. استوطن القاهرة للوعظ، ثمّ رحل إلى الإسكندرية ومات بها سنة ٧٠٩، وكتابه لطائف المنن في مناقب شيخه أبي العباس العرسي. طبع بنونس سنة ١٣٠٤.

وبطن»، فلا يصدّئك عن تلقّي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل و معارضة: هذا إحالة لكلام الله و كلام رسوله، فليس ذلك بإحالة، و إنّما يكون إحالة لو قالوا: لا معنى للآية إلاّ هذا، و هم لم يقولوا ذلك، بل يقرّون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها، و يفهمون عن الله ما أفهمهم !.



نعم، هناك ما يبرّر موقف الصوفيّة من هذه التأويلات، بأنّها من تفسير الباطن للقرآن وراء تفسيره الظاهريّ، مع العلم أنّ للقرآن ظهراً و بطناً، و لا يعني التفسير الباطنيّ نفي التفسير الظاهريّ، بل هما معاً ثابتان جميعاً، و معه لا موضع للإنكار عليهم.

قال الأستاذ حسن عبّاس زكيّ^٢ بصدد الدفاع عن مواضع الصوفيّة في تأويل القرآن: فالمفسّرون من علماء الشريعة يقفون عند ظاهر اللفظ و ما دلّ عليه الكلام من الأمر و النهي و القصص و الأخبار و التوحيد، و غير ذلك، و أهل التحقيق أو الصوفيّة يقرّون تفسيرهم هذا، و يرونه الأصل الذي نزل فيه القرآن. و لكنّ لهم في كلام الله مع الأخذ بهذا التفسير الظاهريّ مذاقات لا يمكنهم إغفالها؛ لأنّها بمثابة واردات أو هواتف من الحقّ لهم. فلا ينبغي أن نقف القرآن على تفسير معيّن على أنّه المراد، فلا نقول كما يقول البعض: إنّ التفسير الظاهريّ وحده هو المقصود، كما لا يرى أهل التحقيق أنّ تفسيرهم وحده هو المراد؛ لأنّ القول بالتفسير الظاهريّ و حسب، تحديد لكلام الله غير المحدود، و إخضاع القرآن للغة التي مقياسها العقل المحدود، و الوقوف في تفسير كلام الله عند العقل المحدود، عقاب عن الانطلاق فيما وراء الغيوب، و إغلاق الباب لمذاقات ليس العقل مجالها؛ لأنّها لا تخضع لمقاييسه و إنّما تخضع لشيء آخر فوقه، و تدرك بلطفة أخرى سواه، إذن فهناك ما فوق العقل ألا و هو القلب؛ فإنّ للقلب لغته كما أنّ للعقل لغته. و إذا كانت لغة العقل تدرك بالألفاظ، و يعبرّ عنها بالكلمات، فلغة القلب تدرك بالذوق؛ لأنّه

١. نقلًا عن الإنفان، ج ٤، ص ١٩٧.

٢. وزير الاقتصاد و التجارة الخارجيّة بمصر، له تعريف بغير القشيريّ أثنه في مقدّمة الكتاب.

لا يحيط بالتعبير عنها اللفظ.

ولنقرب إلى الفهم، فلغة القلب مثل التفاحة، فلن يستطيع مَنْ أكلها وأحسّ حلاوتها أن يترجم باللفظ أو يعبر بالوصف - لمن لم يأكلها قبل - عن طعمها ومذاقها، وهكذا لا تدرك لغة القلب بوصف أو بلفظ، وإنما يدركها ذو قلب مستذوق؛ ولذلك لا تحيط بالتعبير عن لغة القلب العبارة، وإنما يعبر عنها بالإشارة.

فالإشارة ترجمان لما يقع في القلوب من تجليات ومشاهدات، وتلويح لما يفيض به الله على صفوته وأحبابه من أسرار في كلام الله وكلام رسوله.

ومن هنا كانت مذاقات الصوفية وأهل التحقيق في القرآن الكريم، وهم لا يرون أنّ تلك المذاقات وحدها هي المرادة، وإنما يأخذونها إشارات من الله لهم بعد إقرار ما قاله أهل الظاهر من تفسير، باعتباره أصل التشريع.

وجليّ بعد ذلك أنه لا مجال لمتعرض مَن ينكر عليهم مذاقاتهم، ويراها ميلاً بكلام الله عن مجراها، ما داموا لا يأخذون بمذاقاتهم وحدها، وإنما يأخذون بهما مع إقرارهم لتفسير أهل الشرع. فلا يعيننا من ذي جدل أن يقول عن هذه الإشارات: إنها إحالة لكلام الله وتغيير لسياقه ومجراه؛ لأنّ ذلك يصدق لو قالوا: إنه لا معنى للآية إلا هذا، وهم لا يقولون ذلك، بل يقرّون الظواهر على ظواهرها، ويفهمون عن الله ما أفهمهم.

وذلك مصداق الحديث الشريف: «لكلّ آية ظهر و بطن و حدّ و مطلع» فالباطن لا يعارض الظاهر، والظاهر لا يعارض الباطن.

وذلك النهج بعيد كلّ البعد عمّا نادى به «الباطنية» من الأخذ بباطن القرآن لا ظاهره، وقصرهم معاني القرآن على ما ادّعوه من تفسيراتهم دون غيره؛ لأنّهم بذلك لا يقرّون الشريعة و يبطلون العمل بها، وهم لا يخضعون دعواهم للنصّ القرآنيّ، بل يخضعون النصّ القرآنيّ لدعواهم.

وهنا يزول ما التبس على البعض من أنّ مذاقات الصوفية في القرآن الكريم، نزعة باطنية، فيبينهم وبينها آماذ وأبعاد، بل أنّهم لبريثون منها، ولينكرونها كلّ الإنكار، وواضح

ذلك من أنهم يأخذون بالباطن بعد الأخذ بالظاهر، و يقرّون الحقيقة بعد الأخذ بالشرية، و يرون أن الحقيقة نفسها أساسها الشريعة، فالفرق ثمة كبير، و البون شاسع و عظيم.

و لا مجال بعد هذا الإيضاح لإنكار من ينكر على الصوفيّة مذهبهم في الإشارات و ما يختصّهم الله به في كلامه و كلام رسوله ﷺ من الأسرار و الفيوضات.

على أن تلك الإشارات أمر مشروع أقرّه الحديث المذكور آنفاً: «لكلّ آية ظاهر و باطن و حدّ و مطلع» فأربابها متبعون لا مبتدعون، اختصّهم الله بأسراره في آياته، ليكونوا مصابيح الهدى في غسق الدجى، كما أقرّه عمده الدين و ذوو العلم من المؤلفين:

و قد تقدّم كلام سعد الدين التفتازانيّ بشأن ما ذهب إليه أهل التحقيق من صرف النصوص على ظواهرها، و مع ذلك فيها إشارات خفيّة إلى حقائق تنكشف على أرباب السلوك، ممّا يمكن تطبيقها مع الظواهر، فهو من كمال الإيمان و محض العرفان^١.

و قال الشيخ زروق: «نظر الصوفيّ أخصّ من نظر المفسّر و صاحب فقه الحديث؛ لأنّ كلّ منهما يعتبر الحكم و المعنى ليس إلّا، و هو يزيد بطلب الإشارة بعد إثبات ما أثبتاه».

فإذا دار المفسّر في حدود اللفظ القرآنيّ، و استنبط منه الفقهاء ما استنبطوا من أحكام، فلاوليّ الأبواب و ذوي البصائر فيه بعد ذلك من الأسرار و الحقائق ما لا ينكشف لسواهم و لا يدركه غيرهم، و ذلك لتجدّد واردات الحقّ عليهم، و دوام تنزّل الفيوضات على قلوبهم؛ لأنّهم أهلها و محبوّه^٢.



ظاهرة تداعي المعاني!

نعم، كانت السوانح الفكرية التي تُدعى واردات القلوب، يمكن تفسيرها بظاهرة تداعي المعاني (الشيء يُذكر بالشيء) فقد ينسب إلى أذهان أصحاب المعالي لطائف أفكار و ظرائف أنظار، و لا منشأ لها سوى تلاوة آيات قرعت أسماعهم، و إذا بدقائق هي

١. تفسير الغشيريّ (المقدمة)، ج ١، ص ٤-٦.

٢. شرح المعانيد الشفيّة، ص ١٢٠ (ط كابل).

رقائق الفكر سنحت لهم بالمناسبة، و من غير أن تكون مدلولة ذاتية للكلام ما عدى الفحوى العام.

فكم من طرائف فكر و ظرائف عبر تسنح أذهان ذوي الاعتبار، بمجرّد أن واجهوا حادثة أو شاهدوا واقعة أو قفتمهم عند حدّها و ألزمتهم حجّتها فأخذوا منها دروساً و عبراً. و هكذا عند استماع تلاوة أو قراءة آية ذكّرتهم مكارم أخلاق و مبادي آداب، كان كلّ ذلك من قبيل تداعي المعاني، الخارج من دلالة اللفظ ذاته، بل الشيء قد يُذكر بالشيء، حتّى و لو كان ضدّه، فضلاً عمّا لو كان نظيره.

مثلاً: عند ما يستمع العارف السالك إلى قوله تعالى - خطاباً مع موسى و هارون -: ﴿إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^١، ينسب إلى ذهنه بادرة ضرورة تهذيب النفس و ارعائها عن الطغيان و العصيان قبل كلّ شيء.

فيخاطب نفسه: ما بالك أنت، منشغلاً عن فرعنة نفسك الطاغية، فاذهب إليها و اجمع جموعك في تهذيبها و ترويضها، و لاطف معها بلين، لعلّها تتعظّ و ترعوي و ترضخ لإرشادات العقل الحكيم.

فهذا لم يفسّر القرآن و لا جعل فرعون مراداً به النفس الأمّارة بالسوء، و لا موسى و هارون كلّ إنسان لبيب حكيم. بل خطر إلى ذهنه هذا المعنى، متعظاً و متذكراً من فحوى الآية بالمناسبة.

يقول الإمام الحافظ تقيّ الدين ابن الصلاح - في فتاواه و قد سئل عن كلام الصوفيّة في القرآن -: «الظنّ بمن يوثق به منهم أنّه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك، أنّه لم يذكره تفسيراً و لا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم؛ فإنّه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنيّة، و إنّما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإنّ النظير يذكر بالنظير. و من ذلك قتال النفس في الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ

مِنَ الْكُفَّارِ^١. فكأنه قال: أمرنا بقتال النفس و من يلينا من الكفار، و مع ذلك فيا ليستهم لم يتساهلوا في مثل ذلك، لما فيه من الإيهام و الإلباس^٢.

يعني: أن ما يذكرونه بهذا الشأن لا يعنون به التفسير و لا تأويل الآية بذلك، وإنما الشيء يُذكر بالشيء من باب «تداعي المعاني» فيخطر ببالهم خواطر هي نفحات قدسية ملكوتية عند تلاوة الآي أو استماعها عن وعي و حضور قلب.

فهم عند ما يستمعون إلى نداء الآية العامّ يراجعون أنفسهم، و في طيهم كافر عاتٍ هو أقرب إليهم و أخطر من الكفار البعداء، فيجب مقاتلته قبل مقاتلة سائر الكفار، أخذاً بقياس الأولوية في منطوق العقل الرشيد.

و هذا معنى قول سهل: «النفس كافرة فقاتلها بالمخالفة لهواها، و احملها على طاعة الله و المجاهدة في سبيله و أكل الحلال و قول الصدق و ما قد أمرت به من مخالفة الطبيعة»^٣. فهذا المعنى العرفانيّ الرقيق مستفاد من فحوى الآية و مستنبط من بطنها بالمناسبة من غير أن يكون ذا صبغة تفسيرية أو بياناً للمراد من الآية بالذات.

و قد صرح بذلك الإمام القشيريّ في تفسيره للبسملة، قال: «و قوم عند ذكر هذه الآية يتذكرون من الباء بزه بأوليائه، و من السين سرّه بأصفيائه، و من الميم منته عنى أهل ولايته. فيعملون أنهم بيّره عرفوا سرّه، و بمنته عليهم حفظوا أمره، و به سبحانه و تعالى عرفوا قدره»، إلى آخر ما ذكره بهذا الصدد^٤ تراه لم يجعله تفسيراً للآية، وإنما هو تذكّر قلبيّ عند استماعها أو استماع حروفها من قبيل الخواطر القلبيةّ محضاً، من غير أن يكون تحميلاً على القرآن أو تفسيراً بالرأي.

هذا بشأن أهل الاعتدال منهم، و أما أرباب الشطط منهم فلنا معهم مقال آخر في مجال يأتي.

١. التوبة (٩): ١٢٣.

٢. فتاوى ابن الصلاح، ص ٢٩ (التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٣٦٨).

٣. راجع: تفسير السلمى، ج ١، ص ٢٩٢.

٤. تفسير القشيري، ج ١، ص ٥٦.

تأويل أو أخذ بفحوى الآية العام

و بتعبير أدق: كانت تأويلات أهل التحقيق أخذاً بفحوى الآية العام، المستحصل من بطن الآية، حيث استخلاص مفهوم عام، بعد إعفاء الخصوصيات المكتنفة غير الدخيلة في أصل المقصود. فكان أخذاً بدلالة الالتزام - وقد كانت خفية - بعد تبين، و من ثم كانت جارية مجرى ظاهر السياق و على أساليب مفاهيم الكلام عند أهل اللسان و لا سيما إذا كانت مدعمة بشواهد من الكتاب أو السنة أو دلالة العقل الرشيد.

و قد عرفت في كلام سهل أنه استند في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^١ إلى قول النبي ﷺ: «الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النمل على الصفا»^٢. قال سهل: هذا باطن الآية^٣.

فهم يجرون في دلالة بطون القرآن مع ظهورها وفقاً مع الشروط المعبرة، فلا تحميل و لا تفسير بالرأي. هذا إذا لم يتساهلوا كما تساهل بعضهم من أهل الاسترسال.

ما يؤخذ على تفاسير الصوفية

أهم ما يؤخذ على تفاسير الصوفية و أهل العرفان، هو ابتناؤها على الذوق و السليقة و الأذواق و السلائق، بما أنها أحاسيس شخصية، فإنها تختلف حسب المذاقات و معطيات الأشخاص، و لا تتفق على معيار عام شامل..

و إن شئت قلت: إنهم يرون مذاقاتهم في فهم النصّ إلهامات و إشراقات لمعت بها خواطرها أو سوانح و ردت عليهم حسب استعداداتهم في تلقّي الفيوضات من الملأ الأعلى..

و الإلهام أو الإلماع، إدراك شخصي بحت.

و إن شئت قلت: هي تجربة روحية و شخصية لا مستند لاعتبارها سوى عند صاحب

٢. المستدرک للحاکم، ج ٢، ص ٢٩١.

١. يوسف (١٢): ١٠٦.

٣. تفسير التستري، ص ٨٣.

التجربة فيما حسب، و لا دليل على اعتبارها لمن لم يجربها بالذات!

و من ثم ترى تفاسير أهل الذوق العرفاني قلما تتفق - ولو في تفسير آية واحدة - على نهج سوي و على تأويل متوازن لا تعريج فيه.. و لا مبرر له سوى ما تبهنا عليه أنها ليست من التفسير و لا من التأويل، وإنما هي واردات قلبية و سوانح خطرت لهم بالمناسبة و مع سماع الآية تتلى عليهم، من باب تداعي المعاني، لا غير..

و من أغرب ما يشهد لهذا التنوع في التذوق ما نجده من القشيري في تفسير البسمة من كل سورة، فسرها في كل سورة غير تفسيرها في سائر السور.. بناءً منه على أنها آية من كل سورة، و كل آية هي تجلّ لعت من نعوته تعالى، و لا تكرار في التجلي، فيجب أن تكون في كل سورة بمعنى غير معناها في سائر السور..

إننا نجده يلجأ إلى تفسير كل بسمة على نحو مُلفت للنظر، إذ هي تختلف و تتنوع و لا تكاد تتشابه، و يزداد إعجابنا بالقشيري كلما وجدنا تفسير البسمة يتمشى مع السياق العام للسورة كلها، فالله و الرحمان و الرحيم لها دلالات خاصة في سورة القارعة، و لها دلالات أخرى في سورة النساء، و لها دلالات خاصة في الأنفال و هكذا..

و نستنتج من ذلك عدّة نتائج:

أولاً: إنه يعتبر البسمة قرآناً و جزءاً من كل سورة بالذات، و ليست - كما يقول البعض - شيئاً يُستفتح به للتبرك..

ثانياً: إنه ما دام يعتبر البسمة قرآناً، و ما دام يجد لها مقاصد متجدّدة، فكانه لا يؤمن بفكرة التكرار في القرآن، و في ذلك يقول: «فلما أعاد الله - سبحانه و تعالى - هذه الآية - أعني بسم الله الرحمان الرحيم - في كل سورة، و ثبت أنها منها أردنا أن نذكر في كل سورة من إشارات هذه الآية كلمات غير مكرّرة و إشارات غير معادة»^١.

ثالثاً: إن لدى القشيري قدرة غير عادية و نفساً طويلاً عند استبطان الظاهر، لأننا نجده

أمام أربع كلمات تتكرّر بلفظها و مفهومها من بداية القرآن إلى نهايته. وإذا هو يصول ويجول في كلّ مرّة وكأنّه في بداية الحملة و على كامل نشاطه في استبطان الظاهر و استبطاط ما خبيّ في مطاوي اللفظ و استخراج لثاليه..

هو عند تفسير البسملة من سورة الحمد يقول:

الباء في ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ حرف التضمين، أي بالله ظهرت الحادثات، و به وجدت المخلوقات، فما من حادث مخلوق، و حاصل منسوق، من عين و أثر و غَبر، و غيرٍ من حجر و مدر، و نجم و شجر، و رسم و ظلل، و حكم و علل، إلا بالحقّ وجوده، و الحقّ مَلِكُه و من الحقّ بدؤه، و إلى الحقّ عوده، فبه وَجَدَ من وَحَدَّ، و به جحد من أَلحد، و به عرف من اعترف، و به تخلّف من اقترف^١.

لم نعرف حرف التضمين، و لم نعرف كيف فسّر البسملة من هذه السورة بهذه المعاني، و لكنّه في سائر السور يفسّرها بمعانٍ أخرى، و لعلّه يدّعي أنّ هكذا ألهم و أشرق عليه، انظر إلى تفسيره لبسملة سورة البقرة:

الاسم مشتقّ من السموّ و السمة، فسبيل من يذكر هذا الاسم أن يتّسم بظاهره بأنواع المجاهدات، و يسمو بهمّته إلى محالّ المشاهدات، فمن عَدِم سمة المعاملات على ظاهره، و فقَدَ سموّ الهمة للمواصلات بسرائره، لم يجد لطائف الذكر عند قائلته، و لا كرائم القرب في صفاء حالته^٢.

و في بسملة سورة آل عمران:

اختلف أهل التحقيق - يعني بهم الصوفيّة و أهل التأويل - في اسم «الله» هل هو مشتقّ من معنى أم لا؟ فكثير منهم قالوا: إنّهُ ليس بمشتقّ من معنى، و هو له سبحانه على جهة الاختصاص، يجري في وضعه مجرى أسماء الأعلام في صفة غيره، فإذا قرع بهذا اللفظ أسمع أهل المعرفة لم تذهب فهمهم و لا علومهم إلى معنى غير وجوده سبحانه و حقّه.

و حقّ هذه القالة أن تكون مقرونة بشهود القلب، فإذا قال بلسانه: «الله» أو سمع بأذانه شهد بقلبه «الله».

و كما لا تدلّ هذه الكلمة على معنى سوى «الله» لا يكون مشهود قائلها إلا «الله»، فيقول بلسانه «الله»، و يعلم بفؤاده «الله»، و يعرف بقلبه «الله»، و يُحبّ بروحه «الله»، و يشهد بسرّه «الله»، و يتملّق بظاهره بين يدي «الله»، و يتحقّق بسرّه «الله»، و يخلو بأحواله «الله» و «في الله»، فلا يكون فيه نصيب لغير «الله». و إذا أشرف على أن يصير محوًّا في الله، لله، بالله، تداركه الحقّ سبحانه برحمته، فيكاشفه بقوله: «الرحمان الرحيم» استبقاءً لمهجته أن تتلف، وإرادة في قلوبهم أن تنقى، فالتلطّف سنّة منه سبحانه؛ لتلاّ يفتى أوليائه بالكلية!

و في بسملة سورة النساء:

اختلفوا في «الاسم» عمّا ذا اشتقّ، فمنهم من قال: إنّه مشتقّ من السموّ، و هو العلوّ، و منهم من قال: إنّه مشتقّ من السمّة، و هي الكيّة. و كلاهما في الإشارة؛ فمن قال: إنّه مشتقّ من «السموّ» فهو اسم من ذكره سمّت رتبته، و من عرفه سمّت حالته، و من صحبه سمّت همّته، فسموّ الرتبة يوجب وفور المثوبات و المبارّ، و سموّ الحالة يوجب ظهور الأنوار في الأسرار، و سموّ الهمة يوجب التحرّز عن رِقّ الأغيار.

و من قال: أصله من «السمّة»، فهو اسم من قصده وُسم بسمّة العبادة، و من صحبه وُسم بسمّة الإرادة، و من أحبّه وُسم بسمّة الخواصّ، و من عرفه وُسم بسمّة الاختصاص. فسمّة العبادة توجب هيبة النار أن ترمى صاحبها بشرها، و سمّة الإرادة توجب حشمة الجنان أن تطمع في استرقاق صاحبها، مع شرف خطرها، و سمّة الخواصّ توجب سقوط العجب من استحقاق القرية للماء و الطينة على الجملة، و سمّة الاختصاص توجب امتحاء الحكم عند استيلاء سلطان الحقيقة.

و يقال: اسم مَنْ واصله سما عنده عن الأوهام قدره سبحانه. و من فاصله وُسم بكَيّ
الفرقة قلبه، و على هذه الجملة يدلّ اسمه^١.

و في بسملة سورة المائدة:

سماع اسم «الله» يوجب الهيبة، و الهيبة تتضمّن الفناء و الغيبة، و سماع «الرحمان
الرحيم» يوجب الحضور و الأوبة، و الحضور يتضمّن البقاء و القرية. فمن أسمع «بسم
الله» أدهشه في كشف جلاله، و من أسمع «الرحمان الرحيم» عيّشه بلطف إفضاله^٢.
و هكذا عند كلّ بسملة يأتي بجمل و عبارات ذوات تسجيع متكلف فيه، حتّى نهاية
القرآن..

يقول في بسملة سورة قريش:

«بسم»، الباء في «بسم» تشير إلى براءة سرّ الموحدّين عن حسابان الحدّثان، و عن كلّ
شيء ممّا لم يكن فكان، و تشير إلى الانقطاع إلى الله في السراء و الضراء و الشدة
و الرخاء. و السين تشير إلى سكونهم في جميع أحوالهم تحت جريان ما يبدو من الغيب،
بشروط مراعاة الأدب. و الميم تشير إلى منّة الله عليهم بالتوفيق لما تحقّقوا به من معرفته،
و تخلّقوا من طاعته^٣.



و له عند تفسير البسملة من سورة الحجر تعاليل تنبؤك عن مباني هذه الطائفة
العقائديّة، و أنّهم لا يرون الحكمة منشأً للفيض القدسيّ و أنّه تعالى يفعل ما يشاء و يحكم
ما يريد، لا يُسأل عمّا يفعل و هم يُسألون^٤. و بذلك يبدو -بوضوح- الوجه في شطحات
هذا القوم، و أنّها لا تستقرّ على منهج مستقيم..

يقول: سقطت ألف الوصل من كتابة بسم الله، و ليس لإسقاطها علّة، و زيد في شكل

١. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥-٦.

٢. المصدر نفسه، ص ٩١.

٣. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٣٩.

٤. بناءً على أنّ أعماله تعالى لا تُعلّل، كما ذهب إليه الأشعريّ..

الباء من بسم الله، وليس لزيادتها علة، وليعلم أنّ الإثبات والإسقاط بلا علة: فلا يقبل من قِبَلٍ لاستحقاق علة، ولا ردّ من ردّ لاستيجاب علة!

فإن قيل: العلة في إسقاط الألف من بسم الله كثرة الاستعمال في كتابتها، أشكل بأنّ الباء في بسم الله زيد في كتابتها، وكثرة الاستعمال موجودة.

فإن قيل: العلة في زيادة شكل الباء بركة أفضالها بسم الله، أشكل بحذف ألف الوصل، لأنّ الاتصال فيها موجود..

فلم يبق إلّا أنّ الإثبات والنفي ليس لهما علة؛ يرفع من يشاء و يمنع من يشاء^١. ويتّضح من ذلك أنّ استتباط الإشارة ليس - كما قلنا - مسألة عشوائية، إنّما هو خاضع لقواعد وأصول، هم مهّدوها من قبل.

وبذلك نراه لا ينشئ عن منهجه - في افتراض القول بلا موجب - حتّى في سورة براءة، التي لم تفتح بالبسملة، وحسبها من غير سبب معقول لنا.. يقول: «الحقّ - سبحانه - جرّد هذه السورة عن ذكر البسملة، ليعلم أنّه يخصّ من يشاء وما يشاء بما يشاء، ويفرد من يشاء بما يشاء، لا لصنعه سبب، ولا في أفعاله غرض ولا أرب.

ومن قال: إنّ لم يذكرها، لأنّ السورة مفتوحة بالبراءة من الكفّار، فهو - وإن كان وجهاً في الإشارة - إلّا أنّه ضعيف، وفي التحقيق بعيد، لأنّه افتتح سوراً من القرآن بذكر الكفّار، مثل قوله: «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا» في سورة البينة. ومثل قوله: «وَيَلُكُلُ لَكُمْ هُمَزَةَ لَمْزَةٍ» في سورة الهزّة، وقوله: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ» في سورة المسد وقوله: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» في سورة الكافرون.. فهذه كلّها مفاتيح السور، والبسملة مثبتة في أوائلها، وهي متضمّنة ذكر الكفّار..^٢

وبعد أن ينتهي القشيري من بسط مذهبه في كلّ بسملة على هذا النحو الطريف الممتع يبدأ في تفسير السورة آية آية تفسيراً على نمط أهل الذوق والعرفان..^٣

١. لطائف الإشارات، ج ٣، ص ٢٦٢. وبحقّ إنّ كلام مغلّق لا محصّل له ظاهراً

٢. المصدر نفسه، ص ٥.

٣. راجع: المصدر نفسه (المقدّمة)، ج ١، ص ٤٠-٣٨.



و يجدر بنا أن ننبّه على أن تفاسير الصوفيّة ليست على نمط واحد من الاعتبار أو السقوط، بل بين رفيع و ضيع، و أسلم تفاسيرهم، هو تفسير القشيريّ نسبياً؛ حيث خلّوه عن أكثر شطحات الصوفيّة المعروفة عنهم. و أسلم منه تفسير الميديّ الموسوم بـ «كشف الأسرار و عدّة الأبرار» على ما سنذكره.

التنوع في التفسير الباطنيّ

قد يُنوّع التفسير الصوفيّ إلى نوعين: نظريّ و فيضيّ، حسب تنوع المتصوّفة إلى تصوّف نظريّ و عمليّ، ليكون التصوّف النظريّ مبتنياً على البحث و الدراسة، أمّا التصوّف العمليّ فهو الذي يقوم على التقشّف و الترهّد و التفاني في العبادة (الأذكار و الأوراد).

و عليه فالتفسير الصوفيّ النظريّ، تفسير أولئك المتصوّفة الذين بنوا تصوّفهم على مباحث نظريّة فلسفيّة، ورثوها من يونان القديمة، و من الصعب جدّاً أن يجد هؤلاء في القرآن ما يتفق و تعاليمهم، و هي بعيدة عن روح القرآن و تعاليم الإسلام، اللهمّ إلا إذا حملوا نظريّاتهم على القرآن و أقحموا عليه إجحاماً.

قال الأستاذ الذهبيّ: و نستطيع أن نعتبر الأستاذ الأكبر محيي الدين بن عربيّ، شيخ هذه الطريقة في التفسير؛ إذ إنّه أظهر من حَبِّ فيها و وضع، و أكثر أصحابه معالجة للقرآن على طريقة التصوّف النظريّ^١.

و أمّا التفسير الفيضيّ، فهو تأويل الآيات على خلاف ما يظهر منها، بمقتضى إشارات رمزيّة، تظهر لأرباب السلوك و الرياضة النفسيّة، من غير ما دعم بحجّة أو برهان.

قال الذهبيّ: و الفرق بينه و بين التفسير الصوفيّ النظريّ من وجهين.

أولاً: أنّ النظريّ يبني على مقدّمات علميّة تنقدح في ذهن الصوفيّ أولاً ثمّ ينزل القرآن عليها بعد ذلك. أمّا التفسير الفيضيّ الإشاريّ فيركز على رياضة رويّة يأخذ بها

الصوفيّ نفسه حتّى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجع العبارات هذه الإشارات القدسيّة، و تنهلّ على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانيّة.

ثانياً: أنّ التفسير الصوفيّ النظريّ، يرى صاحبه أنّه كلّ ما تحتمله الآية من المعاني، وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآية عليه. أمّا التفسير الفيضيّ الإشاريّ فلا يرى الصوفيّ أنّه كلّ ما يراد من الآية، بل يرى أنّ هناك معنى آخر تحتمله الآية، و يراد منها أوّلاً و قبل كلّ شيء، و ذلك هو المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره^١.



لكنّا لا نرى تفاوتاً في تفاسير الصوفيّة، سوى الشدّة و الضعف في تأويلاتهم التي يتكلّفونها حسب أذواقهم و سلاتقهم، بلا استناد و لا أساس، و كلّها معدود من التفسير بالرأي المقيت.

إذ لم نر من استند منهم على مقدّمة علميّة و لا برهان واضح، سوى سوانح و خواطر عارضة، يحسبونها إشراقات جاءتهم من مكان عليّ، و ليس سوى ادّعاءات فارغة غير مستندة إلى ركن و ثيق..

و كلّ يدعيّ وصلّاً بليلى و ليلي لا تُقرّ لهم جواباً

نعم هناك منهم من يحاول الجمع بين الظاهر و الباطن، تأليفاً بين الشريعة و الطريقة، كالقشيريّ في تفسيره، و منهم من يقتصر على الباطن معرضاً عن الظاهر، إمّا منكرّاً له كالباطنيّة المحضة، أصحاب الحسن السباح، و هم الملاحدة، و على نظيرهم الخوارج و القرامطة. و كذا بعض تفاسير الصوفيّة ممّن اقتصروا على محض الباطن، كمحيي الدين ابن عربيّ في تفسيره الباطنيّ المنسوب إليه. لكنّه مع ذلك لم ينكر الظواهر، و قد فسّر القرآن أثناء كتبه تفسيراً آخر حسب الظاهر المعروف^٢.

و مثله تفسير أبي محمّد الشيرازيّ عرائس البيان جرى في تفسيره على نمط واحد هو

١. المصدر نفسه.

٢. جمعه محمود الغزّاب من علماء دمشق المعاصرين حسبما نذكر.

التفسير الإشاري، ولم يتعرّض للتفسير الظاهر بحال، وإن كان يعتقد أنه لا بدّ منه أولاً، كما صرّح بذلك في مقدّمة تفسيره، وسنذكره.

أهمّ تفاسير الصوفيّة وأهل العرفان

لأهل العرفان الباطنيّ تفاسير متنوّعة في البناء على تأويل الآيات، حسب مشاربهم في التصوّف والعرفان، فمنهم من جمع بين تفسير الظاهر والباطن فاصلاً بينهما كلّاً على حدّه، ومنهم من مزج بين الأمرين من غير فصل بينهما، وربّما حصل خلط من ذلك بحيث لا يعرف القارئ أنّه تفسير أو تأويل، ومنهم من اقتصر على مجرّد التأويل محضاً، حسبما نذكر من تفاسيرهم.

١. تفسير التستريّ

ولقد بدأ التفسير الباطنيّ اعتماداً على تأويل الآيات منذ القرن الثالث على يد أبي محمّد سهل بن عبد الله التستريّ من مواليد سنة (٢٠٠هـ) والمتوفّى سنة (٢٨٣هـ). فإنّ له تفسيراً على طريقة الصوفيّة جمعه أبو بكر محمّد بن أحمد البلديّ، وقد طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة (١٩٠٨ م). فيما لا يزيد على مائتي صفحة.

كان التستريّ من كبار العارفين، وقد ذُكرت له كرامات، ولقى الشيخ ذا النون المصريّ بمكّة، وكان صاحب رياضة واجتهاد وافر. أقام بالبصرة زمناً طويلاً، وتوفّي بها.

وتفسيره هذا مطبوع في حجم صغير، لم يتعرّض فيه المؤلّف لتفسير جميع القرآن، بل تكلم عن آيات محدودة ومتفرّقة من كلّ سورة. ويبدو أنّ التفسير مجموعة من أقوال سهل في التفسير، جمعها البلديّ المذكور في أوّل الكتاب، والذي يقول كثيراً: قال أبو بكر: سئل سهل عن معنى آية كذا، فقال: كذا. وللكتاب مقدّمة جاء فيها توضيح معنى الظاهر والباطن ومعنى الحدّ والمطلع، فيقول: ما من آية في القرآن إلّا ولها ظاهر وباطن وحدّ ومطلع. فالظاهر: التلاوة، والباطن: الفهم. والحدّ: حلالها وحرامها، والمطلع: إشراق القلب على المراد بها، فقهاً من الله ﷻ، فالعلم الظاهر علم عامّ، والفهم لباطنه، والمراد به

خاصّ. و يقول في موضع آخر: قال سهل: إنّ الله تعالى ما استولى ولياً من أمة محمّد ﷺ إلاّ علمه القرآن، إمّا ظاهراً وإمّا باطناً. قيل له: إنّ الظاهر نعرفه، فالباطن ما هو؟ قال: فهمه، وإنّ فهمه هو المراد^١.

ونجده أحياناً لا يقتصر على التفسير الإشاريّ وحده، بل ربّما ذكر المعاني الظاهرة ثمّ يعقبها بالمعاني الإشاريّة. وحينما يعرض للمعاني الإشاريّة لا يكون واضحاً في كلّ ما يقوله، بل تارة يأتي بالمعاني الغريبة التي يُستبعد أن تكون مرادة لله تعالى، كالمعاني التي يذكرها في تفسير البسملة:

الباء: بهاء الله. والسين: سناء الله. والميم: مجد الله. والله: هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلّها، وبين الألف واللام منه حرف مكّنّي، غيب من غيب إلى غيب، وسرّ من سرّ إلى سرّ، وحقيقة من حقيقة إلى حقيقة، لا ينال فهمه إلاّ الظاهر من الأدناس، الآخذ من الحلال قواماً ضرورة الإيمان. والرحمان: اسم فيه خاصيّة من الحرف المكّنّي بين الألف واللام. والرحيم: هو العاطف على عباده بالرزق في الفرع، والابتداء في الأصل، رحمة لسابق علمه القديم^٢.

وبهذا النسق فسّر «الم»، وتبعه على ذلك أبو عبد الرحمان السلمي، ومن بعدهما من مفسّري الصوفيّة وأهل العرفان^٣.

وربّما فسّر الآية بما لا يحتمله اللفظ، وليس سوى الذوق الصوفيّ حملة على الآية حملاً، من ذلك ما ذكره في تفسير الآية ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^٤: لم يرد الله معنى الأكل في الحقيقة، وإنّما أراد معنى مساكنة الهمة لشيء هو غيره، أي لا تهتمّ بشيء هو غيري. قال: فآدم عليه السلام لم يعصم من الهمة والفعل في الجنّة، فلحقه ما لحقه من أجل ذلك. قال: وكذلك كلّ من ادّعى ما ليس له وساكنه قلبه ناظراً إلى هوى نفسه، لحقه الترك من الله ﷻ مع ما جبلت عليه نفسه، إلاّ أن يرحمه الله، فيعصمه من تدبيره وينصره على عدوّه

١. تفسير الشنري، ص ٣. استولى أي اختار ولياً.

٢. المصدر نفسه، ص ١٢٩.

٣. البقرة (٢): ٣٥.

٤. تفسير السلمي، ص ٩.

وعليها. قال: و آدم لم يعصم عن مساكنة قلبه إلى تدبير نفسه للخلود لما أدخل الجنة، ألا ترى أن البلاء دخل عليه من أجل سكون القلب إلى ما وسوست به نفسه، فغلب الهوى والشهوة العلم والعقل والبيان ونور القلب، لسابق القدر من الله تعالى، كما قال عليه السلام:
الهوى والشهوة يغلبان العلم والعقل^١.

وفي أغلب الأحيان يجري في تفسيره مع ظاهر الآية أولاً، ثم يعقبه بما سنح له من خواطر صوفية يجعلها تأويلاً وتفسيراً لباطن الآية. من ذلك تفسيره للآية ﴿وَ الْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْجَارِ الْغَنِيِّ وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ﴾^٢ حيث يقول بعد ذكره للتفسير الظاهر: وأما باطنها، فالجار ذي القربى هو القلب، والجار الجنب هو الطبيعة، والصاحب بالجنب هو العقل المقتدى بالشرعية، وابن السبيل هو الجوارح المطيعة لله^٣.

وعند تفسيره للآية ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^٤ يقول: مثل الله الجوارح بالبرِّ، ومثل القلب بالبحر، وهما أعمّ نفعاً وأكثر خطراً. هذا هو باطن الآية، ألا ترى أن القلب إنما سمّي قلباً لتقلبه، وبعد غوره^٥.

٢. حقائق التفسير للسلمي

وثاني تفاسير الصوفية التي ظهرت إلى الوجود، تفسير أبي عبد الرحمان السلمي، المسمّى بـ«حقائق التفسير». هو أبو عبد الرحمان محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، المولود سنة (٣٣٠ هـ) والمتوفى سنة (٤١٢ هـ). كان شيخ الصوفية ورائدهم بخراسان، وله اليد الطولى في التصوف، وكان موقفاً في علوم الحقائق حسبما اصطاح عليه القوم وكان على جانب كبير من العلم بالحديث، أخذ منه الحاكم النيسابوري والقشيري صاحب التفسير.

وهذا التفسير من أهم تفاسير الصوفية، ويعدّ من أمّهات المراجع للتفسير الباطني لمن

٢. النساء (٤): ٣٦.

٤. الروم (٣٠): ٤١.

١. تفسير التستري، ص ١٦، ١٧.

٣. تفسير التستري، ص ٤٥.

٥. تفسير التستري، ص ١٧٩.

تأخر عنه، كالقشيريّ والشيرازيّ وأضربهما من أقطاب الصوفيّة. وهو امتداد للتفسير الصوفيّ الذي ابتدعه التستريّ من ذي قبل و تفصيل فيه، و تحرير واسع للذوق الصوفيّ في فهمه لمعاني كلمات الله في القرآن العظيم. يقول في مقدّمته:

«لما رأيت المتوسّمين بالعلوم الظواهر، صنّفوا في أنواع القرآن، من فوائد و مشكلات و أحكام و إعراب و لغة و مجمل و مفسّر و ناسخ و منسوخ ما يشغل منهم لجميع فهم خطابه على حساب الحقيقة، إلّا [تفسير] آيات متفرّقة نسبت إلى أبي العبّاس بن عطاء. و [تفسير] آيات ذكر أنّها عن جعفر بن محمّد عليه السلام على غير ترتيب، و كنت قد سمعت منهم في ذلك جزءاً استحسنته، أحببت أن أضمّ ذلك إلى مقالتهم، و أضمّ أقوال المشايخ من أهل الحقيقة إلى ذلك، و أرّبه على السور حسب وسعي و طاقتي، فاستخرت الله في جميع ذلك و استعنت به و هو حسبي و نعم المعين»^١.

غير أنّ الاقتصار على المعاني الإشاريّة، و الإعراض عن المعاني الظاهرة في هذا التفسير، ترك للعلماء مجالاً للطعن عليه، و لقي معارضا شديدة من معاصريه و ممّن أتوا بعده، فاتّهم بالابتداع و التحريف و القرمطة، و وضع الأحاديث على الصوفيّة.



يقول ابن الصلاح^٢ في فتاواه و قد سئل عن كلام الصوفيّة في القرآن: وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحديّ المفسّر أنّه قال: صنّف أبو عبد الرحمان السلميّ حقائق التفسير فإن كان قد اعتقد أنّ ذلك تفسير، فقد كفر.

قال: الظنّ بمن يوثق به منهم أنّه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك أنّه لم يذكره تفسيراً،

١. تفسير السلمي، ج ١، ص ١٩-٢٠.

٢. هو الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام في قطره و عصره، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد الرحمان الكرديّ الشهرزوريّ الموصليّ. ولد سنة (٥٧٧ هـ). و توفي سنة (٦٤٣ هـ). بدمشق، و دفن بمقبرة الصوفيّة، و كان قبره ظاهراً بزار (سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص ١٤٠، رقم ١٠٠).

ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم، فإنه لو كان كذلك، كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإنّ النظر يُذكر بالنظير، ومن ذلك قتال النفس في الآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار﴾^١ فكأنه قال: أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار، ومع ذلك فيا ليستهم لم يتساهلوا في مثل ذلك، لما فيه من الإيهام والإلباس.^٢

قال أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغداديّ المتوفّي سنة (٤٦٣ هـ) - وهو قريب عهد به -: قال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوريّ: كان السلميّ غير ثقة. قال الخطيب: وكان يضع للصوفيّة الأحاديث^٣.

وهكذا وصفه أبو العباس أحمد بن تيمية الحرّانيّ المتوفّي سنة (٧٢٨ هـ) بالوضع والاختلاق. قال: وما ينقل في حقائق السلميّ من التفسير عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عامته كذب على جعفر، كما قد كذب عليه غير ذلك^٤.

قال الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ المتوفّي سنة (٧٤٨ هـ) في تذكرة الحفاظ: «ألف السلميّ حقائق التفسير فأتى فيه بمصائب وتأويلات الباطنية، نسأل الله العافية»^٥.

وقال في ترجمته في سير أعلام النبلاء: «و للسلميّ سؤالات للدارقطنيّ عن أحوال المشايخ والرواة سؤال عارف. وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة. وفي حقائق التفسير أشياء لا تسوغ أصلاً، عدّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية، وعدّها بعضهم عرفاناً وحقيقة، نعوذ بالله من الضلال ومن الكلام بهويّ»^٦.

و من ثمّ عدّ السيوطيّ المتوفّي سنة (٩١١ هـ) تفسير السلميّ في كتابه طبقات

١. النبوة (٩): ١٢٣.

٢. فتاوي ابن الصلاح، ص ٢٩ (التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٦٨).

٣. تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٢٤٨.

٤. منهاج السنة لابن تيمية، ج ٤، ص ١٥٥.

٥. تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ١٠٤٦.

٦. سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٢٥٢.

المفسرين ضمن التفاسير المبتدعة. قال: وإنما أوردته في هذا القسم لأنه غير محمود^١. وهكذا ذكر الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الداودي المتوفى سنة (٩٤٥هـ). في طبقات المفسرين، قال: وكتاب حقائق التفسير للسلمي قد كثر الكلام فيه، من قبل أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات ومحامل للصوفية، ينبو عنها ظاهر اللفظ^٢.

* * *

وإليك الآن نماذج من تأويلات السلمي، مما ينبو عنها لفظ القرآن الكريم: قال في الآية ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾^٣: قال محمد بن الفضل: اقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها، أو اخرجوا من دياركم، أي اخرجوا حب الدنيا من قلوبكم، ما فعلوه إلا قليل منهم في العدد، كثير في المعاني، وهم أهل التوفيق والولايات الصادقة^٤.

وفي سورة الرعد عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي﴾^٥ يقول: قال بعضهم: هو الذي بسط الأرض وجعل فيها أوتاداً من أوليائه وسادة من عبيده، فإليهم الملجأ وبهم النجاة، فمن ضرب في الأرض يقصدهم فاز ونجا، ومن كان بُغيته لغيرهم خاب وخسر. سمعت علي بن سعيد يقول: سمعت أبا محمد الحريري يقول: كان في جوار الجنيد إنسان مصاب في خربة، فلما مات الجنيد وحملنا جنازته، حضر الجنازة، فلما رجعنا تقدّم خطوات وعلام موضعاً من الأرض عالياً، فاستقبلني بوجهه، وقال: يا أبا محمد، إنني لراجع إلى تلك الخربة، وقد فقدت ذلك السيد، ثم أنشد شعراً:

وما أسفي من فراق قوم	هم المصاييح والحصون
والمدن والمزن والرواسي	والخير والأمن والسكون
لم تستغيّر لنا الليالي	حتّى توفّتهم المنون

١. طبقات المفسرين للسيوطي، ص ٣١ (ط ليدن).

٢. طبقات المفسرين للداودي، ج ٢، ص ١٣٩.

٣. تفسير السلمي، ص ٤٩.

٤. النساء: (٤): ٦٦.

٥. الرعد: (١٣): ٣.

فكلّ جمر لنا قلوب و كلّ ماء لنا عيون^١

و في سورة الحجّ عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾^٢، يقول: قال بعضهم: أنزل مياه الرحمة من سحاب القربة، وفتح إلى قلوب عباده عيوناً من ماء الرحمة، فأنبتت فاخضرت بزينة المعرفة، وأمرت الإيمان، وأينعت التوحيد، أضاءت بالمحبة فهامت إلى سيدها، واشتافت إلى ربها فطارت بهمتها، وأناخت بين يديه، وعكفت فأقبلت عليه، وانقطعت عن الأكوان أجمع. ذاك آواها الحقّ إليه، وفتح لها خزائن أنواره، وأطلق لها الخيرة في بساتين الأنس، ورياض الشوق والقدس^٣. و في سورة الرحمن عند قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾^٤ يقول: قال جعفر: جعل الحقّ تعالى في قلوب أوليائه رياض أنسه، فغرس فيها أشجار المعرفة، أصولها ثابتة في أسرارهم، وفروعها قائمة بالحضرة في المشهد، فهم يجنون ثمار الأنس في كلّ أوان، وهو قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أي ذات الألوان، كلّ يجتني منه لونا على قدر سعته، و ما كوشف له من بوادي المعرفة و آثار الولاية^٥.

و في سورة الانفطار ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾^٦ يقول: قال جعفر: النعيم: المعرفة والمشاهدة، والجحيم: النفوس، فإن لها نيراناً تتقد^٧.

و في سورة النصر ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^٨ يقول: قال ابن عطاء الله: إذا شغلك به عمّا دونه فقد جاءك الفتح من الله تعالى، والفتح: هو النجاة من السجن البشري بقاء الله تعالى^٩.

٣. لطائف الإشارات للشيرازي

هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيريّ النيسابوريّ. ولد في قرية من ضواحي

١. تفسير السلميّ، ص ١٣٨.

٢. الحجّ (٢٢): ٦٣.

٣. تفسير السلميّ، ص ٢١٢.

٤. الرحمن (٥٥): ١١.

٥. تفسير السلميّ، ص ٣٤٤.

٦. الانفطار (٨٢): ١٣-١٤.

٧. تفسير السلميّ، ص ٣٨٥.

٨. النصر (١١٠): ١.

٩. تفسير السلميّ، ص ٤٠٢.

نيسابور سنة (٣٧٦ هـ). ومات أبوه وهو صغير، فاتَّجَّهت به أسرته نحو طلب العلم، فبرع فيه حسبما دارت رحى العلم في ذلك العهد، في الفقه والحديث والأدب والأصول والتفسير. وسار في درب الصوفيَّة على يد أبي عليِّ الحسن بن عليِّ الدَّقَاق المتوفَّى سنة (٤٠٥ هـ).^١ من كبار مشايخ الصوفيَّة ذلك العهد، وقد أشار عليه أن يحضر حلقات درس أبي بكر الطوسيِّ، وابن فورك، والإسفرايينيِّ. وفي أثناء ذلك كان يحضر مجلس أبي عليِّ الدَّقَاق وكان قد زوَّجه ابنته على كثرة أقاربها، ولَمَّا توفِّي تردَّد إلى دروس عبد الرحمان السُّلَميِّ المتوفَّى سنة (٤١٢ هـ). وعاشه^٢ حتَّى أصبح شيخ خراسان في الفقه والكلام، مع تصدير في الحديث والوعظ والإرشاد. وتوفِّي سنة (٤٦٥ هـ). بمدينة نيسابور.^٣

وتفسيره هذا امتداد للتفسير الصوفيِّ الباطنيِّ، معتمداً في أكثر الأحيان على تأويلات قد ينبو عنها ظاهر لفظ الآية الكريمة. لكنَّه مع ذلك حاول أن يوفِّق بين علوم الحقيقة - حسب مصطلحهم - وعلوم الشريعة، قاصداً أن لا تعارض بينهما، وأن أيَّ كلام يناقض ذلك فهو خروج على كليهما؛ إذ كلُّ شريعة غير مؤيَّدة بالحقيقة فغير مقبول، وكلِّ حقيقة غير مقيَّدة بالشريعة فغير محمول، فالشريعة أن تعبد، والحقيقة أن تشهد. كما جاء في الرسالة الفشيرية^٤:

حاول في هذا التفسير أن يبرهن على أن كلَّ صغيرة وكبيرة في علوم الصوفيَّة، فإن لها أصلاً من القرآن. ويتجلَّى ذلك بصفة خاصَّة حيثما ورد المصطلح الصوفيِّ صريحاً في النصِّ القرآنيِّ، كالذكر والتوكُّل والرضا، والوليِّ والولاية والحقِّ، والظاهر والباطن، والقبض والبسط. فإنَّك عند خلال قراءة التفسير لا تكاد تملك إلا أن تحكم أن الصوفيَّة قد استمدَّوا أصولهم وفروعهم من كتاب الله الكريم، وأن علومهم ليست غريبة ولا مستوردة، كما يحلو لكثير من الباحثين، حين يرون التصوِّف الإسلاميِّ متأثراً

٢. سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٢٢٩.

١. نفحات الأنس للجامعيِّ، ص ٢٩١.

٣. وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٠٦.

٤. الرسالة الفشيرية، ص ٤٦؛ راجع: تفسير الفشيريِّ (المقدمة)، ج ١، ص ١٨.

بالتيارات الأجنبية، اليونان والفرس والهند.

كذلك تلحظ عبقرية القشيري إزاء اللفظة أو الآية، حينما لا يكون فيها اصطلاح صوفي، فإنه يستخرج لك من آيات الطلاق إشارات في الصحة والسحاب، ومن علاقة النبي ﷺ بأصحابه إشارات عن الشيخ ومريديه، ومن مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والمطر والجمال إشارات تتصل اتصالاً وثيقاً بالرياضات والمجاهدات، أو بالمواصلات والكشوفات.

و من ثم فإنه من أوفق التفاسير الصوفية في الجمع بين الشريعة والطريقة، وأسلمها عن الخوض في التأويلات البعيدة التي يأبأها اللفظ وينفرها، كما في سائر تفاسيرهم. ولذلك فإن فيه بعض الشطحات أو التأويلات البعيدة، مما يعدّ تفسيراً بالرأي الممنوع منه شرعاً، مثلاً عند قوله تعالى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرْنَا بَيْتِي لِبِلْطَانَيْنِ وَالْعَاقِبِينَ وَالرُّكُوعِ السُّجُودِ﴾^١ يقول: الأمر في الظاهر بتطهير البيت، والإشارة من الآية إلى تطهير القلوب. وتطهير البيت بصونه عن الأدناس والأوضار، وتطهير القلب بحفظه عن ملاحظة الأجناس والأغيار.

وطواف الحجّاج حول البيت معلوم بلسان الشرع، وطواف المعاني معلوم لأهل الحق، فقلوب العارفين المعاني فيها طائفة، وقلوب الموحدّين الحقائق فيها عاكفة، فهؤلاء أصحاب التلوين، وهؤلاء أرباب التمكين^٢.

و قلوب القاصدين بملازمة الخضوع على باب الجود أبداً واقفة.

و قلوب الموحدّين على بساط الوصل أبداً راکعة.

و قلوب الواجدین على بساط القرب أبداً ساجدة.

١. البقره (٢): ١٢٥.

٢. التلوين والتمكين لفظان اصطلاحيان: التلوين صفة أرباب الأحوال، والتمكين صفة أهل الحقائق. فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين؛ لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، وهو أبداً في الزيادة. أما صاحب التمكين فوصل ثم اتصل، وأما أنه اتصل أنه بالكيفية عن كنيته بطل، والتغيير بما يرد على العبد إما لقوة الوارد أو لضعف صاحبه، والسكون إما لقوته أو لضعف الوارد عليه (الرسالة القشيرية، ص ٤٤).

و يقال: صواعد نوازع الطالبين بباب الكرم أبداً واقفة، و سوامي قصود المريرين بمشهد الجود أبداً طائفة، و وفود همم العارفين بحضرة العزّ أبداً عاكفة^١.

* * *

و قال في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ - إلى قوله - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَ مَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ^٢: و الإشارة فيه أنّ من قصد بيتنا فينبغي أن يكون الصيد منه في الأمان، لا يتأذى منه حيوان بحال؛ لذا قالوا: البرّ من لا يؤذي الذرّ و لا يضر الشرّ.

و يقال: الإشارة في هذا أنّ من قصدنا فعليه نبد الأطماع جملةً، و لا ينبغي أن تكون له مطالبة بحال من الأحوال. و كما أنّ الصيد على المحرم حرام إلى أن يتحلّل، فكذلك الطلب و الطعم و الاختيار على الواجد حرام ما دام محرماً بقلبه.

و يقال: العارف صيد الحقّ، و لا يكون للصيد صيد.

و إذا قتل المحرم الصيد فعليه الكفّارة، و إذا لاحظ العارف الأغيار، أو طمع أو رغب في شيء أو اختار لزمته الكفّارة، و لكن لا يكتفي منه بجزاء المثل و لا بأضعاف أمثال ما تصرف فيه أو طمع، و لكن كفّارته تجرّده على الحقيقة عن كلّ غير، قليل أو كثير، صغير أو كبير.

قوله ﷺ: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَ طَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَ لِلسَّيَّارَةِ وَ حُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ^٣﴾ قال: حكم البحر خلاف حكم البرّ، و إذا غرق العبد في بحار الحقائق سقط حكمه، فصيد البحر مباح له؛ لأنّه إذا غرق صار محوّاً، فما إليه ليس به و لا منه إذ هو محو، و الله غالب على أمره^٤.

* * *

٢. المائدة (٥): ٩٤-٩٥.

١. لطائف الإشارات، ج ١، ص ١٣٦.

٤. لطائف الإشارات، ج ٢، ص ١٤٣-١٤٤.

٣. المائدة (٥): ٩٦.

و قد تقدّم تفسيره للبسملة في كلّ سورة بمعنى يغير معناها في سورة أخرى، و هل هذا مستند إلى دليل، أو مجرد ذوق عرفانيّ خاصّ؟!

٤. كشف الأسرار و عدّة الأبرار (تفسير المييديّ)

المعروف بتفسير الخوaja عبد الله الأنصاريّ

أصل هذا التفسير للخوaja عبد الله الأنصاريّ، ثمّ بسطه و وضّح مبانيه المولى أبو الفضل رشيد الدين المييديّ، كما يقول في المقدّمة:

«أما بعد فإنّي طالعت كتاب شيخ الإسلام، فريد عصره و وحيد دهره، أبي إسماعيل عبد الله بن محمّد بن عليّ الأنصاريّ - قدّس الله روحه - في تفسير القرآن، و كشف معانيه، و رأيته قد بلغ به حدّ الإعجاز لفظاً و معنىً و تحقيقاً و ترصيعاً، غير أنّه أوجز غاية الإيجاز، و سلك فيه سبيل الاختصار، فلا يكاد يحصل غرض المتعلّم المسترشد، أو يشفي غليل صدر المتأمّل المستبصر، فأردتُ أن أنشر فيه جناح الكلام، و أرسل في بسطه عنان اللسان. جمعاً بين حقائق التفسير و لطائف التذكير، و تسهياً للأمر على من اشتغل بهذا الفنّ، فصمّمت العزم على تحقيق ما نويت، و شرعت بعون الله في تحرير ما هممت، في أوائل سنة عشرين و خمس مائة، و ترجمت الكتاب بكشف الأسرار و عدّة الأبرار»^١.

أما الخوaja، فهو الإمام القدوة الحافظ الكبير، أبو إسماعيل عبد الله بن محمّد بن عليّ ابن محمّد الأنصاريّ الهرويّ، من ذريّة صاحب النبيّ ﷺ أبي أيّوب الأنصاريّ. مولده بهرات سنة (٣٩٦هـ). و توفّي بها سنة (٤٨١هـ). و قبره مزار مشهود هناك. كان على حظّ وافر من العريّة و الفقه و الحديث و التواريخ و الأنساب، إماماً كاملاً في التفسير، حسن السيرة في التصوّف، غير مشغول بكسب، مكتفياً بما يباسط به المريدين و الأتباع من أهل مجلسه في العام مرّة أو مرّتين على رأس الملاء، فيحصل على ألوفٍ من الدنانير

وأعداد من الثياب والحلي، فيأخذها ويفرقها على اللحام والخباز، و ينفق منها، ولا يأخذ من السلطان ولا من أركان الدولة شيئاً. وقلّ ما يراعيهم، ولا يدخل عليهم، ولا يبالي بهم، فبقي عزيزاً مقبولاً مقبولاً أتمّ من الملك، مطاع الأمر نحواً من ستين سنة، من غير مزاحمة. وقد كان سيفاً مسلولاً على المتكلمين، له صولة وهيبة واستيلاء على النفوس ببلده، يعظّمونه ويتغالون فيه، و يبذلون أرواحهم فيما يأمر به. كان عندهم أطوع وأرفع من السلطان بكثير، وكان طوراً راسياً في السنة لا يتزلزل ولا يلين. وقد امتحن عدّة مرات وأوذى في الله. وله مقامات وحكايات ذكرها أرباب التراجم^١.

وأما الميبدّي فهو الإمام السعيد رشيد الدين أبو الفضل ابن أبي سعيد أحمد بن محمد ابن محمود الميبدّي^٢، وكان أبوه جمال الإسلام أبو سعيد قد توفّي قبل الخوaja بسنة - سنة ٤٨٠ هـ. - ومن ثمّ فإنّ المترجم كان قد أدرك الخوaja، ومن ثمّ وصفه أصحاب التراجم بالتلمذة لديه^٣. قد تصدّى تحرير تفسير شيخه عام (٥٢٠ هـ) أي بعد وفاة شيخه بأربعين سنة. وميبد بلدة من ضواحي يزد - إيران.

ويظهر من تأليفه هذا الفخيم أنّه كان على مستوى رفيع من الفضيلة والأدب السامي، ولا سيّما في الأدب الفارسيّ البديع؛ حيث تستجيحه المتين وترصيفه الرصين، في جزالة وسلاسة وسهولة في التعبير، ولا سيّما في النوبة الثالثة؛ حيث ظرافة الذوق العرفانيّ العميق والأدب الرفيع، تجدهما قد امتزجا في كلامه، فجاء شيئاً طريفاً يستدعي التحسين والإعجاب.



أما التفسير ذاته فيعدّ من أكبر وأضخم تفسير كُتب على الطريقة العرفانيّة الصوفيّة،

١. راجع: تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ٣، ص ١١٨٣، رقم ١٠٢٨؛ سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٥٠٣، رقم ٢٦٠.

٢. راجع: مقدّمة التفسير بقلم الدكتور علي أصغر حكمت.

٣. راجع: لغتنا مع هذا حرف الراء، نقلاً عن تاريخ أئمة إيران لإدوارد براون، ذيل ص ٣٧٥؛ هكذا تاريخ أئمة إيران

للدكتور صفا، ج ٢، ص ٢٥٧، ٨٨٣، ٩٣٠ و ٩٣٢.

في عشر مجلّدات ضخام، وضع على أحسن سبك وأجمل عبارات أدبيّة رصينة، فهو من التفاسير الأدبيّة الممتازة باللغة الفارسيّة، وقد كثر تداوله بين الأدباء وأفاضل العرفاء.

وكان منهجه السير في ثلاث نوبات:

النوبة الأولى في التفسير الظاهريّ على حدّ الترجمة الظاهريّة.

والنوبة الثانية في بيان وجوه المعاني والقراءات وأسباب النزول، وبيان الأحكام وذكر الأخبار، والآثار الواردة بالمناسبة.

والنوبة الثالثة في بيان الرموز والإشارات العرفانيّة، ولطائف الدقائق والنكات الظريفة المستفادة من سجع العبارات، وهو بيت القصيد من التفسير.

كلّ ذلك بعبارات رائعة ذات تسجيع و ترصيف لطيف، كما هو دأب أكثر أصحاب التفسير العرفانيّ.



ومما حُظي به هذا السفر الجليل، كثرة استشهاده بالوجوه والنظائر من الآيات الكريمة، يوردها تباعاً في كلّ مناسبة، ممّا يدلّ على إحاطة المؤلف بمعاني القرآن، ومختلف أنواع آيه الكريمة. هذا عند كلّ مناسبة، نذكر منها ما يلي:

مثلاً عند قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾^١ يقول: ونظير ذلك في القرآن كثير، ويذكر الآيات التالية، ويترجم كلّ آية ترجمة رائعة، نذكرها مع الترجمة:

﴿أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^٢ ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^٣.

(بندة من دري برگشای تا دری برگشایم). (عبدی، افتح باباً حتّى أفتح باباً).

﴿.. وَآنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾^٤.

(در انابت برگشای تا در بشارت برگشایم). (افتح باب الإنابة حتّى أفتح باب

٢. غافر (٤٠): ٦٠.

١. البقرة (٢): ٤٠.

٤. الزمر (٣٩): ١٧.

٣. البقرة (٢): ١٥٢.

البشارة).

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾^١.

(در انفاق برگشای تا در خَلْفَ برگشایم). (افتح باب الإنفاق حتّى أفتح باب

العوض).

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^٢.

(در مجاهدت برگشای تا در هدایت برگشایم). (افتح باب المجاهدة حتّى أفتح باب

الهداية).

﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ لَكُمْ وَيَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^٣.

(در استغفار برگشای تا در مغفرت برگشایم). (افتح باب الاستغفار حتّى أفتح باب

المغفرة).

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^٤.

(در شکر برگشای تا در زیادت نعمت برگشایم). (افتح باب الشكر حتّى أفتح باب

الزيادة في النعمة).

﴿وَأَرْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾^٥.

(بنده من به عهد من واز آی تا به عهد تو واز آیم)^٦. (عبدی أوف بعهدی حتّى أوفی

بعهدك).

* * *

هكذا يُحظى هذا السفر الجليل بجودة سبكه و جمال أسلوبه الأدبيّ، الذي دأب المؤلف عليه في عامّة تعابيره في التفسير، و لا سيّما في النوبة الثالثة؛ حيث طرافة الذوق العرفانيّ اللطيف، و طراوة الأدب الفارسيّ الرفيع، تجدهما قد امتزجا معاً، فأصبح آية في

٢. العنكبوت (٢٩): ٦٩.

٤. إبراهيم (١٤): ٧.

٦. كشف الأنوار، ج ١، ص ١٧٦.

١. سبأ (٣٤): ٣٩.

٣. النساء (٤): ١١٠.

٥. البقرة (٢): ٤٠.

الجمال والبهاء. و يبدو براعة المؤلف و سعة تضلعه الأدبي الفائق، إذا ما وجدنا تلك
الطلاوة الرائعة قد أُفرغت في قالب الأدب الفارسي الجزل السلس السهل التعبير.
و إليك نموذجاً من النوبة الثالثة العرفانية:

هو عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَوْفُوا
بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾^١ يقول:

«بير طريقت گفت: الهی! کار آن دارد که با تو کاری دارد، یار آن دارد که چون تو
یاری دارد، او که در دو جهان تو را دارد هرگز کی تو را بگذارد! عجب آن است که او که
تو را دارد از همه زارتر می‌گذارد. او که نیافت به سبب نیافت می‌زارد، او که یافت باری
چرا می‌گذارد.

در بر آن را که چون تو یاری باشد گر ناله کند سیاه کاری باشد»^٢

﴿وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ همان است که گفت: ﴿وَ إِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾.

رهبت و تقوی، دو مقام است از مقامات ترسندگان، و در جمله ترسندگان راه دین بر
شش قسم‌اند:

تابانند و عابدان و زاهدان و عالمان و عارفان و صدیقان.

تابان را خوف است، چنان که گفت: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ﴾.

و عابدان را وَجَلْ: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

و زاهدان را رهبت: ﴿يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَ رَهَبًا﴾.

و عالمان را خشیت: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

١. البقرة (٢): ٤٠.

٢. قال شيخ الطريقة: الهی، لا شغل إلا لمن كان شغله مملك. و لا ناصر إلا من كان ناصره مملك. و من كان له مملك
في الدارين فلن يدعك. و العجب أن من كان له مملك كان أكثرهم أنبأ و بشن من لم يجدك بسبب عدم
الكشف، أما الذي وجدك فلم يشن و بندب!؟

و شكفا فقد ظلم و جفا

من كان معينه مملك

و عارفان را اشفاق: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾.
و صدیقان را هیبت: ﴿و يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^۱.

اما خوف، ترس تائبان و مبتدیان است، حصار ایمان و تریاق و سلاح مؤمن، هر که
را این ترس نیست او را ایمان نیست، که ایمنی را روی نیست، و هر که راهست به قدر
آن ترس ایمان است.

و وَجَل، ترس زنده دلان است که ایشان را از غفلت رهایی دهد، و راه اخلاص بر
ایشان گشاده گرداند، و امل کوتاه کند، و چنانک و جل از خوف مه است، رهبت از وَجَل
مه^۲، این رهبت عیش مرد ببرد، و او را از خلق بیبرد، و در جهان از جهان جدا کند. این
چنین ترسند همه نفس خود غرامت بیند، همه سخن خود شکایت بیند، همه کرد خود
جنایت بیند. گهی چون غرق شدگان فریاد خواهد، گهی چون نوحه گران دست بر سر
زند، گهی چون بیماران آه کند. و از این رهبت اشفاق پدید آید که ترس عارفان است،
ترسی که نه پیش دعا حجاب گذارد، نه پیش فراست بند، نه پیش امید دیوار. ترسی
گدازنده کشنده، که تا ندای ﴿أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا﴾^۳ نشنود نیارامد. این
ترسند را گهی سوزند و گاه نوازند، گهی خوانند و گاه کشند، نه از سوختن آه کند و نه از
کشتن بنالد.

۱. الذي قال: ﴿و إِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة (۲): ۴۰) هو الذي قال ﴿و إِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ (البقرة (۲): ۴۱).
الرهبه و التقوى منزلتان من منازل الخائفين. و الخائفون في طريق الدين على ست طوائف: التائبون،
العابدون، الزاهدون، العالمون، العارفون، الصديقون.

أما التائبون فعلى خوف، كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَلَوَّنَ فِيهِ الْأَلْبَاظُ﴾ (النور (۲۴): ۳۷).

و العابدون على وجل: ﴿الَّذِينَ إِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الحج (۲۲): ۳۵).

و الزاهدون على رهبة: ﴿يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَ رَهَبًا﴾ (الأنبياء (۲۱): ۹۰).

و العالمون على خشية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر (۳۵): ۲۸).

و العارفون على إشفاق: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ (المؤمنون (۲۳): ۵۷).

و الصديقون على حذر: ﴿و يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (آل عمران (۳): ۲۸).

۲. «مه» - بکسر الميم - بمعنى الكبير و يقابله «که» بمعنى الصغير.

۳. فضلت (۴۱): ۳۰.

كم تقتلوننا وكم نحبتكم يا عجباً كم نحبت من قتلاً^١

از پس اشفاق هیت است - بیم صدیقان - یمی که از عیان خیزد، و دیگر بیمها از خبر چیزی در دل تابد چون برق، نه کالبد آن را تابد، نه جان طاقت آن دارد که با وی بماند، و بیشتر این در وقت وجد و سماع افتد، چنانکه (کلیم) را افتاد به (طور) ﴿وَرَحْمَتُ مَوْسَىٰ صَعِقًا﴾^٢ و تا نگویی که این هیت از تهدید افتد که این از اطلاع جبار افتد.

یک ذره اگر کشف شود عین عیان نه دل برهد نه جان نه کفر و ایمان^٣

هذا هو المشار إليه بقوله ﷺ: «حجابہ النور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره»^٤.



١. أما الخوف الذي يمثل خوف التائبين والمبتدئين، فهو طوق الإيمان، وهو طوق المؤمن وسلاحه. ومن لا خوف له لا إيمان له؛ إذ لا آمن هناك. ومن كان له خوف فإيمانه بمقدار خوفه. وأما الرجل، فهو خوف أولى البصائر، ينقذهم من الغفلة، ويفتح لهم باب الإخلاص، ويقصر الأمل؛ والرهبة أكبر من الرجل كما أن الرجل أكبر من الخوف. إن الرهبة تذهب بعيش المرء وتجعله وحيداً، تفصله عن الدنيا وهو في الدنيا. هذا الخائف يجد نفسه كلها غرماً، وكلامه برتمه شكوى، وعمّله جميعه جُرمًا. فهو تارة كالغريق يستصرخ، وأخرى كالنابد يضرب على رأسه. وثالثة كالليل يتأوه.

و الإشفاق وليد هذه الرهبة، التي هي خوف العارفين، ذلك الخوف لا يضع حجاباً يحول دون الدعاء، ولا يبدأ يحول دون فراسة النفس، ولا حاجزاً يحول دون الرجاء. إنه خوف ممضّ قاتل، ولولا قوله تعالى: ﴿أَلَا تَحْتَفُونَ وَلَا تَحْزَنُونَ وَلَا تُبْهِرُونَ﴾ لَمَا قَرَّ لَهُ فِرَار.

و قد يُحزق هذا الخائف حيناً، وقد يُشفق عليه حيناً آخر وقد يُقتل وقد يُدعى فلا من الحرق يتأوه ولا من القتل يتوجع:

كم تقتلوننا وكم نحبتكم يا عجباً كم نحبت من قتلاً

٢. الأعراف (٧): ١٤٣.

٣. تأتي الهبة بعد الإشفاق - وهي خوف الصديقين - ذلك الخوف المنبعث عن معاينة، وغيره منبعث عن خبر يتألق في القلب، لا الجسم يتحمّل ذلك الخوف ولا الروح تطيقه كي تبقى معه. والأكثر أنه يتفق حين الوجد والسماع، كما اتفق للكلية عليه السلام في جبل طور ﴿وَرَحْمَتُ مَوْسَىٰ صَعِقًا﴾. فلا نقل: إنها هبة عن تهديد، وإنما هي عن معرفة الجبار جلّ عزه.

لو كشفت ذرة عمن عيين عيان لا القلب ينجو، لا الروح، لا الكفر ولا الإيمان

٤. كشف الأنوار، ج ١، ص ١٧٧-١٧٨.

و نموذج آخر أروع، عند قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾^۱ يقول:

«کار کار مخلصان است، و دولت دولت صادقان، و سیرت سیرت پاکان، و نقد آن نقد که در دستارچه ایشان. امروز بر بساط خدمت با نور معرفت، فردا بر بساط صحبت؛ سرور وصلت. ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾^۲ می گوید: پاکشان گردانیم و از کوره امتحان خالص بیرون آریم، تا حضرت را بشایند، که حضرت پاک جز پاکان را بخود راه ندهد، ﴿إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ﴾ به حضرت پاک جز عمل پاک، و گفت پاک بکار نیاید، آنگه از آن عمل پاک، چنان پاک باید شد، که نه در دنیا بازجویی آن را و نه در عقبی، تا به خداوند پاک رسی. ﴿وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ﴾^۳.

سرّ این سخن آن است که «بویکر زقاق»^۴ گفت: «نقصان کلّ مخلصٍ فی إخلاصه رؤیة إخلاصه، فإذا أراد الله أن یخلص إخلاصه أسقط عن إخلاصه رؤیة لا إخلاصه فیکون مخلصاً لا مخلصاً».

می گوید: اخلاص تو آنگه خالص باشد که از دیدن تو پاک باشد، و بدانی که آن اخلاص نه در دست تو است و نه بقوّت و داشت تو است، بلکه سرّی است ربّانی و نهادی است سبحانی، کس را بر آن اطلاع نه، و غیرری را بر آن راه نه.

احدیّت می گوید: «سرّ من سرّی استودعته قلب من أحببت من عبادی» گفت: بنده را برگزینم و به دوستی خود ببینم، آنگه در سویداء دلش آن ودیعت خود بنهم، نه شیطان

۱. البقرة (۲): ۱۱۲.

۲. ص (۳۸): ۴۶.

۳. ص (۳۸): ۲۵. العمل عمل المخلصین، و الدولة دولة الصادقین، و السیرة سیرة المطهّرين. و النقد هو ما كان فی أیدیهم. و هم اليوم على أریكة الخدمة یعلوهم نور المعرفة، و غدأ على أریكة الصحبة منتمین بسرور الوصل ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ أي: طهّرناهم و أخرجنا لهم من یوتفه الاختبار الخالص؟ کي يتأهلوا للمثول أمام الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ﴾؛ إذ لا یلیق بساحة الطهارة إلا من كان طاهراً فی قوله و عمله. و یطهره بذلك العمل الطاهر الطیب فلا تجده فی هذه الدنيا و لا فی دار العقبی، حتّی یصل إلى ساحة قدس طهارته جلّ جلاله ﴿وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ﴾.

۴. هو من الطبقة الثالثة، و اسمه أحمد بن نصر، هو من مشایخ الصوفیة بمصر، و كان فی طبقة الجنید البغدادی و من أصحابه، و یلقب بالکبیر. أما الزقاق الصغیر فهو بغدادیّ تعلیمد الزقاق الکبیر. راجع: نفحات الأنس، ص ۱۷۶-۱۷۷. و لمّا توفّی الزقاق الکبیر قال الکتانی بشأنه: «انقطعت حجّة الفقراء فی ذهابهم إلى مصر».

بدان راه برد تا تباه کند، نه هوای نفس آن را ببیند تا بگرداند، نه فرشته بدان رسد تا بنویسد.

جنید^۱ از اینجا گفت: «الإخلاص سرّ بين الله و بين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، و لا هوى فيميله.»

ذوالنون مصری^۲ گفت: «کسی که این ودیعت به نزدیک وی نهادند نشان وی آن است که مدح کسان و ذمّ ایشان، پیش وی به یک نرخ باشد، آفرین و نفرین ایشان یک رنگ ببیند، نه از آن شاد شود، نه از این فراهم آید. چنان که مصطفی ﷺ شب قرب و کرامت، همه آفرینش منشور سلطنت او می خواندند، و او به گوشه چشم به هیچ نگرست و می گفت: شما که مقربان حضرتید می گوید: «السلام على النبي الصالح الذي هو خير من في السماء والأرض» و ما منتظریم تا ما را به آستانه جفاء بوجهل باز فرستند تا گوید: ای ساحر، ای کذاب، تا چنانک درّ «خير من في السماء والأرض» خود را بر سنگ نقد زدیم، درّ ساحر و کذاب نیز برزیم، اگر هر دو ما را به یک نرخ نباشد، پس این کلاه دعوی از سر فرونهمیم.

رو که در بند صفاتی عاشق خویشی هنوز

گر بر تو عزّ منبر خوش تر است از ذلّ دار

این چنین کس را مخلص خوانند نه مخلص، چنانک بوبکر زقاق گفت: «فيكون مخلصاً لا مخلصاً» مخلص در دریای خطر در غرقاب است، نهنگان جان ربای در چپ و راست وی درآمده، دریا می برد و می ترسد، تا خود به ساحل امن چون رسد و کسی رسد. از اینجا است که بزرگان سلف گفتند: «و المخلصون في خطر عظيم» و مخلص آن

۱. هو أبو القاسم سعيد بن محمد بن الجنيد الفواربري البغدادي، ملقب بسلطان الطائفة الصوفية، كان شيخ وقته و فريد عصره في الزهد و التصوّف، مات ببغداد سنة (۲۹۷ هـ).

۲. اسمهُ ثوبان بن إبراهيم. كان أبوه نوبياً من موالی قریش. هو من الطبقة الأولى من مشايخ الصوفية بمصر، توفي سنة (۲۴۵ هـ).

است که به ساحل امن رسید.^۱

رَبِّ الْعَالَمِينَ، موسی را به هر دو حالت نشان کرد، گفت: «إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا»^۲ هم مخلصاً - به کسر لام - و هم مخلصاً - به فتح لام - خوانده اند.^۳

اگر به کسر خوانی بدایت کار اوست، و اگر به فتح خوانی نهایت کار اوست. مخلص آنگاه بود که کار نبوت وی در پیوست، و نواخت احدیت به وی روی نهاد، و مخلص آنگاه شد که کار نبوت بالا گرفت. و به حضرت عزت بستاخ^۴ شد. این خود حال کسی است که از اول او را روش بود و زان پس به کشش حق رسد، و شتان بینه و بین نبینا محمد ﷺ چند که فرق است میان موسی و میان مصطفی ﷺ که پیش از دور گیل آدم به کمند کشش حق معتصم گشت، چنانک گفت: «كنت نبياً و آدم مجبول في طينته».

شبلی^۵ از اینجا گفت: در قیامت هر کسی را خصمی خواهد بود، و خصم آدم منم که

۱. «علاقة من أودعته هذه الوردية (السز الإلهي) أن يتساوى عنده مدح الآخرين وذمهم. و يرى الدعاء له و عليه سبب لا يسره ذلك و لا يحزنه هذا». كما كان النبي المصطفى ﷺ ليلة القرب و الكرامة، إذ تغنى عالم الخليفة كله بميثاق مكنته، و هو ﷺ ينظر بطرف خفي، و يقول: أنتم أيها المقربون، تقولون: «السلام على النبي الصالح الذي هو خير من في السماء و الأرض». و أنا أنتظر الأشخاص إلى بؤابة جفاء أبي جهل، كي يقول لي: أيها الساحر، أيها الكذاب. حتى إذا اخترنا در «خير من في السماء و الأرض» بمسبار النقد، تُوجنا بدرة «الساحر الكذاب». فإذا لم يتكافأ عندنا الأمران معاً، رفعنا قبعة الدعوى هذه من رؤوسنا. اذهب فإنك في قيد النعوت ما قبئت لعشق نفسك. و إن كان عز المنبر أحلى لك من ذل الأعداء و من كان كذلك فهو «مخلص» لا «مخلص»، كما قال أبو بكر الزقاق «فيكون مخلصاً لا مخلصاً».

و المخلص غريق في بحر الأخطار، و قد حاقت به الحيتان المرعبة من كل جانب، و هو يشق عباب البحر خائفاً حتى يصل إلى ساحل الأمن، و كيف يصل؟ و متى يصل؟ من هنا قال أكابر السلف: «و المخلصون في خطر عظيم». أمّا «المخلص» فهو الواصل إلى مرفأ الأمن.

۲. مريم (۱۹): ۵۱.

۳. قرأ أهل الكوفة بفتح اللام، و الباقون بالكسر. و الأولى هي المشهورة المعهودة لدى المسلمين، و الاستدلال في العتن بكلتا القراءتين، مبنية على حججة القراءات أجمع، حتى مع التعارض، قياساً على مختلف الروايات. لكننا لا نقول بذلك حتى في متعارض الروايات فضلاً عن القراءات، و أنّ الحجّة واحدة، و هي قراءة حفص و من تبعه من الكوفيّين. راجع: الشهيد، ج ۲، ص ۱۶۱-۱۶۶ (مباحث القراءات).

۴. «بُستاخ» على وزن بُستان، بمعنى الجري، أي المعارف المقدم. و هو بالفارسية بمعنى «گستاخ».

۵. هو أبو بكر دلف بن جحدر الخراساني البغدادي. تولد في سامراء و نشأ في بغداد. صاحب جنيد و الحلاج و خير النساج. كان من كبار مشايخ الصوفيّة، توفي ببغداد سنة (۳۳۴ هـ). و دفن بمقبرة الخيزران.

بر راه من عقبه کرد تا در گِلزار وی بماندم.

شیخ الاسلام انصاری رحمته الله از اینجا گفت: دانی که محقق کی به حق رسد؟ چون سیل ربوبیت در رسد، و گرد بشریت برخیزد حقیقت بیفزاید، بهانه بکاهد، نه کالبد ماند نه دل، نه جان ماند صافی رسته از آب و گِل، نه نور در خاک آمیخته نه خاک در نور.

خاک با خاک شود، نور با نور. زبان در سر ذکر شود و ذکر در سر مذکور. دل در سر مهر شود و مهر در سر نور. جان در سر عیان شود و عیان از بیان دور. اگر تو را این روز آرزو است از خود برون آی، چنانک مار از پوست، به ترک خود بگویی که نسبت با خود نه نیکو است، همان است که آن جوانمرد گفت:

نیست عشق لایزالی را در آن دل هیچ کار

کو هنوز اندر صفات خویش ماندست استوار

هیچکس را نامده است از دوستان در راه عشق

بی زوال ملک صورت ملک معنی در کنار^۱

۱. إنه تعالى قد وسم نبيّه موسى عليه السلام بكلتا سمتين: ﴿إِنَّهُ كَانَ مَخْلُصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾. قرئت الآية بكسر اللام و بفتحها. إن قرأتها بالكسر، فهو مستهمل أمره. و إن قرأتها بالفتح فهو ختام أمره. لقد كان مخلصاً حين حظي بمقام النبوة و شملته العناية الربانية كان مخلصاً حين بلغت نبوته ذروتها و تشرف و بساحة العزة مقدماً. و هذه هي حالة من انتهى منهج الحق لينال مرتبة الوصل بالحق في نهاية المطاف و شتان ما بين موسى و نبينا المصطفى محمد عليه السلام الذي نال مرتبة الوصل و اعتصم بحبل الحق قبل أن يخلق آدم عليه السلام كما قال عليه السلام: «كنت نبياً و آدم مجبول في طينته». من هنا قال «الشبلي»: لكل امرئ في القيامة خصيم، و خصيمي فيها آدم عليه السلام إذ عرفل طريقي، لأضل رأسي في وخليه.

قال شيخ الإسلام الأنصاري رحمته الله: أو تدري مني يبلغ المحقق الحق؟ ذاك حينما ينحدر سيل الربوبية، ويرتفع غبار البشرية، و تزداد الحقيقة، و تغل الأعداء، فلا الجسم يبقى و لا القلب، و لا الروح الصافية الخالصة من الماء و الطين، و لا النور الممتزج بالتراب، و لا التراب الممتزج بالنور. فالتراب يصير مع التراب، و النور مع النور، و اللسان يصبح ذكراً في الرأس، و الذكر مذكوراً في الرأس. القلب ينطع في الرأس، و الانطباع ينقلع في الرأس نوراً. الروح تتجلى في الرأس، و التجلي بعيد عن البيان. فلو كنت ترجو ذلك اليوم فانخلع من نفسك، كما تنخلع الحية من جلدها، و دع ذاك إذ الانتساب إليها مشين، كما قال الشاعر الشهم:

لا عشتق لله فسي قلب ما انفك حبيس صفاته

لم يبتسر الحظ من ملك المعاني لأحد من العناق بدون زوال ملك الصور

(كشف الاسرار، ج ١، ص ٣٢٧-٣٢٩).

اللغات الغريبة التي جاءت في هذا التفسير

ومن امتيازات هذا التفسير الجليل، استعماله اللغات الفارسية العتيدة، ولكتّها جاءت غريبة في هذا العهد، ممّا ينبؤك عن أدب رفيع وإحاطة واسعة كان يحظى بها المؤلف الكبير. وإليك نماذج منها:

جاء بشأن نبيّ الله موسى عليه السلام ذيل قوله تعالى: «بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ» أنّه كان مخلصاً ومخلصاً، قال: مخلص أنگاه بود که کار نبوت وی در پیوست، و نواخت احدیت به وی روی نهاد، و مخلص آنگاه شد که کار نبوت بالا گرفت، و به حضرت عزت بُستاخ شد.^٢ استعمل ثلاث كلمات هي من صنعة الأديب العتيد: ١- «در پیوست» أي استقام أمر نبوته. ٢- «نواخت احدیت» أي نداء الربوبية. ٣- «بُستاخ شد» أي كملت معرفته.

وقد فسّر «بستاخ» بمعنى «گستاخ» أي الجريء، في حين أنّ هذا المعنى لا يناسب المقام؛ لأنّ فيه شائبة الوقاحة، غير اللاتقة بمقام النبوة. وإنّما المراد هو نفس كمال المعرفة (أشنايي كامل). المعرفة بالأوضاع والأحوال.

وفي تفسير سورة الفاتحة: بنده من مرا به بزرگواری و پاکی بستود، بنده من پشت وامن داد و کار وامن گذاشت، دانست که به سر برنده کار وی ماییم.^٣

«پشت وامن داد» «وا» بمعنى «با» (مع). أي اعتمد ظهره عليّ، وفعل معتمداً عليّ.

«به سر برنده»: پایان رساننده کار وی ماییم. بمعنى: «البالغ أمره».

وفي ص ٥: استعمل «شکافته» بمعنى «المشتق».

و ص ١١: «پیوسیدن» بمعنى «امید داشتن»: «به هرچه پیوسند رسند». بمعنى «الرجاء»

و ص ١٧: «فرا» بمعنى «به»: «در خیر است که مصطفی فرا ابن عباس گفت». بمعنى «قال

١. البقرة (٢): ١١٢.

٢. إنّما المخلص من استقام أمر نبوته، و بلّغه نداء الربوبية، و المخلص من ارتقت درجة نبوته و كملت معرفته (كشف الأسرار، ج ١، ص ٣٢٩).

٣. عبدي مجّدني و نرّه مقامي. عبدي اعتمد عليّ و كل أمره إليّ، و علم أنّي بالغ به أمره.

له».

و ص ٩٦: «غاز» به معنى «البناء». قال في ترجمة ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾^١: «وَأَسْمَانٌ غَازِيٌّ بِرِدَاشْتِه». وقال في ترجمة ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾^٢ - ص ١٠١-: «غاز آن بالا داد».

و ص ١٢٣: «وازاوشيد» في ترجمة ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

و ص ٢٢٠: «كيان»: بوزينگان: قردة، في ترجمة ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^٣.

و ص ٢٩٦: «گوشوانان»: نگهبانان: حرسه.

و في ص ٥٧٥: «خُنور»: الوعاء.

و اللغات من هذا القبيل كثيرة في هذا التفسير.

* * *

و الأبدع: أنه ركب كلمات تركيبات أدبية، مما جعلها تفيد معاني جديدة ابتدعها مفسرنا العظيم. من ذلك ما جاء في (ج ١، ص ١١): «پس آورد»: عاقبة الأمر.

و في ص ٢٦: «باز بريدن»: الاعتزال.

و في ص ٩٦: «ارپس» في ترجمة «فإن».

و في ص ١٠٦: «هامسانی»: همانندی: مثل.

و في ص ٣٢١: «برآمد نگاه آفتاب»: المشرق. «فروشد نگاه آفتاب»: المغرب.

و في ص ٣٥٥: «فرانیاوم» في ترجمة: ﴿وَمِمَّا أَضْطَرُّهُ﴾^٤.

و في ص ٥٨٩: «بازکاود»: فريضه گزارد: صَلَّى الصلاة الفريضة.

٥. تفسير الخواجا عبد الله الأنصاري

قد اسبقنا أن تفسير الميبدي كشف الأسرار و عدة الأبرار وضع على أساس تفسير الخواجا عبد الله الأنصاري الذي كان مختصراً ففصله و زاد عليه.

١. النازعات (٧٩): ٢٨.

١. البقرة (٢): ٢٢.

٤. البقرة (٢): ١٢٦.

٣. البقرة (٢): ٦٥.

ثمّ جاء الأستاذ حبيب الله (آموزگار) ليلخّص بدوره هذا التفسير الكبير و يستخلص فيما حسب التفسير الأصل الذي صنعه الخواجا، و ذلك في سنة (١٣٨٥ هـ.ق. = ١٣٤٤ هـ.ش.) و تمّ له ذلك خلال ثلاث سنوات، و أسماء تفسير أدبيّ و عرفانيّ خواجه عبد الله أنصاريّ و طبع في جزئين، في مجلّد واحد ضخّم، الطبعة الأولى سنة (١٣٤٧ هـ.ش.)، و الطبعة الثانية سنة (١٣٥٣ هـ.ش.) في طهران.

٦. تفسير ابن عربيّ

هو أبو بكر محي الدين محمد بن عليّ بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتميّ الطائفيّ الأندلسيّ، المعروف بابن عربيّ - بدون أداة التعريف - فرقاً بينه و بين القاضي أبي بكر ابن العربيّ صاحب كتاب أحكام القرآن. و هذا الفرق من اصطلاح المشاركة، أمّا أهل المغرب فيأتون باللام في كلا الموردين.

ولد بمرسيّة سنة (٥٦٠ هـ.) ثمّ انتقل إلى إشبيلية سنة (٥٦٨ هـ.) و بقي بها نحواً من (٣٠) سنة تلقّى فيها العلم على كثير من الشيوخ حتّى بزغ نجمه و علا ذكره. و في سنة (٥٩٨ هـ.) نرح إلى المشرق و طوّف في كثير من البلاد، فدخل الشام و مصر و الموصل و آسيا الصغرى و مكّة، و أخيراً ألقى عصاه و استقره النوويّ في دمشق، توفيّ بها سنة (٦٣٨ هـ.).

كان ابن عربيّ شيخ المتصوّفة في وقته، و كان له أتباع و مريدون مُعجّبين به إلى حدّ كبير، حتّى لقبوه بالشيخ الأكبر و العارف بالله، كما كان له أعداء يتعمون عليه و يرفضون طريقته و يرمونه بالكفر و الزندقة، لما كان يصدر عنه من المقالات الموهمة، التي تحمل في ظاهرها معاني الكفر و الإلحاد.

و كان إلى جنب تصوّفه بارعاً في كثير من العلوم، فكان عارفاً بالآثار و السنن، و كان شاعراً أديباً؛ و لذلك كان يكتب الإنشاء لبعض ملوك الغرب.

و تلك مؤلفاته الكثيرة تدلّ على سعة باعه و وفرة أطلّاعه و تبخّره في العلوم الظاهرة و الباطنة، و كانت له حدّة في النظر و دقّة في الاستنباط، و لكن في الأكثر على مشربه

الصوفي الباطني، و من ثمّ كانت له شطحات ملأ بها كتبه ومصنّفاته.

هل لابن عربيّ من تفسير؟

كانت له في التفسير والحديث نظرات، وله فيها مقالات ضمن كتبه ولا سيّما الفتوحات المكيّة والفصوص وغيرهما من أمّهات كتبه. ولكن هل كان قد آلف كتاباً في التفسير يخصّه؟

يبدو من مواضع من كتبه ولا سيّما الفتوحات، أنّ له تأليفاً في التفسير، ففي الجزء الأوّل من الفتوحات (ص ٥٩) عند الكلام على حروف المعجم في أوائل سور القرآن، يقول: «ذكرناه في كتاب الجمع والتفصيل في معرفة معاني التنزيل».

وفي (ص ٦٣) يقول: «وقد أشبعنا القول في هذا الفصل عند ما تكلمنا على قوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾^١ في كتاب الجمع والتفصيل».

وفي (ص ٧٧) عند كلامه على حروف المعجم، يقول: «من أراد التشقيّ منها فليطالع تفسير القرآن الذي سمّيناه الجمع والتفصيل».

ويقول عن كتاب آخر في التفسير أسماه إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن في الجزء الثالث من الفتوحات (ص ٦٤) عند الكلام عن «علم الإصرار»: «قد بيّناه في كتاب إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن في قوله تعالى في آل عمران: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾^٢ فانظره هناك».

وهذا التفسير قد وجد منه جزء يسير من أوّله إلى الآية ٢٥٣ من سورة البقرة، وعليه في الخاتمة توشيح المؤلف هكذا:

«انتهى الجزء الثامن من إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن ويتلوه في التاسع قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾^٣. وهذا الأصل بخطّ يدي من غير مسوّدّة،

١. آل عمران (٣): ١٣٥.

٢. طه (٢٠): ١٢.

٣. البقرة (٢): ٢٥٣.

و كتب محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عربي الحاتمي الطائي، المترجم يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة، سنة إحدى و عشرين و ست مائة، و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد خاتم النبيين، و على آله أجمعين أمين»^١.

و قد طبع على هامش رحمة من الرحمان من كلام ابن عربي (الجزء الأول من ص ٧ إلى ص ٣٧٨).

و له أيضاً إشارة، إلى تفسيرين، أحدهما بعنوان التفسير الكبير حيث يقول في الجزء الرابع من الفتوحات (ص ١٩٤):

«اعلم أن كل ذكر ينتج خلاف المفهوم الأول منه، فإنه يدل ما ينتجه على حال الذاكر، كما شرطناه في التفسير الكبير لنا».

و الثاني بعنوان التفسير أو تفسير القرآن كما جاء في الجزء الأول من الفتوحات (ص ٨٦) و (ص ١١٤) و الجزء الثالث (ص ٦٤).

و هل هما نفس التفسيرين الآنف ذكرهما، أم غيرهما، غير واضح. غير أن الذي يستفاد من مجموع كلماته، أن له في التفسير تأليفاً باستقلاله، و قد ضاع مع الأسف سوى النزر اليسير حسبما ذكرنا.

تفاسير منسوبة إلى ابن عربي

نعم، هناك تفاسير تحمل اسم ابن عربي:

١. إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن، و هو في كمال الإيجاز و الاختصار، و قد طبع جزء يسير منه على هامش رحمة من الرحمان على ما أسلفنا.

٢. رحمة من الرحمان في تفسير و إشارات القرآن، من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي. جمع و تأليف محمود محمود الغراب، من علماء دمشق المعاصرين.

و هو تفسير غير شامل، التقطه المؤلف من كلام ابن عربي ضمن تأليفاته، و لا سيما

الفتوحات حيثما تكلم عن تفسير آية أو إشارة إلى معنى من معاني القرآن، و من ثم لم يستوعب جميع آي القرآن.

و قد قام المؤلف بهذا الجمع خلال خمسة و عشرين عاماً، قال: و لمحاولة الوقوف على فهم الشيخ الأكبر للقرآن الكريم، قمت بالعمل أكثر من خمس و عشرين سنة، في جمع و تصنيف و ترتيب ما كتبه الشيخ الأكبر، في كتبه التي بين أيدينا، ممّا يصلح أن يكون تفسيراً لبعض آيات القرآن، سواء من الناحية الظاهرة على نسق التفاسير الأخرى من الأحكام الشرعية و المعاني العربية، أو ما يصلح أن يكون تفسيراً صوفياً لبعض آيات القرآن، و هو ما يسمّى بالاعتبار و الإشارة في التوحيد و السلوك، و سمّيته «رحمة من الرحمان في تفسير و إشارات القرآن» تمشياً مع عقيدة الشيخ الأكبر في شمول الرحمة و عدم سرمدة العذاب^١.

و طبع هذا الأثر في أربع مجلّدات، في دمشق سنة (١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م).

٣. تفسير القرآن الكريم في مجلّدين اشتهرت نسبته إلى ابن عربيّ، و قد راج ذلك منذ زمن سحيق، و هو موضوع على مذاق الصوفية في التفسير الباطنيّ المحض. و فيه بعض الشطحات ممّا أثار الريب في نسبته إلى الشيخ، و زعموا أنّه من صنع الشيخ كمال الدين أبي الغنائم المولى عبد الرزّاق الكاشي السمرقندي المتوفّي سنة (٧٣٠ هـ).

قال الشيخ محمّد عبده: من التفسير الإشاريّ ما ينسبونه للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربيّ، و إنّما هو للقاشانيّ الباطنيّ الشهير، و فيه من النزعات ما يتبرأ منه دين الله و كتابه العزيز^٢.

و أمّا الحاجّي خليفة - صاحب كشف الظنون - فقد نسبه رأساً إلى القاشانيّ من غير ترديد، قال: كتاب تأويلات القرآن المعروف بتأويلات القاشانيّ، هو تفسير بالتأويل على اصطلاح أهل التصوّف، للشيخ كمال الدين أبي الغنائم عبد الرزّاق بن جمال الدين

١. راجع: رحمة من الرحمان في تفسير و إشارات القرآن (المقدمة)، ص ٥.

٢. المناهج، ج ١، ص ١٨.

الكاشي السمرقندي، أوله: «الحمد لله الذي جعل مناظم كلامه مظاهر حسن صفائه»^١. وهذه العبارة هي المبدوء بها في التفسير المذكور.

والنسخة التي كانت عند حاجي خليفة، كانت إلى سورة «ص». و توجد نسخ كاملة في سائر المكتبات، منها نسخة كاملة بالمكتبة السليمانية بتركيا تحت رقم (١٧-١٨) وتحمل خاتم عبد الرزاق الكاشاني^٢.

ويتأيد نسبة الكتاب إلى القاشاني بما جاء في تفسير سورة «القصص» عند الآية رقم ٣٢: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾، قوله: «وقد سمعت شيخنا المولى نور الدين عبد الصمد^٣ في شهود الوحدة و مقام الفناء عن أبيه، أنه كان بعض الفقراء في خدمة الشيخ الكبير شهاب الدين السهروردي^٤.

و نور الدين هذا هو: نور الدين عبد الصمد بن علي النطنزي الأصفهاني، و المتوفى في أواخر القرن السابع، و كان شيخاً لعبد الرزاق القاشاني، المتوفى سنة (٧٣٠ هـ). و غير معقول أن يكون نور الدين هذا شيخاً لابن عربي المتوفى سنة (٦٣٨ هـ).^٥

التعريف بهذا التفسير

قد أتى المؤلف فيه بالتفسير الرمزي الإشاري على طريقة الصوفية العرفانية و غالبه يقوم على أساس وحدة الوجود، ذلك المذهب الذي كان له أثره السيئ في تفسير كلام الله، و الذي دعا بالقائلين أنه من صنع ابن عربي؛ حيث مذهبه في وحدة الوجود مشهور.

و هو تفسير مغلق العبارة، لا يفهم معناها، كما لا يوجد لها من سياق الآية أو فحواها ما يدل عليها، و لو أن المؤلف كان واضحاً في كلامه، أو كان جمع بين التفسير الظاهر و التفسير الباطن كما فعله المبيدي لهان الأمر، و لكنّه لم يفعل شيئاً من ذلك، ممّا جعل الكتاب مغلقاً، كأكثر مواضع كتب ابن عربي و لا سيما كتابه الفتوحات و من ثمّ كان دليلاً

٢. رحمة من الرحمان (المقدمة)، ج ١، ص ٤.

١. كشف الظنون، ج ١، ص ١٨٧.

٣. التفسير المنسوب إلى ابن عربي، ج ٢، ص ٢٢٨.

٤. راجع: التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٣٦-٤٣٨ (ط بيروت).

آخر على احتمال صحّة نسبته إليه. فهو في سورة آل عمران ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا
سُبْحَانَكَ قِنَّا عَذَابَ النَّارِ﴾^١، يقول: ربنا ما خلقت هذا الخلق باطلاً أي شيئاً غيرك، فإنّ
غير الحقّ هو الباطل، بل جعلته أسماءك ومظاهر صفاتك، سبحانه، ننزهك أن يوجد
غيرك، أي يقارن شيء فردانيتك، أو يثنى وحدانيتك. فقنا عذاب نار الاحتجاب، بالأكوان
عن أفعالك، وبالأفعال عن صفاتك، وبالصفات عن ذاتك، وقاية مطلقة تامّة كافية^٢.

وفي سورة الواقعة ﴿وَمَنْ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾^٣ يقول: نحن خلقناكم بإظهاركم
بوجودنا وظهورنا في صوركم^٤.

وفي سورة الحديد ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَا كُنْتُمْ﴾^٥ يقول: وهو معكم أينما كنتم لوجودكم به،
وظهوره في مظاهرهم^٦.

وفي سورة المجادلة ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ﴾^٧ يقول: لا بالعدد
والمقارنة، بل بامتيازهم عنه بتعيّناتهم، واحتجابهم عنه بماهيّاتهم وإتيّاتهم، وافتراقهم
منه بالإمكان اللازم لماهيّاتهم وهويّاتهم، وتحقّقهم بوجوده اللازم لذاته، واتّصاله بهم
بهويّته المندرجة في هويّاتهم، وظهوره في مظاهرهم، وتستره بماهيّاتهم، ووجوداتهم
المشخّصة، وإقامتها بعين وجوده، وإيجابهم بوجوده. فهذه الاعتبارات هو رابع معهم،
ولو اعتبرت الحقيقة لكان عينهم؛ ولهذا قيل: «لولا الاعتبارات لارتفعت الحكمة»، وقال
أمير المؤمنين (عليه السلام): «العلم نقطة كثّرها الجاهلون»^٨.

وفي سورة المزمل ﴿وَإِذْ كُنَّا نَسْتَدْعُرُ بِرَبِّكَ وَتَبَلَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِلًا رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾^٩ يقول: واذكر اسم ربك الذي هو أنت، أي اعرف نفسك، واذكرها،
ولا تنسها، فينسأك الله، واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها.

١. تفسير ابن عربي، ج ١، ص ٢٤١-٢٤٢.

٢. تفسير ابن عربي، ج ٢، ص ٥٩٣.

٣. تفسير ابن عربي، ج ٢، ص ٥٩٩.

٤. تفسير ابن عربي، ج ٢، ص ٦١٢.

١. آل عمران (٣): ١٩١.

٢. الواقعة (٥٦): ٥٧.

٣. الحديد (٥٧): ٤.

٤. المجادلة (٥٨): ٧.

٥. المزمل (٧٣): ٨ و ٩.

ربّ المشرق و المغرب، أي الذي ظهر عليك نوره، فطلع من أفق وجودك بإيجادك، و المغرب الذي اختفى بوجودك، و غرب نوره فيك، و احتجب بك^١.

تلك نماذج تكشف لك عن واقع هذا التفسير، و أنه يقوم على مذهب صاحبه في القول بوحدة الوجود، الأمر الذي يلتزم و إمكان نسبته إلى ابن عربيّ القائل بذلك، فليس غريباً منه أن يقوم بتأليف تفسير يعتمد على مذهبه الخاصّ. فلا موضع لما استغربه أمثال الشيخ محمّد عبده، و أنّ النزعات أو الشطحات التي تشاهد في هذا التفسير، ليست شيئاً غريباً عن روح ابن عربيّ و مذهبه في وحدة الوجود.

* * *

و يقوم مذهب ابن عربيّ في التفسير - في سائر مؤلفاته - غالباً على نظريّة «وحدة الوجود» التي يدين بها، و على الفيوضات و الوجدانيات التي تهلّل عليه من سحائب الغيب الإلهي، و تنقذ في قلبه من ناحية الإشراق الرباني، فنراه في كثير من الأحيان يتعسف في التأويل، ليجعل الآية تتمسّى مع هذه النظرية، فهو يبذل فيما أراد الله من آياته و يفسرها على أن تتضمن مذهبه و تكون أسانيد له، الأمر الذي ليس من شأن المفسّر المنصف المخلص لله عمله؛ إذ يجب على المفسّر المخلص أن يبحث في القرآن بحثاً مجرداً عن الهوى و العقيدة، ممّا قلّ ما يوجد في أهل التصوّف و العرفان.

هذا و قد بالغ ابن عربيّ في دعواه الإشراقات الربانيّة المنهّلة على قلبه، و يدعي أن كلّ ما يجري على لسان أهل الحقيقة - و يعني بهم الصوفيّة بالذات - من المعاني الإشاريّة في القرآن هو في الحقيقة تفسير و شرح لمراد الله، و أنّ أهل الله - و يعني بهم الصوفيّة - أحقّ الناس بشرح كتابه؛ لأنّهم يتلقون علومهم عن الله مباشرة، فهم يقولون في القرآن على بصيرة، أمّا أهل الظاهر فيقولون بالظنّ و التخمين، و فضلاً عن ذلك إنّه يرى أنّ تفاسير أهل الحقيقة لا يعترها شكّ، و أنّها صدق و حقّ على غرار القرآن الكريم، فإذا كان القرآن

الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه؛ لأنه من عند الله، فكذلك أقوال أهل الحقيقة في التفسير، لا يأتيها الباطل من بين يديها و لا من خلفها؛ لأنها منزلة من عند الله. يقرّر ابن عربيّ كلّ هذه المبادئ و يصرّح بها في فتوحاته.

يقول: «و ما خلق الله أشقّ و لا أشدّ من علماء الرسوم على أهل الله المختصّين بخدمته، العارفين به من طريق الوهب الإلهيّ، الذين منحهم أسرارهم في خلقه، و فهمهم معاني كتابه و إشارات خطابه، فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل ﷺ، و لما كان الأمر في الوجود الواقع على ما سبق به العلم القديم - كما ذكرنا - عدل أصحابنا إلى الإشارات كما عدلت مريم ﷺ من أجل أهل الإفك و الإلحاد إلى الإشارة. فكلامهم ﷺ في شرح كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، إشارات، و إن كان ذلك حقيقة و تفسيراً لمعانيه النافعة، ورد ذلك كلّ إلى أنفسهم مع تقريرهم إيّاه في العموم و فيما نزل فيه. كما يعلمه أهل اللسان الذين نزل ذلك الكتاب بلسانهم، فعمّ به سبحانه عندهم الوجهين، كما قال تعالى: ﴿سُنُّهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾^١، يعني الآيات المنزلة في الآفاق و في أنفسهم، فكلّ آية منزلة لها وجهان: وجه يروونه في نفوسهم، و وجه آخر يروونه فيما خرج عنهم، فيسمّون ما يروونه في نفوسهم إشارة، ليأنس الفقيه صاحب الرسوم إلى ذلك، و لا يقولون في ذلك إنّه تفسير، و قاية لشّرهم و تشنيعهم في ذلك بالكفر عليه؛ و ذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحقّ، و اقتدوا في ذلك بسنن الهدى، فإنّ الله كان قادراً على تنصيب ما تأوّل أهل الله في كتابه، و مع ذلك فما فعل، بل أدرج في تلك الكلمات الإلهية التي نزلت بلسان العامة، علوم معاني الاختصاص التي فهمها عباده حين فتح لهم فيها بعين الفهم الذي رزقهم^٢.

و تفاسيره بهذا النمط كثيرة و منبّئة في كتبه لا سيّما في «الفتوحات». خذ لذلك مثلاً ما ذكره بشأن قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^٣ بما لا يرجع إلى محصّل.

٢. راجع: الفتوحات المكيّة، ج ١، ص ٢٧٩.

١. فضلت (٤١): ٥٣.

٣. القلم (٦٨): ١.

قال في الباب السّتين الذي وضعه لمعرفة العناصر و سلطان العالم العلويّ على العالم السفليّ:

«اعلم أنّ الله تعالى لما تسمّى بالملك ربّ العالم ترتيب المملكة، فجعل له خواصاً من عبادته، و هم الملائكة المهيمنة جلساء الحقّ تعالى بالذكر لا يستكبرون عن عبادته و لا يستحسرون، يسبحون الليل و النهار لا يفترون. ثمّ اتّخذ حاجباً من الكروبيين واحداً أعطاه علمه في خلقه، و هو علم مفصل في إجمال، فعلمه سبحانه كان فيه مجلّي له، و سمّى ذلك الملك «نوناً» فلا يزال معتكفاً في حضرة علمه ﷻ و هو رأس الديوان الإلهي، و الحقّ من كونه عليمًا لا يحتجب عنه. ثمّ عيّن من ملائكته ملكاً آخر دونه في المرتبة سمّاه «القلم» و جعل منزلته دون منزلة «النون» و اتّخذها كاتباً، فعلمه الله سبحانه من علمه ما شاءه في خلقه بوساطة «النون»، و لكن من العلم الإجمالي، و ممّا يحوي عليه العلم الإجماليّ علم التفصيل، و هو من بعض علوم الإجمال؛ لأنّ العلوم لها مراتب، من جملتها علم التفصيل. فما عند القلم الإلهي من مراتب العلوم المجملّة إلّا علم التفصيل مطلقاً، و بعض العلوم المفصّلة لا غير، و اتّخذ هذا الملك كاتب ديوانه و تجلّى له من اسمه القادر، فأمدّه من هذا التجلّي الإلهي، و جعل نظره إلى جهة عالم التدوين و التسطير، فخلق له لوحاً و أمره أن يكتب فيه جميع ما شاء سبحانه أن يجريه في خلقه إلى يوم القيامة خاصّة، و أنزله منزلة التلميذ من الأستاذ، فتوجّهت عليه هنا الإرادة الإلهية، فخصّصت له هذا القدر من العلوم المفصّلة، و له تجلّيات من الحقّ بلا واسطة. و ليس للنون سوى تجلٍّ واحد في مقام أشرف، فإنّه لا يدلّ تعدّد التجلّيات و لا كثرتها على الأشرفيّة، و إنّما الأشرف من له المقام الأعمّ. فأمر الله النون أن يمدّ القلم بثلاث مائة و ستين علماً من علوم الإجمال، تحت كلّ علم تفاصيل، و لكن معيّنة منحصرة لم يعطه غيرها، يتضمّن كلّ علم إجماليّ من تلك العلوم ثلاث مائة و ستين علماً من علوم التفصيل، فإذا ضربت ثلاث مائة و ستين في مثلها، فما خرج لك فهو مقدار علم الله تعالى في خلقه إلى يوم القيامة خاصّة، ليس عند اللوح من العلم الذي كتبه فيه هذا القلم أكثر من

هذا، لا يزيد ولا ينقص، ولهذه الحقيقة الإلهية جعل الله الفلك الأقصى ثلاث مائة وستين درجة، وكلّ درجة مجملة لما تحوي عليه من تفصيل الدقائق والنواني والثالث إلى ما شاء الله سبحانه، ممّا يظهره في خلقه إلى يوم القيامة، وسُمّي هذا القلم الكاتب.

ثمّ إنّ الله سبحانه وتعالى أمر أن يُولّى على عالم الخلق اثنا عشر والياً، يكون مقرّهم في الفلك الأقصى ممّا في بروج، فقسم الفلك الأقصى اثني عشر قسماً، جعل كلّ قسم برجاً لسكنى هؤلاء الولاة، مثل أبراج سور المدينة، فأنزلهم الله إليها فنزلوا فيها، كلّ والٍ على تخت في برجه، ورفع الله الحجاب الذي بينهم وبين اللوح المحفوظ، فرأوا فيه مُسطراً أسماؤهم ومراتبهم وما شاء الحقّ أن يجريه على أيديهم في عالم الخلق إلى يوم القيامة، فارتقم ذلك كلّه في نفوسهم وعلموه علماً محفوظاً لا يتبدّل ولا يتغيّر^١.

وقال في الباب الثاني الذي وضعه لمعرفة مراتب الحروف - الفصل الأول -:

«ثمّ إنّّه في نفس النون الرقيّة (ن) التي هي شطر الفلك من العجائب ما لا يقدر على سماعها إلّا من شدّ عليه مئزر التسليم، وتحقّق بروح الموت الذي لا يتصوّر ممّن قام به اعتراض ولا تطّلع، وكذلك في نفس نقطة النون أوّل دلالة النون الروحانية المعقولة فوق شكل النون السفليّة، التي هي النصف من الدائرة، والنقطة الموصولة بالنون المرقومة الموضوعة، أوّل الشكل، التي هي مركز الألف المعقولة، التي بها يتميّز قطر الدائرة، والنقطة الأخيرة التي ينقطع بها شكل النون، وينتهي بها هي رأس هذا الألف المعقولة المتوهّمة، فتقدر قيامها من رقدتها فترتكز لك على النون، فيظهر من ذلك حرف اللام، والنون نصفها زاء مع وجود الألف المذكورة، فتكون النون بهذا الاعتبار تعطيك الأزل الإنساني، كما أعطاك الألف والزاء واللام في الحقّ. غير أنّه في الحقّ ظاهر؛ لأنّه بذاته أزليّ لا أوّل له، ولا مفتتح لوجوده في ذاته، بل اريب ولا شكّ.

ولبعض المحقّقين كلام في الانسان الأزليّ، فنسب الانسان إلى الأزل، فالإنسان خفي

فيه الأزل فجُهِل؛ لأنَّ الأزل ليس ظاهراً في ذاته، وإنما صحَّ فيه الأزل لوجه ما من وجوه وجوده، منها أنَّ الموجود يُطلق عليه الوجود في أربع مراتب: وجود في الذهن، ووجود في العين، ووجود في اللفظ، ووجود في الرقم. فمن جهة وجوده على صورته التي وجد عليها في عينه، في العلم القديم الأزلي المتعلِّق به في حال ثبوته، فهو موجود أزلاً أيضاً، كأنَّه بعناية العلم المتعلِّق به، كالتحيزِّ للعرض بسبب قيامه بالجواهر، فصار متحيزاً بالتبعية، فلهذا خفي فيه الأزل، و لحقائقه أيضاً الأزلية المجردة عن الصورة المعيّنة المعقولة التي تقبل القدم والحدوث»^١.

وقال في الباب (٣٥١) في معرفة اشتراك النفوس والأرواح:

«القلم واللوح أول عالم التدوين والتسطير، و حقيقتهما ساريتان في جميع الموجودات علواً وسفلاً ومعنىً وحساً، وبهما حفظ الله العلم على العالم، ولهذا ورد في الخبر عنه عليه السلام: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ». ومن هنا كتب الله التوراة بيده، ومن هذه الحضرة اتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و جميع الرسل عليهم السلام كتاب الوحي، وقال: «كِرَاماً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَعْلَمُونَ...»^٢، وقال: «مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا»^٣، وقال: «وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ»^٤.

وقال: «فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ»^٥، وقال: «فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ»^٦، وقال: «وَرَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ...»^٧ والكاتب: الضم، ومنه سميت الكتيبة كتيبة، لانضمام الأجناد بعضهم إلى بعض. و بانضمام الزوجين وقع النكاح في المعاني والأجسام، فظهرت النتائج في الأعيان، فمن حفظ عليها هذا الضم الخاص أفادته علوماً لم تكن عنده، ومن لم يحفظ هذا الضم الخاص المفيد علم لم يحصل على طائل، وكان

١. المصدر نفسه، ص ٥٣-٥٤.

٢. الانفطار (٨٢): ١١-١٢.

٣. يس (٣٦): ١٢.

٤. عبس (٨٠): ١٣-١٥.

٥. الكهف (١٨): ٤٩.

٦. الواقعة (٥٦): ٧٨.

٧. يس (٣٦): ١٢.

كلامه غير مفيد»^١.

وقال في ديوانه أبياتاً بشأن النون والقلم نذكر منها:

إذا جاء بالإجمال نونُ فإنّه يفصله العلام بالقلم الأعلى
فيلقيه في اللوح الحفيظ مفضلاً حروفاً وأشكالاً وآياته تُتلى
وما فصل الإجمال منه بعلمه وما كان إلا كاتباً حينما يُتلى
عليه الذي ألقاه فيه مسطرٌ تُبلى به أكوانه وهو لا يُبلى
هو العقل حقاً حين يعقل ذاته له الكشف والتحقيق بالمشهد الأعلى^٢
وأشنع تفسير رأيته في كلامه ما ذكره بشأن إخفائه تعالى أولياءه في صفة أعدائه، فكانوا أولياء في صورة أعداء، وعباداً مخلصين في زيّ عتاة متمرّدين. يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^٣: إيجاز البيان فيه، يا محمّد! إنّ الذين كفروا ستروا محبتهم فيّ، دعهم فسوء عليهم أنذرتهم بوعيدك الذي أرسلتك به أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك، فإنّهم لا يعقلون غيري، وأنت تنذرهم بخلقي وهم ما عقلوه ولا شاهدوه، وكيف يؤمنون بك وقد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعاً لغيري، وعلى سمعهم، فلا يسمعون كلاماً في العالم إلا منّي. وعلى أبصارهم غشاوة، من بهائي عند مشاهدتي فلا يبصرون سواي، ولهم عذاب عظيم عندي أردهم بعد هذا المشهد السنّيّ إلى إنذارك، وأحجبهم عنّي، كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى قريباً، أنزلتك إلى من يكذبك ويردّ ما جئت به إليه منّي في وجهك، وتسمع فيّ ما يضيق له صدرك، فأين ذلك الشرح الذي شاهدته في إسرائك فهكذا أمنائي على خلقي الذين أخفيتهم رضاي عنهم، فلا أسخط عليهم أبداً^٤.

١. الفتوحات المكيّة، ج ٣، ص ٢٢١.

٢. رحمة من الرحمان، ج ٤، ص ٣٦٤ نقلاً عن ديوان ابن عربي، ص ١٦٤.

٣. البقرة (٢): ٧٠-٧٦.

٤. الفتوحات المكيّة، ج ١، ص ١١٥.



و إليك من تفاسير ابن عربيّ معتمدة على نظرية وحدة الوجود، جاءت في سائر كتبه:
قال في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^١: لآئنه لا ينطق إلا عن الله،
بل لا ينطق إلا بالله، بل لا ينطق إلا الله منه، فإنه صورته^٢.

و في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾^٣، يقول: و ادخلي جنّتي التي هي ستري، وليست جنّتي
سواك، فأنت تسترني بذاتك الإنسانية، فلا أعرف إلا بك، كما أنك لا تكون إلا بي، فمن
عرفك عرفني، وأنا لا أعرف فأنت لا تُعرف، فإذا دخلت جنّته دخلت نفسك فتعرف
نفسك معرفة أخرى غير المعرفة التي عرفتها حين عرفت ربّك بمعرفتك إيّاها، فتكون
صاحب معرفتين، معرفةً به من حيث أنت، و معرفة به بك من حيث هو لا من حيث أنت،
فأنت عبد و أنت ربّ لمن له فيه أنت عبد، و أنت ربّ و أنت عبد لمن له في الخطاب عهد^٤.
و في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^٥ يقول: إنّ النفس
لا تزكو إلا برّبها، فيه تُشرف و تُعظم في ذاتها؛ لأنّ الزكاة ربو، فمن كان الحقّ سمعه و بصره
و جميع قواه، و الصورة في الشاهد صورة خلق، فقد زكت نفس من هذا نعته و ربت
و أنبتت من كلّ زوج بهيج، كالأسماء الإلهية لله، و الخلق كلّ بهذا النعت في نفس الأمر،
و لولا أنّه هكذا في نفس الأمر ما صحّ لصورة الخلق ظهور و لا وجود؛ و لذلك خاب من
دسّاه؛ لأنّه جهل ذلك فتخيّل أنّه دسّاه في هذا النعت، و ما علم أنّ هذا النعت لنفسه نعت
ذاتي لا ينفكّ عنه يستحيل زواله، لذلك وصفه بالخيبة؛ حيث لم يعلم هذا؛ و لذلك قال: قد
أفلع، ففرض له البقاء. و البقاء ليس إلاّ لله أو لما كان عند الله، و ما ثمّ إلاّ الله أو ما هو عنده،

٢. الفتوحات المكيّة، ج ٤، ص ١٢٢.

١. النساء (٤): ٨٠.

٣. الفجر (٨٩): ٢٧-٣٠.

٤. فصوص الحكم، ج ١، ص ١٩١-١٩٣ (التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٣٤٢).

٥. الشمس (٩١): ٩-١٠.

فخزائنه غير نافذة، فليس إلا صور تعقب صوراً، والعلم بها يسترسل عليها استرسالاً.



و بعد فإذا كانت النزعات أو الشطحات التي كان الشيخ الأستاذ محمد عبده يستوحشها و يستغرب أن تكون صادرة من مثل ابن عربي، و من ثم استنكر انتساب التفسير إليه، فما هي مثلها أو أشد غرابةً، مبنوثة في كتبه و لا سيما الفتوحات، فأين موضع الاستغراب. و من ثم فالأرجح صحة النسبة و لا سيما مع شهرتها و عدم وجود ما ينافي هذه النسبة، نظراً لشدة المشابهة بين محتويات هذا التفسير و سائر مؤلفات ابن عربي.

و أما ما ذكره الأستاذ الذهبي - لوجه المنافاة - من السماع من نور الدين عبد الصمد النطنزي الأصفهاني المتوفى في أواخر القرن السابع، حيث يصلح أن يكون شيخاً للمولى عبد الرزاق الكاشي المتوفى سنة (٧٣٠هـ) لا لابن عربي المتوفى سنة (٦٣٨هـ). فيمكن توجيهه، بأن الناسخ و هو المولى عبد الرزاق الكاشي زاد هذا الكلام هنا أو جعله على الهامش، ثم أدخل في المتن على يد النساخ المتأخرين، فلا منافاة.

٧. عرائس البيان في حقائق القرآن لأبي محمد الشيرازي

هو أبو محمد روزبهان بن أبي نصر البقلي الشيرازي المتوفى سنة (٦٦٦هـ). هو تفسير إشاري رمزي على الطريقة الصوفية العرفانية، جمع فيه من آراء من تقدمه من أقطاب الصوفية و أهل العرفان، فكان تفسيراً عرفانياً موجزاً، و في نفس الوقت جامعاً و كاملاً في حد ذاته. قال في المقدمة: «ولما وجدت أن كلامه الأزلي لا نهاية له في الظاهر و الباطن، و لم يبلغ أحد إلى كماله و غاية معانيه؛ لأن تحت كل حرف من حروفه بحراً من بحار الأسرار، و نهراً من أنهار الأنوار، فتعرضت أن أعرف من هذه البحور الأزلية غرفات من حكم الأزليات، و الإشارات و الأبديات، ثم أردفت بعد قولي أقوال مشايخي مما عباراتها اللفظ، و إشاراتها أظرف ببركاتهم، و سميت: عرائس البيان في حقائق القرآن».

و هو يجري في تفسيره مع الذوق العرفانيّ المجرد، حتّى نهاية القرآن، و طبع في جزئين يضمّهما مجلّد واحد كبير.

٨. التأويلات النجميّة لنجم الدين داية، و علاء الدولة السمنانيّ

ألّف هذا التفسير نجم الدين داية، و مات قبل أن يتمّه، فأكمّله من بعده علاء الدولة السمنانيّ.

أمّا نجم الدين فهو أبو بكر عبد الله الرازيّ المعروف بداية. توفّي سنة (٦٥٤ هـ). كان من كبار الصوفيّة، و كان مقيماً أوّل أمره بخوارزم، ثمّ خرج منها أيّام هجوم چنگيزخان، إلى بلاد الروم، و يقال: إنّه قتل أثناء تلك الحروب.

و أمّا علاء الدولة فهو أحمد بن محمّد السمنانيّ، توفّي سنة (٧٣٦ هـ). كان أحد الأئمّة المعروفين، و كان ينتقص من ابن عربيّ كثيراً، و كان مليحاً ظريفاً حسن المجلس حسن المناظرة، عزيز الفتوة، كثير البرّ، و له مصنّفات كثيرة ربّما تبلغ الثلاث مائة. كان قد دخل بلاد التتار، ثمّ رجع و سكن تبريز ثمّ بغداد.

يقع هذا التفسير في خمس مجلّدات كبار، و هو تفسير لطيف، وُضع على أسلوب التفسير الإشاريّ، و لكن في ظرافة بالغة و في عبارات شائقة.



و هناك تفاسير ذوات اعتبار، جعلت قسطاً من منهجها للبيان العرفانيّ الإشاريّ للقرآن، و ساروا على منهج الاعتدال في هذا المجال، أمثال النيسابوريّ في تفسيره غرائب القرآن، و المولى محسن الفيض الكاشانيّ في تفسيره الصافي، و السيّد محمود الآلوسيّ البغداديّ في روح المعاني. على ما أسلفنا الكلام عليها، فلا نعيد ذكرها.



التفسير في اتجاهٍ عصريّ

لم يترك الأقدمون لمن تأخّر عنهم كبير جهد في تفسير كتاب الله، والكشف عن معانيه و البلوغ إلى مراميّه، فقد تناولوه من أوّل أمرهم بدراسته التفسيرية التحليلية دراسة توسّعت و اطّردت مع الزمن على تدرّج ملحوظ، و تلوّن بألوان مختلفة حسبما عرفت. ولا شكّ أنّ كلّ ما يتعلّق بالتفسير من الدراسات المختلفة قد وفّاه هؤلاء المفسّرون القدّامى حقّه من البحث و التحقيق، فالنواحي اللغويّة و البلاغيّة و الأدبيّة و النحويّة، وحتّى الفقهيّة و الكلاميّة و الكونيّة الفلسفيّة، كلّ هذه النواحي و غيرها تناولوها بتوسّع ظاهر ملموس، لم يتركوا لمن جاء بعدهم إلى ما قبل عصرنا بقليل من عمل جديد أو أثر مبتكر يقومون به في تفاسيرهم التي دوّنوها، سوى أعمال جانبيّة لا يعدو أن يكون جمعاً لأقوال المتقدّمين، أو شرحاً لغامض آرائهم، أو نقداً أو تفنيداً لما يعتوره الضعف منها، أو ترجيحاً لرأي على رأي؛ ممّا جعل التفسير يقف وقفة طويلة مليئة بالركود، خالية من التجديد و الابتكار.

و لقد ظلّ الأمر على هذا، و بقي التفسير واقفاً عند هذه المرحلة -مرحلة الركود و الجمود- لا يتعدّها، و لا يُحاول التخلّص منها. حتّى جاء عصر النهضة العلميّة الحديثة، فأتّجهت أنظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير إلى أن يتحرّروا من قيد هذا الركود، و يتخلّصوا من نطاق هذا الجمود، فنظروا في كتاب الله نظرة فاحصة من جديد

وإن كان لها اعتماد كبير على ما دونه الأوائل في التفسير أثرت في الاتجاه التفسيري للقرآن تأثيراً ملموساً، ولكنها غيرت من اتجاهاته القديمة، وأبسته ثوباً جديداً لا ينكر؛ إذ عملت في التخلص من كل الاستطرادات التي حُشرت في التفسير حشراً ومُرَجَّت به إلى غير ضرورة لازمة، وثابت على تنقية التفسير من القصص الإسرائيلية التي كادت تذهب بجمال القرآن و جلاله، وتمحيص ما جاء فيه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية على رسول الله ﷺ أو على أصحابه والأئمة من بعده عليهم السلام وإلباس التفسير ثوباً أدبيّاً اجتماعياً، في صياغة جديدة أظهرت روعة القرآن و جمال بهائه، كما كشفت عن كثير من مراميهِ الدقيقة وأهدافه السامية، في تعرفه الإنسان والحياة والسياسة والاجتماع، وهكذا حاولت التوفيق بجدّ بالغ و جهد بين، بين ظواهر القرآن وما جدّ من نظريات علمية صحيحة، على تفاوت بين الموقفين في الغلوّ والاعتدال. كل ذلك من أجل أن يعرف المسلمون و من ورائهم الناس جميعاً أنّ القرآن هو الكتاب الخالد، الذي يتمشي مع الزمان في جميع أطواره و مراحلهِ. ولقد أجادوا وأفادوا في هذا المجال، ولكنهم توسّعا في ذلك، وربما بلغ بعضهم حدّ الإفراط و الغلوّ، بما أخرجهم عن حدّ الاعتدال.

ألوان التفسير في العصر الحديث

كان الجري مع الزمن في التفسير استدعى تنوعه مع تنوع متطلبات العصر و متقلباته، بما نستطيع أن نجمل القول في ألوان التفسير في العصر الحديث في الألوان الأربعة التالية، وهي أهمّها:

أولاً: اللون العلميّ: وهو أوّل الألوان التي ظهرت إلى الوجود، متأثراً بمكتشفات العصر الحديث.

ثانياً: اللون الأدبيّ الاجتماعيّ: وهو ثاني الألوان، المتأثر بالأدب المعاصر، والمظاهر الاجتماعية الحاضرة.

ثالثاً: اللون السياسيّ: وقد ظهر هذا اللون على أثر التشعبات الحزبية السياسية

الحديث في المجتمع الإسلامي.

رابعاً: اللون العقلي: فقد رافقت الألوان المتقدّمة هذا اللون من التفسير العقلي، الذي كان فيه بعض المحاولات لتأويل آيات، كانت بظاها متنافية مع مظاهر العلم أو العقيدة الإلحادية، التي أورتها النهضة الصناعية العلمية، منذ القرن التاسع عشر للميلاد. وإليك بعض الكلام عن اللونين العلمي والأدبي الاجتماعي، فقد ازدهر العصر الحديث بهما، نتيجة الوعي الديني الذي ساد أكثر أبناء هذا العصر. أمّا اللونان الآخريان: السياسي والعقلي، فهما حصيلة أفكار سياسية متطرّفة وأخرى إلحادية كافرة، سيطرت على نفوس ضعيفة، أو تشكّلات حزبية منحرفة، ولم تكن لهم تفاسير شاملة، سوى بضع آيات التقطوها، كانت من المتشابهات، ومن ثمّ اتّبعوها ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلها. فهي تفاسير مقطوعة الدابر منبوذة لا يعتدّ بها، فلم نعمدها ولا كان لها شأن.

١. اللون العلمي

إنّ هذا اللون من التفسير الذي يرمي إلى جعل القرآن مشتتلاً على إشارات عابرة إلى كثير من أسرار الطبيعية، التي كشف عنها العلم الحديث، ولا تزال على مسرح الاكتشاف قد استشرى أمره في العصر الأخير، وراج لدى بعض المثقفين الذين لهم عناية وشغف بالعلوم، إلى جنب عنايتهم بالقرآن الكريم. وكان من أثر هذه النزعة التفسيرية الخاصة، التي تسلّطت على قلوب أصحابها، أن أخرج لنا المشغوفون بها كثيراً من الكتب والرسائل التي يحاول أصحابها فيها أن يحمّلوا القرآن كثيراً من علوم الأرض والسماء، وأن يجعلوه دالاً عليها بطريق التصريح أو التلميح، اعتقاداً منهم أنّ هذا بيان لناحية من أهمّ نواحي صدقه، وإعجازه، وصلاحيته للبقاء.

أهمّ الكتب التي عُنيت بهذا اللون

من أهمّ هذه الكتب التي ظهرت فيها هذه النزعة التفسيرية، كتاب كشف الأسرار النوانية القرآنية، فيما يتعلّق بالأجرام السماوية، والأرضية، والحيوانات، والنباتات،

و الجواهر المعدنية تأليف الطبيب الفاضل محمد بن أحمد الإسكندراني، أحد رجال القرن الثالث عشر الهجري، برع في الطب الروحاني والجسماني، وكانت له علاقة شديدة في دفع شبهات الأجانب التي كانت تثار ضد الدين، وكان له إلمام بالعلوم الحديثة التي كانت معروفة على عهده، من طب وصناعة، والعلوم الطبيعية والكيمياء، وطبقات الأرض والحيوان والنبات. ومن ثم حاول إثبات أن لا منافاة بين الدين والعلم، بل أن أحدهما يكمل الآخر ويؤيده. توفي سنة (١٣٠٦ هـ).

و كتابه هذا من أوليات الكتب التي ظهرت في هذا الشأن، وهو كتاب كبير الحجم، يقع في ثلاث مجلدات، لكن من غير أن يستوعب جميع آي القرآن، سوى ما يتعلّق بموضوع دراسته الخاصّة. بحث في الجزء الأوّل عن الحياة وخلق الأحياء في الأرض، وفي الجزء الثاني، عن الأجرام السماوية وعن مظاهر الكون في الأرض والسماء، وفي الجزء الثالث، عن أسرار النباتات والمعادن، وما إلى ذلك.

وقد ذكر الإسكندراني في هذا الكتاب أن القرآن يحتوي على علوم جمّة، على ما جدّ من نظرات علمية تؤيد إعجاز القرآن، ويثبت أن عصر العلم الذي يتحدثون عنه قد بيّنه القرآن في صورة حقائق الكون، وخلق الحيوان، وأسرار النباتات والمعادن. وأبان في المقدّمة غرضه من هذا التأليف، قائلاً:

«و كنت منذ زالت عني تمانم الطفولية، و نيطت بي عمائم الرجولية، ممّن شُغف بتعلّم الطبّ ليالي وأياماً، أنهمك في دراسته على قدر الطاقة سنين وأعواماً، ثمّ أقمت بدمشق الشام معتنياً بمداواة أهلها الأمائل الأعلام، إلى أن اجتمعتُ في محفل سنة (١٢٩٠ هـ). كان حافلاً ببعض الأطباء المسيحيين، فشرعوا يتحدّثون في كيفية تكوّن الأحجار الفحمية، و في أنّها هل أُشير إليها في التوراة والإنجيل أم لا؟ فلم يحصلوا على شيء، لا صريحاً ولا إشارة، ثمّ وجهوا إليّ السؤال عن القرآن الكريم هل فيه إشارة إلى ذلك؟ فتصدّرت للجواب و تلطّفت في التفهيم والخطاب، قدر طاقتي وسعي، و تتبعت كلام كثير من العلماء، و تفرّدت في طلبه من كتب التفسير والطبّ، مع زيادة الاجتهاد.»

و هو كتاب لطيف في بابه، طريف في أسلوبه، اعتمد فيه آراء القدماء والمحدثين، وجدّ في ذلك حسب إمكانه، وأفاد، جزاه الله خيراً.

و هناك مختصرات في هذا الشأن كثيرة جرت على نفس المنوال، فهناك الأطباء والمهندسون وعلماء اختصاصيون كانت لهم عناية بالدين وبالقرآن الكريم، حاول كلُّ حسب وسعه وحسب طاقته العلميّة، في الإبانة عن وجه إعجاز القرآن، من ناحية اختصاصه. والكتب والرسائل من هذا القبيل كثيرة ومنبّثة، ربّما تفوق الحصر، ولا تزال تزداد حسب أطراد الزمان^١.

وفي العلماء الدينيين أيضاً كثير ممّن قام بهذا الأمر، وكتب في جوانب علميّة من القرآن الكريم، أمثال العلامة السيّد هبة الدين الشهرستاني المتوفّى سنة (١٣٨٦ هـ). قام بتأليف رسالة يقارن فيها بعض مسائل الهيئة والفلكيّات حسب إشارات جاءت في الشريعة وفي نصوص القرآن الكريم. طبعت طبعتها الأولى في بغداد سنة (١٣٢٨ هـ) وترجمت عدّة ترجمات منها بالفارسيّة، ممّا يدلّ على إعجاب العلماء بهذا الكتاب.

ورسالة الأستاذ عبد الله باشافكريّ في مقارنة بعض مباحث الهيئة. طبعت بالقاهرة سنة (١٣١٥ هـ).

ورسالة السيّد عبد الرحمان الكواكبيّ، وهي عبارة عن مجموعة مقالات له، نشرها في بعض الصحف عند ما زار مصر سنة (١٣١٨ هـ) ثمّ جمعت ضمن كتاب باسم طبائع الاستبدااد ومصارع الاستعباد.

ورسالة إعجاز القرآن للأستاذ مصطفى صادق الرافعيّ، عقد فيه بحثاً عن القرآن والعلوم.

ورسالة الأستاذ رشيد رشديّ العابريّ، مدرّس الجغرافيّة في ثانويّة التفويض ببغداد،

١. لديّ رسالتان قيميّتان فيما يخصّ مسائل الطبّ والقرآن الكريم، إحداهما: القرآن والطب الحديث تأليف صديقنا الفاضل الدكتور صادق عبد الرضا عليّ، طبعت في بيروت. والأخرى: مع الطبّ في القرآن الكريم تأليف الدكتورين عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز، طبعت في دمشق. رسالة أعدت لنيل إجازة دكتورا في الطبّ.

قام بنشرها سنة (١٩٥١ م).

و رسائل من هذا القبيل مبنوثة فوق حد الإحصاء.^١

هذا، وأكثر علماء العصر الحديث نزعة إلى التفسير العلمي، وأكبرهم إنتاجاً هو الشيخ طنطاويّ جوهرّي، فإنه أكثر مَنْ جَمَعَ في هذا المجال وأطال في تفسيره الجواهر وربّما أسهب بما يخرج عن طور التفسير أحياناً. يقع في خمسة وعشرين جزءاً، وألحقه بجزء آخر هو المتّم للجزء السادس والعشرين. وإليك بعض الكلام عن هذا التفسير العجيب.

الجواهر في تفسير القرآن للطنطاويّ

هو الشيخ طنطاويّ بن جوهرّي المصريّ، توفي سنة (١٣٥٨ هـ). و تفسيره هذا يعتبر أطول وأول من فسّر القرآن الكريم في ضوء العلم الحديث، و من قبله محمّد أحمد الإسكندرانيّ، و لكنّه بصورة غير شاملة، و كذلك جاء بعده مفسراً للقرآن بطريقة علميّة حديثة محمّد عبد المنعم الجمال في صورة أوجز، حسبما يأتي.

و يرى الشيخ الجوهرّي أنّ معجزات القرآن العلميّة لا زالت تنكشف يوماً بعد يوم، كلّما تقدّمت العلوم والاكتشافات، و أنّ كثيراً من كنوز القرآن العلميّة ما زالت مذكورة، يكشف عنها العلم شيئاً فشيئاً على مرّ العصور.

و الشيخ الجوهرّي كان منذ صباه مولعاً بهكذا كشائف علميّة دينيّة، مُغرماً بالعجائب الكونيّة، و مُعجباً بالبدائع الطبيعيّة، مشوّقاً إلى ما في السماء و الأرض من جمال و كمال و بهاء كما يقول هو عن نفسه قال في مقدّمة تفسيره:

«لما تأملت الأئمة الإسلاميّة، و تعاليمها الدينيّة، ألفت أكثر العقلاء و بعض أجلّة العلماء، عن تلك المعاني معرضين، و عن التفرّج عليها ساهين لاهين، فقليل منهم من فكّر في خلق العوالم و ما أودع فيها من الغرائب. فأخذت أوّل كتباً لذلك شتّى، كنظام

١. و قد خصصنا الجزء السادس من التمهيد بالكلام عن هذا الجانب من التفسير العلميّ للقرآن و ذكرناه الأهمّ ممّا قيل أو قد يقال في هذا المجال فراجع..

العالم والأمم، وجواهر العلوم، والتاج المرصع، وجمال العالم... ومزجت فيها الآيات القرآنية بالعجائب الكونية، وجعلت آيات الوحي مطابقةً لعجائب الصنع...^١ لكنه وجد أنّ هذه الكتب رغم كثرتها وانتشارها وترجمتها إلى اللغات الأخرى كالأوردية والقازانية الروسية لم تشف غليله، فتوجّه إلى الله أن يوفقه إلى تفسير القرآن تفسيراً ينطوي على كلّ ما وصل إليه البشر من علوم، فوفقه الله لتحرير هذا التفسير الجليل.

ومفسّرنا هذا يقرّر في تفسيره أنّ في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبع مائة وخمسين آية، في حين أنّ علم الفقه لا تزيد آياته الصريحة على مائة وخمسين آية^٢. ونجده كثيراً ما يهيب بالمسلمين أن يتأملوا في آيات القرآن التي ترشد إلى علوم الكون، ويحثّهم على العمل بما فيها، ويندّد بمن يغفل هذه الآيات على كثرتها، وينعى على من أغفلها من السابقين الأوّلين.

منهج المؤلف في التفسير

إنّه يذكر الآيات فيفسرها أولاً لفظياً مختصراً، لا يكاد يخرج بذلك عمّا في كتب التفسير المألوفة، لكنّه سرعان ما يخلص من هذا التفسير الذي يسمّيه تفسيراً لفظياً ويدخل في أبحاث علمية مستفيضة، يسمّيها لطائف أو جواهر. هذه الأبحاث عبارة عن مجموعة آراء علماء الشرق والغرب في العصر الحديث، ليبيّن للمسلمين وغيرهم أنّ القرآن الكريم قد سبق إلى هذه الأبحاث، ونبّه على تلك العلوم قبل أن يصل إليها هؤلاء العلماء. ونجده يضع لنا في تفسيره كثيراً من صور النباتات، والحيوانات، ومناظر الطبيعة، وتجارب العلوم، بقصد أن يوضّح للقارئ ما يقول، توضيحاً، يجعل الحقيقة أمامه كالأمر المشاهد المحسوس. ولقد أفرط في ذلك، وجاز حدّ المجاز.

ومما يؤخذ عليه: أنّه قد يشرح بعض الحقائق الدينية بما جاء عن أفلاطون في

جمهوريته، أو بما جاء عن إخوان الصفا في رسائلهم، وهو حين ينقلها يُبدي رضاه عنها وتصديقه بها، في حين أنها تخالف في ظاهرها ما عليه أصحابه السلفيون الأشاعرة^١.

وهكذا نراه قد يستخرج كثيراً من علوم القرآن بواسطة حساب الجمل، الذي لا نكاد نصدّق بأنّه يوصل إلى حقيقة ثابتة. قال الذهبي: وإنما هي عدوى تسرّبت من اليهود إلى المسلمين، فتسلّطت على عقول الكثير منهم.

هذا، وإنا نجد المؤلف يفسر آيات القرآن تفسيراً يقوم على نظريات علمية حديثة، غير مستقرّة في ذاتها، ولم تمض فترة التثبّت منها، وهذا ضرب من التكلف ارتكبه المؤلف، إن لم يكن يذهب بغرض القرآن أحياناً، فلا أقلّ من أن يذهب بروائه وبهائه.

و تكفيك مراجعة عبري إلى هذا التفسير لكي تعرف مغزى هذا النقد الخطير، وقد أتى الذهبيّ بنماذج من هذا النمط العليل، واستنتج أخيراً: أن الكتاب في ذاته موسوعة علمية، ضربت في كلّ فنّ من فنون العلم بسهم وافر، ممّا جعل هذا التفسير يوصف بما وصف به تفسير الإمام الرازيّ؛ إذ قيل عنه: «فيه كلّ شيء إلاّ التفسير» بل هو أحقّ من تفسير الرازيّ بهذا الوصف وأولى به. وإن دلّ الكتاب على شيء، فهو أنّ المؤلف إنّما يخلّق في أجواء خياله، ويسبح حسب زعمه في ملكوت السماوات والأرض، ويطوف في نواح شتى من العلم بفكره وعقله، ليجلّي للناس آيات الله في الآفاق والأنفس، ويظهر لهم أنّ القرآن قد جاء بكلّ ما جاء به الإنسان من علوم ونظريات، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿مَا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^٢. ولكنّ هذا خروج بالقرآن عن قصده، وانحراف به عن هدفه، ولعلّه إطاحة بشأنه في كثير من الأحيان، ويبدو من خلال التفسير أنّه لاقي الكثير من لوم العلماء على مسلكه هذا الذي سلكه في تفسيره، ولم تلق هذه النزعة التفسيرية قبولاً

١. الأمر الذي جعل الحكومة السعودية أن أصدرت الأمر بمصادرة الكتاب، وعدم السماح بدخوله إلى الحجاز.

يجد الفارئ ذلك في نصّ الكتاب المرسل من المؤلف إلى الملك عبد العزيز آل سعود في الجزء ٢٥، ص ٢٤٤.

نقلًا عن: التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٥٠٨. ٢. الأنعام (٦): ٣٨.

لدى كثير من المثقفين.

التفسير الفريد

و يتلو تفسير الجواهر، تفسير علمي آخر أوجز منه، هو التفسير الفريد تأليف العالم الفقيه محمد عبد المنعم الجمال. تفسير تحليلي موجز، شامل لجميع آيات القرآن، اهتم مؤلفه بالتوفيق بين الدين والعلم، وأن يفسر القرآن على ضوء العلم الحديث، مسترشداً في ذلك بأبحاث من العلماء والمفسرين، من دون بسط واستطراد. يقول في المقدمة:

«في سنة (١٩٤٩ م.) اجتمعت في مدينة لندرة ببعض الإنجليز، الذين أسلموا حديثاً، وكانوا يلحون عليّ في أن أوافيهم ببعض التفاسير القرآنية، فاضطرت إلى اقتناء بعض الكتب التي اهتمت بترجمة وتفسير الآيات القرآنية. وقد لاحظت على كثير منها. أنّها لا تستجلي معاني القرآن، أو لا تستوعب النواحي العلمية. فسألت الله أن يوقني إلى تفسير كتابه على ضوء العلم الحديث».

ثم بيّن معيار التوفيق بين الدين والعلم، وحدوده قائلاً:

«و لا مشاحة في أن العلوم مهما تقدّمت فهي عرضة للزلل، فينبغي أن لا يطبق على آياته الكريمة إلا ما يكون قد ثبت منها قطعياً، وكلّ نظرية علمية تختلف مع آية من آي الذكر الحكيم، لا بدّ أنّها لم تصل بعد إلى سبر غور الحقيقة، فلا زالت معجزات القرآن الكريم يكشفها العلم، ولا زالت العلوم كلّما تقدّمت تجلو الغشاوات التي تحجب النور عن عيون الغافلين».

هذا وقد سلك المؤلف في تفسيره المسلك العلمي الاجتماعي، الملائم للثقافة العربية في وقته، بما يتيسر للناشئة من الشباب المثقف التعرف إلى دين الإسلام، والوقوف على أسرار القرآن وعظمته. وهو تفسير جيّد في ذاته، سهل التداول لذوي الثقافات المختلفة، خال عن الإطالة والاستطرادات المملّة، جزى الله المؤلّف خيراً.

والتفسير يقع في أربع مجلّدات، وطبع في القاهرة سنة (١٩٧٠ م.)، (١٣٩٠ هـ).

ملحوظة

لم يقف العلماء في العصر موقف الإجماع على قبول هذا اللون من التفسير. بل نراهم مختلفين بين الردّ والقبول، ولكلا الفريقين حجج و تعاليل قد يمكن التوافق بينها إذا ما رجعنا إلى مصبّ القولين، الأخذ أحدهما طريق الإفراط والآخر التفریط، فكان الوسط هو طريق الاعتدال.. راجع ما كتبناه بهذا الصدد في باب الأعجاز العلمي للقرآن الكريم. وهو الجزء السادس من التمهيد..

٢. اللون الأدبي الاجتماعي

يمتاز التفسير في هذا العصر، بتلوّنه باللون الأدبي الاجتماعي، و نعني بذلك أنّ التفسير لم يعد يظهر عليه في هذا العصر ذلك الطابع التقليديّ الجافّ، من معالجة مسائل شكلية، كادت تصرف الناس عن هداية القرآن الكريم، و انشغالهم بمباحث فارغة لا تمسّ روح القرآن و حقيقته. و إنّما ظهر عليه طابع آخر و تلوّن بلون يكاد يكون جديداً و طارئاً على التفسير، ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً و قبل كلّ شيء على إظهار مواضع الدقّة في التعبير القرآنيّ، ثمّ بعد ذلك تصاغ تلك المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ، ثمّ يطبّق النصّ القرآنيّ على ما في الكون و الحياة من سنن الاجتماع و نظم العمران.

هذه النهضة الأدبية الاجتماعية قامت بمجهود كبير في تفسير كتاب الله تعالى، قرّبت القرآن إلى أفهام الناس، في مستوى عامّ كان أقرب إلى الواقعية من الأمس الدابر. و إليك من امتيازات هذه المدرسة التفسيرية الحديثة: إنّها نظرت إلى القرآن نظرة بعيدة عن التأثير بمذهب من المذاهب، فلم يكن منها ما كان من كثير من المفسرين القدامى من التأثير بالمذهب، إلى درجة كانت تجعل القرآن تابعاً لمذهبه، فيؤول القرآن بما يتفق معه، و إن كان تأويلاً متكلفاً و بعيداً.

كما أنّها وقفت من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد البصير، فلم تشوّه التفسير بما

شوّه به في كثير من كتب المتقدّمين، من الروايات الخرافيّة المكذوبة، التي أحاطت بجمال القرآن وجلاله، فأساءت إليه وجرّأت الطاعنين عليه.

كذلك لم تغتَرّ هذه المدرسة بما اغتَرّ به كثير من المفسّرين من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية، التي كان لها أثر سيّئ في التفسير.

ولقد كان من أثر عدم اغترار هذه المدرسة بالروايات الإسرائيلىة، والأحاديث الموضوعية أنّها لم تخض في تعيين ما أبهمه القرآن، من مثل الحروف المقطّعة، وبعض الألفاظ المبهمّة الواردة في القرآن، ممّا أبهمه القرآن إيهاماً، ولم تكن غاية في إظهاره حينذاك، كما لم تجرأ على الخوض في الكلام عن الأمور الغيبية، التي لا تعرف إلّا من جهة النصوص الصحيحة الصريحة، بل قرّرت مبدأ الإيمان بما جاء من ذلك مجملاً، ومنعت من الخوض في التفصيلات والجزئيات، في مثل الحياة البرزخيّة والجنّة والنار والحدور والقصور والغلمان وما شابه ذلك، وهذا مبدأ سليم، يقف حاجزاً منيعاً دون تسرّب شيء من خرافات الغيب المظنون، إلى المقطوع والمعقول من العقائد.

كذلك نجد هذه المدرسة أبعدت التفسير عن التأمّر باصطلاحات العلوم والفنون والفلسفة والكلام، التي رُجّ بها في التفسير، بدون أن يكون في حاجة إليها، ولم تتناول من ذلك إلّا بمقدار الحاجة، وعلى حسب الضرورة فقط. هذه كلّها من الناحية السلبية التي سلكتها هذه المدرسة.

وأما من الناحية الإيجابية، فإنّ هذه المدرسة نهجت بالتفسير منهجاً أدبيّاً اجتماعيّاً، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه في البيان، وأوضحت معانيه ومراميه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم ونظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلاميّة خاصّة، ومشاكل الأمم عامّة، بما أرشد إليه القرآن، من هداية وتعاليم، والتي جمعت بين خيرَي الدنيا والآخرة.

كما وقّعت بين القرآن وما أثبتته العلم من نظريّات صحيحة وثابتة، وجلت للناس أنّ القرآن كتاب الله الخالد، الذي يستطيع أن يساير التطوّر الزمنيّ والبشريّ، إلى أن يرث الله

الأرض و من عليها.

كما دفعت ما ورد من شبه على القرآن، و فندت ما أثير حوله من شكوك و أوهام، بحجج قويّة، قذفت بها على الباطل فدمغته فإذا هو زاهق.

كلّ ذلك بأسلوب شيق جذاب يستهوي القارئ، و يستولي على قلبه، و يحبب إليه النظر في كتاب الله، و يرغبه في الوقوف على معانيه و أسرارها.

و أيضاً فإنّ هذه المدرسة فتحت في وجه التفسير باباً كان مغلقاً عليه، منذ زمن سحيق، إنّها أعطت لعقلها حرّيّة واسعة النطاق، و أتاحت للعقل و الفكر البشريّ مجاله الواسع الذي منحه الله له، و رغبه في ذلك. ﴿وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^١.

و من ثمّ حكمت العقل الرشيد على كلّ مظاهر الدين، فتأوّلت ما ظاهره المنافاة مع الحقائق الشرعيّة الثابتة، و التي دعمها العقل، و عدلت بها عن إرادة الحقيقة إلى المجاز و التمثيل، و بذلك و بهذه الحرّيّة العقليّة الواسعة، جارت أهل العدل في تعاليمها و عقائدها، و التي كان عليها السلف النابهن، و قذفت بتعاليم الأشاعرة المتجمّدة وراء الظهور، و بذلك لم تترك مجالاً لأحاديث أهل الحشو أن تتدخّل في التفسير، و لا في عقائد المسلمين في شيء من الأصول و الفروع. فقد طعنت في بعض الأحاديث بالضعف تارة و بالوضع أخرى، رغم ورودها في المجاميع الحديثيّة الكبرى، أمثال البخاريّ و مسلم و غيرهما؛ إذ أنّ خبر الواحد لا تثبت به عقيدة إجماعاً، و لا هو حجة في هذا الباب عند أرباب الأصول.

أهم روّاد هذه المدرسة

رائد هذه المدرسة الأوّل و زعيمها و عميدها، هو الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، الذي بنى أساس هذا البنيان الرفيع، و فتح باب الاجتهاد في التفسير بعد ما كان مغلقاً طيلة

قرون، فقد نبذ طريقة التقليد السلفي، وأعطى للعقل حرّيته في النقد و التمهيص. و سار على منهجه الأجلّاء من تلامذته، أمثال السيّد محمّد رشيد رضا، و الشيخ محمّد محمّد القاسمي، و الشيخ أحمد مصطفى المراغي، و من جاء بعدهم جاريّاً على نفس التعاليم، أمثال السيّد قطب، و الشيخ محمّد جواد مغنية، و الشيخ محمّد الصادقي، و السيّد محمّد حسين فضل الله، و السيّد محمّد الشيرازي، و الشيخ سعيد حوى، و الأستاذ محمّد الطاهر ابن عاشور، و السيّد محمّد تقي المدرسي، و الشيخ ناصر مكارم الشيرازي. و الذي فاق الجميع في هذا المجال، هو العلامة الفيلسوف السيّد محمّد حسين الطباطبائي، الذي حاز قصب السبق في هذا المضمار.

و إليك بعض الكلام عن أهم ما كتّب من جلائل التفسير المدوّن في هذا العصر:

المنار (تفسير القرآن العظيم)

تفسير حافل جامع و لكنّه غير كامل، يشتمل على اثني عشر مجلّداً و ينتهي عند الآية (٥٣) من سورة يوسف. كان من أوّل القرآن إلى الآية (١٢٦) من سورة النساء بإنشاء الشيخ محمّد عبده (المتوفّى سنة ١٣٢٣ هـ.) و إملاء السيّد رشيد رضا (المتوفّى سنة ١٣٥٤) و من بعده سار السيّد في التفسير متّبعاً منهج الشيخ في تفسيره للآيات حتّى سورة يوسف.

كان الشيخ يُلقني دروسه في التفسير بالجامع الأزهر على الطلاب لمدة ستّ سنوات، و كان السيّد رشيد رضا يكتب ما سمعه و يزيد عليه بما ذاكره مع الشيخ، و قام بنشر ما كتب في مجلّته «المنار» و ذلك بعد مراجعة الأستاذ ليقوم بتنقيحه و تهذيبه، أو إضافة ما يكمله.

قال الذهبي: كان الأستاذ الإمام، هو الذي قام وحده من بين رجال الأزهر بالدعوة إلى التجديد، و التحرّر من قيود التقليد، فاستعمل عقله الحرّ في كتاباته و بحوثه، و لم يجبر على ما جمده عليه غيره من أفكار المتقدّمين و أقوال السابقين، فكان له من وراء ذلك

آراء وأفكار خالف بها من سبقه. وهذه الحرّية العقلية، وهذه الثورة على القديم، كان لهما أثر بالغ في المنهج الذي نهجه الشيخ لنفسه، و سار عليه في تفسيره^١.

قد رسم محمد عبده في تفسيره منهجاً تربوياً للأمة الإسلامية، يبعث مقوماتها، ويشير أمجادها، و ينادي بآداب القرآن من الشجاعة و الكرامة و الحفاظ، قد حارب جمود الفقهاء و تقليدهم، و تقديم المذاهب على القرآن و السنّة مكانهما الأوّل من التشريع، و دعا المسلمين إلى استخدام عقولهم و تفكيرهم^٢.

و من خصائص هذا التفسير العناية بمشاكل المسلمين الحاضرة، و التوجّه إلى معالجة أسباب تأخر المجتمع الاسلامي، و إلى إمكان بناء مجتمع قوي، و عودة الأمة إلى ثورة حقيقية قرآنية على أوضاعها المتخلّفة، و مواجهة الحياة مواجهة علمية صحيحة، و العناية التامة إلى الأخذ بأسباب الحضارة الإسلامية من جديد، و مواجهة أعدائها، و ردّ الغزوات الفكرية الاستعمارية التي شنت على الإسلام عقيدةً و تاريخاً و حضارة و رجالاً، و مناقشتها بالأدلة العلمية و الوقائع التاريخية، و تنفيذها و إثبات بطلانها من ذاتها.

و يتلخّص منهج تفسير المنار في البنود التالية:

١. الإسلام هو دين العقل و الشريعة، و هو مصدر الخير و الصلاح الاجتماعي.
٢. القرآن لا يتبع العقيدة، و إنّما تؤخذ العقيدة من القرآن.
٣. عدم وجود تعارض بين القرآن و الحقائق العلمية الراهنة.
٤. اعتبار القرآن جميعه وحدة واحدة متماسكة.
٥. التحفّظ في الأخذ بما سُمّي بالتفسير المأثور، و التحذير من الأقاصيص الإسرائيلية و المكذوبة.
٦. عدم إغفالها الوقائع التاريخية، و التي لها دخل في فهم معاني القرآن الكريم.

٧. استعمال الذوق الأدبيّ النزيه في فهم مرامي الآيات الكريمة.
٨. معالجته للمسائل الاجتماعية في الأخلاق والسلوك.
٩. تفسيره للقرآن على ضوء العلم الحديث القطعيّ الثابت.
١٠. حذره عن الخوض في الأمور المغيبيّة عن الحسّ والإدراك.
١١. موضعه النزيه تجاه سحر السحرة، ولاسيّما بالنسبة إلى التأثير في شخصيّة الرسول.
١٢. موقفه الصحيح من روايات أهل الحشو، حتّى ولو كانت في الكتب الصحاح.

موقفه من حقيقة الملائكة والشياطين

ولقد كان من أثر إعطاء الشيخ عبده لنفسه الحرّيّة الواسعة في فهم القرآن الكريم، أنّا نجده يخالف رأي جمهور أهل السنّة^١، ويذهب على خلاف مذهب الأشعريّ في الأخذ بالظواهر والجمود عليها، وترك الخوض في فهم حقيقتها أو تأويلها، نراه يخالف هذا المسلك السلفيّ، ويذهب إلى ما ذهب إليه أهل الرأي والنظر والتمحيص وأصحاب التأويل، وقد عبّر عنهم الذهبيّ بالمعتزلة وليسوا هم وحدهم بل وأهل القول بالعدل وتحكيم العقل مطلقاً فيرى من الملائكة والشياطين، القوّى الفعّالة المودعة في عالم الطبيعيّة، في صالح الحياة أو فسادها، أمّا إنّها موجودات مستقلّة ذوات شمائل وأعضاء كشمائل الإنسان وأعضائه، حسب ما فهمه الظاهريّون من تعابير الشرع التي هي أمثال واستعارات فلا، نظراً لأنّها موجودات لا تسانخ وجود الإنسان بذاته، ولا هي على شاكلته.

قال في قصّة سجود الملائكة لآدم وامتناع إبليس (البقرة: ٣٤):

«وذهب بعض المفسّرين مذهباً آخر في فهم معنى الملائكة، وهو: أنّ مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكّلين بالأعمال من إنماء نبات وخلق حيوان وحفظ إنسان وغير ذلك، فيه إيحاء إلى الخاصّة بما هو أدقّ من ظاهر العبارة، وهو أنّ هذا النمؤ في

النبات لم يكن إلا بروح خاصّ، نفخه الله في البذرة، فكانت به الحياة النباتية المخصوصة، وكذلك يقال في الحيوان والإنسان، فكلّ أمر كليّ قائم بنظام مخصوص تمتّ به الحكمة الإلهية في إيجاده، فإنّما قوامه بروح إلهيّ، سميّ في لسان الشرع ملكاً، ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمّ هذه المعاني «القوى الطبيعية»، إذا كان لا يعرف من عالم الإمكان إلا ما هو طبيعة، أو قوّة يظهر أثرها في الطبيعة. والأمر الثابت الذي لا نزاع فيه، هو أنّ في باطن الخلقة أمراً هو مناطها، وبه قوامها ونظامها، لا يمكن لعاقل أن ينكره، وإن أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكاً، وزعم أنّه لا دليل على وجود الملائكة، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوّة طبيعية أو ناموساً طبيعياً؛ لأنّ هذه الأسماء لم ترد في الشرع، فالحقيقة واحدة والعاقل لا تحجبه الأسماء عن المسميات، وإن كان المؤمن بالغيب يرى للأرواح وجوداً لا يدرك كنهه، والذي لا يؤمن بالغيب يقول لا أعرف الروح، ولكن أعرف قوّة لا أفهم حقيقتها، ولا يعلم إلا الله، على ما يختلف الناس، وكلّ يقرّ بوجود شيء غير ما يرى ويحسّ، ويعترف بأنّه لا يفهمه حقّ الفهم، ولا يصل بعقله إلى إدراك كنهه؟ وماذا على هذا الذي يزعم أنّه لا يؤمن بالغيب - وقد اعترف بما غيب عنه - لو قال: أصدّق بغيب أعرف أثره، وإن كنت لا أقدر قدره، فيتفق مع المؤمنين بالغيب، ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي، ويحظى بما يحظى به المؤمنون؟

يشعر كلّ من فكّر في نفسه، ووازن بين خواطره، عند ما بهمّ بأمر فيه وجه للحقّ وللخير، ووجه للباطل أو للشرّ، بأنّ في نفسه تنازعا، كأنّ الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى، فهذا يورد وذاك يدفع، وأحد يقول: افعَل، وآخر يقول: لا تفعل، حتّى ينتصر أحد الطرفين، و يترجّح أحد الخاطرين، فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا ونسميه: قوّة وفكرًا، وهي في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه، وروح لا تكتنه حقيقتها، لا يبعد أن يسميه الله ملكاً، أو يسمّى أسبابه ملائكة، أو ما شاء من الأسماء، فإنّ التسمية لا حجر فيها على الناس، فكيف يحجر فيها على صاحب الإرادة المطلقة، والسلطان النافذ والعلم الواسع!

فإذا صحَّ الجري على هذا التفسير، فلا يستبعد أن تكون الإشارة في الآية إلى أن الله تعالى لما خلق الأرض ودبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها، وجعل كلَّ صنف من القوى مخصوصاً بنوع من أنواع المخلوقات، لا يتعداه ولا يتعدى ما حدّد له من الأثر الذي خصّ به، خلق بعد ذلك الإنسان، وأعطاه قوّة يكون بها مستعدّاً للتصرّف بجميع هذه القوى، وتسخيرها في عمارة الأرض، وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود، الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير، وجعله بهذا الاستعداد الذي لا حدّ له، والتصرّف الذي لم يُعط لغيره، خليفة الله في أرضه؛ لأنّه أكمل الموجودات في الأرض، واستثنى من هذه القوى قوّة واحدة، عبّر عنها بإبليس، وهي القوّة التي لزمها الله بهذا العالم لزمّاً، وهي التي تميل بالمستعدّ للكمال، أو بالكامل إلى النقص، وتعارض مدّ الوجود لتردّه إلى العدم، أو تقطع سبيل البقاء، وتعود بالموجود إلى الفناء، أو التي تعارض في أتباع الحقّ، وتصدّ عن عمل الخير، وتنازع الإنسان في صرف قواه إلى المنافع والمصالح التي تتمّ بها خلافته، فيصل إلى مراتب الكمال الوجوديّ التي خلق مستعدّاً للوصول إليها، تلك القوّة التي ضلّلت آثارها قوماً فزعموا أنّ في العالم إلهاً يسمّى إله الشرّ، وما هي بيّاله، ولكنّها محنة إله لا يعلم أسرار حكّمته إلّا هو.

ولو أنّ نفساً مالت إلى قبول هذا التأويل، لم تجد في الدين ما يمنعها من ذلك، والعمدة على اطمينان القلب وركون النفس إلى ما أبصرت من الحقّ»^١.

ثمّ يعود في موضع آخر إلى تقرير التمثيل في القصة، فيقول: «و تقرير التمثيل في القصة على هذا المذهب هكذا: إنّ إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفة في الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه التي بها قوامه ونظامه، لوجود نوع من المخلوقات يتصرّف فيها، فيكون به كمال الوجود في هذه الأرض. وسؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الأرض؛ لأنّه يعمل باختياره، ويُعطى استعداداً في العلم والعمل

لا حدّ لهما، هو تصوير لما في استعداد الإنسان لذلك، و تمهيد لبيان أنّه لا ينافي خلافته في الأرض. و تعليم آدم الأسماء كلّها، بيان لاستعداد الإنسان لعلم كلّ شيء في هذه الأرض، و انتفاعه به في استعمارها. و عرض الأسماء على الملائكة و سؤالهم عنها: تنصّلهم في الجواب، تصوير لكون الشعور الذي يصاحب كلّ روح من الأرواح المدبّرة للعوالم محدوداً لا يتعدّى وظيفته. و سجد الملائكة لآدم، عبارة عن تسخير هذه الأرواح و القوى له، ينتفع بها في ترقية الكون بمعرفة سنن الله تعالى في ذلك. و إباء إبليس و استكباره عن السجود، تمثيل لعجز الإنسان عن إخضاع روح الشّر و إبطال داعية خواطر السوء التي هي مثار التنازع و التخاصم، و التعديّ و الإفساد في الأرض. و لولا ذلك لجاء على الإنسان زمن يكون فيه أفراده كالملائكة بل أعظم، أو يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشري^١.

إنكاره على أهل الحديث في روايتهم للطامات

ثم إنّ الشيخ عبده كان ممن يرى تساهل أهل الحديث في رواياتهم الغثّ و السمين، غير مبالين في متونها أهي مخالفة لأصول العقيدة أم متنافية مع مباني الإسلام الركينة، الأمر الذي يؤخذ على أهل الحشو في الحديث في ذلك.

قال بشأن قصّة زكريّا و بشارة الملائكة له بيحيى، و طلبه من الله أن يجعل له آية:

«و من سخافات بعض المفسّرين زعمهم أنّ زكريّا عليه السلام اشتبه عليه وحي الملائكة و نداؤهم، بوحى الشياطين؛ و لذلك سأل سؤال التعجّب، ثمّ طلب آيةً للتنبّئ. و روى ابن جرير عن السديّ و عكرمة: أنّ الشيطان هو الذي شكّكه في نداء الملائكة، و قال له: إنّ من الشيطان، قال: «و لولا الجنون بالروايات مهما هزلت و سمجت، لما كان لمؤمن أن يكتب مثل هذا الهزل و السخف، الذي ينبذه العقل، و ليس في الكتاب ما يشير إليه، و لو لم يكن لمن يروي مثل هذا إلاّ هذا الكفّي في جرحه، و أن يضرب بروايته على وجهه.

فعفى الله عن ابن جرير إذ جعل هذه الرواية مما ينشر»^١.

وقال فيما جاء من الروايات في سحر الرسول ﷺ:

«وقد رواها هنا أحاديث في أنّ النبي ﷺ سحره لبيد بن أعصم، وأثر سحره فيه، حتّى كان يخيل له أنّه يفعل الشيء وهو لا يفعله، أو يأتي شيئاً وهو لا يأتيه، وأنّ الله أنبأه بذلك وأخرجت موادّ السحر من بئر، وعوفي ﷺ ممّا كان نزل به من ذلك، ونزلت هذه السورة (سورة الفلق)^٢».

قال: «ولا يخفى أنّ تأثير السحر في نفسه ﷺ حتّى يصل به الأمر إلى أن يظنّ أنّه يفعل شيئاً وهو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العاديّة، بل هو مأسّ بالعقل، أخذ بالروح، وهو ممّا يصدق قول المشركين فيه: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحورًا﴾^٣. وليس المسحور عندهم إلّا من خولط في عقله، وخيل له أنّ شيئاً يقع وهو لا يقع، فيخيل إليه أنّه يوحى إليه، ولا يوحى إليه. وقد قال كثير من المقلّدين الذين لا يعقلون ما هي النبوة ولا ما يجب لها: أنّ الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صحّ، فيلزم الاعتقاد به، وعدم التصديق به من بدع المبتدعين؛ لأنّه ضرب من إنكار السحر، وقد جاء القرآن بصحّة السحر. أنظر كيف ينقلب الدين الصحيح، والحقّ الصريح، في نظر المقلّد بدعة، نعوذ بالله، يحتجّ بالقرآن على ثبوت السحر، ويعرض عن القرآن في نفيه السحر عنه ﷺ وعده من افتراء المشركين عليه، ويؤوّل في هذه ولا يؤوّل في تلك، مع أنّ الذي قصده المشركون ظاهر؛ لأنّهم كانوا يقولون: إنّ الشيطان يلبسه ﷺ وملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم، وضرب من ضروبه وهو بعينه أثر السحر الذي نسب إلى لبيد، فإنّه خولط في عقله وإدراكه، في زعمهم. والذي يجب اعتقاده، أنّ القرآن مقطوع به، وأنّه كتاب الله بالتواتر عن

١. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٩٨-٢٩٩.

٢. راجع: الدرّ المستودع، ج ٦، ص ٤١٧. ورواه البخاريّ ومسلم وابن ماجه (روح المعاني، ج ٣٠، ص ٢٨٢-٢٨٣).

٣. الفرقان (٢٥): ٨.

المعصوم عليه السلام فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبتته، و عدم الاعتقاد بما ينفيه، و قد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه، و وبخهم على زعمهم هذا، فإذاً هو ليس بمسحور قطعاً. و أما الحديث فعلى فرض صحته هو آحاد، و الآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد، و عصمة النبي صلى الله عليه وآله من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد، لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين، و لا يجوز أن يؤخذ فيها بالظنّ و المظنون، على أنّ الحديث الذي يصل إلينا من طريق الآحاد إنّما يحصل الظنّ عند من صحّ عنده. أما من قامت له الأدلّة على أنّه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة.

و على أيّ حالٍ فلنا بل علينا أن نفوض الأمر في الحديث، و لا نحكمه في عقيدتنا، و نأخذ بنصّ الكتاب و بدليل العقل، فإنّه إذا خولط النبيّ في عقله - كما زعموا - جاز عليه أن يظنّ أنّه بلغ شيئاً و هو لم يبلغه، أو أنّ شيئاً نزل عليه و هو لم ينزل عليه، و الأمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان^١.

قال الذهبيّ ناقماً على هذه الطريقة التي هي طريقة أهل الاعتزال:

«و هذا الحديث الذي يردّه الأستاذ الإمام، رواه البخاريّ و غيره^٢ من أصحاب الكتب الصحيحة، و ليس من وراء صحته ما يخلّ بمقام النبوة.» (و علّل عدم الإخلال بأنّه من قبيل المرض، و قد عرفت ردّ الإمام عليه بأحسن ردّ) و أضاف قائلاً:

«ثم إنّ الحديث رواية البخاريّ و غيره من كتب الصحيح، و لكنّ الأستاذ الإمام، و من على طريقته، لا يفرّقون بين رواية البخاريّ و غيره، فلا مانع عندهم من عدم صحّة ما يرويه البخاريّ، كما أنّه لو صحّ في نظرهم فهو لا يعدو أن يكون خبر آحاد، لا يثبت به إلاّ الظنّ، و هذا في نظرنا هدم للجانب الأكبر من السنّة التي هي بالنسبة للكتاب في منزلة المبيّن من المبيّن، و قد قالوا: إنّ البيان يلتحق بالمبيّن، قال: «و ليس هذا الحديث وحده الذي يضعفه الشيخ، أو يتخلّص منه بأنّه رواية آحاد، بل هناك كثرة من الأحاديث نالها

١. ذكر ذلك في تفسيره لجزء عمّ ص ١٨٥-١٨٦. و تعرّض له في المنار، ج ٣، ص ٢٩١.

٢. جامع البخاريّ، ج ٧، ص ١٧٨؛ صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٤؛ فتح الباري، ج ١٠، ص ١٩٣.

هذا الحكم القاسي»، فمن ذلك أيضاً حديث الشيخين «كلّ بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمّه إلّا مريم وابنها» فإنّه قال فيه: «إذا صحّ الحديث فهو من قبيل التمثيل لا من باب الحقيقة»^١.

«فهو لا يثق بصحة الحديث رغم رواية الشيخين له، ثمّ يتخلّص من إرادة الحقيقة على فرض الصحة، بجعل الحديث من باب التمثيل، وهو ركون إلى مذهب المعتزلة، الذين يرون أنّ الشيطان لا تسلط له على الإنسان إلّا بالسوسة والإغواء فقط»^٢.

قلت: الحقّ أحقّ أن يتبع، حتّى ولو كان القائل به أصحاب الاعتزال؛ إذ الحقّ ضالّة المؤمن، أخذها حيث وجدها. فإن كان مذهب أهل الجمود يقضي بالأخذ بالظواهر الظنيّة، حتّى في باب العقائد، التي تستدعي اليقين فيها، فإنّ مذهب أهل النظر والاجتهاد، يرى وجوب التدبّر في آياته تعالى والتعمّق فيها؛ ذلك أنّه دستور القرآن الكريم، والذي هدى إليه العقل الرشيد.

نعم، لا تقاس عقلية مثل شيخنا الإمام الكبير، مع ذهنيّة أمثال الذهبيّ الهزيله التي اقتنعت بتقاليد أشعريّة سلفيّة، رغم منافاتها لأصول الشرع ومحكمات القرآن الكريم.

أولاً: لا سلطان لإيليس على أحد، سوى وسوسته وإغوائه، قال تعالى فيما يحكيه عن إيليس لما قضى الأمر: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَ لَوْ مَا أَنْفَسْتُمْ﴾^٣.

ثانياً: ليس للشيطان سلطان على عباد الله المخلصين: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^٤ فلم يكن لإيليس على عباد الله المخلصين حتّى سلطان الوسوسة والإغواء، فكيف بالاستحواذ على عقليّتهم الكريمة^٥.

١. راجع: المنار، ج ٣، ص ٢٩٠. ٢. التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٥٧٥.

٣. راجع: المنار، ج ٧، ص ٥١٣-٥١٢. إبراهيم (١٤): ٢٢.

٤. الحجر (١٥): ٤٢.

٥. وقد أنكر الشيخ الإمام إمكان استحواذ الشيطان على عباد الله المخلصين. راجع: المنار، ج ٣، ص ٢٩١.

ثالثاً: أتى للبيد أن يستحوذ على عقلية مثل الرسول الكريم ﷺ و هو مثال العقل الأول في عالم الإمكان.

إذن فلا يصح ما ورد في ذلك من تأثير السحر على عقله ﷺ و لم يثبت شيء من ذلك من طرق أهل البيت عليه السلام. أما الوارد في جامع البخاري (ج ٧، ص ١٧٨) و فتح الباري (ج ١٠، ص ١٩٣) و صحيح مسلم (ج ٧، ص ١٤) فمردود على قائله، و هو من المفتعلات^١.

رأي صاحب المنار في الجنّ

يرى السيّد رشيد رضا ما يراه شيخه و أستاذه في الجنّ، و أنّه لا يُرى، و كلّ من ادّعى رؤية الجنّ فهو مخطئ في إدراكه، و لم يصحّ في ذلك حديث. و يرجّح أنّ من ادّعى رؤية الجنّ فذلك وهم منه و تخيل، و لا حقيقة له في الخارج، أو لعلّه رأى حيواناً غريباً كبعض القرده، فظنّه أحد أفراد الجنّ، يقول هذا ثمّ يعرض في الهامش لذكر حديث أبي هريرة فيمن كان يسرق تمر الصدقة، و إخبار النبي ﷺ له بأنّه شيطان - و هو في البخاري - و لغيره من الأحاديث التي تدلّ على أنّ الإنسان يرى الجنّي و يبصره، ثمّ يقول بعد أن يفرغ من سرده للروايات: و الصواب أنّه ليس في هذه الروايات كلّها حديث صحيح^٢.

بل و نجده يزيد على ذلك فيجوز أن تكون ميكروبات الأمراض نوعاً من الجنّ؛ و ذلك حيث يقول عند ما تعرّض لتفسير قوله تعالى في الآية (٢٧٥) من سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقَوْمُونَ إِلَّا كَمَا يَقَوْمُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾: «و المتكلّمون يقولون: إنّ الجنّ أجسام حيّة خفيّة لا تُرى. و قد قلنا في المنار غير مرّة: إنّّه يصحّ أن يقال: إنّ الأجسام الحيّة الخفيّة التي عُرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبّرة و تُسمّى بالمكروبات، يصحّ أن تكون نوعاً من الجنّ، و قد ثبت أنّها علل لأكثر الأمراض^٣.

١. تكلمنا عن ذلك في الشهيد (ج ١، ص ١٦٣-١٦٩) عند الكلام عن سورتي المعوذتين.

٢. المنار، ج ٧، ص ٥١٦ (التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٥٨٤).

٣. المنار، ج ٣، ص ٩٦.

تفسير القاسمي (محاسن التأويل)

لجمال الدين أبي الفرج محمد بن محمد المعروف بالقاسمي. توفي سنة (١٣٣٢ هـ). ولد في دمشق، وكان معروفاً في الفقه والتفسير والحديث، وكان من زعماء النهضة السياسية ضد الاستعمار في بلاد الشام. كان قد تلمذ على يد الأستاذ الشيخ محمد عبده، فأخذ عنه العلم والسياسة وعلم الاجتماع، وأفرغه في تفسيره هذا الممتع. التزم فيه المؤلف بمتابعة آراء السلف والاهتمام بنظراتهم في الفقه والتفسير، مراعيًا ما توصل إليه العلم، في شيء من الحذر، ومن ثمّ فهو من خير التفاسير المعاصرة، الجامعة بين آراء السلف ونظرات الخلف، مراعيًا جوانب الاحتياط؛ وبذلك قد جمع بين المأثور والمعقول، في سبك رائع وجزالة في الألفاظ ودقة في الآراء. وقد تكلم بلغة أهل عصره في براعة فائقة، ومن ثمّ طار صيته وأصبح من التفاسير المشار إليها بالبنان.

ومن ميزات هذا التفسير، اهتمامه البالغ بجانب الإشارات العلمية التي جاءت في القرآن، إنّه يعتقد اشتغال القرآن على أسرار من علوم الكون، ومن ثمّ افتتح فصلاً في مقدّمة تفسيره اختصاصاً بالكلام عن المسائل الفلكية الواردة في القرآن، ويتعرّض للقضايا الكونية في الخلق والتدبير، وفي النهاية يقول: «من عجيب أمر هذا القرآن أن يذكر أمثال هذه الدقائق العلمية العالية، التي كانت جميع الأمم تجهلها، بطريقة لا تقف عثرة في سبيل إيمان أحد به، في أيّ زمن كان، مهما كانت معلوماته، فالناس قديماً فهموا أمثال هذه الآيات بما يوافق علومهم، حتّى إذا كشف العلم الصحيح عن حقائق الأشياء، علمنا أنّهم كانوا واهمين، وفهمنا معناها الصحيح. فكأنّ هذه الآيات جعلت في القرآن معجزات للمتأخّرين، تظهر لهم كلّما تقدّمت علومهم... وهو معجزات للمتأخّرين يشاهدونها، وتتجلّى لهم كلّما تقدّموا في العلم الصحيح»^١. فرغ من تأليف التفسير سنة (١٣٢٩ هـ).

تفسير المراغي

هو الشيخ أحمد مصطفى المراغي، شقيق الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر في وقته، و تلميذ الإمام الشيخ محمد عبده صاحب تفسير المنار، و الذي وضع تفسيره هذا مشاكلاً له، و استفاداً من بحوث شيخه الأستاذ. توفي سنة (١٣٧١ هـ).

و تفسيره هذا من أشمل التفاسير لحاجة العصر في أسلوبه و في طريق سرد المطالب و نضد المقاصد، متجنباً القصص الإسرائيلية المدسوسة و الخرافات الدخيلة. و لا يغفل في أي مناسبة للجوء إلى علوم الطبيعة فيما يمس فهم كتاب الله العزيز، و من ثم فهو تفسير جيد مفيد في ذاته.

قال الذهبي: «لم نعرف من رجال هذه المدرسة - مدرسة الشيخ محمد عبده - رجلاً تأثر بروح الأستاذ الإمام، و نهج على طريقته من التجديد و إطراح التقليد، و العمل على تنقية الإسلام من الشوائب التي ألصقت به، و تنبيه الغافلين عن هديه و إرشاده، مثل الأستاذ المراغي. تربى هذا الرجل في مدرسة الأستاذ الإمام، و تخرج منها و هو يحمل بين جنبه قلباً مليئاً بالرغبة في الإصلاح، و الثورة على كل ما يقف في سبيل الإسلام و المسلمين»^١.

و قد نهج في تفسيره منهج شيخه، نراه لا يخوض في مبهمات القرآن بالتفصيل، و لا يدخل في جزئيات سكت عنها القرآن و أعرض عنها الرسول ﷺ فلا الروايات الموضوعية أو الضعيفة بكافية عنده حتى يزج بها في تفسيره، و لا الأخبار الإسرائيلية بمقبولة لديه، حتى يجعل منها شروحات لما أجمله القرآن و سكت عن تفصيله.

و مما يمتاز به هذا التفسير، عنايته بإظهار أسرار التشريع، فنراه يهتم اهتماماً كبيراً بإظهار سر التشريع الإسلامي، و حكمة التكليف الإلهي، ليظهر محاسن الإسلام، و يكشف عن هدايته للناس.

كما نجده يعرض لمشاكل المجتمع وأسباب الانحطاط في دول الإسلام، فيعالج كل ذلك بما يفوضه الله عليه من بيان هداية القرآن وإرشاده. فقد كان بصيراً بمواطن الداء وأسباب الشفاء، فكان يهدف في دروسه إلى علاجها واستئصالها، وكان كثيراً ما يوجه الخطاب إلى أرباب الحلّ والعقد في الدولة.

وهكذا وفق في التوفيق بين القرآن والعلم الحديث، رغم اعتقاده أنّ القرآن قد أتى بأصول عامّة لكلّ ما يهمّ الإنسان معرفته والعلم به، وكرهته أن يسلك المفسّر للقرآن مسلك من يجزّ الآيّة القرآنيّة إلى العلوم، أو العلوم إلى الآيّة، كي يفسّرها تفسيراً علمياً يتفق مع نظريّات العلم الحديث، ولكن مع ذلك كان يرى أن يكون المفسّر على شيء من العلم ببعض نظريّات العلم الحديث، ليستطيع أن يأخذ منها دليلاً على قدرة الله، ويستلهم منها مكان العبرة والعظة.

في ظلال القرآن

لسيد بن قطب بن إبراهيم الشاذليّ، المستشهد سنة (١٣٨٦ هـ) على يد طغاة مصر الحاكمة حينذاك. نشأ المؤلّف في بيئة إسلاميّة عريقة، وكان والده من المؤمنين المتعهّدين، ولد سنة (١٣٢٦ هـ) في قرية موشا من محافظة أسيوط، ثمّ ارتحل إلى القاهرة وكانت دراساته العليا هناك. كان كاتباً إسلامياً مجيداً، له في الإسلاميات كتب ورسائل مفيدة، تهدف إلى الحركة الإسلاميّة المتناسبة مع النهضة العلميّة الحديثة، فكان تفسيره هذا من خير التفاسير الأدبيّة الاجتماعيّة الهادفة إلى إحياء الحركة الإسلاميّة العتيّدة. فمن أهدافه إزاحة الفجوة العميقة بين مسلمي العصر الحاضر والقرآن الكريم، وتعريف المسلمين إلى المهمة العلميّة السياسيّة التي قام بها القرآن، وبيان الحميّة الجهاديّة التي يهدفها القرآن الكريم. إلى جنب تربية الجيل المسلم تربية قرآنيّة إسلاميّة كاملة، وبيان معالم هذا الطريق الذي يجب على المسلمين سلوكه.

وكان منهجه في التفسير: أولاً، عرض آيات مترابطة بعضها مع البعض، في مجموعة

منسجمة، وبيان الهدف الكلّي للسورة، ثمّ للآيات المعروضة. و تقسيم السور إلى دراسات، تقسيماً موضوعياً، لتعتبر كلّ مجموعة من الآيات ذات وحدة موضوعية، وذات هدف معيّن خاصّ.

ثمّ يحاول تفسير الآيات - في ذوق أدبيّ خالص - ببيان الأهداف الكلّية التي ترمي إليها الآيات، من غير تعرّض للجزئيات، كما يجتنب من ذكر الإسرائيليات، والروايات الموضوعية أو الضعيفة، كما يجتنب الخوض في مسائل الخلاف، وهكذا يتجنّب التعرّض للعلوم القديمة والحديثة التي لا علاقة لها بفهم معاني الآيات الكريمة، ويعتبر التعرّض لها جفاءً بالقرآن؛ لأنّه في غنى عنها، يقول هو في ذلك:

«وأنّي لأعجب لسذاجة المتحمّسين لهذا القرآن، الذين يحاولون أن يُضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطبّ والكيمياء والفلك وما إليها، كأنما ليعظّموه بهذا و يكبروه. إنّ القرآن كتاب كامل في موضوعه، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلّها؛ لأنّه هو الإنسان ذاته الذي يكشف هذه المعلومات وينتفع بها، والبحث والتجريب والتطبيق من خواصّ العقل في الإنسان، والقرآن يعالج بناء هذا الإنسان نفسه، بناء شخصيته و ضميره وعقله وتفكيره، كما يعالج بناء المجتمع الإنسانيّ الذي يسمح لهذا الإنسان بأنّه يُحسن استخدام هذه الطاقات المذخورة فيه»^١.

التحرير والتنوير

للشيخ محمّد الطاهر بن عاشور رئيس مجلس الإفتاء على المذهب المالكيّ بديار تونس (١٢٩٦-١٣٩٣ هـ). تولّى القضاء أكثر من عشر سنين ثمّ تولّى الإفتاء كما تولّى شيخه جامع الزيتونة. كان فقيهاً أدبياً لغويّاً ومفسراً مضطلعاً. كان من دعاة الإصلاح الدينيّ وله محاضرات و دراسات و مقالات كثيرة نشرت في كبريات المجلّات بتونس

ومصر.

و تفسيره هذا من أفخم التفاسير التي كتبت على المنهج العصري الحديث تعرّضاً لمباحث اجتماعية - إصلاحية ماسّة بحاجات العصر، فهماً و عرضاً على كتاب الله، في تدبّر عميق و دراسة شاملة. وقد كان التفسير معروفاً بتحرير المعنى السديد و تنوير العقل الجديد. وقد استخدم العقل و الذوق في فهم كتاب الله، إلى جنب النقل و رواية الحديث. اهتمّ المفسّر ببيان وجوه الإعجاز و نكت البلاغة و أساليب الكلام، و تعرّض لبيان التناسب بين الآي اتّباعاً لمنهج البقاعي في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، و في ذلك الكثير من التعسف و لا سيّما في جانب تناسب السور بعضها مع البعض و قد تورّط فيه كثير من المفسّرين بلا موجب. كما عُنِي مفسّرنا بجانب أهداف السور و بيان أغراضها في تكلف ظاهر.. و له في الإسرائيليات مواقف نزيهة، لولا أنّه ينحى منحى الأشاعرة في المسائل الكلامية، جموداً على ظاهر التعبير و يتحاشا التأويل زاعماً أنّه منهج اعتزالي.. غير أنّه يأخذ بتأويل كلام أصحابه بعض الشيء.. ففي مسألة الرؤية يقول: «و الخلاف في رؤية الله في الآخرة شائع بين طوائف المتكلمين، فأثبتته جمهور أهل السنّة لظواهر الأدلّة من الكتاب و السنّة، لكنّها رؤية تخالف الرؤية المتعارفة.. و تعرّض لكلام المعتزلة في الامتناع.. ثمّ قال: و قد تكلم أصحابنا بأدلّة الجواز و بأدلّة الوقوع، و هذا ممّا يجب الإيمان به مجملاً على التحقيق»^١.

الميزان في تفسير القرآن

تأليف العلامة الحكيم السيّد محمّد حسين الطباطبائي، من رجالات الفكر الإسلامي القلائل الذين انتجتهم الحياة العلمية الإسلامية في العصر الأخير. ولد بتبريز سنة (١٣٢١هـ) و توفّي بقم سنة (١٤٠٢هـ).

و هو تفسير جامع حافل بمباحث نظرية تحليلية ذات صبغة فلسفية في الأغلب، جمع

١. التحرير و التنوير، ج ٧، ص ٤١٥، ذيل الآية ١٠٣ من سورة الأنعام ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾.

فيه المؤلف إلى جانب الأنماط التفسيرية السائدة، أمراً مما أثارته النهضة الحديثة في التفسير، فقد تصدّى لما يثيره أعداء الإسلام من شبهات، و ما يضلّون به من تشويه للمفاهيم الإسلامية، بروح اجتماعية واعية، على أساس من القرآن الكريم، و فهم عميق لمصوغه الحكيم.

ولهذا التفسير القيمّ مزايا جمّة نشير إلى أهمّها:

١. جمع بين نمطي التفسير: الموضوعي و الترتيبي، فقد فسّر القرآن آية فآية و سورة فسورة. لكنّه إلى جنب ذلك، نراه يجمع الآيات المتناسبة بعضها مع البعض، لبحث عن الموضوع الجامع بينها، كلّما ربّ آية ذات هدف موضوعي، و كانت لها نظائر منبئة في سائر القرآن.

٢. عنايته التامة بجانِب الوحدة الموضوعية السائدة في القرآن، كلّ سورة هي ذات هدف أو أهداف معيّنة، هي تشكّل بيان السورة بالذات، فلا تتمّ السورة إلّا عند اكتمال الهدف الموضوعي الذي رامته السورة، و بذلك نجد السور تتفاوت في عدد آياتها. يقول هو في ذلك: «إنّ لكلّ طائفة من هذه الطوائف من كلامه تعالى التي فصلها قطعاً قطعاً و سمّي كلّ قطعة سورة نوعاً من وحدة التأليف و الالتئام، لا يوجد بين أبعاض من سورة، و لا بين سورة و سورة، و من هنا نعلم أنّ الأغراض و المقاصد المحصّلة من السور مختلفة، و أنّ كلّ واحدة منها مسوقة لبيان معنى خاصّ و لغرض محصّل، لا تتمّ السورة إلّا بتمامه»^١.

٣. نظرية «الوحدة الكلّية» الحاكمة على القرآن كلّّه، باشتماله على روح كلّية سارية في جميع آياته و سوره، و تلك الروح هي التي تشكّل حقيقة القرآن الأصلية السائدة على أبعاضه و أجزاءه. يرى المؤلف: أنّ وراء هذا الظاهر من ألفاظ و كلمات و حروف و روحاً كلّية، كانت هي جوهر القرآن الأصيل، و كانت بمثابة الروح في الجسد من الإنسان. قال في ذلك: «فالمحصّل من الآيات الشريفة أنّ وراء ما نقرأه و نعقله من القرآن، أمراً

هو من القرآن بمنزلة الروح من الجسد، والمتمثل من المثال، وهو الذي يسميه تعالى بالكتاب الحكيم، وهو الذي تعتمد عليه معارف القرآن، وليس من سنخ الألفاظ ولا المعاني^١.

وبذلك وبالذي قبله، تتشكل وحدة السياق في القرآن، كما لا يخفى.

٤. الاستعانة بمنهج «تفسير القرآن بالقرآن». فقد حقق المؤلف هذا الأمر وأوجده ببيان؛ إذ نراه يعتمد في تفسيره على القرآن ذاته، فيرى أن غير القرآن غير صالح لتفسير القرآن، بعد أن كان هو تبياناً لكل شيء فيا ترى كيف يكون القرآن تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه؟!

لكن التزام تفسير القرآن بنفسه، يتطلب جهداً بالغاً وإحاطة تامة، وقد لمسناه في مفسرنا العلامة، ووجدناه على قدرة فائقة في ذلك.

يقول هو في ذلك: «الطريقة المرضية في التفسير هي أن نفس القرآن بالقرآن، ونشخص المصاديق ونتعرفها بالخواص التي تعطيها الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^٢ وحاشا القرآن أن يكون تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه^٣.

الفرقان في تفسير القرآن

تأليف الشيخ محمد الصادق الطهراني، وقد تم تأليفه خلال السنوات (١٣٩٧-١٤٠٧هـ)، وكان بصورة محاضرات يلقيها على طلبة العلوم الدينية في الحوزتين النجف وقم. وهو تفسير جامع شامل، اتخذ منهج تفسير القرآن بالقرآن حسب الإمكان، وهو تحليلي تربوي اجتماعي، مع الاستناد إلى أحاديث يراها صحيحة وأخرى ملائمة مع ظواهر القرآن، ولذا احترز عن الإسرائيليات بشكل قاطع، وكذا عن

الأحاديث الموضوعية والضعيفة. وبما أن المؤلف يُعدّ من الفقهاء، فإنّ في تفسيره الشيء الكثير من التعرّض لمسائل الفقه والأحكام بصورة مبسّطة، وهكذا تجده يفصّل في المسائل الكلامية الاعتقادية في نزاهة، كما ويجتنب تحميل القرآن بنظرات العلم الحديث، ويرى أن القرآن في غنى عن ذلك، اللهمّ إلاّ إذا رُفِعَ بذلك إيهام في إشارات عابرة جاءت في القرآن، على شرط أن تكون النظرية ثابتة؛ ولذلك نراه يحمل على الشيخ طنطاوي في ولعه بحمل النظريات العلمية على القرآن. وفي ذلك يقول: «ومن ذلك كثير عند المترجمين من المفسّرين الذين غرقوا في العلوم والنظريات الجديدة، ونسوا أن القرآن هو علم الله، فلن يتبدّل، والعلم دوماً في تبدّل وحوّل من خطأ إلى صواب ومن صواب إلى أصوب»^١.

من هدى القرآن

تفسير ترويّي تحليلي شامل، يبحث فيه المؤلف هو السيّد محمّد تقّي المدرسي عن الربط الموضوعي بين الواقع المعاش، وبين الحقائق الراهنة والدلائل البيّنة التي أبانها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً، كمنهج ترويّي وأخلاقي، يستهدف وضع الحلول الناجعة لكلّ مشكلات العصور المختلفة حتّى قيام الساعة. قال المؤلف: «واعتمدت فيه على منهج التدبّر المباشر، انطلاقاً ممّا بيّنته في التمهيد، أي منهج الاستلهام مباشرة من الآيات، والعودة إلى القرآن ذاته، كلّما قصرنا عن فهم بعض آياته وفق المنهج الذي علّمنا إياه الرسول الكريم وأئمّة أهل البيت عليهم السلام حيث أمرونا بتفسير القرآن ببعضه»^٢ فكان تفسيراً تحليلياً ترويّياً، لم توجد فيه المغمّعات الجدلية، ولا الخرافات الإسرائيلية، معتمداً شرح الآيات وذكر مقاصدها العالية وأهدافها السامية، ومعالجة أدواء المجتمع معالجة ناجعة موفّقة.

تمّ تأليف الكتاب سنة (١٤٠٥ هـ)، في (١٨) مجلّداً، وطبع سنة (١٤٠٦) بطهران.

من وحي القرآن

تفسير تربوي اجتماعي شامل، و يعدّ من أروع التفاسير الجامعة، النابعة من روح حركية نابضة بالحيوية الإسلامية العريقة. انطلق فيه المؤلف هو السيد محمد حسين فضل الله، من ألمع علماء الإسلام في القطر اللبناني يعمل في إحياء الجوّ القرآني في كلّ مجالات الحياة الماديّة والمعنويّة، نظير ما صنعه سيّد قطب في تفسيره في ظلال، مضيفاً عليه تعاليم صادرة عن أهل البيت في تربية الجيل المسلم، و متناسباً مع كلّ دور من أدوار الزمان.

و قد بدأ المؤلف بمقدّمة في بيان هدفه من التفسير و الخطوات الأساسيّة التي مشى عليها، قال: «هل هذا كتاب تفسير، و هل نحن بحاجة إلى تفسير جديد أمام هذا الحشد من التفاسير، التي لم تترك جانباً من جوانب المعرفة القرآنيّة، إلّا و أفاضت في تحليله و توسيعه و تعميقه، من الجوانب اللغويّة، إلى الجوانب البلاغيّة و الفلسفيّة، و النفسيّة و الاجتماعيّة... و ما تزال المحاولات مستمرة في استحداث آفاق جديدة لتفاسير جديدة؟ و الجواب: إنّنا لم نكتب هذه الأبحاث في البداية كمحاولة تفسيرية جديدة، بل كانت دروساً قرآنيّة تُلقى على مجموعة من الطّلاب المؤمنين المثقّفين، من أجل خلق وعي قرآنيّ يركّز الوعي الإسلاميّ على قواعد ثابتة. انطلقت هذه الدروس في خطّ عمليّ متحرّك يركّز على استيحاء أجواء القرآن، من أجل أن نعيش تلك الأجواء في حياتنا الإسلاميّة الصاعدة؛ لأنّ القرآن ليس كلمات لغويّة تتجمّد في معناها اللغويّ، بل هي كلمات تتحرّك في أجواء رويّة و عمليّة...»^١.

و من ثمّ يغلب على التفسير الطابع التربويّ بما للكلمة التربية من معنى اصطلاحيّ، يتجسّد في الارتقاء بالإنسان في كلّ مجالاته المختلفة، و يسعى إلى إحداث عمليّة التكيّف و التفاعل بين الكائن الآدميّ و بيئته الطبيعيّة و الاجتماعيّة، لتحقيق خلافة الله

في الأرض^١.

وهكذا يمتاز هذا التفسير بأسلوبه الأدبي الرائع، مع المزج بينه وبين الأسلوب العلمي المتأدب النزيه، ممّا يجعل الكتاب رائعاً يجذب القارئ إليه جذباً، و يجعله يتفاعل معه مغرماً به.

وقد تمّ تأليف هذا التفسير القيم عام (١٣٩٩ هـ)، و طبع عدّة طبعات، و لا تزال تعاد طبعاته، حسب رغبة الجيل المثقف من الأُمَّة في اقتنائه و الاستضاءة بأنواره، لا زال المؤلف مؤيداً مسدداً.

تفسير نمونه (الأمثل)

هو أوّل تفسير نموذجي ظهر إلى الوجود، و كان قد تعاون عليه جمع من فضلاء الحوزة العلميّة بقم المقدّسة؛ و ذلك خلال مدّة (١٤) سنة (١٣٩٦-١٤١٠ هـ). و لهذا كان التفسير عملاً جماعياً، قد بذلت في تدوينه جهود، و لكن تحت إشراف العلّامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، أحد أعلام العصر، و من المجاهدين في سبيل الدعوة الإسلاميّة، صاحب تأليف إسلاميّة عريقة، و صاحب نظر و رأي و اجتهاد.

و هذا التفسير إنّما دوّن و كتب ليكون غذاءً نافعاً للجيل المعاصر؛ و لذلك جاء بالأهمّ من المواضيع الإسلاميّة، التربويّة و الأخلاقيّة، و متناسباً مع المستوى العامّ، فكانت خدمة جلييلة أسداها الشيخ مكارم و أعوانه، و قدّموها للجيل المتعطّش إلى فهم معاني القرآن بشكل واسع، و الاستقاء من مناهله العذبة. جاء في المقدّمة: «لكلّ عصر خصائصه و ضروراته و متطلّباته، و هي تنطلق من الأوضاع الاجتماعيّة و الفكرية السائدة في ذلك العصر، و لكلّ عصر مشاكله و ملابساته الناتجة عن تغيير المجتمعات و الثقافات، و هو تغيير لا ينفكّ عن مسيرة المجتمع التاريخيّة، و المفكّر الفاعل في الحياة الاجتماعيّة، هو ذلك الذي فهم الضرورات و المتطلّبات، و أدرك المشاكل و الملابسات. و قد واجهنا دوماً

أسئلة وردت إلينا من مختلف الفئات، وخاصة الشباب المتعطش إلى نبع القرآن عن التفسير الأفضل، كانت هذه الأسئلة تنطوي ضمناً على بحث عن تفسير يبين عظمة القرآن عن تحقيق لا عن تقليد، و يجيب على ما في الساحة من احتياجات وتطلعات وآلام وآمال. تفسير يُجدي كلّ الفئات، و يخلو عن المصطلحات العلمية المعقدة، و نحن نفتقر إلى تفسير مثل هذا. فالسلف و المعاصرون كتبوا في ذلك كثيراً، و لكنّها بأساليب خاصة بالعلماء و الأدباء، و على مستويات رفيعة^١. فمن هنا لم يجدوا بدءاً من الإقدام على مثل هذا التفسير بهذا الشكل الصالح للفهم العامّ، الأمر الذي يجعل من هذا التفسير على أهميّة كبرى في سبيل التثقيف العامّ، خدمة جلييلة مشكورة.

و هذا التفسير قد كتب بالفارسيّة في (٢٧) مجلّداً، و ترجم إلى العربيّة باسم الأمل في (٢٠) مجلّداً. و طبع عدّة مرات.

كما أنّه لُخصّ في ثلاث مجلّدات باسم برگزیده تفسير نمونه إعداداً للتدريس في الحوزة بتحقيق و تنظيم أحمد عليّ بابايي. فكان موضع حفاوة الطلبة و المدرّسين.

الكاشف

للكاتب العلامة الشيخ محمّد جواد مغنية، من كبار علماء لبنان (١٣٢٢-١٤٠٠ هـ). المتخرّجين من حوزة النجف الأشرف. عُين قاضياً شرعياً في بيروت، ثمّ مستشاراً للمحكمة العليا، فريساً لها بالوكالة. و عُرضت عليه الرئاسة، لكنّه رفض و انعزل، و انصرف إلى التّأليف، فأخرج العديد من المؤلّفات ذوات الاعتبار، منها هذا التفسير القيم، أخرج في سبع مجلّدات، و طبع عدّة طبعات.

و كان الشيخ مغنية من الدعاة إلى التقريب بين المذاهب، و كتب رسالات و مقالات في مجلّة رسالة الإسلام بهذا الشأن، و أحسن و أفاد.

و يعدّ تفسيره هذا من النمط الجديد، الذي يتلائم و حاجة المسلمين في هذا العصر.

ولقد أجاد في هذا المضمار، وأوجز الكلام حول مفاهيم القرآن الكريم المتوافقة مع متطلبات الزمن، في عبارات شيقة رصينة، ودلائل متينة معقولة، من غير أن يتغافل عما حققه المفسرون السلف وزاد عليه الخلف. فكان تفسيراً جامعاً وشاملاً ومجيباً على أسئلة الجيل الحديث، فجزاه الله خير الجزاء.

التفسير المبين

هناك لخص الأستاذ مغنية تفسيره الكاشف في مجلد واحد، في عبارة سهلة مرنة وفي إيجاز وإفاء. وقد احتفل به الطلبة ورواد العلم في مختلف البلاد. وطبع على هامش المصحف الشريف تقريباً للتناول. وقد كان عملاً جميلاً كأصله الجميل..



وهناك تفسير آخر بنفس الاسم كاشف تفسير فارسي، تعاون على تأليفه، كل من الأستاذ السيد محمد باقر حجتى، والأستاذ عبد الكريم الشيرازي، من أساتذة جامعة طهران. يقع في ١٢ مجلداً، وطبع منذ عام (١٤٠٤ هـ). عدة طبعات.

ويعدّ تفسيراً جديداً في بيان الشكل الموزون لسور القرآن ونظمها، ومناسبات الآيات والسور وتبينها وتفسيرها، مع الاهتمام بالبيان اللغوي، وترجمة تفسيرية موجزة، وذكر الصور والأشكال والجداول الإحصائية والرسوم الجغرافية لتوضيح المعنى، مما تتطلبه حاجة الطلبة الجامعيين اليوم وقد حاولا جهدهما في عرض معلومات قرآنية هي بحاجة للجيل الجديد، مما لا يتاح غالباً العثور عليها في سائر التفاسير أو هي بعيدة عن تناول الشباب المثقف في العصر الحاضر. فقد كانا موقنين في هذا الهدف السامي، جزاهما الله خيراً.

مخزن العرفان

تفسير حافل جامع، هو من خير التفاسير التي أنتجها الجيل الجديد، في أسلوب رائع بدیع، في خمسة عشر مجلداً، باللغة الفارسية السهلة السلسة، وضعتها مفخرة النساء

الإيرانيات، السيّدة نصرت بنت السيّد محمّد عليّ أمين، من كبار علماء أصفهان. وقد تفرّدت أصفهان من بين البلاد الإسلاميّة، بهذه السيّدة الجليلة، التي انصرفت بمجهودها نحو العلوم الإسلاميّة، حتّى نالت درجة عالية من الاجتهاد في الفقه و في سائر العلوم الأدبيّة والفلسفيّة والعرفان، في أرقى درجات.

وهذه السيّدة المعروفة بـ«بانو أمين» قد بذلت جُهدا البالغ في تربية النساء الفاضلات في شتّى مناحي إيران الإسلاميّة. وقد ازدهر البلاد بكثرة من هذه النساء العالمات، ولا تزال تزدهر البلاد بالتوسّع في سبيل تثقيف المرأة المسلمة ثقافة إسلاميّة عريقة ورائقة؛ كلّ ذلك بفضل جهود هذه السيّدة الفاضلة الواعية.

وتوفيت سنة (١٤٠٣ هـ) عن عُمرٍ ناهزَ التسعين، فلقد عاشت سعيدة وماتت حميدة. فرحمة الله عليها وبارك في علمها باقياتٍ صالحاتٍ.

ولها في شتّى العلوم والمعارف الإسلاميّة كتب ورسائل قيّمة، لا تزال موضع ارتفاع طلاب العلم ورواد المعرفة.

والتفسير وضع على أسلوب تربويّ، يعمد إلى تزكية النفس، ثمّ إلى تهذيب الأخلاق، في شكل جيّد بديع. ويُعدّ من خير الآثار، فجزاها الله خير الجزاء الصالحات.



وهناك تفاسير أخر باللّغتين الفارسيّة والعربيّة، دوّنت أخيراً على أثر النهضة الدينيّة والحركة الثقافيّة، في ربوع إيران الإسلاميّة. نطوي الكلام عن ذكرها، ونحيل الطالب إلى ما جمعه زميلنا الفاضل العلامة السيّد محمّد عليّ أيازيّ في موسوعته القيّمة المفسّرون حياتهم ومنهجهم. وهو كتاب حافل جامع لأنواع التفاسير التي زخرت بها البلاد الإسلاميّة ولا سيّما في العصر الحاضر، جزاه الله خيراً.



التفسير الموضوعي

مصطلح حديث ظهر في العصر الأخير عند ما قرّرت هذه المادّة ضمن قسم التفسير بمعاهد الدراسات الإسلامية العليا.. غير أن لَبِنَات هذا اللون من التفسير وعناصره الأُولِيّة كانت موجودة منذ عهد السلف و هكذا طول تاريخ التفسير. فقد كانت الالتفاتة إلى مواضيع جاءت في القرآن أو معروضة على القرآن، معهودة منذ الصدر الأوّل، بغية معرفة الدراسات القرآنيّة في مواضيعها المحوريّة، أو مسائل معروضة على القرآن لغرض الاستفتاء منه، في مشاكل عارضت حياة المسلمين - عامّة أو خاصّة - لِيُسْتَبَانَ وجه حلّها منه، لأنّ فيه دواء دائهم و شفاء أسقامهم.. الأمر الذي لمسّه المسلمون منذ أوّل يومهم..

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^١.

وقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾^٢.

وقال: ﴿لَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾^٣.

و العمدة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^٤.

١. النحل (١٦): ٨٩.

٢. الكهف (١٨): ٥٤.

٣. الروم (٣٠): ٥٨.

٤. يونس (١٠): ٥٧.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النُّورُ الْمُبِينُ وَ الْحَبْلُ الْمَتِينُ وَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى؛ مِنْ اسْتِضَاءِ بِهِ نَوْرِهِ اللَّهُ، وَ مِنْ عَقْدِ بِهِ أُمُورِهِ عَصْمَهُ اللَّهُ، وَ مِنْ تَمَسُّكِ بِهِ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، وَ مِنْ لَمْ يَفَارِقْ أَحْكَامَهُ رَفَعَهُ اللَّهُ، وَ مِنْ اسْتَشْفَى بِهِ شَفَاهُ اللَّهُ...»^١.

و قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «عليكم بكتاب الله؛ فإنه الحبل المتين و النور المبين و الشفاء النافع و الري الناقع، و العصمة للمستمسك، و النجاة للمتعلق... ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق، و لكن أخبركم عنه: ألا إن فيه علم ما يأتي و الحديث عن الماضي، و دواء داءكم و نظم ما بينكم... فاستشفوه من أدوائكم و استعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاءً من أكبر الداء، و هو الكفر و النفاق و الغي و الضلال، فاسألوا الله به...»^٢.

و قال الإمام أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيهِ مَصَابِيحُ النُّورِ وَ شَفَاءُ الصُّدُورِ...»^٣.



و مذ لمس المسلمون شفاء أدوائهم من القرآن فزعوا إليه بين آونة و أخرى يستشفون به و يستمدون منه في علاج مشاكلهم في الحياة، فحيث عرضت عارضة كادت تعرقل عليهم المسير أو تكدر عليهم صفو المعين، عمدوا إلى القرآن و استجلبوا منه وضح الطريق و المنهج التوحيدي، فكان من ذا و ذلك لمة من مسائل و دلائل قرآنية كانت مباحث ذوات محورية، كل مبحث يدور حول موضوع خاص، بحثاً وراء فهم أبعاده و مراميه من نص القرآن الحكيم الذي فيه تبيان كل شيء.. الأمر الذي اصطلح عليه المتأخرون بالتفسير الموضوعي، أي المقتصر على البحث و الفحص عن النظرة القرآنية حول موضوع أو مواضيع خاصة.. في قبال التفسير العامّ الباحث عن مختلف أبعاد هذا النصّ، اللغويّة و الأدبيّة و الفقه و الكلام و سائر الأبعاد ممّا يتعلّق بنصّ القرآن الكريم تباعاً و في شكل

١. بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٣١، عن تفسير الإمام، ص ٤٥٠.

٢. المصدر نفسه، ص ٢٣-٢٤ عن نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٧٦.

٣. المصدر نفسه، ص ٣٢، رقم ٣٥.

رتيب حسب ترتيب الآيات والسور.



و في ضوء هذا البيان نستطيع تحديد التفسير الموضوعي بأنه البحث وراء الحصول على نظريات قرآنية ذات محورية خاصة بمواضيع تمس جوانب الحياة الفكرية الثقافية والاجتماعية.. بحثاً من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بشأن تلك المواضيع.. فهي مسائل ودلائل ذات صبغة قرآنية بحتة.. واستنتاجات مستحصلة من ذات القرآن و من داخله بالذات..

و عليه فالبحث عن شؤون القرآن، هي مسائل ودلائل تدور حول القرآن، خارج من هذا التحديد.. كالبحث عن القراءات و عن أعراب القرآن، و البحث عن بلاغته و إعجاز بيانه، و عن الناسخ و المنسوخ في القرآن، و البحث عن متشابهات القرآن و عن الحروف المقطعة و ما شاكل. مما اصطلحوا عليه باسم «علوم القرآن» أي العلوم الباحثة عن شؤون القرآن، و ليس بحثاً وراء الحصول على نظرة القرآن.. بل بحثاً وراء نظرات حول القرآن و عن شؤونه لا عن محتوياته و نظراته..

ألوان التفسير الموضوعي

و إذ كان هذا النوع من التفسير بحثاً وراء وحدات موضوعية هي ذوات محورية خاصة، كان البحث عنها جميعاً أو أشتاتاً، بحثاً حسب الحاجة إليها.. و من ثم اختلفت و تنوعت ألوان هذا التفسير.. فمنها المقتصر على مسائل فقهية مستنبطة من القرآن، و منها المقتصر على مسائل الكلام أو الأخلاق أو السياسة و الاجتماع، و منها المستوعب لجلّ المسائل ذوات التعلّق بالحياة الحاضرة.. و نحو ذلك..

غير أنّ المنهج الذي يسلكه المفسّر هنا يختلف أساساً في لونين: قد يعمد إلى مواضيع طُرحت بذاتها في القرآن، فيحاول المفسّر استخراجها و استجلاء أبعادها و حدودها من القرآن.. و أخرى يعمد إلى مواضيع هي ضرورات الحياة الحاضرة فيعرضها على القرآن،

لفرض استجلاء نظرة القرآن بشأنها و معرفة أبعادها و حدودها منه بالذات..

و قد رجّح الشهيد الصدر هذا اللون الثاني، الذي هو محاولة لفهم وصفة القرآن بشأن معالجة أدواء هي حاضرة الحياة.. كما يترجّح على النهج التفسيريّ العامّ الباحث عن مفاهيم القرآن حسب ترتيب السور والآيات..

قال: لأنّ المفسّر الموضوعي لا يبدأ عمله من النصّ، بل من واقع الحياة، يركّز نظره على موضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية و يستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنسانيّ حول ذلك الموضوع من مشاكل، و ما قدّمه الفكر الإنسانيّ من حلول، و ما طرحه التطبيق التاريخيّ من أسئلة و من نقاط فراغ، ثمّ يأخذ النصّ القرآنيّ، لا ليتخذ من نفسه بالنسبة إلى النصّ دور المستمع و المسجّل فحسب، بل لي طرح بين يدي النصّ موضوعاً جاهزاً مشرباً بعدد كبير من الأفكار و المواقف البشرية، و يبدأ مع النصّ القرآنيّ حواراً (سؤال و جواب): المفسّر يسأل و القرآن يجيب..

المفسّر على ضوء الحصيلة التي استطاع أن يجمعها من خلال التجارب البشرية الناقصة، من خلال أعمال الخطأ و الصواب التي مارسها المفكّرون على الأرض، لا بدّ أن يكون قد جمع حصيلة ترتبط بذلك الموضوع، ثمّ ينفصل عن هذه الحصيلة ليأتي و يجلس بين يدي القرآن الكريم، لا يجلس ساكناً ليستمع فقط، بل يجلس محاوراً، يجلس سائلاً و مستفهماً و متدبّراً، فيبدأ مع النصّ القرآنيّ حواراً حول هذا الموضوع، و هو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح و النظرية التي بإمكانه أن يستلهمها من النصّ من خلال مقارنة هذا النصّ بما استوعبه الباحث عن الموضوع من أفكار و اتجاهات.

و من هنا كانت نتائج التفسير الموضوعيّ نتائج مرتبطة: دائماً بتيّار التجربة البشرية، لأنّها تمثّل المعالم و الاتجاهات القرآنية لتحديد النظرية الإسلامية بشأن موضوع من مواضيع الحياة.

و من هنا أيضاً كانت عملية التفسير الموضوعيّ عملية حوار مع القرآن الكريم

واستطاق له، وليس مجرد استجابة انفعالية، بل استجابة فعّالة و توظيفاً هادفاً للنصّ القرآنيّ في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث عن القرآن الكريم:

«ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق، و لكن أخبركم عنه؛ ألا إنّ فيه علم ما يأتي و الحديث عن الماضي، و دواء دائكم و نظم ما بينكم»^١.

التعبير بالاستنطاق الذي جاء في كلام ابن القرآن، أروع تعبير عن عملية التفسير الموضوعيّ بوصفها حواراً مع القرآن الكريم و طرحاً للمشاكل الموضوعيّة عليه بقصد الحصول على الإجابة القرآنيّة عليها^٢.

إذن كانت وظيفة التفسير الموضوعيّ دائماً في كلّ مرحلة و في كلّ عصر أن يحمل المقولات التي تعلّمها خلال تجربته البشريّة ليضعها بين يدي القرآن ليحكم عليها بما يمكن لهذا المفسّر أن يفهمه أن يستشقه أن يتبيّنه من خلال مجموعة آياته الشريفة..

إذن فهنا يلتحم مع القرآن، كما يلتحم مع الحياة، لأنّ التفسير يبدأ من الواقع و ينتهي إلى القرآن، بوصفه القيمّ و المرجع الذي يحدّد الاتجاهات الرّبانيّة بالنسبة إلى ذلك الواقع.. و من هنا تبقى للقرآن حينئذ قدرته على القيمومة دائماً، قدرته على العطاء المستجدّ دائماً، قدرته على الإبداع كلّ آن.. لأنّ القرآن عطاء لا ينفد و منحة لا تنضب.. بل يجري كما تجري الشمس و القمر..

هذا بينما طاقات التفسير اللغويّ - مثلاً - طاقات متناهية و محدودة، و ليس هناك تجدد في مدلول لغويّ، و لو وجد فلا معنى لتحكيمة على القرآن..

إذن هذا العطاء الدائم المستجدّ في كلّ عصر و في كلّ دور، هي هذه المعاني التي لا تنتهي للقرآن، و التي تكمن في هذا المنهج، منهج التفسير الموضوعيّ للقرآن، لأنّنا نستنطق القرآن و القرآن يجيب، و إنّ في القرآن علم ما كان و علم ما يكون، و فيه دواء

دائنا ونظم ما بيننا، وفيه ما يمكن أن نستشفّ منه مواقف السماء تجاه تجارب الأرض مع الأبد..

فمن هنا كان التفسير الموضوعي قادراً على أن يتطور، على أن ينمو، على أن يثري.. لأنّ التجربة البشرية تثرية، والدرس القرآني والتأمل القرآني على ضوء التجربة البشرية يجعل هذا التراث محمولاً إلى فهم إسلامي قرآني صحيح، على مدى الأيام..^١

التفسير الموضوعي ضرورة

وإذ كان المنهج الموضوعي في التفسير إجابة على متطلبات الحياة مع الزمان باعتباره أوسع أفقاً وأرحب باعاً وأكثر عطاءً حسب المقننات.. وباعتباره أقدر على التجدد باستمرار وعلى التطور والإبداع.. وباعتبار أنّ التجربة البشرية تغني هذا التفسير بما تقدّمه من موادّ، وتلاحم معه تلاحم الطالب والمطلوب..

باعتبار ذلك كلّ نرى موضع التفسير الموضوعي في كلّ دور و كور موضع ضرورة تقتضيها حاجة الحياة باستمرار.. والحقيقة أنّ هناك اليوم وبعد اليوم - كما كان قبل اليوم - ضرورة أساسية لتحديد نظريات الإسلام - و من خلال معطيات القرآن - بشأن الموادّ المطروحة لدى ساحة القرآن لاستعلام رأيه فيها، والمؤثر في تكييف الحياة الدينية العائشة في ظلّ عناية الإسلام والقرآن..

نعم، لا ينبغي أن يكون المقصود من هذا البيان هو الاستغناء عن سائر المناهج التفسيرية ولا سيما التفسير الشامل وفق الترتيب.. وإمّا هي إضافة اتّجاه إلى إتجاه.. فقد كان التفسير الموضوعي خطوة إلى الأمام بالنسبة إلى المنهج الترتيبيّ إذن ليست المسألة مسألة استبدال، وإمّا هي مسألة ضمّ الاتّجاه الموضوعي في التفسير إلى الاتّجاه الترتيبيّ، يعني افتراض خطوتين، خطوة هي التفسير الترتيبيّ و خطوة أخرى هي التفسير الموضوعي..^٢

أنهاء من التفسير الموضوعي

١. منه المندرج ضمن التفسير الترتيبيّ الشامل، في شكل حقول مودعة أثناء التفسير وفي مجالات مؤاتية والأكثر مع تفسير أول آية تعرّضت للموضوع..

وهذه الحقول بما أنّها متناثرة خلال التفسير العامّ، فلا بدّ من فهرسة لها موضوعيّة للدلالة على مواطنها.. وقد تعارف عليه التفاسير المعاصرة الباحثة في ثناياها عن أمّهات المسائل الإسلاميّة العريقة، خذ لذلك مثلاً تفسير المنار و تفسير الميزان، وفيهما الكثير من أبحاث موضوعيّة ذات صلة بواقع الحياة، معروضة على القرآن بشكل دقيق..

٢. ومنه المصدرّ في كلّ بحث إسلاميّ، ومكلاً كلّ حقل من حقوله بلمّة من آيات مترابطة و مرتبطة بصميم البحث، ممّا تعارفت عليه الكتب الباحثة عن المعارف والأخلاق والآداب والسنن وحتّى الكتب الفقهيّة يتجلّل مطالع أبوابها وفروع مسائلها بآية أو آيات ذات صلة بالبحث، والتي تمونّ البحث في مادّته الأولىّة الأصيلّة.. وأفضل نموذج لذلك - مثلاً- هو كتاب بحار الأنوار للمجلسيّ العظيم، فقد صدر كلّ باب منه بآيات مرتبطة قبل عرض الروايات.

٣. ومنه المستقلّ بالبحث والتنقيب، بحثاً وراء العثور على آيات تجمعها وحدات موضوعيّة، إمّا بصورة مستوعبة أو على قدر الحاجة ومدى إلحاح الضرورة.



وهذا النوع الثالث - وهو موضع دراستنا في هذا المجال- يتواجد على نمطين: إذ قد يكون بحثاً وراء مواضيع مطروحة في القرآن، وأخرى عن مسائل معروضة على القرآن. وكلا النمطين هما يمسان واقع الحياة وفي شمول عامّ؛ إذ البحث عن مواضيع مطروحة في القرآن، بحث عن أصول وقواعد عامّة قدّمها القرآن لتكون مشاعل وهاجة تنير درب الحياة مدى الأيام وتجيّب عن مسائل الإنسان في كلّ عصر وفي كلّ مكان.. فالوقوف على هذه الأصول والقواعد العامّة ضرورة تمسّ واقع الحياة بصورة شاملة..

وهكذا البحث عن مسائل تطرح بين يدي القرآن لغرض استلهاهم حلولها في ضوء

براهينه الساطعة و دلائله اللانحة المودعة فيه منذ البدء..

و على أيّ تقدير فإنّ المهمّة هي المقدرّة العلميّة الوافية بتبيين مواضع إمكان الاستعلام من القرآن، و الذي يتطلّب حنكة و اضطلاعاً بالمسائل القرآنيّة العريقة.. و هذا يستدعي تفرّ الشرائط التالية:

أولاً- إحاطة بمواضع الآيات حسب تنوع محاورها و اتّجاهاتها و الأهداف.
و ثانياً- تنظيم الآيات المتناسبة بعضها مع بعض حول محوريّتها الجامعة.
و ثالثاً- استنتاج ما أفادته مجموعة تلكم الآيات منضّمة بعضها إلى بعض و بصورة جماعيّة و التي قد تختلف عمّا لو فصل بعضها عن بعض و بصورة إفراديّة..

* * *

و عليه فلو حاولنا تنوع التفسير الموضوعيّ لوجدناه على ثلاثة أنماط:
١. أبحاث موضوعيّة جاءت خلال التفسير العامّ. كما ذكرنا بشأن تفسير المنار و تفسير الميزان..

٢. أبحاث موضوعيّة مستخرجة من ذات القرآن جاءت مستقلّة بالبحث و التنقيب. كما هو الشأن في تفسير العلامة سبحانيّ باللّغتين العربيّة باسم مفاهيم القرآن. و الفارسيّة باسم منشور جاويد بحث فيهما بحثاً ضافياً عن مواضيع قرآنيّة عريقة بتفصيل و إحكام. و هكذا العلامة مكارم الشيرازيّ في كتاب پیام قرآن استخرجه من تفسيره نمونه في عشر مجلّدات.

٣. أبحاث موضوعيّة مستنبطة حكمها من القرآن بعد العرض عليه. كما نجده في تفسير العلامة مصباح اليزديّ باسم معارف قرآن بحوث جلييلة في ضوء تعاليم القرآن الراقية. و هكذا العلامة جواديّ الآمليّ كتب على هذا النمط في ثلاثة عشر مجلّداً و عرض فيها مسائل إسلاميّة ذات أهميّة في الحياة الحاضرة، بحث عنها مستلهماً أحكامها من القرآن الكريم بشكل رائع..

و على غرارهما جاء تفسير الأستاذ محمّد عليّ الصابونيّ في ستّة عشر مجلّداً، بحث

فيه عن أمّهات مسائل الحياة و المشاكل التي عارضت الجامعة الإسلاميّة في الوقت الحاضر بالذات.

و كذا الشيخ محمّد متولّي الشعراويّ له تفسير كبير في ٢٩ مجلّداً كتبه على نهج التفسير الموضوعيّ و لكن على غرار تفسير المنار و الميزان ضمن التفسير العامّ. و أمثال ذلك كثير و لا يزال يزداد حسب حاجة الزمان. و من ذلك الكتب الباحثة عن متشابهات القرآن أو ردّ المطاعن عن القرآن و ما شابهه، حيث البحث فيها وقع عن مفاده و معطياته، و ليس بحثاً عن مجرد شؤونه محضاً كما في مباحث علوم القرآن.

الفهارس

- ﴿ فهرس الآيات القرآنية ﴾
- ﴿ فهرس الأحاديث والآثار ﴾
- ﴿ فهرس الأعلام ﴾
- ﴿ فهرس المواضيع ﴾

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الصفحة
(١) الفاتحة	
١	بسم الله الرحمن الرحيم ٩٥٥
٤	مالك يوم الدين ٣١٥
٦	اهدنا الصراط المستقيم ٨٩٢، ٥٤٢
(٢) البقرة	
٣	يؤمنون بالغيب ٨٦٩
٦	سواء عليهم أن نذرتهم أم لم تنذرهم ٩٩٥، ٨٨٠، ٧٤٣، ٧٤٢
٧	ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ٩٩٤، ٨٥٥، ٧٤٣، ٩١
١٤	وإذا خلوا إلى شياطينهم ٨٦٧
١٥	الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ٨٩٦
١٨	صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون ٨٥٥
٢٢	والسمااء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات ٩٨٣، ٨٩١، ٤٠
٢٦	إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة ٨٦٩، ٧٨٧
٢٨	كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم... إليه ترجعون ٩٨٣، ٥٠٨، ٥٠٧، ٢٠٧
٢٩	ثم استوى إلى السماء ٧٤٧
٣٠	وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها ٥٤١، ٢٣٠
٣٤	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ٨٦٩، ٨٦٨، ٨٦٥، ١٤٦

رقم الآية	الصفحة
٣٥	ولا تقربا هذه الشجرة ٩٦٢
٣٦	فأزَلَّهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ٦٥٣
٤٠	يا بني إسرائيل اذكروا... وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ٩٧٦، ٩٧٥، ٩٧٤، ٩٧٣
٤١	وإيتاي فاتقون ٩٧٦، ٩٧٥
٤٣	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ١٦٤، ١٥٨، ٥٨، ٥٤
٥٥	وإذ قلتم يا موسى لن نُؤمن لك حتّى ٥٠١
٥٦	ثمّ بعثناكم من بعد موتكم ٥٠١
٦٤	فلولا فضل الله عليكم ورحمته ٩٥
٦٥	فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ٩٨٣، ٣٦٩، ٢٨٩، ٢٨٨
٦٧	إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ٨٦٧، ٨٣٦
٧٩	يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ٦٤١
٨٨	وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله ٩١
٩٦	يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة ٢١٧
١٠٢	وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت... وما هم بضارين به من أحد ٦٤٥، ٩٠
١١٢	بلى من أسلم وجهه لله ٩٨٢، ٩٧٨
١٢٤	وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ٨٨٩
١٢٥	وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين ٩٦٩
١٢٦	ثمّ أضطره ٩٨٣
١٢٧	وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ٦٥١
١٢٨	ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيتنا ٦٩٧
١٤٣	وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء ٢٥٧، ١٣٣
١٥٢	فذكروني أذكركم ٩٧٣
١٥٥	ولنبلوّنكم بشيء من الخوف والجوع ١٨٦
١٥٨	إنّ الصفا والمروة من شعائر الله ٤٦٠، ٢١٩
١٥٩	إنّ الذين يكتُمون ما أنزلنا من الّبيّنات والهدى ١٣٣
١٧٠	وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ٦٢٠، ٦٠٧
١٨٣	كتب عليكم الصيام ٨٢٤
١٨٥	شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ٨٩١، ٥٤٠، ٣٩، ٣٨
١٨٧	فالآن باشروهنّ وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا ٨٩٨، ٨٢٥، ٨٢٣، ٨٢٢، ١٨٢

رقم الآية	الصفحة
١٨٩	هي مواقيت للناس والحجّ وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ٢٠، ٧١٨
١٩٥	وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ٢٥
٢٠٠	فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله ٢١٨
٢٠٤	ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ٥٦٧
٢٠٥	وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها ٥٦٧
٢٠٧	ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ٣٠٧، ٥٦٧
٢١٠	هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ٢٢٣، ٢٢٦، ٩٠٦
٢١١	سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية ٦٠٣
٢١٩	يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ٤٦٦
٢٢٠	ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير ١٧٣
٢٢٣	نساؤكم حرث لكم ٢٦٦، ٢٦٢
٢٢٨	والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ١٦٥
٢٢٩	الطلاق مرّتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٤، ٨٣٧
٢٣٠	فإن طلقها فلا تحلّ له من بعد حتّى تنكح زوجاً غيره ٤٧٠، ٤٧٣، ٨٣٧
٢٣١	ولا تتخذوا آيات الله هزواً ٤٧٣
٢٣٢	وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنّ ٨٢٦
٢٣٣	والوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين ٨٠٨
٢٣٨	حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ٧٥٢، ٧٥٣
٢٤٠	والذين يتوفّون منكم ويذرون أزواجاً ١٦٨
٢٤٣	ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم ٣٧٧، ٥٠١، ٥٠٦، ٥١٠
٢٤٥	وإليه ترجعون ٩٠٢
٢٥٣	تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ٩٨٥
٢٥٥	وسع كرسيه السموات والأرض ٩١٠
٢٥٧	الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ٧١، ٥٤٢
٢٥٩	أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها ٥٠١، ٥٠٦
٢٦٠	قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك ٣٧٤، ٣٧٥
٢٦١	والله يضاعف لمن يشاء ٧٦٥
٢٦٩	يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة ١٨١
٢٧٥	الذين يأكلون الربا لا يقومون إلّا... وأحلّ الله البيع وحرّم الربا ١٦٥، ٨٩٢، ١٠٢٠

رقم الآية	الصفحة
٢٨١	وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ
٢٨٢	وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ
٢٨٦	لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

(٣) آل عمران

٧	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ .
١٨	شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ
١٩	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ
٢٦	قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ
٢٨	وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ
٣١	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
٣٦	وَإِنِّي أُعِيدُهَا بَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
٤٠	أَنِّي يَكُونُ لِي غَلَامٌ
٤١	قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً
٧٧	وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٩٣	قُلْ فَاتَّبِعُوا أَمْرًا قَدْ تَوَلَّوْا بِهِ قُلُوبُكُمْ وَلَمْ يُخَذْ
٩٧	وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
١٠٤	وَلِتُكِنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
١٠٥	وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا
١١٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ
١٣٥	وَلَمْ يَصْرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا
١٣٨	هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى
١٦٤	لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا
١٧٣	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
١٨١	إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
١٨٧	لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ
١٩٠	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
١٩١	الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ... رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ..

(٤) النساء

- ١ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ٢٥٦، ٤٤٨، ٧٨٨
- ٢ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ ١٧٣، ٨٢٦، ٨٣٦
- ٣ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ٨٣٩
- ٤ فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ١٧٣، ٣٣٠
- ٦ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ... وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا ١٧٣، ٨٢٦
- ١٢ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دِينَ ١٦٦
- ١٧ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ ٢٨٤
- ٢٣ حَرَّمْتُمْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ ٨٣٤
- ٢٤ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٨٩، ٤٩٥
- ٢٥ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ... فَانكحوهنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ٤٧٩، ٨٣٩
- ٢٨ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ٢٩٧
- ٢٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم... وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ... ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٨٠٧
- ٣٦ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ٩٦٣
- ٣٩ مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا ٨٨٣
- ٤١ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ٤٣٣
- ٤٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ ٨٠٧، ٨٣٧، ٨٤٦
- ٥٦ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا ٩٠٠
- ٥٧ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ ٨٩٩
- ٥٩ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ٢٣
- ٦٦ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ٩٦٦
- ٧٦ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ٨٨٨
- ٨٠ مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ٩٩٦
- ٨٣ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ ٢٣، ٨٥٣
- ٨٦ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مَا مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ٨٣٧
- ٩٣ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ١٦٥، ٣٣٨، ٤٦٨، ٤٦٩
- ١٠١ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١
- ١٠٢ وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهَا فَاعْتَمُوا لَهُمُ الصَّلَاةَ ٤٥٩
- ١٠٣ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ١٥٨، ١٦٥

رقم الآية	الصفحة
١١٠	ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ٩٧٤
١١٥	و يتبع غير سبيل المؤمنين ٨٢٢
١٢٣	من يعمل سوء يجز به ١٧٤
١٤٢	إن المناقين يخادعون الله وهو خادعهم ١٧٤
١٥٥	طبع الله عليها ٨٥٥
١٥٩	و إن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ٤٣٧، ٣٨٧
١٦٣	إننا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح ٨٨٧
١٦٤	و كلم الله موسى تكليماً ١٠٣
١٦٥	رسلاً مبشرين و منذرين ٨٨٧، ٨٨٣
١٧٤	يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ١٨

(٥) المائدة

٣	حرمت عليكم الميتة... غير متجانف لإثم ٨٢٤، ٢٦٥
٦	يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى ٨٤٦، ٨٣٨، ٨٣٦، ٨٣٥، ٨٠٧، ٤٥٤، ٤٥٢، ٧٨، ٧٧
١٣	يحرّفون الكلم عن مواضعه ١٣١
٢٢	قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبّارين ٦٥٧، ٦٥٤
٢٣	قال رجلان من الذين... فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ٦٥٥
٣٣	إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ٥٤١
٣٥	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ٢٨٥
٣٨	و السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما ٧٢
٤٩	واحذرهم أن يفتنوك ٤٥٩
٥٤	فسوف يأتي الله بقوم... لا يخافون لومة لائم ٨٧٠
٥٥	إنما وليكم الله ورسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ٨٥٩، ٨٥٣
٦٠	من لعنه الله و غضب عليه ٢٨٩
٦٤	يد الله مغلولة غلّت أيديهم ٧١٠
٦٧	يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ٩٠٥، ١٩٣
٦٨	قل يا أهل الكتاب لستم على شيء ١١٤
٨٢	لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ٥٩٥، ٩٢
٨٣	وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ٩٣

رقم الآية	الصفحة
٨٤	وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحقّ ٩٣
٨٥	فأتاهم الله بما قالوا جنّات ٩٣
٨٦	والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ٩٣
٨٧	يا أيّها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم ٤٨١
٨٩	فكفّارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ١٧٠
٩٤	يا أيّها الذين آمنوا ليلبسونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ٩٧٠
٩٥	يا أيّها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء ٩٧٠
٩٦	أحلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيّارة ٩٧٠
١٠٣	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ٢٠
١١٠	وإذ تخرج الموتى بإذني ٥٠٢
١١٢	إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم ٩٤٠
١١٤	ربّنا أنزل علينا مائدة من السماء ٣٧٠
١١٧	وكنتم عليهم شهداء ما دمت فيهم ١٤٥

(٦) الأنعام

٢	هو الذي خلقكم من طين ثمّ قضى أجلاً ٥١٣، ٥١٤
٧	ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه ٤٠
١٩	وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم ١٢٩، ١٣٤
٢٢	ويوم نحشرهم جميعاً ٥٠٠
٢٥	جعلنا على قلوبهم أكنة ٨٥٥
٣٧	وقالوا لولا نزل عليه آية من ربّه ٤٠
٣٨	ما فرطنا في الكتاب من شيء ١٠٠٦
٦٨	فأعرض عنهم حتّى يخوضوا في حديث غيره ٦٣٦
٨٢	الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ٢٠، ١٦٦
٨٣	نرفع درجات من نشاء ٩٢
٩٠	أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ٥٠
٩١	الكتاب الذي جاء به موسى نوراً ١١٤، ٤٣٨
٩٩	إذا أثمر وينعه ٢١٤
١٠٣	لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ٦٧، ٩٠٥، ٩٠٦، ١٠٢٥

رقم الآية	الصفحة
١١٠	و نَقَلَبْ أُنْفُوتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ٩١، ٧٢
١١٤	و هو الذي أنزل إليكم الكتاب ٤٠، ١٨
١٢٥	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ١٧١، ١٧٥
١٢٨	و يوم نحشرهم جميعاً ٥٠٠
١٣٧	و كذلك زَيْنَ لكثير من المشركين قتل أولادهم ٩١٢
١٥١	و لا تقتلوا النفس التي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ ٨٣
١٥٣	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ١٠٣

(٧) الأعراف

١٤	قال أنظرنني إلى يوم يبعثون ٨٨٦
١٥	قال إنك من المنظرين ٨٨٦
١٦	قال فيما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ٨٨٦
٣٣	قل إنما حَرَّمَ رَبِّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ٤٦٦
٤٣	الحمد لله الذي هدانا لهذا ٩٥
٥٣	هل ينظرون إِلَّا تأويله يوم يأتي تأويله ٢٣، ٣٣، ٦٠
٥٨	و البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ٩٠
٦٥	و إلى عاد أخاهم هوداً ٨٣٠
٦٩	و اذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ٧١٤
٧٣	و إلى ثمود أخاهم صالحاً ٨٣٠
٨٩	افتح بيننا و بين قومنا بالحقّ ٢١٥
١٣٩	إن هؤلاء متبرّ ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون ٥٨٦
١٤٣	و لما جاء موسى لميقاتنا و كلمه ربه ٦٦١، ٦٦٣، ٩١٧، ٩٧٧
١٤٥	و كتبنا له في الألواح من كلّ شيء موعظة ٦٦٤، ٦٦٥
١٤٦	سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون ٥٢
١٥٦	و اكتب لنا في هذه الدنيا حسنة ١٤٤
١٥٧	و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التي كانت عليهم ٨٨٤
١٥٨	قل يا أيها الناس إنني رسول الله إليكم ٦٦٨، ٨٧٨
١٥٩	و من قوم موسى أمة يهدون بالحقّ ٦٦٦
١٦٣	سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ٦٠٣

رقم الآية	الصفحة
١٧٢	أ لست بربكم قالوا بلى شهدنا
١٧٦	ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض
١٨٧	لا يجليها لوقتها
١٨٩	هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها
١٩٠	فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء
١٩٨	وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون
٢٠١	إن الذين آتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا

(٨) الأنفال

١٧	وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى
٢٤	يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول
٢٥	وأتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
٢٩	يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً
٣٣	وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
٤١	واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن الله خمسه
٥٨	فانبذ إليهم على سواء

(٩) التوبة

٢٦	ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
٣٧	إنما النسيء زيادة في الكفر
٤٠	فأنزل الله سكينته عليه
٩٣	طبع الله على قلوبهم
٩٧	الأعراب أشد كراً ونفاقاً
١٠٠	رضي الله عنهم ورضوا عنه
١٠١	وممن حولكم من الأعراب منافقون
١١٢	التائبون العابدون الحامدون السائحون
١١٩	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
١٢٣	يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار

(١٠) يونس

٤٣٨	أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم	٢
٦٠٦	ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون	١٤
٧٦٥	للذين آمنوا الحسنی و زيادة	٢٦
٥٠٠	و يوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم	٢٨
١٨	و تفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين	٣٧
٩١٦	بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه	٣٩
٤٤٢	ألا إن وعد الله حق	٥٥
١٠٣٥	يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم	٥٧
٦٧٢	و ما تكون في شأن و ما تتلوا منه	٦١
١٧١	لهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة	٦٤
٨٥٦	كذلك نطبع على قلوب المعتدين	٧٤
٤٥٩	على خوف من فرعون و ملئهم أن يفتنهم	٨٣
٦٠٥، ٦٠٢، ٥٩٦	فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل	٩٤

(١١) هود

٣٧	كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير	١
٦٥٧	لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم	٤٣
١٠٣	إن ربّي على صراط مستقيم	٥٦
٣٠	هو أنشأكم من الأرض و استعمركم فيها	٦١
٨٨٨	إن ربك هو القوي العزيز	٦٦
٦٩٩	فبشرناها بإسحاق نبياً من الصالحين	٧١

(١٢) يوسف

٦٢٩	بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات	١
٦٢٩، ١٣٠	إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون	٢
٦٢٩	نحن نقص عليك أحسن القصص	٣
٦٧٨، ٦٧٤، ٦٧١	و لقد همّت به و همّ بها لولا أن رأى برهان ربّه كذلك لنصرف	٢٤
٦٧٤	إن كان قميصه قد من قبل فصدقت	٢٦

رقم الآية	الصفحة
٢٧	وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت ٦٧٤
٢٨	فلما رأى قميصه قد من دبر ٦٧٤
٣٢	لئن لم يفعل ما أمره ليسجنن ٦٧٤
٣٣	قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ٦٧٤
٣٤	فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ٦٧٤
٣٧	لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله ٣٣
٤٢	وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك ٦٨٠
٤٥	واذكر بعد أمة ٦٨٢
٤٩	ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس ٧٤٥
٥١	أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ٦٧٧، ٦٧٦، ٦٧٤
٥٢	ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ٦٨١، ٦٧٧، ٦٧٦
٥٣	وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ٦٧٧، ٦٧٦
٧٦	نرفع درجات من نشاء ١٨١
١٠٠	هذا تأويل رؤياي من قبل ٣٣
١٠٦	وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ٩٥٣، ٩٤٦

(١٣) الرعد

٣	وهو الذي مد الأرض وجعل فيها... ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين . ١١٦، ٩٦٦
١٢	هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً ٧٢٣، ٢٢٨
١٣	ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ٧٢٣، ٧٢٢
١٧	أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ٢٥٩، ١٨١
٢٨	الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ٧٠
٢٩	الذين آمنوا و عملوا الصالحات طوبى لهم ٦٨٢، ٥٠
٣١	ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض ٢٠٩
٣٣	أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ٦٧٣، ٦٧٢
٣٩	يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ٥١٤، ٥١٣، ٢٢٧، ٢٢٢، ٤١
٤١	أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ٥٤٠، ١٨٦

(١٤) إبراهيم

٤	وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه	١٣٨، ١٤٠
٧	لئن شكرتم لأزيدنكم	٩٧٤
٢٢	وما كان لي عليكم من سلطان	٨٨٨، ٨٩٢، ١٠١٩
٣٧	فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم	٣٥٣
٤٣	وأفئدتهم هواء	١٤٦

(١٥) الحجر

٩	إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون	١١٤، ١٤٤، ٤٣٥، ٤٩٢
٣٩	لأغويهم أجمعين	٩١٠
٤٠	إلا عبادك منهم المخلصين	٩١٠
٤٢	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان	١٠١٩
٤٧	ونزعنا ما في صدورهم من غل	٥٨٩
٨٧	سبعاً من المثاني	٧٥٣
٩١	كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين	١٧٠
٩٤	فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين	٩٠٠
٩٥	إننا كفيناك المستهزين	٩٠٠

(١٦) النحل

٣٢	الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم	١٧١
٣٨	وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت	٥٠٣
٣٩	ليبين لهم الذي يختلفون فيه	٥٠٣
٤٠	إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون	٩١١
٤٣	وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا	٢٦٠، ٤٣٨، ٤٣٩، ٥٩٦، ٦٠٢، ٦٠٥
٤٤	وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم	١١، ١٨، ٤٠، ٥٠، ٦٩، ٧٦، ١٣٣، ١٥٧
		١٠١٠، ٥٤٣، ٥٣٨، ٣٧٢، ٢٦٠، ٢٥٧، ٢٥٢، ١٥٩
٤٧	أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم	١٨٥، ٢١٥
٧٢	والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً	٤٤٨
٨٩	ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء	١١، ١٨، ٦٧، ١٥٧، ٢٥٧، ١٠٢٧، ١٠٣٥

رقم الآية	الصفحة
٩٠	إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى
١٠٣	وهذا لسان عربيّ مبين
١٠٥	إنّما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون
١٠٨	طبع الله على قلوبهم

(١٧) الإسراء

٦	ثمّ رددنا لكم الكثرة عليهم وأمددناكم
١٢	وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل
٢٥	ربّكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين
٢٩	ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك
٣٢	ولا تقربوا الزنى إنّه كان فاحشة
٣٥	وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً
٤٦	جعلنا على قلوبهم أكنة
٥٨	في الكتاب مسطوراً
٥٩	وآتيناهم الناقة مبصرة فظلموا بها
٧٣	وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك
٧٨	أقم الصلاة لدلوك الشمس
٩٤	وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى
٩٥	لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً
٩٧	ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
١٠١	ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات فأسأل بني إسرائيل
١٠٤	وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض
١٠٧	يخزّون للأذقان سجّداً
١١٠	ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها

(١٨) الكهف

١١	فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً
١٢	ثمّ بعثناهم لنعلم أيّ الحزبين أحصى
١٨	وتقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال

رقم الآية	الصفحة
١٩	و كذلك بعثناهم لیتساءلوا بينهم ٥٠٢
٢٢	سیقولون ثلاثة رابعهم كلبهم... قل ربی أعلم بعدتهم ٦٨٥
٢٥	لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ٥٠٢
٣٧	قال له صاحبه و هو يحاوره ٨٥٤
٤٧	و حشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ٥٠٧، ٥٠٦، ٥٠٤، ٥٠٠، ٢٥٠
٤٩	ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة و لا كبيرة ٩٩٤
٥٤	و لقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كلّ مثل ١٠٣٥
٥٧	جعلنا على قلوبهم أكنةً ٨٥٥
٦٥	فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمةً من عندنا ٤٣٦
٧٨	سأنبؤك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ٢٢
٨٢	ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً ٢٢
٨٣	و يسألونك عن ذي القرنين ٦٨٥
٨٤	إنّا مكّنا له في الأرض و آتيناها ٦٨٥
٨٥	فأتبع سبباً ٦٨٥
٩٤	قالوا يا ذا القرنين إنّ يأجوج و مأجوج مفسدون ٦٨٨
٩٧	فما استطاعوا أن يظهروه و ما استطاعوا له نقباً ٦٩٠

(١٩) مريم

٢٧	فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جنّت شيئاً فرئياً ١٤٥
٥١	إنّه كان مخلصاً و كان رسولاً نبياً ٩٨٠، ٩٨١
٥٧	جعلنا على قلوبهم أكنةً ٨٥٥
٩٢	و ما ينبغي للرحمان أن يتخذ ولداً ٨٢٢
٩٣	إن كلّ من في السماوات و الأرض إلّا آتى الرحمان عبداً ٨٢٢

(٢٠) طه

١٢	فاخلع نعليك ٩٨٥
٢٤	اذهب إلى فرعون إنّه طغى ٦٠
٤٣	اذهب إلى فرعون إنّه طغى ٩٥١
٤٤	فقل لا له قولاً لئنآ لعلمه يتذكر أو يخشى ٩٥١

رقم الآية	الصفحة
٨٥	أضلهم ٨٥٥
١٠٤	أمثلهم طريقة ٢٨٠
١١١	وعنت الوجوه للحَيِّ القَيِّوم ١٤٤
١٣٤	ولو آنا أهلكناهم بعباب ٨٨٣

(٢١) الأنبياء

٧	وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر ٦٠٢، ٥٩٦، ٤٣٨
٨	وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام ٤٣٩
١٩	وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ٦٤٩
٢٠	يسبحون الليل والنهار لا يفترون ٦٤٩، ٢٢٨، ٢٢٧
٢٦	بل عباد مكرمون ٦٤٩
٢٧	لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ٦٤٩
٢٨	يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ٦٤٩
٣٠	وجعلنا من الماء كل شيء حي ١٧٥
٤٤	أفلا يرون آنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ١٨٦
٨٣	وأيوب إذ نادى ربه آني مسني الضرّ وأنت أرحم الراحمين ٧٠٧
٨٤	فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرّ وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا ... ٧٠٧
٩٠	يدعوننا رغباً ورهباً ٩٧٦، ٩٧٥
١٠٥	ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون ٦٤٢، ٤٤٢

(٢٢) الحجّ

٢٤	وهدوا إلى الطيب من القول ٥١
٢٦	وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ٦٥٢
٣٥	الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ٩٧٦، ٩٧٥
٣٩	أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإنّ الله على نصرهم لقدير ٨٢٨
٤٠	الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقّ إلا أن يقولوا ربّنا الله ٨٢٨
٤١	الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ٨٢٨
٦٣	ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة ٩٦٧
٧٨	وما جعل عليكم في الدين من حرج ٨٨٣، ٢١٥، ٢١٢، ٧٨

(٢٣) المؤمنون

٥	و الذين هم لفروجهم حافظون	٤٩٥، ٤٩١، ٤٧٩
٦	إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم	٨٢١، ٤٩٥، ٤٩١، ٤٧٩
٧	فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون	٨٢١، ٤٩٥، ٤٩١
٥٠	و آويناها إلى ربوة ذات قرار و معين	٥٦٩
٥٧	إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون	٩٧٦، ١٨٣
٦٠	و الذين يؤتون ما آتوا و قلوبهم و جلة	١٨٣
٦١	أولئك يسارعون في الخيرات و هم لها سابقون	١٨٤
٧٣	و إنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم	١٠٣
٧٦	فما استكانوا لربهم و ما يتضرعون	١٧٢
١٠٤	تلفح و جوههم النار و هم فيها كالخون	١٧٦

(٢٤) النور

١١	و الذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم	٥٧٢
٣٠	قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم	١٧٢
٣٥	الله نور السماوات و الأرض	٩٦
٣٧	يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب و الأبصار	٩٧٦، ٩٧٥
٤٢	و إلى الله المصير	٩٠٢
٥٥	وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات	٨٦٩، ٨٢٩، ٤٤٢
٦٣	فليحذر الذين يخالفون عن أمره	٨٧٨

(٢٥) الفرقان

١	تبارك الذي نزل الفرقان على عبده	١٣٣
٦	أنزله الذي يعلم السر في السماوات و الأرض	٣٨٠
٧	و قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام	٢٠٩
٨	إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً	١٠١٧
١١	بل كذبوا بالساعة	٤٥١
٢٠	و ما أرسلنا قبلك من المرسلين	٢٠٩
٢٢	يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين	٢٣

رقم الآية	الصفحة
٣٢	لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ٤٠
٣٣	ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق ١٧، ١٨
٣٤	الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم ١٧١

(٢٦) الشعراء

١١٩	فأنجيناه و من معه في الفلك المشحون ٢١٤، ٢٥٧
١٢٠	ثم أغرقنا بعد الباقين ٢٥٧
١٩٦	وإنه لفي زبر الأولين ١٢٩، ١٣١، ١٣٢
٢١٤	وأنذر عشيرتك الأقربين ٧٥٠
٢١٩	وتقلبك في الساجدين ٧٥٦

(٢٧) النمل

١٧	وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس ٥١٢
٣٥	وإني مرسله إليهم بهديّة فناظرة به يرجع المرسلون ٢٩١، ٦٩٣، ٩٠٤
٤٤	قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة ٦٩١
٥٢	فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ٢٣١
٨٢	وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض ٢٥٠
٨٣	ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ٢٥٠، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٠، ٥١١
٨٧	ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ٢٥٠

(٢٨) القصص

٥	ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ٤٤١، ٥٠٤
١٤	ولما بلغ أشده واستوى آتيناها حكماً ٢٩
١٧	قال ربّ بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين ٢٩
٢٤	ربّ إنّني لما أنزلت إليّ من خير فقير ٢٧٩
٣٢	واضمم إليك جناحك من الرهب ٩٨٨
٨٦	وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب ٩٥

(٢٩) العنكبوت

١٧٢	و تأتون في ناديكم المنكر	٢٩
٩٧٤ ، ٦٧	و الذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا	٦٩

(٣٠) الروم

٧٨٨ ، ٤٤٨	و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها	٢١
٩٦٣	ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدي الناس	٤١
١٠٣٥	لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كلّ مثل	٥٨

(٣١) لقمان

٢٠	إنّ الشرك لظلم عظيم	١٣
٨٢٣ ، ٨٠٨	و فضاله في عامين	١٤
٦٢٠	و إن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما	١٥
٥٤١	ألم تروا أنّ الله سخر لكم ما في السماوات	٢٠
٢٠٩	و لو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام	٢٧
٩٠٥	و ما تدري نفس ما ذا تكسب غداً	٣٤

(٣٢) السجدة

٨٣١	و بدأ خلق الإنسان من طين	٧
٨٣١	ثمّ جعل نسله من سلالة من ماء مهين	٨
٣٤	فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين	١٧

(٣٣) الأحزاب

٨٧٨	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة	٢١
٢٥٧	رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه	٢٣
٣٠٥ ، ٣٠٣	إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت	٣٣
٨٣١ ، ٧٥٥	إنّ الله و ملائكته يصلّون على النبيّ	٥٦
٩٠٧ ، ٩٠٦ ، ٥٤١	إنّا عرضنا الأمانة على السماوات و الأرض	٧٢

(٣٤) سبأ

١٧٥	لقد كان لسبأ في مسكنهم آية	١٥
٣٥٣	وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين	١٨
٨٨٦	ولقد صدق عليهم إبليس ظنه	٢٠
٨٩٢	وما كان له عليهم من سلطان	٢١
١٣٣	وما أرسلناك إلا كافة للناس	٢٨
٩٧٤	وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه	٣٩
٥٠٠	ويوم يحشرهم جميعاً	٤٠

(٣٥) فاطر

٧٦٩، ٢١٦	فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث	١
١١٨، ١١٦	والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً	٩
٩٠٢	وإلى الله المصير	١٨
٩٧٦، ٩٧٥	إنما يخشى الله من عباده العلماء	٢٨
٤٢٧، ١٧٦	ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا	٣٢

(٣٦) يس

٨٨٠	لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون	٧
٩٩٤	ونكتب ما قدموا و... في إمام مبين	١٢
٥٩٦	وما لي لأعبد الذي فطرني	٢٢
٩٠٦، ٩٠٤	ما ينظرون إلا صيحة واحدة	٤٩
١٣٥	قال من يحيي العظام وهي رميم	٧٨
١٣٥	قل يحييها الذي أنشأها أول مرة	٧٩

(٣٧) الصافات

٤٢٩	وقفوه إنهم مسؤولون	٢٤
٨٦٧	كأنه رؤوس الشياطين	٦٥
٦٩٤	وقال إنني ذاهب إلى ربي سيهدين	٩٩
٦٩٤	رب هب لي من الصالحين	١٠٠

رقم الآية

الصفحة

٦٩٤	فبشّرناه بغلام حلیم	١٠١
٦٩٤	فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أنني أذبك	١٠٢
٦٩٤	فلما أسلما وتله للجبين	١٠٣
٦٩٤	و نادينه أن يا إبراهيم	١٠٤
٦٩٤	قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين	١٠٥
٦٩٤	إن هذا هو البلاء المبين	١٠٦
٦٩٤	و فدینه بذبح عظیم	١٠٧
٦٩٤	و تركنا عليه في الآخرين	١٠٨
٦٩٤	سلام على إبراهيم	١٠٩
٦٩٤	كذلك نجزي المحسنين	١١٠
٦٩٤	إنه من عبادنا المؤمنين	١١١
٦٩٩, ٦٩٤	و بشّرناه بإسحاق نبياً من الصالحين	١١٢
٦٩٥	و باركنا عليه و على إسحاق و من ذرّيتهما محسن و ظالم لنفسه مبين	١١٣
٢١٦	أتدعون بعلاً	١٢٥
٦٧	سبحان الله عما يصفون	١٥٩
٨٨٦	ما أنتم عليه بفاتنين	١٦٢
٨٨٦	إلا من هو صال الجحيم	١٦٣

(٣٨) ص

٢٣	ولات حين مناص	٣
٧٠٠	و هل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب	٢١
٧٠٠	إذ دخلوا على داود ففزع منهم	٢٢
٧٠٠	إن هذا أخى له تسع و تسعون نعمة	٢٣
٧٠٤, ٧٠٠	قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه	٢٤
٩٧٨, ٧٠٣, ٧٠٠	و إن له عندنا لزلفى و حسن مآب	٢٥
٥٢٧, ٧٥, ٦٩, ٥٠, ٤٩	كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته و ليتذكّر أولوا الألباب	٢٩
٤٥٣	فطفق مسحاً بالسوق و الأعناق	٣٣
٧٠٥	و اذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه	٤١
٧٠٧, ٧٠٥	اركض برجلك هذا مغتسل بارد و شراب	٤٢

رقم الآية	الصفحة
٤٣	و وهبنا له أهله و مثلهم معهم رحمة ٧٠٥
٤٤	و خذ بيدك ضعفاً فاضرب به و لا تحنث إننا وجدناه صابراً ٧٠٥
٤٦	إننا أخلصناهم بخالصة ٩٧٨
٨٢	قال فبِعزَّتِكَ لأغويَنَّهُم أجمعين ٦٧٦
٨٣	إلاَّ عبادك منهم المخلصين ٦٧٦

(٣٩) الزمر

٥	يَكُوِّرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ ١١٧
١٧	و أنابوا إلى الله لهم البشرى فبشِّرْ عباد ٩٧٣، ٣٨٠
١٨	الذين يستمعون القول فيتَّبِعُونَ أحسنه ٧٩١، ٣٨٠، ٥١
٢٢	أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربِّه ٨٧٥
٢٨	قرآناً عربياً غير ذي عوج ٧٥
٦٠	و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله ٣٢٤
٦٧	و ما قدروا الله حق قدره ٩١٠
٦٨	و نفخ في الصور ١٧٤

(٤٠) غافر

١١	قالوا ربِّنا أمتنا اثنتين و أحبيتنا اثنتين ٥١١، ٥٠٨، ٥٠٧، ٥٠٦، ٥٠٢، ٢٠٧
٤٠	و من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى ٥٠
٥١	إننا لننصر رسلنا و الذين آمنوا في الحياة الدنيا ٨٨٨، ٥٠٢
٦٠	ادعوني أستجب لكم ٩٧٣

(٤١) فصلت

١١	فقال لها و للأرض اثتيا طوعاً أو كرهاً ٩١١، ٩٠٧
١٥	فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق ٧١٤
١٧	و أمّا ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ٩١٥
١٩	و يوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ٥١٢
٣٠	الّا تخافوا و لا تحزنوا و أبشروا ٩٧٧، ٩٧٦
٣٨	يسبِّحون له بالليل و النهار و هم لا يسأمون ٢٢٧

الصفحة	رقم الآية
٢٩٧	٤٤ أولئك ينادون من مكان بعيد
٩٩١	٥٣ سزيرهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم

(٤٢) الشورى

٩٠٢	١٠ عليه توكلت و إليه أئيب
٩٠٤, ٥٤٣, ٦٧	١١ ليس كمنله شيء
٨٧٨	٢٣ إلا المودة في القربى
٩٤٤	٥١ و ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً
١٠٣	٥٢ و إنك لتهدى إلى صراط مستقيم
٩٠٢	٥٣ إلى الله تصير الأمور

(٤٣) الزخرف

٣٨	١ حم
٣٨, ٣٥	٢ و الكتاب المبين
٢١٣, ٧٥, ٣٨, ٣٥	٣ إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون
٤١, ٣٨, ٣٥	٤ و إنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم
٨٢٢	١٨ أو من ينشأ في الحلية و هو في الخصام غير مبين
٦٠٧	٢٣ قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة
٦٠٢	٤٥ و اسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا
٢٩٧	٦٧ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
٩٤٦	٨٧ و لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله

(٤٤) الدخان

٥٤٠, ٣٨	١ حم
٥٤٠, ٣٨	٢ و الكتاب المبين
٥٤٠, ٣٨	٣ إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين
٣٨	٤ فيها يفرق كل أمر حكيم
٣٨	٥ أمراً من عندنا
٧٥	٥٨ فإنا يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون

(٤٥) الجاثية

٥٤١ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض	١٣
١٨ هذا بصائر للناس وهدى	٢٠

(٤٦) الأحقاف

٨٢٢، ٨٠٨ وحمله وفضاله ثلاثون شهراً	١٥
٢٣ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار	٣٥

(٤٧) محمد ﷺ

٨٥٥ طبع الله على قلوبهم	١٦
٥١ والذين اهدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم	١٧
٣١٢ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة	١٨
٥٤ فاعلم أنه لا إله إلا الله	١٩
٤٠ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة	٢٠
٨٥٥ أصمهم وأعمى أبصارهم	٢٣
٥٣٨، ٣٧٢، ٧٥، ٦٩ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها	٢٤
١٧٥، ١٣٤ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم	٣٨

(٤٨) الفتح

٩٣ سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا	١١
٢١٦ وكنتم قوماً بوراً	١٢
٨٨١ يريدون أن يبدلوا كلام الله	١٥
٧٣٥ فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين	٢٦

(٤٩) الحجرات

٥٠٦ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات	٤
٥٠٦ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم	٥
٥٥٢ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا	٦
٩٤ ولكن الله حبيب إليكم الإيمان	٧

رقم الآية	الصفحة
٨	فضلاً من الله و نعمة و الله عليم حكيم ٩٥
٩	وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ٨٢٩
١٣	يا أيها الناس إنا خلقناكم ٩٥

(٥٠) ق

١	ق و القرآن المجيد ٧٢٨
١٠	و النخل باسقات لها طلع نضيد ١٧٣
٣٧	إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ٩١

(٥١) الذاريات

٢٨	قالوا لا تخف و بشروه بغلام عليم ٦٩٩
----	---

(٥٣) النجم

٣٢	و يجزي الذين أحسنوا بالحسنى ٢٨٤
٥٠	و أنه أهلك عاداً الأولى ٧١٣
٦١	و أنتم سامدون ٢١٦

(٥٤) القمر

١٣	و حملناه على ذات ألواح و دسر ٥٩٠
١٧	و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ١١٨,٧٥
٤٨	يوم يسحبون في النار على وجوههم ١٧١

(٥٥) الرحمن

٩	و أقيموا الوزن بالقسط و لا تخسروا الميزان ٢٦
١١	فيها فاكهة و النخل ذات الأكمام ٩٦٧
٢٢	المرجان ٢٢٦,٢٢٢
٣١	سنفرغ لكم أيها الثقلان ٤٥١
٥٢	فيهما من كل فاكهة زوجان ١١٩

رقم الآية	الصفحة
(٥٦) الواقعة	
٢٤	جزاء بما كانوا يعملون ٨٧٤
٢٨	في سدر مخضود ١٥٩
٥٧	نحن خلقناكم فلولا تصدقون ٩٨٩
٦٣	أفرأيتم ما تحرثون ٩٦
٦٤	أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ٩٦
٧٧	إنه لقرآن كريم ٥٢، ٤٢
٧٨	في كتاب مكنون ٩٩٤، ٥٢، ٤٢
٨٠	لا يمسه إلا المطهرون ٥٢، ٤٢

(٥٧) الحديد

٤	و هو معكم أينما كنتم ٩٨٩
---	--------------------------------

(٥٨) المجادلة

٧	ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ٩٨٩
٢١	كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ٨٨٨

(٥٩) الحشر

٢	هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب ٤٧١
١٩	ولا تكونوا كالذين نسوا الله ٥٤٠، ٩١، ٧٢
٢١	لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت حاشعاً ٩٠٩، ٤٠

(٦١) الصف

٢	يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ٢٣٢
٣	كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ٢٣٢
٥	فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ٨٥٥

(٦٢) الجمعة

٢	هو الذي بعث في الأميين رسولاً ٢٥٧، ١٩
---	---

رقم الآية الصفحة
 ٥ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ٢٨٨، ٣٦٩

(٦٤) التغاين

٩ و من يؤمن بالله و يعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ٥٠

(٦٥) الطلاق

١ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٤

٣ و من يتوكل على الله فهو حسبه ٧٠

(٦٦) التحريم

٤ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ٢٠٨

٦ لا يعصون الله ما أمرهم ٦٤٩

١١ امرأة فرعون ٨٢٢

(٦٧) الملك

٤ ثم ارجع البصر كرتين ٤٧٤

٣٠ قل أرايتم إن أصبح ماءكم غوراً ٢٧، ٤٤٠

(٦٨) القلم

١ ن والقلم و ما يسطرون ٧٢٩، ٩٩١

١٣ عتق بعد ذلك زنيم ٢١٤

١٥ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ٢٠٨

(٦٩) الحاقّة

٦ بريح صرصر عاتية ٧١٣

٧ سخرها عليهم سبع ليال و ثمانية أيام ٧١٣

٨ فهل ترى لهم من باقية ٧١٣

١٧ و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ٧٦٩

رقم الآية	المعارج (٧٠)	الصفحة
٣٧	عن اليمين وعن الشمال عزيز	٢١٤
(٧١) نوح		
١	إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه	٨٣٠
٢٦	ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً	٦٥٧
(٧٢) الجنّ		
٣	وأنه تعالى جد ربّنا	٢١٥
١٦	وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً	٤٤٠، ٢٥٧
١٨	وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً	٨٢٣، ٥٤٢، ٤٦٤، ٧٣
(٧٣) المزمّل		
٦	إنّ ناشئة الليل هي أشدّ وطناً وأقوم قبلاً	٢١٦
٨	واذكر اسم ربّك وتبتّل إليه تبتلاً	٩٨٩
٩	ربّ المشرق والمغرب لا إله إلا هو	٩٨٩
(٧٤) المدثر		
١١	ذرني ومن خلقت وحيداً	٨٨٠
١٧	سأرهقه صعوداً	٨٨١
٢٩	لواحة للبشر	٢٦١
٥١	فرّت من قسوره	٢١٧
(٧٥) القيامة		
١١	كلّلا وزر	٢١٦
١٢	إلى ربّك يومئذ المستقرّ	٩٠٢
٢٢	وجوه يومئذ ناضرة	٩٠٦، ٩٠٣، ٩٠٢، ٣٧٠، ٢٩٠
٢٣	إلى ربّها ناظرة	٩٠٦، ٩٠٥، ٩٠٤، ٩٠٣، ٩٠٢، ٣٧٠، ٢٩٠
٣٠	إلى ربّك يومئذ المساق	٩٠٢

(٧٦) الإنسان

٣٠ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ٨٣٠، ٥٩٠، ٩٠

(٧٨) النبأ

٦ ألم نجعل الأرض مهاداً ١١٦

٧ و الجبال أوتاداً ١١٧

(٧٩) النازعات

٢٨ رفع سمكها ٩٨٣

٣٠ و الأرض بعد ذلك دحاهها ١١٧

(٨٠) عبس

١٣ في صحف مكرمة ٩٩٤

١٤ مرفوعة مطهرة ٩٩٤

١٥ بأيدي سفرة ٩٩٤

٢٤ فلينظر الإنسان إلى طعامه ٤٤٣، ١٩٧، ١٨٤، ٢٨

٢٥ أنا صبنا الماء صباً ٤٤٣، ١٨٤

٢٦ ثم شققنا الأرض شققاً ٤٤٣، ١٨٤

٢٧ فأنبثنا فيها حباً ٤٤٣، ١٨٤، ٤٥

٢٨ و عنباً و قصباً ٤٤٣، ١٨٤، ٤٥

٢٩ و زيتوناً و نخلاً ٤٤٣، ١٨٤

٣٠ و حدائق غلباً ٤٤٣، ١٨٤

٣١ و فاكهة و أثاباً ٤٤٣، ١٨٦، ١٨٥، ١٨٤، ٤٥

٣٢ متاعاً لكم و لأنعامكم ٤٤٣، ١٨٤، ٤٥

(٨١) التكوير

١٥ الخنس ٣٤٤

١٦ الجواري الكنس ٣٤٤

٢٩ و ما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ٩٠

رقم الآية	الصفحة
(٨٢) الانفطار	
١٠	وإنّ عليكم لحافظين ٦٧٣, ٦٧٢
١١	كراماً كاتبين ٦٧٣, ٦٧٢, ٩٩٤
١٢	يعلمون ما تفعلون ٩٩٤
١٣	إنّ الأبرار لفي نعيم ٩٦٧
١٤	وإنّ الفجار لفي جحيم ٩٦٧

(٨٣) المطففين

٨	و ما أدراك ما سجّين ٦٨٤
٩	كتاب مرقوم ٦٨٤
١٤	كلّآ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ٧٤٤
١٥	كلّآ إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ٨٣٠
١٩	و ما أدراك ما عليّون ٦٨٤
٢٠	كتاب مرقوم ٦٨٤
٢١	يشهده المقرّبون ٦٨٤

(٨٤) الانشقاق

٧	فأمّا من أوتي كتابه بيمينه ٢٠
٨	فسوف يحاسب حساباً يسيراً ٢٠
١٤	إنّه ظنّ أنّ لن يحور ٢١٦
٢٠	فما لهم لا يؤمنون ٨٨٣

(٨٥) البروج

٢١	بل هو قرآن مجيد ٤١
٢٢	في لوح محفوظ ٤١

(٨٧) الأعلى

١٨	إنّ هذا لفي الصحف الأولى ١٣١, ١٢٩
١٩	صحف إبراهيم و موسى ١٢٩

(٨٨) الغاشية

١٧ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ٩٠٤

(٨٩) الفجر

٦	ألم تر كيف فعل ربك بعاد	٧١٣، ٧١٢، ٧١١
٧	إرم ذات العماد	٧١٥، ٧١٣، ٧١٢، ٧١١
٨	التي لم يخلق مثلها في البلاد	٧١٤، ٧١١
١٠	و فرعون ذي الأوتاد	١١٦
٢٤	يا ليتني قدّمت لحياتي	٤٧١
٢٥	فيومئذ لا يعذب عذابه أحد	١٤٥
٢٦	و لا يوثق وثاقه أحد	١٤٥
٢٧	يا أيّتها النفس المطمئنة	٩٩٦
٢٨	ارجعي إلى ربك راضية مرضية	٩٩٦
٢٩	فادخلي في عبادي	٩٩٦
٣٠	فادخلي جنّتي	٩٩٦

(٩١) الشمس

٩	قد أفلح من زكّأها	٩٩٦، ٩١٥
١٠	و قد خاب من دسّأها	٩٩٦، ٩١٥

(٩٥) التين

١	و التين و الزيتون	٥٨٨
٢	و طور سينين	٥٨٨
٣	و هذا البلد الأمين	٥٨٨
٤	لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم	٥٨٨
٥	ثمّ رددناه أسفل سافلين	٥٨٨
٦	إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات	٥٨٩
٧	فما يكذبك بعد بالدين	٥٨٩
٨	أليس الله بأحكم الحاكمين	٥٨٩

رقم الآية	الصفحة
(٩٦) الملق	
١٩	واسجد واقتررب ٨٣١
(٩٧) القدر	
١	إنآ أنزلناه في ليلة القدر ٥٤٠، ٣٩
(٩٨) اليبنة	
١	لم يكن الذين كفروا ٩٥٨
(٩٩) الزلزلة	
٤	يومئذ تحدث أخبارها ١٧٦
(١٠٣) العصر	
١	والعصر ٥٨٩
٢	إن الإنسان لفي خسر ٥٨٩
٣	إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ٥٨٩
(١٠٤) الهمزة	
١	ويل لكل همزة لمزة ٩٥٨
(١٠٨) الكوثر	
٢	فصلل لربك وانحر ١٧٢
(١٠٩) الكافرون	
١	قل يا أيها الكافرون ٩٥٨
(١١٠) النصر	
١	إذا جاء نصر الله والفتح ٩٦٧، ٥٩٠

(١١١) المسد

٩٥٨ ، ٨٨١ ، ٢٩٥	١	تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ
٨٢٢	٤	امراته حَمَّالَةَ الْحَطَبِ

(١١٢) الإخلاص

٢٨٥ ، ٢٤٤ ، ٨٢	١	قل هو الله أحد
٢٤٤	٢	الله الصمد
٢٤٤	٣	لم يلد ولم يولد
٢٤٤	٤	ولم يكن له كفواً أحد



فهرس الأحاديث والآثار

- ٤٧ ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق
- ٣٩٢ أبو حمزة الثمالي في زمانه كلقمان
- ١٧٦ أتدرون ما أخبارها؟
- ٣٢٤ أترضى يا حسن نفسك للموت
- ١٦٨ أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فهاب الإمام وأجاب بالنفي!
- ٥٨ اتقوا الحديث عليّ إلا ما علمتم
- ١٨٤ أتى عمّار بن ياسر رسول الله فقال: يا رسول الله أجنبت الليلة
- ٣١٤ اجلس في مسجد المدينة وأفت للناس
- ٢١٧ الأحقاف، المذكور في الكتاب العزيز: واد بين عمان وأرض مهرة
- ٣٣١ أدخل: أصبغ بن نباتة، وأبا الطفيل عامر بن وائلة الكناني
- ٥٩٠ أدخلت الجنة فرأيت فيها ذنباً
- ٢٩٥ إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار
- ٢١٢ إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر
- ٩٤٣ إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر
- ١٨٨ إذا ثبت لنا الشيء عن عليّ، لم نعدل عنه إلى غيره
- ٢٢٣ إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم
- ٢١٢ إذا سألتهموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر
- ٤٧٣ إذا طلق الرجل امرأته على غير طهر
- ٤٤٠، ٢٨ إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون

- ٨١٢ إذا كان الماء قدر قلتين لم ينجس
- ٥٨٩ إذا كان يوم القيامة تنصب كراسي من ياقوت أحمر
- ٣١٣ إذا كنتم في أئمة جور فاقضوا في أحكامهم
- ٧٧ إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله
- ٥٦٩ أربع مدائن من مدائن الجنة: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، ودمشق
- ٧١٩ الأرض على الماء
- ٤٢٩ ارقبوا محمداً في أهل بيته
- ٣٢١ أَرَقَّتْ ماءً كثيراً يا حسن
- ٣٢١ أسبغ طهورك يا لفتي
- ٦٨١ أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل
- ١٩٦ أصحاب عبد الله سرح هذه القرية
- ٤٩٨ افعلوا ما أمركم به
- ٢١٨ اقتسمت العرب جزيرتها على خمسة أقسام
- ٦٠٨ اقرأ بهذا ليلة، وبهذا ليلة
- ٥٧ أكثر ما أخاف على أمتي من بعدي، رجل يناول القرآن
- ٥٦٠ أكرموا قريشاً فإن عالمها يملأ طباق الأرض علماً
- ١٦٣، ١٦١ ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه
- ٧٦ ألا لا خير في قراءة لا تدبر فيها
- ٦٩٣ ألبستهم لباساً واحداً كي لا يعرف الذكر من الأنثى
- ٤٨٣ ألحقت حرمة بحرمة وما أردت إلا الخير
- ٢٣٩ التقي عبد الملك بن جريح فسله عنها
- ٤٤٤، ٤٤٣، ١٩٧ إلى العلم الذي يأخذه عمّن يأخذه
- ٤٦٣ أما أبو بكر فلم تكن في ولايته أخماس
- ٤٦٤، ٧٢ أما إذا أقسمت عليّ بالله إني أقول: إنهم أخطأوا فيه السنة
- ٨٢٣ أما إذا أقسمت عليّ بالله، إني أقول: يجب القطع من أصول الأصابع
- ٥٨٨ أما «التين» فبلاد الشام، «و الزيتون» فبلاد فلسطين
- ٤٢٨ أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر
- ١٧٤ أما تبتلون في أموالكم وأنفسكم وذرائعكم
- ٧١٩ أما ظلمة الليل، و ضوء النهار
- ٨٦٦ أم إليّ تشوّقت

- ٣١٥ أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان
- ٦٠٤، ٥٩٧ أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟!
- ٦٠٨ أمتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى
- ٤٩٩ أمحرم أنت؟ قال: نعم. فقال عمر: ما هيأتك بهياة مُحرم
- ٦٥٥ أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين، فسار بمن معه
- ٥٨٧ الأمناء سبعة: اللوح، والقلم، وإسرافيل، وميكائيل، ... و معاوية
- ٥٦٦ إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء
- ٣٥١ أنا ابن ذي الحوضين عبد المطلب
- ٤٨٣ أنا أنهى عنهما لما ثبت عندي أن النبي نسخها
- ٤٣٣ إننا أهل بيت لم يزل الله
- ٢٣١ أنا أوجدك في القرآن، قال الله عزّ وجلّ: «فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا»
- ١٨٣ إن ابن أم مكتوم يؤذّن بالليل، فإذا سمعتم أذانه فكلوا واشربوا
- ٧٠٣ إن أحبّ الناس إليّ يوم القيامة إمام عادل
- ٥٨١ أنا خاتم النبيين، لا نبيّ بعدي، إلا أن يشاء الله
- ٣٠٦ إن أدركته علمته كلاماً لم تطعمه النار
- ٢٤٥ أنا سيّد النبيين وصيّي سيّد الوصيّن وأوصياؤه سادة الأوصياء
- ٤٦٧ إن الخمر رأس كلّ إثم
- ١٧١ إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يُمشيهم على وجوههم
- ١٢١ إن الرجل الأعجمي من أمّتي ليقرأ القرآن بعجميته
- ٢٠١ إن الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين
- ٦٢٣ إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة!!
- ٧٠٦ إن الشيطان عرج إلى السماء فقال: يا ربّ سلطني على أيّوب عليه السلام
- ٧٥٣ أن الصلوات التي يجب المحافظة عليها هم: رسول الله، وعليّ، وفاطمة، وابناها
- ٢١٨ إن العرب كانوا عند الفراغ من حجّتهم بعد أيّام التشريق
- ٤٣٣ إن العلم الذي نزل مع آدم
- ١٨٩ إن القرآن أنزل على سبعة أحرف
- ٥٨٧ أن الله اتّمن على وحيه جبريل وأنا و معاوية
- ٦٢٤ إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك رجلاه في الأرض
- ١٩١ إن الله أمرني أن أدنك ولا أقصيك
- ١٦٣ إن الله أنزل على رسوله الصلاة

- ٤٣٢ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى طَهَّرَنَا وَ جَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ
- ٦٩٦ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَيْرَنِي بَيْنَ أَنْ يَغْفِرَ لِنِصْفِ أُمَّتِي أَوْ شَفَاعَتِي
- ٦٥٦ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ، وَ طَوْلُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً
- ٤٦٠ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
- ٨٣، ٥٣ إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ كَلَامَهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ
- ٤٨٥ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يُجِلُّ لِرَسُولِهِ مَا شَاءَ بِمَا شَاءَ
- ٧١٧ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَبْرَمَ خَلْقَهُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ خَلْقِهِ غَيْرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٧٤٤ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً كَانَ نَكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ
- ٦٤٨ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ: يَا رَبِّ كَيْفَ صَبْرُكَ عَلَى بَنِي آدَمَ فِي الْخَطَايَا وَ الذُّنُوبِ
- ٤٧٥ إِنَّ النَّاسَ قَدْ اسْتَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ آنَاءٌ
- ٥٩٣ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَخَطَّى بِعَرْجُونٍ فَأَصَابَ بِهِ سَوَادٌ مِنْ غَزِيَةٍ
- ٥٦٥ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَطِيرُ الْحَمَامَ
- ٨٣٦ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا تَوَضَّأَ أَذَارَ الْمَاءَ عَلَى مَرْقِيهِ
- ١٩٠ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلِيِّ بَابِهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا
- ٦٢٩ أَنْتَ فُلَانٌ بِنِ فُلَانِ الْعَبْدِيِّ؟
- ٩٨٠ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُقْرَبُونَ، تَقُولُونَ: «السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ الصَّالِحِ...»
- ٨٦٢ أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ مِنْ بَعْدِي
- ٥٦٤ إِنَّ جِبْرَائِيلَ نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَ عَلَيْهِ قَبَاءٌ أَسْوَدٌ وَ مَنْطِقَةٌ
- ٧٠١ إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ نَظَرَ إِلَى الْمَرْأَةِ
- ٦٩٥ إِنَّ دَاوُدَ سَأَلَ رَبَّهُ مَسْأَلَةً، فَقَالَ: اجْعَلْنِي مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ
- ١٩٩ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبْنَانِي أَنِّي سَاهَجَرُ هَجْرَتَيْنِ: فَهَجْرَةٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ١٨ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
- ٤٨٥ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الرَّسُولِ، وَ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هَذَا الْقُرْآنَ
- ٢٠٥ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ
- ٧٤٠ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ
- ٦٧٠ إِنَّ سَفِينَةَ نُوحٍ طَافَتْ بِالْبَيْتِ سَبْعاً وَ صَلَّى
- ٦٧٠ إِنَّ سَفِينَةَ نُوحٍ طَافَتْ بِالْبَيْتِ، وَ صَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكَعَتَيْنِ؟
- ٢١١ أَنْشَدْنَا، فَأَنْشَدَهُ: أَمِنْ آلِ نَعْمَ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكَّرٌ
- ٦٣٠ انْطَلَقْتُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ خَيْبَرَ
- ٢٩٩ انْطَلِقْ فَأَنْتَ بِالنَّاسِ وَ أَنَا لَكَ عَوْنٌ

- ٢٩٩ انطلق فَأَفْتِ للناس، فمن سألك عمّا يعنيه فَأَفْتِهِ
- ٧٥٣ إِنَّ ظاهرها: الحمد، و باطنها: ولد الولد. و السابع منها: القائم عجل الله فرجه
- ٣١٤ أنظر ما علمت من قولهم فأخبرهم بذلك
- ٤٢٩ انظروا كيف تخلفوني فيهما
- ٣٠٦، ٣٠٥ أنظروني حتى أرجع إليكم
- ٥٠١ أن عزير خرج من أهله وامراته حامل
- ٥٣ إن علم القرآن ليس يعلم ما هو إلا من ذاق طعمه
- ٤٣٤ أن عليّ ابن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن
- ٧٧ إن على كلّ حق حقيقة، و على كلّ صواب نوراً
- ٤٣٧ إن عيسى بن مريم ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا
- ٦٢٥ إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلّها
- ٢٩٥ إن في جهنم حيّات كالقلال و عقارب
- ٤٥٨ أن في كتاب الله المسح، و يأبى الناس إلا الغسل
- ٢٤ إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن
- ٢٥٨ إن كان الحديث ليلغني عن الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله
- ٣٢٣ إن كان الوزر في الأصل محتوماً
- ٥٦٩ إنك ستلي الخلافة من بعدي
- ٦١٥ إن كعب الأحبار لكذاب
- ٦١٦ إنك لتجد عمر بن الخطّاب في التوراة؟
- ٤٨٧ إنك لجلف جافٍ فلعمري لقد كانت المتعة تُفعل على عهد إمام المتّقين
- ٩٠٣ أنكم سترون ربكم عياناً
- ٣٣٥ إنك من وُلدي و من أحبهم إليّ
- ١٧٣ إن كنت تليط حوضها، و تردّ ناديها
- ٨٣٩ أن لا تميلوا
- ٢٨٦ أن لا يرين الرجال و لا يروهنّ
- ١٧٢ إن لكلّ شيء زينة، و زينة الصلاة رفع الأيدي
- ٥٦٧ إن لكلّ نبيّ حرماً، و إن حرمي بالمدينة
- ٥١٣ إن لله علمين علم مكنون
- ٨٠٨ إن لها عذراً في كتاب الله، يقول تعالى: «و الوالدات يرضعن»
- ٧٦ إنّما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم

- ٢٨٦ إِنَّمَا فَاطِمَةٌ بَضْعَةٌ مِنِّي
- ٤٣٢ إِنَّمَا مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مِنْ رَكِبِهَا نَجَا
- ٦٤ إِنَّمَا هَلَكَ النَّاسُ فِي الْمِثْشَابَةِ
- ٧٢١ إِنَّ مَلَكًا مَوْكَلًا بِنَامُوسَ الْبَحْرِ، فَإِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فَاضَتْ
- ٧٨٨ أَنْ مِنْ قَرَأَهَا فَكَأَنَّمَا تَصَدَّقَ عَلَى كُلِّ مَنْ وَرَثَ مِيرَاثًا
- ٧٠٨ إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ لَبِثَ بِهِ بِلَاؤُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً
- ٦٦٩ أَنْ نُوحًا لَمَّا أَمَرَ أَنْ يُصْنَعَ الْفُلُكُ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَ أَيْنَ الْخَشَبُ؟
- ٥٩٠ إِنَّ نُوحًا لَمَّا عَمِلَ السَّفِينَةَ جَاءَهُ جِبْرَائِيلُ بِأَرْبَعَةِ مَسَامِيرَ
- ٤٧٨ إِنَّهَا كَانَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَنْهَى عَنْهَا وَأَعَاقِبُ عَلَيْهَا
- ٣٠٩ إِنَّهَا لَا تَتَمُّ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ حَتَّى يُسْبِغَ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ
- ٧٣٠ أَنَّهُ الْحَرْفُ الَّذِي فِي آخِرِ كَلِمَةِ «الرَّحْمَنِ»
- ٧٥٠ إِنَّ هَذَا أَخِي وَكَذَا وَكَذَا
- ٧٥٠ إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيِّ وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ
- ١٠٣٦ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيهِ مَصَابِيحُ النُّورِ وَشِفَاءُ الصُّدُورِ
- ٧٦ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيهِ مَنَارُ الْهُدَى
- ١٠٣٦ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النُّورُ الْمُبِينُ وَالْحَبْلُ الْمَتِينُ
- ٦٧٢ أَنَّهُ رَأَى ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ»
- ٤٩٣ إِنَّهُ قَدْ أذِنَ لَكُمْ أَنْ تَسْتَمْتَعُوا فَاسْتَمْتَعُوا
- ٢١٩ إِنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمَا أَصْنَامٌ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا أَمْسَكُوا عَنِ الطَّوْفِ بَيْنَهُمَا
- ٨٥٣ إِنَّهُمْ الْأَنْمَةُ الْمَعْصُومُونَ
- ٣٣٥ إِنَّهُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ
- ٧٤٣ إِنَّهُمْ قَدْ كَفَرُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مِنْ ذِكْرِ
- ٧٨٨ إِنَّهُمْ قِرَابَةُ الرَّسُولِ وَ سَيِّدُهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَرُوا بِمُودَّتِهِمْ
- ١٨٣ إِنَّ وَسَادَكَ إِذْنٌ لِعَرِيضٍ
- ٦٨٩ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَاجُوجَ شَبْرًا، وَ شَبْرَانٌ، وَ أَطْوَلُهُمْ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ
- ٦٩٠ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَاجُوجَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ
- ٦٩٠ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَاجُوجَ يَحْفَرُونَ السُّدَّ كُلَّ يَوْمٍ
- ٤٣١، ٤٢٨، ٤٢٧ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ... إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ
- ٤٢٨ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ
- ٤٢٨ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي

- ٤٢٨ إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر
- ٨٠٦ إني لم أر عمر قنع بقول عمّار
- ٧٢٩ أوّل ما خلق الله القلم، فجرى بما هو كائن
- ١٧٦ أوّل ما خلق الله الماء
- ٨٠٦ أو لم ترَ عمَرَ لم يقنع بقول عمّار
- ٦٠٦ أو ليس لكم في آثار الأولين مُزْدَجَر
- ٤٤ أي أرض تقلني وأيّ سماء تظلني
- ٥٦ إياك أن تفسّر القرآن برأيك
- ١٨٥، ٤٥ أيّ سماء تُظلّني، وأيّ أرض تُقلّني، إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم
- ٢٠١ أيكم سبّ إله الخلق جلّ وعلا؟
- ٤٧٣ أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم
- ٤٩٣ أيما رجل وامرأة توافقا فيعشرة ما بينهما ثلاث ليال
- ٢٩٣ الإيمان يمان
- ٢٤٠ أيها الناس، إنّ الله أحلّ لكم الفروج على ثلاثة معان
- ٤٨٤ أيها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهنّ
- ٧٧ أيها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته
- ٢١٧ البحرين من أعمال العراق، وحده من عُمان ناحية جرّ فار
- ٦٧٨ البرهان: النبوة التي أودعها الله في صدره
- ١٧١ البشري في الحياة الدنيا هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن
- ٦٨٩ بعثني الله ليلة أسري بي إلى أجوج ومأجوج
- ٢١٧ بلسان الحبشة، إذا قام الرجل من الليل قالوا: نشأ
- ٢٢٤، ٢١٠ بلسان سؤول وقلب عقول
- ٦٠١، ٢٢٠ بلّغوا عني ولو آية
- ٤٦٦ بل هي محرّمة في كتاب الله يا أمير المؤمنين
- ٢١٦ البور، في لغة أزدعمان: الفاسد
- ٥٧٠ بيت المقدس وأكناف بيت المقدس
- ٨١٢ البيعان بالخيار ما لم يفترقا
- ٣١٠ تجتمعون إليّ يا أهل مكّة وعندكم عطاء
- ٦٠٦ تحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج
- ٤٧٩ تحريمها ونسخها في القرآن

- ٣٤٢ تركتموه كالثوب النقي من الدنس
- ١٧٦ تشويها النارُ فتنقلص شفاهها العليا
- ١٢١، ١١٠ تعلموا العربية فإنها كلام الله
- ١٢١، ١٠٩ تعلموا القرآن بعربيته
- ٥٣ التفسير أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها
- ٢٠٥ التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها
- ٦٢٠ تقتله الفئة الباغية
- ٣٢٢ الثقلان كتاب الله و عترتي
- ٣١٤ جالس أهل المدينة فإني أحب أن يروا في شيعتنا مثلك
- ٩٦٧ جعل الحقّ تعالى في قلوب أوليائه رياض أنسه
- ٢١٠ جلّ ما تعلّمت من التفسير من عليّ بن أبي طالب
- ٧٥٢ حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى و صلاة العصر
- ٩٧٧ حجاباه النور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كلّ شيء أدركه بصره
- ٨٣٦، ٧٧٧، ٦١٩، ٦٠٦، ٦٠٥، ٦٠٣، ٦٠١، ٢٢١، ٢٢٠ حدّثوا عن بني إسرائيل و لا حرج
- ٢١٨ حدّ عرفه من الجبل المشرف على بطن عُرنة إلى جبالها
- ٣٢٩ حسن الصوت زينة للقرآن
- ٤٣١ الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت
- ١٥٨ خذوا عني مناسككم
- ٦٦٤ خلق الله آدم بيده
- ٦٢٦، ٦٢٥ خلق الله التربة يوم السبت
- ٧٢٨ خلق الله تعالى جبلاً يقال له: قاف، محيط بالعالم
- ٧٢٨ خلق الله من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها، ثمّ خلق من وراء ذلك البحر جبلاً
- ٦٨٩ خلّق يأجوج و مأجوج، ثلاثة أصناف
- ٢٥ الخمس في كلّ ما أفاد الناس من قليل أو كثير
- ٣٠٥ دفنّاها بليل بعد هدأة
- ٣١٧ ذاك الذي يُشبهه كلامه كلام الأنبياء
- ٦٩٥ الذبيح إسحاق
- ٢٠ ذلك العرض، و من نوقش الحساب عُدّب
- ١٠٣٦ ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق
- ٣٥٣ ذلك من خرج من بيته بزاد و راحلة

- ٤٦٣ ذو القربى هم قرابة الرسول
- ٨٣٦ رأني رسول الله ﷺ و أنا أمسك مصحفاً قد تشرمت حواشيه
- ٤٧٤ راجعها، فقال: إني طلقها ثلاثاً يا رسول الله. قال: قد علمت، راجعها
- ٩٤٣ رأيت العقل عقلي فمطبوع و مسموع
- ٤٨١ رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل
- ٦٢٨ رضيت بالله رباً و بالإسلام ديناً و بك رسولاً
- ١٧٢ رفع الأيدي من الاستكانة
- ٣٢٩ زدنا فداك أبي و أمي، فأني سمعت رسول الله ﷺ يقول
- ٣٢٣ زوّجتك خير أمتي
- ١٧٦ السابق و المقتصد يدخلان الجنة غير حساب
- ٦٦٦ ساروا في السرب سنة و نصفاً
- ١٦٩ سئل عن الاستطاعة، فقال ﷺ: الزاد و الراحلة
- ١٦٩ سئل عن السائحين، فقال ﷺ: هم الصائمون
- ٦٥٠ سئل عن المسوخ، فقال ﷺ: هم ثلاثة عشر
- ١٧٠ سئل عن معنى «عِضِينَ»؟ فقال ﷺ: «أمنوا ببعض و كفروا ببعض»
- ٦٦٩ سام أبو العرب، و حام أبو الحبش، و يافت أبو الروم
- ٩١٧ سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر
- ٥٦٩ ستفتح عليكم الشام
- ٨٢٣، ٧٢ السجود على سبعة أعضاء
- ٩٧٨ سرّ من سرّي استودعته قلب من أحببت من عبادي
- ٢٨٢، ٢٨١ سعيد بن المسيّب أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار
- ٢١٤ سلاني عمّا بدا لكما
- ٤٣٣ سلوا عن ذلك آل محمد
- ١٨٩ سلوني سلوني سلوني عن كتاب الله
- ١٩٠ سلوني عن كتاب الله، فإنه ليست آية إلا و قد عرفت بليل نزلت أم بنهار
- ٧١٩ السماء الدنيا موج مكفوف
- ٥٧٣ سمعت رسول الله ﷺ يقول: عمر بن الخطاب نور في الإسلام
- ٢١٦ السمود: الفناء، وهي يمانية
- ١٦٩ سياحة أمتي الصيام
- ٣٣١ سيخرج من الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد بعده

- ٩٥٣، ٩٤٦ الشرك في أمّتي أخفى من ديب النمل على الصفا
- ٣٨٨ شهد رسول الله بدرأ في ثلاثمائة وثلاثة عشر
- ٣٩٩ صار تُمن المرأة تُسعاً
- ٥٦٩ صدّقوا! الأبدال الأوصياء، جعلهم الله تعالى في الأرض بدل الأنبياء
- ٢٨٥ صلاة أربع ركعات يقرأ في كلّ ركعة
- ٧٥٢ صلاة الظهر
- ٧٥٣ الصلاة الوسطى الظهر
- ٣٠٥ الصلاة يا أهل البيت، إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
- ١٦٦، ١٥٨ صلّوا كما رأيتموني أصلي
- ٣٥٤ طلب العلم فريضة على كلّ مسلم
- ٤٧٠ طلّق عبد الله بن عمر امرأته ثلاثاً
- ٨٨ ظهر القرآن الذين نزل فيهم
- ٨٨، ٢٣ ظهره تنزيله و بطنه تأويله
- ١٧٠ عبادة لكلّ مسكين
- ٤٢٧ عترتي أهل بيتي
- ٨٦٢ علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل
- ٨٦٢ العلماء ورثة الأنبياء
- ٩٨٩ العلم نقطة كثّرها الجاهلون
- ٤٤٤، ٢٨ علمه الذي يأخذه عنّ يأخذه
- ٤٣٢ عليّ عترة رسول الله ﷺ
- ١٠٣٦ عليكم بكتاب الله؛ فإنّه الحبل المتين و النور المبين
- ٢٠٠ عليّ مع الحقّ، و الحقّ معه
- ١٩٠ عليّ مع القرآن، و القرآن مع عليّ
- ٨٧٧ عليّ و فاطمة و ابناهما
- ٤٨٤ على يديّ جرى الحديث، تمتعنا مع رسول الله ﷺ
- ٤٨٥ على يديّ دار الحديث، تمتعنا مع رسول الله ﷺ
- ٥٧٣ عمر بن الخطّاب نور في الإسلام و سراج لأهل الجنّة
- ٥٤٨ العُمريّ ثقّتي، فما أدّى إليك عنّي فعنّي يؤدّي
- ٥٤٨ العُمريّ و ابنه ثقتان، فما أدّى إليك عنّي فعنّي يؤدّيان
- ٧٥ فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن

- ٨٧٨ فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها
- ٧٨٧ فالبعوضة: أمير المؤمنين و ما فوقها: رسول الله
- ٨٣١ فأما الركوع فعظّموا فيه الربّ، و أما السجود
- ٤٦٢، ٢٤ فأما الغنائم و الفوائد فهي واجبة عليهم في كلّ عام
- ٤٢ فانظر أيها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفة فانتّم به
- ٤٢٨ فانظروني بم تخلفوني فيهما
- ٤٣٣ فإنما على الناس أن يقرأوا القرآن
- ١٧١ فإنها بشارة المؤمن عند الموت، يبشّر بها عند موته
- ٥٤٨ فإنه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يؤدّيه عنّا ثقافتنا
- ١٧٤ «فتتعد ملوماً محسوراً» الإحسار: الإقتار
- ١٨٣ الفجر هو الخيط الأبيض المعترض
- ٤٦٤ فما كان لله فلرسوله، و ما كان لرسول الله فهو للإمام
- ٨٦ فما من آية إلاّ و لها ظهر و بطن
- ١٩٠ فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلاّ أقرأنيها و أملاها عليّ
- ٤٩٨ فمن كان منكم ليس معه هدي فليحلّ و ليجعلها عمرة
- ٦٩٠ فوالذي نفس محمّد بيده إنّ دوابّ الأرض لتسمن
- ٦٤٤ فيخبروكم بحقّ فتكذبوا به
- ١٥٩ «في سدر مخضود» يخضد الله شوكه فيجعل مكان كلّ شوكه ثمرةً
- ٤٣٢ في كلّ خلف من أمّتي عدول من أهل بيتي
- ٤٦٢ في كلّ ما أفاد الناس من قليل أو كثير
- ٢٠٨ فيما بلغني نزل في النظر بن حارث ثماني آيات من القرآن
- ٦٦٩ قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة
- ٩٤٢ قال الله تعالى: لم يسعني أرضي و لا سمائي و وسعني قلب عبدي المؤمن
- ٥٦ قال الله جلّ جلاله: ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي
- ٨٠٣ قال الله عزّ و جلّ: «ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي»
- ٩٤٥، ٥١ قالت الحكمة: من أردني فليعمل بأحسن ما علم
- ٤٩٨ قد علمتم أنّي أتقاكم لله و أصدقكم
- ٥٨٧ قد كثرت عليّ الكذّابة و ستكثر
- ٤٨١ قدم عمرو بن حريث الكوفة فاستمتع بمولاة، فأتي بها عمّر
- ٤٣٤ القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلاّ له ظهر و بطن

- ١٢٠ القرآن حمّال ذو وجوه
- ٥٤٠ القرآن يفسّر بعضه بعضاً
- ٣٧٨ ٨٩، ٦٧ القرآن ينطق بعضه ببعض
- ٤٣٤ قرأت على النبي ﷺ سبعين سورة من القرآن
- ٤٣٤ قرأت على رسول الله ﷺ تسعين سورة
- ٤٣٥ قسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطى عليّ تسعة أجزاء
- ٧٥٥ قولوا: اللهم صلّ على محمد و على آل محمد
- ٩٩٤ قيّدوا العلم بالكتابة
- ٢٠٢ كان أبي (الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام) يحبه (أي ابن عباس) حباً شديداً
- ٢٨٢ كانا على هذا الأمر
- ٥٤٤، ٢٦٣، ٢٥٨، ٤٩، ٤٧ كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يتجاوزهنّ حتّى يعلم
- ٧١٥ كان الرجل منهم يأتي إلى الصخرة
- ٤٧٥ كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر
- ٦٤٩ كان بعد نوح عليه السلام قد كثرت السحرة و المموّهون
- ٢٦٢، ٢٦١ كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دبرها في قبلها، جاء الولد أحول
- ٦٦٨ كانت سفينة نوح عليه السلام لها أجنحة
- ٦٦٤ كانت من صدر الجنة، طول اللوح اثنا عشر ذراعاً
- ٤٦٢ كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية فغنموا، خمس الغنيمة
- ٢٨٢ كان سعيد بن المسيّب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبو خالد الكابليّ
- ١٩٨ كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق
- ١٧٢ كانوا يخدفون أهل الطريق و يسخرون
- ٨٠٦ كان يكفيك - أي التيمّم -!
- ٤٢٧ كتاب الله و أهل بيته
- ٤٣٠ كتاب الله و سنتي
- ٦٢٨ كتاب نسخهته لنزداد به علماً إلى علمنا، فغضب رسول الله ﷺ
- ٤٤٥ كذّابون مكذّبون كفّار عليهم لعنة الله
- ٣٠٩ كذب أبو ظبيان أما بلغك قول عليّ فيكم
- ٢٣١ كذب كعب الأحبار، كذب كعب الأحبار، كذب كعب الأحبار
- ٦٤٩ كذبوا في قولهم: إنهما كوكبان
- ٤٩٨ كرهت أن يظلّوا مُعْرِسينَ بهنّ في الأراك

- ٤١ كلّ أمر يريدّه الله فهو في علمه قبل أن يضعه
- ١٠١٩ كلّ بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمّه إلاّ مريم وابنها
- ١٧٥ كلّ شيء خلق من الماء
- ٧٧ كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنة
- ٣٥٤ كلّ مسكر حرام، وكلّ مسكر خمر
- ٤٥ كلّ هذا قد عرفناه، فما الأبّ؟
- ٤٨١ كنّا نستمتع بالقبضة من التمر والديق
- ١٩٣ كنّا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ: «يا أيّها الرسول بلغ...» - أن علياً مولى المؤمنين
- ١٩٠ كنت أول داخل على النبي ﷺ وآخر خارج من عنده
- ٥٦٦ كنت عند النبي ﷺ إذ أقبل العباس وعليّ، فقال: يا عائشة، إن سرّك أن تنظري
- ٥٦٦ كنت عند رسول الله ﷺ إذ أقبل العباس وعليّ، فقال: يا عائشة، إن هذين يموتان
- ٢١٥، ١٨٦ كنت لا أدري ما ما «فاطر السماوات» حتّى أتاني أعرابيّان
- ٢٠٧ كنتم أمواتاً قبل أن يخلقكم؛ فهذه ميتة، ثمّ أحياكم
- ٩٨١، ٩٨٠ كنت نبياً و آدم مجبول في طينته
- ٧٧٣ كيف ملئ علماً
- ٥٩٩ كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء
- ٤٧٤ كيف طلّقتها ثلاثاً؟ قال: في مجلس واحد! فقال رسول الله
- ٤٥٧ لا إلاّ بكفّه
- ٤٨٥ لا أوتي برجل تزوّج امرأة إلى أجل إلاّ رجّمته
- ٥٦ لا تؤوّل كتاب الله عزّ وجلّ برأيك
- ٦٣١ لا تتبعوا هؤلاء فإنهم قد هوكوا وتهوكوا
- ٣٥٧ لا تحدّث به السفلة فيذيعونه
- ٥٧٠ لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ
- ٥٩٨، ٢٢٥ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء
- ٦٤٤، ٦٠٣، ٢٢٥ لا تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم وقد أضلّوا أنفسهم
- ٦٤٤، ٦٠٣، ٥٩٩، ٢٢٥، ٢٢١ لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم
- ٨٠٦ لا تصلّ! فقال عمّار: أما تذكر
- ٤٢٩ لا تقدّموهما فتهلّكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلّكوا
- ٢٨٦ لا تملّوا أعينكم من أعوان الظلمة
- ٥٦٤ لا سبق إلاّ في خفّ أو حافر أو جناح

- ٥٧٧ لا سبق إلا في نصل أو خفّ أو حافر أو جناح
- ١٩١ لا، لست أتخوف عليك النسيان والجهل
- ١٩٠ لأنّي كنت إذا سأته أنبأني وإذا سكّت ابتدأني
- ٥٦٦ لاها الله، لا تجتمع ابنة وليّ الله و ابنة عدوّ الله
- ٤٣٦ لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة
- ١٧٠ لا ولكن من قال: ليس هذا هكذا فقد كفر
- ١٨٤ لا، ولكنّه الذي يصوم و يصلّي و يتصدّق و يخاف الله
- ٨٠٦ لا يتيمّم، وإن لم يجد الماء شهراً
- ٥٧٠ لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحقّ حتّى تقوم الساعة
- ٨٠٦ لا يصلّي حتّى يجد الماء
- ٦١٤ لا يقصّ على الناس إلا أمير أو مأمور
- ١٨٣ لا يمنعكم أذان بلال من سحوركم فإنّه ينادي بليل
- ١١٧ لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر
- ٤٤١ لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها
- ٦١ لعن الله المجادلين في دين الله على لسان سبعين نبياً
- ٣٣٥ لعن الله عمرو بن العاص، فإنّه كتب إليّ يخبرني أنّه قتله بالإسكندرية
- ٤٤٥ لعنه الله إنه أعمى القلب أعمى البصر
- ٧٦ لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه و لكنّهم لا يبصرون
- ٢٢٥ لقد جئتكم بها بيضاء نقية
- ٩٠٥ لقد قفّ شعري ممّا قلت! أين أنت من ثلاث، من حدّتكهنّ فقد كذب
- ٩٥٠، ٩٤٧، ٩٤٩ لكلّ آية ظهر و بطن و حدّ و مطلع
- ٨١٢ للراجل سهم و للفراس سهمان
- ٦٧٦ لما جمع الملك النسوة قال لهنّ: أتئنّ راودتنّ يوسف عن نفسه؟
- ٢٠٨ لم أزل حريصاً أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبيّ ﷺ
- ٥٩٠ لما عرج بي إلى السماء، قلت: اللهم اجعل الخليفة من بعدي عليّ
- ٦٧٦ لما قال يوسف ذلك قال له جبرئيل ﷺ: و لا يوم هممت بما هممت به؟
- ٢١٥ لم أكن أدري ما «افتح بيننا و بين قومنا بالحقّ» حتّى سمعت
- ٦٤٩ لما مات سليمان النبيّ ﷺ وضع الشيطان السحر
- ٥٩١ لما مرض رسول الله ﷺ قال لبلال: هلمّ عليّ بالناس
- ٥٩٠ لما نزلت «إذا جاء نصر الله و الفتح» جاء العباس إلى عليّ

- لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ فَصَلَ لِرَبِّكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: يَا جَبْرَائِيلُ ١٧٢
- اللَّمَمُ: الرَّجُلُ يَلْمُ بِالذَّنْبِ فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْهُ ٢٨٥
- لَمْ يَجْرُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ شَيْءٌ إِلَّا وَيَكُونُ فِي أُمَّتِي مِثْلَهُ ٥٠٦
- لَمْ يُرْعَ عَمْرٌ إِلَّا أُمَّ أَرَاكَةَ قَدْ خَرَجَتْ حَبْلِي، فَسَأَلَهَا عَمْرٌ ٤٨٢
- لَمْ يَسْعَنِ سَمَائِي وَلَا أَرْضِي وَلَكِنْ وَسَعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ ٩٤٦
- لَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، فَظَاهِرُهُ حِكْمَةٌ وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ ٦٩
- اللَّهُمَّ أَنْتَنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ يَا أَكْلَ مَعِي ٧٤٩
- اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا ٥٦٨
- اللَّهُمَّ أَدْرِ الْحَقَّ مَعَ عَلِيِّ حَيْثُ دَارَ ٨٧٥
- اللَّهُمَّ انصِرْ مِنْ نَصْرِ عَلِيًّا ٣٤٤
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْيَا عَلَى مَا حَيَّيَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ ٢٠٠
- اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ وَأَنْشُرْ مِنْهُ ٢٠٤، ١٩٨
- اللَّهُمَّ ثَبِّتْ لِسَانَهُ وَاهْدِ قَلْبَهُ ١٨٨
- اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ التَّوَابِيلَ وَفَقِّهَهُ فِي الدِّينِ ٢٥٨
- اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ ٥٦٨
- اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ١٩٨
- اللَّهُمَّ فَفِّهَهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّوَابِيلَ ٧٧٣، ٤٣٦، ١٩٨، ٥٩، ٤٧
- اللَّهُمَّ لَا تَبْقِنِي لِمَعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ٨٠٨
- لَوْ أَدْرَكَتْ عَكْرَمَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ لَنْفَعْتَهُ ٣٠٦
- لَوْ أَدْرَكَتَهُ لَنْفَعْتَهُ ٣٠٦
- لَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْرَفَ بِكِتَابِ اللَّهِ مَنِّي تَبْلِغُهُ الْمَطَايَا ٤٣٤
- لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَضْرَبْتُ إِلَيْهِ أَبَاطِ الْإِبِلِ ١٩٣، ١٨٩
- لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مَنْوَبًا بِالثَّرِيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارَسٍ ١٧٥
- لَوْ كَانَ الْمُعْمَلِيُّ مِنْ هَذِيلٍ، وَالكَاتِبُ مِنْ ثَقِيفٍ، لَمْ يَقَعْ فِيهِ هَذَا ٢١٥
- لَوْلَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ ٩٤٢
- لَوْلَا أَنَّ عَمْرَ نَهَى عَنِ الْمَتْعَةِ مَا زُنِيَ إِلَّا شَقِيًّا ٤٨٧، ٤٧٩
- لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ ٨٦٩
- لَوْ لَمْ يَقُلْ - يَعْنِي يُوسُفَ - الْكَلِمَةَ الَّتِي قَالَهَا، مَا لَبِثَ فِي ٦٨١
- لَيْسَ بِشَيْءٍ. ثُمَّ قَالَ: أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ ٤٧٠
- لَيْسَ بِمَلِكٍ وَلَا نَبِيٍّ، وَلَكِنْ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا ٥٠٣

- ٦٠٩ ليس لك أن تتبع
- ٥٠٧، ٤٨٩ ليس منّا من لم يقل بمتعتنا
- ٦١١ ليلزم كل إنسان مصلاه
- ٢٧٠ ليهنك العلم، أبا المنذر
- ٢١٠، ١٩٨، ٤٧ ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب
- ١٢١ ما استوى رجلان في حسب و دين قط
- ٥٩١ ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب
- ٤٤٠ ماؤكم: أبوابكم، أى: الأئمة عليهم السلام، و الأئمة أبواب الله بينه و بين خلقه
- ٢٨ ماؤكم: أبوابكم، و الأئمة: أبواب الله، فمن يأتيكم بماء معين
- ٧٦ ما أنعم الله على عبد، بعد الإيمان بالله أفضل من العلم بكتاب الله
- ١٧٣ ما بسوقها؟ فقال عليه السلام: طولها
- ٣١٠ ما بقي على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحج
- ٣٢٣ ما تحمد الله عليه فهو منه
- ٣٠١ ما حدثكم عكرمة عني فصدّقه، فإنه لم يكذب علي
- ٩٤٣ ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل
- ٦٢ ما علمتم فقولوا و ما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم
- ٢٤٠ ما عندك في المتعة؟
- ٢٣ ما في القرآن آية إلا و لها ظهر و بطن
- ٤٦ ما كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً تعدّ
- ٤٧٩ ما كانت المتعة إلا رحمة من الله رحم بها عباده
- ٢١٦ ما كنت أدري ما معنى «يحور» حتّى سمعت أعرابيّة تقول
- ٦٨٧ ما لي و ما لهم،... إن شئتم سألتهم فأخبرتكم
- ٨٨ ما من آية إلا و لها ظهر و بطن
- ٩١٠ ما من مولود يولد إلا و الشيطان يمسه حين يولد
- ٤٥٨ ما نزل القرآن إلا بالمسح
- ٦٣٠، ٦٢٨ ما هذا في يدك يا عمر؟! ... فقال: يا أيها الناس إنّي قد أوتيت جوامع الكلم
- ٢١٥ ما هيئنا من هذيل أحد؟
- ٦١٥ ما يُكيك؟ فقالت: هذا اليهودي يقول: إنك على باب من أبواب جهنم!
- ٨٠٧ ما يمنعك يا فلان أن تصلّي في القوم؟
- ٤٨٥ متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنا أنهى عنهما

- ٤٨٣ متعتان كانتا على عهد رسول الله، وأنا محرّمهما
- ٤٧٩ المتعة منسوخة نسختها الطلاق والعدة والميراث
- ٨٨٥ مثل علم الله فيكم كمثل السماء التي أظلتكم
- ٧٢١ المجرة التي في السماء هي عرق حية تحت العرش
- ٧١٩ مرحباً بالمهاجر الأوّل
- ٦٤٨ معاذ الله من ذلك، إنّ الملائكة معصومون
- ٥٩١ معاشر أصحابي، أيّ نبيّ كنت لكم، ألم أجاهد بين أظهركم
- ٧٠٣ المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمان
- ٤٠٩ مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطّاب عن المتظاهرتين
- ٢٠٨ مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على النبيّ ﷺ
- ٧٦٩ ملك من الملائكة معه مخاريق من نار
- ٧٢٣ ملك من ملائكة الله موكلّ بالسحاب
- ٢٨٦ من اتقى الله عاش قويّاً
- ٩٤٥ من أكل الحلال أربعين يوماً نور الله قلبه
- ٣٥٢ من أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامه البصريّ
- ١٧٠ من تركه (الحجّ) لا يخاف عقوبته ولا يرجو مثوبته
- ٨٠٢، ٥٧ من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ
- ٥٧ من تكلم في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار
- ٥٥ من تكلم في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار
- ٢٠٠ من تمسك بعترتي من بعدي كان من الفائزين
- ٧٠٤ من حدّث بحديث داود على ما يرويه القصاص جدّته
- ٥١٣ من زعم أنّ الله عزّ وجلّ يبدو له
- ١٩٢ من سرّه أن يقرأ القرآن غضّاً طريّاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد
- ٤٩ من فسّر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ
- ٦٣، ٦٢، ٥٧ من فسّر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر
- ٤٩ من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار
- ٥٧٢ من فعل اليوم كذا فله كذا، ومن فعل كذا فله كذا
- ٥٧ من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم
- ٥٩، ٥٧ من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ
- ٤٩ من قال في القرآن برأيه فقد كفر

- من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ٥٧، ٨٠٣
- من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار ٥٧
- من قال في القرآن بغير ما علم، جاء يوم القيامة مُلجماً بلجام من نار ٥٧
- من قال: لا إله إلا الله، خلق الله كل كلمة منها طيراً ٥٧٧، ٦٣٧
- من قتل مؤمناً على دينه فذلك ٤٦٩
- من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ٤٨، ٥٦٣، ٦٠١
- من كنت مولاه فعلي مولاه ٢٩٦
- من مات على حب آل محمد مات شهيداً ٨٧٧
- من هذا وقومه. والذي نفسي بيده لو أن الدين تعلق بالثريا ١٧٥
- من وسع عليك الطريق ٣٢٣
- الميزان الذي وضعه الله للأنام ٢٧
- النجاة أن لا تخادعوا الله فيخدعكم ١٧٤
- النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ٤٣٢
- نزلت في القائم وأصحابه ٤٤٢
- نزلت في أمة محمد خاصة ٤٣٣
- نزلت هذه الآية يوم الجمعة ورسول الله ﷺ في سفر ٧٥٢
- نزل جبرئيل على النبي ﷺ وعليه قباء أسود ومنطقة ٥٦٥، ٥٨٨
- نعم، استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ٤٨١
- نعم الفارس عويمر ٢٧٢
- نعم ترجمان القرآن ابن عباس ٤٧، ٢٥٩
- النعيم: المعرفة والمشاهدة والجحيم: ظلمات الشهوات ٨٧٦، ٩٦٧
- نور يُقذف به فينشرح له وينفسح ١٧١
- النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة ٦٢٤
- هؤلاء قوم حزقيل - ويقال له ابن العجوز - فرّوا من القتال ٥٠١
- هذا الشيطان أيس من عبادته ١٩١
- هذا عطية الله ٢٤٨
- هذا في الرجعة ٥٠٠
- هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك أن لا تدري ما الأب ١٨٤
- هذا وإنما أكل ابنه، فلو أكله رُفِع في عليين ٥٩٠
- هذا يوم من أيامك ٢٩٨

- هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأَب؟ ثم... فقال: إنَّ هذا لهو التكلّف يا عمر! ١٨٤، ١٨٥
- هكذا العلم، يزيد الشريف شرفاً، ويُجلس المملوك على الأُسرة ٣٥٦
- هل تضارون في رؤية الشمس والقمر دونهما سحاب؟ ٩٠٣
- هل عندك علم عن النبيّ لم يقع إلى غيرك قال: لا إلاّ كتاب الله ٥١
- هلّم عليّ بالناس. فاجتمع الناس ٥٩١
- هم آل محمّد ﷺ ٧٧٣، ٧٧٠
- هم آل محمّد يبعث الله ٤٤١
- هم أصحاب المهديّ في آخر الزمان ٤٤٢
- هم الفرس. هذا وقومه ١٧٥
- هو الذنب يلمّ به الرجل ٢٨٥
- هو الذي نزل به جبرئيل ﷺ ٤٥٧
- هو بالعربية الأسد، وبالفارسية شار (شير)، وبالقطيّة أريا ٢١٧
- هو حكيم أمّتي ٢٧٢
- هو رجل وكّد عشرة من الولد ١٧٥
- هو قرن يُنفخ فيه ١٧٤
- هو قول أحدهم: زه هزار سال، يقول: عش ألف سنة ٢١٧
- هو قول الأعاجم: «زه، نوروز، مهرجان حر» ٢١٧
- هو لقربي رسول الله ﷺ قسّمه لهم رسول الله ﷺ ٤٦٣
- الهوى والشهوة يغلبان العلم والعقل ٩٦٣
- هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل، أو تُرى له ١٧١
- هي أوّل صلاة صلاها رسول الله ﷺ وهي وسط صلاتين بالنهار ٧٥٢
- وأبوها خير منهما ٣٢٣
- واعجباً لك يا ابن عبّاس! هما: عائشة وحفصة ٢٠٨
- واعلم أنّ القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل ٢٦٤
- وأقروهم أبيّ بن كعب ١٩٧
- والأواب: النواح المتعبّد الراجع عن ذنبه ٢٨٥
- والذي بعث محمّداً بالحقّ بشيراً ٤٤١
- والذي لا إله إلاّ هو، ما نزلت آية في كتاب الله إلاّ وأنا أعلم فيمن نزلت ٢٦٣
- والذي نفس محمّد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتّبعتموه ٦٢٨
- «والعصر» قسم من الله أقسم ربكم بآخر النهار ٥٨٩

- ١٥٩ والله الذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم
- ٨٢٦ والله لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أتباعي
- ١٩٠ والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين نزلت
- ٢٠٩ وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه من تسيير الجبال
- ٢٠٩ وأنزل عليه في قولهم: خذ لنفسك
- ٦٠٧ وإنما تسيرون في أثر بين وتتكلمون
- ٥٤٤ وإنما هو تعلم من ذي علم... علم علمه الله نبيه
- ٢٥٨ وإنما هو تعلم من ذي علم علمه الله بنبيه وعلمنيه
- ٢٠١ وجبت والله في أعناق القوم...
- ٥٦٠ وسيكون في أمتي رجل يقال له: محمد بن إدريس
- ٢٦٣ و صدر المفسرين من الصحابة، عليّ ثم ابن عباس
- ٣٠٨ الوضوء غسلتان ومسحتان
- ٦٤١ وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله
- ١٩١ وقد علمتم موضعي من رسول الله
- ٤٢٩ وقفوههم أنهم مسؤولون عن ولاية عليّ
- ٣١٥ وكان أبان إذا قدم المدينة
- ٧١٨ وكّل بالشمس تسعة أملاك، يرمونها بالثلج
- ٤٣٢ ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم
- ١٩٨ ولكل شيء فارس، وفارس القرآن ابن عباس
- ٢١٥ ولم يدر ما معنى التخوف هنا!
- ٨٨، ٢٤ ولو أن الآية إذا نزلت في قوم
- ١٥٨ وليس كل أصحاب رسول الله كان يسأله
- ٩٤ وهل الإيمان إلا الحبّ والبغض
- ٨٦ وهو الدليل يدلّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل
- ٦٢٠ ويحك يا ابن سميّة، تقتلك الفئة الباغية
- ٧٥٦ ويكون خليفتي
- ٧٦ ويل لمن لا كها بين لحبيبه ثم لم يتدبّرها
- ١٩٤ يا ابن مسعود، أنه قد أنزلت عليّ آية
- ٦١٧ يا أمير المؤمنين، هذا كعب يقول كذا وكذا!
- ٤٢٨ يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا

- ٣٢٣ يا بن آدم أزعمت أن الذي نهاك
- ٣٥٨ يا جابر حديثنا صعب مستصعب
- ٦٨٨ بأجوج و مأجوج أمة
- ٣٢٠ يا حسن أسبغ الوضوء
- ٤٥٢، ٧٧ يا زرارة، قاله رسول الله ﷺ ونزل به الكتاب
- ٢٨١ يا سعيد! أزعمت؟ فقلت: نعم، يا ابن رسول الله ﷺ فقال: هذا التسييح الأعظم
- ٥٠٣ يا سلمان، إنك مدرِكهم و أمثالك و من تولّاهم حقيقة المعرفة
- ٥٦٦ يا عائشة، إن سرّك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار
- ٥٦٦ يا عائشة، إن هذين يموتان على غير ملّتي
- ٢٠٠ يا عطاء، من القوم؟
- ٣٢٦ يا عليّ، ما من عبد لقي الله يوم يلقاه
- ٥٩٠ يا عمّ، إن الله جعل أبا بكر خليفتي عن دين الله و وحيه
- ١٧٥ يا فروة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم؟
- ٧٢١ يا معاذ، إنّي مرسلك إلى قوم أهل عناد
- ٦٣٣، ٢٢٤ يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب
- ٩٤٧ يا وابضة! استفت قلبك؛ البرّ: ما اطمأنت إليه النفس
- ٥٠٦ يُحشر المتكبرون في صورة الذرّ يوم القيامة
- ٤٣٣ يحمل هذا الدين في كلّ قرن عدول
- ٥٦٠ يخرج الناس من المشرق إلى المغرب
- ٤٨٧ يرحم الله عمر، ما كانت المتعة إلاّ رحمة من الله
- ٦٦٤ يريد ألواح التوراة
- ٧٨ يُعرف هذا و أشباهه من كتاب الله عزّ و جلّ
- ٣٣٥ يقتله خير أمّتي من بعدي
- ٥٦٠ يكون في أمّتي رجل يقال له: محمّد بن إدريس
- ٢٠١ يوم الخميس، و ما يوم الخميس!
- ٧١٥ [إرم ذات العماد] كان الرجل منهم يأتي إلى الصخرة



ابن أبي الحديد، ٤٣، ٤٤، ١٨٩، ١٩٠، ٢٠١، ٤٧٣	ابن أشيم، ٤٧٣
٢٠٣، ٢٧٢، ٢٨٣، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣	ابن الأبرص، ٢١٤
٣٣٤، ٣٣٥، ٤٢٠، ٤٨٣، ٤٨٤، ٥٥٧	ابن الأثير، ١٥٩، ١٨٢، ١٨٩، ٣٣٦، ٣٤١
٥٦٦، ٥٦٧، ٦١٥، ٨١١، ٨٤٠	٣٤٥، ٤٧٩، ٥٦٩، ٥٨٠، ٨١٧
ابن أبي الدنيا، ٦٤٥، ٧٢٨	ابن الأزرق، ٢١٦
ابن أبي العوجاء، ٥٧٦	ابن الأشعث، ٢٤٨
ابن أبي حاتم (محمّد بن عبد الرحمان)، ٥٢، ١٩٧، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٤٦، ٣٠٢	ابن الأنباريّ (كمال الدين عبد الرحمان)، ٥٨، ٢١٢، ٢١٣، ٣٩٣، ٤٦٧، ٧٧١، ٩٢٣
٣٠٤، ٣٤٣، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٩١، ٦٤٧	ابن الجوزيّ، أبو الفرج، ٦٨٩
٦٥٥، ٦٦٤، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٨٤، ٦٨٦	ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب، ٢٢٧
٦٨٨، ٦٩٥، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٦	ابن الحجّام، ٤٤٥
٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٢، ٧١٤، ٧١٧	ابن الحنفيّة، ٢٥٨
٧٣١، ٧٥٣، ٧٥٥، ٨٠٩، ٨٦٠	ابن الخطيب، ٨٧٤
ابن أبي خيثمة، ٦١٣	ابن الدواليبيّ، ٧٧٤
ابن أبي داود، ٧٢، ٣٥٥، ٤٦٤، ٨٢٣	ابن الروميّ، ٩١٠
ابن أبي ربيعة، ٢١٢	ابن الزبير (عبد الله)، ١٨٧، ٢٤٧، ٢٨٧، ٤٨٤
ابن أبي رواد، ٣٥٠	٤٨٥، ٤٨٧
ابن أبي شيبة، ٢٢٥، ٢٣٥، ٣٩٣، ٤٨٩، ٥٩٧	ابن الشاذكونيّ، ٤١٨، ٥٨٥
٨٠٦	ابن الصلاح، ٢٦٢
ابن أبي عمير، ٣٥٧	ابن الطّباخ، ٨٧٨
ابن أبي ليلى، ٢٤٩، ٢٧٥، ٣٣٧، ٣٤٧، ٣٩٧	ابن الطّباخ، ٥٦٣
٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٧، ٤١٣، ٤٦٣	ابن العجوز، ٥٠١
ابن أبي مليكة، ٢٨٧، ٣٦٣، ٣٦٧	ابن العربيّ (محمّد بن عبد الله بن محمّد المعافريّ)، ٤٦٨، ٤٧٩، ٨١٨، ٨٣٤
ابن أبي يزيد، ٢١٥	٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٩، ٨٩٧
ابن أبي يعلى، ٨٠٩	ابن الغضائريّ، ٨٥٠
ابن أذينة، ٢٤٠	ابن الفضل، ٣٩٨
ابن أروطاء، ٣١٠	ابن الفضيل، ٤٠٣
ابن إسحاق، ١٧٥، ٢١٧، ٣٢٨، ٣٩٣، ٤٠٠	ابن القيمّ الجوزيّ، ٤٧٨، ٤٨٥، ٤٩٤، ٤٩٨
٤٠١، ٤٨٨، ٦٦١، ٦٨٤، ٦٨٦، ٧٠٩	
٧١٣	

- ٤٩٩، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ابن جُرَيْج (عبد الملك بن عبد العزيز)، ٢٣٨،
 ٥٦٥، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٥، ٥٨١، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٧، ٣٠٧، ٣١٠،
 ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣٢٤، ٣٣٧، ٣٧٧، ٣٨٣، ٣٩٣، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٠٧، ٤١٣،
 ٤١٦، ٤١٧، ٤٨١، ٥٣٢، ٥٧٨، ٥٩٣، ٥٨١، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦٢٧، ٦٦٤، ٦٦٦، ٦٦٧،
 ٦٩١، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٣١، ٧٣٦، ٧٣٨، ٧٤١، ٧٥٩
- ابن جرير ← الطبرى، أبو جعفر
 ابن جنّي، ٧٦٣
 ابن جواس، ٢٩٩
- ابن حبان، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٩٣، ٣٠١، ٣١٦، ٣٢٢،
 ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٨٥، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٨،
 ٤٠٢، ٤١٣، ٤١٩، ٤٩٣، ٤٩٥، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٧، ٦١٣، ٦٩٠، ٧٠٢، ٧٠٩
- ابن حجر ← العسقلاني، ابن حجر
 ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد)، ١٣١، ٤٦٥، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٩٩، ٨٢٣
- ابن حكيم، ٣٠١
 ابن حميد، ٣٢٨، ٧٤٨
 ابن خالويه، ٤٧١، ٤٧٣
 ابن خراش، ٣٤٥
 ابن خزيمة، ٣٤٧، ٣٦٤
- ابن خلدون، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٤، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٥٨، ٨١٢، ٨١٦
- ابن خلّكان، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣١١،
 ٣٢٤، ٣٥٠، ٣٩٢، ٤٠٦، ٤٨٦، ٥٣٢
- ٤٩٩، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ابن المبارك، ٢٤٣، ٤٠٠، ٤١١، ٥٥٨، ٧٦٠،
 ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٣، ٥٩٤، ٦٥١، ٦٥٧، ٦٩٨، ٧٠٠، ٧١٦، ٧١٧، ٧٣٠،
 ٧٤٨، ٧٦٣، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٥
- ابن الكوّا، ٥٠٣
 ابن المديني، ٢٣٨، ٢٨٠، ٢٩٩
 ابن المسيّب، ٢٨٥
 ابن المظفر، ٧٧٤
 ابن المنذر، ٢٣٣، ٣٦١، ٤٦٣، ٤٦٥، ٦٤٧، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٩٠، ٧١٢
- ابن المنير، ٢٩١، ٤٧١، ٩٠٣، ٩٠٩، ٩١١، ٩١٣، ٩١٤
 ابن المهدي، ٣٥٦، ٣٩٨، ٤٠٩، ٥٦٤، ٨١٠
 ابن النجار، ٦٨٨
 ابن النديم، ٢٥٠، ٢٥٤، ٣٩٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٠، ٤٢١،
 ٤٤٥، ٤٥٣، ٧٣٤، ٧٥١، ٧٧٢، ٨٠٩، ٨٢٤، ٩٢١
- ابن النقيب محمّد بن سليمان البلخي، ٦٣
 ابن أمّ الدهماء، ٢٧٩
 ابن أمّ عبد، ٢٧١
 ابن أمّ مكتوم، ١٨٣
 ابن بريدة، ٦١١
- ابن تيميّة، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٤٦، ١٥٩، ١٦١، ٢٢٠، ٢٧٠، ٢٩٢، ٣٣٠، ٣٦٣،
 ٣٨٩، ٦٠١، ٦١٩، ٦٩٩، ٧٣٣، ٧٥٥، ٧٦٢، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٧٥، ٧٧٧، ٨١٤،
 ٨٥٩، ٨٦١، ٨٩٨، ٩٦٥

ابن عامر، ٤٥٧، ٩١٢	٩٢٦، ٨٧٣، ٨٧٢، ٧٥٨، ٧٣٤
ابن عباس، ٥، ٤٤، ٤٧، ٤٨، ٥٣، ٥٧، ٥٨	ابن خيشمة، ٢٩٩
٥٩، ١٥٩، ١٨٢، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨	ابن داود، ٤٠٨، ٤٠٧، ٤٠٥، ٣٩٣، ٣٣٠
١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٨، ١٩٩	ابن دُرَيْد، ٤٢٣
٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥	ابن ذي الحوضين، ٣٥١
٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢	ابن رسته، ٤٠٤
٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨	ابن زمعة، ٧٤٨
٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤	ابن زهرة، ٨٦٣
٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠	ابن سعد، ١٩٥، ١٩٦، ٢٢٢، ٢٤٩، ٢٥٣
٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦	٢٨١، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣١٠، ٣١٦
٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢	٣١٧، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢
٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٢	٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢
٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩	٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٠، ٤١٢، ٦٠٩
٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٧	٦١٤، ٦١٦، ٦٢٠، ٦٢١، ٧٣٤، ٧٧٣
٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٣	ابن سلام، ٦٣٤، ٦٣٨
٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١	ابن سليمان بن عبد الملك، ٢٩٧
٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩	ابن سميّة، ٦٢٠
٣١٠، ٣١٢، ٣١٩، ٣٣٢، ٣٤٣، ٣٤٥	ابن سيده، ٤٦٧، ٤٦٨
٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٢	ابن سيرين، ٤٥، ٣٢٤، ٣٤٨، ٤٨٩، ٥٨٣
٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩	ابن شبرمة، ٣٤٧
٣٧١، ٣٧٩، ٣٨٦، ٣٨١، ٣٧٩، ٣٩١	ابن شبيب، ٧١٩
٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٩، ٤١٢، ٤٣٦	ابن شهاب، ٢٨٠، ٣٤٩، ٤٨٨، ٦١١
٤٥٨، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٥	ابن شهية، ٧٧٥
٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٤	ابن شهر آشوب، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٥٤، ٢٨٢
٤٨٥، ٤٨٧، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٤١، ٥٥٣	٢٩٤، ٣٣٢، ٣٥٧، ٣٩٢، ٥٩٣، ٧٣٥
٥٥٤، ٥٦٢، ٥٨١، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠	٨٦٤، ٨٩٨، ٩٣٠
٥٩١، ٥٩٣، ٥٩٩، ٦٠٣، ٦١٧، ٦١٨	ابن صائد، ٢٣١
٦٢٣، ٦٢٧، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٤١، ٦٤٥	ابن طاووس، ١٩٤، ٢٩٦، ٣٤٦
٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٦٤، ٦٦٦، ٦٦٨	ابن طاووس، السيد رضيّ الدين، ١٨٩، ٢٠٢
٦٦٩، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٦، ٦٧٨، ٦٨١	٢٦٣، ٣٣١، ٣٩٤، ٥٠٣، ٧٣٦

ابن عيَّاش، ٥٠٤	٧٠٠، ٦٩٨، ٦٩٣، ٦٩١، ٦٨٩، ٦٨٤
ابن عيسى، ٤٠٣	٧٢٤، ٧٢٣، ٧٢١، ٧١٧، ٧١٦، ٧٠٦
ابن عيينة، ٢٤٣، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣١٦	٧٤٣، ٧٤٠، ٧٣٤، ٧٣٣، ٧٢٩، ٧٢٨
٣٢٤، ٣٩٥، ٤٠١، ٤٠٣، ٤١٧، ٤١٩	٧٧٣، ٧٧٠، ٧٦٩، ٧٥٩، ٧٤٨، ٧٤٥
٧٣٣، ٦٦٦	٨٣٩، ٨٢٤، ٨٢٢، ٨٠٨، ٨٠٣، ٧٧٦
ابن فورك، ٤٢٠، ٩٦٨	٩٨٢، ٨٦١
ابن قاضي شهبة، ٧٧٤	ابن عبد البرّ، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٤٧، ٤٧٦
ابن قتيبة، ٢١٦، ٢٣١، ٢٤١، ٢٧٨، ٣٩٣	ابن عبد الحكم، ٢٠٤، ٦٨٨، ٦٥٥
٤٨٣، ٦١٧، ٦٢٢، ٦٣٥، ٦٥٦	ابن عجلان، ٣١٦، ٣٥٤
ابن قتيبة الدينوريّ المروزيّ، عبد الله بن	ابن عديّ، ٢٣٧، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠
مسلم، ٩٢٧، ٩٢٨	٢٥٣، ٣١٦، ٣٤٦، ٣٥٥، ٣٩٢، ٣٩٣
ابن قدامة، ١٢٩	٤٠٨، ٤١٧، ٥٧٨، ٥٨٤، ٥٨٦، ٥٩٨
ابن قلابة، ٧١٣	٦٨٨
ابن كثير، ٤٦، ٢٢٦، ٢٥١، ٣٠٤، ٣٧٣، ٣٧٧	ابن عربيّ (محيي الدين)، ٥٣٥، ٩٤١، ٩٥٩
٣٨٥، ٣٩٣، ٤٠٩، ٤٢٨، ٤٥٧، ٤٧٧	٩٦٠، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨
٥٨٧، ٦١٥، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٩، ٦٥٥	٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨
٦٥٦، ٦٦٦، ٦٧٥، ٦٧٧، ٦٨١، ٦٨٤	ابن عسّكر، ١٨٢، ٣٣٣، ٤١٥، ٤٣٤، ٥٧٠
٦٨٥، ٦٨٦، ٦٩٢، ٦٩٨، ٧٠٢، ٧٠٣	٥٨٨، ٦٦٩، ٦٨٨، ٦٩٠، ٧٠٦، ٧١٢
٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٢، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٥٤	٨٣٢، ٨٦٠
٧٥٥، ٧٥٨، ٧٧٤، ٧٧٥، ٨٩٦، ٩٠٣	ابن عطاء، ٢٩٦
ابن لؤلؤ، ٤٩٥	ابن عطاء الله، ٩٦٧
ابن لهيعة، ٥٥٩، ٦٨٧، ٦٨٨، ٧٠٢	ابن عطية الأندلسيّ (محمّد بن عبد الحقّ بن
ابن ماجة، ١٦١، ٣٦١، ٣٩٣، ٤١٠، ٤١٩	غالب)، ٤٧، ٥٩، ٧٢٤، ٧٦٤، ٧٦٥
٦٩٠، ١٠١٧	٧٩٦، ٨٩٦، ٩١٤، ٩٣٦
ابن مالك، ٤٥٢	ابن عطية الدمشقيّ، ٧٩٦
ابن محبوب، ٢٤٥	ابن عقيل، ٣٥٩
ابن مردويه، ١٩٣، ٣٦١، ٦٤٥، ٦٥٠، ٦٦٨	ابن عليّة، ٣٥٦
٦٦٩، ٦٧٦، ٦٨٤، ٦٨٨، ٦٩٠، ٧١٥	ابن عماد، ٤١٢، ٧٥٨
٧١٧	ابن عمرو، ١٩٥
ابن مسعود (عبد الله)، ٥، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ١٥٨	ابن عون، ٣١٨، ٣٣١، ٤١٦

٥٧٩، ٥٧٨	١٥٩، ١٦١، ١٨٢، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٢
أبو الأحوص، ٣٥٨	١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٧
أبو الأسود، ٣٠١، ٢٥٤	٢٢٠، ٢٢٦، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٣
أبو الأشنان، ٥٨٤	٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٨، ٢٢٩، ٣٢٢، ٣٢٣
أبوالبختريّ وهب بن وهب، ٥٦٥، ٥٦٤	٣٣٤، ٣٣٤، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦
٥٨٨، ٥٨٥	٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٥، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٨
أبو البلاد، ٣١٦	٣٦٩، ٣٨٩، ٤٣٤، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠
أبو الجهم خالد بن هاني المتفقه، ١٣٨	٤٨٧، ٤٨٧، ٥٩٩، ٦٠٣، ٦٣٣، ٦٤٤
أبو الحسن ابن القطان، ٢٥٣	٦٤٥، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٨٩، ٦٩٥، ٧٣٤
أبو الحسن عليّ بن محمّد بن سيّار، ٤٤٦	٧٤١، ٧٧٣، ٧٧٦، ٨٠٦، ٨٠٧
٧٨٤	ابن مسكويه، ٨١٧
أبو الحسن عليّ بن محمّد بن قتيبة، ٣٣٦	ابن معين، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٩٣
أبو الحمراء، ٧٤٨	٣٠٤، ٣١٠، ٣٣٧، ٣٤٨، ٣٦٧، ٣٨٦
أبو الدرداء، ٥، ١٧٦، ١٨٢، ٢٧١، ٢٧٢	٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠٢
٢٤٥، ٣٣٢، ٣٢٨، ٢٧٣	٤١٣، ٤١٩، ٤٧٨، ٤٩٤، ٦١٣
أبو الزبير، ٤٨١	ابن ملجم، ٥٠٣، ٥٦٧
أبو السائب، ٨١٢	ابن منبّه، ٦١٤، ٦٣٨
أبو السعود، ٨٩٦، ٨٩٥	ابن مندة، ٢٩٩
أبو الشعثاء، ٢٧٠، ٣٦٣	ابن منظور، ٤٦٧
أبو الشموس، ٤٩٤	ابن نباتة، ٣٠٤، ٧٤٩
أبو الشيخ، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٦، ٦٨٦	ابن نمير، ٣٤٨، ٤٠٠، ٤١٣، ٥٨٠
٧٢٨، ٦٨٨	ابن هشام، ٢٠٩
أبو الطفيل، ١٨٩، ٣٣١، ٣٤٦	ابن وائل الحضرمي، ٣٤٠
أبو العالية (رُفيع بن مهران الرياحي)، ١٩٧	ابن واضح، ٣٠٤، ٧٤٩
٢٧٥، ٣٠٨، ٣٤٨، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٠	ابن وكيع، ٦٨١
٣٦٣، ٣٦٤، ٧٥٩، ٧٧١، ٧٧٧	ابن وهب، ٥٨٨، ٧٦٠
أبو العباس، ٤٦٧	أبو أحمد بن عدي، ٣٦٠، ٤١٠، ٥٧٨
أبو العباس بن عطاء، ٩٦٤	أبو إسحاق، ٣٤٤، ٣١٣، ٣٣٥، ٣٤٤، ٣٤٩
أبو العباس ثعلب، ٥٣٣، ٩٢٠	٥٧٥، ٦١٤
أبو العلاء، ٦١٠	أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن أبي يحيى،

- ٩٩٨
 أبو بكر محمد بن مجاهد، ٧٤٠
 أبو بكر هشام بن أبي عبد الله، ٣٩٦
 أبو ثور، ٤٧٢، ٣٠٣
 أبو جعفر محمد بن الحسن (أبو سارة
 الرواسي)، ٩٢١
 أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (الشيخ
 الصدوق)، ٥٦، ٦١، ٧٨، ١٣٨، ١٧١،
 ١٨٣، ١٩٣، ٢٤١، ٢٤٥، ٣١٣، ٣٢٥،
 ٣٢٦، ٣٣٣، ٣٧٣، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٧،
 ٤٢٣، ٤٤٠، ٤٤٧، ٤٦٠، ٥٠١، ٥٠٢،
 ٥٠٣، ٥٤٦، ٥٩٣، ٥٩٤، ٨٠٣
 أبو جلد (غيلان بن فروة الأزدي)، ٢٢٨
 أبو جهضم موسى بن سالم، ٢٢٨
 أبو جهل، ٣٥١، ٥١١، ٥٦٦، ٥٨٩، ٩٧٩،
 ٩٨٠
 أبو حاتم، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٨٠، ٣٠٧، ٣١٦،
 ٣١٩، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٦١،
 ٣٦٧، ٣٩٦، ٤١١، ٤١٦، ٤٧٦، ٥٣٢،
 ٧١٩
 أبو حاتم ابن حبان، ٣٠٢، ٥٥٩، ٥٩١
 أبو حامد، ٥٦١، ٥٨٣
 أبو حمزة الثمالي (ثابت بن دينار)، ٣٣١،
 ٣٥٢، ٣٨٣، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٢، ٣٩٣،
 ٤١٣، ٤٣٧، ٧٣١، ٧٣٥، ٧٦٠
 أبو حنيفة، ١٠٨، ١١٠، ١٢٩، ١٣٢، ٢٤٤،
 ٣١١، ٣٦٤، ٣٦٥، ٤٠١، ٤٧٢، ٤٩٠،
 ٤٩٩، ٥٦٠، ٥٦٢، ٥٧٧، ٥٨٣، ٥٨٥،
 ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨٢٥، ٨٢٦،
 ٨٢٧، ٨٣٣، ٨٣٨
- أبو الفداء، ٥٨٠، ٦٢١، ٨٠٩
 أبو الفرج، ٣٩٣
 أبو القاسم بن حبيب، ٧٦٠
 أبو المعالي، ٥٦١
 أبو المغيرة، ٥٨٦
 أبو النضر، ٤٠٠
 أبو الهذيل، ٤١٤، ٦٦٦
 أبو الهيثم ابن التيهان، ٣٣٧، ٥٩١
 أبو الورد، ٣٠٩
 أبو الوليد، ٤٨٧
 أبو أمانة، ٣٠١، ٣٨٦، ١٥٩
 أبو بُردة، ٢٧١، ٢٧٢، ٣٣١
 أبو بشر صالح بن بشير المرّي البصري، ٥٨٥
 أبو بصير، ٣٠٥، ٤٤٥
 أبو بكر، ٤٤، ٤٥، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٤، ١٩٧،
 ٢٢٣، ٢٥١، ٣٤٢، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٦٣،
 ٤٧٥، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٦،
 ٥٨٩، ٥٩٠، ٦٠٩، ٦١٤، ٦١٨، ٦٢١،
 ٦٢٨، ٧٣٥، ٧٤٩، ٧٦٥، ٨١١، ٨٥٤
 أبو بكر الأصمّ عبد الرحمان بن كيسان، ٣٦٠
 أبو بكر بن أبي حنيفة، ٤١٨
 أبو بكر بن أبي داود، ٤٩٣
 أبو بكر بن أبي شيبة، ٣٦٤، ٤٩٣، ٥٧٩
 أبو بكر بن أحمد بن حامد، ١٣٨
 أبو بكر بن عياش، ١٩٦، ٣٣٣
 أبو بكر بن فورك، ٧٦٠
 أبو بكر، ١٩٩
 أبو بكر عبد الرحمان بن كيسان الأصمّ، ٣٨٣،
 ٤١٤
 أبو بكر عبد الله الرازي (نجم الدين داية)،

أبو خالد، ٢٨٢	أبو ضمرة، ٦٥٥
أبو خلدة، ٣٥٥	أبو طالب، ٦١٣، ٥٦٦، ٤٧٦
أبو خيثمة، ٤١٦	أبو ظبيان، ٣٠٩
أبو داود، ٤٠٠، ٤١٩، ٤٧٤	أبو عبد الرحمان، ٤٨، ١٩٤، ٣٤٧، ٥٧٣
أبو داود سلمة بن قتيبة، ٢٤٢	٨٨٥
أبو ذرّ، ٢٩٣، ٣٠٧، ٣٣٢، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٥٥	أبو عبد الله ابن مندة، ٣٠٢
٨٦١، ٣٨٦	أبو عبد الله بن القيّم الجوزيّ ← ابن القيّم الجوزيّ
أبو رافع، ١٩٩، ٣٣١	أبو عبيد، ٢١٣، ٣٨٦، ٥٧٩
أبو رجاء، ٢٧١، ٣٢٢	أبو عبيد القاسم بن سلام، ٤١٩، ٧٦٠، ٩٢٢
أبو روق، ٢٤٢، ٣١٤، ٣١٦	٩٢٦
أبو ريّة، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٥	أبو عبيد بن سلام، ٦١٠
٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٤، ٦١٤	أبو عبيدة، ١٨٦، ٣٤٨، ٧٧١، ٩٢٨
٦١٦، ٦١٨، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٥، ٦٢٦	أبو عليّ الحسن بن عليّ، ٩٦٨
أبو زرعة، ٢٣٤، ٢٤١، ٢٨٠، ٣١٨، ٣١٩	أبو عليّ الدقاق، ٩٦٨
٣٢٠، ٤٧٦، ٥٦٣، ٦١٥، ٧٥٤	أبو عليّ الفارسيّ، ٩١٤
أبو زيد، ٤١٠، ٧٧٧	أبو عمر، ٥٩٣
أبو زينب، ٣١٧، ٣١٨	أبو عمران يوسف بن يعقوب، ٧٢٠
أبو سعيد، ٢٤٦، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٣، ٤٠٧	أبو عمرو، ٤٥٧
٥٩٠	أبو عمرو ابن عبد البرّ، ٣٠٢، ٣٢٢
أبو سفيان، ٩٣، ٤١٧	أبو عمرو بن العلاء، ٢٠٩، ٣٥٠، ٣٥٥، ٦٩٨
أبو شامة، ٥٦١، ٨١٥	أبو عميس، ٤٩٣
أبو شهبة، ٦٠١، ٦١٩، ٦٢٩، ٦٣٥، ٦٣٨	أبو عوانة، ٢٥٠
٦٤٥، ٦٥٧، ٦٦٦، ٦٧٨، ٦٩٥	أبو قدامة، ٤١٦
أبو شيبة، ٥٥٩	أبو قطن، ٣١٣
أبو صادق، ٣٣٤	أبو قلابة، ٥٧٣
أبو صالح، ١٩٣، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٨	أبو كريب، ٦٨٧، ٦٩٥
٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٩٢	أبو لؤلؤة، ٦١٦
٣٦٠، ٣٩٢، ٤١٥، ٤١٨، ٥٧٥، ٦٩٨	أبو لهب، ٩٥٨
٧١٥	أبو مالك، ١٩٣، ٢٠٧، ٢٣٦، ٣٦٤
أبو صالح باذان، ٢٥٣	

- أبو محمّد، ٢٨٢، ٧٥٤
أبو مخنف، ٣٤١
أبو مروان، ٢٨٢
أبو مسعود، ٢٣٩
أبو معمر، ٤٤
أبو مليكة، ٤٨
أبو منظور، ٥٩١
أبو موسى، ٣١٩، ٤٩٨، ٧٢٠
أبو نصر سابور بن أردشير، ٨٥٠
أبو نضرة، ٤٨٤، ٤٨٥
أبو نعيم الفضل بن دُكين، ٣٣٤
أبو نوف، ٣١٠
أبو هاشم، ٣٣٥، ٨٨٦
أبو هاشم عبد الله بن محمّد بن الحنفية، ٢٠٤، ٣٩٠
أبو هريرة (شيخ المضيرة)، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٧، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٥٦٠، ٥٦٤، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٤، ٥٧٨، ٥٩٩، ٦٠٣، ٦٠٨، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٨، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٩٠، ٦٩٥، ٧٤٤، ٧٤٨
- أبو هلال، ٣٢٧
أبو وائل، ٢٧١، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٤٤، ٣٤٧
أبو يزيد البسطامي، ٩٤١
أبو يعقوب يوسف بن محمّد بن زياد، ٤٤٦، ٧٨٤
- أبو يعلي محمّد بن الحسين بن محمّد بن خلف
(ابن الفراء)، ٨٣٢
أبو يوسف، ١١٠، ١٢٩، ٣٠٩، ٣٧١، ٨١٣
- أبو يونس محمّد بن أحمد، ٢٨٢
أبي الصلاة، ٣٢٨
أبي بن قيس، ٣٢٨، ٣٣٠
أبي بن كعب، ٥، ٤٧، ١٨٧، ١٩٧، ٢٠٩، ٢٤٠، ٢٧٠، ٣٢٣، ٣٤٢، ٣٥٥، ٣٥٦، ٤٧٧، ٤٨٧، ٥٥٩، ٥٦٢، ٥٨٩، ٦٣٣
- الأجدع بن مالك، ٣٣٣
الأجلح، ٣٨٧
أحمد، ١٦١، ١٩٧، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٨، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣١٦، ٣٤٧، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٣، ٣٩٦، ٤٠١، ٤٠٢، ٤١٦، ٤٢٨، ٤٧٢، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٨٧، ٤٨٩، ٥٧٠، ٥٨٠، ٥٩٧، ٦٠٣، ٦٠٩، ٦١٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٨، ٦٩٠، ٧٠٣، ٧٢١، ٧٢٣، ٨٠٧، ٨٣٢
- أحمد بن إسحاق، ٥٤٨
أحمد بن حنبل، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٢، ٣٠٣، ٣١٣، ٣٣٥، ٣٤٩، ٣٦١، ٣٩٧، ٤٠٧، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٥٣٢، ٥٥٤، ٥٧٣، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٩٤، ٦٢٦، ٦٣٧، ٦٩٨، ٧٢٣، ٧٣٦، ٧٣٨، ٧٤٦، ٧٧٦، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٥، ٨١٦، ٨٢٦، ٨٣٢
- أحمد بن داود، ٥٨٢
أحمد بن زهير، ٢٣٨
أحمد بن سيّار، ٢٤٣
أحمد بن عبد الحلّيم، ٣٦٢

أحمد بن عمر، ٤٠٣	أستادي، رضا، ٨٤٧
أحمد بن محمّد الأردبيليّ ← المحقّق الأردبيليّ	الأستر آباديّ، ٨٠، ٣١٠، ٤٤٦
أحمد بن محمّد بن الصلت، ٥٨٣	الأستر آباديّ، إسماعيل بن عليّ بن المشنّى الواعظ، ٥٨٣
أحمد بن محمّد بن سعيد، ٥٧٨	الأستر آباديّ، السيّد شرف الدين، ٢٧
أحمد بن يونس، ٣٤٧	الأستر آباديّ، القاضي عماد الدين، ٨٦٤
أحمد زكيّ، ٤١٥	الأستر آباديّ، محمّد أمين، ٧٩
أحمد صقر، ٤٠٤، ٩٢٧	إسحاق، ٤٧٢
أحمد نصر، ١٢٦	إسحاق <small>عليه السلام</small> ، ٦٩٦، ٦٩٥، ٦٩٤، ٦٤٥، ٦٢٩، ٦٩٩
الأحمديّ الطواهريّ، محمّد، ١٢٨	٦٩٨، ٦٩٧
الأحمر، جعفر بن زياد، ٤٠٢	إسحاق بن إبراهيم بن مخلّد (ابن راهويه)، ٣٠٣، ٣٦١، ٣٦٤، ٤١٦، ٤٧٦، ٧٣٨
الأحنف بن قيس، ٦٩٥	إسحاق بن بشر، ٦٦٩
الإخشيديّ، ٤٢٣	إسحاق بن جرير، ٢٨٢
الأخفش، ٤٦٧، ٤٦٨، ٧٤١، ٧٦٠، ٩٢٢	إسحاق بن عبد الله بن الحرث، ٢٢٧، ٢٢٨
٩٢٦	إسحاق بن عيسى، ٣٠١
الأخنس بن زيد، ٢٣٧، ٣٨٩	إسحاق بن ناصح، ٥٨٣
إدريس <small>عليه السلام</small> ، ٦٤٦	أسد حيدر، ٨٠٩
إدوارد براون، ٩٧٢	أسد عويلم، ٨٧١
الأربليّ، ٣١٠	الأسديّ الكوفيّ، قيس بن الربيع أبي محمّد، ٢٣٥
أرميا، ٥٠١	الأسديّ، خندف بن زهير، ٣٣١
الأرنؤوط، شعيب، ٦٠٨، ٦١٧	إسرائيل (يعقوب <small>عليه السلام</small>)، ٥٩٤، ٦٦٠
الأزديّ، أبو الشعثاء (جابر بن زيد الأزديّ الحميديّ)، ٢٧٥، ٣٤٦	إسرافيل، ٤٥١، ٥٨٧، ٧٦٩
الأزديّ الكوفيّ، عبد الرحمان بن محمّد، ٣١٤	أسعد، ١٥٩
الأزرقيّ، ٦٥١	الإسفرايينيّ، ٩٦٨
الأزهريّ، ٤٧٩	الإسفرايينيّ، أبو حامد، ٧٦٣
أسباط، ٦٥٦	الإسكافيّ، ١٥٨
أسباط بن سالم، ٢٨٢	الإسكافيّ، أبو جعفر، ٣٣٤، ٥٦٦
أسباط بن نصر، ٢٣٧	الإسكندرانيّ، محمّد أحمد، ١٠٠٤

- الأشعري القمي، سعد بن عبد الله، ٤٤٦
 أصغ بن نباتة، ٣٣١
 الأصغ بن نباتة (أبو القاسم الكوفي)، ١٧٢،
 ٧٤٨، ٧٣٧، ٣٩٦، ٣٤٦، ٣٠٤، ٢٧٥
 الأصبهاني، أبو الفرج، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٤٠٤
 الأصبهاني، أبو بكر ابن مردويه، ٨٦٠
 الأصبهاني، أبو منصور إبراهيم بن الفضل،
 ٥٨٢
 الأصبهاني، أبو نعيم، ١٨٩، ٢٥٠، ٢٧٨، ٢٧٩،
 ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٠،
 ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٦، ٣٥٦، ٣٩١،
 ٣٩٣، ٣٩٨، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١٤، ٤٢٨،
 ٥٩٣، ٦٠٩، ٦١٩
 الأصبهاني، أحمد بن موسى، ٣٦١
 الأصبهاني، أبو مسلم (محمد بن بحر)، ٣٢٥،
 ٣٢٦، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨٣، ٤٢١،
 ٤٢٢، ٤٢٤، ٨٧٣
 الأصبهاني الزواري، علي بن الحسن، ٧٧٩
 الأصمعي، ٢٥٠، ٢٥٣، ٣٩٨، ٤١٢
 الأعمش، ١٩٤، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٨٧،
 ٢٩٠، ٣٠٨، ٣١٣، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٤٢،
 ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٦٩، ٤٠٠، ٤١١،
 ٤١٣، ٤٩٤، ٥٦٧، ٥٧٥، ٦١٣، ٧٣٧،
 ٧٣٨، ٧٤٤، ٨٠٦
 الأعمش، سليمان، ٤٠٧، ٤١٣، ٨٩٨
 الأكوخ، علي بن أحمد بن الحسين، ٩٢٧
 إلهي قمشهاي، ١٤٥
 إلياس عليه السلام، ٦٤٥
 أم أراكة، ٤٨٠، ٤٨٢
 الإمامي، أبو القاسم، ٨١٧
- الإسكندراني، محمد بن أحمد، ١٠٠٢
 الإسكندري، أحمد، ٩١٨
 الإسكندري، تاج الدين أحمد بن محمد بن
 عبد الكريم بن عطاء الله، ٩٤٧
 أسلم، ٥٧٩
 الأسلمي، إبراهيم بن أبي يحيى، ٦٠٨
 الأسلمي المدني، سمعان، ٥٧٨
 الأسلمي، حكيم بن أمية، ٤٨٢
 أسماء بنت أبي بكر، ٤٨٠
 إسماعيل عليه السلام، ٦٥١، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩،
 ٧٠٠، ٩٦٩
 إسماعيل باشا، ٨٤٥
 إسماعيل بن أبي أويس، ٤٧٦
 إسماعيل بن أبي خالد، ٢٩٨، ٢٥٣
 إسماعيل بن عبد الخالق، ٤٧٠
 إسماعيل بن عبد الرحمان (السدّي الكبير)،
 ١٩٢، ١٩٣، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٥٢،
 ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٨٣، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٧،
 ٤١١، ٤٧٨، ٦٠١، ٦٤٥، ٦٥٦، ٦٦٦،
 ٦٧٦، ٦٩١، ٧٠٠، ٧٣١، ٧٣٣، ٧٣٤،
 ١٠١٦
 الإسماعيلي، أحمد بن إبراهيم، ٦٣٠
 الأستر، ٢٠٣، ٣٣١، ٣٤٦
 الأشعث، ١٨٢
 الأشعري، ٩٥٧
 الأشعري، أبو الحسن، ٢٧٢، ٣٥٠، ٩٠٣،
 ٩٠٤
 الأشعري، أبو موسى، ٥، ١٨٧، ٢٧١، ٢٧٢،
 ٣٢٧، ٣٣٨، ٣٥٠، ٧٦٥، ٨٠٦،
 ٨٠٧

- الأنصاري، الخواجا عبد الله، ١٣٩، ١٤٠،
 ٩٨٤، ٩٧١، ٩٨٣، ٩٧٢، ٩٤٦
 الأنصاري الهندي، سعيد، ٤٢٢
 الأنصاري، جابر بن عبد الله، ١٨٧، ٢٤٠،
 ٣٠٨، ٣١٩، ٣٣٢، ٤٢٨، ٤٨٠، ٤٨١،
 ٤٨٤، ٤٨٧، ٥٩٣، ٥٩٧، ٦٠٨، ٧١٩،
 ٨٧٠، ٨٦١، ٨٣٦، ٧٢١
 الأنصاري، حسان بن ثابت، ٨٦٠، ٨٧٠،
 ٩١٨، ٨٧٦
 الأنصاري، سعد بن مالك بن سنان، ١٧٦
 الأنصاري، سودة بن غزية، ٥٩٣
 الأنصاري، يحيى بن سعيد، ٢٥٣، ٢٣٨، ٤٥،
 ٢٧٩، ٢٨٣، ٣٠٧، ٣١٣، ٣٥٠، ٤٠١،
 ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١١، ٤٦٢، ٥٧٨، ٦١٣
 الأهوازي، أبو علي الحسن بن علي، ٥٨٣
 الأهوازي الخطيب، محمد بن يعقوب، ٧١٩،
 ٧٢٠
 الأودي، أحمد بن يحيى، ٥٧٨
 أوربا، ٤٤٩، ٧٠٤، ٨٩٦
 الأوزاعي، ٣١٢، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤٧٢،
 ٦٤٧
 أيازي، السيد محمد علي، ٨٤٨، ١٠٣٣
 إياس بن سلمة، ٤٩٣
 أيوب، ٢٣٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣١٧، ٣٢٧،
 أيوب عليه السلام، ٤٤٩، ٦٤٥، ٦٨٠، ٧٠٥، ٧٠٦،
 ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠
 (حرف الباء)
 بابايي، أحمد علي، ١٠٣١
 باذام، ٢٥٢، ٣٦٠
- ٤٠٦،
 أم سلمة، ٣١٧، ٣٢٥، ٣٤٨، ٣٨٦، ٣٨٧،
 ٧٥٦، ٧٤٨
 أم قيس، ٣٤٠
 أم كلثوم، ٦١٥
 أم هانئ بنت أبي طالب، ١٧٢، ٢٤٨، ٢٥٢،
 ٢٥٣، ٣٦٠
 أمية، ٤٨٢
 أمية بن أبي الصلت، ٢١٥، ٦٩٨
 أمية بن خلف، ٤٨٠، ٤٨١
 أمير المؤمنين عليه السلام ← علي بن أبي طالب عليه السلام
 أمين، أحمد، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٠، ٥٠٩،
 ٥٣٣، ٥٧٤، ٦١١، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨
 ٦٣٩، ٦٤٠
 الأمين العاملي، السيد محسن، ٢٧٨، ٤٠٤،
 ٤٣٠
 الأميني، ١٩٣، ٤٢٧، ٤٨٤، ٤٩٨، ٥٦٠،
 ٥٦٣، ٥٦٨، ٥٨٢، ٥٨٦، ٥٨٩، ٥٩٠،
 ٨٦٠
 الأنباري، محمد بن سليمان، ٤١٤
 الأندلسي، ابن رشد، ٧٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٨٢٦
 الأندلسي، أبو حيان (محمد بن يوسف)، ٣٩٣،
 ٤٢٣، ٥٣٥، ٧٢٤، ٧٣٠، ٧٦٤، ٨٩٦،
 ٩١٤، ٩٣٨، ٩١٨
 أنس، ١٨٧، ٣٠٨، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٢، ٣٤٨،
 ٣٩٧، ٤٥٨، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٨٧،
 ٥٨٨، ٦٢٣، ٦٣٧، ٦٧٦، ٧٠١، ٧٠٢
 ٧٠٨، ٧٠٩، ٧٤٨، ٨٦١
- الأنصاري، أبو القاسم سلمان بن ناصر، ٤٣٦
 الأنصاري، أبو أيوب، ٣٥٥، ٩٧١

- الباشافكريّ، عبد الله، ١٠٠٣
 الباهليّ، أبو أمانة، ٥٧٠، ٧١٨
 الباهليّ، أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن غالب،
 ٥٨٣
 البجليّ، أبان بن عثمان، ٣٥٠
 بحر العلوم، السيّد محمّد، ٧٩٥
 البحرانيّ، السيّد هاشم بن سليمان، ٢٨، ١٦٣،
 ٤٤٧، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٤١، ٧٣٢، ٧٨٤
 البحرانيّ، جعفر، ٨٢
 البحرانيّ، جمال الدين ابن المتوّج، ٨٢٠
 البحرانيّ، فخر الدين أحمد بن عبد الله بن
 المتوّج، ٨١٩
 البحرانيّ، كمال الدين ميثم بن عليّ بن ميثم،
 ٤٣، ٨٢، ٨٤٤
 البحرانيّ، يوسف، ٨٣، ٨٤، ٢٤٠، ٩١٤
 البخاريّ، أبو حذيفة إسحاق بن بشر، ٥٨٣
 البخاريّ (محمّد بن إسماعيل)، ٢٠٤، ٢٢٠،
 ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٥٤، ٢٩٢،
 ٣٠١، ٣٠٣، ٣٣١، ٣٦٣، ٣٨٦، ٣٨٩،
 ٣٩٦، ٤٠٩، ٤١٩، ٤٢٩، ٤٧٦، ٤٧٨،
 ٤٨٤، ٤٨٩، ٤٩٣، ٤٩٤، ٥٦٦، ٥٦٨،
 ٥٧٠، ٥٧١، ٥٩٨، ٦٠١، ٦٠٣، ٦١٧،
 ٦١٩، ٦٢١، ٦٢٥، ٧٣٣، ٨٠٦، ٨٠٧،
 ٩٠٣، ١٠١٠، ١٠١٧، ١٠١٨
 بختنصر، ٣٨٠، ٦٥٩، ٦٨٠
 بخيت، محمّد، ١١٠، ١٢٩، ١٣٢
 بدر الدين الزركشيّ، ٢٠، ٥٢، ١٤٤، ١٦٢،
 ١٨٨، ٢٦٣، ٣٥٩
 البراء بن عازب، ٣٣٢
 برده، ٢٤٥
 البردونيّ، أحمد، ٧٦٩
 البرغانيّ، ٧٣٢
 البرغانيّ القزوينيّ الحائريّ، المولى صالح بن
 آغا محمّد، ٧٩٧
 البرغانيّ القزوينيّ، صالح، ٥٣٧
 البرقيّ، ٣٠٦، ٤٠٧
 برهانيّ، محمّد، ١٦٣
 البروجرديّ، السيّد آغا حسين، ٢٠٤
 بريده، ٢٩٦
 البزار، ٢٢٥، ٢٤٦، ٣٠٣، ٣١٩، ٣٦١، ٣٨٦،
 ٥٩٧، ٦١٣، ٦٢٣، ٧١٩
 البزريّ، الحسين بن محمّد، ٥٨٤
 البزطيّ، ٢٨٢
 البزطيّ، أحمد بن محمّد بن أبي نصر، ٤٥٧
 بسر بن سعيد، ٦٢٢
 بسرة بنت غزوان، ٦٢٠
 بشر بن المفضّل، ٤٠٧
 بشر بن عمارة، ٢٤٢
 بشر بن عمرو، ٢٤٩
 بشر بن معاذ، ٣٥٣
 البصريّ، إبراهيم بن هدبة، ٥٨٢
 البصريّ، أبو الحسين، ٨٨٢، ٨٨٤
 البصريّ، أبو أيّوب سليمان بن داود، ٥٨٥
 البصريّ، أبو سليمان داود بن المحبّر، ٥٨٤
 البصريّ، أبو معاوية، ٢٢٧
 البصريّ، أحمد بن الحسن بن أبان، ٥٨٢
 البصريّ، بشير بن نمير، ٥٨٣
 البصريّ، روح بن عبد الله بن سلّمي (أبو بكر
 الهذليّ)، ٣٢٤
 البغداديّ، ٣٢٧

- البغدادي، أبو جعفر، ٣٤٧
 البغدادي، أبو هاشم زياد بن أيوب بن زياد،
 ٤١١
 البغدادي، جمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم
 ابن الخليل، ٩١٩
 البغوي، ٣٩٣، ٤٠٩، ٦٦١، ٦٦٣، ٦٦٤،
 ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٧٥، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٩١،
 ٦٩٣، ٦٩٥، ٧٠٠، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٧،
 ٧٧٤، ٧٦٢، ٧٥٥
 البغوي، أبو القاسم عبد الله بن محمد، ٧٦٠
 البقلي الشيرازي، أبو محمد روزبهان بن أبي
 نصر، ٩٩٧
 بقيّة بن الوليد، ٢٤٤
 البكاء، يحيى، ٣٠١
 البكري، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن
 محمد، ٥٨٣
 بكير بن الأشج، ٤٧٣، ٤٧٥
 البلاذري، ١٨٨، ١٨٩
 البلاغي النجفي، محمد جواد، ٨٩٩، ٩٠٠
 بلال، ١٨٣، ٣٤٢، ٣٨٧، ٥٩١، ٥٩٢
 بلال بن أبي بردة، ٣١٧
 بلال بن رباح، ٢٧٣
 البلخي، أبو القاسم، ٣٩٠، ٥٠٢
 البلخي الخليلي، أبو القاسم أحمد بن محمد،
 ٧٣٦
 البلدي، أبو بكر محمد بن أحمد، ٩٦١
 بلقيس، ٦٩١، ٦٩٣
 بندار، ٤١٦
 البهبهاني، الوحيد، ٢٤٠، ٣١٠، ٣١٢، ٣٨٩
 البهودي، ٥٤٧
 البويهّي، بهاء الدولة، ٨٥٠
 البيّاضي، ٧٤٦
 البياضي، خالد بن القاسم، ٢٩٨
 البيضاوي الشافعي، ناصر الدين أبو الخير عبد
 الله بن عمر بن محمد بن علي، ٧٨٠،
 ٧٨٣، ٧٩٤، ٨٩١، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٦
 البيهقي، ١٧٥، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٩٣، ٤٨٤،
 ٥٦٩، ٥٨٢، ٦٤٥، ٦٤٧، ٦٥٥، ٦٦٥،
 ٦٧٦، ٦٨٨، ٦٩٠، ٨٠٦، ٨٣٠، ٨٣١
 البيهقي، أبو بكر، ٤٥٤
 البيهقي النيسابوري الشافعي، أبو بكر أحمد
 ابن الحسين بن علي، ٨٢٩
(حرف التاء)
 تاج الشريعة، ١٢٩، ١٣٦
 التّجيبّي، سليمان بن عتر، ٦٣٦
 الترجماني، أبو إبراهيم، ٤١٢
 الترقفي، ٤١٩
 الترمذي، ٥٨، ٢٤٦، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٨٦،
 ٣٩٣، ٤١٠، ٤١٩، ٤٢٨، ٤٧٦، ٤٨٨،
 ٥٦٨، ٦٢١، ٦٩٠، ٧٠١، ٧٠٣، ٧٢٣
 الترمذي، أبو عيسى، ٥٨
 الترمذي، صالح بن محمد، ٤١٢
 التستري، ١٩٤، ٣٤٢، ٦٦٤
 التستري المرعشي، القاضي نور الله، ٨٦٥
 التستري، سهل بن عبد الله، ٩٤٦، ٩٦١
 التستري، محمد تقّي، ٢٠٣
 تسيهر، جولد، ٦، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٦،
 ٢٢٨، ٢٢٩
 التفتازاني، سعد الدين، ٩١٤، ٩٤٧، ٩٥٠

الثقفي الكوفي، أبو نجيح يسار، ٢٥٤
 الثقفي، المختار بن أبي عبيدة، ١٨٢، ٢٤٧
 الثقفي، محمد بن يزيد، ٦٦٥
 الثلجي الحنفي، أبو عبد الله محمد بن شجاع،
 ٥٨٥
 ثمامة بن الأشرس، ٩٢٠
 ثوبان بن إبراهيم (ذو النون المصري)، ٩٧٩

(حرف الجيم)

جابر، ٢٦١، ٢٦٢، ٣٨٦، ٤٧٨، ٤٨٠، ٤٨١،
 ٤٨٥، ٤٩٣، ٤٩٨، ٥٦٥، ٥٩٨
 جابر بن زيد، ٢٩٨، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٢
 الجاحظ، ٣٩١، ٤٠٤
 الجاري، سعد، ٦١٥
 جالوت، ٧٦٧
 الجامي، ٩٦٨
 الجامي، عبد الرحمان، ٩٤٢
 الجبائي، ٥٣٥، ٧٧١، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٧٣
 ٨٨٦
 الجبائي، أبو علي (محمد بن عبد الوهاب بن
 سلام)، ٣٨٣، ٤٢٠
 جبرئيل عليه السلام، ٣٢، ٤١، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ١٧٢،
 ٤٥٧، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩٠
 ٦٥١، ٦٦١، ٦٦٤، ٦٦٧، ٦٧٦، ٦٧٧
 ٦٨٠، ٦٩٤، ٧٠١، ٧٠٧، ٧١٧، ٧٦٩
 ٨٩١، ٩١٣، ٩٣٤
 جبیر بن مطعم، ٢٨٢
 جبیر بن نضير، ٦٣٠
 جبیر بن نفيير، ٢٧٣
 الجدلي، أبو عبد الله، ٢٤٧

التفلسي، أبو الفضل حبیبش بن إبراهيم، ٩٢٩
 تميم الداري، ٦٠٨، ٦١٠، ٦١١، ٦٢٨
 التميمي، إبراهيم، ٤٥
 التميمي، ابن عبد الرحمان، ٢٢٧
 التميمي الحنلي، أبو محمد، ٨٣٢
 التميمي المدني، عبد الله بن عبيد الله، ٢٨٧
 التنوخي، ٤١٠
 التنوخي، أبو علي، ٤٢١
 التيمي، أبو عبيد معمر بن المثنى، ٧٦٠، ٩٢٢،
 ٩٢٦
 التيمي، محمد بن خلف، ٤١٣

(حرف الثاء)

ثابت بن مالك، ٢٠٠
 الثعالبي، ٦٢٢
 ثعلب، ٤٢٧، ٧٣٩
 الثعلبي، ٢٤٣، ٢٤٨، ٢٤٩، ٣١٢، ٣٢٨،
 ٣٣٦، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٠،
 ٤١٠، ٤١١، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٩، ٤٢٤،
 ٥٣٥، ٦٦١، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٧٥، ٦٨٠،
 ٦٩١، ٦٩٣، ٧٠٢، ٧١١، ٧١٧، ٧٣١،
 ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٢،
 ٧٦٦
 الثعلبي النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن
 محمد بن إبراهيم، ٢٤٩، ٧٥٨
 الثقفي، إبراهيم بن هلال، ٣٣٤، ٣٣٥
 الثقفي، الحجاج بن يوسف، ٢٣٥، ٢٤٦،
 ٢٤٨، ٢٧٨، ٢٧٩، ٣١٨، ٣٢٣، ٣٢٤
 ٣٢٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٣٧، ٤٥٥
 الثقفي الكوفي، أبو محمد، ٣١٣

٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٧	الجراح، ٤١٩
٤١٠، ٤١٥، ٤٣٣، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٥٥	الجراح، أبو الحسن علي بن عيسى بن داود،
٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٨٩، ٤٩٨، ٥٠٠	٤٢١
٥٠١، ٥٠٧، ٥١٣، ٥٤١، ٥٦٤، ٥٦٥	الجرجاني، ٧٦٠
٥٧٩، ٥٨١، ٥٨٨، ٥٩٣، ٦٤٩، ٦٧٨	الجرجاني، السيد أبو طالب، ٨٥٦
٦٧٩، ٧٠٤، ٧٣٥، ٧٣٧، ٧٥٣، ٧٥٦	الجرمي، ابن عاصم بن كليب، ٣٣٤
٧٧٣، ٧٨٧، ٨١١، ٨١٣، ٨١٤، ٨٧٦	الجرمي، قاسم، ٤١٣
٩٢١، ٩٢٦، ٩٦٤، ٩٦٥	جريج، ٢٤٠، ٢٣٨
الجعفي، أبو محمد، ٣٥٧	جرير، ١٧٢، ١٧٣، ٣٥٨
الجعفي الكوفي، الحارث بن قيس، ٣٢٩	جرير بن حازم، ٣١٨، ٤١٩
٣٣٠، ٣٤٨، ٣٧٥	الجزائري، ٣٢٤
الجعفي، المفضل بن عمر، ٣٥٧	الجزائري، السيد نعمة الله، ٨٣، ٥٦١، ٧٨٦
الجعفي، جابر، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٧٥، ٣١٠	الجزائري، نعمة الله، ٨٢
٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٧، ٣٩٧، ٤٠٠	أجزار، أبو خلف، ٣٠١
٤٠٥، ٤٠٦	الجزري، شمس الدين، ١٩٣
جلانان اكبريا، علي، ٥٢٥	الجزيري، ١٣٠، ٤٧٢، ٤٧٥، ٤٧٧، ٨٠٧
الجلالي، السيد محمد جواد، ٩٢٧	الجصاص (أبو بكر أحمد بن علي الرازي)،
جلالي النائيني، ٧٧٩	٣٠٩، ٣٧١، ٤٨٥، ٥٣٥، ٧٤٦، ٨١٨
الجلودي، أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى،	٨٢١، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩
٢٥٥	٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٩، ٨٦١
الجلودي الأزدي البصري، ٢٥٥	جعفر بن أبي طالب <small>عليه السلام</small> ، ١٣٤، ٣٢٣، ٤٢٨
جمال الإسلام أبو سعيد، ٩٧٢	٤٦٣، ٦٢١
الجمال، محمد عبد المنعم، ١٠٠٤، ١٠٠٧	جعفر بن سليمان، ٤٠٨، ٥٥٨
جندب، ٥٧، ٥٩، ١٩٤	جعفر بن محمد الصادق <small>عليه السلام</small> ، ١٨، ٢٧، ٢٨
جندب بن زهير، ٣٣١	٤١، ٥٦، ٦٢، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٩، ٩٤
جندب بن عبد الله، ٤٥	١١٠، ١٢١، ١٦٥، ١٦٨، ١٧٤، ٢٠١
الجنيدي، ٩٦٦، ٩٧٨، ٩٨٠	٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٤
الجهني، سبرة بن معبد، ٤٧٨، ٤٩٢، ٤٩٤	٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣١٠
جوادي الآملي، ١٠٤٢	٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٦٣
الجوزجاني، ٢٤٧، ٢٥٣	٣٧١، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٧

- الحاكم الحسكاني، ١٦٣، ٤٢٩، ٤٣٥، ٧٥٢،
٨٥٦، ٨٦١
- الحاكم الحسكاني النيسابوري، عبيد الله بن
عبد الله، ٧٥١
- الحاكم النيسابوري، ٢٦٠، ٢٩٣، ٨٦٠، ٩٦٣
حام بن نوح، ٢٦٩
حبر الأمة، ٢١٣
- الحبيب العجمي، ١١٠، ١١١
حجاج بن أرطاة، ٤١٦
- الحجاج بن محمد، ٣٠٧، ٣١٢، ٦٦٦، ٧٣٦
حجتي، السيد محمد باقر، ١٠٣٢
حجر بن عدي، ٣٣١
- حذيفة، ٢٧١، ٣٢٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥
٣٥٥، ٦٨٨، ٦٦٥
- الحز العاملي (محمد بن الحسن)، ٢٥، ٨١،
٢٤٢
- الحزاني، أبو العباس أحمد بن تيمية، ٩٦٥
الحزاني، أبو عمران، ٧١٩
- الحزاني، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة،
٣٢٥
- الحزاني، عبد الله بن ميسرة، ٢٢٦
الحري، إبراهيم، ٢٤٣، ٢٤٤، ٣٩٥، ٥٧٩،
٥٨٠، ٥٨١
- حرملة، ٤٩٤، ٨٣١
حريث بن ظهير، ٢٢٥
- الحريري، أبو محمد، ٩٦٦
الحزامي، عبد الرحمان بن عبد الملك، ٤٩٣
حزقيل، ٥٠١
حزن، ٢٨١
- حسان بن عطية، ١٦٤
- الجوزقي، أبو بكر، ٥٩٠
الجوني، أبو الجلد، ٢٢٨
الجوهري، ١٠٦، ٤٦٧، ٤٦٨
الجويباري، أحمد بن عبد الله، ٥٦٢، ٥٨١،
٥٨٢
- جووير، ٢٤٣
جويرية بن مسهر، ٣٣١، ٣٤٦
الجويني، ٨٢٣، ٨٢٩
الجويني، عزيز الله، ٨٩٥
الجيلاني، عبد القادر، ٨١٧
- (حرف ح)
- الجلبي، ٢٥٦
چنگيز خان، ٩٩٨
- (حرف الحاء)
- الحائري، ٢٤٠
حاتم، ١٨٢
- الحاتمي الطائي، محمد بن علي بن محمد بن
أحمد بن عربي، ٩٨٦
- حاجي خليفة، ٢٣٦، ١١٩، ٨٧٤، ٩٨٧، ٩٨٨
الحاكم، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦،
١٧٧، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٧،
٢٣٥، ٢٣٦، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣،
٢٧١، ٢٧٢، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٨٩، ٣٩٧،
٤١٩، ٤٢٨، ٤٣٢، ٤٧٦، ٥٦٢، ٥٨٢،
٥٨٥، ٥٨٨، ٦١٣، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٤،
٦٤٥، ٦٤٧، ٦٧٦، ٦٩٠، ٧٠٩، ٧٢٩،
٩٤٦
- الحاكم أبو أحمد، ٤٩٣، ٧٠٢

الحسين بن ذكوان، ٦١١، ٦١٣	حسان بن مخارق، ٢٢٧
الحسين بن سعيد بن أبي الجهم، ٣١٥	الحسانيّ، محمّد بن إسماعيل، ٤١٤
الحسين بن عليّ <small>عليه السلام</small> ، ٢٠٣، ٢٣٧، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٧٣	الحسن، ٢٩٠، ٤٦٧، ٤٦٨، ٥٦٣، ٥٩٣، ٦٢٤، ٦٦٤، ٦٦٩، ٦٨١، ٦٩٥، ٧٠٢
٨٧٨، ٨٧٧، ٨٧٠، ٧٧٢، ٧٤٨	٧٧١
الحسين بن واقد، ٣٠٤، ٦١٣	الحسن البصريّ، ١١٠، ١٣٠، ١٣٢، ٢٧٥
الحسينيّ الجلاليّ، ٩٢٧	٣٠٨، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١
الحسينيّ، السيّد أحمد، ٨٤٣	٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧
الحسينيّ الفيروز آباديّ، مرتضى، ٤٢٨	٣٢٨، ٣٢٦، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٦٠
الحسينيّ القاينيّ، السيّد أبو الحمد مهديّ بن نزار، ٨٥٦	٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٩٠، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٣، ٥٣٢، ٦٨٠، ٦٩٨، ٧٠٨، ٧٢٧
الحصين بن سلام بن الحارث الإسرائيليّ	٧٥٩، ٧٤٠
(عبد الله بن سلام)، ٦٠٨	الحسن السباح، ٩٦٠
حصين بن عبد الرحمان، ٤١١	الحسن المجتبيّ <small>عليه السلام</small> ، ٢٠٣، ٣٢٥، ٣٤٦
الحضرميّ، أبو بكر، ٣٠٦، ٣٨٧	٣٨٧، ٤٥٠، ٤٥١، ٥٦٩، ٥٧٣، ٧٤٨
الحضرميّ، عبد الجبار بن وائل، ٣٤١	٨٧٨، ٨٧٧، ٧٧٢
الحضرميّ، مسروق بن وائل، ٣٤١	الحسن بن دينار، ٦٩٥
حفص، ٤٥٧، ٩١٣	الحسن بن زيد، ٢٤٠
حفص بن غياث، ٤٠٠، ٤١٢، ٤٣٣	حسن بن سليمان، ٣٩٥، ٥٠٣
حفصة، ٢٠٨، ٤٠٩	الحسن بن سهل، ٥٣٣، ٩٢٠
حفيّ، حامد، ٧٩٥، ٩٣٤، ٩٣٥	الحسن بن صالح، ٣٣٤
الحكم بن عتيبة، ٣٩٧، ٣٩٩	الحسن بن عرفة، ٤١١، ٤١٢
حكمت، عليّ أصغر، ٩٧٢	الحسن بن عليّ العسكريّ <small>عليه السلام</small> ، ٤٤٥، ٥٤٨
الحكيم، ٨٧	٦٤٨، ٧٨٤، ٧٨٥، ١٠٣٦
حكيم بن جابر، ٦٧٧	الحسن بن عليّ مندوس، ١٣٨
الحلاج، ٩٨٠	الحسن بن محبوب، ٢٤٥
الحلبيّ، ٧٧١	حسن عباس زكيّ، ٩٤٨
الحلبيّ، أبو الصلاح تقّيّ الدين، ١٩٤، ١٩٧	الحسين بن أبي الغلاء، ٣٥٧
٥٤٧	الحسين بن اشكيب، ٤٠٣
الحلّيّ، ابن فهد، ١٢١	الحسين بن الحسن، ٢٤٨

٧٨٦	الحلبيّ، الحسن بن المطهر، ٩٠٤ حمّاد، ٣٢١، ٤٩٩، ٧٣٧
(حرف الخاء)	حمّاد بن زيد، ٢٩٢، ٣٢٧، ٣٥٥، ٣٩٧، ٥٥٨
خالد، ٣٥١، ٣٥٢	حمّاد بن سلّمة، ٣٩٧، ٤١٩، ٥٥٨، ٦١٠
خالد الحدّاء، ٣٥٥	٨١٢
خالد بن الوليد، ٣٥١	حمدان بن الأصهبانيّ، ٥٧٨
خالد بن عرفطة، ٦٢٩	حمران، ٣٠٥
خالد بن معدان، ٢٣٥	حمران بن أعين، ٥٠١
الخبّاب بن الأرت، ٣٣٣	حمروش، إبراهيم، ١٢٦
الخدريّ، أبو سعيد، ١٧٦، ٢٢٠، ٣١٩، ٣٨٦	حمزة، ٣٢٣، ٣٢٢، ٤٥٧
٤٠٨، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٨٠، ٤٨٧، ٦٩٥	حمزة الزيّات، ٤١٩
٧٥٦، ٧٤٨	الحمّصيّ، ابن الناعمة، ١٠٥
خديجة، ١٩١، ٧١٩، ٧٢١	الحمّصيّ، العلاء بن عتبة، ٢٣٤
الخراسانيّ البغداديّ، أبو بكر دلف بن جحدر، ٩٨٠	الحمّصيّ، عليّ بن عيّاش، ٢٣٤
الخراسانيّ، عطاء، ٢٣٩، ٣٨٣، ٣٩١، ٣٩٢	الحمويّ، ياقوت، ٣٤٠، ٣٩١، ٤٢١، ٤٦٠
٣٩٧	٧٤٠، ٧٤٦، ٧٤٩، ٧٥٠
الخراسانيّ، عطاء بن أبي سلّمة، ٣٦٤، ٣٦٠	حميد، ٣٢٧، ٥٨١
الخراسانيّ، محمّد كاظم، ٨٧	حميد بن قيس، ٢٥٤
الخرّاز الرازيّ، ٣١٠	الحميديّ، ٤٠٦، ٤٩٤
الخرّاز الرازيّ، أبو القاسم عليّ بن محمّد، ٢٠٠	الحميريّ، ٢٨٢، ٤٧٠
الخرّاعيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد، ٨٦٣	الحميريّ، السيّد إسماعيل بن محمّد، ٥٠٥
الخرّاعيّ الواسطيّ، عبد الله بن علّان بن رزين، ٥٨٥	٥٠٦
الخرزجيّ، ٢٢٩	الحميريّ، حميد بن عبد الرحمان، ٣٢٤
خزيمة بن ثابت، ٣٣٧، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١	الحنبلبيّ، أبو غالب، ٨٣٢
٨٦٠	الحنفيّ النحويّ، تاج الدين، ٩٣٨
الخشاب، أبو الفتح محمّد بن محمّد بن	الحنفيّ، عبد الرحمان عيش، ١٢٧
٥٢٧، ٤٤٧	حنين بن إسحاق، ١٠٦
	حوّاء، ٤٤٨، ٦٥٣، ٧٨٨
	الحويزيّ، ٧٣٢
	الحويزيّ، عبد عليّ بن جمعة، ٥٢٧، ٤٤٧

خولة بنت حكيم، ٤٨٢	عبدالرحمان، ٥٨٥
الخُوَيْبِيّ، ١٥٩	الخضريّ، ٨٠٩
خَيْثَمَةُ، ٣٥٦، ٣٤٢	الخطيب، أبو الحسن محمد بن القاسم، ٤٤٦
خير النساج، ٩٨٠	الخطيب البغداديّ، ١٦١، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٨، ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٥٣، ٣٦٧، ٣٩٣، ٣٩٨، ٤٠١، ٤١٦، ٤٨٦، ٥٦٠، ٥٨٠، ٥٨٨، ٥٨٩، ٦٤٥
(حرف الدال)	
الدارانيّ، أبو سليمان، ٤١٣	الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن عليّ، ٩٦٥
الدارقطنيّ، ٤١٩، ٤٨٨، ٥٥٩، ٥٩٠، ٦٩٥	٩٦٥، ٩٢٢، ٨٣٢، ٧٥٠، ٦٤٧
٩٦٥، ٨٣٦	الخطيب التميميّ، ٢١٤
الدارميّ، ٤٢٨	خلف بن خليفة، ٢٧٨
الداريّ، ٦٣١	الخليل، ١٨٩، ٤٦٢، ٥٨٣، ٩٢٦
الدانيّ، ٧٦٣	الخليل بن أحمد، ٩٢٦
دانيال <small>عليه السلام</small> ، ٦٣٠، ٦٢٩	الخليليّ، ١٩٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٥، ٧٥٤، ٣٩٦، ٣٨٩
داود <small>عليه السلام</small> ، ٢٨١، ٢٩٥، ٤٤٣، ٤٤٩، ٦٤٢	خليل ياسين، ٩٣٢
٦٤٥، ٦٩٥، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣	الخنائويّ، أبو صالح عمرو بن خليف، ٥٩٠، ٥٩١
٨٩٦، ٧٠٤	الخوارزميّ، ١٩٣، ٣٤٤
داود بن أبي يزيد، ٣٨٧	الخوارزميّ، أبو بكر محمد بن العباس، ٧٥٠
داود بن الحصين، ٣٠٦	الخوانساريّ، ٨٥٦
داود بن عفّان، ٥٨٧	الخوانساريّ، جمال الدين محمد بن حسين، ٧٩٠، ٧٨٩
الداوديّ، ٣١٧، ٤١١، ٧٠٤، ٨١٩، ٩٦٦	الخنويّ، ٤٣، ٦٤، ٦٥، ٧٩، ١٢٣، ١٢٤، ٢٣٦، ٢٤٢، ٣١٣، ٣٤٦، ٣٥٤، ٣٥٨
الدجال، ٢٣١، ٥٠٩، ٦٠٩	٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٣٧
الدجويّ، يوسف، ١٢٦	الخنويّ، شمس الدين، ١٦٠، ٨٧٤
دخيل، محمد عليّ، ٩٣٧	الخنويّ، شهاب الدين، ٨٧٤، ٨٧٥
الدرينديّ، آقا بن عابد، ٥٦١	الخلواتيّ، أبو إدريس، ٢٧٣
الدستوائيّ، هشام، ٣٩٦	
دسوقي عبد الله البدريّ، ١٢٦	
الدلبشانيّ، أحمد، ١٢٦	
الدمشقيّ، أحمد بن عمر، ٥٨٨	
الدمياطيّ، بكر بن سهل، ٧٣٦	
الدميريّ، ٦٢٤	

الذهليّ، أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ، ٣٤٩
 ذو النديّة، ٣٣٥
 ذو الخويصرة، ٣٣٥
 ذو الرمة، ٩٠٧
 ذو القرنين، ٣٨٠، ٥٠٣، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧،
 ٦٨٨
 ذي الكلاع، ٦١٤

(حرف الراء)

الراجا (رائك مهروق)، ١٣٤، ١٣٩
 الرازيّ، إبراهيم، ٧٢٨
 الرازيّ، أبو الفتح، ١٤٠، ٢٨٩، ٧٨٠، ٧٨١،
 ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٧٣
 الرازيّ، أبو الوفاء، ٨٥٦
 الرازيّ، أبو جعفر، ١٩٧، ٣٤٨، ٣٥٦، ٧١٩
 الرازيّ، أبو عبيد الله محمود بن محمّد، ٢٥٥
 الرازيّ، زين الدين محمّد بن أبي بكر، ٩٣١
 الرازيّ، فخر الدين محمّد بن عمر بن الحسين
 (ابن الخطيب)، ٤٠، ٤١، ٢٨٩، ٢٩١،
 ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٥، ٤٢٢،
 ٤٣٧، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٧١، ٤٨٣، ٤٨٦،
 ٤٨٩، ٥٠٧، ٥١٤، ٥٣٥، ٧٢٤، ٨٦٤،
 ٨٦٥، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٨،
 ٨٧٩، ٨٨٢، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧،
 ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩٣، ٨٩٦، ٨٩٧، ٩٢٨،
 ١٠٠٦

الرازيّ، محمّد بن أيّوب، ٧٦٠
 الرازيّ، هشام بن عبيد الله، ٢٥٣، ٤١٢
 الراضي بالله، ٨١٦، ٨١٧
 الراغب الأصبهانيّ، ١٧، ٢٠، ٣٩، ٤٩، ٦٣،

الردنانيّ، أبو صالح الهذيل بن حبيب، ٢٤٣
 الردياويّ، محمود، ١٢٦
 الدورقيّ، يعقوب، ٤١١
 الدوريّ، ٦١٣
 دياب، عبد الحميد، ١٠٠٣
 دي كلوفي، ١٣٦
 الديلميّ، ٦٥٠، ٦٧٦، ٦٩٥
 الديلميّ، أبو خليفة الحجّاج بن أبي عتاب،
 ٣١٩

(حرف الذال)

الذبيانيّ، قطبة بن مالك، ١٧٣
 الذهبيّ، ٦، ٧٣، ٧٤، ١٥٩، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٦،
 ١٨٧، ١٨٨، ٢٠٤، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٥،
 ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٨،
 ٣٠٣، ٣٥٤، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٩،
 ٣٧٠، ٣٨١، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٠٠، ٤٠٥،
 ٤٠٦، ٤١١، ٤١٥، ٤١٧، ٤٢٣، ٤٩٣،
 ٤٩٤، ٥٥٣، ٥٥٧، ٥٧١، ٥٨٠، ٥٨١،
 ٥٨٣، ٥٨٧، ٥٨٩، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٥،
 ٦١٠، ٦١٨، ٦٢٣، ٦٢٧، ٦٣٢، ٦٣٨،
 ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٩، ٧٣٧، ٧٥٤، ٧٦٥،
 ٧٨٤، ٧٩٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٤، ٨١٧،
 ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٣،
 ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٩٧،
 ٨٩٨، ٩٠٠، ٩٠٩، ٩١١، ٩١٥، ٩٣٣،
 ٩٥٩، ٩٧٢، ٩٩٧، ١٠٠٦، ١٠١١،
 ١٠١٣، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٢
 الذهبيّ، شمس الدين، ٦٠٨، ٨٣٢
 الذهبيّ، محمّد سبيع، ١٢٦

٧٥٩، ٤١٦، ٤٠٧	٨٩٣، ٤٨٦، ٢١٥، ٢١٤، ١٧٣، ١٤٤
رياح، أبو المثني، ٣٢٩	٩٤٥، ٩٢٩
	الرافعي، ٦٢٢
(حرف الزاء)	الرافعي، مصطفي صادق، ١٠٠٣
زائدة بن قدامة، ٢٤٩	الراوندي، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن
زاذان، ٣١٤، ٤٣٤	عبد الله بن الحسين بن هبة الله (سعيد بن
الزاهد، أبو عمر محمد بن عبد الواحد، ٧٣٩	هبة الله الراوندي)، ٤٣، ٨٤٠، ٨٤٢
الزاهد، أبو عمرو، ١٨٩	رؤية بن العجاج، ٣١٧
الزبيدي، ٤٦٨، ٩٢١	الربيعي، ٤١٦
الزبيدي، السيد محمد مرتضى، ٤٢٧	الربيعي، الحرث بن عبد الله، ٥٠٥
الزبير بن العوام، ٤٨، ٣٢٧، ٥٧٥، ٥٨٥	الربيع، ٤٩٤، ٦٤٥، ٦٥٨، ٦٦٤، ٦٦٦، ٦٧٠
الزبير بن بكار، ٤٠٧، ٥٧٣، ٦٥٠	٨٠٩، ٧٥٩، ٧٥٤
الزبيري، بكار بن عبد الله، ٥٦٤	الربيع بن أنس، ١٩٧، ٢٧٥، ٣٤٨، ٣٥٥
الزجاج، ٤٢٣، ٥٣٥، ٧٦٠، ٧٧١، ٨٥٤، ٩٢٣	٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٤، ٦٦٥، ٦٩٨
زرارة، ٧٧، ١٨٤، ٢٤٠، ٣٠٦، ٤٥٢، ٤٦٠	٧٧١، ٧٤٧، ٧١٩
٧٥٢	الربيع بن خثيم، ٣٣٦
زر بن حُبَيْش (أبو مريم الأسدي)، ٢٧٥	ربيعة، ٤٨، ٣١١، ٣٣٢
٣٤٦، ٣٣١	ربيعة بن أمية، ٤٨٢
زرقان، ٧٢، ٦٦٤	رستم، ٦٦٠
الزركشي، ٢١، ٥٣، ٦٣، ٢٠٣، ٨١٨، ٨٢١	رسول الله ﷺ ← محمد بن عبد الله ﷺ
٨٢٣	الرسول ﷺ ← محمد بن عبد الله ﷺ
الزركلي، ٣٥٧	رشدي العابري، رشيد، ١٠٠٣
زروق، ٩٥٠	رشيد رضا، السيد محمد، ٣٣، ٣٤، ٦٢٦
الزقاق الصغير، ٩٧٨	٧٣٢، ٨١٠، ١٠١١، ١٠٢٠
الزقاق الكبير، أبو بكر أحمد بن نصر، ٩٧٨	رضواني، محمد سعيد، ٥٢٥
٩٨٠، ٩٧٩	رفاعة بن رافع، ٣٠٨، ٣٠٩
زكريّا ﷺ، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٤٤٩، ١٠١٦	الرقاشي، يزيد بن أبان، ٧٠٢
الزكيّ الفريابي، محمد بن يوسف بن واقد (أبو	الرماني، ٤٢٣، ٥٣٥، ٧٧١
عبد الله الفريابي)، ٣٨٣، ٤١٨	الرماني، علي بن عيسى، ٣٨٣، ٤٢١، ٤٢٣
زليخا، ٦٧٤، ٦٧٥	روح بن عبادة، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٨٣، ٤٠٠

- زمني نزاد، علي أكبر، ٨٤٧
 الزمخشريّ (جار الله محمود بن عمر)، ١٤٤، ٢١٦، ٢٤٩، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٧٦، ٤٧١، ٥٠٣، ٥١١، ٥٣٥، ٦٥٨، ٧١١، ٧٣٠، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٦٢، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٨٠، ٧٨٩، ٧٩٦، ٨٦٤، ٨٩٢، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٧، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٦، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩٣٦
- الزنجانيّ، أبو عبد الله، ١٣٦
 الزنجانيّ، عميد، ٤١
 الزهريّ، ٤٨٨، ٤١١، ٣٤٩، ٣٠٢، ٢٨١، ٥٦٦، ٥٧٨، ٦١١، ٦٦٠، ٧٠٨، ٧٦٩
- زهير بن معاوية، ٣٥٦
 الزواريّ، عليّ بن الحسن، ٧٨٠
 زياد، ٣٤٠، ٣٣٩
 زياد بن المنذر الهمدانيّ (أبو الجارود)، ٢٤٧، ٣٨٣، ٣٩٦، ٤٢٣، ٤٤٥، ٤٤٧، ٧٣٧، ٧٥٧، ٧٥٦
- زياد بن أيوب، ٤١١
 زيد، ١٨٧، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٩٧
 زيد بن أرقم، ١٧٣، ٢٤٥، ٣٣٢، ٤٢٨، ٤٦٣
 زيد بن أسلم (أبو أسامة العدويّ)، ٣٥٤، ٣٧٥، ٣٥٥، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٧١، ٤٠٠، ٧٧١، ٧٥٩
- زيد بن ثابت، ٤٧، ١٨٧، ٢٧٠، ٣١٧، ٤٢٨، ٧٤٣
 زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام، ٧٣٧، ٩٢٧، ٩٢٨
 زيد بن وهب (أبو سليمان الجهنيّ الكوفيّ)، ٤٩٨، ٣٢٠، ٣١٩، ٤٩٨
- ٣٤٥، ٢٧٥، ٢٧٣، ١٩٤، ١٩٣
 زين الدين العالميّ (الشهيد الثاني)، ٥٧، ٤٩١
 زينب بنت جحش، ٤٤٩، ٦٤٥
- (حرف السين)
 السائب بن يزيد، ٢٤٩، ٦١١
 السائح السندهيّ (برگ شهريار)، ١٣٥
 الساجيّ، ٢٤٦، ٢٥٠، ٣٤٧، ٣٩٤، ٤١٩، ٦٧٠
- الساجيّ، زكريّا بن يحيى، ٥٦٤
 سارة، ٦٩٧
 الساعديّ، ٧٦٢
 سالم، ٤٥٧، ٤٨٨، ٦٣٤
 سالم بن أبي حفصة، ٤٤٥
 سالم بن صفوان، ٣١٠
 سالم بن عبد الله، ٤٥
 سام، ٦٦٩
 السامانيّ، منصور بن نوح، ١٣٧
 السامريّ، ٦٤٣
 سبحانيّ، جعفر، ١٠٤٢
 سبط ابن الجوزيّ، ٨٠٨
 السبكيّ، ٨٩١
 السجستانيّ، حريز بن عبد الله، ٣١٤
 سجستاني، خليل بن احمد، ١٣٨
 السختيانيّ، أيوب، ٤٠٢، ٤١١
 السدوسيّ البصريّ، أبو فيد مؤرّج بن عمرو، ٩٢٦
 السراج، ٤٢٣
 السراج، أبو عبد الله محمّد بن عليّ، ١٩٤
 سراقه، ٣١٩، ٣٢٠، ٤٩٨

سعيد حوى، ١٠١١	السُّرُوح، ٣٩٦
السَّقَّاح، ٧٣٤، ٢٩٦، ٢٥٠	السرخسي، ١١٠، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٦، ٤٨٥
سفيان الثوري (أبو عبد الله سفيان بن سعيد)،	السرخسي، شمس الدين، ٤٨٦
١٩٢، ٢٣٧، ٢٥٢، ٢٧٩، ٢٨٧، ٢٩٠	السرخسي، محمد بن منصور، ٣٣٢
٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٤٧، ٣٥٥، ٣٥٦	السروية، ٩٠٥
٣٦٣، ٣٦٩، ٣٨٣، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٠	سزكين، فؤاد، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٥٣، ٣٩٢، ٤١٠
٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦	٧٣٣، ٧٣٤، ٨١٩
٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١١، ٤١٣، ٤١٤	سعد، ٦٦٠
٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٧٢، ٥٧٨	سعد بن أبي وقاص، ٤٨٨، ٧٤٨
٦٣٤، ٦٨٤، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٧، ٧٣٨	سعد بن جنادة، ٢٤٨
٨١٢، ٧٥٩	سعد بن عبادة، ١٩٨
سفيان بن عبد الملك، ٢٤٣	سعد بن معاذ، ٤٧٦
سفيان بن عُيينة، ٥٢، ٢٤٤، ٣٦١، ٣٦٤	سعد بن الشيرازي، ٨٦٧
٣٨٣، ٤٠٠، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨	السعدي، علي بن حجر بن أياس، ٣٦١
٤٠٩، ٤١٠، ٤١٦، ٧٣٨	سعيد، ٢٠٠، ٢٣٦، ٢٧١، ٣٥٣، ٦٤٧
سفيان بن وكيع، ٦٨١	سعيد بن أبي عروبة، ٣٤٤
السفياني، ٥٠٩	سعيد بن المسيب (أبو محمد)، ٤٥، ٦١، ١٨٩
السكوني، ٤٠٥	٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣
السكوني، ابن خليل، ٨٧٨	٢٨٤، ٢٨٦، ٣٠١، ٣٤٩، ٣٦٣، ٣٩٥
سَلَام بن مسكين، ٢٩٨	٦١٤، ٦٩٨، ٧١٢
سلمان الفارسي، ١١٠، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٦	سعيد بن جبیر (أبو محمد الأسدي)، ٤٧، ٤٨
١٧٥، ١٩٤، ٣٢٨، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٥	١٨٨، ١٨٩، ٢١٢، ٢١٧، ٢٣٤، ٢٣٥
٣٨٦، ٣٩٢، ٥٠٣، ٥٠٤	٢٤٢، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩
سلمة، ٣٢٨، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٩٣	٢٨١، ٢٨٤، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٨، ٢٩٩
سَلْمَة بن الأكوخ، ٤٩٢	٣١٣، ٣١٤، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٨٥، ٣٩١
سلمة بن الفضل، ٧٤٣	٤٧٧، ٤٨٠، ٤٨٧، ٥٣٢، ٦٦٤، ٦٧٢
سلمة بن أمية، ٤٨٢	٦٩٣، ٦٩٨، ٧٤٠، ٧٤٣، ٧٥٥
سلمة بن عاصم، ٩٢١	سعيد بن قيس، ٣٣١
سَلْمَة بن كَهيل، ٣١١، ٣٣٥، ٣٨٧	سعيد بن محمد بن الحسن بن عطية، ٢٤٨
سُلَمي، ٣٢٤، ٤٨٢	سعيد بن منصور، ٦٧٧، ٧٦٠

- السَّمِّيّ، أبو عبد الرحمان (عبد الله بن حُبَيْب الكوفيّ)، ١٥٨، ١٦١، ٢٧٥، ٣١٣، ٣٣٣، ٤٥٧، ٥٣٥، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٦٠، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨
- السَّمِّيّ الواسطيّ، هُشَيْم بن بَشِير (أبو معاوية ابن أبي خازم)، ٣٦١، ٣٨٣، ٤١١
- السلميّ، خزيمه بن حكيم، ٧٢١
- السلوليّ، خالد بن طهمان، ٢٤٧
- سليمان عليه السلام، ٤٤٩، ٥١١، ٦٤٣، ٦٤٥، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤
- سليمان بن النضر، ٣٩٤
- سليمان بن بريدة، ٦١٣
- سليمان بن رفيع، ٣١١
- سليمان بن صرد، ٣٣١
- سليمان بن عبد الملك، ٢٨٦، ٢٩٦، ٢٩٧، ٩١٣
- سليمان بن عليّ، ٢٥٠، ٢٥١، ٧٣٤
- سليمان بن موسى، ٢٨٠
- سليمان بن هشام، ٣١١
- سليمان بن يسار، ٤٧٦
- السليمانيّ، أحمد بن عليّ، ٧٤٨
- سليم بن أبي حيّة، ٣١٦
- ساعة، ٤٦٢، ٤٦٩
- سماك بن حرب، ٢٥٣، ٣٩٩، ٤٠٠
- سكرة بن جندب، ٥٦٧، ٦٦٩
- السمرقنديّ، عليّ بن إسحاق، ٢٥٥
- السمعانيّ، ٤١٥، ٧٣٦، ٧٥٤، ٨٤٣
- السمنانيّ، علاء الدولة أحمد بن محمّد، ٩٩٨
- سُمَيْع، ٢٩٧
- سنبر، ٣٩٦
- السندويّ المصريّ، حسن، ٤٠٤
- سُنَيْد بن داود، ٣٦١
- السهرورديّ، شهاب الدين، ٩٨٨
- سهل، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٦١، ٩٦٢
- سهل بن السريّ، ٥٨٢
- سواده بن عمرو، ٥٩٣
- سواده بن قيس، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤
- السورتي، عبد الرحمان طاهر بن محمّد، ٧٣٣
- سويد بن عمرو بن الزبير، ٥٨٦
- سويد بن غفلة، ٢٧٣
- السياريّ، أحمد بن محمّد، ٤٤٦
- سيبويه، ٩٢٦
- السيد الأمين، ٢٤٧، ٢٨٣، ٤٠٧، ٧٨٩
- السيد الصدر، ٢٣٦، ٣٥٧، ١٠٣٨
- السيد المرتضى علم الهدى ← الشريف المرتضى
- سيد قطب، ٤٢، ١٠١١، ١٠٢٩
- سيف، ٦٥٩
- السيوريّ الحلبيّ الأسديّ، أبو عبد الله جمال الدين المقداد بن عبد الله، ٨٢٠، ٨٤٣
- السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمان، ٤٥، ٥٢، ٦٣، ١٤٤، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٥٦، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٨٩، ٣٩٣، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٥٨، ٥٧٠، ٥٩٤، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٧، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٤، ٦٥٦، ٦٧١، ٦٧٥، ٦٨٤، ٦٨٦، ٦٨٨، ٦٨٩، ٧٠٠، ٧٠٦، ٧١٢، ٧١٦، ٧٢٩، ٧٣٢، ٧٣٤، ٧٣٦

شديد، ٧١١	٧٥٤، ٧٥٥، ٧٧٨، ٨٦٠، ٩٣٦، ٩٦٥
شراويل، ٣٤٥	٩٦٦
شرحيبيل، ٣٤٥	
شريح، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٨	(حرف الشين)
الشريف المرتضى (علي بن الحسين الـبـغـدادي)، ١٩٤، ٣٠٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٩٠، ٤٤٦، ٥٠٨، ٥٤٦	الشاذلي، سيّد بن قطب بن إبراهيم، ١٠٢٣ الشاري، شمس الدين، ٨١٦ الشاطبي، ٣٠، ٨١٠، ٩٤٧ الشاطر، ١١٣، ١١٧، ١١٩، ١٢٠
٥٤٧، ٨٤١، ٨٥٠، ٨٦٧	الشاطر، محمّد مصطفي، ١١٤
شريف زاده، ٨٤٨	الشافعي، ١٦١، ٢٠٤، ٢٢١، ٢٤١، ٢٤٣
شريك النخعي، ٤١٣	٢٤٥، ٢٨٠، ٣٦٣، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٨
شعبة، ١٩٢، ٢٢٧، ٢٤٢، ٢٤٤، ٣١٣، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٨٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠١، ٤١١، ٤١٦، ٤٥٧، ٤٨٥، ٥٨٤، ٦٢٢	٤٥٥، ٤٧٢، ٤٩٠، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٨٠ ٥٨١، ٦٧٠، ٧٣٣، ٧٣٧، ٧٦٤، ٨٠٩ ٨١٠، ٨١٨، ٨٢١، ٨٢٣، ٨٢٦، ٨٢٧
٧٣٤، ٨٠٧	٨٢٨، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥
شعبة بن الحجّاج (أبو بسّطام بن الورد العتكي الأزدي)، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٨٣، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٧، ٤١٣	٨٢٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٧٠، ٨٧٨
شعبة بن ربيعة، ٥١١	الشافعي، أحمد بن محمّد، ٣١٠
الشعبي، ٤٥، ١٨١، ١٨٢، ٢٩٨، ٣٠٨، ٣١٧، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٦٣، ٤٥٨، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦١١، ٦٣٧، ٦٩٨	الشافعي الظواهري، محمّد، ١٢٧ الشافعي، محمّد بن إدريس، ٤٠٧، ٤٥٤، ٥٥٤، ٥٦٠، ٧٧٢، ٨٣٠
٧٣٧	الشامي، أبو عبد الله، ٢٩٦
الشعراني، ٧٨٠، ٨٧١	الشاه عبّاس الثاني الصفوي، ٧٧٩
الشعراني، أبو الحسن، ٧٨١	شبر، السيّد عبد الله بن محمّد رضا، ٧٩٣
الشعراوي، محمّد متولّي، ١٠٤٣	٧٩٤، ٧٩٥، ٩٣٣
شقيق، ٢٥٩	شبل بن عبّاد (أبو داود)، ٣٨٣، ٧٥٩
شقيق بن سلمة، ٨٠٦، ٨٠٧	شبل، ٩٨٠
شمس الدين الداودي، ٣١٦، ٣٥٥، ٤١٠	شحاتة، ٢٤٣، ٧٣٧
شمس الدين بن يوسف، ٨١٨	شحاتة، عبد الله، ٣٩٥
	الشحام، زيد، ٢٨، ٣٥٣
	شداد، ٧١١

الشيخ المفيد ← الشيخ أبو عبد الله
 الشيخ محمد رضا المظفر، ٥١٠
 الشيخ محمد عبده، ٣٣، ٣٧٣، ٤٥٣، ٤٥٨،
 ٤٩٠، ٤٩١، ٥٥٧، ٥٥٨، ٦٧٧، ٧٣٢،
 ٨٤٧، ٩٨٧، ٩٩٠، ٩٩٧، ١٠١٠، ١٠١٢،

١٠١٣، ١٠١٦، ١٠٢١، ١٠٢٢

الشيخ ← الطوسي، أبو جعفر محمد بن
 الحسن

الشيرازي، ٦٨٦، ٩٦٤

الشيرازي، أبو محمد، ٩٦٠

الشيرازي البيضاوي، أبو سعيد، ٧٨٩

الشيرازي، السيد محمد، ٩٣٨، ١٠١١

الشيرازي، عبد الكريم، ١٠٣٢

الشیطان، ٣٣٩، ٣٧٣، ٣٧٤

(حرف الصاد)

الصابوني، محمد علي، ٩٣٦، ٩٤٢، ١٠٤٢

الصاحب بن عباد، ٨٨٣، ٩٣٠

صادق عبد الرضا علي، ١٠٠٣

الصادقي، محمد، ١٠١١، ١٠٢٧

صارم الدين، ٣٩٣

الصاغانبي، أبو بكر، ٥٧٩

الصافي الأصفهاني، ٥٤٧

صالح، ٨٣٠

صالح بن أحمد بن حنبل، ٢٣٩

صالح بن حي، ٤٠٤

صالح بن محمد، ٢٣٤

الصاوي، ٢٠٥

الصاوي، مصطفى، ٢٣٠

صباح بن أشرس، ٧٢١

الشَّاوي، محمد مأمون، ١٢٦

شهاب، ٤٨٨

شهر بن حوشب (أبو سعيد الأشعري)، ٢٩٩،

٣٨٣، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٥، ٤٢٧،

٧٣٧

الشهرزوري الموصلي، تقي الدين أبو عمرو

عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد

الرحمان الكردي، ٩٦٤

الشهرستاني، السيد هبة الدين، ١٠٠٣

الشهرستاني، عبد الكريم، ٢٧٢، ٣٢٧، ٤٣٥

الشهيد الثاني، ٨٠٢، ٩١٩، ٣٤٤

شواخ، علي، ١١٢، ١١٣، ١٥٢، ٢٤٣، ٢٤٧،

٢٥٢، ٢٩٣، ٣١٢، ٣٢٨، ٣٥٣، ٣٥٦

الشوكاني، ٤٠٩، ٧٣٤، ٧٥٥

الشوكاني، محمد بن علي بن عبد الله، ٧٩٥

شيبان، ٢٢٧

الشيباني الجوبباري، أبو علي أحمد بن عبد

الله، ٥٨٢

الشيباني القفطي، جمال الدين الأكرم أبو

الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم، ٤٢٤

الشيباني، محمد بن الحسن، ٧٧٠، ٧٧٣

الشيباني، يحيى بن أبي عمرو، ٦١٤

الشيحي البغدادي، علاء الدين أبو الحسن

علي بن محمد (الخازن)، ٥٣٥، ٦٩١،

٧١٢، ٧٢٢، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٧٣

الشيخ الأنصاري، ٨٥، ٩٨١

الشيخ البهائي، ١٠٦، ٧٨٩

الشيخ الحويزي، ٤٤٧

شيخ الطائفة ← الطوسي، أبو جعفر محمد بن

الحسن

(حرف الطاء)

الطائفي، عبد الله بن سلمة بن حصم، ٢٠٠
 الطائي، أبو زيد، ٧٤٥
 الطاطري، مروان بن محمد، ٤١٣
 الطالقاني، ٧٣٤
 الطالقاني، عبد الوهاب، ١٤٥، ٣٩٤
 طالوت، ٧٦٧
 الطاهر، عبد الرحمان، ٢٩٢
 طاووس بن كيسان (أبو عبد الرحمان)، ١٩٩،
 ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦،
 ٢٩٧، ٣١٠، ٣١١، ٣٥٦، ٣٦٣، ٤٨٠،
 ٤٨٧
 الطباطبائي، السيد محمد حسين، ٣٤، ٣٥،
 ٣٩، ٤١، ٦٥، ٨٩، ٢٦٠، ٣٧٤، ٥٤٩،
 ٧٣٢، ١٠١١، ١٠٢٥
 الطبراني، ٢١٣، ٣٤٤، ٣٦١، ٤٩٤، ٦٠٩،
 ٦١٤، ٦٢٤، ٦٥١، ٦٦٥، ٦٩٠، ٦٩٥،
 ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١
 الطبرسي، ٤٢، ٥٣، ٨٣، ١٣١، ١٤٤، ١٦٩،
 ١٧٥، ١٨٥، ٢١٤، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٨٩،
 ٣٢١، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٤،
 ٣٩٧، ٤١٠، ٤١٤، ٤٢٠، ٤٤١، ٤٤٣،
 ٤٥٩، ٤٦٢، ٤٧١، ٥٠١، ٧١١، ٧٥٢،
 ٧٨٥، ٧٨٩، ٨٤٧، ٨٥٨، ٨٦١، ٨٦٢،
 ٩٣٧
 الطبرسي، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن
 الحسن بن الفضل، ٣٠٨، ٥٠٤، ٥٣٧،
 ٨٥٦، ٧٣٥
 الطبري، أبو القاسم، ٢٧٨
 الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، ٢١، ٤٤،

صبحي صالح، ٥٤٠، ٥٤٤

الصدر، السيد حسن، ٣٩٣

صدقة، ٦٦٦

الصدوق ← أبو جعفر محمد بن علي بن

بابويه (الشيخ الصدوق)

الصعدي، محمد بن يحيى، ٨١٩

صفا، ٩٧٢

الصفار، ٢٣

الصفار، القاسم بن أحمد، ٢٤٣، ٢٤٤، ٣٩٥،

الصفدي، ١٠٥، ٧٦٠، ٨٣٢، ٩٣١

الصفدي، صلاح الدين، ٤٢١

صفوان الجمال، ٤٧٠

الصفوري، ٥٨٩

الصفوي، طهماسب، ٧٧٩

صهيب، ٣٠٧، ٧٦٥

الصيدلاني، أبو الحسن محمد بن القاسم، ٧٦٠

الصيمري، أبو القاسم، ٧٦٣

(حرف الضاد)

الضبي، أبو الطروق، ٣٩٠

الضبي، أبو عبد الله محمد بن العباس، ٥٨٢

الضبي، سليمان بن قزم، ٤٠٢

الضبي، عمار بن رزيق، ٤٠٢

الضحاک بن مزاحم (أبو القاسم الخراساني)،

٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٩٢، ٢٩٩،

٣٠٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٨٣،

٣٨٨، ٣٩٥، ٤٨٨، ٥٨١، ٥٨٥، ٦٦٦،

٦٧٦، ٧٣٧، ٧٤١، ٧٧١

الطحاويّ، أبو جعفر، ٣٩٣	١٧٥، ١٥٨، ١٣٧، ٥٧، ٥٣، ٤٧، ٤٦
الطريحيّ النجفيّ، فخر الدين، ٩٢٩	٢٢٣، ٢١٩، ٢١٥، ٢١٢، ١٩٧، ١٩٣
الطريحيّ، محمّد كاظم، ٩٢٩	٢٤٣، ٢٣٦، ٢٣٣، ٢٢٨، ٢٢٧، ٢٢٦
طغرل بيك، ٨٥٠	٢٦٢، ٢٥٦، ٢٥١، ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٦
طلحة، ٣٢٧، ٤٨، ٣٩١	٣٠٢، ٣٠٠، ٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩٠، ٢٦٣
طلحة بن أبي طلحة، ٣٥١	٣٢٨، ٣٢٠، ٣١٢، ٣٠٨، ٣٠٧، ٣٠٤
طلق بن حبيب، ٤٥	٣٦٢، ٣٦١، ٣٥٦، ٣٥٣، ٣٤٤، ٣٣٨
طليطلّيّ، بطرس، ١٣٦	٣٨٦، ٣٨٥، ٣٧٤، ٣٧٣، ٣٧٠، ٣٦٧
طنطاويّ، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٢٨	٣٩٤، ٣٩٣، ٣٩٢، ٣٩١، ٣٨٩، ٣٨٨
الطهرانيّ، آغا بزرگ، ٢٥٥، ٦٥٠، ٧٥٢	٤١٤، ٤١١، ٤١٠، ٤٠٩، ٤٠٢، ٤٠٠
٧٩١، ٨١٩، ٩٢٢	٤٨٢، ٤٧٩، ٤٥٨، ٤١٩، ٤١٧، ٤١٦
الطهرانيّ، محمّد بن حمّاد، ٧٥٣	٦١٦، ٥٨٠، ٥٣٩، ٥٣٨، ٥٣٧، ٤٨٣
الطهرمبسيّ، إسحاق بن وهب، ٥٨٣	٦٥٢، ٦٤٧، ٦٤٥، ٦٤٤، ٦٣٤، ٦١٧
الطوسيّ، أبو بكر، ٩٦٨	٦٦٦، ٦٥٨، ٦٥٦، ٦٥٥، ٦٥٤، ٦٥٣
الطوسيّ، أبو جعفر محمّد بن الحسن (شيخ	٦٧٧، ٦٧٦، ٦٧٥، ٦٧١، ٦٦٩، ٦٦٨
الطائفة)، ٢٧، ٨٣، ٨٤، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٥	٦٨٥، ٦٨٤، ٦٨٢، ٦٨١، ٦٨٠، ٦٧٨
٢٥٤، ٢٨٣، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٠٩	٦٩٥، ٦٩٣، ٦٩١، ٦٨٩، ٦٨٧، ٦٨٦
٣١٢، ٣١٤، ٣١٥، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٥٤	٧١١، ٧٠٩، ٧٠٨، ٧٠٧، ٧٠١، ٧٠٠
٣٥٧، ٣٧١، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٣	٧٣٣، ٧٣١، ٧٢٩، ٧١٧، ٧١٤، ٧١٢
٣٩٤، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٠	٧٤٠، ٧٣٩، ٧٣٨، ٧٣٦، ٧٣٥، ٧٣٤
٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٣٤، ٤٤٧، ٤٥٧	٧٥٠، ٧٤٩، ٧٤٨، ٧٤٧، ٧٤٦، ٧٤١
٤٧٠، ٤٧٢، ٥٣٥، ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٤٨	٧٧٥، ٧٧١، ٧٦٥، ٧٦٣، ٧٦٢، ٧٥٦
٥٧٩، ٥٨١، ٧٧١، ٧٨١، ٨٢٦، ٨٤١	٨٠٣، ٨١٦، ٨٥١، ٨٧٣، ٩٢٨، ١٠١٦
٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٧	١٠١٧
٨٦٣، ٨٦٤، ٩٠٤	
الطوسيّ، الخواجه نصير الدين، ٤٨٤، ٩٠٤	الطبريّ، أبو محمّد عبد العزيز بن محمّد، ٧٣٩
الطوفيّ، ٨٧٩، ٨٨٠	الطبريّ الإماميّ، ٣٣٧، ٣٣٦
الطوفيّ البغداديّ، نجم الدين، ٨٧٩	الطبريّ، عماد الدين، ٢٤٧
الطيالسيّ، ٣٩٧، ٤٠٠	الطبريّ، عماد الدين أبو الحسن عليّ بن
الطيالسيّ، أبو داود، ٣٩٩، ٤٩٤	محمّد بن عليّ (الكيا الهرّاسيّ)، ٨١٨
	٨٣٣

عبد الحق، ٢٥٣، ٧٦٤	الطيالسي، جعفر بن محمد، ٥٧٧
عبد الحميد، ٨٩٧	
عبد الحميد بن أبي العلاء، ٣٥٧	(حرف العين)
عبد الرحمان، ٢٤٩، ٣١٤، ٣٤٢، ٣٥٠، ٣٥٤	عائشة، ٢٠، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ١٥٩، ١٦١، ١٧٠
٣٦٣، ٣٧١، ٤١٤، ٦٢٠	١٨٣، ١٨٧، ٢٠٨، ٣٢٠، ٣٣٥، ٣٤٢
عبد الرحمان بن الحجّاج، ٣١٥، ٤٠٤	٣٩١، ٤٠٩، ٤٧٩، ٥٦٥، ٥٦٦، ٦٢٢
عبد الرحمان بن جبير، ٧٠٧	٦٤٧، ٦٦٠، ٧٤٨، ٧٥٦، ٨٢٢، ٩٠٥
عبد الرحمان بن زياد بن أنعم، ٦٨٧	عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، ٧١١
عبد الرحمان بن زيد بن أسلم (ابن زيد)،	٧١٣
٣٦٤، ٣٨٣، ٤١٠، ٦٧٠، ٦٩٥، ٧٤١	عاصم، ٣١٧، ٣٣٣، ٣٣٩، ٣٤٧، ٤٥٧، ٩١٣
عبد الرحمان بن كيسان (أبو بكر الأصم)،	عاصم بن أبي النجود، ٣٣٣، ٣٩٧، ٤٠٠
٧٦٠	عاصم بن بهدلة، ٣٤٤، ٤٠٠، ٤٠٧
عبدالرحمان قراعة، ١٢٦	عامر الشعبي (أبو عمرو عامر بن شراحيل
عبد الرحيم محمد علي، ١٢٢، ١٢٣، ١٤٦	الحميري)، ٢٧٥، ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٤٣
عبد الرزاق، ٢٤٣، ٢٤٥، ٣٦٤، ٤٠٨، ٤١٨	٦١٣
٤٧٦، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٥٧٧، ٥٨٢	عامر بن صالح، ٥٨٥
٥٨٥، ٥٩٣، ٦٠٣، ٦٣٤، ٦٣٧	عامر بن عبد الله بن الزبير، ٤٨
عبد الرزاق بن همام (الصنعاني)، ٣٦١، ٣٨٣	عامر بن عبد الله بن عبد قيس، ٣٣٦، ٦١٧
٣٩٥، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١٧، ٧٣١	العالملي، ١٢٩
٧٣٨	العالملي، السيد محمد، ١٣٠، ١٣١
عبد الرزاق حرز الدين، ٣٩٣، ٧٣٦	العالملي، محمد بهاء الدين، ١٠٥، ٨٧٩
عبد الغني، ٧٧١	عباد بن كثير، ٢٤٤، ٣٩٥
عبد الغني بن سعيد، ٧٣٦	عبادة بن الصامت، ١٧١، ٤٦٢
عبد الغني، علي حسن، ٣٩٤، ٧٣٦	عبّاس الجمل، ١٢٨
عبد القادر حسين، ٨٨٠	العبّاس بن عبد المطلّب، ٤٢٨، ٤٦٣، ٥٦٥
عبد الكريم بن أبي العوجاء، ٥٥٨	٦١٤، ٦١٥، ٦٩٥
عبد الله، ٢٢٧، ٢٥٦، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣١٠	عبد الأعلى، ٧٨، ٧٢١
٣٣٢، ٣٣٤، ٣٥٤، ٣٩٠، ٤٨١، ٤٨٧	عبد الجبار، ٨٨٤، ٩٠٤، ٩٣٠
٥٩٠، ٦١٣، ٦٢٠، ٧٥٦	عبد الجبار بن عباس، ١٩٥
عبد الله بن أبي جعفر، ٧٤٧	عبد الحارث، ٤٤٨

٣٠٣، ٣٠٧، ٤٧٠، ٤٨٧، ٤٨٨، ٥٧٤.

٦١٧، ٦٢٣، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٤٥، ٦٤٧.

٦٦٤، ٦٨٩، ٦٩٠، ٧١٩، ٧٧٣، ٧٧٦.

٨٨٥

عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، ١٣٤، ١٣٩

عبد الله بن عمرو بن العاص، ٤٧، ١٧٤، ١٨٧.

٢٢٠، ٢٦٣، ٥٧٤، ٦٠١، ٦٠٣، ٦٠٨.

٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢٣، ٦٢٨، ٦٣٣.

٦٣٨، ٦٤١، ٦٥٢، ٦٨٩

عبد الله بن عون، ٤٠٢

عبد الله بن قلابة، ٧١٢

عبد الله بن قيس، ٢٧١، ٧٤٢

عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، ٤١٩

عبد الله بن مسعود ← ابن مسعود

عبد الله بن نمير، ٣٣٥

عبد الله بن وهب، ٤١٠

عبد الله بن يحيى، ٤١٣

عبد الله بن يزيد، ٣٥٠

عبد المجيد خان، ٨٩٦

عبد المجيد سليم، ١٢٦

عبد المطلب، ٢٠٢، ٣٥١

عبد الملك بن الربيع بن سيرة، ٤٧٨، ٤٩٤.

٤٩٥

عبد الملك (بن عطاء بن أبي رباح)، ٢٩٦.

٣١٠

عبد الملك بن مروان، ٢٧٣، ٢٨٦، ٣٢١.

٣٢٧، ٥٣٢، ٦٤٧

عبد الملك بن ميسرة، ٢٤٢

عبد المنعم بن إدريس، ٥٨٥، ٥٩٤

عبد الواحد بن زياد، ٤٩٣، ٤٩٤

عبد الله بن أبي رافع، ٣٤٦

عبد الله بن أبي نُجَيْح، ٤٠٠، ٤٠٧

عبد الله بن أحمد، ٢٤١، ٤١٨، ٧١٩

عبد الله بن أحمد بن حنبل، ٥٧١، ٨١٠

عبد الله بن الجراح، ٣٦١

عبد الله بن الحارث، ٥٨٥، ٦٢٠

عبد الله بن الحرث، ٢٢٧

عبد الله بن الحسن، ٢٤٧، ٣٩٠، ٧٣٧

عبد الله بن الحسن المثنى، ٢٩٤

عبد الله بن المبارك، ٤٠٢

عبد الله بن بديل، ٣٣١، ٨٦٣

عبد الله بن بريدة، ٣٩١، ٦١٣

عبد الله بن بكير، ٤٦٩

عبد الله بن ثابت، ٦٢٨

عبد الله بن ثعلبة، ٢٨٠

عبد الله بن جعفر، ٣٣٣، ٤٧٠

عبد الله بن حامد، ٧٦٠

عبد الله بن خفقة، ٣١٦

عبد الله بن زيد بن أسلم، ٣٦٠

عبد الله بن سلام، ٢٢٢، ٣٧٧، ٦٠٠، ٦٠٩.

٦٣٩، ٦٤٠

عبد الله بن سنان، ٤٦٩

عبد الله بن صالح، ٦١٠

عبد الله بن طاووس، ٢٩٥

عبد الله بن عامر، ٩١٤

عبد الله بن عباس ← ابن عباس

عبد الله بن عبد الرحمان، ٤٠٣، ٥٨٥

عبد الله بن عبد ياليل، ١٩٩، ٢٠٠

عبد الله بن علي، ٥٥٩

عبد الله بن عمر، ١٨٧، ٢١٩، ٣٠٠، ٣٠١.

٣٢٦، ٣٢٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٧.	عبد الوهاب، ٢٨٨، ٨٣٥
٤٠٥، ٤٠٨، ٤٦٣، ٤٨٩، ٥٥٧، ٥٧٤.	عبد بن حميد، ٣٦١، ٣٦٤، ٤١٩، ٦٩٠.
٥٧٥، ٥٨٩، ٥٩٠، ٦١١، ٦١٤، ٦٢١.	٩٠٥، ٧١٢
٦٢٢، ٨١١	عبد شمس بن صخر، ٦٢٠
العجلي، ٢٥٣، ٣٠٢، ٣٢٢، ٣٤٣، ٣٤٦.	عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، ٢٤١
٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٥، ٣٨٦، ٤١٢، ٤١٣	عبد، محمود محمد، ٤١٨، ٧٣٨
العجلي، أبو النجم، ٩١١	العبدي الكوفي، أبو محمد سفيان بن مصعب،
عدنان، ٦٩٨	٢٠١
العدوي البصري، أبو سعيد الحسن بن علي بن	عبد يزيد، ٤٧٤
زكريا، ٥٨٤	العبرثاني، أحمد بن هلال، ٥٤٨
عدي بن حاتم، ٢٠، ١٨٢	العسيمي، عبد الرحمان بن سمرة بن حبيب،
عروة، ٢٧٣	٦١
عروة بن أذينة، ٤٨٢، ٥٦٦	عبيد، ٢٤٩، ٦٨٤
عريف، ٢٩٦، ٣١٠	عبيد الله بن أبي رافع، ١٩٩، ٣٣٠، ٣٣١
عز الدين بن عبد السلام، ٨٢١، ٨٢٣	عبيد الله بن أبي يزيد، ٢٩٣
عزير <small>رضي الله عنه</small> ، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٤، ٦٦٥	عبيد الله بن زياد، ٣٣٠، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤١.
العزير، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨.	٣٤٤
٦٧٩	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، ٢٢٤
العسقلاني، ابن حجر، ١٨٣، ١٨٩، ٢٠٢.	عبيد الله بن عمر، ٤٥، ٣٥٥، ٣٧١
٢٠٤، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٣.	عبيد الله بن موسى، ١٩٥، ٤١٨
٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢.	عبيد بن الأبرص، ٢١٤
٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٧١، ٢٩٦.	عبيد بن حنين، ٤٠٩
٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣١٠.	عبيد بن عمير، ٢٨٤
٣١٦، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٣٤.	عبيدة، ٧٧٧
٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٤٥.	عبيدة بن قيس (السلماي)، ٤٥، ٢٧١، ٢٧٥.
٣٥٤، ٣٥٦، ٣٧١، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٤.	٣٢٩، ٣٤٨، ٣٩٩، ٤٣٣، ٤٣٤
٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١١.	عتبة بن أبي حكيم، ٨٦١
٤٥٥، ٤٧٦، ٤٨٢، ٤٨٩، ٤٩٣، ٥٣١.	العتكي، عبد الله، ٣٠٨
٥٣٢، ٥٦٤، ٥٧١، ٥٧٥، ٥٩٠، ٥٩٣.	عثمان، ٤٨، ٦١، ١٨٢، ١٨٧، ١٩٧، ٢١٥.
٥٩٨، ٦٠٤، ٦٠٨، ٦١٠، ٦١٣، ٦١٧.	٢٢٧، ٢٧١، ٢٧٢، ٣١٩، ٣٢٢.

٤٥٨، ٥٦٢، ٦٧٧، ٦٨١، ٦٩١، ٧١٢

٧٣٧، ٧٤٠، ٧٤٣، ٧٤٨، ٧٥٩، ١٠١٦

العكبي، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١

العكبي، مسروق، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٢

علاء بن عتبة الحمصي، ٢٣٥

علقمة بن قيس (أبو شبيل النخعي)، ١٨٩

١٩٣، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٥، ٣٠٤، ٣٢٨

٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٤٧، ٤٣٣، ٤٣٥

٦١٣، ٧٤٨

علم الهدى السيد المرتضى ← الشريف

المرتضى

العلوي، أبو الفضل العباس بن محمد، ٤٤٦

٤٤٧، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٨٥

العلوي، حمزة بن محمد، ٤٢٣

علي ابن أبي طلحة، ٢٣٥

عليان، محمد، ٩٠٣

علي بن أبي طالب عليه السلام، ٥، ٢٤، ٢٥، ٤٢، ٤٧

٥١، ٥٣، ٥٦، ٦٦، ٦٧، ٧٦، ٨٣، ٨٩

١٢٠، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٨، ١٧٢، ١٨١

١٨٢، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١

١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠

٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٠

٢١٢، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٦

٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣

٢٥٨، ٢٦٣، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣

٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٦

٢٩٧، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٤

٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠

٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦

٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣

٦١٩، ٦٢٥، ٦٣٤، ٧٠٩، ٧٢٠، ٧٢١

٧٤٩، ٧٦٠، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٩، ٨١٤

٨٤٠، ٨٦٠، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٨، ٩٠٥

العسكري، أبو أحمد حسن بن عبد الله، ٢١٠

عطاء، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٧٠، ٢٧٩، ٢٩٣، ٢٩٩

٣٥٦، ٣٧٧، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٧

٤٩٨، ٥٨١، ٧١٩

عطاء بن أبي رباح (أبو محمد)، ٢٣٨، ٢٣٩

٢٤٣، ٢٧٥، ٢٩٦، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢

٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٩١، ٣٩٥، ٥٣٢

٦٥٢، ٧٢٧

عطاء بن السائب (أبو محمد الثقفي الكوفي)،

٢٣٥، ٢٣٦، ٢٧٥، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤

٣٤١، ٣٤٣، ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠٧

٩٢٧

عطاء بن يسار، ٢٨٤، ٣٥٤، ٦٩٥

الطار النيسابوري، الشيخ فريد الدين، ٣١٨

عطية، ٢٤٦، ٣٦٤، ٧٣٧

عقبة بن عامر، ٦٨٧

عقير بن معدان، ٧١٨

عقيل، ٤٦٣، ٤٢٨، ٤١٥

العقيلي، ٢٨٤، ٣١٦، ٣٣٦، ٣٤٦

عكاشة، ٥٩٤

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن

عبد الله، ٩٢٢

عكرمة، ٢١٢، ٢٣٦، ٢٤٥، ٢٧٠، ٢٧٥

٢٩٠، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١

٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧

٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢٤، ٣٤٦، ٣٥٦

٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٩٥، ٤١٧

٣٢٠، ٣٢٣، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٩٦.	٣٢٩، ٣٣٨، ٣٣٧، ٣٣٦، ٣٣٥، ٣٣٤
٤١٦، ٤١٤	٣٤٧، ٣٤٦، ٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٣، ٣٤٠
علي بن جعفر، ١٧٠	٣٦٥، ٣٥٥، ٣٥٢، ٣٥١، ٣٥٠، ٣٤٨
علي بن زيد بن جدعان، ٦٩٥	٣٩١، ٣٨٧، ٣٨٦، ٣٧٨، ٣٦٩، ٣٦٨
علي بن سعيد، ٩٦٦	٤٣١، ٤٢٩، ٤٢٨، ٤١٧، ٤٠٥، ٣٩٩
علي بن عبد الله، ٤١٦	٤٤١، ٤٣٦، ٤٣٥، ٤٣٤، ٤٣٣، ٤٣٢
علي بن محمد بن الجهم، ٥٦	٤٧٨، ٤٦٥، ٤٦٣، ٤٥٨، ٤٥٧، ٤٥١
علي بن موسى الرضا <small>عليه السلام</small> ، ٢٨، ٥٦، ٢٨٢.	٤٩٨، ٤٩٦، ٤٩٣، ٤٩٢، ٤٨٧، ٤٧٩
٣٣٢، ٣٩٢، ٤٠٧، ٤٤٠، ٤٥٧، ٤٦٤.	٥٠١، ٥٠٣، ٥٤٠، ٥٤٤، ٥٥٧، ٥٦٦
٥٦٩، ٦٣٨، ٦٤٩، ٧٨٩، ٨٥٠، ٨٧٦.	٥٧٣، ٥٧٢، ٥٧١، ٥٧٠، ٥٦٨، ٥٦٧
علي بن هاشم، ٤١٨	٥٧٤، ٥٧٥، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩٩، ٦٠٦
علي بن يقطين، ٤٦٦	٦٠٧، ٦١١، ٦١٥، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٣٣
عماد الدين بن كثير، ٦٣٣	٦٣٧، ٦٥٠، ٦٧٢، ٦٩٨، ٧٠٤، ٧٤٨
عمار، ١٩٤، ٣٣٧، ٦٢٠، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٢٩.	٧٧٣، ٧٧٢، ٧٦١، ٧٥٣، ٧٥٠، ٧٤٩
٨٦١	٧٧٦، ٧٧٨، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٨، ٨٠٩
عمارة بن أبي الأجلح، ٢٠٠	٨١١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٩، ٨٥٣، ٨٥٩
عمران بن حصين، ١٦٤، ١٧٦، ٤٨٩، ٨٠٧.	٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٦، ٨٧٠
عمران بن سواده، ٤٨٢	٨٧١، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٩١٨
عمر بن إبراهيم، ٥٩٠	٩٤٣، ٩٤٥، ٩٨٩، ١٠٣٦، ١٠٣٩
عمر بن أبي ربيعة، ٢١١	٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨
عمر بن الخطاب، ٤٥، ١٦١، ١٨٤، ١٨٥.	٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤
١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ٢٠٨، ٢١٥.	٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠
٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٧١، ٢٧٢، ٣١٢.	٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥
٣١٤، ٣١٧، ٣٤٢، ٣٥٤، ٣٧١، ٤٠٩.	٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩٢
٤٦٣، ٤٦٥، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩.	٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨
٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥.	١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦
٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٢.	١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢
٤٩٤، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٦٧، ٥٧٣.	١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨
٥٧٤، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٠٣.	١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤
٦٠٤، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٤.	١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠
	١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦
	١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢
	١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨
	١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤
	١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠
	١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦
	١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢
	١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨
	١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤
	١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠
	١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦
	١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢
	١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨
	١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤
	١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠
	١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦
	١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢
	١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨
	١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤
	١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠
	١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦
	١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢
	١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨
	١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤
	١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠
	١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦
	١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢
	١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨
	١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤
	١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠
	١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦
	١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢
	١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨
	١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤
	١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠
	١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦
	١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢
	١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨
	١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤
	١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠
	١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦
	١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢
	١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨
	١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤
	١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠
	١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦
	١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢
	١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨
	١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤
	١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠
	١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦
	١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢
	١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨
	١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤
	١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠
	١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦
	١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢
	١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨
	١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤
	١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠
	١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦
	١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢
	١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨
	١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤
	١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠
	١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦
	١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢
	١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨
	١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤
	١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠
	١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦
	١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢
	١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨
	١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤
	١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠
	١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦
	١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢
	١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨
	١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤
	١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠
	١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦
	١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢
	١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨
	١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤
	١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠
	١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦
	١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢
	١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨
	١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤
	١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠
	١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦
	١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢
	١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨
	١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤
	١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠
	١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦
	١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢
	١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨
	١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤
	١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠
	١٦٣١، ١٦٣٢، ١٦٣٣، ١٦٣٤، ١٦٣٥، ١٦٣٦
	١٦٣٧، ١٦٣٨، ١٦٣٩، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٢
	١٦٤٣، ١٦٤٤، ١٦٤٥، ١٦٤٦، ١٦٤٧، ١٦٤٨
	١٦٤٩، ١٦٥٠، ١٦٥١، ١٦٥٢، ١٦٥٣، ١٦٥٤
	١٦٥٥، ١٦٥٦، ١٦٥٧، ١٦٥٨، ١٦٥٩، ١٦٦٠
	١٦٦١، ١٦٦٢، ١٦٦٣، ١٦٦٤، ١٦٦٥، ١٦٦٦
	١٦٦٧، ١٦٦٨، ١٦٦٩، ١٦٧٠، ١٦٧١، ١٦٧٢
	١٦٧٣، ١٦٧٤، ١٦٧٥، ١٦٧٦، ١٦٧٧، ١٦٧٨
	١٦٧٩، ١٦٨٠، ١٦٨١، ١٦٨٢، ١٦٨٣، ١٦٨٤
	١٦٨٥، ١٦٨٦، ١٦٨٧، ١٦٨٨، ١٦٨٩، ١٦٩٠
	١٦٩١، ١٦٩٢، ١٦٩٣، ١٦٩٤، ١٦٩٥، ١٦٩٦
	١٦٩٧، ١٦٩٨، ١٦٩٩، ١٧٠٠، ١٧٠١، ١٧٠٢
	١٧٠٣، ١٧٠٤، ١٧٠٥، ١٧٠٦، ١٧٠٧، ١٧٠٨
	١٧٠٩، ١٧١٠، ١٧١١، ١٧١٢، ١٧١٣، ١٧١٤
	١٧١٥، ١٧١٦، ١٧١٧، ١٧١٨، ١٧١٩، ١٧٢٠
	١٧٢١، ١٧٢٢، ١٧٢٣، ١٧٢٤، ١٧٢٥، ١٧٢٦
	١٧٢٧، ١٧٢٨، ١٧٢٩، ١٧٣٠، ١٧٣١، ١٧٣٢
	١٧٣٣، ١٧٣٤، ١٧٣٥، ١٧٣٦، ١٧٣٧، ١٧٣٨
	١٧٣٩، ١٧٤٠، ١٧٤١، ١٧٤٢، ١٧٤٣، ١٧٤٤
	١٧٤٥، ١٧٤٦، ١٧٤٧، ١٧٤٨، ١٧٤٩، ١٧٥٠
	١٧٥١، ١٧٥٢، ١٧٥٣، ١٧٥٤، ١٧٥٥، ١٧٥٦
	١٧٥٧، ١٧٥٨، ١٧٥٩، ١٧٦٠، ١٧٦١، ١٧٦٢
	١٧٦٣، ١٧٦٤، ١٧٦٥، ١٧٦٦، ١٧٦٧، ١٧٦٨
	١٧٦٩، ١٧٧٠، ١٧٧١، ١٧٧٢، ١٧٧٣، ١

العمرى، عثمان بن سعيد، ٥٤٨	٦٢٩، ٦٢٨، ٦٢٢، ٦٢١، ٦١٦، ٦١٥
عمير بن زرارة، ٣٣١	٧٧٣، ٦٥١، ٦٤١، ٦٣٥، ٦٣١، ٦٣٠
عمير بن هانئ، ٢٣٥	٨٣٦، ٨٢٣، ٨١١، ٨٠٨، ٨٠٧، ٨٠٦
العنبرى، حصين بن الحرّ، ٢٩٧	٨٧٦
عُوج بن عُتُق، ٦٥٧، ٦٥٦، ٦٥٥	عمر بن بكير، ٥٣٣، ٩٢٠
عوف، ٦١٤	عمر بن ذرّ، ٣٥٠
عوف بن مالك، ٦١٤	عمر بن عبد العزيز، ٣٤٩
العوفى، ٢٤٦	عمر بن هبيرة، ٢٤٦، ٢٤٨
العوفى، أبو الحسن عطية بن سعد بن جنادة، ٢٤٥	عمرة، ٣٩٥
العوفى، عطية، ٢٤٧، ٢٤٨، ٣٦٠، ٣٩٥	عمرو، ٣٤٥، ٦١٨
٣٩٦، ٧٣٧	عمرو بن أبي سلمة، ٣٩٧، ٧٤٨
عويمر، ١٧٦، ٢٧٢، ٢٧٣	عمرو بن العاص، ٢٢٢، ٢٧٢، ٣٣٥، ٥٦٦
العياشى (أبو النضر محمّد بن مسعود بن عياش السلمى)، ١٦٥، ٧٢، ٦٢، ٥٦، ٣٠٦، ٣٨٣، ٤٠٣، ٤٢٠، ٤٣٩، ٤٤٤	٨٠٧، ٦٢٠، ٦١٩
٤٦٤، ٧٣١، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٨٣، ٨٢٣	عمرو بن حبش، ٢١٩
عيسى <small>عليه السلام</small> ، ٢٤٥، ٢٩٥، ٤٣٧، ٥٠٢، ٥٠٩	عمرو بن حريث، ٤٨٠، ٤٨١
٥٧٠، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٩، ٩٤٠	عمرو بن خالد الواسطى، ٢٤١
عيسى بن زيد، ٤٠٤	عمرو بن دينار، ٢٢٩، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٨
عُيينة، ٤١٣	٢٩٩، ٣٠٨، ٣١٠، ٣٤٩، ٤١١، ٤٨١
	٦٨١
	عمرو بن شرحبيل (أبو ميسرة الهمدانى الوادعى)، ٢٧٥، ٢٨٣، ٣٢٩، ٣٣٤
(حرف الفين)	٣٤٥، ٣٤٤
غالب، ٤٥٧	عمرو بن عبد الرحمان بن مهرب، ٦٥٣، ٦٥٤
الغراب، محمود، ٩٦٠، ٩٨٦	عمرو بن عبيد، ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٩٠، ٤٣٣
الغراوى، موسى، ١٢٨	٥٣٢
الغزالي، ٥٦١، ٨٢١، ٩٤٠، ٩٤٢، ٩٤٤	عمرو بن عليّ، ٦١٣
الغزالي، أبو حامد، ٦٣٦	عمرو بن محمّد، ٦٨١
الغزالي الطوسى، أبو الفتح أحمد بن محمّد بن محمّد، ٥٨٣	عمرو بن مرّة، ٣٣٤، ٣٤٣
	عمرو بن معديكرب، ٣٣٣
	عمرو بن ميمون، ٢٧٩، ٢٨٠

- الفراء البغويّ (أبو محمد الحسين بن مسعود)،
٧٧٤، ٧٦٦
- الفراء، يحيى بن زياد (أبو زكريّا)، ٣٨٣،
٤١٤، ٥٣٣، ٧٤١، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١،
٩٢٦
- الفراتيّ البستانيّ، أبو عمرو، ٧٦٠
- الفراتيّ محمد بن يوسف، ٧٥٩
- فرانكلن، ٧٢٥
- الفرج بن فضالة، ٧٤٥
- فرعون، ٦٠، ١٢٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٨٢٢، ٩٥١
- الفريابيّ، ٢٣٥، ٣٦٣، ٤٠٠، ٦٧٦
- فريد وجدي، ١١١
- الفرزاريّ، محمد بن إسماعيل، ٤١٨
- فضل الله، السيّد محمد حسين، ١٠١١،
١٠٢٩
- الفضل بن المختار، ٧٢١
- الفضل بن زياد، ١٦٤
- الفضل بن شاذان، ٢٨١، ٣٣١، ٣٣٦، ٣٤٠،
٣٩٢، ٧٥٣
- الفضل بن ميمون، ٥٣١
- الفضيل البرجميّ، ٣٥٠
- فضيل بن عياض، ٤٠١
- فطر بن خليفة، ٣٣٤
- الفيروز آباديّ، ٢٥٤، ٢٥٦، ٣٤٠، ٤٢٧،
٤٦٧، ٧٤٩، ٨٦١
- الفيروز آباديّ، محمد بن يعقوب، ٢٥٥
- الفيض الكاشانيّ، (المولى محسن محمد بن
المرتضى)، ٢٨، ٢٤٠، ٤٣٩، ٤٤٣، ٥٣٥،
٧٧٩، ٧٨١، ٧٨٩، ٨٩٢، ٩٩٨
- العسائيّ السمسار، أبو زكريّا يحيى بن هاشم،
٥٨٦
- العقاريّ، ٧٨١
- غلامي، عبد الله، ٥٢٥
- الغمرائيّ، ٧٢٧
- الغمرائيّ، محمد أحمد، ٧٢٥
- الغنويّ، ٦٢٠
- غياث بن إبراهيم، ٥٦٤، ٥٧٧، ٥٨١
- الغيثيّ الكرمانيّ، السيّد محمد رضا، ٤٢٢
- غيلان، زيد بن محارب بن حفصة بن قيس،
٧٦٤
- (حرف الفاء)
- الفارابيّ، محمد بن تميم، ٥٨٢
- الفارسيّ، ٧٥٨، ٧٦٣
- الفارسيّ، خالد بن الهيثم، ٥٦٩
- الفارياييّ، أبو محمد جبريل بن أحمد، ٤٠٣
- الفاريانائيّ، أبو عبد الرحمان أحمد بن عبد
الله، ٥٨٣
- الفاضل الكاظميّ، ٨١٩
- الفاضل الكاظميّ، شمس الدين أبو عبد الله
محمد الجواد، ٨٤٧
- فاطمة الزهراء عليها السلام، ٢٤٧، ٢٨٦، ٣٠٤، ٣٠٥،
٣٢٣، ٤٥١، ٥٦٦، ٥٩٢، ٧٤٨، ٧٥٠
- ٧٥٣، ٧٥٦، ٧٧٢، ٨٧٧، ٨٧٨
- فاطمة بنت قيس، ٦١١
- الفحام، محمد عبداللطيف، ١٢٦
- فخر الدولة، ٩٣٠
- الفراء، ١٨٦، ٦٠٢، ٧٦٠، ٧٧١، ٨١٨، ٩٢٢،
٩٢٨، ٩٢٣

القرطبيّ، ٥٩، ٦١، ١٦٤، ٣٧٣، ٣٩٣، ٤٥٦،
 ٤٦٨، ٤٧٨، ٤٨٦، ٤٨٨، ٥٣٥، ٥٦٢،
 ٥٦٣، ٥٧٢، ٥٨٩، ٦٦٤، ٦٨٩، ٧٣٤،
 ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٩٦، ٨٧٩، ٩٢٨
 القرطبيّ، أبو العباس، ٥٦٠، ٩٢١
 القرطبيّ، أبو عبدالله محمّد بن أحمد
 الأنصاريّ، ٥٣٧، ٧٦٨
 القرطيّ، ٣٣١، ٧٥٩
 القرطيّ، محمّد بن كعب (أبو حمزة)، ٢٧٥،
 ٣٣١، ٣٣٢، ٣٦٠، ٣٦٤، ٦٠٨، ٦٢٧،
 ٦٩١، ٦٩٨، ٧١٢
 قرقوز، أحمد، ١٠٠٣
 القرنيّ، أويس، ٣٣٦
 القسريّ، خالد بن عبد الله، ٣٥٠
 القسطلانيّ، ٤٨٤، ٦٣٤
 القشيريّ، ٥٣٥، ٨١٨، ٨٩٧، ٩٥٢، ٩٥٤،
 ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٩
 القشيريّ النيسابوريّ، أبو القاسم عبد الكريم
 ابن هوازن، ٩٦٧
 القطاميّ، ٩٠٧
 القطنان، ٤١٦
 القطنان، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن شاكر،
 ٢٠٤
 القطنان النيسابوريّ، محمّد بن يوسف، ٩٦٥
 القطنانيّ، ٤٩٤
 القطنان، يحيى، ٢٥٢
 القطب الراونديّ، ٣٢١، ٨٤١
 قُطرب، أبو عليّ، ٧٤١
 قطرب بن المستنير، ٩٢٢
 القعبيّ، ٢٩٢

(حرف القاف)

القائم بالله، ٨٣٢
 القائم (عج) ← المهديّ (عج)
 القادر بالله، ٨٣٢، ٨٥٠
 القاسم بن العلاء، ٥٤٨
 القاسم بن عبد الغفّار، ٣٤٤
 القاسم بن محمّد، ٤٥، ٢٨٢، ٤٧٩
 القاسميّ، جمال الدين أبو الفرج محمّد بن
 محمّد، ١٠٢١
 القاسميّ، محمّد محمّد، ١٠١١
 القاضي إسماعيل، ٨١٨
 القاضي سوار بن عبد الله بن قدامة بن عنزة،
 ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧
 القاضي عياض، ٧٠٤
 القانونيّ، سليمان، ٨٩٥
 قببصة بن عُقبة (أبو عامر)، ٣٨٣، ٤١٩، ٧٦٠
 قتادة، ٢٠٧، ٢١٥، ٢١٧، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٩٨،
 ٢٩٩، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١١، ٣١٧، ٣٢٤،
 ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥،
 ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٨٥،
 ٥٧٧، ٦٣٧، ٦٦٣، ٦٧٦، ٦٨١، ٦٩٣،
 ٧٠٦، ٧٠٨، ٧١٤، ٧٣٧، ٧٥٦، ٧٧١
 قتادة بن دعامة (أبو الخطّاب السّدوسيّ)،
 ٢٦٣، ٢٧٥، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٦٠،
 ٣٩٧، ٧٤٠
 قتيبة، ٣٣٢، ٤١١
 قتيبة بن مسلم، ٢٤٨
 القُتَيْبِيّ، ٧٧١
 القرافيّ، ٧٢٨، ٧٢٩
 القرشيّ، عبد العزيز بن عبد الله، ٣٤٤

٩٩٧، ٩٨٨	القفال، ٤٥٨، ٣٧٦
الكاظمي، ٨٤٨، ٨٢٠	القنطي، ٧٥٨
كالب بن يوحنا، ٦٥٥	القميّ (عليّ بن إبراهيم بن هاشم)، ١٧١،
الكانكاني، محمد بن القاسم، ٥٨١	٢٤٢، ٣١٢، ٣٣٠، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٨٧،
الكتاني، ٩٧٨	٣٨٨، ٤٠٨، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٣٩،
كثير النوا، ٤٤٥	٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٢،
الكذاب، مسيلمة، ٦١٠	٧٣١، ٧٣٧، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٨٣، ٧٨٥،
الکراچكي، ٣٢٦، ٣٢٤	٧٩٤
الکراچكي، أبو الفتح محمد بن عليّ، ٣٢٣	القميّ، الشيخ عباس، ١٩٧، ٢٤٩، ٤١١،
الکرخي، عبد الله، ٨١٤	٤١٥، ٤٢٣، ٥٦٩، ٧٥٢
الکرخي، عليّ بن عبد العالي، ٧٧٩	القميّ، الميرزا محمد بن محمد رضا
الکرماني، محمد بن عكاشة، ٥٦٢، ٥٨١	(المشهدي)، ٧٨٩
٥٨٢	القميّ النيسابوري، نظام الدين الحسن بن
كريب، ٢٩٧	محمد، ١٤٠
الکساني، ٤٥٧، ٧٦٠، ٩١٩، ٩٢١، ٩٢٢	القواريريّ البغداديّ، أبو القاسم سعيد بن
٩٢٦	محمد بن الجنيد، ٩٧٩
الکساني، عليّ بن حمزة، ٧٤١، ٩٢٦	القوشجيّ، ٤٨٤
الکشيّ (أبو عمرو)، ١٩٩، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٤	قيس، ٢٤٨، ٤٨١
٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٦، ٣٠٦، ٣١٠	قيس بن أبي حازم، ٢٧١
٣١٤، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٥٧	قيس بن خرشة، ٦١٤، ٦٦٥
٤٠٣، ٤٢١، ٧٥١	قيس بن سعد بن عبادة، ٣٤٤
الکشيّ، عبد الحميد بن حميد، ٧٦٠	قيس عيلان، ٤١٢
كعب الأحبار (كعب بن ماتع)، ٢٢٢، ٢٢٣	القيسيّ، ٧٦٣
٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣١، ٣٧٧	
٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٩٨	
٦٠٠، ٦٠٨، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧	
٦١٨، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦	
٦٢٨، ٦٣١، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٨، ٦٣٩	
٦٤٥، ٦٥٠، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٧٢، ٦٨٠	
٦٨٤، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩٢، ٦٩٥، ٦٩٦	
	(حرف الكاف)
	الکابليّ، أبو خالد، ٢٨١، ٢٨٢
	كارانوف، ١٤٦
	كازيميرسكي، ١٤٦
	الکاشانيّ، المولى فتح الله، ٧٧٩، ٧٨٠
	الکاشانيّ، كمال الدين عبد الرزاق، ٩٨٧،

المحاربِيّ، (٢٧٥، ٣٤٥
الكوفيّ، أبو محمّد الحسن بن عمارة بن
المضرب، ٥٨٤
الكوفيّ الخزّاز، الحسين بن حميد بن ربيع،
٥٨٤

الكوفيّ، المغيرة بن سعيد، ٥٨١
الكوفيّ، حصين بن جندب، ٣٠٩
الكوفيّ، زيد الحُبّاب، ٣٠٤، ٤٠١، ٤٠٢،
٦٨٧، ٦٩٥

الكوفيّ، عبد الله بن حُبيّب، ٣٣٣
الكوفيّ، فرات بن إبراهيم، ٤٤٥

(حرف گ)

الغازر، ٧٨١

(حرف اللام)

اللّبان، عبدالمجيد، ١٢٦
ليبد، ٢١٦، ٧٤٥، ١٠١٧، ١٠٢٠
اللّخميّ، أبو الأزهر نصر بن عمرو، ٣٩١
اللّخميّ الفلسطينيّ، أبو رقيّة تميم بن أوس بن
حارثة خارجة الداريّ، ٦٠٩

لقمان، ٣٩٢

لوثيا، ٧٦٨

لوطيّ، ٣٨٠، ٦٤٣

اللّيث، ٣١٠، ٣٣٥، ٦٠٩، ٦١٠، ٦٣٦، ٧١٥

(حرف الميم)

الماردينيّ، ربيع بن محمود، ٥٨٤
مساروت، ٤٤٨، ٦٣٣، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧،
٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٧٠٩، ٧٦٧

٧٧٦، ٧٦٨، ٧١٢، ٧٠٠

كعب بن العنبر بن عمرو بن تميم، ٥٠٥

كعب بن عجرة، ٧٥٥

الكعبيّ، ٨٨٤

الكلاعيّ، عمران بن بكّار، ٣٩١

الكلبيّ، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١،

٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٣٦٠،

٣٦١، ٣٩٢، ٤٨٢، ٦٦٤، ٦٦٦، ٦٨٠،

٧٣١، ٧٥٩، ٧٧١

الكلبيّ، أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب

ابن بشر، ٢١٨، ٢٨٣، ٣٨٣، ٤١٥

الكلبيّ، الحسين بن علوان، ٢٤١

الكلبيّ الغرناطيّ، أبو القاسم محمّد بن أحمد

ابن محمّد بن جَزَيّ، ٩٣٥

الكلبيّ، محمّد بن السائب (أبو النضر)، ٢٤٨،

٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٣١٤، ٣١٦،

٣٨٣، ٣٩٢، ٤٠٧، ٤١٢، ٥٨١، ٧٣٤،

٧٤١، ٨١٩، ٨٢٤، ٩٢٦

الكلينيّ (أبو جعفر محمّد بن يعقوب)، ١٨،

٢٨، ٦٢، ٨١، ١٧١، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٨٢،

٣٠٥، ٣٣٠، ٣٤٦، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٨٧،

٣٨٨، ٣٩٤، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤١٠، ٤٢٢،

٤٢٣، ٤٣٢، ٤٥٢، ٤٥٧، ٤٦٧، ٤٦٩،

٥٤٨، ٧٥٦، ٧٥٧

كميل بن زياد، ٣٣١

الكنجبيّ، الحافظ، ٨٠٨

الكنديّ، ٦٣٦

الكواكبيّ، السيّد عبد الرحمان، ١٠٠٣

كورش، ٣٨٠، ٦٨٨

الكوفيّ، أبو الشعثاء (سليم بن الأسود

٧٥٩، ٧٤٤، ٧٤٠، ٧٣٣، ٧٣١، ٧٠٠	٨٩٦، ٧٩٢، ٧٨٧، ٧٨٣، ٧٧٦
٩٠٥، ٨٦١، ٨٣٩، ٨٣١، ٧٧٦، ٧٧١	المازني، ٩٢٢
مجاهد بن موسى بن فروخ، ٤١٧	المالك، ٨٣٨
المجلسي (محمد باقر)، ٣٠٥، ٧٥، ٥٦، ٣٩	مالك، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٥٥، ٣٦٣، ٤١٦، ٤١٧
٧٥١، ٥٠٥، ٥٠٤، ٤٦٧، ٣٨٨، ٣٠٧	٤٥٦، ٤٧٢، ٤٨٢، ٥٦٠، ٥٧٨، ٦٢٥
١٠٤١، ٧٩٤، ٧٩٣، ٧٩٠، ٧٨٩، ٧٨٧	٨٣٩، ٨٣٦، ٨٢٦، ٨١٤، ٦٧٠
المجلسي، محمد تقي، ٢٤٠	مالك بن أنس، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٩٥، ٤٠١
محارب، ٦١٣	٤٧٦، ٨١٠
المحاربي، ٢٤٩	مالك بن دينار، ٦٨٠
المحاربي، عطية بن خالد، ٧٦٤	المامقاني، ٢٤١، ٢٤٢، ٣١٢، ٣٣١، ٣٤٢
المحاربي، محمد بن عبيد، ٤١٢	المأمون العباسي، ٤٨٦، ٥٨٠، ٦٤٩
المحاري، أحمد صالح، ٤٠٩	ماهار، ٢٧
المحدث القمي، ٢٤٧، ٣٥٢	ماهار، محمد بن العباس، ٤٤٥
محسن الفيض، ٤٤٠	الماوردي، ٦٧٨، ٧٦٣
محسن عبد الحميد، ٨٧٤	الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن
المحقق الأردبيلي، ٨٤٥، ٨٤٧	حبيب، ٧٦٢
المحقق البحراني، ٢٨٣	مؤرج السدوسي، ٩٢٦
المحقق التستري، ٣٠٦، ٣٢٠، ٣٢٧، ٤٠٤	مؤمل، ٤٠٥، ٨١٢
المحقق الحلبي، ١٣٠، ٤٩١	الميرد، أبو العباس، ٣٩٠
المحقق الحلبي، نجم الدين أبو القاسم، ٥٤٧	المتقي الهندي، ٤٢٨
المحقق الخراساني، ٨٥، ٨٧، ٥٤٩	مجالد، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦١٣
المحقق الفيض، ٤٥٩	مجاهد بن جبر (أبو الحجاج المخزومي)، ٣١
المحقق القمي، ٩٣١	٤٧، ٤٨، ١٨٦، ٢٠٩، ٢٣٤، ٢٤٣، ٢٥٤
المحقق الكاظمي، ٥٥٠	٢٥٥، ٢٥٨، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٤
المحقق النائيني، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٠	٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٢
المحقق النوري، ٧٩١	٢٩٣، ٢٩٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣، ٣٦٠
المحقق الهمداني، ١٠٩	٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٨٩
محقق، مهدي، ٩٢٩	٣٩٥، ٤٠٠، ٤١٥، ٤١٩، ٤٧١، ٤٧٨
المحلي الشافعي، جلال الدين محمد بن	٤٨٧، ٥٣١، ٥٨١، ٦١٩، ٦٤٥، ٦٥٥
أحمد، ٩٣٦	٦٧٢، ٦٧٦، ٦٨٤، ٦٩١، ٦٩٣، ٦٩٨

٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٢،
 ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٦،
 ٨٨، ٩٣، ١٠٩، ١١٧، ١٢١، ١٢٥، ١٢٦،
 ١٢٩، ١٣١، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٦،
 ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١،
 ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩،
 ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦،
 ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٨، ١٨٩،
 ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦،
 ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢،
 ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨،
 ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٣،
 ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢،
 ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٥١،
 ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠،
 ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٠،
 ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٧،
 ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٣، ٣٠٤،
 ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧،
 ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦،
 ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤،
 ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤،
 ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٥،
 ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٧٧، ٣٧٨،
 ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩٩، ٤٠٩، ٤٢٧،
 ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣،
 ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٥١،
 ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠،
 ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٧،
 ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦.

محمد الطاهر بن عاشور، ١٠١١، ١٠٢٤،
 محمد بن أبي محمد، ٢٣٦، ٧٤٣،
 محمد بن أحمد بن الجنيد، ٥٥٩،
 محمد بن إسحاق، ٢٣٦، ٢٤١، ٣٦٢، ٤١٦،
 ٤٢١، ٥٦٢، ٧٤٣،
 محمد بن إسحاق بن يسار، ٣٩٧،
 محمد بن الجهم، ٩٢٠، ٩٢١،
 محمد بن الحسين بن القاسم، ٨١٨،
 محمد بن الحنفية، ١٩٩، ٢٤٧، ٤٣٧،
 محمد بن العباس، ٢٧،
 محمد بن الفضل، ٩٦٦،
 محمد بن القاسم، ٢٤٦، ٢٤٨،
 محمد بن المستنير (قطرب)، ٩٢٦،
 محمد بن المنتشر، ٣٣٧،
 محمد بن المنكدر، ٢٤١، ٢٨٤،
 محمد بن بيان، ٥٨٩،
 محمد بن ثور، ٥٣٢، ٧٣٦،
 محمد بن جبير بن مطعم، ٢٨١،
 محمد بن جرير بن رستم، ٧٤٨،
 محمد بن جعفر غندر، ٣٩٥،
 محمد بن حميد، ٧٤٣،
 محمد بن خالد، ٥٧٦،
 محمد بن رافع، ٤٧٥، ٤٧٦،
 محمد بن سعد، ٢٤٧، ٢٤٨،
 محمد بن سعيد، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٨١،
 محمد بن سليمان بن علي، ٥٥٨،
 محمد بن سنان، ٤٤٥،
 محمد بن عبد الرحمان، ٣١٦،
 محمد بن عبد الله عليه السلام، ٥، ١٢، ١٨، ١٩، ٢٠،
 ٢٣، ٣٢، ٤٢، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٥.

٨٨٥ ، ٨٧٨ ، ٨٧٧ ، ٨٧٦ ، ٨٧١ ، ٨٧٠	٤٨٣ ، ٤٨٢ ، ٤٨١ ، ٤٨٠ ، ٤٧٨ ، ٤٧٧
٩١٣ ، ٩١١ ، ٩٠٥ ، ٩٠٣ ، ٨٩١ ، ٨٩٠	٤٨٩ ، ٤٨٨ ، ٤٨٧ ، ٤٨٦ ، ٤٨٥ ، ٤٨٤
٩٤٧ ، ٩٤٦ ، ٩٣٧ ، ٩١٨ ، ٩١٥ ، ٩١٤	٤٩٨ ، ٤٩٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٤ ، ٤٩٣ ، ٤٩٢
٩٧١ ، ٩٦٩ ، ٩٦٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٠ ، ٩٤٨	٥٢٩ ، ٥٠٧ ، ٥٠٦ ، ٥٠٣ ، ٥٠٢ ، ٤٩٩
٩٩٥ ، ٩٩٤ ، ٩٨٢ ، ٩٨١ ، ٩٨٠ ، ٩٧٩	٥٥٣ ، ٥٥١ ، ٥٤٥ ، ٥٤٤ ، ٥٤٣ ، ٥٤٠
١٠٠٨ ، ١٠١٧ ، ١٠١٣ ، ١٠٠٠ ، ٩٩٦	٥٦١ ، ٥٦٠ ، ٥٥٩ ، ٥٥٨ ، ٥٥٧ ، ٥٥٦
١٠٣٦ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٠	٥٦٨ ، ٥٦٧ ، ٥٦٦ ، ٥٦٥ ، ٥٦٤ ، ٥٦٣
محمد بن عبد الله (الديباج)، ٣١١	٥٧٧ ، ٥٧٥ ، ٥٧٤ ، ٥٧٣ ، ٥٧٢ ، ٥٦٩
محمد بن عبد الله بن الحارث، ٤٨٨	٥٨٤ ، ٥٨٢ ، ٥٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٧٩ ، ٥٧٨
محمد بن عثمان، ٥٤٨	٥٩٠ ، ٥٨٩ ، ٥٨٨ ، ٥٨٧ ، ٥٨٦ ، ٥٨٥
محمد بن علي الباقر <small>عليه السلام</small> ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٦٢	٥٩٧ ، ٥٩٦ ، ٥٩٤ ، ٥٩٣ ، ٥٩٢ ، ٥٩١
١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧١ ، ٨٨ ، ٧٧	٦٠٣ ، ٦٠٢ ، ٦٠١ ، ٦٠٠ ، ٥٩٩ ، ٥٩٨
٢٤٥ ، ٢٤٠ ، ٢٣٧ ، ٢٢٩ ، ٢٠٢ ، ١٩٧	٦١١ ، ٦٠٩ ، ٦٠٨ ، ٦٠٦ ، ٦٠٥ ، ٦٠٤
٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ٢٩٦ ، ٢٨١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٤	٦١٩ ، ٦١٨ ، ٦١٦ ، ٦١٥ ، ٦١٤ ، ٦١٢
٣٥٢ ، ٣١٧ ، ٣١٤ ، ٣١٢ ، ٣١٠ ، ٣٠٩	٦٢٥ ، ٦٢٤ ، ٦٢٣ ، ٦٢٢ ، ٦٢١ ، ٦٢٠
٣٨٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٧ ، ٣٥٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٣	٦٣٢ ، ٦٣١ ، ٦٣٠ ، ٦٢٩ ، ٦٢٨ ، ٦٢٦
٤٣٣ ، ٣٩٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٢ ، ٣٨٩ ، ٣٨٨	٦٥٠ ، ٦٤٨ ، ٦٤٧ ، ٦٣٧ ، ٦٣٦ ، ٦٣٤
٤٥٢ ، ٤٤٥ ، ٤٤٣ ، ٤٤٢ ، ٤٤٠ ، ٤٣٧	٦٧٠ ، ٦٦٩ ، ٦٦٨ ، ٦٦٧ ، ٦٥٦ ، ٦٥١
٥٤١ ، ٥٠١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٠ ، ٤٥٨ ، ٤٥٧	٦٨٧ ، ٦٨٥ ، ٦٨١ ، ٦٧٦ ، ٦٧٢ ، ٦٧١
٧٣٧ ، ٧٣٥ ، ٦٩٨ ، ٦٤٩ ، ٥٨١ ، ٥٧٩	٦٩٨ ، ٦٩٦ ، ٦٩٥ ، ٦٩٠ ، ٦٨٩ ، ٦٨٨
٩٢١ ، ٨٧٦ ، ٨٥٣ ، ٧٧٣ ، ٧٥٦ ، ٧٥٢	٧١٥ ، ٧١٠ ، ٧٠٨ ، ٧٠٧ ، ٧٠٢ ، ٧٠١
٩٢٦ ، ٩٢٥	٧٢٣ ، ٧٢١ ، ٧١٩ ، ٧١٨ ، ٧١٧ ، ٧١٦
محمد بن علي الجواد <small>عليه السلام</small> ، ٧٢ ، ١٢١ ، ٤٦٢	٧٤٨ ، ٧٤٤ ، ٧٤٣ ، ٧٤٠ ، ٧٣٥ ، ٧٢٩
٨٢٣ ، ٥٤٨ ، ٥٤٢ ، ٤٦٤	٧٥٥ ، ٧٥٤ ، ٧٥٣ ، ٧٥٢ ، ٧٥٠ ، ٧٤٩
محمد بن قولويه، ٢٨٢	٧٧١ ، ٧٧٠ ، ٧٦٩ ، ٧٦٧ ، ٧٦٥ ، ٧٥٦
محمد بن مروان (السدي الصغير)، ٢٤٩	٧٨٨ ، ٧٧٨ ، ٧٧٧ ، ٧٧٦ ، ٧٧٣ ، ٧٧٢
٣٨٣ ، ٣٣٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣	٨٠٣ ، ٨٠٢ ، ٧٩٧ ، ٧٩٦ ، ٧٩٤ ، ٧٩٠
٤١١	٨١١ ، ٨١٠ ، ٨٠٩ ، ٨٠٧ ، ٨٠٦ ، ٨٠٥
محمد بن مزيد، ٥٩١	٨٣٢ ، ٨٣١ ، ٨٣٠ ، ٨٢٣ ، ٨٢٠ ، ٨١٢
محمد بن مسلم، ١٧٤ ، ٤٦٠ ، ٧٥٢	٨٦٣ ، ٨٦٢ ، ٨٦٠ ، ٨٥٤ ، ٨٥٣ ، ٨٣٦

المروزي، ٢٩٩، ٣٠٣، ٤٠١
 المروزي، أبو عصمة نوح بن أبي مريم، ٥٦٢،
 ٥٨٥
 المروزي البورقي، محمد بن سعيد، ٥٦٠
 المروزي، محمد بن نصر، ٣٠٢
 مريم عليها السلام، ١٤٥، ٩١٠، ٩٩١، ١٠١٩
 المُرزي المدني، كثير بن عبد الله بن عمرو،
 ٥٨٥
 المرزي، ٤٠٦
 المرزي، أبو الحجاج، ٣٠٤
 مسروق بن الأجدع (أبو عائشة الهمداني
 الوادعي)، ٤٨، ١٨١، ١٨٢، ١٩٢، ١٩٩،
 ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٧١، ٢٧٥، ٣٢٩، ٣٣٣،
 ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢،
 ٣٤٣، ٣٦٣، ٣٧٨، ٦١٣، ٩٠٥
 مسعر، ٣٥٦
 المسعودي، ٢٣٥، ٦٥٩، ٦٦٠
 مسكين الدارمي، ٨٥٦
 المسلم، ١١٧
 مسلم، ٤٨، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٦٢، ٣٠١، ٣١٧،
 ٣٣٤، ٣٦٧، ٣٨٦، ٤٠٠، ٤٠٩، ٤٢٨،
 ٤٣٢، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٨١، ٤٨٥،
 ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٨، ٥٦٦،
 ٦٠٩، ٦١١، ٦١٣، ٦١٧، ٦٢١، ٦٢٢،
 ٦٢٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ١٠١٠، ١٠١٧
 مسلم البطين، ٣٢٩
 المسيب بن شريك، ٧٦٠
 المسيب بن نجية، ٣٣١
 المسيب بن واضح، ٥٦٣
 المسيح عليه السلام، ١٢٠، ١٣٤، ١٤٥، ٣٨٧، ٤٣٧

محمد بن مكي العاملي، ٨٤٤
 محمد بن موسى بن أبي مريم، ٣١٥
 محمد سليمان، ١٢٥، ١٢٧
 محمد عطا يوسف، ٣٨٩، ٧٣٤
 محمود بن غيلان، ٥٦٢
 محمود بن لبيد، ٤٧٣، ٤٧٥
 المخارقي، ٢٣٩
 مخزومة بن بكير بن الأشج، ٤٧٣، ٤٧٦
 المخزومي القمولي، أحمد بن محمد بن أبي
 حزم نجم الدين، ٨٧٣
 المخزومي، سعيد بن عبد الرحمان، ٤٠٩
 مخلد الشعيري، ٤١٧
 المدائني، ٣٣٥
 المدرسي، السيد محمد تقى، ١٠١١، ١٠٢٨
 المرادي، فروة بن مسيك، ١٧٥
 المراغي، ١١٠، ١٢٩
 المراغي، أحمد مصطفى، ٩٠٣، ١٠١١
 ١٠٢٢
 المراغي، محمد مصطفى، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٠،
 ١٠٢٢
 المرتضوي، ٧٨١
 المرسي، ابن أبي الفضل، ٢٣٣
 المرسي، أبو العباس، ٩٤٧
 المرعشي، ٨١٩
 المرعشي، السيد شهاب الدين، ٨٢٠، ٨٤٥،
 ٨٤٧
 مروان، ٤١٣
 مروان بن معاوية، ٣٣٧، ٤١٢
 المرّودي، أبو بكر، ٤١٤
 المرّودي، الحسن بن الحسين، ٤٠٣

معرفة، محمد هادي، ١٣، ٧	المسيح الدجال، ٦١٢
معروف الحسنى، هاشم، ٥٧٢	مسيح الدجال، ٦١١
معروف بن خربوذ، ٢٥٤	المشهدى، ٤٦٩
المعري، عبد الله بن يزيد، ٥٥٩	المشهدى، ميرزا محمد، ٧٩٠
معلوف، لويس، ٦٠٥	المصري الوكار، أبو يحيى زكريا بن يحيى، ٥٨٤
معمّر بن راشد (أبو عروة بن أبي عمرو)، ٣٨٣، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠١، ٤٠٧، ٤١٧، ٥٧٧	المصري، ذو النون، ٩٦١
٧٢٨، ٦٣٧، ٥٩٣	المصري، عطاء بن دينار، ٥٣٢
معن بن زائدة، ٦٠٥، ٥٥٨	مصعب (بن حيان)، ٣٩٥
معن بن عيسى، ٥٨٠	مصعب بن عبد الله، ٥٧٩
المغربي، سراج الدين، ٨٨٠	المصيبي، ٣٠٧
مغنية، محمد جواد، ١٠١١، ١٠٣١	المصيبي، الحسين، ٣١٢
المغيرة، ٢٧١	مطر بن الوراق، ٣١٧، ٣٤٩
مغيرة، ١٩٦	مطرف، ٣٠٢
المغيرة بن شبيب، ٣٥٦	معاذ بن جبل، ٣٣٣، ٧٢١
المغيرة بن شعبة، ٢٦١، ٥٦٦	المعافي التميمي، ٥٦٤، ٥٨٨
المفضل بن صالح، ٣٦١	معاوية بن أبي سفيان، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٣٥
المفيد (أبو عبد الله محمد بن محمد بن	٢٧١، ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٣٤٠
النعمان)، ٤٢، ٢٠١، ٢٨٢، ٣٥٧، ٤٨٩	٣٤١، ٣٥٠، ٤٠٨، ٤١٧، ٤٨٩، ٥٦٥
٤٩٥، ٤٩٧، ٥٠٥، ٥٠٧، ٥٤٥، ٥٤٦	٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١
٥٥٧، ٥٤٨، ٥٤١، ٧٧١، ٨٥٠	٥٧٤، ٥٧٥، ٥٨٧، ٥٩٨، ٦١٤
مقاتل، ٦٦٥، ٦٩٣، ٧٥٤	٦١٧، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٦
مقاتل بن حيان (أبو بسطام، ابن دوال دوزا)،	٦٣١، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٦٥، ٧١٢، ٨٢٨
٢٤٤، ٣٤٨، ٣٨٣، ٣٩٥، ٧٤١، ٧٥٥	٨٢٩
٧٥٩، ٧٦٤	معاوية بن حرملة، ٦١٠
مقاتل بن سليمان، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥	معاوية بن صالح، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٧١٥
٣٦٠، ٣٦١، ٣٨٣، ٣٩٢، ٣٩٥، ٥٧٨	معبد، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢
٥٨٠، ٥٨١، ٧٣١، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٤١	المعتصم، ٧٢، ٧٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٨٢٣
٧٥٩، ٧٧١، ٨١٩، ٨٢٤	معتمر بن سليمان، ٢٢٧
المقبري، سعيد، ٧١٢	معد بن عدنان، ٨٣٨

المهديّ (عج)، ١٩٦، ٣٨٧، ٤٤١، ٤٤٢،
٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٨، ٥١٠، ٧٥٣، ٨٦١

٨٦٩

المهلبيّ الحُوَيْبِيّ، أبو العبّاس أحمد بن خليل،
١٦٠

موسى عليه السلام، ٢٢، ٢٩، ١٠٣، ١٢٠، ٢٢٠،
٢٢٥، ٢٧٩، ٤٣٦، ٤٤١، ٤٤٩، ٥٠٠

٥٠١، ٥٨٨، ٥٩٦، ٥٩٨، ٦٠٨، ٦١٤

٦٢٥، ٦٢٨، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٥٤، ٦٥٥

٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١

٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧

٨٦٢، ٨٦٧، ٩٥١، ٩٧٧، ٩٨٠، ٩٨١

٩٨٢

موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، ٢٥، ١٧٠، ٢٨٢،
٣٩٢، ٤٦٢، ٤٦٦، ٧٣٥، ٨٧٦

موسى بن سالم، ٢٢٩

موسى بن عقبة، ٦٣٤

موسى بن محمّد، ٧٣٦

موسى بن مسعود (أبو حذيفة النّهديّ
البصريّ)، ٣٨٣، ٤٠٦، ٤١٩، ٧٦٠

الموصليّ، أبو يعلي، ٦٢٤، ٦٢٩

الموصليّ الكواشبيّ، أبو العبّاس أحمد بن
يوسف، ٩١٤

الموصليّ، عليّ بن حرب، ٣٠٤

الموصليّ، محمّد بن عبد الله، ٤١٣

المبيديّ، أبو الفضل رشيد الدين، ١٣٩، ٧٨٠،
٩٤٥، ٩٥٩، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٨٣، ٩٨٨

الميدانيّ، ٦٠٥

ميسرة بن عبد ربّه، ٥٦٣

ميكانيل، ٥٨٧

المقتفي العبّاسيّ، ٩٣١

المقداد بن الأسود، ٨٦١

المقدّام بن معديكرب، ٧١٥

المقري، أبو الوفاء عبد الجبّار، ٨٦٤

المقري، أبو جعفر محمّد بن منصور بن يزيد،
٩٢٧

المقريزيّ، ٥٧٥

المقري، محمّد بن عبد الرحمان، ٧٥٣

مكارم الشيرازيّ، ناصر، ١٠١١، ١٠٣٠،
١٠٤٢

مكحول، ١٦٤، ٢٨٠

مكّيّ بن أبي طالب، ٩٢٣، ٩٢٤

الملطبيّ، إسحاق بن نجيب، ٥٨١، ٥٨٣،
الملك العزيز، ٤٢٤

الملك عبد العزيز آل سعود، ١٠٠٦

ملك مظفرّ أبو صالح، ١٣٨

منتجب الدين، ٨٦٤

منصور، ٢٩٠

المنصور العبّاسيّ (أبو جعفر)، ٢٣٨، ٢٤٤،
٢٤٩، ٢٩٥، ٢٩٦، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧

٥٨١، ٧٣٤، ٧٧٠

منصور بن زاذان، ٤١١

منصور بن نوح بن نصر بن احمد بن اسماعيل،
١٣٨

المنقريّ، أسلم، ٣١٠

المنقريّ، سليمان بن داود، ٤٣٧

مهاجر، ٩١٣

المهديّ، أحمد، ٨١٩

المهديّ (العبّاسيّ)، ٢٢٧، ٤٠٥، ٤٦٦، ٥٦٤،
٥٨٠، ٥٧٧

- ميون بن عبد الله، ٤٠٣
 ميمونة، ٢٢٨
 الميموني، ٤٧٦
- (حرف النون)
- نافع، ٤٥، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢٣٨، ٢٣٩،
 ٣٠٠، ٣٠١، ٤٥٧، ٥٧٣، ٦٤٧
- نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي، ١٤٠، ٨٦٣
 الناقط، أبو طلحة، ٩٢٠
 النباجي، أبو حبيب، ٣٣٣
 النبي ﷺ ← محمد بن عبد الله ﷺ
 النبي ﷺ ← محمد بن عبد الله ﷺ
 النجار، عبد الحلیم، ٢٢١
 النجار، عبد الوهاب، ٦٣٢
 النجاشي، ٩٣، ١٣٤، ٢٤٧، ٣١٥، ٣١٦،
 ٣٤٦، ٣٥٧، ٣٩٣، ٤٢٢، ٧٥٦، ٨٥٠،
 ٩٢١
- النجاشي، أبو العباس، ٢٥٥، ٤١٥
 نجدة بن عامر الحنفي الحروري، ٢١٤، ٤٦٣
 النجري، الحسين بن أحمد، ٨١٨
 النحاس، أبو جعفر، ٧٩٦
 النحوي، يزيد، ٢٩٩، ٣٠٤
 النخشي، أبو تراب، ٩٤٢
- النخعي، إبراهيم، ٢٧٩، ٣١٥، ٣٢٨، ٣٢٩،
 ٤٥٥، ٤٩٩
- النخعي، إبراهيم بن يزيد، ٣٢٨، ٣٤٢، ٤٥٥
 النخعي، أبو داود سليمان بن عمرو، ٥٨١،
 ٥٨٥
- النخعي، أبو علي الحسن بن علي، ٥٨٤
 النخعي، الأسود بن يزيد (أبو عبد الرحمان)،
 ٢٧١، ٢٧٥، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٣٥،
 ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٧، ٤٣٣، ٤٩٩
- النخعي، مصباح، ٣٣١
 الندبي، أيوب بن أبي الحسين، ٣٨٦
 النراقى، مهدي، ٥٦١
- النسائي، ٢٥٤، ٣١٦، ٣٦١، ٤٧٣، ٤٧٥،
 ٤٧٦، ٥٧١، ٦٢٥، ٧٠٢، ٧١٩، ٧٢٣
- النسائي، أبو عبد الرحمان، ٥٧٨
 النسفي، ٧١٢
 النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن
 محمود، ١٣٩، ٨٩٤
 النسفي، أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد
 (مفتي الثقلين)، ١٣٩، ٨٩٥
 النسفي، هناد بن إبراهيم، ٥٨٦
 نصر بن مزاحم، ٣٢٨، ٣٢٩
 نصرت بنت السيد محمد علي أمين (بانو
 أمين)، ١٠٣٣
- النصيبي المالكي، شرف الدين، ٨٧٩
 النصيبي، حماد بن عمر، ٥٨٤
 النضر بن حارث، ٢٠٨
 النضر بن شميل، ٩٢٦
 النظري الأصفهاني، نور الدين عبد الصمد،
 ٩٩٧، ٩٨٨
- النعمانى، ٤٤٢
 النعماني، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، ٤٤٦
 النعماني، محمد بن إبراهيم، ٧٨٥
 نعيم بن حماد، ٥٦٣
 النهاوندي، أبو عبد الله، ٥٦٣
 النهاوندي، علي أكبر، ٥٦١
 نوح عليه السلام، ٢٢٠، ٣٢٥، ٤٣٢، ٥٩٠، ٦٤٩

- الهروي، مأمون بن أحمد، ٥٨١
 الهروي، يحيى بن محمد بن عبد الله، ٣٦١
 هشام، ٢٨٦، ٢٩٥، ٤١٥، ٧٤١
 هشام بن الحكم، ٤١٤
 هشام بن سالم، ٢٨٥
 هشام بن عبد الملك، ٢٩٤، ٣٥٠، ٥٧١
 هشام بن عروة، ٢٧٣، ٣٤٩، ٥٦٥
 الهلالي، سليم بن قيس، ٣١٨، ٣٢٠
 هَمَّام بن منبّه، ٦١٩
 الهمداني، الحارث بن عبد الله الأعور، ٣٣١
 الهمداني الكوفي، ٣٤٢
 الهمداني المعتزلي، عماد الدين أبو الحسن
 عبد الجبار بن أحمد، ٣٢٧، ٥٣٧، ٩٢٩
 الهمداني، حارثة بن مضرب، ٣٣١
 الهمداني، عبد الجبار، ٤١٤، ٧٦٠
 الهمداني، مرّة (أبو إسماعيل بن شراحيل)،
 ٢٧٥، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٦٠
 ٣٦٤
 الهمداني، إبراهيم بن الحسين، ٢٩٢
 الهمداني، القاسم بن الحسن، ٣١٢، ٦٦٦
 الهمداني، جبريل بن محمد بن إسماعيل أبي
 القاسم، ٧٦٠
 الهمداني، عبد الرحمان بن الحسن بن أحمد،
 ٢٩٢
 هنكلمان، ١٣٦
 هود عليه السلام، ٧١٣، ٧١٤، ٨٣٠
 الهيثم الطائي، ٥٦٣
 الهيثم بن واقد، ٤٠٣
 الهيثمي، ٤٣٠، ٤٣١، ٧٢٠، ٧٢١
 الهيثمي، ابن حجر، ٤٢٨، ٤٢٩، ٧٧٢
- ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١،
 ٨٣٠، ٨٨٧
 نوح بن أبي مريم، ٧١٧
 النوري، ٨٦٨
 النوي، ٢٦٢، ٣٦٢، ٤٨٧، ٦١٧
 النوي، ٥٧٠
 نويهض، عادل، ٣٢٨، ٣٥٦، ٣٦٧، ٨١٩
 ٨٤٥
 النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد، ٢٤٩
- (حرف الهاء)
- هاجر، ٦٩٧، ٦٩٨
 هاروت، ٤٤٨، ٦٣٣، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧
 ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٧٠٩، ٧٦٧
 ٧٧٦، ٧٨٣، ٧٨٧، ٧٩٢، ٨٩٦
 هارون عليه السلام، ٨٦٢، ٨٦٦، ٩٥١
 هارون الرشيد، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٨٨
 هارون بن رباب، ٦٤٧
 هاشم، ٣٥١، ٨٧٧
 الهاشمي، ٢٤٠
 الهاشمي، إسماعيل بن الفضل، ٢٣٩
 هاكس، جيمس، ٥٩٤
 هامان، ٤٤٢
 هذيل، ٤٥٧
 هرم بن حيّان، ٣٣٦
 الهروي، ٤٦٨
 الهروي، عبد الله بن المأمون، ٢٥٥
 الهروي، عبد الملك بن علي، ٤٢٤
 الهروي، عمّار بن عبد المجيد، ٢٥٥
 الهروي، مالك بن سليمان، ٣٦١

(حرف الواو)

الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ٦٢٦	وابصة بن معبد، ٩٤٧
الوليد بن مسلم، ٦٩٥	وائلة، ٧٥٦، ٧٤٨، ٥٨٧، ٢٧٣
وهب، ٥٩٤، ٦١٩، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٨٢، ٦٩٢	الواحدِيّ، ٢٤٩، ٤٢٩، ٥٣٥، ٥٨٩، ٦٧٥
٦٩٣	٧٦٢، ٧٥٨
وهب بن جرير، ٦١٣	الواحدِيّ، أبو الحسن، ٩٦٤
وهب بن منبّه، ٢٩٧، ٣٧٧، ٥٩٣، ٦٠٠، ٦٠٨	الواسطِيّ، أبو بسطام، ٣٥٩
٦٢٥، ٦٢٦، ٦٣٩، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٦١	الواسطِيّ، أبو خالد عمرو بن خالد، ٩٢٧
٦٧٢، ٦٧٣، ٦٨٠، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦	الواسطِيّ، أبو خالد يزيد بن هارون بن زاذان،
٧٠٠، ٧٠٣، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٢	٣٦١، ٣٦٤، ٣٨٣، ٤١٦، ٥٨٠، ٦٢٢
وهب بن وهب القاضي، ٥٨١	واصل بن عطاء، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٨٣، ٣٨٩
	٣٩٠
(حرف الياء)	الواعظ السبزواريّ كمال الدين الحسين بن
يافث، ٦٦٩	عليّ (الكاشفيّ)، ٧٧٩
اليحصيّ، عبد الله بن عامر، ٩١٣	الواقديّ، ٢٨١، ٣٠٥، ٣٢٢، ٣٤٦، ٤٧٦
يحيى، ٢٩٥، ٣١٦، ٤١٤، ٤١٦، ٥٩٤	٥٨٠، ٥٧٨
يحيى <small>عليه السلام</small> ، ٣٧٢، ٣٧٣، ١٠١٦	الواقديّ، محمّد بن عمر، ٥٧٩، ٧٤١
يحيى المؤيد بالله بن حمزة، ٨١٩	وجديّ، محمّد فريد، ١١٧، ١١٩، ١٢١
يحيى بن أبي بكير، ٣٥٦	الورّاق، ٣٢١، ٤٢٣
يحيى بن أبي كثير، ١٦٤، ٣٤٩، ٣٨٣	الورّاق، محمود، ٨٧٢
يحيى بن أكرم، ٤٨٦، ٩٢٦	ورقاء بن عمر اليشكريّ (ابن كليب أبو بشر)،
يحيى بن أمّ الطويل، ٢٨١، ٢٨٢	٢٥٤، ٢٩٢، ٣٨٣، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤١٢
يحيى بن شبيل، ٢٤٤	٧٥٩
يحيى بن صالح، ٣٩١	الوضّاحيّ، أبو بديل، ٩٢٠
يحيى بن قريش، ٣٦١	وكيع (بن الجراح)، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٦، ٣١١
يحيى بن معين، ٣٠٣، ٤٠١، ٤١٢، ٤١٤	٣٢٤، ٣٣٧، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٨٣
٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤٩٥، ٥٦٤، ٥٦٥	٤٠٠، ٤٠١، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٧
٥٧٧، ٥٧٨، ٥٨٠، ٥٨٤، ٦٣٧، ٧٢٨	٤١٩، ٥٧٥، ٧٢٨، ٧٥٩، ٨١٢
يحيى بن واضح، ٣٠٤، ٧٤٨	الوليد، ٢٨٦، ٣٥٧
يحيى بن يعمر، ٣٩١	الوليد بن المغيرة، ٥١١
اليزديّ، مصباح، ١٠٤٢	

- يزيد، ٢٨٦، ٣٣٠، ٣٩٥، ٤٠٠، ٤٥٠
 يزيد بن أبي زياد، ٣١٣
 يزيد بن أسلم، ٦٥٥
 يزيد بن الوليد، ٢٣٥
 يزيد بن زريع، ٣٩٨، ٣٥٣
 يزيد بن شهاب، ٥٩١
 يزيد بن معاوية، ٢٢٧
 اليزيدي، صالح بن محمد، ٣٦١
 يسار الثقفي الكوفي، عبد الله بن أبي نُجَيْح،
 ٢٥٤، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٨٣، ٣٨٩
 ٤١٩، ٥٣١، ٧٣٣، ٧٣٧، ٧٣٨
 يعرب بن قحطان، ٦٠٩
 يعقوب عليه السلام، ٥٩٤، ٥٩٥، ٦٧٢، ٦٩٥، ٦٩٩
 يعقوب بن الصليبي، ١٣٦
 يعقوب بن سفيان، ٢٣٤، ٥٧٩، ٥٩٨
 يعقوب بن شيبه، ٣٥٤
 يغماني، حبيب، ١٣٩
 اليمامي، زُبيد، ٣٣٥
 اليمامي، زيد، ٣٨٧
 اليماني الثُلَاثي، شمس الدين يوسف بن أحمد
 ابن محمد، ٨٤٥
 يوحنا بن بطريق، ١٠٥
 يوسف عليه السلام، ١٩، ٣٣، ٣٨٠، ٤٤٩، ٦٤٤
 ٦٤٥، ٦٦٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤
 ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠
 ٦٨١، ٦٨٢، ٨٧٦
 يوسف بن جعفر، ٥٩٠
 يوسف بن عدّي، ٢٥٣، ٤١٢
 يوسف بن عمر، ٣٤٧، ٦٢٧
 يوشع عليه السلام، ٦٥٥، ٦٦٥
 يونس، ٣٠٨، ٤٠٣
 يونس بن حبيب، ٧٥٣
 يونس بن عبد الأعلى، ٤١٠، ٥٨٠
 يونس بن عبيد، ٣١٨
 يونس بن محمد، ٤٩٣

فهرس المواضيع

٥٢٥	شكر و تقدير
٥٢٩	المرحلة السادسة
٥٢٩	النمط الأول
٥٣١	التفسير في عهد التدوين
٥٣٤	تدرّج التفسير و تلوّنه
٥٣٩	النمط الأول: التفسير بالمأثور
٥٣٩	أنحاء التفسير بالمأثور
٥٣٩	١. تفسير القرآن بالقرآن
٥٤٣	٢. تفسير القرآن بالسنة
٥٤٣	٣. تفسير القرآن بقول الصحابي
٥٤٤	٤. تفسير القرآن بقول التابعي
٥٤٥	موضع الحديث من التفسير
٥٥٣	آفات التفسير بالمأثور
٥٥٤	١. ضعف الأسانيد
٥٥٦	٢. الوضع في التفسير
٥٥٨	أهم أسباب الوضع
٥٧٥	أقسام الموضوعين
٥٧٨	أقطاب الموضوعين
٥٨٧	أنحاء الموضوعات

٥٩٤ ٣. الإسرائيليات
٥٩٥ الإسرائيليات في التفسير والحديث
٦٠١ هل تجوز مراجعة أهل الكتاب؟
٦٠٤ مناقشة دلائل الجواز
٦٠٦ الرأي الحاسم
٦٠٨ أقطاب الروايات الإسرائيلية
٦٠٨ ١. عبد الله بن سلام
٦٠٩ ٢. تميم بن أوس الداري
٦١٤ ٣. كعب الأحبار
٦١٨ ٤. عبد الله بن عمرو بن العاص
٦٢٠ ٥. أبو هريرة
٦٢٦ ٦. وهب بن منبه
٦٢٧ ٧. محمد بن كعب القرظي
٦٢٧ ٨. ابن جريج
٦٢٨ مبدأ نشر الإسرائيليات
٦٣٨ أقسام الإسرائيليات
٦٤٢ ١. أمثلة على الموافقة
٦٤٣ ٢. أمثلة على المخالفة
٦٤٣ ٣. أمثلة على المسكوت عنه
٦٤٤ نماذج من إسرائيلييات مبنوثة في التفسير
٦٤٥ ١. الإسرائيليات في قصة هاروت و ماروت
٦٥٠ ٢. إسرائيلية في المسوخ
٦٥١ ٣. الإسرائيليات في بناء الكعبة: البيت الحرام والحجر الأسود
٦٥٣ ٤. الإسرائيليات في قصة إخراج آدم <small>عليه السلام</small>
٦٥٤ ٥. الإسرائيليات في عظم خلق الجبارين
٦٥٥ ٦. خرافة عوج بن عوق
٦٥٨ ٧. الإسرائيليات في قصة التيه
٦٦١ ٨. الإسرائيليات في «سؤال موسى ربه الرؤية»
٦٦٤ ٩. الإسرائيليات في ألواح التوراة
٦٦٦ ١٠. خرافات في بني إسرائيل

- ٦٦٧ التفسير الصحيح للآية
- ٦٦٨ ١١. الإسرائيليات في سفينة نوح
- ٦٧١ ١٢. الإسرائيليات في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا...﴾
- ٦٧٦ ١٣. الفرية على المعصوم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْ...﴾
- ٦٧٧ القرآن يرّد هذه الأكاذيب
- ٦٧٨ التفسير الصحيح لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا...﴾
- ٦٧٩ ١٤. الإسرائيليات في سب لبث يوسف في السجن
- ٦٨٢ ١٥. الإسرائيليات في شجرة طوبى
- ٦٨٤ ١٦. الإسرائيليات في قصة أصحاب الكهف
- ٦٨٥ ١٧. الإسرائيليات في قصة ذي القرنين
- ٦٨٨ ١٨. الإسرائيليات في قصة يأجوج ومأجوج
- ٦٩١ ١٩. الإسرائيليات في قصة بلقيس ملكة سبا
- ٦٩٣ ٢٠. الإسرائيليات في هدية ملكة سبا لسيدنا سليمان
- ٦٩٤ ٢١. الإسرائيليات في قصة الذبيح وأنه إسحاق
- ٦٩٦ تحريفهم للتوراة
- ٦٩٦ نصّ التوراة
- ٦٩٨ الذبيح هو إسماعيل عليه السلام
- ٧٠٠ ٢٢. الإسرائيليات في قصة داود عليه السلام
- ٧٠٤ التفسير الصحيح للآيات
- ٧٠٥ ٢٣. الإسرائيليات في قصة أيوب عليه السلام
- ٧١٠ الحقّ في هذه القصة
- ٧١١ ٢٤. الإسرائيليات في قصة ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾
- ٧١٤ ما رُوي في عظم طولهم
- ٧١٥ ٢٥. الإسرائيليات والخرافات فيما يتعلّق بعمر الدنيا و بدء الخلق
- ٧١٥ بعض الظواهر الكونيّة
- ٧١٦ ما يتعلّق بعمر الدنيا
- ٧١٧ ما يتعلّق بخلق الشمس والقمر
- ٧١٨ ما يتعلّق بتعليل بعض الظواهر الكونيّة
- ٧٢٢ ما ذكره المفسّرون في الرعد والبرق في كتبهم
- ٧٢٥ رأي العلم في حدوث الرعد، والبرق، والصواعق

- ٧٢٥ الرياح، و الكهربيّّة الجويّة
- ٧٢٧ الصواعق
- ٧٢٨ جبل «قاف» المزعوم، و حدوث الزلازل
- ٧٢٩ ٢٦. الإسرائيليات في تفسير «ن وَالْقَلَمِ»
- ٧٣١ أهمّ كتب التفسير بالمأثور
- ٧٣٣ ١. تفسير مجاهد
- ٧٣٣ ٢. تفسير السُدّيّ الكبير
- ٧٣٤ ٣. تفسير الكلبيّ
- ٧٣٥ ٤. تفسير أبي حمزة
- ٧٣٦ ٥. تفسير ابن جريج
- ٧٣٦ ٦. تفسير مقاتل بن سليمان
- ٧٣٧ ٧. تفسير أبي الجارود
- ٧٣٨ ٨. تفسير عبد الرزاق الصنعانيّ
- ٧٣٨ ٩. جامع البيان للطبريّ
- ٧٤٠ إلماعة عن هذا التفسير و عن منابعه
- ٧٤١ منهجه في التفسير و نقد الآراء
- ٧٤٥ موقفه تجاه أهل الرأي في التفسير
- ٧٤٦ موقفه تجاه أهل الظاهر
- ٧٤٧ موضع و لانه لآل البيت
- ٧٥١ ١٠. تفسير العياشيّ
- ٧٥٢ منهجه في التفسير
- ٧٥٣ ١١. تفسير ابن أبي حاتم الرازيّ
- ٧٥٤ منهجه في التفسير
- ٧٥٥ نزعتة الفكريّة
- ٧٥٦ ١٢. تفسير القمّيّ
- ٧٥٧ منهجه في التفسير
- ٧٥٨ ١٣. تفسير الثعلبيّ (الكشف و البيان)
- ٧٦٢ ١٤. تفسير الماورديّ (النكت و العيون)
- ٧٦٣ منهجه في التفسير
- ٧٦٤ ١٥. تفسير ابن عطية (المحرّر الوجيز)

١٦. تفسير البَقَوِيّ (معالم التنزيل) ٧٦٦
- منهجه في التفسير ٧٦٦
١٧. تفسير القرطبيّ (الجامع لأحكام القرآن) ٧٦٨
١٨. تفسير الشيبانيّ (نهج البيان) ٧٧٠
- فرائد تفرّد بها ٧٧٢
١٩. تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) ٧٧٣
٢٠. تفسير ابن كثير ٧٧٥
٢١. تفسير الثعالبيّ (الجواهر الحسان) ٧٧٧
٢٢. الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور ٧٧٨
٢٣. منهج الصادقين ٧٧٩
- منهجه في التفسير ٧٨٠
٢٤. تفسير الصافي ٧٨١
- منهجه في التفسير ٧٨٣
٢٥. تفسير البحرانيّ (البرهان) ٧٨٤
- منهجه في التفسير ٧٨٥
٢٦. تفسير الحوزيّ (نور الثقلين) ٧٨٦
- منهجه في التفسير ٧٨٧
٢٧. تفسير المشهديّ (كنز الدقائق و بحر الغرائب) ٧٨٩
٢٨. تفسير شُبَيْر (الكبير و الوسيط و الوجيز) ٧٩٣
٢٩. فتح القدير للشوكانيّ الزيديّ ٧٩٥
٣٠. تفسير البرغانيّ (بحر العرفان) ٧٩٧
- النمط الثاني ٧٩٩
- النمط الثاني: التفسير الاجتهاديّ ٨٠١
- تنوّع التفسير الاجتهاديّ ٨٠٣
- التفسير الفقهيّ لآيات الأحكام ٨٠٥
- (لمحة عن تطوّر التفسير الفقهيّ) ٨٠٥
١. التفسير الفقهيّ في عهده الأوّل ٨٠٥
٢. و بعد أن ظهرت المذاهب الفقهيّة ٨٠٨
٣. دور تحكّم التقليد و التعصّب المذهبيّ ٨١٤
٤. أوار التعصّب في عهد متأخّر ٨١٥

- ٨١٧ ٥. تنوع التفسير الفقهي تبعاً لتنوع الفرق الإسلامية
- ٨١٨ ٦. الإنتاج التفسيري للفقهاء
- ٨١٩ ٧. تعداد آيات الأحكام
- ٨٢١ ٨. آيات الأحكام على أقسام
- ٨٢٤ أهم كتب آيات الأحكام
- ٨٢٥ ١. أحكام القرآن للجصاص الحنفي
- ٨٢٩ ٢. أحكام القرآن (المنسوب إلى الإمام الشافعي)
- ٨٣٢ ٣. أحكام القرآن لأبي يعلى الحنيلي
- ٨٣٣ ٤. أحكام القرآن لكيا الهراسي الشافعي
- ٨٣٤ ٥. أحكام القرآن لابن العربي المالكي
- ٨٤٠ ٦. أحكام القرآن للراوندي (فقه القرآن)
- ٨٤٢ منهج الكتاب
- ٨٤٣ ٧. أحكام القرآن للسيوري (كنز العرفان في فقه القرآن)
- ٨٤٥ ٨. الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة
- ٨٤٥ ٩. زبدة البيان في أحكام القرآن للمحقق الأردبيلي
- ٨٤٧ ١٠. مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام
- ٨٤٨ ١١. قلائد الدرر في بيان الأحكام بالأثر
- ٨٤٩ التفاسير الجامعة
- ٨٤٩ التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)
- ٨٥١ التعريف بهذا التفسير
- ٨٥٢ منهجه في التفسير
- ٨٥٦ مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الطبرسي
- ٨٥٧ منهجه في التفسير
- ٨٦٣ رُوح الجنان و رُوح الجنان لأبي الفتوح الرازي
- ٨٧٢ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)
- ٨٧٥ عنايته بأهل البيت
- ٨٧٩ إمام المشككين
- ٨٩٠ مباحث تافهة
- ٨٩١ تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)
- ٨٩٤ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)

- ٨٩٥ تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)
- ٨٩٦ تفسير الآلوسيّ (روح المعاني)
- ٨٩٩ تفسير البلاغيّ (آلاء الرحمان)
- ٩٠١ تفاسير أدبيّة
- ٩٠١ الكشّاف
- ٩٠٦ اعتماده على التأويل و التمثيل
- ٩١٢ امتهانه بشأن القراء
- ٩١٥ تهاجمه على أهل الحديث
- ٩١٨ البحر المحيط
- ٩١٩ معاني القرآن
- ٩٢٢ إملاء ما منّ به الرحمان من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن
- ٩٢٥ تفاسير لغويّة
- ٩٢٩ تفسير المتشابهات
- ٩٣٣ تفاسير موجزة
- ٩٣٩ التفسير العرفانيّ الصوفيّ
- ٩٣٩ (التفسير الرمزيّ الإشاريّ)
- ٩٤٢ منبع عرفان الأصفياء
- ٩٤٥ التأويل عند أرباب القلوب!
- ٩٥٠ ظاهرة تداعي المعاني!
- ٩٥٣ تأويل أو أخذ بفحوى الآية العامّ
- ٩٥٣ ما يؤخذ على تفاسير الصوفيّة
- ٩٥٩ التنوع في التفسير الباطنيّ
- ٩٦١ أهمّ تفاسير الصوفيّة و أهل العرفان
- ٩٦١ ١. تفسير التستريّ
- ٩٦٣ ٢. حقائق التفسير للسّلميّ
- ٩٦٧ ٣. لطائف الإشارات للقشيريّ
- ٩٧١ ٤. كشف الأسرار و عدّة الأبرار (تفسير المييديّ)
- ٩٧١ المعروف بتفسير الخواجا عبد الله الأنصاريّ
- ٩٨٢ اللغات الغريبة التي جاءت في هذا التفسير
- ٩٨٣ ٥. تفسير الخواجا عبد الله الأنصاريّ

- ٩٨٤ ٦. تفسير ابن عربيّ
- ٩٨٥ هل لابن عربيّ من تفسير؟
- ٩٨٦ تفاسير منسوبة إلى ابن عربيّ
- ٩٨٨ التعريف بهذا التفسير
- ٩٩٧ ٧. عرائس البيان في حقائق القرآن لأبي محمّد الشيرازيّ
- ٩٩٨ ٨. التأويلات النجميّة لنجم الدين داية، و علاء الدولة السمنانيّ
- ٩٩٩ التفسير في اتّجاهٍ عصريّ
- ١٠٠٠ ألوان التفسير في العصر الحديث
- ١٠٠١ ١. اللون العلميّ
- ١٠٠١ أهمّ الكتب التي عُنيت بهذا اللون
- ١٠٠٤ الجواهر في تفسير القرآن للطنطاويّ
- ١٠٠٥ منهج المؤلف في التفسير
- ١٠٠٧ التفسير الفريد
- ١٠٠٨ ملحوظة
- ١٠٠٨ ٢. اللون الأدبيّ الاجتماعيّ
- ١٠١٠ أهمّ روّاد هذه المدرسة
- ١٠١١ المنار (تفسير القرآن العظيم)
- ١٠١٣ موقفه من حقيقة الملائكة و الشياطين
- ١٠١٦ إنكاره على أهل الحديث في روايتهم للطامات
- ١٠٢٠ رأي صاحب المنار في الجنّ
- ١٠٢١ تفسير القاسميّ (محاسن التأويل)
- ١٠٢٢ تفسير المراغيّ
- ١٠٢٣ في ظلال القرآن
- ١٠٢٤ التحرير و التنوير
- ١٠٢٥ الميزان في تفسير القرآن
- ١٠٢٧ الفرقان في تفسير القرآن
- ١٠٢٨ من هدى القرآن
- ١٠٢٩ من وحي القرآن
- ١٠٣٠ تفسير نمونه (الأمثل)
- ١٠٣١ الكاشف

١٠٣٢	التفسير المبين
١٠٣٢	مخزن العرفان
١٠٣٥	التفسير الموضوعي
١٠٣٧	ألوان التفسير الموضوعي
١٠٤٠	التفسير الموضوعي ضرورة
١٠٤١	أنحاء من التفسير الموضوعي
١٠٤٧	فهرس الآيات القرآنية
١٠٧٩	فهرس الأحاديث والآثار
١١٠١	فهرس الأعلام
١١٥٠	فهرس المواضيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

